

# القرآن في مواجهة التهم والشبهات يعلوا ولا يُعلى عليه

محمد أحمد صبرة

حقوق الطبع والنشر للجميع ولكل دور النشر

الطبعة الأولى الإلكترونية سنة ٢٠١٧

للتراسل مع المؤلف :

<https://www.facebook.com/m.s.tartus>

[m.s.tartus@gmail.com](mailto:m.s.tartus@gmail.com)

٠٠٩٦٣٩٨٨٢٨٩٨٩٢

## تمهيد

تناثر عبر الشبكة العنكبوتية في مواقع التواصل الاجتماعي شبهات وتهم دينية وغيبيّة ، حول آي القرآن الحكيم ، ممتلئة سموما وفهما سقيماً ، سايره ضعف في فهم أساليب القرآن ولغة العرب من أبنائه ، مما أدى لجهل فاضح في معرفة بنية تلك الشبهات وما تحمله في ثناياها من أخطاء وغباء أو تغابي مقصود ، تبعه تصديق كثير من تلك الشبهات من قبل طبقة تدعي العقلانية والفهم ، وهي بعيدة كل البعد عن فهم الحقيقة وما تشير له تلك الآيات ، فتوقّد في ذهني جمع لمعظم تلك الشبه والرد عليها وشرح لغة العرب وأساليبهم وأساليب القرآن في النظم والسرد ، فتولد منها هذا الكتاب ، أسأل الله أن يجعله مقبولاً ومفيداً .

كلمة عتاب لأهل الكتاب: كنا ننتظر منهم ونحن وهم أبناء أسرة الديانات السماوية والتشريعات الإلهية ، وكتابنا وكتابه تنزل من مكان واحد وأبونا وأبوهم واحد (ابراهيم ﷺ) أن يكونوا عوناً لنا ضد الوثنيات والديانات الأرضية والإلحاد ، كنا ننتظر منهم -وهم إخوة لنا في الدين والنسب- إذا ناقشوا أو جادلوا أهل الإسلام في شيء أن يكون ذلك بروح المودة والمحبة والتفاهم المخلص والرغبة الصادقة في الوصول للحقيقة لكنهم كانوا علينا لا لنا وحرماً ضدنا لا معنا ، فطعنوا في كتابنا بروح العنف والشدّة ، والحقد والضعينة ، وهاجمونا بدافع البغض والكراهية والبغى والعدوان ، وطعنونا ظلماً وجوراً في صميم عقيدتنا وأصولنا : فرموا الإسلام بالإكراه في الدين والتعصّب والدعوة إلى الفجور وأنه سبب تخلف الشعوب ، وقاموا بحرب تشكيك في القرآن ونبيّ الإسلام ، ويذلل المبشرون غاية جهدهم لتشويه الحقائق وقالوا أن الإسلام منح النصراري وظيفة الإفتاء في الدين الإسلامي كما قال الأنبا شنودة في رسالته (القرآن والمسيحية) (ص ٤) وقال : لم يقتصر القرآن على الأمر بحسن مجادلة أهل الكتاب بل وضع القرآن النصراري في مركز الإفتاء في الدين وساق الآيات التي تؤيد زعمه ، وأن النصراري ناجين وإن لم يؤمنوا بمحمد ﷺ وكتابه بزعمه كما يقول القرآن !! .

## فهرس الموضوعات

مقدمة الكتاب : ..... ص ٦

### بين يدي الكتاب

أولاً : الأساليب والمسالك الأربعة المتبعة في إثارة الأباطيل حول القرآن ..... ص ١٦

ثانياً : سحر القرآن وتأثيره ..... ص ٢٣

ثالثاً : الطعن في القرآن ، وأسباب الاختلاف في فهمه ، والحكمة من المتشابهة ..... ص ٢٨ .

### الفصل الأول : هل تغير النص القرآني في عصر الصحابة وما بعدهم؟

- تمهيد ..... ص ٣٩
- فهل نقل شيء في القرآن بطريق الآحاد؟ ..... ص ٤٠
- أولاً: إختلاف مصاحف الصحابة ..... ص ٤٣
- ثانياً: إختلاف الصدر الأول في قراءة بعض آيات القرآن الكريم ..... ص ٤٤
- ثالثاً : تعدد قراءات القرآن يدل على الإختلاف فيه وهو نوع من التحريف ..... ص ٤٦
- رابعاً : كيفية جمع القرآن وكتابته مستلزمة عادة لوقوع التغيير والتحريف فيه..... ص ٥٣
- خامساً: هل أسقط ابن مسعود المعوذتين من مصحفه ؟ ..... ص ٦٠
- سادساً : هل أسقط ابن مسعود الفاتحة من مصحفه ؟ ..... ص ٦٣
- سابعاً : هل أخطأ نسخ القرآن في كتابة بعض كلماته ؟ ..... ص ٦٤
- ثامناً: هل في القرآن زيادة أو سقط أو جمل لم تكتمل ؟ ..... ص ٦٧

### الفصل الثاني : ما يتعلق بالشبهات اللغوية والبيانية وأسلوب القرآن الكريم

- أولاً: أخطاء نحوية في القرآن !!!!!!! ..... ص ٧٢
- ( ٧ شبه أو قضايا )

- ثانياً : الأخطاء البيانية المزعومة ..... ص ٨٠
- (٦ شبه أو قضايا)

- ثالثاً : شبه وأوهام تتعلق بأسلوب القرآن والتناسق الداخلي للنص ..... ص ٨٦
- (٨ شبه أو قضايا)

### الفصل الثالث : هل القرآن مقتبس مما سبقه من كتب أم حاكم عليها!؟

- تمهيد ..... ص ١١٠
- أولاً : ماذا يعني قولهم إن محمداً مدعي النبوة مؤلفاً للقرآن ؟ ..... ص ١١٣
- ثانياً : القرآن والكتاب المقدس ..... ص ١١٥
- ثالثاً : مقارنة تفصيلية وتحليلية لأربعة نصوص متشابهة ..... ص ١٢٠
- رابعاً : القرآن والكتاب المقدس : حول نقاط الإختلاف في حقائق الإيمان والقصص والأحكام التشريعية فيهما ..... ص ١٣٣
- خامساً : هل تعلم النبي القرآن من بحيرا الراهب وورقة ابن نوفل ؟ ..... ص ١٣٨
- سادساً : هل القرآن منحول من شعر امرئ القيس ؟ ..... ص ١٣٩
- سابعاً : هل القرآن منحول من شعر ابن ابي الصلت ؟ ..... ص ١٤١
- ثامناً : تصحيح القرآن لأخطاء الكتاب المقدس ..... ص ١٤٣

(هامان صاحب فرعون ١٤٤ - استعمال الجمال زمن يعقوب ١٤٧ - ادعاء فرعون للألوهية ١٥١ - الملك لا فرعون ١٥٢ - عدد بني اسرائيل ١٥٤ - اسماعيل هو الذبيح ١٥٥ - ألوهية المسيح ١٥٧ - الأصول الوثنية للعقيدة النصرانية ١٥٨ - ابتداء الرهبانية ١٥٩ - يوسف النجار الشخصية الخرافية ١٦٠) .

**تاسعاً: السبق التاريخي للقرآن على الكتب السابقة .....ص ١٦١**

(نجاة حثة فرعون ١٦١ - وسائل التعذيب زمن فرعون ١٦٤ - صعود فرعون إلى السماء ١٦٥ - حفظ القمح في سنبله ١٦٥) .

**عاشراً: القرآن يصحح الأخطاء العلمية للكتاب المقدس .....ص ١٦٧**

(شكل الأرض بين الكتاب المقدس والقرآن ١٦٧ - أعمدة السماء ١٦٩ - الأرض الثانية ١٧٠ - الجبال ١٧٠ - السحب الصلبة ١٧١ - نشأة اللغات ١٧٢ - مراحل خلق الجنين ١٧٤ - في الخمر شفاء ١٧٦ - النوم بسبب التهيج النفسي ١٧٧) .

**الفصل الرابع : الشبهات والتهم التي رُميت بها آيات النص القرآني وردّها .**

**أولاً : إشكاليات وأوهام رُمي بها القرآن تتعلق في ذات الله وصفاته وأفعاله .....ص ١٧٨**

(نسبة صفات النقص إلى الله تعالى في القرآن ١٨٢ - هل يُضل الله عباده ١٨٦ - هل يأمر الله بالفحشاء ١٨٨ - هل يتحسّر الله ١٩٠ - هل الكبر صفة محمودة كي يصف بها القرآن الله سبحانه ١٩٠ - هل لا يعلم الله الأشياء إلا بعد حدوثها؟ ١٩١ - هل شك الله في القرآن في عدد قوم يونس ١٩٣؟ - هل من خالق غير الله "أحسن الخالقين" ١٩٥ - "وكان الله عليماً حكيماً" فهل كان وانتهى ١٩٦ - يؤكد القرآن أن الملائكة لا تعصي وإبليس منها وعصى ١٩٧ - الصمد عند زكريا بطرس ١٩٩ - كيف يجاسبنا بعد أن يغويننا؟ ٢٠١ - طريق الخلاص عندكم "وهؤلاء إلى النار ولا أبالي" ٢٠٤ - كيف نفهم "اتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة" و" ولا تزر وازرة وزر أخرى" ٢٠٨ - كيف يجوز الشرك باللسان، تعليم فاسد ٢١٢ - إكراه أو لا إكراه ٢١٤ - عندكم كل المخلوقات قانتة وطاعة لله لكننا نجد حالات عدم الطاعة ٢١٧)

**ثانياً : تهم وطعون وإشكالات في النبيين والمرسلين في القرآن .....ص ٢١٩**

**فساد أنبياء الكتاب المقدس .....ص ٢١٩**

(هل وقع آدم بالشرك ٢٢٢ - إن الله لا يغفر أن يشرك به لكننا نجد غفر لابراهيم وقد أشرك بعبادة النجوم كما أنه شك في ربه ٢٢٤ - هل شك يونس في قدرة الله ٢٢٧ - همّ يوسف عليه السلام ٢٢٨ - هامان وزير فرعون خطأ تاريخي ٢٢٩؟ - العجل الذهبي من صنع السامري ٢٣٢ - ابو ابراهيم آزر أم تارح ٢٣٥ - مريم العذراء بنت عمران؟ ٢٣٧ - انتباز مريم ٢٣٩ - مريم تلد في البرية وولدها يكلمها من تحتها ٢٤٠ - نوح لم يتبعه الأراذل كما قال القرآن ٢٤١ - فرعون ينجو من الغرق ٢٤٢ - لكل أمة رسول منها إليها؟ ٢٤٣ - خلط الأسماء ٢٤٤ - اسماعيل بين الانبياء ٢٤٥ - الكعبة مقام ابراهيم ٢٤٦ - هل الإنجيل كان موجود زمن موسى ٢٤٧ - الوادي طوى؟ ٢٤٨ - هل اسماعيل أب ليعقوب ٢٤٩؟ - النمرود زمن ابراهيم ٢٥٠ - الاسكندر هو ذو القرنين وهو وثني ٢٥١ - الطعن في قصة سليمان مع بلقيس والهدد ٢٥٢ - عيسى يتكلم في المهدي ٢٥٥)

**ثالثاً : الطعون والتوهّمات حول عيسى بن مريم والمسيحية في القرآن .....ص ٢٥٦**

(القرآن وألوهية المسيح ٢٥٦ - الضمير نحن في القرآن يشير للمسيح والتثليث ٢٦٠ - هل نسب القرآن للمسيح صفة الخالقية ٢٦٥ - هل امتدح القرآن النصرى ٢٧١ - اتباع المسيح موعودون بالظفر على أعدائهم الكافرين ٢٧٣ - سؤال أهل الكتاب فيما يشكل على النبي ٢٧٤ - التوثيق المزعوم لكتب أهل الكتاب في القرآن ٢٧٥ - هل الذكر الحفوظ هو كتب أهل الكتاب ٢٧٩ - كيف يمكن القول أن عيسى لم يمّت في الوقت الذي يؤكّد فيه القرآن وفاته ٢٧٩ - روح القدس في القرآن المؤيد للمسيح ٢٨٢ - لم تنزل مائدة من السماء ٢٨٤ - الآية ١٤٦ من سورة البقرة تؤكد عدم تحريف الإنجيل ٢٨٦ - ما معنى "حتى يقيموا التوراة والإنجيل" ٢٨٨ - معنى "فاسأل الذين يقرؤون الكتاب من قبلك" ٢٨٨ - القرآن ينكر صلب المسيح والإنجيل تثبته وهل الصلب أولاً ثم القتل أو القتل ثم الصلب ٢٩١) .

**رابعاً : الأباطيل والشبهات والطعون في شخص خاتم النبيين .....ص ٣٠٠**

(قصة الغرائق ٣٠٠ - سحر النبي ٣٠٥ - مشكلة الوحي و تهمة الصرع ٣٠٦ - دعوى خلو الكتب السابقة من البشارة برسول الاسلام ٣١١ - إن النبي إرهابي سفك للدماء ٣٢٢ - اهتمامه بالدنيا والغنائم ٣٣٤ - ولادة النبي محمد عادية ٢٣٦ - محاولة النبي محمد الانتحار ٣٣٧ - محمد أمي فكيف علم القرآن ٣٣٨ - محمد مجرم ما أحل الله ٣٣٩ - تحليل انكار الله ٣٣٩ - تحليل الحنت في القسم ٣٤٠ - تحليل الإغراء بالمال ٣٤١ - تحليل القتل ٣٤١ - تحليل النهب ٣٤٢ - تحليل الحلف ٣٤٣ - تحليل الانتقام ٣٤٣ - تحليل الشهوات ٣٤٣ - تعلم محمد من كاتب وحيه سورة المؤمنون ٣٤٥ - أخذ من اليهود مواضيع معينة وتعلم من ورقة وبخيرا ٣٤٦ - كاد محمد أن يفتن ٣٤٩ - قاتل محمد في الشهر الحرام ٣٥٠ - محمد مذنب كما في القرآن ٣٥٠ - لم يكن محمد رحمة للكافرين وأهدر دماء رجال من قريش ٣٥٢ - كيف لنبي الرحمة أن يهدر دماء ناس في فتح مكة ٣٥٥ - معنى "فإن كنت في شك مما أنزلنا إليك فاسأل الذين يقرؤون الكتاب من قبلك" ٣٥٦ - تعدد زوجات النبي "شهوائي" ٣٥٦ - مشكلة صافية بنت حبي ٣٦٤ - حول عصمة النبي ٣٦٦ - مات النبي محمد بالسم ٣٧٠ - محمد وصفه ربه بالضلال ٣٧١ - كيف سحر مع وصف النبي بالمسحور في مقام الدم من قبل المشركين من قومه ٣٧٣ - كيف يسحر مع أن الشياطين لا تسلط على عباد الله الصالحين وسحره دليل أنه من الغاوين ٣٧٤) .

### خامساً : أخطاء مزعومة في القرآن الكريم، واتهام القرآن بمعارضة الحقائق الدينية والتاريخية

#### والكونية والتجريبية وغيرها ..... ص ٣٧٦

(يُجرم إكراه العفيفات ويجيز لغير العفيفات ٣٧٦ - غير المسلمين نجس ٣٧٧ - الأرض مسطحة في القرآن ٣٧٨ - يعطي القرآن معلومات مختلفة في خلق الإنسان ٣٨١ - مدة خلق السموات والأرض في القرآن ثمانية وليست ستة أما العلم فيقول استغرق الخلق بلايين السنين ٣٨٣ - تغرب الشمس في عين حمئة ٣٨٥ - مرتم أخت هارون؟ ٣٨٨ - هل القلوب العاقلة في الصدور ٣٨٨ - هل النجوم رجوم للشياطين ٣٩٠ - القرآن يشجع على فعل المعاصي ٣٩١ - الجنة والخمر المحرم ٣٩٢ - هل أخطأ القرآن في ذكر السامري في عهد موسى ٣٩٣ - هل أخطأ القرآن في ذكر هامان المصري ٣٩٤ - هل يؤمن المسيح برسالة السيد المسيح ٣٩٦ - هل الجبال أوتاد وتحفظ توازن الأرض ٣٩٧ - القرآن يتناقض مع العلم ٣٩٨ - كيف يكون العلم كفرا ٣٩٩ - ري مصر بالغيث ٣٩٩ - الرعد ملك من الملائكة ٤٠٠ - الوادي طوي؟ ٤٠٠ - هل الزيتون يخرج من طور سيناء ٤٠١ - قرر القرآن أن الجبل قاف يحيط بالأرض ٤٠١ - كيف يذكر القرآن أن الله أمر الملائكة بالسجود لآدم والسجود عبادة ٤٠٢ - الأرض ثابتة لا تتحرك ٤٠٢ - الكواكب في حجم الحجارة ٤٠٣ - في القرآن الفضاء سطح أملس قابل للسقوط وكذلك الأرض ٤٠٣ - العلم يخالف ما ذكر بالقرآن عن فترة خلق العالم ٤٠٦ - الإنسان لم يخلق دفعة واحدة منفصلا عن خلق الحيوان بل للتطور طويل ٤٠٧ - غروب الشمس في عين حمئة ٤٠٨) .

#### سادساً : زعمهم تناقض بعض الآيات . "آيات متناقضة كما فهموا " ..... ص ٤٠٩

(هل أقسم بمكة أم لم يقسم ٤٠٩ - كم عدد الملائكة الذين نزلوا ببدر ٤١١ - أيهما خلق أولا السموات أم الأرض ٤١٢ - أحوال الناس يوم القيامة ٤١٥ - هل يتساءلون أم لا يتساءلون ٤١٥ - هل يسأل الله عن الذنوب أم لا يسأل ٤١٧ - ألف سنة أم خمسون ألف ٤١٨ - هل تبدل كلمات الله أم لا ٤١٩ - يونس/١٩ والنحل/١٠١ تعارض ، ٤٢١ - البقرة/١٠٦ والكهف/١٢٧ متعارضتان ، ٤٢١ - كيف يجتمع الحفظ مع الحو ٤٢٢ - ألف سنة تناقض ٥٠ الف سنة ٤٢٢ - لا أقسم ثم أقسم ٤٢٣ - الزمر/٤٤ تناقض السجدة/٤ ويونس/٣ ٤٢٣ - الواقعة/١٣ تناقض الواقعة/٣٩ ، ٤٢٤ - الحجر/٨٥ تناقض التوبة/٧٣ ، ٤٢٤ - من الذي يُضل الشيطان أم الكبراء ٤٢٥ - الجزية مثل الريا ٤٢٥ - الانفال/٦٥ تناقض الاحزاب/٤٨ ، ٤٢٥ - آل عمران/٢٠ تناقض النساء/٨٩ ، ٤٢٥ - الانعام/١٠٨ تناقض محمد/٤ ، ٤٢٧ - النحل/١٢٧ تناقض الشورى/٣٩ ، ٤٢٧ - محمد هو المتكلم في آيات عديدة كما في الفاتحة ٤٢٨ - يونس/٣ تناقض فصلت/٩ في خلق السموات والارض ٤٢٩ - الأنبياء/٧٦ تناقض هود في نجات أهله ٤٣١ - أخطاء نحوية في بعض الجمل غير مكتملة ولا تفهم دون ادخال كلمات ٤٣٢ - أقوا متضاربة في ادعاء محمد لنزول القرآن ٤٣٤ - آراء متضاربة في خلق الإنسان ٤٣٥ - مرة يقول الجنة للجميع ومرة يقول للمسلمين فقط ٤٣٧ - مرة نهي عن الفحشاء ومرة أمر بها ٤٣٨ - مرة نهي عن النفاق ومرة أقره ٤٣٩ - مرة حرم الخمر ومرة أحله ٤٣٩ - مرة يقول نجا فرعون ومرة غرق ٤٤٠ - مرة يقول الأرض خلقت قبل السماء وأخرى العكس ٤٤١ - طلب القرآن من محمد العودة لأهل الكتاب إن كان مرتابا شاكيا ٤٤١) .

#### الخاتمة والتوصيات ..... ص ٤٤٣

## مقدمة الكتاب

القرآن كتاب الله الأخير، وهو مصدق ومكمل لما أوحاه الله في كتب الأنبياء السابقين، كما أنه مهيمنا عليها "مصحح لأخطائها" قال تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ [المائدة: ٤٨] وحتى تبقى كلمة الله شاهدة على خلقه إلى يوم القيامة تكفل بحفظ كتابه الأخير ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾ [الحجر: ٩] في حين أن الله وُكِّلَ حفظ الكتب السابقة إلى أصحابها ﴿بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء﴾ [المائدة: ٤٤] ، فحرفوها وأضاعوا منها ما أضاعوا: [المائدة: ١٣] ، بل وزادوا عليها ما لم يوح به الله ولم يقله: ﴿يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا﴾ [البقرة: ٧٩].

أقبل المسلمون في كل عصر وحين على مائدة القرآن ينهلون منها بحفظه وتدبره وتعلمه، فخصوه بعناية ومدارسة لم تكن لكتاب قبله، حفظه الملايين من أطفالهم في كل عصر؛ على اختلاف ألسنتهم ولهجاتهم، يتلونهم آناء الليل وأطراف النهار، يبتغون فيه موعود الله ورسوله ﷺ لأهل القرآن: «يقال لصاحب القرآن: اقرأ، وارق، ورتل كما كنت ترتل في الدنيا، فإن منزلتك عند آخر آية تقرؤها»<sup>(١)</sup> فعمد علماء الإسلام إلى ترسيخ علومه وفنونه وتفسيره وبيان أحكامه وهديه، فألفت في خدمة القرآن آلاف الكتب التي تزخر بها المكتبة الإسلامية.<sup>(٢)</sup>

تيقن أعداء الإسلام أن مصدر عزة هذا الدين وأهله ، وسرّ تجدده في نفوس المسلمين "القرآن العظيم" ، فأغلقوا دونه القلوب ، وصدوا عن سبيله صدا ، واعترضوه بالألسنة رداً، وأبرقوا وأرعدوا حتى سال بهم وبصاحبهم السيل وأثاروا الكثير من الأباطيل والافتراءات ضد القرآن الكريم وعصمته ، ﴿وقال الذين كفروا لا نسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون﴾ [فصلت/٢٦] ، بيد أن القرآن الكريم ظل هو المعجزة العظمى ، والحجة البالغة أبد الدهر لرسول البشرية محمد ﷺ أحكمه الله تبارك وتعالى فأتقن إحكامه ، وفصله فأحسن تفصيله: ﴿كتاب احكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير﴾ [هود: ١] فلا يتطرق لساحته نقد ولا إبطال ولا اختلاف ﴿لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه﴾ [فصلت: ٤٢] ، فقرئش وقد جاءهم نبينا ﷺ بالقرآن وتهداهم به وهو من قبيل صنعتهم التي برعوا بها كانوا حريصين أشد الحرص على الطعن به والغمز فيه إبطالا لرسالة نبيه وتشويها لدينه فلو وجدوا تناقضا بين آياته واختلافا لتعلقوا به ، وأشاعوه في الناس قصدا إلى الظهور عليه ﷺ وإبطال أمره ، ولكنهم لم يفعلوا فدل ذلك على سلامته من التناقض وبراءته من الاختلاف في ذاته .

وما أدركه أعداء القرآن في القديم أدركه الأعداء الجدد، يقول حاخام إسرائيل الأكبر مردخاي الياهو: "هذا الكتاب الذي يسمونه القرآن هو عدونا الأكبر والأوحد، هذا العدو لا تستطيع وسائلنا العسكرية مواجهته، كيف يمكن تحقيق السلام في وقت يقدر العرب والمسلمون فيه كتابا يتحدث عنا بكل هذه

(١) - (الترمذي ح (٢٩١٤)، وأحمد ح (٦٧٦٠)). حكم الألباني حسن صحيح وأحمد (٤٠٤/١١). قال صحيح لغيره و وابن حبان (٧٦٦)

(٢) - منقذ بن محمود السقار ، تنزيه القرآن الكريم عن دعاوى المبطلين ، ص : ٨ ، الناشر: رابطة العالم الإسلامي ، ط ١ بدون تاريخ .

السلبية؟! " (١). ويقول الحاكم الفرنسي للجزائر إبان الاستعمار الفرنسي: "إننا لن نتصر على الجزائريين ما داموا يقرؤون القرآن، ويتكلمون العربية" (٢). ويقول وليم جيفور بالكراف: "متى توارى القرآن ومدينة مكة عن بلاد العرب، يمكننا حينئذ أن نرى العربي يتدرج في طريق الحضارة الغربية بعيدا عن محمد وكتابه" (٣) ومقصود بالكراف بالحضارة الغربية: ما نشاهده في الغرب اليوم من تحلل أخلاقي وتفكك اجتماعي ومظاهر سلبية استعصت على الإحصاء والإحاطة، وما أعظمه من كتاب ذلك الذي يتصدى لهكذا حضارة! ويقول اللورد كرومر المندوب السامي البريطاني في مصر: "جئت لأهجو ثلاثا: القرآن والكعبة والأزهر" (٤). وأما المبشر جون تاكلي فيقول: "يجب أن نستخدم القرآن - وهو أمضى سلاح - ضد الإسلام نفسه، بأن نعلم هؤلاء الناس (يعني المسلمين) أن الصحيح في القرآن ليس جديدا، وأن الجديد ليس صحيحا" (٥). وهكذا توجهت همم القوم الشريرة إلى إبعاد الأمة المسلمة عن القرآن عبر صنوف من الافتراءات والأكاذيب التي بلغت من كثرتها الألف من الكتب كما نقل ادوارد سعيد في مقال له في مجلة "التام" في إبريل ١٩٧٩م بقوله: "إن أكثر من ستين ألفا من الكتب ألقت ضد الإسلام بواسطة المسيحيين الغربيين" (٦)، فكم تراه ألف بواسطة الشرقيين!!

يلاحظ الباحث والمتتبع للشبهات المثارة أنها تكرر ممجوجا - في الغالب - لأباطيل قديمة أجاب على معظمها السابقون مثل: الجاحظ (ت ٢٥٥) في "الرد على ابن الراوندي"، وابن قتيبة (ت ٢٧٦) في "مشكل القرآن"، والإمام الباقلاني (ت ٤٠٣هـ) في كتابيه "التمهيد، اعجاز القرآن"، والقاضي عبد الجبار (ت ٤١٥) في "تنزيه القرآن عن المطاعن"، والفراء (ت ٢٠٧) في معاني القرآن، والزجاج (ت ٣١١) في "معاني القرآن وعرابه"، والعكبري (ت ٦١٨) في "التبيان في اعراب القرآن".

وأكثر المطاعن التي توجه للقرآن اليوم مأخوذة من هذه الكتب ونحوها، غاية ما في الأمر أنهم أخذوا الشبهة وأغفلوا الرد عنها مع المبالغة في التنوع في عرض الشبهة حتى تتعد الشبهة الواحدة في عشرات الصياغات، فبهياً لك أنك أمام عشرات الشبهات ولست أمام شبهة واحدة. مع كيل التهم للقرآن وللنبي ﷺ والإعراض عن التهم خير دواء لها والتهم غير الشبهات.

إن الحرب على القرآن الكريم قديمة حديثة، بدأت منذ البواكير الأولى لنزول القرآن الكريم، واندلعت نارها مع أول مجابهة مع الوثنية والشرك، وسجل القرآن الكريم الجولة الأولى من هذه الحرب على القرآن الكريم وقت نزوله. واستمرت المعركة تشتد حيناً وتهدأ حيناً آخر، ومن الهجمات الشرسة التي تعرض لها القرآن الكريم زمن الحروب الصليبية تأليف بعض المستشرقين كتاباً بعنوان: دحض القرآن الكريم، كما قاموا بترجمة ألفاظ القرآن الكريم (وليس معانيه) إلى اللغة اللاتينية كمدخل إلى التحريف والتشويه. وماتت كل هذه الجهود وبقي القرآن الكريم مصوناً محفوظاً عن كل سوء.

(١) - مجلة البيان، العدد: ١٥٩، بتاريخ ذو القعدة ١٤٢١هـ، وجميلة البلاد (السعودية): ٣٠ رجب ١٤٢١هـ.

(٢) - قادة الغرب يقولون: دمروا الإسلام أيدوا أهله، جلال العالم، ص (٣١). مكتبة الصحابة حدة. مكتبة التابعين، القاهرة. ١٩٩٤م.

(٣) - محمد جمعة عبد الله، رد افتراءات المبشرين على آيات القرآن الكريم، ص (٢٧٨). ط١، ١٤٠٥هـ.

(٤) - أنور الجندي، الخنجر المسموم الذي طعن به المسلمون، ص (٢٩)، دار الاعتصام، سلسلة دائرة الضوء.

(٥) - محمد جمعة، رد افتراءات المبشرين على آيات القرآن الكريم ص (٢٦٣). مرجع سابق. مجلة مجمع الفقه الإسلامي (ص: ٣٢٩)، الدورة السابعة، العدد ٧، الجزء الرابع لعام ١٩٩٢، واجب المسلمين في نشر الإسلام للأستاذ زيد الفيض (ص: ١٩).

(٦) - خمسون ألف خطأ في الكتاب المقدس، أحمد ديدات ص (٢٠)، عن تنزيه القرآن للسقار ص ٨، مرجع سابق

والهجمة المعاصرة على القرآن الكريم أشدُّ ضراوةً من كلِّ ما سبق؛ اتخذت في سبيل تحقيق غرضها وسائل متعددة ما بين كتب مؤلفة وقنوات فضائية متخصصة بالطن، ومواقع على شبكة الإنترنت، وندوات ومؤتمرات يصرح المنصرون برغبتهم في إقصاء الإسلام؛ فالمنصر حسب يود أن يمحو الإسلام من العالم، ويصرح غيره بأن الغاية من عملهم هي: ((القضاء على الأديان غير النصرانية)) (١)، بل قامت أمريكا بتأليف قرآن مزعوم تحت عنوان "الفرقان الحق"، والمدهش في كل ما ذكر أن القرآن الكريم هو المنتصر فكريا ، لأن البون شاسع بين كلام الله الذي جعله الله هداية ورحمة وطمأنينة لمن لاذ به وآمن به ، وبين تحريف البشر وزيفهم ، وسيظل الصراع دائر بين الخير والشر بين الحق والباطل وتلك سنة الله في خلقه (٢) .

ولم تنجح أمريكا في الترويج للقرآن المزيف الذي لفقته، وسقط هذا الزيف وبقى القرآن الكريم ولجأوا إلى فكرة بديلة مأكرة . بدمج وخلط نصوص من الكتب الثلاثة: التوراة والإنجيل والقرآن؛ تحت عنوان: مثلث التوحيد . وسقط أيضًا هذا الزيف . . وبقى القرآن الكريم ، ثم لجأوا إلى المرأة .. لتفسر القرآن تفسيراً يتفق مع مشروعهم ضد القرآن . « التفسير النسوي للقرآن الكريم » . يحاولون أن يفرضوا افتراءاتهم بالقانون وأن يجعلوها «ثقافة مجتمعة وسياسة أمة» لكن الجماهير المسلمة ترفض كل هذه المشاريع التخريبية للمجتمع المسلم.

وما أكثر الكتبه المأجورين وعدد المواقع (الغربية والعربية) لا من أجل مهاجمة وشيطنة الإسلام والمسلمين فحسب، ولكن خاصة من أجل إدانة القرآن الكريم ومحاولة تفنيده. فالخلية الفاتيكانية التي لا تكل ولا تهدأ من تقديم كتبه جدد لمواصلة هذه الحرب، القائمة على عدم أمانة لا مثيل لها، من أجل استبعاد الإسلام والمسلمين ومحاولة المساس بمصداقية القرآن الكريم وتحميله كافة مآخذ ونواقص الكتاب المقدس، تعمل بلا هوادة.. والمعادلة جد ساخرة بما أننا حيال كتاب مقدس تم تحريفه، ملئ بالمفاسد والتبديل والتحريف والحذف إلى درجة اختفت معها النصوص الأصلية تحت ذلك الزخم، ومن ناحية أخرى نجد نصاً منزلاً، لم يخضع لأي عملية من عمليات التحريف: نص متفرد، لا يمكن محاكاته، مبهر ومعجز في آن واحد. فقد تم توثيق القرآن الكريم بدقة متناهية تفوق التصور، بحيث من المحال أن يناله أي تلاعب. إذ أننا نعلم أن عدد السور ١١٤؛ والآيات ٦٢٣٦؛ وكلماته ٧٧٤٣٩. وإن كان العدد يختلف وفقاً للقراءات؛ وعدد الجذور ١٧٩٠. (٣)

لذلك لم يقل مورييس بوكاي من فراغ، في مقدمة كتابه "الكتاب المقدس والقرآن والعلم": "إن القرآن يحتوي على كلام الله دون أي تدخل من البشر. ووجود نسخ من القرن الأول للإسلام يثبت مصداقية النص الحالي". وفي حديثه عن القرآن والعلم الحديث يوضح خمسة نقاط أساسية يحيطنا بها علما ذلك النص الإلهي فيما يتعلق بالخلقة: "وجود ستة مراحل للخلق إجمالاً؛ تداخل مراحل خلق السماوات وخلق الأرض؛ خلق الكون ابتداءً من كتلة مبدئية واحدة تكون كتلة ستنقسم بعد ذلك؛ تعدد السماوات والأرض؛ وجود خلقة وسط بين السماوات والأرض" (٤). ثم يؤكد في الخاتمة "إن كافة معطيات الكتاب المقدس لا يمكنها الثبات

(١) - د. فروخ. الخالدي، التبشير والاستعمار في البلاد الإسلامية، ص ٣٦، ٤٥، المكتبة العصرية. بيروت ١٩٨٦م.

(٢) - (موسوعة بيان الإسلام: الرد على الافتراءات والشبهات (ج ١ ص ٤٥) نخبة من كبار العلماء. دار فحضة مصر للنشر، ط١/يناير ٢٠١٢

(٣) - د. أ. د. نيب عبد العزيز مقال باسم منشور على صفحتها وعلى صفحة صيد الفوائد بإسم: "القرآن: إعجاز علمي". وراجع د. محمد عمارة، استراتيجية التنصير في العالم الإسلامي، ص ٢٨، مركز دراسات العالم الإسلامي. مالطة، ط١، ١٩٩٢م. و د. فروخ. الخالدي، التبشير والاستعمار في البلاد الإسلامية، ص ٣٩ المكتبة العصرية. بيروت ١٩٨٦م.

(٤) - د. مورييس بوكاي (دراسة القرآن المقدسة والقرآن والعلم الحديث)، نقلا عن مقال الدكتور نيب عبد العزيز .

أمام العلم، بينما كافة ما ورد بالقرآن من معطيات مختلفة قد أثبتتها العلم. وبالفعل، إن القرآن الكريم لا يتضمن أي تناقض بالنسبة للعلم، ولا يترك مكانا للأفكار الأسطورية الخاطئة أيام فترة التنزيل، ويتضمن معطيات لم يكتشفها العلم إلا في العصور الحديثة. وما من آية من آيات القرآن التي تصف ظواهر الطبيعة تناقض ما تم اكتشافه فعلا في العصر الحديث وتعلمناه بكل يقين". (١)

### المعارك الخاسرة ضد القرآن ، لمن كانت العاقبة في كل جولة؟!

إن الحرب الإعلامية المستعرة ضد القرآن دفعت الشعوب الغربية إلى قراءة القرآن لترى ما وعدهم به الإعلام الغربي من فضائح وسوءات ونقائص وعنف وإرهاب؛ لكن رباية هذا الكتاب المحمّل بالهداية الربانية مسّت قلب كل قارئ للقرآن ومطلع عليه، والمدهش حقًا أنه على الرغم من هزائم المسلمين المتلاحقة إلا أن القرآن الكريم هو الذي انتصر فكريًا؛ لأن البؤن شاسع بين كلام الله الذي جعله الله هداية ورحمة لمن لاذ وآمن ، وبين تحريف البشر وزيفهم، وهكذا كانت ولا زالت العاقبة والنصر للقرآن في كل المعارك التي خاضها القرآن . والسؤال لماذا يخرج القرآن منتصرًا في كل المعارك التي قامت ضده؟

الجواب طويل الذيل : فإذا تجاوزنا سحره الروحي وتأثيره النفسي وبيانه الساطع ونقاشه العقلي والمنطقي فالقرآن الكريم يملك ما لا تملكه الكتب الأخرى. ويكفى أن نتدبر التالي :

### الانفرادات الفطرية التي انفرد بها القرآن وعدالة أحكامه وقضاياه. وأهمها :

١ - القرآن وحده هو الذى برأ المرأة من خطيئة إخراج آدم من الجنة. { فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَى } [ طه : ١٢٠ ] ، ففي القرآن الشيطان هو سبب الخطيئة هو الذى وسوس لآدم وأغراه بالخلود وأغواه بالملك. فى الكتاب المقدس المرأة سبب الخطيئة الأولى : ( فَرَأَتِ الْمَرْأَةُ أَنَّ الشَّجَرَةَ جَيِّدَةٌ لِلْأَكْلِ ، وَأَنَّهَا بَحِيحَةٌ لِلْعُيُونِ ، وَأَنَّ الشَّجَرَةَ شَهِيَّةٌ لِلنَّظَرِ . فَأَخَذَتْ مِنْ ثَمَرِهَا وَأَكَلَتْ ) [ التكوين ٣ : ١-١٦ ] المرأة فى الكتاب المقدس شر : ( وَإِذَا بِامْرَأَةٍ جَالِسَةٍ فِي دَاخِلِ الْمِكْيَالِ . فَقَالَ لِي « هَلِ هِيَ رَمُزُ الشَّرِّ » ، [ زكريا ٥ / ٥ - ٨ ] ، ( فَوَجَدْتُ أَنَّ الْمَرْأَةَ الَّتِي قَلْبُهَا أَشْرَاكٌ وَشِبَاكٌ ، وَيَدَاهَا قُيُودٌ ، هِيَ أَمْرٌ مِنَ الْمَوْتِ ، وَمَنْ يُرْضِي اللَّهَ يَهْرُبُ مِنْهَا ، أَمَّا الْخَاطِئُ فَيَقَعُ فِي أَشْرَاكِهَا ) . [ الجامعة ٧ / ٢٥ : ٢٨ ] .

أضف أن العلاقة التي تجمع بين الرجل والمرأة في القرآن الكريم تقوم العلاقة على المودة والرحمة قال تعالى : { وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً } [ الروم : ٢١ ] ، أما الكتاب المقدس يأمر المرأة بالخضوع للرجل : ( أَيْتُهَا الرُّوْحَاتُ ، اخْضَعْنَ لِأَزْوَاجِكُنَّ ، كَمَا لِلرَّبِّ . فَإِنَّ الرُّوْحَ هُوَ رَأْسُ الرُّوْحَةِ كَمَا أَنَّ الْمَسِيحَ أَيْضًا هُوَ رَأْسُ الْكَنِيسَةِ ( جَسَدِهِ ) . وَهُوَ نَفْسُهُ مُخْلِصُ الْجَسَدِ . فَكَمَا أَنَّ الْكَنِيسَةَ قَدْ أُخْضِعَتْ لِلْمَسِيحِ ، فَكَذَلِكَ الرُّوْحَاتُ أَيْضًا لِأَزْوَاجِهِنَّ ، فِي كُلِّ شَيْءٍ ) . [ الرسالة إلى مؤمني أفسس ٥ : ٢٢-٣٣ ] .

٢ - ومن انفرادات القرآن: أن القرآن الكريم هو الذى وصف الإله بما يليق به من كمالات . فالله عظيم القدرة، على كل شيء قدير، ليس كمثلته شيء ، واحد أحد، فرد صمد، لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً

أحد وهو الحليم اللطيف الخبير .. الكبير المتعالي وهو الجبار المتكبر .. قال الله تعالى: {هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ (٢٢) هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيَّمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٢٣) هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٢٤) } [الحشر: ٢٢ - ٢٤] . في الكتاب المقدس إساءات بالغة إلى الله، من ذلك: الشيطان يسيطر على الرب الإله أربعين يوماً!! ويوم يتركه ، يتركه إلى حين؟ [لوقا ٤ : ١-١٣] . كما أن الرب يندم في الكتاب المقدس: ( فَمَلَأَ قَلْبَهُ الْأَسْفَ وَالْحُزْنَ لِأَنَّهُ خَلَقَ الْإِنْسَانَ . وَقَالَ الرَّبُّ: " أَتَحُو الْإِنْسَانَ الَّذِي خَلَقْتُهُ عَنْ وَجْهِ الْأَرْضِ مَعَ سَائِرِ النَّاسِ وَالْحَيَوَانَاتِ وَالزَّوْاجِحِ وَطُيُورِ السَّمَاءِ، لِأَنِّي حَزَنْتُ أُنِّي خَلَقْتُهُ) . [التكوين ٦ : ٦ - ٧] . الرب شاة سيقت للذبح في الكتاب المقدس: [أعمال الرسل ٨ : ٣٢] وأحيانا غير ذلك كمثل : (هَذَا أَكُونُ لَكُمْ كَأَسَدٍ، وَأَكْمُنُ كَنَمِرٍ لَكُمْ عَلَى الطَّرِيقِ . وَأَنْقِضُ عَلَيْهِمْ كَدْبَتَهُ تَاكِيلًا، وَأَمْرُقُ قُلُوبَهُمْ أَشْلَاءَ وَأَفْتَرِسُهُمْ هُنَاكَ كَلْبُوعَةً، وَوَحْشٍ الْبَرِّ يُفْطَعُهُمْ إِرْبًا إِرْبًا " [هوشع ١٣ : ٤ - ٨] . كما أنه يجب المحارق ورائحة اللحم المشوي جدا ولا يرضى عنهم حتى يشمها .

٣- من أهم انفرادات القرآن الكريم أنه الكتاب الوحيد الذي أعطى العصمة للأنبياء ووصفهم بأكمال الأخلاق والصفات لأنهم أسوة وقدوة. قال تعالى: - {قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ اللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا يَشْرِكُونَ} [النمل: ٥٩] . - {وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ} [ص: ٤٧] . توضح هاتان الآيتان أن عصمة الأنبياء عليهم السلام إرادة إلهية يتمتع معها وقوعهم في المعصية . في الكتاب المقدس إساءات بالغة للأنبياء، من ذلك: نبي الله لوط سكر وزنى بانتيه: [تكوين ١٩ : ٣٠ / ٣٨] . و نبي الله رأوبين زنى بزوجة أبيه بلهة. [تكوين ٣٥ : ٢٢] . و يعبدون غير الله: نبي الله هارون عبد العجل ودعا لعبادته: [الخروج: ٣٢ / ١-٦] . نبي الله سليمان يعبد آلهة أخرى غير الرب: ملوك الأول [١١ : ٩-١٠] ، الصراع مع الرب: نبي الله يعقوب صارع الرب وهزمه: تكوين [٣٢ : ٢٢-٣٠] . الانتحار: نبي الله شاول انتحر: [صموئيل الثاني ١ : ٤ - ١١] . القتل: نبي الله أبشالوم قتل أخيه أمنون: [صموئيل الثاني ١٣ : ١-٢٩] .

ولنا أن نتساءل بعد نسبة الكتاب المقدس للأنبياء هذه السوءات: الزنا، القتل، الانتحار، الصراع مع الرب، وعبادة غير الله. و كلها صفات شنيعة لا تليق برجل صالح عادي فأين الأسوة والقدوة للأنبياء؟! وما الحكمة من إرسالهم إلى البشر إن كانوا يمارسون الخطايا؟! وكيف يحاسب الرب عباده إذا كان صفوة خلقه عصاة؟! عصابة!؟

٤- من انفرادات القرآن الكريم أنه دين التسامح، دين أنصف الآخر المغاير فكريا له وجعله جزءاً من نسيجه، فالبر والمودة عنون تعامله مع الآخر : {إِنَّمَا يُنَهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُواكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ} [المتحنة: ٨] . أحل القرآن ذبائح أهل الكتاب، وأجاز الزواج من نسائهم ، ومن فرائضه العدل مع الخصوم وإيجاب الحكم بالعدل مع الأعداء والمخاصمين : {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ} [المائدة: ٨] .

أما القتال في الإسلام والسماح به فهو لمن ظلم دفاعاً عن العقيدة والنفس والمال. {أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ (٣٩) } [الحج: ٣٩] ومشروط بعدم العدوان: {وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ (١٩٠)} [البقرة: ١٩٠] وإن رغب الخصوم في الصلح للموافقة السريعة: {وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٦١) } [الأنفال: ٦١]. والمدهش والغريب أن أكذوبة انتشار الإسلام بالسيف فإننا لا نجد كلمة السيف في القرآن أبداً ولا مرة واحدة في حين . أن المدهش حقاً . أن كلمة السيف ورد في الكتاب المقدس (عدد نتائج البحث ١٦٩٧ حسب موقع الأنبا تكلا هيمانوت) كما أن لفظ القتل ومشتقاته في الكتاب المقدس (٢٠٨٤ حسب نفس الموقع) مرة في مقابل [٩٨] مرة في القرآن. وفي العدوان على الآخر اسمع معي إلى هذا النص من سفر التثنية: (وَحِينَ تَتَقَدَّمُونَ لِمُحَارَبَةِ مَدِينَةٍ فَادْعُوهَا لِلصُّلْحِ أَوَّلًا. فَإِنْ أَجَابَتْكُمْ إِلَى الصُّلْحِ وَاسْتَسَلَّمَتْ لَكُمْ، فَكُلُّ الشَّعْبِ السَّاكِنِ فِيهَا يُصْبِحُ عَبِيدًا لَكُمْ. وَإِنْ أَبَتِ الصُّلْحَ وَحَارَبَتْكُمْ فَحَارِبُوهَا فَإِذَا أَسْقَطَهَا الرَّبُّ إِلَيْكُمْ فِي أَيْدِيكُمْ، فَاقْتُلُوا جَمِيعَ ذُكُورِهَا بِحَدِّ السَّيْفِ. وَأَمَّا النِّسَاءُ وَالْأَطْفَالُ وَالبَهَائِمُ، وَكُلُّ مَا فِي الْمَدِينَةِ مِنْ أَسْلَابٍ، فَاعْمُوهَا لِأَنفُسِكُمْ، وَتَمَتَّعُوا بِغَنَائِمِ أَعْدَائِكُمْ الَّتِي لَيْسَتْ مِنْ مُدُنِ الأَمَمِ القَاطِنَةِ هُنَا. أَمَّا مُدُنُ الشُّعُوبِ الَّتِي يَهْتُمُّهَا الرَّبُّ إِلَيْكُمْ لَكُمْ مِيرَاثًا فَلَا تَسْتَبِقُوا فِيهَا نَسَمَةً حَيَّةً، بَلْ دَمَرُوهَا عَنْ بَكْرَةِ أَبِيهَا، كَمُدُنِ الحِثِّيِّينَ وَالأَمُورِيِّينَ وَالكَنْعَانِيِّينَ وَالفِرْزِيِّينَ وَالحِوِّيِّينَ وَاليَبُوسِيِّينَ كَمَا أَمَرَكُمُ الرَّبُّ إِلَيْكُمْ، لِكَيْ لَا يَعْلَمُوكُمْ رَجَاسَاتِهِمُ الَّتِي مَارَسُوهَا فِي عِبَادَةِ إِلَهَتِهِمْ، فَتَغْوُوا وَرَاءَهُمْ وَتُحْطِطُوا إِلَى الرَّبِّ إِلَيْكُمْ). [سفر التثنية: ٢٠ / ١٠-١٨].

٥- من انفرادات القرآن وضوح العقيدة وصفافؤها وفطريتها فلا لبس فيها ولا خفاء وأسرار: قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (١) اللَّهُ الصَّمَدُ (٢) لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ (٣) وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ (٤) . فالإله واحد أحد في مقابل أن الإله في الكتاب المقدس ثلاثة في واحد ... وأسئلة يحار العقل في إيجاد إجابة مقنعة لها بشأن عقيدة الصلب : من الذي صلب الإله؟! لا بد أنه أقوى من الإله. ومن الذي حكم العالم وأدار شئونه ساعة أن كان الإله مصلوباً؟! ومن الذي أحيا الإله بعد موته؟! ... وألا يستحق أن يكون هو الإله لأنه هو الذي أحيا؟! وكذلك أسلوب معالجة الخطيئة: فالقرآن جعل الاستغفار والتوبة سبباً لحو الخطايا وتكفير الذنوب وهو أمر بين العبد وربه. قال تعالى: { وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا (١١٠) } [النساء: ١١٠] والمذنب هو الذي يستغفر، والعقوبة لمن لم يتب يستحقها المذنب نفسه. أما في الكتاب المقدس فإن معالجة الخطيئة أمر صادم للعقل فصلب المسيح يعلل بأنه فداء للبشرية عن خطيئة آدم ، آدم أخطأ فعوقب عيسى عليه السلام؟ هل يُقبل عقلاً أن يعاقب غير المخطئ عند البشر في القانون ، المسألة لا تحتاج إلى هذا التعسف في التفسير. إن مسألة الخطيئة أوجد لها الإسلام الحل المثالي الاستغفار والتوبة

٦- انفراد القرآن باللغة الراقية والأخلاق الرفيعة: القرآن يدعو لقيم العدالة والخلق الحسن والأمانة ولا تجد في القرآن كلمات خادشة للحياء . . حتى في أحص الأمور التي تعبر عن اللقاء الخاص بين الرجل وزوجته . فيعبر عنه بالنكاح . . وبالملاسة أما في الكتاب المقدس نص نشيد الإنشاد كلام جارح ومثير جنسياً: وتساءل نفسك هل يمكن أن يكون هذا الكلام الجارح من كلام الرب؟! هل يمكن أن يكتب الرب كتابات مثيرة جنسياً؟! : ( ١ دَوَائِرُ فَخَذَيْكَ مِثْلُ الحُلِيِّ صَنَعَةَ يَدَيَّ صَنَاعٍ . ٢ سُرْتُكَ كَأَسْ مُدَوَّرَةٌ لَا

يُعَوِّزُهَا شَرَابٌ مَمْرُجٌ . بَطْنُكَ صُبْرُهُ حِنْطَةٌ مُسَيِّجَةٌ بِالسُّوسَنِ . ٣ تَدْيَاكَ كَحِشْفَتَيْنِ تَوَامِي ظَبْيَةٍ . ٤ ٦ مَا أَجْمَلُكَ وَمَا أَخْلَاكَ أَيُّهَا الْحَبِيبَةُ بِاللَّدَاتِ ! ٧ فَاثْمُكَ هَذِهِ شَيْبَةٌ بِالنَّخْلَةِ وَتَدْيَاكَ بِالْعَنَاقِيدِ . ٨ قُلْتُ وَتَكُونُ تَدْيَاكَ كَعَنَاقِيدِ الْكَرْمِ وَرَائِحَةُ أَنْفِكَ كَالثَّقَاحِ ( . نشيد الإنشاد ٧ : ٨-١ ، ) ، [ ١ لَيْتَكَ كَأَخٍ لِي الرَّاضِعِ تَدْيَيْ ِ أُمِّي فَأَجِدَكَ فِي الْحَارِجِ وَأَقْبَلَكَ وَلَا يُخْزُونِي . ٢ وَأَقْوَدُكَ وَأَدْخُلُ بِكَ بَيْتَ أُمِّي وَهِيَ تُعَلِّمُنِي فَأَسْقِيكَ مِنْ الْحَمْرِ الْمَمْرُوجَةِ مِنْ سُلَافِ رُمَانِي . ( . نشيد الإنشاد ٨ : ١-٤ ] .

٧- من انفرادات القرآن الكريم أنه الكتاب الوحيد الذي حُفِظَ حِفْظًا أَلِيًّا مِنَ التَّحْرِيفِ أَوْ أَنْ تَعْبَثَ بِهِ يَدُ الْبَشَرِ . قال تعالى : - { إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ (٩) } [ الحجر : ٩ ] . { وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَى مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٣٧) } [ يونس : ٣٧ ] . وحتى القراءات القرآنية التي يطنطنون حولها بالشبهات هي قرآن من عند الله بَلَّغَهُ النَّبِيُّ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فِي حِينِ أَنْ عَلِمَاءُ الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ يُقْرُونَ بِمَا وَقَعَ فِيهِ مِنْ تَحْرِيفٍ وَتَغْيِيرٍ وَإِضَافَةٍ وَحَذْفٍ بِأَيْدِي الْبَشَرِ ... وَعِلْمَاءُ الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ ( كَمَا ذَكَرَ رُوبَرْتُ كَيْلُ تَسْلَرُ ) أَقْرَأُوا جُمْلَةً مِنَ الْحَقَائِقِ الْمَذْهَلَةِ بِشَأْنِ تَحْرِيفِ الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ : س ١ : أَيْنَ الْأَسْفَارُ الْمَفْقُودَةُ وَالَّتِي جَاءَ ذِكْرُ عَنِهَا فِي الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ وَبِأَنَّهَا لَيْسَتْ أَقَلُّ مِنْ عَشْرِينَ ؟ س ٢ : مَاذَا عَنِ عَدَمِ وَجُودِ مَخْطُوطَةٍ أُصْلِيَّةٍ لِلْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ . تَوْجِدُ مَخْطُوطَاتٍ مُخْتَلِفَةً ، وَتَحْتَوِي عَلَى أَكْثَرَ مِنْ ٥٠٠٠٠ خَطَأً ؟ س ٣ : مَاذَا عَنِ الْإِضَافَةِ وَالْحَذْفِ الَّذِي يَتِمُّ حَتَّى الْيَوْمِ مَعَ كُلِّ طَبَاعَةٍ جَدِيدَةٍ ؟ !

٨- ومن انفرادات القرآن الكريم : وَنَتْرَكَ الْجَمَالَ لَهَا لِعَالَمِ فَرَنْسِيٍّ مُعَاَصِرٍ (موريس بوكاي) يَذْكَرُ لَنَا هَذِهِ الْمَلَاخِظَةَ وَالَّتِي هِيَ خِلَاصَةٌ دَرَسَةٍ عِلْمِيَّةٍ قَامَ بِهَا وَفَرِيقٌ عِلْمِيٌّ تَحْتَ إِشْرَافِهِ بِعِنَايَةِ التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَالْعِلْمِ وَتَرْجَمَ الْكِتَابَ إِلَى الْإِنْجِلِيزِيَّةِ وَالْعَرَبِيَّةِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ اللُّغَاتِ . (١) يَقُولُ د. مَوريس بوكاي : « إِنْ الْعَهْدَ الْقَدِيمَ ( التَّوْرَةَ ) يَتَكُونُ مِنْ حَشْدٍ مِنَ الْكُتَابَاتِ الَّتِي صَاغَهَا أَفْرَادٌ مِنَ الْبَشَرِ مِثْلُهُمْ مِثْلُ الْأَفْرَادِ الَّذِينَ يَصُوغُونَ أَيَّ كُتَابَاتٍ أَدْبِيَّةٍ وَفَقًّا لِقُدْرَاتِهِمْ عَلَى الصِّيَاغَةِ وَالْإِنْشَاءِ اللَّغَوِيِّ وَالْكِتَابَةِ فِي شَتَّى الْمَوْضُوعَاتِ الْأَدْبِيَّةِ literary works وذلك على مدار حوالى تسعمائة سنة . إن أجزاء وأسفار العهد القديم تشبه قطعاً من أحجار الفسيفساء كثيراً ما قام البشر على توالى القرون بالتغيير فيها وتبديلها ، « ولقد كان الهدف من صياغة الأناجيل صياغة كتابية هو أن يعرف الناس من خلال أقوال وأفعال المسيح التعاليم teachings التي كان يرغب المسيح في أن يتركها للناس لإكمال رسالته ، ولسوء الحظ لم يكن مؤلفو الأناجيل شهود عيان للمعلومات التي كتبوها وقاموا بتسجيلها كتابةً... لقد كانوا ببساطة ووضوح مجرد متحدثين رسميين spokesmen يعبرون عن معلومات كانت مودعة ثانياً وفي غمار التراث الشفهي للجماعات اليهودية / المسيحية بشأن حياة المسيح بوجه عام كما استقرت المعلومات عنها وتم تناقلها وتداولها في ثانياً التراث الشفهي أو في ثانياً بعض النصوص المكتوبة التي لم تعد موجودة الآن إذ هي مفقودة .

( ١ ) - عن صفحة موقع "بيان الإسلام" دراسة منشورة على الموقع باسم " المعارك الخاسرة ضد القرآن لمن كانت العاقبة في كل جولة ؟! " بتصرف شديد . الرابط : <http://bayanelislam.net/Section.aspx?ID=346&Section=%D8%A7%D9%84%D9%85%D8%B9%D8%A7%D8%B1%D9%83%20%D8%A7%D9%84%D8%AE%D8%A7%D8%B3%D8%B1%D8%A9%20%D8%B6%D8%AF%20%D8%A7%D9%84%D9%82%D8%B1%D8%A2%D9%86-%D9%85%D9%82%D8%B1%D9%88%D8%A1%D8%A9>

هكذا يلزم أن ننظر اليوم إلى تلك النصوص اليهودية / المسيحية، ولو شئنا أن نكون موضوعيين ملتزمين بالاعتراف بالحقائق وحدها فمن الضروري أن نتخلى عن محاولات التفسير والتبرير الكلاسيكية التي تحاول أن ترقى بهذه النصوص إلى مرتبة الوحي الإلهي باعتبار أنها كلام الله وحده لم يخالطه كلام البشر ، ولقد كانت النتيجة الحتمية لتعدد المصادر في أناجيل العهد الجديد هي وجود كثير من التناقض التي أعطينا أمثلة عديدة لها. إن التناقضات والمعلومات الخاطئة من وجهة النظر العلمية في العصر الحديث في نصوص الأناجيل قد غدت واضحة تمام الوضوح ويستحيل الدفاع عنها دفاعاً مجدياً مقبولاً.

لكننا نجد لنصوص القرآن الكريم شأنًا آخر وطريقة أخرى في التدوين وطبيعة أخرى في محتوى النصوص ومضمونها ومدى اتساقها التام وانعدام تناقضها مع حقائق العلم الحديث، لقد امتد بالفعل تنزيل القرآن الكريم مُنحَمًا ينزل الله عددًا قليلاً من الآيات ثم عددًا آخر على امتداد حوالي ثلاثة وعشرين عامًا، وهي مدة كافية لاستيعاب وحفظ أي قدر من نصوص القرآن الكريم كل نص في حينه أولًا بأول حتى تم حفظ نصوص القرآن الكريم كاملة في ذاكرة جمِّ غفير من المسلمين الأوائل فضلًا عن تدوين وتسجيل عدد من آيات القرآن الكريم كتابة في حياة النبي وتحت إشرافه ومراجعته.

إن القرآن الكريم يتمتع بميزتين هامتين هما خُلُوهُ التام من التناقض بأي حال من الأحوال، والتناقض هو الآفة التي أصابت روايات التوراة والأناجيل بما لا يدع مجالاً للشك، وكذلك تمتاز نصوص القرآن الكريم بالاتساق وعدم التعارض مع حقائق العلم الحديث. التي تم الكشف عنها في العصر الحديث ، وإجراء مقارنة بين كثير من روايات التوراة لأحداث ووقائع مُعَيَّنة مع روايات نفس الموضوعات والأحداث والوقائع في القرآن الكريم تُظهِرُ لنا بوضوح الفروق الأساسية بين دعاوى التوراة غير المقبولة علميًا ولا منطقيًا وبين رواية القرآن الكريم لنفس الموضوعات رواية تتفق مع النظرة العلمية وتتسق مع المعقولة دون إعطاء أي تفصيلات يمكن دحضها وإثبات أي تناقض فيها بعكس التوراة التي تعطى تفصيلات كثيرة غير صحيحة وغير معقولة وغير مقبولة. «(١)»

القرآن هو الكتاب المتفرد : وحده هو الذي برزَّ المرأة من خطيئة إخراج آدم من الجنة. وحده الذي وصف الإله بما يليق به من كمالات. وحده الذي أثبت العصمة للأنبياء لأنهم أسوة للبشرية وحده هو الذي أنصف الآخر وجعله جزءًا من نسيجه. وحده المتفرد في وضوح العقيدة فلا لبس فيها . وحده المتفرد باللغة الراقية والأخلاق الرفيعة . وحده الذي حُفِظَ حفظًا إلهيا من التحريف أو أن تعبت به يد البشر. وحده هو الذي توافق مع حقائق العلم الحديث. لهذا كله كانت ولا تزال كل المعارك التي ضد القرآن خاسرة .. لماذا؟ .. الجواب في كلمة واحدة .. لأنه كلمة الله.

يظهر مما سبق أن دوافع الهجوم على القرآن منها "نفسية" ومنها "معرفي" فالأول يعتمد تزيف الحقائق وتحريفها تعبيرا عن الإخفاق والعجز عن مواجهتها ، فالعجز عن مواجهة الخصم يتحول في الأعم الأغلب إلى الافتراء عليه . كما أن التلبس بالصفات السلبية دافع لوصف الآخرين بما درءاً للاتهام ، وهو ما يعرف عند

(١) - د. موريس بوكاي ، دراسة الكتب المقدسة والقرآن والعلم الحديث ، دراسة مقارنة ، انظر مقدمة الكتاب وخاتمته . منقول عن صفحة بيان الإسلام السابقة للمذكورة في التعليق السابق .

علماء النفس ب "الإسقاط" حيث أن الإسقاط حيلة من الحيل الدفاعية التي يلجأ إليها الفرد للتخلص من تأثير التوتر الناشئ في داخله ، ومن هنا كان إخفاق الغرب على المستوى الفكري والمعرفي -على الرغم من تفوقه سياسيا واقتصاديا وعسكريا-دافعا إلى الخروج عن العقلانية والحوار المنصف ، واللجوء إلى القوة وإلى التشويه والإفساد ظلما وعدوانا . أما الدافع المعرفي وهو إخفاق الغرب في مواجهة الإسلام فكربا على الرغم من هزيمة المسلمين سياسيا واقتصاديا وعسكريا في الوقت المعاصر ولا يزال الغرب يمارس فكرة إقصاء ونبد الآخر بمواصلة الطعن في القرآن وفي نبوة محمد ﷺ في الوقت نفسه ينعت الإسلام بأنه هو الذي يمارس إقصاء الآخر (١) .

### الفكر الإستشراقي والهجمة على القرآن :

لعل من الإنصاف الذي ارساه القرآن أن نعلن أن المستشرقين ليسوا سواء ، فمنهم من وقف مع الحق وأنصفه ومنهم من أساء واعتدى وكذب وظلم. سنتناول الصنفين بتوسع في الفصلين التاليين ، ومن الفكر الإستشراقي الحديث الذي هاجم القرآن الكريم وظهر عندهم العدا والاعتداء : ١- كتاب تيودور نولدكة: (تاريخ القرآن) من أهم الكتب التي ألفها المستشرقون في تاريخ القرآن وتأثر به وبتأثره من جاء بعده وبنوا عليه وأسسوا دراساتهم اعتماد عليه وأصبح هذا الكتاب أنجيل المستشرقين في مرجعية الدراسات القرآنية ( ترجم الكتاب للعربية) .

٢- كتاب جولدتسيهر بعنوان ( مذاهب التفسير القرآني ) ترجمه للعربية د. عبد الحليم النجار .

٣- كتاب جون وانسبرو بعنوان (دراسات قرآنية :مصادر الكتب المقدسة وطرق تفسيرها) .ويعد هذا الكتاب من أخطر كتبه ،حيث تأثر به جانب كبير ممن جاؤوا بعده في البحث القرآني ،علما أن مزاعم وانسبرو تجاوزت أمام الدراسة العلمية التي قام بها الباحث : سعد بن عبد العزيز الرشيد بعنوان : (كتابات إسلامية من مكة المكرمة) ، حيث برهن الباحث أن النقوش القرآنية التي وجدت مكتوبة على الصخور بمكة المكرمة تثبت بشكل قطعي فساد نظرية وانسبرو التي تزعم أن القرآن الكريم لم ينتج بمكة .

٤- كتاب دون ريتشاردسون بعنوان : (أسرار القرآن) وهو يخلط بين الدراسات القرآنية والسياسة .

٥- كتاب نيل روبنسون بعنوان : ( اكتشاف القرآن: مقارنة عصرية لنص محجب) .

٦- كتاب كريستوف لوكسنبورج بعنوان : ( قراءة سريانية-آرامية للقرآن : مساهمة في تحليل لغة القرآن ) ، وكريستوف هنا في الأعم الأغلب اسم مستعار أو وهمي وهي ظاهرة شاعت في السنوات الأخيرة في الهجوم على القرآن .

٧- كتاب ابن الوراق بعنوان : ( لماذا أنا لست مسلما؟ ) ،يقدم الكتاب نقدا لاذعا قويا ضد الاسلام في منهجية علمية في العرض خالية من الصدق في المضمون . (٢)

(١) - موسوعة " بيان الاسلام " بقلم كبار العلماء ، ج ١ ص ٤٦ وما بعدها . مرجع سابق

(١) - موسوعة بيان الاسلام المجلد الأول ص ٤٧ - ٤٨ ، مرجع سابق ، وانظر د. عبد الراضي محمد عبد المحسن ، الغارة التنصيرية على أصالة القرآن الكريم ، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف ص (١٠-١٥) . أ. ل شاتليه ، الغارة على العالم الإسلامي، ص ٩، مرجع سابق، نشرة محب الدين الخطيب . بيروت، د. ت.

وهذا غيـض من فيض من حجم الهجمة الشرسة على القرآن والإسلام وصف العلامة محمود شاكر هذه الهجمة أبلغ وأصدق وصف فقال : " لم يكن غرض العدو أن يقارع ثقافة بثقافة ، أو ينازل ضلال بمدى ، أو أن يصارع باطلا بحق ، أو أن يمحو أسباب ضعف بأسباب قوة ، بل كان غرضه الأول والأخير أن يترك في ميدان الثقافة في العالم الإسلامي جرحى وصرعى لا تقوم لهم قائمة ، وينصب في عقولا لا تدرك إلا ما يريد لها أن هو تعرف ، فكانت جرائمه في تحطيم أعظم ثقافة إنسانية عرفت إلى اليوم ، كجرائمه في تحطيم الدول وإعجازها مثلا بمثل " (١).

أما بالنسبة لهذا الكتاب يتحدث حول الشبهات المثارة على النص الداخلي للقرآن والأخطاء المزعومة للطاعنين فيه أو الذين أسأؤوا فهمه من حيث لغته وأساليب البيان فيه والتناسق الداخلي له ، وثينا بفصل دحض أسطورة أن الكتاب المقدس مصدر القرآن وبيننا أن القرآن أتى لتصحيح قضايا الكتاب المقدس فهو الحكم عليه والمصحح لبعض أحداثه ، أما الفصل الثالث فيتعلق بـ أباطيل وطعون حول الذات الإلهية في القرآن ، وأباطيل وطعون في الأنبياء في نص القرآن ، وأباطيل وطعون حول خاتم النبيين في نص القرآن ، وأباطيل حول المسيح والمسيحية وتأليه المسيح في نص القرآن ، ثم أخطاء وطعون تاريخية وعلمية ودينية وغيرها ، وأخيرا آيات متناقضة وإشكالات متنوعة ، ويبدو من الشبهات وناشرها أن أصحابها لا يعرفون لغة العرب وسياقاتها وتصارفها ، ولو أنهم فتحوا قواميس اللغة ودواوين الشعر لعلموا عن المفردات معانيها الصحيحة وأساليب دخولها في الجمل والسياقات ومعانيها المختلفة لكنهم لا يريدون إلا الطعن وتوجيه التهم . نسأل الله القبول من لدنه ، وأن يبارك في هذا الجهد ، وأن يثينا عليه ، وأن يجعل لهذا الكتاب القبول في الأرض والسماء ، إنه ولي ذلك والقادر عليه . والله من وراء القصد .

لمراسلة الكاتب على العنوان التالي :

<https://www.facebook.com/m.s.tartus>

[m.s.tartus@gmail.com](mailto:m.s.tartus@gmail.com)

موبايل ٩٨٨٢٨٩٨٩٢/٠٠٩٦٣

## بين يدي الكتاب

### أولا : الأساليب والمسالك الأربعة المتبعة في إثارة الأباطيل حول القرآن<sup>(١)</sup>

**١- الكذب في اختراع التهمة :** وهو مسلك درج في ظلماته مثيرو الشبهات والأباطيل حول القرآن الكريم حين أعيتهم الحيل أن يجدوا في القرآن مطعنا ، فلما علموا أن الكذب بضاعة ينطلي باطلها على الكثيرين من الدهماء والعامّة الذين لن يتيسر لهم اكتشاف هذه الأكاذيب؛ أشرعوا فيه سفنهم، فما زالوا يكذبون، حتى إخالهم لكثرتهم صدقوا أنفسهم فيما يدعون.

وصور كذبهم كثيرة، أكتفي بالتمثيل لها مبتدئا بما قاله وهيب خليل في سياق حديثه عن معجزات المسيح المذكورة في القرآن: "وإن كان بعض المفسرين يحاولون أن يقللوا من شأن السيد المسيح في المقدرة قائلين : إنه يصنع هذا بأمر الله، فنجد أن الإسلام يشهد أن هذه المقدرة هي لله فقط"<sup>(٢)</sup>. ومن المعلوم عند كل مسلم أو غيره مطلع على القرآن الكريم أن الذي أحال معجزات المسيح إلى قدرة الله وإذنه هو القرآن الكريم، وليس مفسروه {وإذ تخلق من الطين كهيئة الطير بإذني فتنفخ فيها فتكون طيرا بإذني} [المائدة: ١١٠] .

ومن الكذب زعم مؤلفي كتاب شهير؛ اختص بإثارة الأكاذيب على القرآن "التعليقات على القرآن" أن حفاظ القرآن الأربعة ماتوا قبل جمع القرآن في عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه: "أبو الدرداء، ومعاذ بن جبل، وزيد بن ثابت، وأبو زيد .. فإن هؤلاء الأربعة ماتوا قبل جمع القرآن .. ولما رأى أبو بكر هذا الحال جزع من ضياع القرآن"<sup>(٣)</sup> .

وقولهم هذا كذب صراح ولا ريب، لأن هؤلاء الأربعة أدركوا جميعا عهد الخليفة الثاني عمر بن الخطاب ، أي أدركوا جمع أبي بكر فأبو الدرداء ولي قضاء دمشق في عهد عمر ، ومات قبل موت عثمان بسنتين. ومعاذ بن جبل مات في خلافة عمر في طاعون عمواس سنة ١٧هـ. وأما ثالثهم زيد بن ثابت فهو من جمع القرآن في عهد الصديق ثم عثمان، ومات سنة ٤٥ هـ، أي في زمن معاوية رضي الله عن الجميع. ورابعهم أبو زيد سعد بن عبيد الأنصاري ،وقد قتل يوم القادسية في زمن الخليفة عمر بن الخطاب .

ومن صور الكذب أيضا طعن القس العربي الفلسطيني أنيس شروش في عربية القرآن أمام جمهور من الأعاجم الذين لا يعرفون العربية، بقوله: "لكن محمدا استعمل كثيرا من الكلمات والجمل الأجنبية في القرآن ... في كتاب ادعى أن الله أوحاه بالعربية"<sup>(٤)</sup>، ومن المؤكد أن القارئ العربي يعرف أنه لا يوجد في القرآن جملة واحدة غير عربية، فقد نزل بلسان عربي مبين، لكن الدكتور شروش يهذي بهذا أمام أعاجم، ولا يستحي من الكذب عليهم. ولما أراد القبطي الأرثوذكسي ثروت سعيد تزكية المسيحيين واعتبارهم مؤمنين بشهادة القرآن الكريم قال في كتابه "حقيقة التجسد"، الذي قدمه وراجع له كل من الأنبا الكاثوليكي يؤانس زكريا والقس البرتستنّي الدكتور منيس عبد النور: "إذا كان اعتقاد القرآن بشرك النصارى؛ فلماذا يصرح في آياته بحلال الزواج

(١) - عن كتاب تنزيه القرآن عن دعاوى المبطلين ، د. منقذ السقار ص ١١-٢٢ ، مرجع سابق

(٢) - استحالة تحريف الكتاب المقدس، وهيب خليل، ص (١٣٣)، والقس وهيب خليل هو الاسم الحقيقي للقمص مؤنس عزيز الذي يجده حاليا في الطعن بالإسلام والكذب عليه في قناته الفضائية.

(٣) - (تعليقات على القرآن، ص (٢٩). نقلا عن كتاب منقذ السقار تنزيه القرآن ص ١٢ ، مرجع سابق

(٤) (مناظرة: القرآن الكريم والكتاب المقدس. أيهما كلام الله؟ أحمد ديدات وأنيس شروش، ص (١١٥ - ١١٦).

من أهل الكتاب .. كما أن نبي الإسلام تزوج من اليهوديات والمسيحيات، وهن: مريم القبطية، وأنجب منها إبراهيم (المسيحية)، وريحانة بنت شمعون النصيرية (اليهودية)، وصفية بنت حيي بن أخطب القريظية (اليهودية)، وجويرية بنت الحارث المصطلقية (اليهودية) (١).

وقوله بزواج النبي ﷺ من يهوديات ومسيحية كذب صراح، وإنما تزوجهن رسول الله ﷺ بعد دخولهن في الإسلام . وكفي في بيانه أن نقل بعضا من الحوار الذي جرى بين النبي ﷺ وصفية حين أراد الزواج بها، فقد قال لها: «اختاري، فإن اخترت الإسلام أمسكتك لنفسي، وإن اخترت اليهودية فعسى أن أعتقك فتلحقني بقومك». فقالت صفية: يا رسول الله، لقد هويت الإسلام، وصدقت بك قبل أن تدعوني حيث صرت إلى رحلك، وما لي في اليهودية أرب، وما لي فيها والد ولا أخ، وخيرتني الكفر والإسلام، فאלله ورسوله أحب إلي من العتق وأن أرجع إلى قومي (٢) . فتزوجها رسول الله وهي مسلمة.

وأما ريحانة فتكذب دعوى المبطلين، وتذكر أن رسول الله تزوجها بعد أن أسلمت،

وتقول: إني أختار الله ورسوله، فلما أسلمت أعتقني رسول الله وتزوجني، وأصدقني اثنتي عشرة أوقية (٣) . ويواصل ثروت سعيد الكذب فيزعم أن قوله تعالى: {وإن منكم إلا واردها} [مريم: ٧١] ينبي بدخول النار والإحراق فيها لكل بني آدم، وينقل عن "جلال الدين يفسر كلمة {واردها} بالدخول والاحتراق" (٤)، وقد كذب في نسبة الإحراق إلى السيوطي، فهو غير موجود في شيء من كتبه.

ثم يمضي المبطل فيستشهد لكذبه وباطله بقول النبي ﷺ: «الورود الدخول، ولا يبقى بر ولا فاجر إلا دخلها»، والحديث الذي يستشهد به ضعيف لا يصح نسبه إلى النبي ﷺ وهو أمر قد يجمله فيعفى عنه في ذلك، لكن شيئا لن يبرر نقله من الحديث ما يروق له، وإعراضه عن تمامه، لمناقضته قوله ودحضه كذبه، فالحديث بتمامه: «الورود الدخول، ولا يبقى بر ولا فاجر إلا دخلها، فتكون على المؤمن بردا وسلاما كما كانت على إبراهيم حتى إن للنار - أو قال: لجهنم - ضجيجا من بردهم ثم ينجي الله الذين اتقوا ويذر الظالمين فيها جثيا» [مريم: ٧٢] (٥)، فخاتمة الحديث تثبت نجاة المؤمنين من الإحراق، لكن الكذب والتدليس حيلة من لا حيلة عنده.

## ب. تحريف معاني النصوص وتفسيرها بمعان مشككة: يلجأ الطاعنون في القرآن إلى تحريف ألفاظ

النصوص الإسلامية وتفسيرها بمعان مشككة لا يوافق عليها عالم من علماء المسلمين، ومن ذلك قول البابا شنودة: "ولم يقتصر القرآن على الأمر بحسن مجادلة أهل الكتاب، بل أكثر من هذا، وضع القرآن النصارى في مركز الإفتاء في الدين، فقال: {فإن كنت في شك مما أنزلنا إليك فاسأل الذين يقرؤون الكتاب من قبلك} [يونس: ٩٤]، وقال أيضا: {وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا نوحى إليهم فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا

(١) - (حقيقة التجسد، ثروت سعيد رزق الله، ص (١٩٢ - ١٩٣). عن تنزيه القرآن للسقار ص ١٣

(٢) - (أخرجه ابن سعد في الطبقات (٨/١٢٣)، الناشر: دار صادر بيروت، تحقيق احسان عباس، ط١/١٩٦٨

(٣) - (أخرجه ابن سعد في الطبقات (٨/١٣٠). الناشر: دار صادر بيروت، تحقيق احسان عباس، ط١/١٩٦٨

(٤) - (حقيقة التجسد، ثروت سعيد رزق الله، (٣٥). عن السقار مرجع سابق .

(٥) - (أخرجه أحمد في المسند ح (١٤٥٦٠)، والحاكم في المستدرک (٤/٦٣٠)، وضعفه الألباني في السلسلة الضعيفة ح (٤٧٦١).

تعلمون} [النحل: ٤٣] (١). ومثله في تحريف معاني النص القرآني قول مؤلفي كتاب "تعليقات على القرآن" تعليقهم على قوله تعالى: {ما فرطنا في الكتاب من شيء} [الأنعام: ٣٨]: "ولا شك أن القرآن لا يشتمل على أكثر العلوم من المسائل الأصولية والطبيعية والرياضية والطبية، ولا على الحوادث اليومية، بل ولا على ذات قصص الأنبياء؛ فإذا لا يكون كلامه هذا مطابقاً للواقع" (٢)، فقد جهلوا أو تجاهلوا أن آية سورة الأنعام لا تتعلق بالقرآن، بل باللوح المحفوظ الذي كتب الله فيه مقادير كل شيء، قال الطبري: "الرب الذي لم يضع حفظ أعمال البهائم والدواب في الأرض، والطير في الهواء، حتى حفظ عليها حركاتها وأفعالها، وأثبت ذلك منها في أم الكتاب، وحشرها ثم جازاها على ما سلف منها في دار البلاء؛ أخرى أن لا يضع أعمالكم، ولا يفرط في حفظ أفعالكم التي تجرحونها". (٣)

والآية بمنطوقها واضحة في الدلالة على هذا المعنى الذي ذكره الطبري: {وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم ما فرطنا في الكتاب من شيء ثم إلى ربهم يحشرون} [الأنعام: ٣٨]، ومثلها قول الله: {وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها كل في كتاب مبين} [هود: ٦]، فالكتاب الذي حوى مقادير الخلائق وأرزاقها هو اللوح المحفوظ؛ لا القرآن الكريم.

ثم لو فرضنا أن القرآن هو مقصود قوله تعالى: {ما فرطنا في الكتاب من شيء} فإن هذا العموم يفهم منه العقلاء معنى مخصوصاً يفهم من السياق، إذ من السخف بل والخبل أن يظن ظان أن النبي ﷺ حين قرأ هذه الآية قصد أن القرآن يحوي أسماء رجال قريش أو أطعمة فارس أو أسماء البهائم التي خلقها الله، فهذا لا يخطر ببال عاقل ولو كفر بالقرآن وجحدته، لأنه سيحمل العموم في قوله {من شيء} على المعنى المخصوص اللائق به ككتاب ديني، أي ما فرطنا في الكتاب من شيء يصلح حياة الإنسان في دنياه وأخراه، فالقرآن حوى كل ما تحتاجه البشرية مما تختص بذكره النبوات. (٤)

ومن صور التحريف للمعاني ما صنعه القس أنيس شروش مع مستمعيه الإنجليز بقوله: "أنتم معشر المسلمين تعتقدون أن المسيح ما زال على قيد الحياة.. لكننا إذا قارنا هذا بما جاء في القرآن؛ فإننا سنجد تناقضاً، فإن القرآن يقول: {والسلام علي يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حياً} [مريم: ٣٣] "قرأها بالعربية صحيحة، ثم ترجمها لمستمعيه: "وسلام علي يوم ولدت، ويوم مت، ويوم أبعث حياً" (٥)، فحول الأفعال المضارعة - التي يراد منها المستقبل - إلى أفعال ماضية؛ مستغلاً جهل مستمعيه بلغة العرب.

(١) - بين القرآن والمسيحية، البابا شنودة، ص (٤)، وسيأتي دفع هذه الأطولية . عن السقار ص ١٤ .

(٢) - (تعليقات على القرآن، ص (٢٠).) عن تنزيه القرآن للسقار ص ١٥ .

(٣) - (جامع البيان (١١/٣٤٥).)، الناشر مؤسسة الرسالة بتحقيق أحمد شاكر، ط١/٢٠٠٠ .

(٤) - وأمثال هذا العموم - الذي يراد به خصوص يفهمه العقلاء - كثير في القرآن وفي كلام العرب وحديث العقلاء، كقوله تعالى عن ملكة سبأ: {وأوتيت من كل شيء} (النمل: ٢٣)، فلم يفهم منه سليمان عليه السلام - ولا العقلاء من بعده - أن ملكة سبأ أوتيت الطائرات والصواريخ والأقمار الصناعية، بل معناه عند جميع العقلاء أنها أوتيت من كل شيء يؤتاها الملوك عادة، ومثله أيضاً في كلام الناس - اليوم - كثير، كقول الأستاذ: لم ينجح أحد من الطلاب، ومقصوده - ولا ريب - الحديث عن طلاب مادته أو فصله أو مدرسته فحسب، فهو عموم يراد به معنى مخصوص. (تنزيه القرآن ص ١٦ .

(٥) - (القرآن والكرام والكتاب المقدس. أيهما كلمة الله؟ أحمد ديدات، ص (٤٥).) بدون بيانات .

ومن تحريف المعاني زعم القمص زكريا بطرس في برناجه في قناة الحياة أن في القرآن كلمة يستحي القمص من قولها أمام المشاهدين، وهي كلمة (النكاح) التي يفهما - عقله الكليل - بمعنى الجماع (ويأتي جواب هذه الأبطولة في الردود).

**ج. بتر النصوص وإخراجها عن مساقها:** ويعمد مثيرو الأباطيل - وهم يستشهدون بالمصادر الإسلامية - إلى بتر النصوص واجتزائها، فيختارون من النص ما يعجبهم، ويدعون ما لا يوافق هواهم وباطلهم، ومن ذلك ما صنعه القمص زكريا بطرس وهو يستدل لعقيدة التثليث بقوله تعالى: {إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه} [النساء: ١٧١]، فقد تعامى عن أول الآية وقامها؛ لما فيهما من تنديد بالتثليث ووعيد لأهله { ولا تقولوا ثلاثة انتهوا خيرا لكم إنما الله إله واحد سبحانه أن يكون له ولد له ما في السماوات وما في الأرض وكفى بالله وكيفا } لا يستنكف المسيح أن يكون عبدا لله ولا الملائكة المقربون ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم إليه جميعا } [النساء: ١٧١ - ١٧٢].

وهذا البتر للنصوص عادة للقمص زكريا بطرس لا يمل من معاودتها في برامجه الفضائية، فحين أراد الاستدلال على صحة كتابه المقدس زعم أن القرآن لا يقول بالتحريف اللفظي للتوراة والإنجيل، بل يقول بوقوع التحريف المعنوي فقط، واستدل لذلك بما جاء في تفسير البيضاوي بعد اجتزاء كلام البيضاوي وبتره، فيقول القمص: يقول البيضاوي: " {أفتطمعون أن يؤمنوا لكم} يعني اليهود، {وقد كان فريق منهم} طائفة من أسلافهم {يسمعون كلام الله} يعني التوراة، {ثم يحرفونه} أي تأويله فيفسرونه بما يشتهون"، ثم عقب على كلام البيضاوي بالقول: (مش [لم] يغيروا الألفاظ والكلام). وقد تعمد القمص بتر كلام البيضاوي الذي تحدث عن نوعين من التحريف: أولهما تحريف الألفاظ، والآخر تحريف المعاني الذي ذكره القمص، وعبارة البيضاوي بتمامها: " {ثم يحرفونه} كنعت محمد ﷺ، وآية الرجم. أو تأويله فيفسرونه بما يشتهون (١) ، وحذف من عبارة البيضاوي قوله: "كنعت محمد ﷺ وآية الرجم" لما فيها من إشارة إلى تحريف الألفاظ. وأعاد القمص هذا الصنيع ثانية، وهو ينقل قول البيضاوي في تفسير قول الله تعالى: {من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه}، فنقل عن البيضاوي أنه قال بالتحريف المعنوي دون اللفظي، فقال: قال البيضاوي: " {يحرفون الكلم} أي يميلونه عن مواضعه التي وضعه الله فيها؛ أي يؤولونه على ما يشتهون، فيميلونه عما أنزل الله فيه".

وقد بتر منه ما يخالف مقصده ويفند استدلاله، فعبارة البيضاوي بتمامها: " {يحرفون الكلم} أي يميلونه عن مواضعه التي وضعه الله فيها؛ بإزالته عنها وإثبات غيره فيها. أو يؤولونه على ما يشتهون فيميلونه عما أنزل الله فيه". (٢)

ومن صور البتر والتحريف ما رأته عند عدد من كتاب النصارى وقسسهم (١)، فقد زعموا أن الرازي كان يستشكل القول بنجاة المسيح من الصلب ووقوع الشبه على غيره، ونقلوا عنه قوله: "بالجملة فكيفما كان،

(١) - أنوار التنزيل، البيضاوي (١/٨٩). الناشر: دار احياء التراث العربي بيروت، تحقيق محمد المرعشلي، ط١/١٤١٨

(٢) - المصدر السابق (٢/٧٧). مرجع سابق

ففي إلقاء شبهه على الغير إشكالات: الإشكال الأول: إنا لو جوزنا إلقاء شبه إنسان على إنسان آخر لزم السفسطة .. "، ثم يسوقون كلاما طويلا للرازي ملخصه أن القول بصلب غير المسيح بدلا عنه فيه ست إشكالات، نقل هذه الإشكالات عنه ثروت سعيد، وعقب عليها بالقول: "انتهى للإمام فخر الدين الرازي، ولا تعليق"، وهو يوهم قراءه أن هذه الإشكالات يستشكلها الرازي، فيقول: "ولهذا لم يكن بد لعالم نزيه كالإمام العلامة فخر الدين الرازي أن يفند قصة الشبه تنفيذيا محكما". (أ)

والحق أن الرازي رحمه الله ذكر الإشكالات الستة التي يستشكلها النصارى وغيرهم على قول القرآن بنجاة المسيح، ثم لما انتهى من سردها شرع في الرد عليها جميعا، فقال: "فهذا جملة ما في الموضوع من السؤالات: والجواب عن الأول ... والجواب عن الثاني ...".

وبعد أن رد عليها واحدا واحدا؛ ختم بنتيجة شافية كافية فقال: "وبالجملة فالأسئلة التي ذكرها أمور تتطرق الاحتمالات إليها من بعض الوجوه، ولما ثبت بالمعجز القاطع صدق محمد - صلى الله عليه وسلم - في كل ما أخبر عنه؛ امتنع صيرورة هذه الأسئلة المحتملة معارضة للنص القاطع" (ب)، فتعاضى ثروت سعيد وغيره من المبطلين عن إتمام قول الرازي، ووقعوا في التدليس المشين حين نسبوا إليه قول النصارى الذي كان يرد عليه.

#### **د. محاكمة القرآن إلى مصادر ومعلومات غير موثوقة:** ويلجأ الطاعنون في القرآن من النصارى في

إلقاء شبهاتهم إلى محاكمة القرآن إلى مصادر مرفوضة ومطعون في موثوقيتها كالكتاب المقدس الذي يرى المسلمون والحققون من أهل الكتاب أنه أسفار تاريخية كتبها مجهولون، ونسبت إلى الأنبياء بلا سند يوثقها، وعليه فهذه الكتب مجروح في شهادتها، ولا اعتداد ولا موثوقية في أخبارها، التي يحاكم الطاعنون القرآن بموجبها، فيعرضونها وكأنها مستندات ووثائق تاريخية متفق على صحتها، ثم يخطئون القرآن حين يخالفها ويناقضها، أما إذا رأوه موافقا لها فإنهم لا ينجحون من الزعم بأنه نقل منها، فلا يسلم منهم القرآن حال الموافقة ولا المخالفة.

ومن ذلك تكذيبهم القرآن حين خالفهم في تسمية والد إبراهيم عليه السلام بـ "آزر" [انظر الأنعام: ٧٤]، وحجتهم أن التوراة سمته "تارح" [انظر التكوين ١١ / ٢٧].

وكذلك كذبوا القرآن الكريم حين تحدث عن كفالة زوجة فرعون لموسى [انظر القصص: ٩]، لأن التوراة تقول: إن الذي كفله ابنة فرعون [انظر الخروج ٢ / ٥ - ٧].

وكذلك كذبوا أن يكون لون بقرة بني إسرائيل الصفار الفاقع [انظر البقرة: ٦٩]، لأن التوراة تقول تجعلها حمراء اللون [انظر العدد ١٩ / ١ - ٤]، وكل هذه الأخبار التوراتية خاطئة، لا اعتداد بها، وهي أضعف من أن تكون حجة على إخباري أو مؤرخ؛ فضلا عن القرآن العظيم.

كما يولع الطاعنون في القرآن بالغرائب الموجودة في كتب بعض المفسرين، وهي في جملتها منقولة من مرويات وأخبار أهل الكتاب، فيخلطون بينها وبين القرآن، ويجعلون معانيها المنكرة حجة عليه، وفي هذا مجافاة

(١) - انظر: حقيقة التجسد، ثروت سعيد، ص (٣٢٥)، وقد صنعه القس أسعد وهبة في مناظرته لي حول مسألة "صلب المسيح في العهد الجديد"، وهي منشورة على الشبكة العنكبوتية.

(٢) - حقيقة التجسد، ثروت سعيد، ص (٣٢٤ - ٣٢٦). عن تنزيه القرآن للسقار ص ١٩

(٣) - التفسير الكبير، الرازي (٨ / ٢٤٠)، الناشر: دار احياء التراث العربي بيروت، ط ٣ / ١٤٢٠.

للموضوعية؛ فإن كتب الرجال يحتج لها بالقرآن، ولا يحتج بها عليه ، ولعل من أهم صور ذلك قصة الغرائق التي أطبق على ذكرها الطاعنون في القرآن، وقد بين علماء الإسلام بطلانها؛ وإن أوردها مفسرون ومؤرخون وصفهم القاضي عياض بأنهم "المولعون بكل غريب، المتلقون من الصحف كل صحيح وسقيم" (١) ، فلولعهم بذكر الغرائب أثقلت مؤلفاتهم العظيمة بالإسرائيليات وسخيف مقولات الأمم التي تروي ما ترويه بلا زمام ولا قيد؛ فنقل الطاعنون هذه المرويات، ولبسوا على عوام المسلمين حين أوهموهم بصحة هذه الأقوال المنقولة في بعض كتب التفسير، ولا ينسى الخبثاء - في مثل هذه الحال - ذكر أرقام الصفحات التي نقلوا عنها؛ يرومون بذكر هذه التفاصيل مزيدا من الخداع لعوام المسلمين لإيهامهم بصحة ووثاقة المعاني المستقبحة الموجودة في تلك الروايات التي نقلها المسلمون الأقدمون في كتبهم عملا بالقاعدة المشهورة عندهم "من أسند لك فقد أحالك". ومن ذلك ما نقله الطاعنون عن بعض كتب التفسير لقوله تعالى: {وهل أتاك نبأ الخصم إذ تسوروا المحراب} [ص: ٢١]، فقد أوردوا قصة مزعومة باطلة، وملخصها أن داود عليه السلام رأى امرأة جاره تستحم، فأولع بها، فأرسل زوجها للقتل في الحرب، ثم تزوجها، وأن الله عاتبه على فعله، فبكى أربعين يوما حتى نبت العشب من دموع عينيه ٢، فهذه القصة الخرافية المستنكرة في معانيها منحولة في أصلها من أسفار التوراة [انظر: صموئيل (٢) ١١ / ١ - ٢٦]، ولم ترد في كتب المسلمين مرفوعة إلى النبي ﷺ بإسناد صحيح أو ضعيف.

ومثله استشهاد الطاعنين في القرآن بما روي عن بعض السلف أنهم قالوا في تفسير قوله تعالى: {والقرآن المجيد} [ق: ١ - ٢]: "ق، جبل محيط بجميع الأرض، يقال له جبل قاف"، وعقب ابن كثير على هذا القول الغريب: "وكأن هذا - والله أعلم - من خرافات بني إسرائيل التي أخذها عنهم بعض الناس، لما رأى من جواز الرواية عنهم مما لا يصدق ولا يكذب. وعندني أن هذا وأمثاله وأشباهه من اختلاق بعض زنادقتهم، يلبسون به على الناس أمر دينهم" (٣). ومثله الاستشهاد بما ذكره المفسرون في تفسير قول الله: {ولقد فتنا سليمان وألقينا على كرسيه جسدا ثم أناب} [ص: ٣٤]، فذكروا قصة عجيبة، ملخصها أن شيطانا ألقى عليه شبه سليمان، فكان يأتي نساءه. (٤)

قال أبو حيان الأندلسي: "نقل المفسرون في هذه الفتنة وإلقاء الجسد أقوالا يجب براءة الأنبياء منها، يوقف عليها في كتبهم، وهي مما لا يحل نقلها، وإنما هي من أوضاع اليهود والزنادقة، ولم يبين الله الفتنة ما هي، ولا الجسد الذي ألقاه على كرسي سليمان، وأقرب ما قيل فيه: إن المراد بالفتنة كونه لم يستثن في الحديث الذي قال: «لأطوفن الليلة على سبعين امرأة، كل واحدة تأتي بفارس يجاهد في سبيل الله، ولم يقل: إن شاء الله، فظاف عليهن، فلم تحمل إلا امرأة واحدة، وجاءته بشق رجل» (٥). فهذه المنقولات وأمثالها في كتب التفسير، والكثير منها لا ينسب إلى النبي ﷺ بإسناد صحيح ولا ضعيف، ولا يحل أن تعتبر تفسيرا لآيات القرآن، فإن

(١) - الشفا (٢/ ٢٩٠)، الناشر: دار الفحاء عمان، ط٢/١٤٠٧، وسيأتي بيان هذه الأبطولة.

(٢) - انظر: جامع البيان، الطبري (٢١/ ١٨٤). مرجع سابق

(٣) - تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (٧/ ٣٩٤). الناشر دار طيبة للنشر ط٢/١٩٩٩، تحقيق سامي سلامة .

(٤) - الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (١٥/ ٢٠٠). الناشر: دار الكتب المصرية القاهرة، ط٢/١٩٦٤، تحقيق احمد البردوني

(٥) - البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي (٩/ ١٥٥)، دار الفكر بيروت، ط٢/١٤٢٠، والحديث مروى في الصحيحين، أخرجه البخاري ح (٣٤٢٤)، ومسلم ح

فيها ما يصد عن القرآن، ويفسح المجال لأصحاب الأباطيل للطعن في القرآن الكريم والتلبس على الناس بهذه المرويات الفاسدة.

### والقرآن يزداد تألقاً وقوة في وجه الافتراءات :

عند استعراض تاريخ الهجمة على القرآن نجد من خصائص هذا الكتاب التي تصل حد الإعجاز : أنه كلما اشتد الهجوم عليه من معارضيه ومنكريه ازداد تألقاً وقوة فحقائق القرآن الخالدة تدحض الزيف والافتراء ، فأياته تقوم على إقناع العقل وطمأنينة القلب وفضح الزيف حتى لا يبقى أمام المتمرد إلا أن يؤمن عن بينة أو يكفر عن بينة . والقرآن وحده القادر على محاربة المتمرد فهو خطاب الخالق للمخلوق { ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير } [ الملك / ١٤ ] . وإنا على يقين أن الهجمة المعاصرة على القرآن ستعود لصالحه كما كانت الغلبة للقرآن في كل الهجمات السابقة فهي :

١- تلفت الإنتباه إلى القرآن الكريم فتدفع العقول الرشيدة إلى البحث والتأمل وكلما بحثت وتأملت ازدادت قرباً من القرآن لأنه الحق والصدق ، فلقد أتوا إلى القرآن متشككين وما لبثوا أن مست الهداية قلوبهم فعادوا مؤمنين .

٢- توقظ المسلمين من غفلتهم أن ينصفوا القرآن من أنفسهم بعد أن هجروا القرآن عملاً وسلوكاً وأخلاقاً ، فإحساس المسلمين بالخطر جعلهم يلوذون بالله ويزدادون تمسكاً بالقرآن ورجوعاً لأحكامه وقيمه . ولعل من المناسب في هذا السياق أن نلفت الانتباه إلى خصوصية من الخصائص التي انفرد بها القرآن أنه الكتاب الوحيد بين الكتب السماوية التي يحفظه أهله في صدورهم عن ظهر قلب ، وهذه النسخة الفريدة المحفوظة في الصدور والتي يتم تناقلها بين المسلمين تلاوة عن طريق التلقي شفاهة لا يمكن أن تمسها يد التحريف والتزييف من الأعداء وهذه النسخة المتفردة في صدور الحفظة تبطل كل الجهود التي تبذل لتحريف نسخة المصحف المكتوبة ، ومعلوم أن السر في حفظ القرآن على هذا النحو المعجز الفريد لا يعود لجهد البشر ولا لمكانة العرب والمسلمين فقد مرت الأمة بأزمات عديدة ومراحل انكسار كالمحنة المعاصرة ، ولو كان حفظ القرآن منوطاً ومرتبباً بهم لذهب القرآن من مئات السنين وإنما حفظ القرآن على هذا النحو المعجز الخالد يعود إلى رب العالمين " . (١)

### ثانياً : سحر القرآن و تأثيره

إن في هذا القرآن ، سرّاً يشعر به كل من يواجه نصوصه ابتداءً ، قبل أن يبحث عن مواضع الإعجاز فيها. إنه يشعر بسلطان خاص في عبارات هذا القرآن، يشعر أن هنالك شيئاً ما وراء المعاني التي يدركها العقل من التعبير، وأن هناك عنصراً ما ينسكب في الحسن بمجرد الاستماع لهذا القرآن يدركه بعض الناس واضحاً، ويدركه بعض الناس غامضاً ولكنه على كل حال موجود ، هذا العنصر الذي ينسكب في الحس يصعب تحديد مصدره: أهو العبارة ذاتها ؟ أهو المعنى الكامن فيها ؟ أهو الصور والظلال التي تشعها ؟ أهو الإيقاع القرآني الخاص المتميز من إيقاع سائر القول المصوغ من اللّغة ؟ أهو هذه العناصر كلها مجتمعة ؟ أم إنها هي وشيء

(١) - موسوعة بيان الإسلام : الرد على الافتراءات والشبهات " ج ١ ص ٤٧ - ٥١ ، مرجع سابق .

آخر وراءها غير محدود؟ ذلك سر مودع في كل نص قرآني، يشعر به كل من يواجه نصوص هذا القرآن ابتداء ثم تأتي وراءه الأسرار المدركة بالتدبر والنظر والتفكير في بناء القرآن كله. (١)

إن سر تأثير القرآن في النفس البشرية فيه كله، فكل جوانب العظمة والسمو فيه، أفاضله ومعانيه، وصوره، وظلاله، وإيقاعه، وأسلوبه، وشيء آخر بالإضافة إلى كل ذلك.

ويقول سيد قطب رحمه الله للقرآن تأثير عجيب على النفوس وسلطان قوي على القلوب: ( ويبقى وراء ذلك السر المعجز في هذا الكتاب العزيز، يبقى ذلك السلطان الذي له على الفطرة متى خلي بينه وبينها لحظة وحتى الذين رانت على قلوبهم الحجب وثقل فوقها الركام تنتفض قلوبهم أحياناً وتتململ، وتحت وطأة هذا السلطان وهم يستمعون إلى هذا القرآن. إن الذين يقولون كثيرون، وقد يقولون كلاماً يحتوي على مبادئ ومذاهب وأفكار واتجاهات، ولكن هذا القرآن ينفرد في إيقاعاته على فطرة البشر وقلوبهم فيما يقول: ( إنه قاهر غلاب بذلك السلطان الغلاب ) . (٢)

إن للقرآن سرّاً خاصاً على النفوس حتى يبلغ أن يؤثر بتلاوته المجردة على الذين لا يعرفون العربية، وعلى العوام الذين يسمعون إلى تلاوته لا يطرق عقولهم منه شيء، لكن يطرق قلوبهم إيقاعه ويظهر على ملاحظهم سره، إن كل آية وكل سورة تنبض بالعنصر المستكن العجيب المعجز في هذا القرآن، وتشي بالقوة الخفية المودعة في هذا الكلام، وإن الكيان الإنساني ليهتز ويرتجف ولا يملك التماسك أمام هذا القرآن كلما تفتح القلب، وصفى الحسن، وارتفع الإدراك، وارتقت حساسية التلويح والاستجابة، وإن هذه الظاهرة لتزداد وضوحاً كلما اتسعت ثقافة الإنسان. (٣) قال توماس أرنولد: "إننا نجد حتى من بين المسيحيين مثل الفار (الإسباني) الذي عرف بتعصبه على الإسلام يقرر أن القرآن قد صيغ في مثل هذا الأسلوب البليغ الجميل، حتى إن المسيحيين لم يسعهم إلا قراءته والإعجاب به." (٤)

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ ﴾ [يونس : ٥٧] ، ﴿ وَنُنزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَرْيَدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴾ [الإسراء : ٨٢] القرآن شفاء ورحمة للمؤمنين ولذا يقول الشعراوي في تفسيره: "فساعة تسمع القرآن فهو يشفيك من الداء الذي تعاني منه نفسياً ويُقوي قدرتك على مقاومة الداء؛ ويُفجّر طاقات الشفاء الكامنة في أعماقك، وهو رحمة لك حين تتخذ منهجاً، وتطبّقه في حياتك فيمنحك مناعة تحميك من المرض، فهو طبّ علاجيّ وطبّ وقائيّ في آنٍ واحد" قال الإمام الخطابي متحدثاً عن هذا الأثر النفسي للقرآن: (في إعجاز القرآن وجه آخر، ذهب عنه الناس، فلا يكاد يعرفه إلا الشاذ من آحادهم، وذلك صنيعه بالقلوب، وتأثيره في النفوس، فإنك لا تسمع كلاماً غير القرآن. منظوماً ولا منثوراً. إذا قرع السمع خلص له إلى القلب من اللذة والحلاوة في حال، ومن

(١) - في ظلال القرآن ج ٥ / ٣٣٩٩ ، سيد قطب ، دار الشروق بيروت - القاهرة ، ط ١٧ / ١٤١٢

(٢) - المرجع نفسه ج ٣ / ١٤٢١ ، مرجع سابق .

(٣) - المرجع نفسه ج ٥ / ٢٨٥

(٤) - توماس أرنولد ، الدعوة إلى الإسلام (بحث في تاريخ نشر العقيدة الإسلامية) ، ص ١٦٢ ، توماس أرنولد (١٨٦٤-١٩٣٠) : مستشرق إنجليزي التحق بكلية المحمدية في جامعة كامبردج عام ١٨٨٢م حيث اجتذبه الدراسات الشرقية، وبعد أن أنجز بنجاح دراسته أمضى السنة الرابعة عاكفاً على دراسة الإسلام، واختير لتدريس الفلسفة في كلية عليكرة الإسلامية في الهند، ف قضى فيها عشر سنوات، كان لها تأثير بالغ في نظره تجاه الإسلام، وكان يدعو إلى التوفيق بين الثقافة الإسلامية والفكر الأوربي، وتولى عدة مناصب، وقيل وفاته بعام دعته الجامعة المصرية (جامعة القاهرة الآن) أستاذاً زائراً. وبعد أن أمضى النصف الثاني من العالم الدراسي ١٩٢٩-١٩٣٠ في التدريس بقسم التاريخ عاد إلى لندن وتوفي فيها في ٣٠ يونيو ١٩٣٠، من مؤلفاته "الدعوة الإسلامية" و "الخلافة" وغيرها.

الروعة والمهابة في أخرى ما يخلص منه إليه، تستبشر به النفوس، وتشرح له الصدور، حتى إذا أخذت حظها منه، عادت إليه مرتاعة قد عراها الوجيب والقلق، وتغشاها الخوف والفرق، تقشعر منه الجلود، وتنزع له القلوب، يحول بين النفس ومضمراتها وعقائدها الراسخة فيها، فكم من عدو للرسول ﷺ من رجال العرب وفتاكها أقبلوا يريدون اغتياله وقتله، فسمعوا آيات من القرآن فلم يلبثوا حين وقعت في مسامعهم أن يتحولوا عن رأيهم الأول، وأن يركنوا إلى مسالمته، ويدخلوا في دينه، وصارت عدواتهم موالاة، وكفرهم إيماناً .

خرج عمر بن الخطاب يريد رسول الله ﷺ ويعمد إلى قتله، فسار إلى دار أخته وهي تقرأ (سورة طه)، فلما وقع في سمعه لم يلبث أن آمن . وبعث الملاء من قريش عتبة بن ربيعة إلى رسول الله ﷺ ليوقفوه على أمور أرسلوه بها، فقرأ عليه رسول الله ﷺ آيات من {حم السجدة} فلما أقبل عتبة وأبصره الملاء من قريش قالوا: أقبل أبو الوليد بغير الوجه الذي ذهب به. ولما قرأ رسول الله ﷺ القرآن في الموسم على النفر الذين حضروه من الأنصار آمنوا، وعادوا إلى المدينة فأظهروا الدين بها، فلم يبق بيت من بيوت الأنصار إلا وفيه قرآن. وقد روي عن بعضهم أنه قال: فتحت الأمصار بالسيوف، وفتحت المدينة بالقرآن . ولما سمعته الجن لم تتمالك أن قالت : { إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا \* يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ } [الجن: ١-٢] ، ومصداق ما وصفناه في أمر القرآن في قوله تعالى: { لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعاً متصدعاً من خشية الله } [الحشر: ٢١]، وقوله تعالى { :الله نزل أحسن الحديث كتاباً متشابهاً مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله } [الزمر: ٣٩] ، وغير ذلك في آي ذوات عدد منه، وذلك لمن ألقى السمع وهو شهيد، وهو من عظيم آياته، ودلائل معجزاته . (١)

أمر الله تعالى في كتابه الحرص على إسماع المشركين القرآن الكريم ليكون ذلك عوناً على دعوتهم للإسلام. قال ابن حجر : فلولا أن سماعه حجة عليه لم يقف أمره على سماعه ولا يكون حجة إلا وهو معجز (أ). كما ورد في كتب السيرة والتفسير والسنة عن لجوء رسول الله ﷺ لإعجاز القرآن التأثيري كوسيلة أساسية من أسس الدعوة للإسلام وظهور أثر هذه الوسيلة الفعال في كل من استعملت معه. إما قبولاً واعتناقاً للإسلام أو نفوراً وإعراضاً عنه أو إقراراً لإعجاز القرآن في حاله. إن تأثير القرآن الكريم في القلوب قد بلغ مبلغاً عظيماً لم يعرف قبله ولا بعده كلام قط، إذ تلحق قلوب سامعيه وأسماعهم روعة وخشية وتعريضهم هيبة وتهيمن عليهم عظمتهم، ونرى آثاره على الجاحدين أبلغ وأظهر، إذ يقترعهم عن ضلالهم ويقم عليهم حججاً لا معقب لها فيستثقلون سماعه ويتولون عنه بنفور مدبرين كما أخبر الله تعالى عنهم { ولقد صرفنا في هذا القرآن ليدركوا وما يزيدهم إلا نفوراً } [الإسراء: ٤١] وقال: { وإذا ذكرت ربك في القرآن وحده ولوا على أدبارهم نفوراً } [الإسراء: ٤٦:

وإن الإقرار بالعجز أمام اختيار آيات قرآنية معينة مؤثرة في النفس البشرية دون سواها من آيات القرآن الكريم أمر لا يعدّ نقصاً في البحث أو الباحث، فقد يتأثر بعضهم بآية تتحدث عن القدرة الإلهية في الكون

(١) - ثلاث رسائل في إعجاز القرآن - رسالة الخطابي / ٧٠ تحقيق محمد خلف الله أحمد - دار المعارف ط ٤، وانظر البيان في إعجاز القرآن صلاح الخالدي

/ ٣٥٠، دار عتار ط ٣ - ١٩٩٣ .

(٢) - الإتيان في علوم القرآن / ١١٧ للسيوطي ، مطبعة المشهد الحسيني - ط ٢ - ١٩٥١ .

والحياة وقد يتأثر الآخر بما ذكره الله في حياته من النعيم والجنان وما أعدّه الله للمؤمنين ويتأثر الثالث بآية تتحدّث عن النار والجحيم والسعير ويتأثر رابع بالحقائق التاريخية الصادقة وخامس يتأثر بالبلاغة المعجزة والكلمة الرقيقة وسادس يتأثر بالأسس الشرعيّة المحكمة في مجال الحكم والأسرة والمجتمع وغير ذلك.

وهكذا فالقرآن لا يترك نفساً إلا ويتحدّث معها عن ملكة من ملكاتها المتعدّدة، سواء أكانت فكرية عقلية أم وجدانية عاطفية أم سياسية أم عسكرية إلى غير ذلك، ويأخذ هذا التأثير أشكالاً متباينة أحياناً أو منسّقة أحياناً أخرى، فتأثر المشركين والكافرين غالباً نفوراً وإعراضاً، أو إلقاء للحجج الواهية التي يقصدون بها التعجيز لقارئه أو التّيل من النصّ القرآني نفسه كما نرى عند اليهود والمنافقين ومن شاكلهم.<sup>(١)</sup>

ولا ننسى أننا نقصد بالإعجاز: عدم قدرة الكافرين على معارضة القرآن وقصورهم عن الإتيان بمثله، رغم توفّر ملكيتهم البيانية وقيام الداعي على ذلك وهو استمرار تحدّيبهم وتقرير عجزهم عن ذلك، ثم استمرار هذا الضعف على تراخي الزمن وتقدّمه، فكأنّ العالم كلّ في العجز إنسان واحد ليس له غير مدّته المحدودة بالغة ما بلغت.<sup>(٢)</sup> أما الإعجاز التأثري للقرآن: فهو وجه من وجوه إعجاز القرآن الكريم، ويتمثّل فيما يتركه القرآن الكريم من أثر ظاهر أو باطن على سامعه أو قارئه ولا يستطيع هذا السامع أو القارئ مقاومته ودفعه ولا يقتصر ذلك على المؤمنين به. أو هو تأثير القرآن الكريم في النفس الإنسانية عندما تسمعه، وتفاعلها معه حتى لو كانت نفساً كافرة.<sup>(٣)</sup>

لا يوجد كتاب نزه الخالق وقدّسه وأمر بالتوحيد والتصديق بالرسول وتنزيههم عن كل نقيصة، والحث على الصالحات الباقيات مثل القرآن؛ منذ كانت الدنيا فالقرآن منسوخ بالتوحيد والنبوات والغيبيات والحكم والفقه والتشريع والآداب، كل هذا بحبكة لغوية ونسج لم تعهده العرب وكم من ملايين القناطير المقنطرة من الذهب والفضة دُفعت نحو القرآن، وإذهاب أثره عن القلوب، وتشيت أتباعه وتشويه مراده عبر الأزمان، طمعا أن يُفعل به ما فعل بالكُتب من قبله<sup>(٤)</sup>. فبقي رغم كل المحاولات رافعا أعلامه حافظا أحكامه. { إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ } [الأنفال: ٣٦] ، وإذا أُنعمت النظر في دين النصارى وجدت أن كل شرائعهم مبدلة محرفة محدثة، فلم يكن المسيح عليه السلام يعرف كنيسة فضلا عن أن يبينها فضلا عن أن يضع قوانينها، ولم يكن يعرف ناقوسا ولا صليبا ولا أسرا را ولا مطانيات- السجود للقساوسة-، ولا أيقونات- صور قديسين-، ولا مراتب كنسية ولا طقوس كهنوتية . وليس في الإنجيل الذي بين أيدي النصارى اليوم شيء من ذلك! فهي تشريعات ما أنزل الله بها من سلطان.

ولو انتقلت إلى التوراة لوجدت أن العمل بها صار من الصعوبة بمكان، حيث شدد اليهود على أنفسهم فما أطاقوا؛ وطقوس التطهر والنجاسة عندهم تحتاج إلى قرابين وانعزالية تامة عن الحياة! وقد تعلق أحكام

(١) - بحث قدم إلى مؤتمر كلية الشريعة السماع إعجاز القرآن الكريم ١٨-٢٠ رجب ١٤٢٦ هـ - ٢٣ - ٢٥ آب ٢٠٠٥ جامعة الزرقاء الأهلية الدكتور خالد

محمد الفضاة باسم الإعجاز التأثري للقرآن الكريم وهو منشور على <http://www.quran-m.com/?/quran/article/2487>

(٢) - إعجاز القرآن والبلاغة النبوية / مصطفى صادق الرافعي / ١٣٩، دار الكتاب العربي ط ٩ - ١٩٧٣، والبيان في إعجاز القرآن د. صلاح الخالدي / ٢٣/ مرجع سابق . وانظر إعجاز القرآن البياني ودلائل مصدره الربانيّ صفحة ١٧، للخالدي، دار عتار ط ٢ - ٢٠٠٤ .

(٣) - التعريفات - الجرجاني / ٩، مكتبة لبنان - ١٩٧٨، البيان في إعجاز القرآن - الخالدي / ٣٤١-٣٤٢ مرجع سابق .

(٤) - الفقرة من وحي كتاب: رسالة خاتم النبيين محمد صلى الله عليه وسلم، د. ثامر بن ناصر، مكتبة الرشد

التوراة بالهيكل السليماني والمذبح وقد خرب الهيكل ولا أحد يعرف له مكانا، وتهدم المذبح وزال أثرهما من الوجود وهذا برهان واضح على نسخ الشريعة. أما الهندوس الذين يتردون من الجبال ويحرقون الأجساد ويغرقون في الماء من أجل التطهر فلم يبتعدوا كثيرا عن طقوس اليهود، ولو أراد الله بعباده الهلكة للتطهر ما أذن لهم في صنعة لبوسٍ لتحصنهم من بأسهم. ولما أوجد لهم سراويل تقيهم الحر<sup>(١)</sup> ! "فليس في التوراة ولا الإنجيل مماثلا لمعاني القرآن: لا في الحقيقة. ولا في الكيفية. ولا الكمية. بل يظهر التفاوت لكل من تدبر القرآن وتدبر الكتب<sup>(٢)</sup>"، فالقرآن رسالة "اليسرى" للأمم؛ يقول تعالى {ونيسرك لليسرى} [الأعلى: ٨] أي: للشريعة السهلة وهي الإسلام. ولو انتقلت إلى معاني القرآن لوجدتها غير محدودة. وعلومه غير محصورة ولا معدودة.

فقد اتسع مجاله لكل فن: " فأنت تجد في كتاب الله أخبارا وأحكام ومواعظ وأمثال وأخلاق وآداب، وترغيب وترهيب ومدح الأخيار وذم الفجار، وتدبير السياسات ومجادلة الأخصام وإقامة الدلائل على أصول الاعتقاد وإزالة الريب، ووصف الغيب ووصف عوالم الأرض والسماوات، خارجا بكل ذلك في حسن نظمه عن كل أسلوب فلا هو من الأراجيز البدوية ولا القصائد العربية فكلما تكرر حلا، وسمعته من أي الأفواه غلا مع اقتران معانيه المتغايرة فينقلك من الوعد إلى الوعيد ومن ماضٍ إلى حاضرٍ ومستقبل، ومن حكم إلى جدل، فلا ينبو ولا يتنافر بل تتجانس معانيه في بنيةٍ نظميةٍ بديعة<sup>(٣)</sup> " فإعجاز القرآن ليس في بلاغته فقط كما يظن الملحدة. ولا في لفظه فقط. ولا في معانه فقط. بل إعجاز القرآن يشمل اللفظ والمعنى والبلاغة، وينتقل إلى العلوم والأحكام والتشريعات وتحليل النفس وسبر أغوارها وإشباع مرادها. وكما يقول ابن تيمية: "فالإعجاز في معناه أعظم وأكثر من الإعجاز في لفظه، وجميع عقلاء الأمم عاجزون عن الإتيان بمثل معانيه أعظم من عجز العرب عن الإتيان بمثل لفظه<sup>(٤)</sup>" وانظر إلى عبارته الأخيرة " وجميع عقلاء الأمم عاجزون عن الإتيان بمثل معانيه أعظم من عجز العرب عن الإتيان بمثل لفظه."

فالنظم البلاغي القرآني جاء جاء بأفصح الألفاظ. في أحسن نظوم التأليف. مضمنا أصح المعاني. فاللفظة الواحدة من القرآن لو أخذتها وأدرت لغة العرب كلها لتحصل على لفظةٍ أحسن منها ما استطعت ولو أردت أن تؤلف بكلماتٍ أخرى غير كلمات القرآن لتوازي حسن تأليفه وحبكته ورونقه لشهدت له بالنصر وعلى نفسك بالعجز. انظر إيجاز اللفظ مع دقة المعاني وكثرتها وتلاؤم الكلام في قوله تعالى: { وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْبَلِي وَغِيضَ الْمَاءِ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ } [هود: ٤٤] وانظر إلى الإيجاز القرآني المعجز في قوله تعالى { فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ } [الصفافات ١٠٣] ( فلما أسلما ) خضعا وانقادا لأمر الله تعالى ( وتله للجبين ) صرعه عليه ولكل إنسان جبينان بينهما الجبهة وكان ذلك بمعنى وأمر السكين على حلقه فلم تعمل شيئا يمانع من القدرة الإلهية هل تستطيع أن تأتي بهذا المعنى المطلوب بنفس هذا العدد من الكلمات في إطار حكمةٍ بلاغيةٍ لا تنبو عن سير الآيات قبلها وبعدها؟ ولو انتقلت عن لغة

(١) - الإعلام بمناقب الإسلام، أبو الحسن العامري، ص ١٣٩

(٢) - الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ٤٣٥/ ٥

(٣) - الدلائل العقلية للألوسي مخطوط

(٤) - الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ٤٣٤ / ٥

العرب وأردت أن تترجم كلمة مثل " أنلزمكموها " في قوله تعالى { قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَأَتَانِي رَحْمَةٌ مِنْ عِنْدِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمْوهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ } [هود: ٢٨] فأنت تترجمها بعد أن تتفكك ويخفت رونقها إلى سبع كلمات بالإنجليزية Shall we compel you to accept it وحبكة اللفظ القرآني واستيعابه للمعنى التام مما سارت بأمثاله الركيان. أنظر إلى كلمة " فأسقيناكموه " في قوله تعالى { وَأَرْسَلْنَا الرِّيحَ لَوَاقِحَ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ } [هود: ٢٢] لفظة واحدة بما حرف عطف ، وفعل وفاعل، ومفعول أول ومفعول ثانٍ. ولذا عندما سمع العرب الأفتاح كتاب الله عز وجل خطف أسماعهم بقوة تأثيره ورقاق بلاغته؛ فعن جبير بن مطعم عن أبيه حين سمع قوله تعالى { أَمْ خُلِيفُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ } (٣٥) أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُوقِنُونَ (٣٦) أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِرُ رَيْكٍ أَمْ هُمُ الْمُصَيِّرُونَ } [الطور: ٣٥] قال : كاد قلبي أن يطير! إن كل هذا ليقطع بأن الظاهرة القرآنية ما جاءت إلا لتحدى وتهدي وتصلح!

لم يزل القرآن يقرع المشركين البلغاء أشد التقرع، ويؤسف أحلامهم، ويذم آهتهم، ويتحداهم أن يأتوا بمثله أو بسورةٍ من مثله، وهم في كل هذا ناكصون عن معارضته، محجمون عن مماثلته. بل لقد قال الله عز وجل للمشركين: { لم تفعلوا ولن تفعلوا } [البقرة: ٢٤] فما فعلوا، ولا قدروا ومن تعاطى ذلك من سخفائهم كمسيلمه كُشف عواره لجميعهم، فقد ولوا عنه مدبرين وللإنسان أن يتساءل : كيف يجزؤ رجلٌ أن يتحدى أناس في جنس ما يحسنون ويبدعون، ثم يتركهم على مضى السنين وقد علاهم الوجيب والخزي والسكون؟ يقول د. عبد الله دراز : " ألم يكن يخشى الرسول بهذا التحدي أن يثير حميتهم الأدبية ؟ فيهبوا لمنافسته وهم جميعٌ حذرون؛ وماذا عساه يصنع لو أن جماعة من بلغائهم تعاقدوا على أن يضع أحدهم صيغة المعارضة، ثم يتناولها سائرهم بالإصلاح والتهذيب كما كانوا يصنعون في نقد الشعر ، فيكمل ثانيهم ما ناقصه أولهم، وهكذا. حتى يُخرجوا كلا ما إن لم ييزه فلا أقل من أن يساميه ولو في بعض نواحيه! ثم لو طوعت له نفسه أن يصدر هذا الحكم على أهل عصره فكيف يصدره على الأجيال القادمة إلى يوم القيامة، بل على الإنس والجن؟ إن هذه مغامرة لا يتقدم إليها رجلٌ يعرف قدر نفسه إلا وهو مالىءٌ يديه من تصارييف القضاء، وخبر السماء، وهكذا رماها بين أظهر العالم، فكانت هي القضاء المبرم، فلم يهجم بمعارضته إلا بآء بالعجز الواضح، والفشل الفاضح، على مر العصور والدهور(١)"

فتحدى القرآن أهل البيان في عباراتٍ محرجة، أن يأتوا بمثله أو بسورةٍ منه، فما فعلوا فلم يأت العرب جميعا ولا الأمم التي نُقل لها التحدي بشيء يستريح له الملحدة ويريجون به غيرهم! يقول الألويسي رحمه الله : " فلم ينطق أحد منهم إلى يومنا هذا ببنت شفاه ولا أعرب عن موصوفٍ أو صفة، وأظهر الكل العجز عن المعارضة في كل وقتٍ وحين، بل إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، وهو خير الوارثين! فكأن محمدا صلى الله عليه وسلم موجودٌ كل عصر بين أظهرنا والوحي غير منقطع منا، لأن دليل نبوته وحجته يُذكر الناس بصحة

(١) - راجع الشفا للقاضي عياض ١/ ٣٦٥ ، والنبأ العظيم للدكتور عبد الله دراز ص ٤٤-٤٥ .

نبوته في سائر الأقطار آناء الليل وأطراف النهار<sup>(١)</sup> " فقد رأى هؤلاء الذين يتحداهم القرآن أن تجميع الجيوش وتخريب الأحزاب لمحاربة رسول الله أهون وأيسر من معارضة القرآن وقبول التحدي فهذا بالغ جهدهم } وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا هَذَا الْقُرْآنَ وَالْعَوَّا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ } [فصلت: ٢٦]

### ثالثا: الطعن في القرآن ، وأسباب الاختلاف في فهمه ، والحكمة من المتشابه

كانت مهمة الرسول ﷺ أن يبين للمسلمين معاني كتاب الله، وأن يوضح ما غمض عليهم منها، وأن يصوب لهم بعض ما أخطأوا في فهمه، وأن يقدم لهم المعنى الصحيح لكلام الله سبحانه يقول الله: { وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ } [النحل: ٤٤] بل وردت آية تقصر مهمة الرسول عليه السلام بأنها بيان معاني كتاب الله للمسلمين، وتجعل الهدف من إنزال القرآن هو بيانه للناس: { وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ } [النحل: ٦٤]. ومن الطبيعي أن يفقه صحابة النبي القرآن وفق سليقتهم العربية لكن هنالك أحكام وقضايا لا تفهم فقط من ظاهر النص بل احتاجت للنبي لتبيينها وإيضاحها.

صوّب النبي للصحابة ما أخطأوا في فهمه لبعض آيات القرآن، ووضّح لهم ما التبس عليهم من معانيها، فكيف بغيرهم ممن ضعف لسانه عن فقه اللغة العربية وفقه روح القرآن وأساليبه ، ووقوع بعض الصحابة في أخطاء في فهم بعض الآيات، أو في بعض الأحكام التي تؤخذ منها، لم يكن عن سوء نية، أو خبث باعث، كما لم يكن لعدم تمتعهم بالشروط اللازمة للتعامل مع القرآن من علوم ومعارف وآداب، ولم يكن لانحرافهم عن جادة الصواب وطريق الحق ومواصفات طالب العلم. فقد توفر لهم ما ذكره العلماء من شروط وآداب وعلوم ومعارف.<sup>(٢)</sup>

هنالك فرقٌ بين خطأ في فهم بعض الآيات، صادرٍ عن مؤهلٍ للنظر فيها، متمتعٍ بالشروط اللازمة له كما حصل من بعض الصحابة، وبين خطأٍ صادرٍ عن غير المؤهلين لذلك، أو الذين نتج خطوهم عن سوء نيةٍ أو باعث، كما حصل من بعض المتطفلين على مائدة القرآن، أو الراغبين في تحريف معانيه من أهل هذا الزمان. ويلاحظ المتتبع للشبهات والطعونات وجدليات التنصير أنها تكررًا ممجوجاً - في الغالب لأباطيل قديمة أجاب عن معظمها الإمام الباقلاني (ت ٤٠٣هـ) في (اعجاز القرآن) وغيره ، والجاحظ في (الرد على ابن الراوندي الملحد)، و القاضي عبد الجبار في (تنزيه القرآن عن المطاعن) وابن قتيبة في (مشكل القرآن) والغزالي في (الرد الجميل) وغيرهم، بل أجاب عن بعضها النبي صلى الله عليه وسلم بنفسه قبل أن تلوكها الألسنة ، ومنها ما أجاب عنها ابن عباس وغيره من صحابة النبي ﷺ . فقد انبرى علماء الإسلام قديماً في

(١) - الدلائل العقلية للألوسي مخطوط

(٢) - تصويبات في فهم بعض الآيات ، د صلاح عبد الفتاح الخالدي ص ٣٣- ٣٤ ، الناشر : دار القلم دمشق ، ط١/١٩٨٧.

التصدي لهذه الأباطيل، وبرعوا في تفنيدها في كتبهم التي خصوها لبيان غريب القرآن وكشف مشكله، كما تعرض المفسرون لكثير من موارد سوء الفهم لآيات القرآن الكريم.

ليس القرآن من حيث تفسيره على درجة واحدة، وليست آياته على مستوى واحد في هذا المجال، وقد تكلم العلماء قديماً عن هذا. روى ابن جرير الطبري (١) في تفسيره عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: التفسير على أربعة أوجه: ١ - وجّه تعرفه العرب من كلامها... ٢ - تفسير لا يُعذر أحد بجهالته. ٣ - تفسير يعلمه العلماء... ٤ - تفسير لا يعلمه إلا الله تعالى.

وقد أعاد الإمام الطبري ترتيب أقسام القرآن من حيث تفسيره، وأشار إلى أنها على ثلاثة أوجه: ١ - قسم لا سبيل إلى الوصول إليه: وهو ما استأثر الله بعلمه، وهو ما سوف يأتي في آخر الزمان. مثل وقت خروج الدابة، ووقت طلوع الشمس من مغربها، ووقت نزول عيسى عليه السلام، ووقت قيام الساعة، وغير ذلك.

٢ - قسم خص الله نبيه عليه السلام بعلم تأويله، ووجب على الأمة جميعاً الأخذ بهذا التفسير النبوي الكريم، وذلك مثل بيانه العملي للمقصود من آيات الصلاة والصيام والزكاة والحج، وتوضيحه للصحابة ما خفي عليهم من معاني القرآن وأحكامه.

٣ - ما كان علمه عند أهل اللسان الذي نزل به القرآن، وهم العرب الفصحاء، وهو بيان معاني القرآن ووجوه إعرابه.

فإذا أدرك الناظر في القرآن هذه الأقسام، عرف ما يمكن أن يقوم به في فهم معاني القرآن، وما ترك من مجالات فسيحة شاسعة لتدبر آياته، وعرض مفاهيمه، والإشارة إلى معانيه ولطائفه وأحكامه ودلالاته، بحيث لو أمضى كل عمره في هذا، فلن يقف منه إلا على قليل لا يكاد يُذكر، فيبذل أقصى جهده وغاية وسعه. (٢) عن عبد الله بن عباس: أن رسول الله ﷺ قال: أنزل القرآن على أربعة أحرف: حلال وحرام لا يعذر أحد بالجهالة به، وتفسير تفسره العرب، وتفسير تفسره العلماء، ومتشابه لا يعلمه إلا الله تعالى ذكره. (٣)

## مبحث الطعن في القرآن

الطعن في القرآن: هو أحد مباحث علوم القرآن، التي تبحث في الرد على من طعن في كتاب الله، أو زعم تناقضه، أو إشكاله، والرد عليها بالأدلة الشرعية، والعقلية، والحسية. (٤) كما وهناك مصطلحات ترادف مصطلح الطعن، مثل: مختلف القرآن وسماه السيوطي في الإتقان "في مشكله وموهم الاختلاف والتناقض" ومنها: موهم الاضطراب ومن هذا كتاب دفع "إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب" لمحمد الأمين الشنقيطي. وهذا الاسم والذي قبله يتحدث عن نوع واحد من الطعون، وهو التناقض في الآيات، مع أن

(١) - تفسير الطبري ١ / ٧٣ - ٧٥، ط مؤسسة الرسالة تحقيق شاکر سنة ١٤٢٠/٢٠٠٠

(٢) - تصويبات للخالدي ص ٢١-٢٢. مرجع سابق

(٣) - تفسير الطبري ١ / ٧٦ تحقيق شاکر

(٤) - (البرهان في علوم القرآن للزركشي (٥٣/٢) دار احياء الكتب العربية عيسى الباني ط ١/ ١٩٥٧، والإتقان في علوم القرآن للسيوطي (٧٩/٣) الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط ١٩٧٩، باهر البرهان في معاني مشكلات القرآن لبيان الحق النيسابوري (١١٢/١) جامعة أم القرى - مكة المكرمة ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م، (رسالة علمية): سعاد بنت صالح بن سعيد بابقي .



وهذا مثال واضح لانتقاد القرآن من زمن الصحابة: (أخرج عبد بن حميد من طريق علي بن زيد، عن أبي الضحى، أن نافع بن الأزرق، وعطية أتيا ابن عباس فقالا: يا ابن عباس، أخبرنا عن قول الله تعالى { هذا يوم لا ينطقون } [المرسلات: ٣٥] وقوله: { ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون } [الزمر: ٣١] وقوله: { والله ربنا ما كنا مشركين } [الانعام: ٢٣] وقوله: { ولا يكتُمون الله حديثا } [النساء: ٤٢] . قال: ويحك يا ابن الأزرق، إنه يوم طويل وفيه مواقف، تأتي عليهم ساعة لا ينطقون، ثم يؤذن لهم فيختصمون، ثم يكون ما شاء الله يخلفون ويحجدون، فإذا فعلوا ذلك ختم الله على أفواههم، وتؤمر جوارحهم، فتشهد على أعمالهم بما صنعوا، ثم تنطق ألسنتهم فيشهدون على أنفسهم بما صنعوا، وذلك قوله: { ولا يكتُمون الله حديثا } [النساء: ٤٢] . وروى ابن مردويه من حديث عبد الله بن الصامت قال: قلت . لعبد الله بن عمرو بن العاص: رأيت قول الله { هذا يوم لا ينطقون } [المرسلات: ٣٥] ؟ فقال: إن يوم القيامة له حالات وتارات، في حال لا ينطقون وفي حال ينطقون (١) .

وعن سعيد بن جبير قال: قال رجل لابن عباس: إني أجد في القرآن أشياء تختلف علي؛ قال { فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون } [المؤمنون: ١٠١] وقال: { وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون } [الصفات: ٢٧] ، وقوله { ولا يكتُمون الله حديثا } [النساء: ٤٢] { والله ربنا ما كنا مشركين } [الانعام: ٢٣] فقد كتموا في هذه الآية؟ ، وقال: { ... أم السماء بناها } [النازعات: ٢٧] إلى قوله: ( ... دحاها ) [النازعات: ٣٠] فذكر خلق السماء قبل خلق الأرض ثم قال: { ... أنكم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين.... } [فصلت: ٩] إلى قوله: { طائعين } [فصلت: ١١] فذكر في هذه خلق الأرض قبل خلق السماء؟. وقال: { وكان الله غفورا رحيما } [الفتح: ١٤] { عزيزا حكيما } [الفتح: ١٩] { سميعا بصيرا } [النساء: ٥٨] فكأنه كان ثم مضى؟

فقال ابن عباس: { فلا أنساب بينهم } [المؤمنون: ١٠١] في النفخة الأولى، ثم ينفخ في الصور (.. فصعق من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله ... ) [الزمر: ٦٨] فلا أنساب بينهم عند ذلك ولا يتساءلون، ثم في النفخة الآخرة (أقبل بعضهم على بعض يتساءلون) . وأما قوله { ... ما كنا مشركين } [الانعام: ٢٣] { ولا يكتُمون الله حديثا } [النساء: ٤٢] فإن الله يغفر لأهل الإخلاص ذنوبهم، فقال المشركون: تعالوا نقل لم نكن مشركين، فختم على أفواههم، فتنتطق أيديهم، فعند ذلك عرف أن الله لا يكتُم حديثا، وعنده { يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين } [الحجر: ٢] . وخلق الأرض في يومين، ثم خلق السماء، ثم استوى إلى السماء فسواهن في يومين آخرين، ثم دحا الأرض؛ ودحوها أن أخرج منها الماء والمرعى، وخلق الجبال، والجمال، والأكام، وما بينهما في يومين آخرين، فذلك قوله: (دحاها) (وقوله: { خلق الأرض في يومين } [فصلت: ٩] فجعلت الأرض وما فيها من شيء في أربعة أيام، وخلقت السموات في يومين. { وكان الله غفورا رحيما } [الفرقان: ٧٠] سمى نفسه ذلك، وذلك قوله أي لم يزل كذلك، فإن الله لم يرد شيئا إلا أصاب به الذي أراد،

(١) - فتح الباري لابن حجر العسقلاني (٦٨٦/٨) . دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩، أخرجه محب الدين الخطيب، رتب أحاديثه محمد عبد الباقي.

فلا يختلف عليك القرآن، فإن كلا من عند الله . (١) وغير ذلك من الآثار، وكلما بعد العهد بعصر النبوة، كلما زادت الإشكالات والطعون في القرآن.

### أسباب الاختلاف في القرآن :

ونشير هنا إلى الأسباب التي كانت وراء ما سمي "موهم الإضطراب" أو "مشكل القرآن"، أو التي دفعت البعض إلى الخوض في قضايا تمس القرآن الكريم، قال الزركشي : وأما دعوى تناقض القرآن فإنها ترجع لخمس أسباب : الأول: وقوع المخبر به على أحوال مختلفة وتطويرات شتى:

كقوله تعالى في خلق آدم إنه {من تراب} {آل عمران: ٥٩} ، ومرة {من حمأ مسنون} {الحجر: ٢٦} ، ومرة {من طين لازب} {الصفات: ١١} ، ومرة {من صلصال كالفخار} {الرحمن: ١٤} ، وهذه الألفاظ مختلفة، ومعانيها في أحوال مختلفة؛ لأن الصلصال غير الحمأ، والحمأ غير التراب، إلا أن مرجعها كلها إلى جوهر، وهو التراب، ومن التراب تدرجت هذه الأحوال. ومنه قوله تعالى: {فإذا هي ثعبان مبين} {الشعراء: ٣٢} ، وفي موضع {تھتر كأنها جان} {القصص: ٣١} ، والجان الصغير من الحيات، والثعبان الكبير منها؛ وذلك لأن خلقها خلق الثعبان العظيم واهتزازها وحركاتها وخفتها كاهتزاز الجان وخفته.

### السبب الثاني: اختلاف الموضوع:

كقوله تعالى: {وقفوههم إنهم مسئولون} {الصفات: ٢٤} ، وقوله: {فلنسلن الذين أرسل إليهم ولنسلن المرسلين} {الأعراف: ٦} ، مع قوله: {فيومئذ لا يسأل عن ذنبه إنس ولا جان} {الرحمن: ٣٦} ؛ قال الحلبي : فتحمل الآية الأولى على السؤال عن التوحيد وتصديق الرسل، والثانية على ما يستلزم الإقرار بالنبوات من شرائع الدين وفروعه.

وحمله غيره على اختلاف الأماكن؛ لأن في القيامة مواقف كثيرة، فموضع يسأل ويناقش وموضع آخر يرحم ويلطف به، وموضع آخر يعنف ويوبخ وهم الكفار، وموضع آخر لا يعنف وهم المؤمنون.

وقوله: {ولا يكلمهم الله يوم القيامة} {البقرة: ١٧٤} ، مع قوله: {فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون} {الحجر: ٩٢-٩٣} وقيل: المنفي كلام التلطف والإكرام، والمثبت سؤال التوبيخ والإهانة، فلا تنافي، وقيل: إن المنفي كلامهم في النار، والمثبت كلامهم في الحساب.

وكقوله: {ثم لم تكن فتنتهم إلا أن قالوا والله ربنا ما كنا مشركين} {الأنعام: ٢٣} ، مع قوله: {ولا يكتُمون الله حديثا} {النساء: ٤٢} ، فإن الأولى تقتضي أنهم كتموا كفرهم السابق، والجواب من وجهين؛ أحدهما: أن للقيامة مواطن ففي بعضها يقع منهم الكذب، وفي بعضها لا يقع، كما سبق، والثاني: أن الكذب يكون بأقوالهم، والصدق يكون من جوارحهم، فيأمرها الله تعالى بالنطق فتتطرق بالصدق. ومنه قوله تعالى: {اتقوا الله حق تقاته} {آل عمران: ١٠٢} ، مع قوله: {فاتقوا الله ما استطعتم} {التغابن: ١٦} ، يحكى عن الشيخ

(١) - (أخرجه البخاري معلقا (كتاب تفسير القرآن، باب: سورة حم السجدة (فصلت))، وقال الحافظ ابن حجر كما في الفتح (٥٥٨/٨) : وصله الطبري وابن أبي حاتم بإسناد على شرط البخاري في الصحة . )

العارف أبي الحسن الشاذلي، رحمه الله، أنه جمع بينهما فحمل الآية الأولى على التوحيد، والثانية على الأعمال، والمقام يقتضي ذلك؛ لأنه قال بعد الأولى (ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون).

وقيل: بل الثانية ناسخة؛ قال ابن المنير: الظاهر أن قوله: (اتقوا الله حق تقاته) إنما نسخ حكمه لا فضله وأجره، وقد فسر النبي ﷺ حق تقاته بأن قال: «هو أن يطاع فلا يعصى ويذكر فلا ينسى ويشكر فلا يكفر». فقالتوا: أينما يطبق ذلك. فنزلت (فاتقوا الله ما استطعتم) وكان التكليف أولاً باستيعاب العمر بالعبادة بلا فترة ولا نعاس، كما كانت الصلاة خمسين ثم صارت بحسب الاستطاعة خمسا، والاعتدال منزل على هذا الاعتبار، ولم ينحط من درجاته، وقال الشيخ كمال الدين الزملكاني: وفي كون ذلك منسوخا نظرا، وقوله: (ما استطعتم) هو (حق تقاته) إذ به أمر فإن (حق تقاته) الوقوف على أمره ودينه، وقد قال بذلك كثير من العلماء اهـ. والحديث الذي ذكره ابن المنير في تفسيره (حق تقاته) لم يثبت مرفوعا، بل هو من كلام ابن مسعود رواه النسائي، وليس فيه قول الصحابة: أينما يطبق ذلك، ونزول قوله تعالى: (فاتقوا الله ما استطعتم).

ومنه قوله تعالى: {فإن خفتن ألا تعدلوا فواحدة} [النساء: ٣] مع قوله في أواخر السورة: {ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم} [النساء: ١٢٩] فالأولى تفهم إمكان العدل، والثانية تنفيها؛ والجواب أن المراد بالعدل في الأولى العدل بين الأزواج في توفية حقوقهن، وهذا ممكن الوقوع وعدمه، والمراد به في الثانية الميل القلبي؛ فالإنسان لا يملك ميل قلبه إلى بعض زوجاته دون بعض، وقد كان يقسم بين نسائه ثم يقول: "اللهم هذا قسمي في ما أملك، فلا تؤاخذني بما لا أملك". يعني ميل القلب، وكان عمر يقول: اللهم قلبي فلا أملكه، وأما ما سوى ذلك فأرجو أن أعدل.

ويمكن أن يكون المراد بالعدل في الثانية العدل التام؛ أشار إليه ابن عطية، وقد يحتاج الاختلاف إلى تقدير، فيرتفع به الإشكال كقوله تعالى: {لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير أولي الضرر والمجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدین درجة وكلا وعد الله الحسنى} [النساء: ٩٥] ثم قال سبحانه: (وفضل الله المجاهدين على القاعدین أجرا عظيما (والأصل في الأولى: وفضل الله المجاهدين على القاعدین من أولي الضرر درجة، والأصل في الثانية: وفضل الله المجاهدين على القاعدین من الأصحاء درجات. وكقوله تعالى: {إن الله لا يأمر بالفحشاء} [الأعراف: ٢٨] مع قوله: {أمرنا مترفيها ففسقوا فيها} [الإسراء: ١٦]، والمعنى أمرناهم وملكناهم وأردنا منهم الصلاح فأفسدوا، والمراد بالأمر في الأولى أنه لا يأمر به شرعا ولكن قضاء؛ لاستحالة أن يجري في ملكه مالا يريد، وفرق بين الأمر الكوني والديني.

### الثالث: الاختلاف في جهتي الفعل:

كقوله تعالى: {فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم} [الأنفال: ١٧]؛ أضيف القتل إليهم على جهة الكسب والمباشرة، ونفاه عنهم باعتبار التأثير؛ ولهذا قال الجمهور: إن الأفعال مخلوقة لله تعالى، مكتسبة للآدميين، فنفي الفعل بإحدى الجهتين لا يعارضه إثباته بالجهة الأخرى. وكذا قوله: {وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى} [الأنفال: ١٧] أي ما رميت خلقا إذ رميت كسبا. وقيل: إن الرمي يشتمل على القبض والإرسال وهما بكسب الرامي، وعلى التبليغ والإصابة وهما بفعل الله عز وجل؛ قال ابن جرير الطبري: وهي الدليل على أن الله خالق

لأفعال العباد؛ فإن الله تعالى أضافه إلى نبيه ثم نفاه عنه، وذلك فعل واحد؛ لأنه من الله تعالى التوصيل إليهم ومن نبيه بالحذف والإرسال، وإذا ثبت هذا لزم مثله في سائر أفعال العباد المكتسبة، فمن الله تعالى الإنشاء والإيجاد، ومن الخلق الاكتساب بالقوى. ومثله قوله تعالى: {الرجال قوامون على النساء} [النساء: ٣٤] وقال تعالى: {وقوموا لله قانتين} [البقرة: ٢٣٨] فقيام الانتصاب لا ينافي القيام بالأمر لاختلاف جهتي الفعل.

#### الرابع: الاختلاف في الحقيقة والمجاز:

كقوله: {وترى الناس سكارى وما هم بسكارى} [الحج: ٢] {ويأتيه الموت من كل مكان وما هو بميت} [إبراهيم: ١٧] وهو يرجع لقول المناطقة: الاختلاف بالإضافة. أي وترى الناس سكارى بالإضافة إلى أهوال القيامة مجازاً، وما هم بسكارى بالإضافة إلى الخمر حقيقة.

ومثله في الاعتبارين قوله تعالى: {آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين} [البقرة: ٨] وقوله: {ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون} [الأنفال: ٢١] ، وقوله تعالى: {وتراهم ينظرون إليك وهم لا يبصرون} [الأعراف: ١٩٨] ، فإنه لا يلزم من نفي النظر نفي الإبصار، لجواز قولهم: نظرت إليه فلم أبعصره.

#### الخامس: بوجهين واعتبارين:

وهو الجامع للمفترقات، كقوله: {فبصرك اليوم حديد} [ق: ٢٢] وقال: {خاشعين من الذل ينظرون من طرف خفي} [الشورى: ٤٥] ، قال قطرب: (فبصرك) أي علمك ومعرفتك بما قوية، من قولهم: بصر بكذا وكذا. أي علم، وليس المراد رؤية العين، قال الفارسي: ويدل على ذلك قوله: (فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم الحديد) وصف البصر بالحدة.

وكقوله تعالى: {وقال الملأ من قوم فرعون أتذر موسى وقومه ليفسدوا في الأرض ويذرك وآهتك} [الأعراف: ١٢٧] مع قوله: {أنا ربكم الأعلى} [النازعات: ٢٤] ؛ فقيل: يجوز أن يكون معناه: ويذرك وآهتك إن ساغ لهم، ويكون إضافة الآلهة إليه ملكا كان يعبد في دين قومه، ثم يدعوهم إلى أن يكون هو الأعلى، كما تقول العرب موالي من فوق وموالي من أسفل، فيكون اعتقادهم في الآلهة مع فرعون أنها مملوكة له، فيحسن قولهم: (وآهتك) ((١)) ، وقوله تعالى: {الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله} [الرعد: ٢٨] مع قوله: {إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم} [الأنفال: ٢] فقد يظن أن الوجع خلاف الطمأنينة؛ وجوابه أن الطمأنينة إنما تكون بانسراح الصدر بمعرفة التوحيد، والوجع يكون عند خوف الزيغ والذهاب عن الهدى، فتوجل القلوب لذلك، وقد جمع بينهما في قوله: {تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله} [الزمر: ٢٣] فإن هؤلاء قد سكنت نفوسهم إلى معتقدتهم، ووثقوا به، فانتفى عنهم الشك. وكقوله: {خمسين ألف سنة} [المعارج: ٤] وفي موضع {ألف سنة} [السجدة: ٥] ، وأجيب بأنه باعتبار حال المؤمن والكافر بدليل {وكان يوماً على الكافرين عسيراً} [الفرقان: ٢٦] . وكقوله: {بألف من الملائكة مردفين} [الأنفال: ٩] وفي آية أخرى {بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين} [آل عمران: ١٢٤] ، قيل: إن الألف أردفهم بثلاثة آلاف، وكان الأكثر مدداً للأقل، وكان الألف (مردفين) بفتحها ... (١).

(١) - البرهان للزركشي (٦٤-٧٤) بتصرف واختصار. مرجع سابق .

فالأَسباب هي : وقوع المخبر به على أحوال مختلفة وتطويرات شتى. ٢- اختلاف الموضوع. ٣- اختلافهما في جهتي الفعل. ٤- اختلافهما في الحقيقة والمجاز. ٥- الاختلاف لوجهين واعتبارين. وذكر صاحب كشف الأسرار أن من أسباب الاختلاف في القرآن:

- ١- (الغموض في المعنى) أي الإشكال إنما يقع لغموض في المعنى ، ومن نظائره قوله تعالى: (فأتوا حرثكم أنى شئتم )، اشتباه معناه على السامع أنه بمعنى كيف أو بمعنى أين، فعرف بعد الطلب والتأمل أنه بمعنى كيف، بقرينة الحرث وبدلالة حرمة القربان في الأذى العارض ، وهو الحيض ففي الأذى اللازم أولى.
- ٢- (والاستعارة البديعة) وأما نظير الاستعارة البديعة، فقوله تعالى: (قوارير من فضة ) ، فالقوارير لا يكون من الفضة، وما كان من الفضة لا يكون قوارير، ولكن للفضة صفة كمال، وهي نفاسة جوهره وبياض لونه، وصفة نقصان وهي أنها لا تصفو ولا تشف وللقارورة صفة كمال أيضا، وهي الصفاء والشفيف، وصفة نقصان ، وهي حساسة الجوهر، فعرف بعد التأمل أن المراد من كل واحد صفة كماله، وأن معناه أنها مخلوقة من فضة ، وهي مع بياض الفضة في صفاء القوارير وشفيفها . وقوله جل ذكره (فأذاقها الله لباس الجوع والخوف )، فاللباس لا يذاق ولكنه يشمل الظاهر، ولا أثر له في الباطن، والإذاقة أثرها في الباطن ولا شمول لها، فاستعيرت الإذاقة لما يصل من أثر الضرر إلى الباطن واللباس بالشمول، فكأنه قيل: فأذاقهم ما غشيهم من الجوع والخوف. أي أثرهما واصل إلى بواطنهم مع كونه شاملا لهم. (١)

### ما الحكمة من وجود المتشابه في القرآن؟

" أن القرآن إنما أنزل للهدى والبيان فكيف اشتمل على المتشابه ؟" لم كان في القرآن متشابه لا يعلمه إلا الله والراسخون في العلم؟ ولم لم يكن كله محكما يستوي في فهمه جميع الناس، وهو قد نزل هاديا والمتشابه يحول دون الهداية بما يوقع اللبس في العقائد. ويفتح باب الفتنة لأهل التأويل؟ فقد طعن في القرآن لاشتماله على المتشابهات، وقالوا إن تكاليف الخلق مرتبطة بهذا القرآن إلى قيام الساعة، ثم إننا نراه بحيث يتمسك به كل صاحب مذهب على مذهبه. وقد تكلم في الجواب كثير من العلماء، ونحاضوا في حكمة إنزال المتشابه . منها :

- ١- أن المشتبهات ليست في الأمور المطلوبة من المكلف العمل بها، وإنما هي في بعض الأمور العقدية التي يطالب فيها المكلف بالتفويض والتسليم لله تعالى فيها، ويقول: (آمنا به كل من عند ربنا ). وأن الآيات المحكمات هن أم الكتاب وأصله

- ٢- أن القرآن إذا كان مشتملا على المتشابه، افتقر إلى العلم بطريق التأويلات، وترجيح بعضها على بعض، وافتقر في تعلم ذلك إلى تحصيل علوم كثيرة من علم اللغة والنحو والمعاني والبيان وأصول الفقه، ولو لم يكن الأمر كذلك لم يحتج إلى تحصيل هذه العلوم الكثيرة، فكان، في إيراد المتشابه هذه الفوائد الكثيرة. . . (٢)

- ٣- جعل الله المتشابه في القرآن حافزا لعقل المؤمن إلى النظر كيلا يضعف فيموت فإن السهل الجلي جدا لا عمل للعقل فيه ، والدين أعز شيء على الإنسان، فإذا لم يجد فيه مجالا للبحث يموت فيه، وإذا مات فيه لا

(١) - (كشف الأسرار لعبد العزيز البخاري الحنفي (١/٥٤)) دار الكتاب الإسلامي، بيروت. د. عبد المحسن المطيري ، الطعن في القرآن الكريم والرد على

الطاعين في القرن الرابع عشر الهجري ، ص ٩٨ .

(٢) - تفسير الرازي "مفاتيح الغيب" ٧ / ١٤١ - ١٤٢ ، دار احياء التراث العربي بيروت ط٣/ ١٤٢٠ ، و الإقتان في علوم القرآن للسيوطي ٣١/٢ . مرجع سابق

يكون حيا بغيره، فالعقل شيء واحد إذا قوي في شيء قوي في كل شيء، وإذا ضعف ضعف في كل شيء ولذلك قال: والراسخون في العلم ولم يقل: والراسخون في الدين؛ لأن العلم أعم وأشمل، فمن رحمته - تعالى - أن جعل في الدين مجالا لبحث العقل بما أودع فيه من المتشابه، فهو يبحث أولا في تمييز المتشابه من غيره وذلك يستلزم البحث في الأدلة الكونية والبراهين العقلية وطرق الخطاب ووجوه الدلالة ليصل إلى فهمه ويهتدي إلى تأويله. وهذا الوجه لا يأتي إلا على قول من عطف والراسخون على لفظ الجلالة، وليكن كذلك. (١)

٤- إن الأنبياء بعثوا إلى جميع الأصناف من عامة الناس وخاصتهم سواء كانت بعثتهم لأقوامهم خاصة كالأنبياء السالفين - عليهم السلام - أو لجميع البشر كنبينا ﷺ، فإذا كانت الدعوة إلى الدين موجهة إلى العالم والجاهل والذكي والبليد والمرأة والخادم، وكان من المعاني ما لا يمكن التعبير عنه بعبارة تكشف عن حقيقته وتشرح كنهه بحيث يفهمه كل مخاطب عاميا كان أو خاصيا، ألا يكون في ذلك من المعاني العالية والحكم الدقيقة ما يفهمه الخاصة ولو بطريق الكناية

والتعريض ويؤمر العامة بتفويض الأمر فيه إلى الله - تعالى -، والوقوف عند حد المحكم، فيكون لكل نصيبه على قدر استعداده. مثال ذلك: إطلاق لفظ كلمة الله وروح من الله على عيسى، فالخاصة يفهمون من هذا ما لا يفهمه العامة؛ ولذلك فتن النصارى بمثل هذا التعبير إذ لم يقفوا عند حد المحكم وهو التنزيه واستحالة أن يكون لله جنس أو أم أو ولد، والمحكم عندنا في هذا قوله - تعالى - : إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم [٣: ٥٩] وسيأتي في هذه السورة. وأقول: وعندهم مثل قول المسيح في إنجيل يوحنا " [ (١٧: ٣) ] وهذه هي الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي وحدك ويسوع المسيح الذي أرسلته ".

ومن المتشابه ما يحتمل معاني متعددة وينطبق على حالات مختلفة لو أخذ منها أي معنى وحمل على أية حالة لصح، ويوجد هذا النوع في كلام جميع الأنبياء وهو على حد قوله - تعالى - : وإنا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين [٣٤: ٢٤] ومنه إبهام القرآن لمواقيت الصلاة لحكمة، وقد بين النبي - صلى الله عليه وسلم - ذلك في بلاد العرب المعتدلة بالأوقات الخمسة للصلوات الخمس، وما كانت العرب تعلم أن في الدنيا بلادا لا يمكن تحديد هذه المواقيت فيها، كالبلاد التي تشرق فيها الشمس نحو ساعتين لا يزيد نهار أهلها على ذلك، أشار القرآن إلى مواقيت الصلاة بقوله: فسبحان الله حين تمشون وحين تصبحون وله الحمد في السماوات والأرض وعشيا وحين تظهرون [٣٠: ١٧، ١٨] وسبب هذا الإبهام أن القرآن دين عام لا خاص ببلاد العرب ونحوها، فوجب أن يسهل الاهتداء به حيثما بلغ، ومثل هذا الإجمال والإبهام في مواقيت الصلاة يجعل لعقول الراسخين في العلم وسيلة للمراوحة فيه واستخراج الأحكام منه في كل مكان بحسبه. فأينما ظهرت الحقيقة وجدت لها حكما في القرآن، وهذا النوع من المتشابه من أجل نعم الله - تعالى - ولا سبيل إلى الاعتراض على اشتمال الكتاب عليه.

٥- أنه لو كان القرآن كله محكما، لما كان مطابقا إلا للمذهب واحد، وكان بصريجه مبطلا لكل ما سوى ذلك المذهب، وذلك مما ينفر أرباب سائر المذاهب عن قبوله، وعن النظر فيه والانتفاع به، فإذا كان مشتملا على

المحكم والمتشابه، طمع صاحب كل مذهب أن يجد فيه ما يؤيد مذهبه، وينصر مقالته، فينظر فيه جميع أرباب المذاهب، ويجتهد في التأمل فيه صاحب كل مذهب، وإذا بالغوا في ذلك صارت المحكمات مفسرة للمتشابهات، وبهذه الطرق يتخلص المبطل من باطله ويتوصل إلى الحق. (١)

٦- إن في إنزال المتشابه إظهارا لفضل العلماء وتفاضلهم فيما بينهم، وفيه أيضا تعريضهم لمزيد من المشقة والصعوبة في معرفة الحق منها، فيعظم أجرهم، ويرتفع عند الله شأنهم. أيضا فإنه يدعوهم لتحصيل علوم كثيرة، نيظ بها استنباط ما أريد بالمتشابه من الأحكام

الحققة، فتتسع بذلك علومهم. وأيضا فإنه يدرّب العلماء على استنباط المعاني الدقيقة، فتقوى بذلك بصائرهم، ولو أنزل القرآن كله محكما، لاستوى في معرفته العالم والجاهل، ولم يكن في استنباط ما فيه مشقة توجب عظيم المثوبة (٢) وقال الرازي: أنه يوجب المشقة في الوصول إلى المراد، وزيادة المشقة توجب مزيد الثواب

٧- أن الله أنزله مختبرا به عباده؛ فأما المؤمن فلا يداخله فيه شك ولا يعتريه ريب، وهو بين أمرين، إما قادر على رده إلى المحكم، وإما قائل: آمنا به كل من عند ربنا. إن لم يتبين له معناه، فأمره كله خير، وتعظم بذلك مثوبته، وتزيد عند الله درجته. وأما المنافق فيرتاب ولا يزيده القرآن إلا خسارا، وأما من كان في قلبه زيغ - كأهل البدع -، فيتبعون المتشابه؛ ليفتنوا الناس عن القرآن وصحيح السنة وينزلوه على مقتضى بدعتهم.

وسياق الآية وما بعدها دال على أن هذا من حكمة إنزال المتشابه؛ إذ قال تعالى: (وأخر متشابهات فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر إلا أولوا الألباب ربنا لا ترغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب ( [آل عمران: ٧-٨] ). فالمؤمنون رغبوا إلى ربهم أن لا يزيغ قلوبهم كما زاغت قلوب أهل الزيغ، إذ هو - أي المتشابه - فتنة للعقول والقلوب، وسألوا أن ينزل عليهم رحمة يربط بها على قلوبهم وعقولهم فلا تزيغ، وفي هذا الإشارة إلى أن أهل الزيغ والبدعة محرومون من بركة هذا الدعاء، كل بحسب بدعته، وبعده عن السنة (٣).

## أنواع المطاعن في القرآن الكريم

الطاعنون في القرآن كثر، ومطاعنهم وشبهاتهم كثيرة، وحصرها قد يعيي الباحث، يمكننا أن نرجعها إلى أصول وقواعد تلملم شعث هذه الطعون، والرد على هذه الأصول يتكفل بالرد على جميع ما تحته من طعونات لا تعد ولا تحصر ويمكننا أن نرد المطاعن إلى أربعة أصول يتفرع من بعضها فروع؛ وهي:

١- نفى نسبة القرآن لله تعالى: ويشمل عدة طعون:

- إما نسبته إلى النبي (صلى الله عليه وسلم) وأنه من تأليفه

(١) - تفسير الرازي "مفاتيح الغيب" ٧/ ١٤١-١٤٢. دعاوى الطاعنين في القرآن الكريم في القرن الرابع عشر الهجري والرد عليها ص ٧٧-٨٦ بتصرف

(٢) - (تفسير أبي السعود (٨/٢) دار احياء التراث العربي، الخازن (٢/٢٢٦) دار الكتب العلمية- بيروت طبعة سنة ١٤١٥، تفسير أبي الليث السمرقندي (١٩٤/١) بدون بيانات طبعة الشاملة، تفسير النسفي (١/٢٣٧) دار الكلم الطيب بيروت طبعة ١٩٩٨، تفسير البيضاوي (٦/٢) دار حياء التراث العربي بيروت الطبعة الاولى ١٤١٨، تفسير القرطبي (١٠/٤) دار الكتب المصرية القاهرة، الطبعة الثانية ١٩٦٤ .

(٣) - تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (١/٤٦-٤٧، ١٢٢) طبعة مؤسسة الرسالة سنة ٢٠٠٠، و دعاوى الطاعنين في القرآن الكريم في القرن الرابع عشر الهجري والرد عليها ص ٧٧-٨٦، مرجع سابق

-أو نسبته إلى الاقتباس من الكتب السابقة كالنوراة والإنجيل .  
-و دعوى عدم قدسيته وإمكانية نقده ومخالفته : يعني قد يقر بأنه ليس من النبي ﷺ وأنه من الله تعالى، ولكن يقول هو ليس مقدسا، بل يمكن نقده، وهذا الكلام حقيقته نفي القرآن عن الله تعالى؛ لأن ما كان من الله سبحانه فهو مقدس ولا يمكن نقده، وما كان من غيره فينطبق عليه ما يجري على كلام البشر من خطأ أو عجز أو جهل، إلى غير ذلك من نقائص البشر.

٢- زعم عدم حفظه:

يعني قد يقر بأن القرآن من الله جل جلاله، ولكن يزعم عدم حفظه فيدعي: - أنه ليس هو القرآن الذي أنزل على محمد ﷺ، بل قد غير وبدل، وأما الأصل فلا وجود له .  
- أنه زيد فيه ونقص؛ يعني قد يقر بأن القرآن الموجود هو الكتاب الذي نزل من الله، ولكن يقول إنه زيد فيه أو نقص منه.

٣- اتهام القرآن بالتناقض: تناقض الآيات بعضها مع بعض .

٤- اتهام القرآن بمعارضة الحقائق: معارضة الحقائق الشرعية، ومعارضة الحقائق التاريخية . - معارضة الحقائق الكونية، أو حقائق العلم التجريبي الحديث (١).

والملاحظ في هذه الطعون هو التدرج فيها، فكلما انتفت شبهة انتقلوا إلى التي تليها. ولو علم المسلمون هذه الشبه الأربع والرد عليها لما حصل ما نراه الآن من تأثر كثير من المسلمين بها، بل والاعتقاد فيها أو التسليم بها. والمطاعن من حيث صراحتها تنقسم إلى نوعين:

١- طعون واضحة وصريحة، وهذا هو الغالب في طعون المستشرقين.

٢- طعون غامضة وملتوية وغير مباشرة، وهذا الغالب في طعون العلمانيين.(٢)

(١) - رد مفتريات على الإسلام، لعبد الجليل شلبي، دار القلم، الكويت، الطبعة الأولى، ١٩٨٢، ومدخل إلى علم التفسير لأستاذنا الدكتور بلتاجي، مكتبة الشباب، ١٩٩٨،

(٢) - دعاوى الطاعنين في القرآن الكريم في القرن الرابع عشر الهجري والرد عليها ص ٨٨-٨٩، مرجع سابق

## الفصل الأول

### هل تغير النص القرآني في عصر الصحابة الكرام وما بعدهم؟<sup>(١)</sup>

#### رسم وجمع القرآن الكريم في كتاب يجمع القراءات

**تمهيد :** نقل القرآن الكريم إلينا بحفظ الجموع عن الجموع في كل عصر، ويحفظه اليوم الملايين من المسلمين في أصقاع الأرض، ليحقق القرآن وصف الله له بقوله في الحديث القدسي: «ومنزل عليك كتابا لا يغسله الماء (محفوظ بالصدر)؛ تقرؤه نائما ويقظان»<sup>(٢)</sup>. يقول ابن الجزري: "الاعتماد في نقل القرآن على حفظ القلوب والصدور، لا على حفظ المصحف والكتب، وهذه أشرف خصيصة من الله تعالى لهذه الأمة .. فأخبر تعالى أن القرآن لا يحتاج في حفظه إلى صحيفة تغسل بالماء، بل يقرؤه في كل حال، كما جاء في صفة أمته: «أناجيلهم في صدورهم»<sup>(٣)</sup>.

وهكذا كان الإقبال على القرآن دأب الأمة المسلمة منذ الرعيل الأول وإلى يومنا هذا؛ حيث نشهد ملايين الحفاظ في أقطار الدنيا، يقرؤونه غضا كما أنزل على محمد؛ على اختلاف ألوانهم ولغاتهم وأجناسهم؛ ليحققوا موعود الله عز وجل بحفظ كتابه {إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون} [الحجر: ٩]. لقد حفظ القرآن كما نزل بلسان العرب، ولم يكن ذلك الحفظ مخصوصا بالعرب دون غيرهم من المسلمين، فمئات الألوف ممن يحفظونه اليوم ليسوا من أهل العربية، بل لربما حفظه من لا يكاد يعرف شيئا عن لغة العرب ومعاني ألفاظها، فيقرؤه بلسان عربي مبين، كما يقرؤه العربي سواء بسواء.

إن هذه الأعجوبة القرآنية لا مثيل لها عند أمة من الأمم، ومن أراد أن يقف على عظمتها فليجرب حفظ قصيدة كتبت بلغة يجهلها، وسوف يشهد معنا أن حفظ الجموع الكاثرة من الأعاجم للقرآن برهان ساطع على أنه من عند الله، فقد يسر الله تلاوة كتابه على الناس، بحيث يقرؤه الصغير والكبير، والعالم والجاهل {ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر} [القمر: ١٧]، فهذا التيسير لا يكون إلا لعظمة تعجز عن بلوغها قوى البشر، وتكل دونها قدراتهم.

إن تعاهد النبي أصحابه في حفظ القرآن لا يوازيه شيء إلا عنايته بالتوثيق الكتابي للنص القرآني، فقد كان النبي يتعاهد ذلك بنفسه، والصحابة يكتبون بين يديه ما ينزل من الوحي، يقول عثمان: كان النبي إذا نزلت عليه الآيات يدعو بعض من كان يكتب له، ويقول له: «ضع هذه الآية في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا»<sup>(٤)</sup>. ولا يبطئهم عن ذلك ولا يثقلهم كثرة آيات المقدار المنزل، فقد سارعوا إلى كتابة سورة الأنعام حين نزولها، مع أنها من أطول سور القرآن، وأنها مكية نزلت زمن الاضطهاد، يقول ابن عباس: (نزلت جملة واحدة،

(١) - راجع مناهل العرفان في علوم القرآن للزرقاني (١/ ٢٣٩- ٢٦٣) الناشر: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه الطبعة الثالثة، وهذا البحث أكثره عن كتاب تنزيه القرآن عن مطاعن الرهبان، د. منقذ السقار ص ٣٢-٣٩-٩٩-١١٥ الناشر: رابطة العالم الإسلامي .

(٢) - أخرجه مسلم ح (٢٨٦٥).

(٣) - النشر في القراءات العشر، ابن الجزري (١/ ٦)، والحديث أخرجه الطبراني في معجمه الكبير ح (٩٩٠٣)، والبيهقي في دلائل النبوة ح (٣٤٣).

(٤) - أخرجه أبو داود ح (٧٨٦)، والترمذي ح (٣٠٨٦)، واللفظ لأبي داود.

نزلت ليلاً، وكتبوها من ليلتهم) (١). وفي قصة إسلام عمر بن الخطاب وهو من السابقين إلى الإسلام ما يشير إلى وجود كتابة للمصحف بين يدي الصحابة الذين كانوا يقرؤون في بيت فاطمة بنت الخطاب، وكان حباب بن الأرت يقرئهم القرآن في صحيفة (٢).

أولى النبي المكتوب بين يديه اهتماماً بالغاً، إذ كان يستوثق من دقة المكتوب بين يديه، يقول زيد بن ثابت: كنت أكتب الوحي عند رسول الله وهو يملي علي، فإذا فرغت، قال: «اقرأ»، فأقرأه، فإن كان فيه سقط أقامه (٣). وخوفاً من تداخل المكتوب من القرآن مع غيره من كلام النبي أمر النبي أن: «لا تكتبوا عني، ومن كتب عني غير القرآن فليمحه» (٤). ولحق النبي بالرفيق الأعلى قبل أن يجمع هذا المكتوب بين يديه في مصحف واحد، كما نقل إلينا كاتب الوحي زيد بن ثابت بقوله: (قبض النبي، ولم يكن القرآن جمع في شيء) (٥). وبعد وفاة النبي بدأت حروب المرتدين، وكان أشدها معركة اليمامة التي قتل فيها قرابة الألف من أصحاب النبي، وكثير منهم من القراء وحفظة القرآن، فاقترح عمر بن الخطاب على الخليفة أبي بكر الصديق جمع القرآن في مصحف واحد، خشية ضياعه بوفاة المزيد من القراء، ووافق الخليفة على المقترح بعد طول تردد، وانتدب لجنة للقيام بذلك العمل العظيم برئاسة كاتب الوحي وحافظه الشاب زيد بن ثابت وإشراف عمر بن الخطاب. يقول زيد: فقمتم ففتبعت القرآن أجمعه من الرقاع والأكتاف والعسب وصدور الرجال، حتى وجدت من سورة التوبة آيتين مع خزيمة الأنصاري لم أجدهما مع أحد غيره: {لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم} [التوبة: ١٢٨] إلى آخرهما. وكانت الصحف التي جمع فيها القرآن عند أبي بكر حتى توفاه الله، ثم عند عمر حتى توفاه الله، ثم عند حفصة بنت عمر (٦). وتبين لنا رواية ابن أبي داود المنهج الذي اتبعه زيد في الجمع، إذ لم يعتمد محفوظاته ومحفوظات الصحابة، بل بحث عن المكتوب بين يدي النبي واشترط لقبوله أن يوثق بشهادة شاهدين يشهدان بكتابته من إماء النبي، يقول يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب: قام عمر بن الخطاب في الناس فقال: (من كان تلقى من رسول الله شيئاً من القرآن فليأتنا به، وكانوا كتبوا ذلك في الصحف والألواح والعسب، وكان لا يقبل من أحد شيئاً حتى يشهد شهيدان) (٧). قال أبو شامة المقدسي: (8) - <http://www.khayma.com/sharii/ch2/004.htm> ) وكان غرضهم ألا يكتب إلا من عين ما كتب بين يدي النبي، لا من مجرد الحفظ) (٨). وهكذا أكملت اللجنة عملها بجمع ما كتب بين يدي النبي موثقاً بشهادة شاهدين على الأقل، يشهدان أنه كتب بين يدي النبي.

### فهل نقل شيء من القرآن بطريق الآحاد؟

ويرد على هذا الجمع شبهة، وهي قول بعضهم: القرآن لم ينقل كله بالتواتر، بدليل أن زيد بن ثابت لم يجد خاتمة سورة براءة إلا مع خزيمة الأنصاري، وهو صحابي واحد، إذ يقول زيد: (فتبعت القرآن أجمعه من

(١) - ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (١/٣)، والقاسمي في محاسن التأويل (٦/٤٤٦).

(٢) - أخرجه البزار ح (٢٧٩).

(٣) - أخرجه الطبراني في الأوسط ح (١٩٨٥)، قال الهيثمي: "أخرجه الطبراني بإسنادين، ورجال أحدهما ثقات". جمع الزوائد (٨/٢٥٧).

(٤) - أخرجه مسلم ح (٣٠٠٤).

(٥) - أخرجه الدبر عاقولي بإسناده إلى زيد بن حارثة في فوائده، كما نقل ذلك السيوطي في الإتقان في علوم القرآن (١/١٦٤).

(٦) - أخرجه البخاري ح (٤٦٧٩).

(٧) - أخرجه ابن أبي داود في كتابه المصاحف ح (٣٣).

(٨) - انظر: الإتقان في علوم القرآن، السيوطي (١/١٦٧)، وضع الباري، ابن حجر (٩/١٥).

الرقاع والأكتاف والعسب وصدور الرجال حتى وجدت من سورة التوبة آيتين مع خزيمة الأنصاري لم أحدهما مع أحد غيره {لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم} إلى آخرهما (١). والجواب:

سبق الحديث عن حفظ الصحابة على عهد رسول الله لسور القرآن كلها، ومنها آيات سورة براءة، التي سأل زيد الصحابة عنها، فلم يعرفها أحد ممن سألهم إلا خزيمة الأنصاري (٢)، أي لم يجدها مكتوبة إلا عنده، فأثبتها في مصحف أبي بكر، ويدل عليه قول زيد: (نسخت الصحف في المصاحف ففقدت آية من سورة الأحزاب كنت أسمع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقرأ بها؛ فلم أحدها إلا مع خزيمة بن ثابت الأنصاري) (٣).

قال الزرقاني في بيان معنى قول زيد: "لم يجد الآيتين اللتين هما ختام سورة التوبة مكتوبتين عند أحد إلا عند أبي خزيمة، فالذي انفرد به أبو خزيمة [أو خزيمة] هو كتابتهما، لا حفظهما، وليس الكتابة شرطاً في المتواتر، بل المشروط فيه أن يرويه جمع يؤمن تواطؤهم على الكذب ولو لم يكتبه واحد منهم، فكتابة أبي خزيمة الأنصاري كانت توثيقاً واحتياطاً فوق ما يطلبه التواتر" (٤). واستدل لذلك بما روي عن الصحابة من حفظهم لهاتين الآيتين، أولهم زيد نفسه، فهو يعرف الآية، لكنه يبحث عن عرفها من أصحاب النبي - صلى الله عليه وسلم -، كما فعل في سائر آيات القرآن، لذلك يقول زيد - كما في رواية البخاري -: (فقدت آية من الأحزاب حين نسخنا المصحف كنت أسمع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقرأ بها، فالتمسناها، فوجدناها مع خزيمة بن ثابت الأنصاري)، فزيد يعرف الآية ويبحث عن عرفها من الصحابة (٥).

وكذلك فإن أبي بن كعب يحفظ هاتين الآيتين، ففي تفسير ابن أبي حاتم أن أبا قال للصحابة لما ظنوا أن آخر ما نزل قوله: {ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم}، فقال: (إن النبي أقرأني بعد هذا آيتين: {لقد جاءكم رسول من أنفسكم} إلى قوله: {لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم}) (٦). وكذلك يحفظهما عمر - رضي الله عنه -، ففي مسند أحمد أنه - رضي الله عنه - قال: (وأنا أشهد لسمعتهما من رسول الله) (٧).

وكذلك يحفظهما عثمان، ففي كتاب المصاحف أن عثمان - رضي الله عنه - قال: (وأنا أشهد أنهما من عند الله) (٨). وكذلك سمع ابن عباس رضي الله عنهما هذه الآية وتفسيرها من رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، فيقول: سمعت النبي - صلى الله عليه وسلم - قرأ: {لقد جاءكم رسول من أنفسكم} يعني من أعظمكم قدراً (٩). وقد جاء في روايات لا تخلو من ضعف عن أبي بن كعب - رضي الله عنه - أن قلة من شهد لهاتين الآيتين سببه أنهما آخر ما نزل من القرآن (١٠). وهكذا فإن الآيتين محفوظتان بحفظ الصحابة لهما، وإن لم توجدا مكتوبتين إلا عند خزيمة، لكن يحفظهما الصحابة حفظة القرآن، كما يحفظها زيد وعمر وعثمان وأبي، وغيرهم ممن لا يعرف عددهم إلا الله تعالى.

(١) - أخرجه البخاري ح (٤٦٧٩).

(٢) - وسمته بعض الروايات (أبو خزيمة).

(٣) - أخرجه البخاري ح (٢٨٠٧).

(٤) - مناهل العرفان، الزرقاني (٩٨/١).

(٥) - أخرجه البخاري ح (٤٠٤٩).

(٦) - أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٩١٩/٦)، وابن أبي داود في المصاحف ح (٩٧)، وابن ضهير في فضائل القرآن ح (٢٦).

(٧) - أخرجه أحمد ح (١٧١٧)، وفي إسناده محمد بن إسحاق، وهو مدلس.

(٨) - أخرجه ابن أبي داود في كتابه المصاحف ح (٣٣).

(٩) - أخرجه الحاكم في مستدركه (٢٦٢/٢).

(١٠) - أخرجه الحاكم في مستدركه (٣٦٨/٢).

وفي عهد عثمان الخليفة الثالث للنبي قدم حذيفة بن اليمان إلى الخليفة يشكو اختلاف المسلمين في القراءة بسبب جهل الكثيرين بالحكمة من الأحرف السبعة والإذن بالقراءة بها، لأن الله نزل القرآن بها جميعاً، فجعل بعضهم يقول: إن حرفه أصح من حرف غيره، وحصل بينهم مراء في الأحرف، وهي كلها قرآن منزل من الله، سهل الله بها القراءة على الناس الذين لم يعتادوا على لغة قريش، يقول حذيفة: (يا أمير المؤمنين، أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى) (١).

فاستشار عثمان أصحاب النبي في إعادة نسخ القرآن وفق لغة قريش التي نزل بها القرآن أول مرة، فوافقوه في ذلك، يقول علي بن أبي طالب: إن عثمان قال: (فقد بلغني أن بعضهم يقول: إن قراءتي خير من قراءتك، وهذا يكاد أن يكون كفراً. قلنا: فماذا ترى؟ قال: نرى أن نجتمع الناس على مصحف واحد، فلا تكون فرقة، ولا يكون اختلاف. قلنا: فنعم ما رأيت) (٢). وكون عثمان لجنة عمادها أربعة من حفاظ القرآن، ثم أضاف إليها ما جعل أعضائها اثني عشر من أصحاب النبي - صلى الله عليه وسلم -، يقول كثير بن أفلح: (لما أراد عثمان أن يكتب المصاحف جمع له اثني عشر رجلاً من قريش والأنصار، فيهم أبي بن كعب وزيد بن ثابت) (٣).

وبدأت اللجنة بنسخ مصحف أبي بكر وكتابته وفق لسان قريش، يقول حذيفة: (فأرسل عثمان إلى حفصة: أن أرسلني إلينا بالمصحف؛ ننسخها في المصاحف، ثم نردها إليك، فأرسلت بها حفصة إلى عثمان، فأمر زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام، فنسخوها في المصاحف، وقال عثمان للرهط القرشيين الثلاثة: إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش؛ فإنما نزل بلسانهم) (٤). وفي رواية الترمذي أن الكتبة اختلفوا في كيفية كتابة كلمة واحدة فقط، يقول حذيفة: (فاختلفوا في "التابوت" و"التابوه"، فقال القرشيون بالأول، وقال زيد بالثاني، فرفعوا اختلافهم إلى عثمان، فقال: اكتبوه بالتابوت، فإنه نزل بلسان قريش) (٥). وتكامل الجمع العثماني بإجماع من أصحاب النبي، وأمر عثمان بإرسال نسخ من المصحف المجموع إلى الأمصار، كما أمر من كان عنده شيء من صحف القرآن أن يحرقها، يقول حذيفة: (حتى إذا نسخوا الصحف في المصاحف؛ رد عثمان الصحف إلى حفصة، وأرسل إلى كل أفق بمصحف مما نسخوا، وأمر بما سواه من القرآن في كل صحيفة أو مصحف أن يحرق) (٦). ففعل الصحابة وامتثلوا ذلك، واتفقوا على صحة صنيع عثمان، يقول الخليفة علي بن أبي طالب: (يا أيها الناس، لا تغلوا في عثمان، ولا تقولوا له إلا خيراً في المصاحف وإحراق المصاحف، فوالله ما فعل الذي فعل في المصاحف إلا عن مأل منا جميعاً، والله لو وليت لفعلت مثل الذي فعل) (٧).

(١) - أخرجه البخاري ح (٤٩٨٨).

(٢) - أخرجه ابن أبي داود في كتاب المصاحف ح (٧٧)، وصحح إسناده ابن حجر في الفتح (١٨/٩).

(٣) - أخرجه أبو بكر بن أبي داود في كتاب المصاحف ح (٨٨).

(٤) - أخرجه البخاري ح (٣٥٠٦).

(٥) - أخرجه الترمذي ح (٣١٠٤).

(٦) - أخرجه البخاري ح (٤٩٨٨).

(٧) - أخرجه أبو بكر ابن أبي داود في كتابه المصاحف ح (٧٧)، وابن شبة في تاريخ المدينة المنورة (٩٩٦/٣).

وامتثال الصحابة وفعلهم إقرار لعثمان على صحة جمعه وإعادة نسخ مصحف أبي بكر، ولو كان في فعله شائبة لثاروا عليه، ومن المعلوم أن عثمان لم يأمر عماله بمتابعة الناس في بيوتهم ومعرفة من أحرق ومن لم يحرق، فقد فعل المسلمون ذلك بمحض إرادتهم واختيارهم. وهكذا وثق النص القرآني كتابة، فاجتمع ذلك إلى توثيقه بحفظ الحفاظ من أصحاب النبي، وتناقلت الأمة في أجيالها نص القرآن الكريم، يحفظه الألوف منهم في كل عصر، ويولونه من العناية ما لا مثيل له في أمة من الأمم.

## أولاً: اختلاف مصاحف الصحابة (١)

قالوا: اختلفت مصاحف الصحابة في الصدر الأول مما استدعى من الخليفة الثالث عثمان أن يقول

بإحراق هذه المصاحف وأن يجمع الصحابة على مصحفه.

الجواب: تحدثنا فيما سبق عن جمع عثمان للمصاحف، وتبين لنا في حينه أن أبا بكر الصديق جمع القرآن في دفتي كتاب بعد أن جمع كل ما عند الصحابة مما كتبه بين يدي النبي - صلى الله عليه وسلم -، وأن عثمان أراد جمع الصحابة على حرف قريش الذي نزل القرآن به، وأنه بدأ بمصحف الجمع البكري، فأرسل إلى أم المؤمنين حفصة والتي كانت تحتفظ بمصحف أبي بكر: (أن أرسلني إلينا بالمصحف؛ ننسخها في المصاحف، ثم نردها إليك)، فقد أعاد عثمان نسخ صحف أبي بكر التي جمعت من المكتوب بين يدي النبي - صلى الله عليه وسلم -، وقد استوثق له وانعقد له إجماع الصحابة.

فإن وجد في مصاحف بعض الصحابة خلاف المصحف المجمع عليه، فهذا يعود إلى خطأ في نسخته، ونسخته ليست أثبت من النسخة التي أجمع عليها الصحابة، إذ قد يفوت الأحاد ما لا يفوت الجمع، كما أن في نسخ آحادهم بعض ما نزل على النبي - صلى الله عليه وسلم - قبل العرضة الأخيرة للوحي في أواخر حياة النبي ففيها ما نسخت تلاوته، كما قد يقع في نسخ آحاد الصحابة نقص بعض سوره أو زيادة الناسخ - في نسخته - شرح كلمة وسواها، فيخشى أن يظن من يأتي بعد ناسخها أنها من القرآن.

وتكامل المصحف العثماني وفق المنهجية التي ذكرنا تفاصيلها قبل، وأجمع أصحاب النبي على القراءة بهذا المصحف، وأمر عثمان بإرسال نسخ منه إلى الأمصار، وأمر من كان عنده شيء من صحف القرآن أن يحرقها، يقول حذيفة: (حتى إذا نسخوا الصحف [صحف الجمع البكري] في المصاحف؛ رد عثمان الصحف إلى حفصة، وأرسل إلى كل أرق بمصحف مما نسخوا، وأمر بما سواه من القرآن في كل صحيفة أو مصحف أن يحرق) (٢) ففعل الصحابة وامتثلوا ذلك، واتفقوا على صحة صنيع عثمان، يقول علي: (يا أيها الناس، لا تغلوا في عثمان، ولا تقولوا له إلا خيراً في المصاحف وإحراق المصاحف، فوالله ما فعل الذي فعل في المصاحف إلا عن ملاء منا جميعاً، والله لو وليت لفعلت مثل الذي فعل) (٣)، ويقول مصعب بن سعد: (أدركت الناس حين شقق عثمان المصاحف، فأعجبهم ذلك، أو قال: لم يعجب ذلك أحد) (٤).

(١) - راجع الزرقاني مناهل القرآن في علوم القرآن ١ / (٢٦٣-٣٢٠) وخصوصاً بحث (خط منيع من خطوط الدفاع عن القرآن)، وتنبيه القرآن عن مطاعن الرهبان ص ٩٩-١١٥.

(٢) - أخرجه البخاري ح (٤٩٨٨).

(٣) - أخرجه أبو بكر ابن أبي داود في كتابه المصاحف ح (٧٧)، وابن شبة في تاريخ المدينة المنورة (٣/٩٩٦).

(٤) - أخرجه البخاري في خلق أفعال العباد ح (١٦١)، والقاسم بن سلام في فضائل القرآن ح (٤٦٠).

وأما ما نقل عن اعتراض ابن مسعود وقوله: (يا معشر المسلمين، أعزل عن نسخ كتابة المصحف ويتولاها رجل [يقصد زيد بن ثابت]، والله لقد أسلمت وإنه لفي صلب رجل كافر) (١)، فهو اعتراض شخصي الصبغة، لا يتضمن اعتراضاً منه على وثوقية الجمع أو منهجيته، ولا على أمانة زيد بن ثابت أو قدرته، لكنه يعتب على الصحابة رضوان الله عليهم أنهم أسندوها إلى شاب صغير، ولم يسندوها إليه وهو الذي تعلم القرآن قبل ولادة زيد، وقد لقي اعتراضه كراهية في صدور كبار الصحابة الذين رأوا في اختيار زيد الاختيار الأمثل والأفضل، يقول الزهري في تمام الرواية معلقاً على اعتراض ابن مسعود: فبلغني أن ذلك كرهه من مقالة ابن مسعود رجال من أفاضل أصحاب النبي. وهكذا اجتمعت الأمة على القراءة بالمصحف الذي كتبه عثمان واتفق الصحابة عليه، وما زال المسلمون في كل عصر يطبعون القرآن وفق رسمه.

## ثانياً: اختلاف الصدر الأول في قراءة بعض آيات القرآن الكريم

قالوا: اختلف الناس في قراءتهم لبعض آيات القرآن على عهد الخليفة الثالث عثمان بن عفان، فجاء حذيفة بن اليمان إليه فقال: (يا أمير المؤمنين أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى) (٢)، مما استدعى من الخليفة الثالث جمعهم على قراءة واحدة، فاختلافهم قبل جمع عثمان دليل على تدخل البشر في النص القرآني.

الجواب: نزل القرآن الكريم أول ما نزل في مجتمع قريش في مكة حاضرة العرب، فأقرأ النبي أصحابه المكيين القرآن الكريم، فكان سهلاً وميسوراً عليهم قراءته، فهم أفصح العرب بيانا. ثم بعد هجرة النبي إلى المدينة المنورة دخلت قبائل العرب في الإسلام فصعب عليهم قراءة القرآن وفق لهجة قريش، فبعض حروفها غير مألوف في كلامهم، كما ثمة كلمات عربية قرآنية لم تكن شائعة في لهجاتهم، ونظراً لكون عامة العرب أميين يصعب عليهم التحول عن مألوف لهجاتهم إلى لهجة قريش؛ وبخاصة كبار السن والأطفال فقد سأل النبي الله عز وجل أن يخفف عن أمته بإقراء الناس القرآن على حروف سبعة، فعن أبي بن كعب أن جبريل لقي رسول الله وهو عند غدير لبني غفار، فقال: «إن الله يأمرك أن تقرئ أمتك القرآن على حرف. فقال: أسأل الله معافاته ومغفرته، وإن أمتي لا تطيق ذلك. ثم أتاه الثانية، فقال: إن الله يأمرك أن تقرئ أمتك القرآن على حرفين. فقال: أسأل الله معافاته ومغفرته، وإن أمتي لا تطيق ذلك. ثم جاءه الثالثة، فقال: إن الله يأمرك أن تقرئ أمتك القرآن على ثلاثة أحرف. فقال: أسأل الله معافاته ومغفرته، وإن أمتي لا تطيق ذلك. ثم جاءه الرابعة، فقال: إن الله يأمرك أن تقرئ أمتك القرآن على سبعة أحرف، فأبما حرف قرؤوا عليه فقد أصابوا» (٣). وفي رواية أنه قال: «يا جبريل إني بعثت إلى أمة أميين، منهم العجوز والشيخ الكبير والغلام والجارية، والرجل الذي لم يقرأ كتاباً قط. قال: يا محمد، إن القرآن أنزل على سبعة أحرف» (٤)، فهذه الأحرف السبعة رخصة وتيسير من الله، وقد نزل القرآن بها جميعاً، وليست اجتهاداً نبوياً.

(١) - أخرجه الترمذي ح (٣١٠٤).

(٢) - أخرجه البخاري ح (٤٩٨٨).

(٣) - أخرجه مسلم ح (٨٢١).

(٤) - أخرجه الترمذي ح (٢٩٤٤).

وقد فسر لنا أصحاب النبي هذه الحروف، كما روي عن أبي بكر أن جبريل أذن للنبي بالقراءة على سبعة أحرف، وقال له: «كل شاف كاف، ما لم تختم آية عذاب برحمة، أو آية رحمة بعذاب، نحو قولك: تعال وأقبل، وهلم واذهب، وأسرع واعجل» (١). وقد قرأ أصحاب النبي بهذه الوجوه التي يسر الله بها عليهم، وأقرؤوا الناس بها، حتى ذريت على قراءته ألسنتهم وسهل عليهم حفظه وقراءته في الصلوات والخلوات. وقد التبس على بعض الصحابة على عهد النبي اختلاف بعض الكلمات أو طريقة نطقها أو وجوه الإعراب فيها بسبب تعدد الأحرف، فتولى رفع الخلاف بينهم، وبين لهم أن جميع هذه الأحرف من وحي الله، يقول عمر بن الخطاب: سمعت هشام بن حكيم بن حزام يقرأ سورة الفرقان في حياة رسول الله، فاستمعت لقراءته، فإذا هو يقرأ على حروف كثيرة لم يقرئها رسول الله، فكادت أساوره في الصلاة، فتصبرت حتى سلم، فلببته بردائه، فقلت: من أقرأك هذه السورة التي سمعتك تقرأ؟ قال: أقرأنيها رسول الله، فقلت: كذبت، فإن رسول الله قد أقرأنيها على غير ما قرأت. فانطلقت به أقوده إلى رسول الله، فقلت: إني سمعت هذا يقرأ بسورة الفرقان على حروف لم يقرئها، فقال رسول الله: «أرسله. اقرأ يا هشام». فقرأ عليه القراءة التي سمعته يقرأ، فقال رسول الله: «كذلك أنزلت». ثم قال: اقرأ يا عمر، فقرأت القراءة التي أقرأني، فقال رسول الله: «كذلك أنزلت. إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف، فاقروا ما تيسر منه» (٢).

فالقرآن نزل بتلك الحروف التي قرأ بها عمر وبتلك التي قرأ بها هشام، واختلافهما ليس مردد الخطأ والنسيان، بل تسهيل الله على هذه الأمة الأمية قراءة كتابها. ومثل هذا الموقف وقع لأبي بن كعب حين دخل المسجد فسمع رجلا يصلي ويقرأ قراءة أنكروها أبي عليه، ثم دخل آخر فقرأ قراءة سوى قراءة صاحبه، فالتبس الأمر على أبي، فدخل معهما إلى النبي، فقرؤوا بين يديه، فحسن النبي شأنهما. يقول أبي: فسقط في نفسي من التكذيب ولا إذ كنت في الجاهلية. فلما رأى رسول الله ما قد غشيني ضرب في صدري، ففضت عرقا وكأنا أنظر إلى الله عز وجل فرقا، فقال لي: «يا أبي أرسل إلي أن أقرأ القرآن على حرف. فرددت إليه أن هون على أمتي، فرد إلي الثانية: اقرأه على حرفين. فرددت إليه أن هون على أمتي. فرد إلي الثالثة اقرأه على سبعة أحرف» (٣)، ففهم أبي بن كعب حينذاك أن القرآن تنزل بهذه الحروف، وأن الخلاف بين الصحابة في بعض حروفه هو رخصة من الله أعطاهها الله لنبيه تخفيفا عليهم ورحمة بهم، ولذلك كان يقرأ بهذه الحروف بعد اجتماع الصحابة على لغة قريش وحرف القرآن الذي تنزل به أول مرة، وكان يقول: (لا أدع شيئا سمعته من رسول الله) (٤).

لقد فهم الصحابة حكمة تعدد الأحرف وما تقتضيه هذه الرخصة من تنوع؛ اقتضاه تنوع لهجات القبائل العربية واختلاف طريقة نطق كل قبيلة لبعض الحروف العربية عن غيرها من القبائل، فلم يعب بعضهم على بعض قراءته، إذ علموا أن كل ذلك من عند الله. لكن الأمر لم يكن كذلك في عهد عثمان الخليفة الثالث للنبي، حيث دخل في الإسلام العرب والعجم، ممن لم يفقه الأحرف السبعة، وأن الله نزل القرآن بها جميعا تسهيلا

(١) - أخرجه أحمد ح (١٩٩٢).

(٢) - أخرجه البخاري ح (٤٩٩٢)، ومسلم ح (٨١٨).

(٣) - أخرجه مسلم ح (٨٢٠).

(٤) - أخرجه البخاري ح (٤٤٨١).

ورحمة بالأمة، فجعل بعضهم يخطئ الآخرين في قراءتهم، ويرى أن حرفه أصح من حرف غيره، وحصل بينهم مراء، فجاء حذيفة بن اليمان إلى الخليفة عثمان بن عفان - رضي الله عنه - يشكو تنافر المسلمين بسبب اختلافهم في الحروف التي سمعوها من النبي، فقال: "يا أمير المؤمنين أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى" (١). فاستشار عثمان أصحاب النبي في إعادة نسخ القرآن في مصحف واحد جامع: (نرى أن نجتمع الناس على مصحف واحد، فلا تكون فرقة، ولا يكون اختلاف. قلنا: فنعم ما رأيت) (٢). وقد أسقط الجمع العثماني من الأحرف السبعة ما تعارض مع الرسم العثماني، فقد قال عثمان للجنة الكتابة: (إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش؛ فإنما نزل بلسانهم) (٣)، وليس في ذلك إهمال لبعض نص القرآن، بل عود لأصل تنزله على حرف واحد، فقد عاد الصحابة للأصل الأول الذي نزل به القرآن، وهو لسان قريش بعد أن زال سبب التخفيف والرخصة التي أنزل الله من أجلها بقية الأحرف. والذي دعا الصحابة إلى هذا الصنيع خوفهم من تفرق الأمة واختلافها بسبب هذه الرخصة التي فات محلها، ووقوع الناس لجهلهم بحكمتها في المراء الذي حذر رسول الله منه، قال ابن الجزري: "وذهب جماهير العلماء من السلف والخلف وأئمة المسلمين إلى أن هذه المصاحف العثمانية مشتملة على ما يحتمله رسمها من الأحرف السبعة فقط جامعة للعرضة الأخيرة التي عرضها النبي على جبرائيل عليه السلام متضمنة لها لم تترك حرفا منها.. وهذا القول هو الذي يظهر صوابه لأن الأحاديث الصحيحة والآثار المشهورة المستفيضة تدل عليه وتشهد له" (٤). وهكذا اجتمع المسلمون منذ الصدر الأول على القراءة بالقرآن الذي بين أيدينا، فنقل عن الصحابة بطرق لا تحصى لكثرتهم، نقل منها ابن الجزري في النشر ٩٨٠ طريقا (٥)، وهي في كل ذلك لا تختلف عن بعضها في شيء من آيات أو كلمات القرآن الكريم.

### ثالثاً: تعدد قراءات القرآن يدل على الاختلاف فيه وهو نوع من التحريف

**مقدمة:** القراءات: جمع قراءة، وقراءات القرآن مصطلح خاص لا يراد به المعنى اللغوي المطلق، الذي يفهم من اطلاع أي قارئ على أي مكتوب، بل لها في علوم القرآن معنى خاص من إضافة كلمة قراءة أو قراءات للقرآن الكريم، إضافة "قراءة" أو "قراءات" إلى القرآن تخصص معنى القراءة أو القراءات من ذلك المعنى اللغوي العام، فالمعنى اللغوي العام يطلق ويراد منه قراءة أي مكتوب، سواء كان صحيفة أو كتاباً، أو حتى القرآن نفسه إذا قرأه قارئ من المصحف أو تلاه بلسانه من ذاكرته الحافظة لما يقرؤه من القرآن ومنه قول الفقهاء: القراءة في الركعتين الأولىين من المغرب والعشاء تكون جهراً، فإن أسرَّ فيهما المصلي فقد ترك سنة من سنن الصلاة، ويسجد لهما سجود السهو إن أسر ساهياً. فقراءة القرآن هنا معنى لغوي عام، لا ينطبق عليه ما نحن فيه الآن من مصطلح: قراءات القرآن.

(١) - أخرجه البخاري ح (٤٩٨٨).

(٢) - أخرجه ابن أبي داود في كتاب المصاحف ح (٧٧)، وصححه إسناد ابن حجر في الفتح (١٨/٩).

(٣) - أخرجه البخاري ح (٣٥٠٦).

(٤) - النشر في القراءات العشر (١/٣١ - ٣٢)، وانظر: تفسير الطبري (١/٥٨ - ٥٩).

(٥) - انظر: النشر في القراءات العشر، ابن الجزري (١/١٩٠).

وقد وضع العلماء تعريفًا للقراءات القرآنية يحدد المراد منها تحديدًا دقيقًا. فقالوا في تعريفها:

" اختلاف ألفاظ الوحي في الحروف أو كيفيتها من تخفيف وتشديد وغيرها (١) .

وعرفوها : " القراءات هي النطق بألفاظ القرآن كما نطقها النبي صلى الله عليه وسلم (٢) " و مما تجب ملاحظته أن القراءات القرآنية وحي من عند الله عز وجل، فهي إذن قرآن .

**ولنضرب لذلك بعض الأمثلة:**

**قوله تعالى: { لقد جاءكم رسول من أنفسكم }** [التوبة: ١٢٨] . هذه قراءة حفص عن عاصم، أو القراءة العامة التي كتبت المصحف في خلافة عثمان بن عفان رضی الله عنه عليها، والشاهد في الآية كلمة "أنفُسِكُمْ" بضم الفاء وكسر السين، وهي جمع: "نفس" بسكون الفاء، ومعناها: لقد جاءكم رسول ليس غريبًا عليكم تعرفونه كما تعرفون أنفسكم لأنه منكم نسبًا ومولدًا ونشأة، وبيئة، ولغة، وقرأ غير عاصم: " لقد جاءكم رسول من أنْفُسِكُمْ " بفتح الفاء وكسر السين، ومعناها: لقد جاءكم رسول من أزكاكم وأطهركم ، و " أنْفَس " هنا أفعل تفضيل من النفاسة. فكلمة " أنفسكم " كما ترى قرئت على وجهين من حيث النطق. وهذا هو معنى القراءة والقراءات القرآنية.

مع ملاحظة مهمة ينبغي أن نستحضرها في أذهاننا ونحن نتصدى فيما يأتي للرد على الشبهة التي سيوردها خصوم القرآن من مدخل: تعدد قراءات القرآن أن هذه القراءات لا تشمل كل كلمات القرآن، بل لها كلمات في الآية دون كلمات الآية الأخرى، وقد رأينا في الآية السابقة أن كلمات الآية لم تشملها القراءات، بل كانت في كلمة واحدة هي " أنفسكم "، وهذا هو شأن القراءات في جميع القرآن، كما ينبغي أن نستحضر دائمًا أن كثيرًا من الآيات خلت من تعدد القراءات خللًا تامًا.

**ومثال آخر، قوله تعالى: { مالك يوم الدين } والشاهد في الآية كلمة " مالك "، وفيها قراءتان:**

" مالك " اسم فاعل من " مَلِكٌ " وهي قراءة حفص وآخرين. " مَلِكٌ " صفة لاسم فاعل، وهي قراءة: نافع وآخرين، ومعنى الأولى " مالك " القاضي المتصرف في شئون يوم الدين، وهو يوم القيامة، أما معنى " مَلِكٌ " فهو أعم من معنى " مالك " أي من بيده الأمر والنهي ومقاليد كل شيء. ما ظهر منها وما خفى، وكلا المعنيين لائق بالله تعالى، وهما مدح لله عز وجل، ولما كانت هذه الكلمة تحتل القراءتين كتبت في الرسم هكذا " ملك " بحذف الألف بعد حرف الميم، مع وضع شرطة صغيرة رأسية بين الميم واللام، ليصلح رسمها للنطق بالقراءتين.

**ومثال ثالث هو قوله تعالى: { يوم يُكشَفُ عن ساق } [القلم: ٤٢] . والشاهد في الآية كلمة "**

**يُكشَفُ " وفيها قراءتان الأولى قراءة جمهور القراء، وهي " يُكشَفُ " بضم الياء وسكون الكاف، وفتح الشين.**

(١) - (البرهان في علوم القرآن (١/٣١٨)).

(٢) - (القراءات القرآنية تاريخ وتعريف) .

بالبناء للمفعول، والثانية قراءة ابن عباس " تَكْشِفُ " بفتح التاء وسكون الكاف، وكسر الشين، بالبناء للفاعل، وهو الساعة، أي يوم تكشف الساعة عن سياق. قرأها بالتاء، والبناء للمعلوم، وقرأها الجمهور بالياء والبناء للمجهول. والعبارة كناية عن الشدة، كما قال الشاعر: كشفت لهم ساقها \* \* \* وبدا من الشر البراح (١) .  
هذه نماذج سقناها من القراءات القرآنية تمهيداً لذكر الحقائق الآتية:

١- إن القراءات القرآنية وحى من عند الله عز وجل.

٢- إنَّها لا تدخل كل كلمات القرآن، بل لها كلمات محصورة وردت فيها، وقد أحصاها العلماء وبينوا وجوه القراءات فيها.

٣- إن الكلمة التي تقرأ على وجهين أو أكثر يكون لكل قراءة معنى مقبول يزيد المعنى ويشريه.

٤- إن القراءات القرآنية لا تؤدي إلى خلل في آيات الكتاب العزيز، وكلام الله الذي أنزله على خاتم رسله عليهم الصلاة والسلام.

ومع هذا فإن خصوم الإسلام يتخذون من تعدد قراءات بعض كلمات القرآن وسيلة للطعن فيه، ويرون أن هذه القراءات ما هي إلا تحريفات لحقت بالقرآن بعد العصر النبوي، وكأنهم يريدون أن يقولوا للمسلمين، إنكم تتهمون الكتاب المقدس بعهديه (التوراة والإنجيل) بالتحريف والتغيير والتبديل، وكتابكم المقدس (القرآن) حافل بالتحريفات والتغييرات والتبديلات، التي تسمونها قراءات؟ وهذا ما قالوه فعلاً، وأثاروا حوله لغطاً كثيراً، وبخاصة جيش المبشرين والمستشرقين، الذين تحالفوا إلا قليلاً منهم على تشويه حقائق الإسلام، وفي مقدمتها القرآن الكريم. ونكتفى بما أثاره واحد منهم قبل الرد على هذه الشبهة التي يطنطنون حولها كثيراً، ذلكم الواحد هو المستشرق اليهودي المجرى المسمى: " جولد زيهير " الحقود على الإسلام وكل ما يتصل به من قيم ومبادئ. إن هذا الرجل لهو أشد خطراً من القس زويمر زعيم جيش المبشرين الحاقدين على الإسلام في عهد الاحتلال الإنجليزي للهند ومصر.

### أوهام جولد زيهير حول القراءات القرآنية:

المحاولة التي قام بها جولد زيهير هي إخراج القراءات القرآنية من كونها وحياً من عند الله، نزل به الروح الأمين إلى كونها تخيلات توهمها علماء المسلمين، وساعدهم على تجسيد هذا التوهم طبيعة الخط العربي؛ لأنه كان في الفترة التي ظهرت فيها القراءات غير منقوطة ولا مشكولة، وهذا ساعد على نطق الياء ثاء في مثل " تقولون " أو " تفعلون "! فمنهم من قرأ بالتاء " تقولون " ومنهم من قرأ بالياء " يقولون ". هذا من حيث النقط وجوداً وعدمًا، أما من حيث الشكل أي ضبط الحروف بالفتح أو الضم مثلاً، وأرجع إلى هذا السبب قوله تعالى: { وهو الذى أرسل الرياح بُشراً.. } [الفرقان: ٤٨]. فقد قرأ عاصم: " بُشراً " بضم الباء وقرأها

(١) - معاني القرآن للقراء (١٧٧/٣) .

الكسائي وحمة: " نُشراً " بالنون المفتوحة بدلاً من الباء المضمومة عند عاصم ،وقرأ الباقون: " نُشراً " بالنون المضمومة والشين المضمومة، بينما كانت الشين في القراءات الأخرى ساكنة (١) .

وفي هذا يقول جولد زيهير نقلاً عن الترجمة العربية لكتابه الذى ذكر فيه هذا الكلام (٢) : " والقسم الأكبر من هذه القراءات يرجع السبب في ظهوره إلى خاصية الخط العربي، فإن من خصائصه أن الرسم الواحد للكلمة قد يقرأ بأشكال مختلفة تبعاً للنقط فوق الحروف أو تحتها، كما أن عدم وجود الحركات النحوية، وفقدان الشكل (أي الحركات) في الخط العربي يمكن أن يجعل للكلمة حالات مختلفة من ناحية موقعها من الإعراب. فهذه التكميلات للرسم الكتابي ثم هذه الاختلافات في الحركات والشكل، كل ذلك كان السبب الأول لظهور حركة القراءات، فيما أهمل نقطه أو شكله من القرآن ."

إن المتأمل في هذا الكلام، الذى نقلناه عن جولد زيهير، يدرك أن الرجل يريد أن يقول في دهاء وخبث. إن هذه القراءات تحريفات معترف بها لدى المسلمين خاصتهم وعماتهم، وأن النصوص الإلهية المنزلة على رسولهم أصابها بعض الضياع إنه لم يقل صراحة بالتحريف وإنما وضع المبررات لوجود التحريف في القرآن الحكيم. ثم أخذ بعد ذلك يورد أمثلة من القراءات وينسبها إلى السببين اللذين تقدم ذكرهما، وهما:

١- تجرد المصحف من النقط في أول عهده... ٢- تجرد كلماته من ضبط الحروف.

فإلى السبب الأول نسب قوله تعالى: {ونادى أصحاب الأعراف رجالاً يعرفونهم بسيماهم قالوا ما أغنى عنكم جمعكم وما كنتم تستكبرون} [الأعراف:٤٨] . والشاهد في كلمة " تستكبرون " وهى قراءة الجمهور. وقد قارنها جولد زيهير بقراءة شاذة " تستكثرون " بإبدال الباء ثاء، يريد أن يقول: إن الكلمة كانت في الأصل " يستكبرون " غير منقوطة الحروف الأول والثالث والخامس فاختلفت في قراءتها: فمنهم من قرأ الخامس " باء " والأول ثاء فنطق: تستكبرون، ومنهم من قرأ الخامس " ثاء " فنطق " تستكثرون ، هذا هو سبب هاتين القراءتين عنده ،وكذلك قوله تعالى: {وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه..} [التوبة:١١٤] . والشاهد في كلمة " إياه " ضمير نصب منفصل للمفرد الغائب الذكر. ثم قارنها بقراءة شاذة لحماذ الراوية هكذا " اباه " بإبدال الياء من " إياه " بـ " اباه " أي وعدها إبراهيم عليه السلام أباه؟ (٣) .

أما اختلاف القراءات للسبب الثاني، وهو تجرد كلمات المصحف عن الضبط بالحركات، فمن أمثلته عنده قوله تعالى: {وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ} [الرعد:٤٣] ، وقارن بين قراءتها الثلاث: " مَنْ عِنْدَهُ " " مِنْ عِنْدِهِ " " مَنْ عِنْدِهِ " ؟! هذا هو منهجه في إخراج القراءات القرآنية من كونها وحياً من عند الله، إلى كونها

(١) - انظر: رسم المصحف (٢٩) للدكتور / عبد الفتاح شلي، مكتبة وهبة.

(٢) - المذاهب الإسلامية (ص ٤) ، ترجمة د. محمد يوسف موسى.

(٣) - رسم المصحف (٣٠) ، مرجع سبق ذكره.

أوهامًا كان سببها نقص الخط العربي الذي كتب به المصحف أولاً عن تحقيق الألفاظ من حيث حروفها ومن حيث كيفية النطق بها. واقتفى أثره كثير من المبشرين والمستشرقين.

### الرد على هذه الشبهة:

لقد حظى كتاب الله العزيز بعناية منقطعة النظير، في حياة النبي صلى الله عليه وسلم، وبعد وفاته. ومن الحقائق الراسخة رسوخ الجبال أن طريق تَلَمُّى القرآن كان هو السماع الصوتي.

- سماع صوتي من جبريل لمحمد عليهما السلام.

- وسماع صوتي من الرسول إلى كتبة الوحي أولاً وإلى المسلمين عامة.

- وسماع صوتي من كتبة الوحي إلى الذين سمعوه منهم من عامة المسلمين.

- وسماع صوتي حتى الآن من حفظة القرآن المتقين إلى من يتعلمونه منهم من أفراد المسلمين.

هذا هو الأصل منذ بدأ القرآن ينزل إلى هذه اللحظة وإلى يوم الدين، في تلقى القرآن من مرسل إلى مستقبل. وليست كتابة القرآن في مصاحف هي الأصل، ولن تكون. القرآن يجب أن يُسمع بوعى قبل أن يقرأ من المصحف، ولا يزال متعلم القرآن في أشد الحاجة إلى سماع القرآن من شيوخ حافظين متقنين، وفي القرآن عبارات أو كلمات مستحيل أن يتوصل أحد إلى نطقها الصحيح عن مجرد القراءة في المصحف، ولو ظل يتعلمها وحده أيامًا وأشهرًا.

وبهذا تموى الأفكار التي أرجع إليها جولد زيهير نشأة القراءات إلى الحضيض، ولا يكون لها أي وزن في البحث العلمي المقبول؛ لأن المسلمين من جيل الصحابة ومن تبعهم بإحسان لم يتعلموا القرآن عن طريق الخط العربي من القراءة في المصاحف، وإنما تعلموه سماعًا واعيًا ملفوظًا كما خرج من فم محمد صلى الله عليه وسلم، ثم قيض الله لكتابه شيوخًا أجلاء حفظوه وتلوه غصًا طريًا كما كان صاحب الرسالة يحفظه ويتلوه كما سمعه من جبريل أمين الوحي.

أجل.. كان سيكون لأفكار جولد زيهير وجه من الاحتمال لو كان المسلمون يأخذون القراءة قراءة من مصاحف. أما وقد علمنا أن طريق تلقى القرآن هو السماع الموثق، فإن أفكار جولد زيهير تذهب هباء في يوم ريح عاصف.

ثانيًا: إن القراءات الصحيحة مسموعة من جبريل لرسول الله صلى الله عليه وسلم، ومسموعة من محمد صلى الله عليه وسلم لكتبة الوحي، ومسموعة من محمد ومن كتبة الوحي لعموم المسلمين في صدر الإسلام الأول، ثم شيوخ القرآن في تعاقب الأجيال حتى يرث الله الأرض ومن عليها، لقد سمع المسلمون من محمد المعصوم عن الخطأ في التبليغ " فتبينوا " و " فتثبتوا " في قوله تعالى: { يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا } [الحجرات: ٦]، بالباء والياء والنون. وسمعوها منه " فتثبتوا " بالباء والتاء والياء وكلا القراءتين قرآن موحى

به من عند الله. وليس كما توهم جولد زيهر، إنهما قراءتان ناشئتان عن الاضطراب الحاصل من خلو كلمات المصحف من النقط والشكل في أول أمره؟.

والقراءتان، وإن اختلف لفظاهما، فإن بين معنيهما علاقة وثيقة، كعلاقة ضوء الشمس بقصرها: لأن التبين، وهو المصدر المتصيد من " فتبينوا " هي التفحص والتعقب في الخبر الذى يذيعه الفاسق بين الناس، وهذا التبين هو الطريق الموصل للتثبت. فالتثبت هو ثمرة التبين. ومن تبيّن فقد تثبت. ومن تثبت فقد تبين ، فما أروع هذه القراءات، ورب السماوات والأرض وما فيهما وما بينهما، إن قراءات القرآن لهى وجه شديد الإشراق من وجوه إعجاز القرآن، وإن كره الحاقدون ،وكما سمع المسلمون من فم محمد، الذى لا ينطق عن الهوى صلى الله عليه وسلم في الآية السابقة: " فتبينوا " و " فتثبتوا " سمعوا منه كذلك، " يُفَصِّلُ " و " نُفَصِّلُ " في قوله تعالى:

{ ما خلق الله ذلك إلا بالحق يفصل الآيات لقوم يعلمون } [يونس : ٥] . و " نفصل الآيات "

وفاعل الفصل في القراءتين واحد هو الله عز وجل: وقد اختلف التعبير عن الفاعل في القراءتين، فهو في القراءة الأولى " يُفَصِّلُ " ضمير مستتر عائد على الله عز وجل في قوله: ( ما خلق الله ذلك إلا بالحق ) أي يفصل هو الآيات. فالفاعل هنا مفرد لعوده على مفرد " الله " ، وفي القراءة الثانية عبّر عن الفاعل بضمير الجمع للمتكلم " نُفَصِّلُ " أي نفصل نحن ،والله واحد أحد، ولكن النون في " نفصل " لها معنى في اللغة العربية هو التعظيم إذا كان المراد منها فردًا لا جماعة. ووجه التعظيم بلاغةً تنزيل الفرد منزلة " الجماعة " تعظيمًا لشأنه، وإجلالاً لقدره.

وفي هاتين القراءتين تكثير للمعنى، وهو وصف ملازم لكل القراءات ، وللبلّاعين إضافة حسنة في قراءة " نفصل " بعد قوله: " ما خلق الله.. " هي الانتقال من الغيبة في " ما خلق الله " إلى المتكلم في " نفصل " للإشعار بعظمة التفصيل وروعته.

وبعد: إن إرجاع القراءات القرآنية لطبيعة الخط العربي الذى كان في أول أمره خاليًا من النقط والشكل، كما توهم " جولد زيهر " ومن بعده " آثر جيفري " في المقدمة التي كتبها لكتاب المصاحف، لأبي داود السجستاني، وتابعهما المستشرق " جان بيرك "، إن هذه النظرية مجرد وهمٍ سانده جهل هؤلاء الأدعياء على الفكر الإسلامي، مبدؤه ومنتهاه الحقد على الإسلام والتطاول على القرآن، لحاجات في نفوس " اليعاقب ". وقد قدمنا في إيجاز ما أبطل هذه الأوهام، وبقي علينا في الرد على هذه الشبهة أن نذكر في إيجاز كذلك جهود علمائنا في تمحيص القراءات، وكيف وضعوا الضوابط الدقيقة لمعرفة القراءات الصحيحة، من غيرها مما كان شائعًا وقت جمع القرآن في عهد عثمان بن عفان " رضى الله عنه " .

**تمحيص القراءات:**

وضع العلماء الأقدمون ضوابط محكمة للقراءات الصحيحة التي هي وحى من عند الله. وتلك الضوابط هي: ١ - صحة السند، الذى يؤكد سماع القراءة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

٢ - موافقة القراءة لرسم المصحف الشريف، الذى أجمعت عليه الأمة في خلافة عثمان رضى الله عنه مع ملاحظة أن الصحابة الذين نسخوا القرآن في المصحف من الوثائق النبوية في خلافة عثمان، نقلوه كما هو مكتوب في الوثائق النبوية بلا تغيير أو تبديل. ورسم المصحف الذى بين أيدينا الآن سنة نبوية؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم أقر تلك الوثيقة، واحتفظ بها في بيته حتى آخر يوم في حياته الطيبة.

ولذلك أجمع أئمة المذاهب الفقهية على تحريم كتابة المصحف في أي زمن من الأزمان، على غير الرسم المعروف بالرسم العثماني للمصحف الشريف. ونقل هذا الإجماع عنهم كثير من علماء تاريخ القرآن (١).

٣ - أن تكون القراءة موافقة لوجه من وجوه تراكيب اللغة العربية؛ لأن الله أنزل كتابه باللسان العربي المبين.

٤ - أن يكون معنى القراءة غير خارج عن قيم الإسلام ومقاصده الأصول والفروع.

فإذا تخلف شرط من هذه الشروط فلا تكون القراءة مقبولة ولا يعتد بها، وعملاً بهذه الضوابط تميزت القراءات الصحيحة من القراءات غير الصحيحة، أو ما يسمى بالقراءات الشاذة، أو الباطلة، ولم يكتف علماءنا بهذا، بل وضعوا مصنفات عديدة حصروا فيها القراءات الصحيحة، ووجهوها كلها من حيث اللغة، ومن حيث المعنى، كما جمع العلامة ابن جنى القراءات الشاذة، حاصراً لها، واجتهد أن يقومها تقويماً أفرغ ما ملك من طاقاته فيه، وأخرجها في جزأين كبيرين.

أما ذو النورين عثمان بن عفان رضى الله عنه، حين أمر بنسخ الوثائق النبوية في المصاحف، فقد أراد منه هدفين، نقل للقارئ الكريم كلاماً طيباً للمرحوم الدكتور/ محمد عبد الله دراز في بيانهما:

" وفي رأينا أن نشر المصحف بعناية عثمان كان يستهدف أمرين:

أولهما: إضفاء صفة الشرعية على القراءات المختلفة، التي كانت تدخل في إطار النص المدون يعنى المصحف ولها أصل نبوي مجمع عليه، وحماتها فيه منعاً لوقوع أي شجار بين المسلمين بشأنها، لأن عثمان كان يعتبر التماري (أي الجدال) في القرآن نوعاً من الكفر.

ثانيهما: استبعاد ما لا يتطابق تطابقاً مطلقاً مع النص الأصلي (الوثائق النبوية) وقاية للمسلمين من الوقوع في انشقاق خطير فيما بينهم، وحمية للنص ذاته من أي تحريف، نتيجة إدخال بعض العبارات المختلف عليها نوعاً ما، أو أي شروح يكون الأفراد قد أضافوها إلى مصاحفهم " (٢).

(١) - ينظر: البرهان في علوم القرآن للزركشي والإتقان للسيوطي .

(٢) - الشيخ الدكتور محمد أبو شهبه، مدخل إلى القرآن الكريم " (ص٤٣)، مرجع سبق ذكره.

هذه هي عناية المسلمين من الرعييل الأول بالقرآن الكريم وتعدد قراءاته، وحماية كتاب الله من كل دخيل على نصوص الوحي الإلهي. هذا، وإذا كان جولد زيهر، وآثر جيفري المبشر الإنجليزي، وجان بيرك قد أجهدوا أنفسهم في أن يتخذوا من قراءات القرآن منفذاً للانقضاض عليه، والتشكيك فيه، فإن غيرهم من المستشرقين شهدوا للقرآن بالحق، ونحتم ردنا على هذه الشبهة بمستشرق نزيه، أثنى على القرآن وقال إنه النص الإلهي الوحيد، الذي سلم من كل تحريف وتبديل، لا في جمعه، وفي تعدد مصاحفه، ولا في تعدد قراءاته. قال المستشرق لوبلوا: [إن القرآن هو اليوم الكتاب الرباني الوحيد، الذي ليس فيه أي تغيير يذكر]. ومن قبله قال مستشرق آخر (د. موير) كلاماً طيباً في الثناء على القرآن، وهو: [إن المصحف الذي جمعه عثمان، قد تواتر انتقاله من يد ليد، حتى وصل إلينا بدون أي تحريف، ولقد حفظ بعناية شديدة، بحيث لم يطرأ عليه أي تغيير يذكر، بل نستطيع أن نقول إنه لم يطرأ عليه أي تغيير على الإطلاق في النسخ التي لا حصر لها، المتداولة في البلاد الإسلامية الواسعة، فلم يوجد إلا قرآن واحد لجميع الفرق الإسلامية المتنازعة وهذا الاستعمال الإجماعي لنفس النص المقبول من الجميع حتى اليوم حجة ودليل على صحة النص المنزل، الموجود معنا والذي يرجع إلى عهد الخليفة عثمان بن عفان رضى الله عنه الذي مات مقتولاً (١)].

#### رابعا : كيفية جمع القرآن وكتابه مستلزما عادة لوقوع التغيير والتحريف فيه (٢) !!

هذه الشبهة مبنية على العقلية الإمامية التي تحتم على جميع الأمة إذا أجمعت الخطأ، وتجعل رأي واحد منها (ليس بنبي) هو الصواب، كما يلحظ ذلك في قوله: "وتصدى غير المعصوم لجمعه" إن جمع القرآن جاء على أدق الطرق وأوثقها ضبطاً وإتقاناً، فكتبة الوحي يكتبون، والحفظة يحفظون، والأمة بأكملها تردد آيات القرآن في صلواتها وحلقاتها، كلما نزل شيء من القرآن هبوا لحفظه وكتابته وتعلمه والعمل به، فالممتنع هو أن يزداد في القرآن حرف أو ينقص منه حرف آخر، جاءت هذه الدعوى من بعض منتسبي الاثنى عشرية، وهي تتحدث عن قرآن جمعه عليّ هو الكامل في نظرها وترفض ما أجمع عليه المسلمون فأيهما نصدق بالقرآن أم بكتاب غائب لم ير ولم يعرف، معلق خروجه على منتظر موهوم تولى جمعه فرد واحد..؟

أخرج لنا الشيعة منه آيات يستحيل أن تكون من كلام رب العزة جل علاه لسقوطها عن أداء الإنسان العادي، فكيف بكلام رب العالمين المعجز؟ ومن تنسب الشيعة إليه هذا الكتاب المزعوم يتعبد ويقرأ بالقرآن الذي بأيدي المسلمين، والشيعة تفتري عليه بأن ذلك منه تقية. فهل تجوز التقية في مثل هذا الذي يترتب عليه ضياع الدين وضلال الأجيال؟ ! ثم إن من العلوم أن جمع الأمة للقرآن في زمن الصديق وأمير المؤمنين عثمان قد تم بإجماع الصحابة، وكان أمير المؤمنين عليّ على رأس الكتبة وأغلب القراءات المتداولة ترجع بالسند المتواتر إليه

(١) - سير وليم موير، "حياة محمد" نقلا عن (مدخل إلى القرآن الكريم) الشيخ محمد ابو شهبه المرجع السابق .

(٢) - "فصل الخطاب في اثبات تحريف كتاب رب الأناب" ص ٩٧ ميرزا حسين النوري الطبرسي من كبار علماء النجف (ت ١٣٢٠ هـ)، نقلا عن كتاب أصول مذهب الشيعة الإمامية الإثني عشرية - عرض ونقد - (١٠١٧/٣) ل د. ناصر القفاري، وقد ناقش الباحث القفاري اثني عشر شبهة للطبرسي في كتابه من الصفحة (١٠١٢ - إلى ما بعد الصفحة ١٠٥٠)

باعتراف الشيعة نفسها ، وليس في الطرق إلى علي ما يخالف قرآن الأمة، وقد أثنى أمير المؤمنين علي الصديق ، وعلى ذي النورين فيما قاما به من أمر المصحف (١).

ولاشك بأن أمير المؤمنين علي ما كان يقرأ ويحكم إلا بالمصحف الذي أجمع عليه الصحابة، وهذا ما تعترف به كتب الشيعة نفسها، ولهذا أخرج ابن أبي داود بإسناد صحيح من طريق سويد بن غفلة قال: قال علي: "لا تقولوا في عثمان إلا خيراً، فوالله ما فعل في المصاحف إلا عن ملأ منا" (٢). وقد نقلت ذلك كتب الشيعة ، ويلاحظ أن من بين القراء المشهورين ما يرجع سند قراءته إلى أئمة أهل البيت، ولهذا استدلت الدكتور عبد الصبور شاهين على براءة أهل البيت، وزيف ادعاءات الشيعة أن من بين القراء السبعة المشهورين حمزة الزيات، وسند قراءته هو: حمزة الزيات، عن جعفر الصادق، وهو قرأ على محمد الباقر، وهو قرأ على زين العابدين، وهو قرأ على أبيه الحسين، وهو قرأ على أبيه علي بن أبي طالب - كرم الله وجهه -، فهؤلاء الأبرار من آل البيت لم يخرجوا على إجماع المسلمين على المصحف الإمام، وآية رضاهم به، إقراؤهم الناس بمحتواه دون زيادة أو نقص أو ادعاء بمس كمال كتاب الله سبحانه (٣)، وقال الدكتور محمد بلتاجي: "ونضيف إلى ذلك أن قراءة علي بن أبي طالب للقرآن قد رويت أيضاً بطريق زيد بن علي أخي الإمام الباقر وعم الإمام الصادق وهذا ما يسلم به الإمامية الاثنا عشرية أنفسهم" (٤).

ويقول المجلسي: "والقراء السبعة إلى قراءته (يعني قراءة علي) يرجعون، فأما حمزة والكسائي فيقولان على قراءة علي.. وأما نافع وابن كثير وأبو عمرو فمعظم قراءتهم يرجع إلى ابن عباس، وابن عباس قرأ على أبي بن كعب وعلي، والذي قرأ هؤلاء القراء يخالف قراءة أبي فهو إذاً مأخوذ عن علي - عليه السلام - . وأما عاصم فقراه على أبي الرحمن السلمي وقال أبو عبد الرحمن: قرأت القرآن كله على علي بن أبي طالب عليه السلام، فقالوا: أفصح القراءات قراءة عاصم لأنه أتى بالأصل وذلك أنه يظهر ما أدغمه غيره، ويحقق من الهمز ما لينه غيره.. والعدد الكوفي في القرآن منسوب إلى علي عليه السلام وليس في الصحابة من ينسب إليه العدد غيره، وإنما كتب عدد ذلك كل مصر عن بعض التابعين" (٥).

بل يقولون - كما ذكره شيخهم علي بن محمد الطاووسي العلوي الفاطمي في كتابه سعد السعود: "ثم عاد عثمان فجمع المصحف برأي مونا علي بن أبي طالب - رضي الله عنه -" (٦). يقولون: وقال علي أيضاً: "أيها الناس الله الله إياكم والغلو في أمر عثمان وقولكم حراق المصاحف فوالله ما حرقها إلا عن ملأ من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم" (٧). بل قالوا أكثر من ذلك، قالوا: إنه ورد عن أهل البيت عليهم السلام أن عثمان بن عفان لما رأى اختلاف الصحابة في قراءة القرآن طلب من علي عليه السلام مصحف فاطمة الذي كانت هي - سلام الله عليها - دونته بإشارة أبيها، وطابقه مع المصاحف الأخرى التي كانت

(١) - أصول مذهب الشيعة الإمامية الإثني عشرية - عرض ونقد - ناصر بن عبد الله بن علي القفاري (١٠٢٠/٣) دون دار نشر، الطبعة: الأولى، ١٤١٤ هـ

(٢) - فتح الباري: ١٨/١٣

(٣) - عبد الصبور شاهين/ تاريخ القرآن: ص ١٧٠

(٤) - مناهج التشريع الإسلامي: ١٨٩/١، وأحال في هذا الاعتراف إلى كتاب تأسيس الشيعة لعلوم الإسلام: ص ٢٨٥، ٣٤٣، والفهرست للطوسي ص ١١٥

(٥) - بحار الأنوار: ٥٣/٩٢، مناقب آل أبي طالب: ٤٢/٢-٤٣

(٦) - عن تاريخ القرآن/ للزنجاني (وهو من الاثني عشرية المعاصرين): ص ٦٧

(٧) - عن تاريخ القرآن/ للزنجاني: ص ٦٨

بيد الصحابة، فما طابق منها مصحف فاطمة نشره وما لم يطابقه أحرقه. فعلى هذا يكون المصحف الذي بأيدينا مصحف فاطمة لا مصحف عثمان، وعثمان كان ناشره لا مدونه ومرتبته (١). هذا كله ينقض كل ما ادعاه النوري الطبرسي، ويهدم كل ما بناه.. وهو دليل على اختلاف أخبارهم وتناقضها، والتناقض أمانة بطلان المذهب.

قال ابن حجر: أخرج ابن أبي داود في المصاحف بإسناد حسن عن عبد خير قال: سمعت علياً يقول: أعظم الناس في المصاحف أجراً أبو بكر - رحمة الله على أبي بكر - وهو أول من جمع كتاب الله" (٢). هذا وتصف رواية سليم بن قيس جمع علي للقرآن بأنه لم يكن كله قرآناً بل جمع "تنزيله وتأويله والناسخ والمنسوخ منه" (٣)، وهذا رغم أنه لم يصح من أصله إلا أنه يدل على أنه ليس وفق الأصول التي أمر بها النبي لجمع القرآن، ومنها قوله: "لا تكتبوا عني شيئاً غير القرآن" (٤). فقد أمر النبي بكتابة القرآن ونهى أن يكتب معه غيره خشية أن يختلط بشيء آخر، وعلى أي الأحوال فإن قصارى ما في هذه الدعوى أن يكون لعلي مصحف مثل بعض الصحابة كابن مسعود وغيره (٥). وهذا لا يتضمن الطعن في كتاب الله سبحانه.

### وقال: سيقع في أمة محمد صلى الله عليه وسلم ما وقع في بني إسرائيل الذين غيروا كتابهم لأن

كل ما وقع في بني إسرائيل لا بد وأن يقع في هذه الأمة على ما أخبر به الصادق المصدوق صلوات الله عليه (٦) "!!، **نقول:** يخرج من هذا العموم ما دل الدليل على خروجه، وتحريف القرآن مستثنى من هذا العموم بنص القرآن: {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ} [الحجر: ٩]. وهل هناك أقوى من أن يخص عموم حديث بنص من القرآن.. ثم إن الله سبحانه قد استحفظ أهل الكتاب التوراة واستودعهم إياها فحانوا الأمانة، ولم يحفظوها، بل ضيعوها عمداً. والقرآن الكريم لم يكل الله حفظه إلى أحد حتى يمكنه تضييعه، بل تولى حفظه جل وعلا بنفسه الكريمة المقدسة كما أوضحت بقوله: {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ} ، وقوله: {لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ} [فصلت: ٤٢] إلى غير ذلك من الآيات (٧).

وذلك لأن القرآن العظيم هو آخر الكتب، فلا كتاب بعده، والرسول صلى الله عليه وسلم هو آخر الرسل فلا نبي بعده، وموته انقطع الوحي.. فمن رحمة الله بعباده أن حفظ كتابه ليبقي هداية للأمة ونوراً إلى يوم القيامة. وإن بني إسرائيل قتلوا أنبياءهم ولم يتحقق ذلك في هذه الأمة، وإن حاول فئة من المنافقين ذلك، وبنو إسرائيل عبدوا العجل ولم يحصل من الأمة نظيره، فتلك المقدمة ليست على إطلاقها، وتحريف القرآن أولى مما ذكرنا لاستثنائه من هذا العموم بالنص، كذلك أمتنا تختلف عن بني إسرائيل؛ حيث لا تزال طائفة ظاهرة علي الحق لا يضرهم من خالفهم، ولا من خذلهم حتى تقوم الساعة.

(١) - المرعشي/ المعارف الجلية: ص ٢٧

(٢) - فتح الباري: ١٢/٩-١٣. وانظر كتاب المصاحف لابن أبي داود ص ١٦

(٣) - كتاب سليم بن قيس: ص ٨١ وهو أول كتاب ظهر للشيععة، كما يقول ابن النديم الفهرست ص ٢١٩، الذريعة: ١٥٢/٢، وفي رضات الجنات ٦٧/٤ زعم أنه "أول ما صنف ودون في الإسلام" وهو من الكتب التي تمت إعادة تغييره وكتابه وتعديله وتحريفه عدة مرات عبر تاريخه كما ذكر النقاد.

(٤) - رواه مسلم، كتاب الزهد رقم ٧٢ ص ٢٢٩٨-٢٢٩٩، والدارمي، مقدمة رقم ٤٢ ص ١١٩، وأحمد في مسنده: ١٢/٣، ٢١، ٣٩. قال أهل العلم: إن النهي عن كتابة الحديث مع القرآن في صحيفة واحدة لئلا يختلط. (النووي/ شرح صحيح مسلم: ١٣٠/١٨، الأبي/ إكمال إكمال المعلم: ٣٠٥/٧)

(٥) - انظر: ابن أبي داود/ كتاب المصاحف: ص ٦٠ وما بعدها

(٦) - فصل الخطاب ص ٣٦.

(٧) - الشنقيطي/ أضواء البيان: ١٠٠/٢-١٠١

ولو كان لأمير المؤمنين مصحف لأخرجه للمسلمين، ولم يسعه كتمانته، وإذا لم يستطع ذلك في خلافة من سبقه فإنه يستطيع إخراجه إبان خلافته.. وكتمان ذلك كفر وضلال.. فمن ألصق ذلك بأمر المؤمنين فهو ليس من شيعته، بل من عدوه؛ لأنه يدعي أنه كتّم إظهار الحق وبيانه خوفاً وجبناً، وهو أسد الله وأسد رسوله.. وكتمان أصل الدين وأساسه خروج عن الإسلام، ولو لم يستطع عليّ إخراجه لأخرجه الحسن إبان خلافته، ولكن الذي يشهد به الجميع حتى الإثني عشرية أن علياً لم يقرأ في صلاته، ويحكم في خلافته إلا بهذا القرآن، وكذلك سائر علماء أهل البيت، لقد أقض مضاجعهم وأرق عيونهم خلو كتاب الإسلام العظيم مما يثبت شدوذهم فادعوا قرآناً غائباً، كما ادعوا إماماً غائباً لما مات إمامهم من غير عقب (١).

وإذا كان لأمير المؤمنين مصحف فهو أمر طبيعي، فهو كـ بعض الصحابة الذين اتخذوا لأنفسهم مصاحف خاصة كتبوها لهم ولكنها لا تصل إلى مستوى المصحف الإمام الذي يكتبه كتبة الوحي بإشراف رسول الهدى صلى الله عليه وسلم، وإذا كان لعليّ كما يدعون مصحف يخالف المصحف الإمام، فما يخالف المصحف الذي أجمع عليه المسلمين لا اعتداد به، مع أن أمير المؤمنين كان على رأس المجعّين والجامعين وثنائه على أبي بكر وعثمان في ذلك مشهور. قال الباقلاني: "فإن قالوا: فإنما لم يغير ذلك ولم ينكره لأجل التقية قيل لهم: ومن كان أقوى منه جانباً وهو في بني هاشم مع عظم قدره وشجاعته وامتناع جانبه. هذا غاية الامتناع والباطل ".... وإن مقالتهم هذه في عليّ تنقض ما يزعمونه من شجاعته وصدقه بالحق، وعدم سكوته عن باطل، وإن واقع أمير المؤمنين في خلافته ينفي مجرد تصور التقية في هذا الباب "فأي تقية بعد أن شهر سيفه وقاتل بصفين ونصب الحرب بينة وبين مخالفه فيما هو دون تغيير القرآن وتحريفه، هذا مما يعلم بطلانه ويقطع على استحالته" (٢).

لا خلاف أن بعض الصحابة كانت لهم مصاحف خاصة بهم يكتبون فيها ما يسمعون من النبي صلى الله عليه وسلم من القرآن.. وهذا لا يطعن في المصحف الإمام، لأن العمدة والأصل هو ما أجمع عليه المسلمون ولا عبرة بما انفرد به أحدهم، كمصحف ابن مسعود الذي نسبوا لمصحفه افتراء قوله: { وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ } من سورة "الانشراح" وهي مكية بكل آياتها كما هو معلوم، والزيادة التي زادوها وهي قولهم: (وجعلنا علياً صهرك) وهي كشفت كذبهم؛ ذلك أن صهره الوحيد في مكة هو العاص بن الربيع، فهم وضعوا ولم يحسنوا الوضع لجهلهم بالتاريخ.. فهل يكتب ابن مسعود ما يخالف الواقع وما سمعه من النبي صلى الله عليه وسلم؟! وكذلك الشاهد الآخر "وكفى الله المؤمنين القتال بعلي" فهو مخالف لنص القرآن وللواقع، فالله سبحانه أخبر بمن كفى عباده المؤمنين، وذلك في قوله سبحانه: { إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا أَمْ تَرَوْهَا } [الأحزاب: ٩] ولذلك قال السلف في تأويل قوله سبحانه: { وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ } [الأحزاب: ٢٥] أي: بجنود من الملائكة، والرياح التي بعثها عليها (٣).

(١) - أصول مذهب الشيعة الإمامية الإثني عشرية - عرض ونقد - (٣ / ١٠١٤ - ١٠٢٠) ومنهاج السنة لابن تيمية (٢٤٢/٣)

(٢) - نكت الانتصار: ص ١٠٨

(٣) - تفسير الطبري: ١٤٨/٢١، فتح القدير: ٢٧٢/٤

أما مخالفة الواقع فإن علياً لم يكن كافياً من دون المؤمنين، ولو لم يكن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا علي لما أقام دينه، وهذا علي لم يغن عن نفسه ومعه أكثر جيوش الأرض.. في حربه مع معاوية (١)، ولذا قال الباقر: "فأما ادعائهم أن ابن مسعود قرأ: "وكفى الله المؤمنين القتال بعلي" وما أشبه ذلك من الأحاديث فإنه إفك وزور ولا يصح..". (٢)، وقال ابن حزم: "وأما قولهم (يقصد النصارى؛ لأنهم يعترضون علي أمة الإسلام بشبه هؤلاء الروافض) : إن مصحف عبد الله بن مسعود رضي الله عنه خلاف مصحفنا فباطل وكذب وإفك، مصحف عبد الله بن مسعود إنما فيه قراءته بلا شك، وقراءته هي قراءة عاصم المشهورة عند جميع أهل الإسلام، في شرق الأرض وغربها" (٣).

وإذا كان لابن مسعود وأبي بن كعب وعائشة وسالم مولى حذيفة مصاحف كما جاءت به الأخبار في كتب السنة والشيعة.. فهذه المصاحف الخاصة هي عمل فردي من بعض الصحابة ولم يكن هدفهم كتابة مصحف تلتزم به الأمة، لهذا كانت هذه المصاحف الخاصة غير حجة على الأمة، فما عدا مصحف عثمان لا يقطع عليه، وإنما يجري مجرى الآحاد (٤)، وإذا نقل منه ما يخالف المصحف الإمام فهذا طبيعي، لأن الواحد منهم كان يكتب لنفسه، ولذلك قد يكتبون تفسيراً لبعض الآيات في نفس المصحف وهم آمنون من اللبس، لأنهم إنما يكتبون لأنفسهم، قال ابن الجزري: "ربما كانوا يدخلون التفسير في القراءات إيضاحاً وبياناً، لأنهم محققون لما تلقوه عن النبي صلى الله عليه وسلم قرآنا فهم آمنوا من الالتباس، وربما كان بعضهم يكتبه معه" (٥) وربما كتبوا ما نسخت تلاوته "ولذلك نص كثير من العلماء على أن الحروف ذلك أنهم يكتبون لأنفسهم لا للأمة، (٦). أما القرآن فقد قام به الحفظ من الصحابة، وجمعوا ما في الصحف التي كتبها كتاب الوحي بإشراف النبي صلى الله عليه وسلم على حسب ما استقر في العريضة الأخيرة من جبريل على النبي صلى الله عليه وسلم على ما هو عليه الآن من غير زيادة ولا نقصان" ولذلك لم يختلف عليهم اثنان حتى إن علي بن أبي طالب لم ينكر حرفاً ولا غيره" (٧).

### وقال : إن عثمان لما جمع القرآن ثانياً أسقط بعض الكلمات والآيات.. (٨) .

من المعلوم أن "القرآن كله كتب في عهد النبي، فلم يأمر أبو بكر إلا بكتابة ما كان مكتوباً، ولذلك توقف عن كتابة الآية من آخر سورة براءة حتى وجدها مكتوبة!!، مع أنه كان يستحضرها هو ومن ذكر معه" (٩).؛ لأنهم كانوا يعتمدون في جمع القرآن على الحفظ والكتابة معاً؛ ولم يعتمدوا على الحفظ وحده؛ حيث إن "قصدهم أن ينقلوا من عين المكتوب بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم، لا من مجرد حفظهم"

(١) - انظر: منهاج السنة: ٥٦/٤

(٢) - نكت الانتصار: ص ١٠٧، وانظر: روح المعاني: ١٧٥/٢١

(٣) - الفصل: ٢١٢/٢

(٤) - البرهان: ٢٢٢/١

(٥) - ابن الجزري/ النشر: ٣٢/١، السيوطي/ الإتيان: ٧٧/١ ابن الجزري/ النشر: ٣٢/١

التي وردت عن أبي وابن مسعود وغيرها مما يخالف هذه المصاحف منسوخة... ولا شك أن القرآن نسخ منه وتغير فيه في العريضة الأخيرة" .

(٦) - ولهذا ذكر أهل العلم أن من أنواع القراءات ما هو موضوع. (انظر: الإتيان: ٧٧/١)

(٧) - النشر: ٣٣/١

(٨) - فصل الخطاب: ص ١٥٠

(٩) - فتح الباري: ١٣-١٢/٩

(١٠) - أبو شامة/ المرشد الوجيز: ص ٥٧، وانظر الإتيان للسيوطي: ص ٥٨

، وقد أعلم الله تعالى في القرآن بأنه مجموع في الصحف في قوله: {يَتْلُو صُحُفًا مُّطَهَّرَةً} [البينة: ٢]، فكان القرآن مكتوباً في الصحف لكن كانت مفرقة فجمعها أبو بكر في مكان واحد، ثم كانت بعده محفوظة إلى أن أمر عثمان بالنسخ منها عدة مصاحف وأرسل بها إلى الأمصار (١).

يلخص ابن تيمية عملية جمع القرآن: "لما كان العام الذي قبض فيه النبي صلى الله عليه وسلم عارضه جبريل بالقرآن مرتين، والعرضة الأخيرة هي قراءة زيد بن ثابت وغيره، وهي التي أمر الخلفاء الراشدون أبو بكر وعمر وعثمان وعلي بكتابتها في المصاحف، وكتبها أبو بكر وعمر في خلافة أبي بكر في صحف أمر زيد بن ثابت بكتابتها، ثم أمر عثمان في خلافته بكتابتها في المصاحف، وإرسالها إلى الأمصار، وجمع الناس عليها باتفاق من الصحابة عليّ وغيره" (٢). فالذي يُخطئ أبا بكر وعثمان قد خطأ علياً، وجميع الصحابة؛ لأن الحقيقة التي يتفق عليها المسلمون أن أمير المؤمنين عثمان جمع القرآن بموافقة الصحابة جميعاً (٣).

ولو حدث هذا الذي تقوله الشيعة لما جاز لأحد السكوت على تغيير أصل الإسلام وأساسه، ولضل الجميع بسبب ذلك بما فيهم علي رضي الله عنه، والبراهين المتفق عليها والتي لا يختلف فيها اثنان أن الصحابة رضوان الله عليهم لم يسكتوا على ما هو أقل من ذلك. لقد قاتلوا من منع الزكاة، وقاتل علي - رضي الله عنه - معاوية على أقل من هذا الأمر العظيم والشأن الخطير، ولو حصل الذي يقولونه لتناقله أعداد الإسلام الذين يتربصون بأمة الإسلام الدوائر، ولم تنفرد بنقله طائفتهم .

وهذه المجموعة التي نقلت هذا الكفر نقل غيرهم منهم ما يثبت خلافه، روى ابن طاوس وهو من كبار شيوخ الشيعة أن "عثمان جمع المصحف برأي مولانا علي ابن أبي طالب" (٤). وهذا يتفق مع إجماع الأمة، وهو اعتراف منهم وإقرار ولم يملك صاحب فصل الخطاب - وهو الحريص على إثبات هذه الفرية - حيال هذا النص إلا أن يقول: "إنه من الغرابة بمكان" (٥) وقد أخرج ابن أبي داود بسند صحيح - كما قال ابن حجر - عن أمير المؤمنين علي رضي الله عنه قال: "لا تقولوا في عثمان إلا خيراً فوالله ما فعل ما فعل في المصاحف إلا عن ملأ منا" (٦).

قال الجاحظ: "والذي يخطئ عثمان في ذلك فقد خطأ علياً وعبد الرحمن وسعداً، والزبير وطلحة وعليه الصحابة، ولو لم يكن ذلك رأي علي لغيره، ولو لم يمكنه التغيير لقال فيه، ولو لم يمكنه في زمن عثمان لأمكنه في زمن نفسه، وكان لا أقل من إظهار الحجة إن لم يملك تحويل الأمة، وكان لا أقل من التجربة إن لم يكن من النجاح على ثقة، بل لم يكن لعثمان في ذلك ما لم يكن لجميع الصحابة، وأهل القدم والقعدة، ومع أن الوجه فيما صنعوا واضح، بل لا نجد لما صنعوا وجهاً غير الإصابة والاحتياط، والإشفاق والنظر للعواقب، وحسم طعن

(١) - فتح الباري: ١٣/٩

(٢) - مجموعة فتاوى شيخ الإسلام: ٣٩٥/١٣

(٣) - انظر: المرشد الوجيز لأبي شامة: ص ٥٣

(٤) - تاريخ القرآن للزنجاني ص ٦٧

(٥) - فصل الخطاب: ص ١٥٣

(٦) - فتح الباري: ١٨/٩، وانظر: ابن أبي داود/ كتاب المصاحف: ص ١٩، أبو شامة/ المرشد الوجيز: ص ٥٣

الطاعن. ولو لم يكن ما صنعوا لله تعالى فيه رضاً لما اجتمع عليه أول الأمة وأجرها، وإن أمراً اجتمعت عليه المعتزلة والشيعة، والخوارج والمرجئة، لظاهر الصواب، واضح البرهان، على اختلاف أهوائهم. (١).  
أما بالنسبة لسورة الولاية فقد نقد هذه "السورة المخترعة" الشيخ يوسف الدجوي في كتابه: "الجواب المنيف في الرد على مدعي التحريف في القرآن الشريف" (٢). وقد ردها وبيّن زيفها أحد شيوخ الشيعة وهو البلاغي في تفسيره آلاء الرحمن (٣). وبطلانها أوضح من أن يبين، فلا حاجة إلى نقل ما قاله، فأنت تلاحظ أن الأمر ظاهر من مجرد النظر في ألفاظها

ثم قال النوري الطبرسي: "لا إشكال ولا اختلاف بين أهل الإسلام في تطرق اختلافات كثيرة وتغيرات غير محصورة في كلمات القرآن وحروفه بالزيادة والنقصان واستقرار آراء المخالفين على اختيار سبعة من القراء منهم أو عشرة على ما بينهم من الاختلاف.. وحيث إن القرآن لا تغير فيه ولا اختلاف فتكون هذه القراءات هي قراءة بغير ما أنزل الله". وطعن على الرواة السبعة وقال بعدم الاحتجاج بقراءتهم.. لأن "أول طبقات القراء هم الذين استبدوا الآراء ولم يبايعوا إمام زمانهم أمير المؤمنين" (٤).

إن اختلاف القراءات لا يؤدي إلى شيء من ذلك كما افتري، لأن ذلك كان يمكن لو أن كل واحد من القراء المختلفين في قراءة بعض الآيات كان يقرأ من عند نفسه ما يراه، لكن الأحاديث صريحة الدلالة في أن كل واحد منهم قد أخذ قراءته من الرسول صلى الله عليه وسلم وهي مخالفة لقراءة صاحبه، وأن النبي أقر كلاً منهم وأخبر بأنها هكذا أنزلت (٥). فبان أن الجميع نازل من عند الله، وقد اختلط على هذا الأفك الأمر في مسألة القراءات والقرآن فظن التلازم بينهما، وهو جهل واضح؛ فالقرآن متواتر بإجماع المسلمين يتناقله الأجيال عن الأجيال حتى يبلغوا به النبي صلى الله عليه وسلم بينما القراءات فيها المتواتر والآحاد والشاذ، ومنها المدرج (٦) والموضوع.

ولم يقل أحد أن القرآن أخذ عن السبعة أو العشرة؛ إذ إن القراءات "مذهب من مذاهب النطق في القرآن يذهب به إمام من الأمة القراء مذهباً يخالف غيره". قال الزركشي: "واعلم أن القرآن والقراءات حقيقتان متغايرتان، فالقرآن هو الوحي المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم للبيان والإعجاز، والقراءات اختلاف الوحي المذكور في كتابه الحروف أو كفيئتها من تخفيف وتثقيب وغيرهما" (٧). والقراءات غير الأحرف السبعة (٨). التي أنكرها هذا الطبرسي - وخلط بينها وبين القراءات السبع - مع أن الحديث في الأحرف السبعة ثابت عن النبي صلى الله عليه وسلم (٥). وقد جاءت الرواية بنزول القرآن على سبعة أحرف في كتب الشيعة

(١) - رسائل الجاحظ، رسالة حجج النبوة: ٢٣٣/٣-٢٣٤

(٢) - انظر: الجواب المنيف: ص ١٧٤ وما بعدها

(٣) - انظر: آلاء الرحمن: ص ٢٤-٢٥

(٤) - فضل الخطاب: ص ٢١٠

(٥) - انظر: صحيح البخاري - مع الفتح -: ٢٢/٩

(٦) - هو ما زيد في القراءات علي وجه التفسير (الإتقان: ص ٧٧)

(٧) - البرهان: ٣١٨/١

(٨) - وهذا لا نزاع فيه بين أهل العلم، وإنما يظن أنهما شيء واحد بعض الجهلة، لأن أول من جمع القراءات السبع أبو بكر بن مجاهد في أثناء المائة الرابعة.

(انظر: المرشد الوجيز لأبي شامة ص ١٤٦، مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية: ٣٩٠/١٣، النشر لابن الجزري: ٢٤/١)

نفسها في جملة أحاديث حتى بؤب القمي لها في كتابه الخصال (١) . والمتأمل لأسانيد تلك القراءات يرى أن جملة منها متصلة بمن ترى الشيعة إمامتهم كأمر المؤمنين علي، وجعفر وغيرهما وقد نقلنا ذلك من كتبهم . ثم ذكر روايات كثيرة عندهم تثبت النقصان في القرآن الحالي ، وهذه الروايات الكثيرة التي استشهد بها لا تدل على تحريف القرآن الذي أجمعت عليه الأمة، وتكفل الله بحفظه وقامت القرائن والبراهين القطعية على سلامته؛ إنما تشهد على كذب هذه الروايات وسقوط تلك الأحاديث، التي ينسبونها للأئمة وأنه لا ثقة برواياتها بعد هذا، وقد انكشف أمرها بهذه الفرية ، وقد شهد شاهد من أهلها بأن أخبارهم في هذا الباب إنما رواها الغلاة والكذابون والمطعون في دينهم ممن لا تحل الرواية عنهم، والذي شهد بذلك الشيخ البلاغي في ( آلاء الرحمن ) وكل ما ورد من الروايات حول تلك النصوص كما يقول علماء الحديث والرجال عندهم : ترجع أسانيده إلى بضعة أنفار، كلاً منهم إما ضعيف الحديث فاسد المذهب مجفوا الرواية، وإما بأنه مضطرب الحديث والمذهب يعرف حديثه وينكر ويروي عن الضعفاء، وإما بأنه كذب متهم لا أستحل أن أروي من تفسيره حديثاً واحداً، وأنه معروف بالوقف وأشد الناس عداوة للرضا عليه السلام، وإما بأنه كان غالباً كذاباً، وإما بأنه ضعيف لا يلتفت إليه ولا يعول عليه ومن الكذابين، وإما بأنه فاسد الرواية يرمى بالغلو. ومن الواضح أن أمثال هؤلاء لا تجدي كثرتهم شيئاً (٢) .

كذلك يذكر مرجع الشيعة في زمنه ميرزا مهدي الشيرازي بأن أخبارهم في ذلك شاذة ضعيفة في إسنادها، متناقضة في متونها؛ حيث قال: "وأما ما ورد في الأخبار التي ظاهرها وقوع التحريف في بعض الآي فلا يثبت بها ذلك (حيث) إنما شاذة ضعيفة الأسانيد، فإن كثيراً منها عن السيارى (٣) الذي ضعفه علماء الرجل كما في الفهرست لشيخ الطائفة، والخلاصة للعلامة، والرجل للنجاشي أنه "ضعيف الحديث فاسد المذهب مجفوا الرواية" ... ثم بين تناقض متنها بقوله: "معارضة بعضها مع البعض من وجهين أحدهما: تعارضها في تعيين الساقط.. وثانيهما: ما ورد في روايات من سقوط اسم علي في مواضع كثيرة، مع أن بعض الروايات تدل على أن الله تعالى لم يسم علياً في القرآن" (٤). هذا قول البلاغي والشيرازي في رجال وأسانيد نصوص التحريف .

### خامساً : هل أسقط ابن مسعود المعوذتين من مصحفه؟

قالوا: اختلف الصحابة في المعوذتين هل هما من القرآن أم لا؟ فكان ابن مسعود يحكهما من المصاحف، ويقول: (إنهما ليستا من القرآن، فلا تجعلوا فيه ما ليس منه). والجواب: إن القرآن نقل إلينا بالتواتر، جيلاً بعد جيل، فقد حمله من الصحابة من لا يحصي عددهم إلا الله، ونقله عنهم أضعافهم عدداً إلى يومنا هذا، فتوافق الصحابة على النص القرآني حجة لا ينقضها ولا يقدرح فيها مخالفة واحد من آحاد الصحابة أو من بعدهم، إذ مخالفة الآحاد لا تقدرح في التواتر، فليس من شرطه عدم وجود المخالف، فقد تواتر عند الناس - اليوم - وجود ملك قديم، الفرعون خوفو، فلو أنكر اليوم واحد من

(١) - الخصال "نزل القرآن على سبعة أحرف": ص ٣٥٨

(٢) - البلاغي / آلاء الرحمن: ص ٢٦

(٣) - جاء في ترجمته عندهم: أحمد بن محمد بن سيار، أبو عبد الله الكاتب البصري، يعرف بالسيارى، ضعيف الحديث، مجفوا الرواية، كثير المراسيل.

(الفهرست للطوسي: ص ٥١، رجال النجاشي: ص ٦٢، رجال الحلبي: ص ٢٠٣)، قال ابن حجر: "كان في أواخر المائة الثالثة". (لسان الميزان: ٢٥٢/١)

(٤) - المعارف الجليلة: ص ١٨

الباحثين هذا الذي تواتر عند الناس، وقال: لم يوجد هذا الملك، فإنه لا يلتفت إليه، لمخالفته المتواتر. ومثله تواتر القرآن برواية الجموع عن الجموع في كل جيل، فلو صح إنكار ابن مسعود سورة من سوره، بل لو أنكر القرآن كله لما قدح هذا بقرآنية القرآن ولا طعن في موثوقيته.

لكن هذه الروايات لا تصح عن ابن مسعود، ففي أسانيدنا ما يقدر في صحتها، فخير حك السورتين من المصاحف، وقول ابن مسعود: (ليستا من كتاب الله تبارك وتعالى)، مروى في مسند أحمد والطبراني في الكبير، وتدور أسانيدنا على أبي إسحاق عمرو بن عبد الله الهمداني عن عبد الرحمن بن يزيد. وأبو إسحاق رغم توثيق العلماء له؛ فإنه قال عنه ابن حبان: "وكان مدلساً"، والمدلس لا تقبل روايته إلا إذا صرح بالتحديث [أي قال: حدثني]، وترد روايته إذا كانت بصيغة العنعنة، كما في هذه الرواية، حيث يقول فيها: (عن عبد الرحمن بن يزيد). ولا يتقوى هذا الإسناد بإسناد الطبراني للأثر من رواية الأزرق بن علي (أبي الجهم الحنفي)، وقد ذكره ابن حبان وقال: "يعرب"، أي له غرائب (١). والأزرق صاحب الغرائب يرويه عن حسان بن إبراهيم الكرماني، وقد وثقه البعض، وضعفه غيرهم، كالعقيلي الذي قال عنه: "في حديثه وهم"، كما أعله غير واحد من العلماء، قال ابن حبان: "ربما أخطأ". وقال أبو زرعة: "لا بأس به". وقال النسائي: "ليس بالقوي". وقال ابن عدي: "قد حدث بأفراد كثيرة، وهو عندي من أهل الصدق إلا أنه يغلط في الشيء ولا يتعمد" (٢). وبهذا يتبين ضعف هذه الروايات المروية عن مثل هؤلاء، وقد أشار العلماء من أهل الصنعة الحديثية إلى ذلك، فقال ابن حزم: "وكل ما روى عن ابن مسعود من أن المعوذتين وأم القرآن لم تكن في مصحفه؛ فكذب موضوع لا يصح، وإنما صحت عنه قراءة عاصم عن زر بن حبيش عن ابن مسعود، وفيها أم القرآن والمعوذتان" (٣). وكذلك فإن الباقلاني يكذب هذه الأخبار ويقول: "هذا باطل وزور، ولا ينبغي لمسلم أن يثبت على عبد الله بن مسعود بأخبار أحاد معارضة بما هو أقوى منها عن رجال عبد الله في إثباتها قرآناً" (٤)، ونرى في كلام ابن حزم والباقلاني إشارة إلى أمر مهم - نعود إليه -، وهو مخالفة هذه الروايات الضعيفة للقراءات المتواترة عن ابن مسعود وغيره من الصحابة الكرام.

ويستشهد الباقلاني على ضعف هذه الروايات بعلّة أخرى، وهي سكوت الصحابة على قوله وهم جميعاً يقرؤون المعوذتين، فيقول: "وأما المعوذتان، فكل من ادعى أن عبد الله بن مسعود أنكر أن تكونا من القرآن، فقد جهل، وبعد عن التحصيل، لأن سبيل نقلهما؛ سبيل نقل القرآن ظاهراً مشهوراً.. وكيف ينكر كونهما قرآناً منزلاً، ولا ينكر عليه الصحابة، وقد أنكرت عليه أقل من هذا وكرهته من قوله: "معشر المسلمين، أعزل عن كتابة المصحف؟! والله لقد أسلمت؛ وإن زيدا لفي صلب رجل كافر". قال ابن شهاب: كره مقالته الأمثال من أصحاب رسول الله" (٥).

(١) - انظر: الثقات، ابن حبان (١٣٦/٨)، تحذيب التهذيب، ابن حجر (١/١٧٥).

(٢) - انظر: الضعفاء، العقيلي (١/٢٥٥)، وتحذيب التهذيب، ابن حجر (٢/٢١٤ - ٢١٥).

(٣) - الخلي، ابن حزم (١/١٣).

(٤) - نكت الانتصار لنقل القرآن، الباقلاني، ص (٧٥).

(٥) - المصدر السابق، ص (٩٠).

والصحيح أن ابن مسعود لم ينكر سماع المعوذتين من النبي ، بل غاية ما نقل أنه كان يراها عوذة علمها الله لنبيه، فكان يعوذ بهما نفسه والحسن والحسين، لكنه لم يسمعه يقرأ بهما في الصلاة، وهذا الذي نقل عن ابن مسعود: (لا تخلطوا بالقرآن ما ليس فيه، وإنما هما معوذتان تعوذ بهما النبي: قل أعوذ برب الفلق، وقل أعوذ برب الناس) (١)، وفي رواية الطبراني من طريق أبي الجهم الأزرق بن علي أنه قال: (إنما أمر رسول الله أن يتعوذ بهما، ولم يكن يقرأ بهما) (٢). وإذا كان ابن مسعود لم يسمع النبي يقرأ السورتين في الصلاة فإن ذلك لا يعني بالضرورة عدم قراءته لهما، فقد سمعهما غيره منه، قال سفيان: "كان يرى رسول الله يعوذ بهما الحسن والحسين ، ولم يسمعه يقرؤهما في شيء من صلاته، فظن أنهما عوذتان، وأصر على ظنه، وتحقق الباقون كونهما من القرآن ، فأودعوها إياه" (٣).

وإذا كان ابن مسعود يظن - حسب تلك الآثار الضعيفة - عدم قرآنيتهما؛ فإن جميع الصحابة خالفوه في ذلك، فالمفروض في ميزان العقلاء أن قوله خطأ يرد في مقابل قولهم الصحيح، يقول ابن قتيبة: "إنا لا نقول: إن عبد الله وأبياً أصابا (٤)، وأخطأ المهاجرون والأنصار، ولكن عبد الله ذهب فيما يرى أهل النظر إلى أن المعوذتين كانتا كالعوذة والرقية وغيرها، وكان يرى رسول الله يعوذ بهما الحسن والحسين وغيرهما .. فظن أنهما ليستا من القرآن، وأقام على ظنه ومخالفة الصحابة جميعاً" (٥)، ولن يقبل أحد ترك القراءة بآية قرآنية، لأن ابن مسعود لم يسمعها من النبي ، فليس من شرط القرآن أن يسمعه ابن مسعود تحديداً. قال البزار: "لم يتابع عبد الله أحد من الصحابة، وقد صح عن النبي أنه قرأ بهما في الصلاة، وأثبتت في المصحف" [أي العثماني] (٦)، أفلا يكفي للإيمان بقرآنيتهما أن النبي قرأهما في الصلاة (٧).

كما جاء في صحيح مسلم من حديث عقبة بن عامر أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال له: «ألم تر آيات أنزلت الليلة لم ير مثلهن قط: {قل أعوذ برب الفلق}، و {قل أعوذ برب الناس}» (٨)، وفي رواية عنه أن النبي قال له: «فإن استطعت ألا تفوتك قراءتهما في صلاة، فافعل» (٩). ونقل أبو سعيد الخدري قرآنيتهما عن النبي بقوله: (كان رسول الله يتعوذ من عين الجان وعين الإنس، فلما نزلت المعوذتان أخذ بهما، وترك ما سوى ذلك) (١٠).

ولما قيل لأبي بن كعب: إن ابن مسعود كان لا يكتب المعوذتين في مصحفه قال أبي: أشهد أن رسول الله أخبرني أن جبريل عليه السلام قال له: {قل أعوذ برب الفلق} فقلتها، فقال: {قل أعوذ برب الناس} فقلتها، فنحن نقول ما قال النبي (١١). لكن الموضوع الأهم هو ما أشار إليه ابن حزم والباقلاني في أن الأخبار المروية

(١) - أخرجه الطبراني في المعجم الكبير ح (٩١٥١) من طريق أبي إسحاق عن أبي عبد الرحمن السلمي.

(٢) - أخرجه الطبراني في المعجم الكبير ح (٩١٥٢).

(٣) - أخرجه أحمد ح (٢٠٦٤٨).

(٤) - اعتبر أبي بن كعب ما كان يقرأه النبي - صلى الله عليه وسلم - في قنوته في الصلاة من القرآن، ثم رجع عنه كما يأتي جوابه.

(٥) - انظر: تأويل مشكل القرآن، ابن قتيبة، ص (٤٣).

(٦) - مسند البزار ح (١٥٨٦)، مجمع الزوائد، الهيثمي (٦٠ / ٧).

(٧) - أخرجه أبو داود في سننه ح (١٤٦٣).

(٨) - أخرجه مسلم ح (٨١٤).

(٩) - أخرجه ابن حبان ح (١٨٤٢).

(١٠) - أخرجه الترمذي ح (٢٠٥٨)، والنسائي ح (٥٤٩٤)، وابن ماجه ح (٣٥١١).

(١١) - أخرجه أحمد ح (٢٠٦٧٧).

عن ابن مسعود بشأن حك المعوذتين معارضة بآثار أصح منها منقولة عن ابن مسعود ، فالمعوذتان قرأ بهما عاصم - راوي الأثر المشكل - في قراءته الصحيحة التي يرويها عن زر بن حبيش وأبي عبد الرحمن السلمي وأبي عمرو سعد بن إلياس الشيباني، "وقرأ هؤلاء الثلاثة على عبد الله بن مسعود ، وقرأ السلمي وزر أيضا على عثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهما، وقرأ السلمي أيضا على أبي بن كعب وزيد بن ثابت رضي الله عنهما، وقرأ ابن مسعود وعثمان وعلي وأبو زيد على رسول الله " (١).

وكذلك رويت قراءة المعوذتين عن ابن مسعود في قراءة حمزة وتلميذه الكسائي، فقد قرأها عنه من طريق "علقمة والأسود وابن وهب ومسروق وعاصم بن ضمرة والحارث" فقد قرؤوا جميعا على ابن مسعود (٢). بل وقرأ المعوذتين جميع القراء العشرة، وأسانيد قراءتهم أقوى من تلك الرواية الضعيفة المستشكلة ، التي لن تقوى على معارضة (٩٨٠) طريقا مسندة، وهي عدد الطرق التي ذكرها ابن الجزري تفصيلا للقراء العشر (٣)، وتنتهي هذه الطرق - التي قاربت الألف - إلى ابن مسعود وإلى أجلة إخوانه من أصحاب النبي كعثمان وأبي بن كعب وأبي هريرة وابن عباس، وهذا أصح من الآثار المروية في نحو السورتين، ولا تنهض آثار الأحاد الضعيفة في نقض ألف من الأسانيد الصحاح، لذا "أجمع المسلمون على أن المعوذتين، والفتحة من القرآن، وأن من جحد شيئا منها كفر، وما نقل عن ابن مسعود باطل ليس بصحيح عنه" (٤).

ومال بعض المحققين إلى الجمع بين هذه الآثار، والقول بأن ابن مسعود كان يصنع ذلك، لأنه لم يسمع النبي يقرأ بهما في الصلاة، فلما رأى إجماع الصحابة قرأ بهما، وأقرأ التابعين كما في القراءات المنقولة عنه، يقول ابن كثير: "مشهور عند كثير من القراء والفقهاء أن ابن مسعود كان لا يكتب المعوذتين في مصحفه، فلعله لم يسمعهما من النبي ، ولم يتواتر عنده، ثم قد رجح عن قوله ذلك إلى قول الجماعة [بدليل القراءات المروية عنه]، فإن الصحابة أثبتوها في المصاحف الأئمة، وأنفذوها إلى سائر الآفاق كذلك، والله الحمد والمنة" (٥).

## سادساً: هل أسقط ابن مسعود الفتحة من مصحفه؟

قالوا: اختلف الصحابة في قرآنية أهم سور القرآن، وهي سورة الفتحة، فلم يكتبها ابن مسعود من مصحفه ، كما نقل عنه ذلك التابعي ابن سيرين بقوله: "إن أبي بن كعب وعثمان كانا يكتبان فتحة الكتاب والمعوذتين ، ولم يكتب ابن مسعود شيئا منهن" (٦).

والجواب: ثبوتية الفتحة - كغيرها من سور القرآن - ثابتة بنقل جموع المسلمين وتواترهم على قراءتها جيلا بعد جيل، بل أثبت القرآن نفسه قرآنية سورة الفتحة، أعظم سوره، بقول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمِ﴾ (الحجر: ٨٧)، فالسبع المثاني هي سورة الفتحة التي تتلى وتقرأ في كل صلاة، وقد سماها النبي

(١) - النشر في القراءات العشر، ابن الجزري (١/ ١٥٥)، وانظر: الإقناع في القراءات السبع، ابن البادش الأنصاري (١/ ١٢٤).

(٢) - النشر في القراءات العشر، ابن الجزري (١/ ١٦٥)، وانظر: الإقناع في القراءات السبع، ابن البادش الأنصاري (١/ ١٣٥).

(٣) - انظر: النشر في القراءات العشر، ابن الجزري (١/ ١٩٠).

(٤) - المجموع شرح المهذب، النووي (٣/ ٣٥٠).

(٥) - تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (٤/ ٧٤١).

(٦) - عزاه السيوطي في الدر المنثور (١٠/ ١) إلى عبد بن حميد، ولم أجده في مسنده، ولعله في تفسيره المفقود، كما عزاه إلى المروزي في تعظيم قدر الصلاة، ولم أجده فيه، ولكن الأثر أخرجه ابن سلام في فضائل القرآن ح (٥٧٥).

أم القرآن: «أم القرآن هي السبع المثاني والقرآن العظيم» (١)، فهي أم القرآن وأصله وفتحتته التي: «ما أنزل الله عز وجل في التوراة ولا في الإنجيل مثل أم القرآن، وهي السبع المثاني» (٢). وهذا المنسوب إلى ابن مسعود لا يفيد عدم اعتقاده بقرآنية سورة الفاتحة، فهذا يخالف الصحيح المتواتر عند المسلمين جميعاً، بل هو مخالف أيضاً لما بيناه سابقاً من صحة القراءات المسندة إلى ابن مسعود، فقد قرأها وأقرأها التابعين كما صح عنه في قراءة عاصم وحمة والكسائي، ولا يظن مسلم أن ابن مسعود يجهل قرآنيته، وهو الذي يقرأها في كل صلاة، ويقول عنها فيما نقله عنه ابن سيرين (راوي الأثر المشكل عنه): (السبع المثاني فاتحة الكتاب) (٣).

ولو تأملنا المنقول عنه لما وجدنا فيه إنكاراً لقرآنية الفاتحة، بل غاية ما فيه أن ابن مسعود لم يكتب الفاتحة في مصحفه، وصدق ابن قتيبة بقوله: "وأما إسقاطه الفاتحة من مصحفه، فليس لظنه أنها ليست من القرآن (معاذ الله)، ولكنه ذهب إلى أن القرآن إنما كتب وجمع بين اللوحين، مخافة الشك، والنسيان، والزيادة، والنقصان، ورأى ذلك لا يجوز على سورة الحمد لقصرها، فلما أمن عليها العلة التي من أجلها كتب المصحف؛ ترك كتابتها، وهو يعلم أنها من القرآن" (٤)، فقد أغفل - رضي الله عنه - كتابتها في مصحفه لإطباق الناس على قراءتها، لذا نقل إبراهيم النخعي أنه قيل لابن مسعود: لم لم تكتب الفاتحة في مصحفك؟ فقال: (لو كتبتها لكتبتها في أول كل سورة) (٥).

قال أبو بكر الأنباري: "يعني أن كل ركعة سبيلها أن تفتح بأم القرآن، قبل السورة المتلوة بعدها، فقال: اختصرت بإسقاطها، ووثقت بحفظ المسلمين لها، ولم أثبتها في موضع، فيلزم أن أكتبها مع كل سورة، إذ كانت تتقدمها في الصلاة" (٦).

## سابعاً: هل أخطأ نساخ القرآن في كتابة بعض كلماته؟

أولاً: قالوا: النص القرآني تعرض للتغيير والتحريف الذي طرأ عليه بسبب خطأ الرواة والنساخ، واستدلوا لذلك بما روي عن ابن عباس أنه كان يقرأ "أفلم يتبين للذين آمنوا" فقليل له: إنها {أفلم ييأس الذين آمنوا} [الرعد: ٣١] فقال: إني أرى الكاتب كتبها وهو ناعس (٧).

الجواب:

لن نعيد هنا ما سبق عرضه عن كيفية نقل القرآن الكريم بحفظ الجموع من الصحابة وإجماعهم على المصحف الذي كتبه عثمان، فما خالف حروفه تركوا روايته، ولو كان منقولاً عن النبي، فلو صح النقل عن ابن عباس لما كان فيه ما يقدح في وثاقة النص القرآني، لمخالفته لنقل جموع الثقات. لكن الرواية المذكورة لا

(١) - أخرجه البخاري ح (٤٧٠٤).

(٢) - أخرجه الترمذي ح (٣١٢٥)، والنسائي ح (٩١٤)، وأحمد ح (٢٠٥٩١).

(٣) - انظر: المطالب العلية في زوائد الكتب الثمانية، ابن حجر ح (٣٦١٠).

(٤) - مناهل العرفان، الزرقاني (١/١٩٢).

(٥) - عزاه السيوطي أيضاً في الدر المنثور (١٠/١) إلى عبد بن حميد، ولم أجده في مسنده، ولعله أيضاً في تفسيره المفقود، وانظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير (١٠٣/١)، وكلام أبي بكر الأنباري ذكره القرطبي في الجامع لأحكام القرآن (١/١١٥).

(٦) - الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (١/١١٥).

(٧) - أخرجه الطبري (١٣/١٥٤). وذكره السيوطي في الدر (٤/٦٥٣) وعزاه لابن الأنباري في المصاحف.

تصح نسبتها إلى ابن عباس (١)، بل هي ضعيفة منكرة المتن، ردها العلماء واستبشعوها لمخالفتها لظاهر القرآن الكريم {وإناله لحافظون} (الحجر: ٩)، ثم لأبسط معارفنا عن كيفية نقل القرآن الكريم، قال الرمخشري: «هذا ونحوه مما لا يصدق في كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه. وكيف يخفى هذا حتى يبقى ثابتا بين دفتي الإمام [أي المصحف الإمام، وهو مصحف عثمان]، وكان متقلبا بين أيدي أولئك الأعلام المختاطين لدين الله المهيمين عليه، لا يغفلون عن جلالته ودقائقه؛ خصوصا عن القانون الذي إليه المرجع، والقاعدة التي أقيم عليها البناء؟ هذا والله فرية ما فيها مرية. وقال الفراء: «لا يتلى إلا كما أنزل: {أفلم ييأس}» (٢). وقال أبو حيان: «وأما قول من قال: «إنما كتبه الكاتب وهو ناعس، فسوى أسنان السين» فقول زنديق ملحد» (٣). وقال الألويسي: «فرواية ذلك - كما في الدر المنثور - عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما غير صحيحة» (٤). وقال الزرقاني: «لم يصح ذلك عن ابن عباس».

ويشهد لضعف هذه الرواية أمور، منها أنه ورد عن ابن عباس تفسيره للفظه {ييأس}، مما يدل على قراءته بها، فقد أخرج ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه فسر {أفلم ييأس} بقوله: «يعلم»، فتفسيره إقرار منه لأصلتها، ويناقض الرواية المزعومة التي توهم تحطته لمن قرأ: {ييأس}. ويزيد الأمر وضوحا وجلاء ما أخرجه الطستي عن نافع بن الأزرق أنه سأل ابن عباس عن قوله: {أفلم ييأس الذين آمنوا} ففسرها بقوله: «{أفلم يعلم} بلغة بني مالك». فقال ابن الأزرق: وهل تعرف العرب ذلك؟ قال: «نعم، أما سمعت مالك بن عوف يقول: لقد يئس الأقباط أني أنا ابنه... وإن كنت عن أرض العشيرة نائيا» (٥).

لكن الشاهد الأهم على ضعف هذه الرواية هو مخالفتها للقراءات الصحيحة المنقولة عن ابن عباس بروايات الجموع عن الجموع، وفي كلها قرأ الرواة عنه: {أفلم ييأس الذين آمنوا}، وهذه القراءات أوثق في أسانيدنا وأصح من الرواية المشككة. فقراءة أبي عمرو الدوري مسندة إلى ابن عباس، وقرأ فيها: {أفلم ييأس}، فقد قرأ أبو عمرو على مجاهد المكي وسعيد بن جبير وعطاء بن أبي رباح وعكرمة بن خالد القرشي وأخيه أبي وابصة الحارث بن خالد القرشي، وكل هؤلاء قرؤوا على ابن عباس رضي الله عنه: {أفلم ييأس}. كما قرأها أبو عمرو بهذا اللفظ على شيوخه محمد بن محيصن وأبي صفوان حميد الأعرج، وقد قرأ على مجاهد تلميذ ابن عباس (٦).

(١) - رجح ابن حجر تصحيح سند الرواية المنسوبة إلى ابن عباس، وتعقبه الشيخ أحمد شاكر بقوله: «فإسناده صحيح، لا مطعن فيه، ومع صحة إسناده لم أجد أحدا من أصحاب الدواوين الكبار، كأحمد في مسنده، أو الحاكم في المستدرک، ولا أحدا ممن نقل عن الدواوين الكبار، كالثميني في مجمع الزوائد، أخرج هذا الخبر أو أشار إلى هذه القراءة عن ابن عباس، أو علي بن أبي طالب، كما جاء في الخبر الذي قبله رقم: ٢٠٤٠٨، بل أعجب من ذلك أن ابن كثير، وهو المتعقب أحاديث أبي جعفر في التفسير، لما بلغ تفسير هذه الآية، لم يفعل سوى أن أشار إلى قراءة ابن عباس، وأغفل هذا الخبر إغفالا على غير عادته، وأكبر ظني أن ابن كثير عرف صحة إسناده، ولكنه أنكر ظاهر معناه إنكارا حمله على السكوت عنه، وكان خليقا أن يذكره ويصفه بالغرابة أو النكارة، ولكنه لم يفعل، لأنه فيما أظن قد تحير في صحة إسناده، مع نكارة ما يدل عليه ظاهر لفظه. وزاد هذا الظاهر نكارة عنده، ما قاله المفسرون قبله في هذا الخبر عن ابن عباس، حين روه غير مسند بألفاظ غير هذه الألفاظ» تعليق أحمد شاكر على تفسير الطبري (٤٥٢/١٦).

(٢) - الكشاف عن حقائق التنزيل وعبون الأقاويل في وجوه التأويل (٤٩٩/٢).

(٣) - البحر المحيط (٣٩١/٦).

(٤) - روح المعاني (١٤٨/٧).

(٥) - ويدل عليه أيضا قول سحيم اليربوعي: أقول لهم بالشعب إذ يأسروني... أم تيأسوا [أي تعلموا] أي ابن فارس زهدم

(٦) - انظر الإقناع في القراءات السبع (١٠١/١).

قال ابن الأنباري: «روي عن عكرمة عن ابن أبي نجيح أنه قرأ (أفلم يتبين الذين آمنوا)، وبما احتج من زعم أنه الصواب في التلاوة، وهو باطل عن ابن عباس، لأن مجاهدا وسعيد بن جبير حكيا الحرف عن ابن عباس على ما هو في المصحف بقراءة أبي عمرو، وروايته عن مجاهد وسعيد بن جبير عن ابن عباس» (١).

ثانيا : قالوا: أخطأ نساخ القرآن في قراءة بعض كلمات القرآن، وتغيرت بسبب القراءة الخاطئة، ومثلوا له بكلمة (أمة) في قوله: {وادكر بعد أمة} [يوسف: ٤٥]، فزعموا أنها ينبغي أن تكون (وادكر بعد أمد). وذكروا مثالا آخر لما أسموه أخطاء نساخ القرآن في كلمة {حصب}، وذلك في قوله تعالى: {فإنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم} [الأنبياء: ٩٨]، فزعم أنها في الأصل (حطب جهنم)، فتحرقت على قارئها إلى {حصب}، لأن الحصب يكون من الحجر، بينما الحطب يكون من الشجر الذي هو وقود النار.

الجواب: لم يقرأ المستشرق بيلامي (٢) صاحب هذه الشبهة ما يسوغ له هذا القول في مخطوطة للقرآن، ولم يجده في رواية من الروايات، لكنها خاطرة لامست خياله وهو يشرب الشاي، ولربما القهوة، وقد أودى به جهله بألفاظ العرب إلى الظن بأن كلمة {أمة} لا تناسب هذا السياق، إذ لا يعرف أن (الأمة) لفظ مشترك، يقصد به العرب عددا من المعاني، ورد بعضها في القرآن، ومنها: الجماعة، ومنه قوله تعالى: {وجد عليه أمة من الناس} [القصص: ٢٣]، أي جماعة من الناس. ومن معاني (الأمة): المقتدى به، ومنه قوله: {إن إبراهيم كان أمة} [النحل: ١٢٠]، أي إماما يقتدى به، وكذلك يراد من (الأمة): الطريقة أو الدين، ومنه قوله تعالى: {إننا وجدنا آباءنا على أمة} [الزخرف: ٢٢]، أي على طريقة. ومن معاني هذه الكلمة القرآنية أيضا في لغة العرب: المدة والأمد، وورد لها شاهد آخر في القرآن الكريم، وهو قوله تعالى: {ولئن أحرنا عنهم العذاب إلى أمة معدودة ليقولن ما يحبسها} [هود: ٨]، فأمة هنا تعني (مدة) أو (أمد).

وأما بخصوص الخطأ الآخر الذي زعمه المستشرق بيلامي، ونسبه إلى قراءة خاطئة لأحد النساخ في قوله: {فإنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم}، فزعم أن الأصل (حطب جهنم) لأن الحصب من الحجر، والحطب من الشجر الذي هو وقود النار. وقد جهل بيلامي أن القرآن ذكر الحجارة مرتين في سياق حديثه عن وقود جهنم، فهي نار {وقودها الناس والحجارة} [التحريم: ٦]، فالنار وقودها الحجر والشجر والإنسان، ولذا شبه الله عذاب أهل النار بالحصب، وهو الحجر الذي تذيبه النار، وهو مشهد أعظم من إحراق الشجر. ولا ريب أن (الحصب) أنسب هنا من (الحطب)، لأن الحديث عن إحراقهم وآلتههم المصنوعة من الحجارة لا الشجر {فإنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم}.

إن أمثال هذه المطاعن مما تضحك له الثكلى، ويفتقر إلى أدنى صور الموضوعية التي يفتقدها المسنشقون بقدر جهلهم بوسائط نقل القرآن عبر القرون، وأعداد حافظيه بين الصحابة والتابعين ومن بعدهم إلى يوم الدين.

## ثامناً: هل في القرآن زيادة أو سقط أو جمل لم تكتمل؟

(١) - الجامع لأحكام القرآن (٩/ ٣٢٠).

(٢) - مزاعم المستشرقين حول القرآن الكريم، د. محمد مهر علي (نسخة إلكترونية) في مقال نشره في مجلة الجمعية الاستشرافية الأمريكية سنة ١٩٩٣م.

أولا : قالوا: في القرآن جمل لا يتضح معناها إلا بحذف واو منها، وقصدوا بذلك قوله تعالى: { فلما ذهبوا به وأجمعوا أن يجعلوه في غيابة الجب وأوحينا إليه لتنبئهم بأمرهم هذا وهم لا يشعرون } [يوسف: ١٥] فتساءلوا أين خبر { فلما ذهبوا به وأجمعوا }، ورأوا أن المعنى لا يتم إلا بحذف الواو في قوله: { وأوحينا } لنصل إلى الخبر، وهو بحسب زعمهم { أوحينا إليه لتنبئهم بأمرهم هذا }. ومثله زعموه في قوله تعالى: { فلما أسلما وتله للجبين وناديناه يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا إنا كذلك نجزي المحسنين } [الصفوات: ١٠٣ - ١٠٥]، فزعموا أن قوله: { فلما أسلما } لا يظهر خبره إلا بحذف الواو من قوله { وتله للجبين }.

الجواب:

للعلماء في جواب هذه المسألة أجوبة، وكلها وجوه صحيحة تعرفها العرب في كلامها، وأهمها ثلاثة وجوه: الأول: وهو مذهب علماء اللغة البصريين، ويرون أن الخبر في هذه الشواهد محذوف مضمّر، وتقديره يكون بحسب السياق، وهو موضع نستوفيه ونذكر شواهد في حديث يأتي قريبا عن الجمل التي زعموا عدم اكتمالها. الثاني: وهو مذهب علماء اللغة الكوفيين، ويرون أن الخبر في هذه الشواهد وأمثاله ظاهر بعد واو الصلة، التي تقحمها العرب في جواب (لما) و (حتى)، فما يأتي بعدهما يقع جوابا لما قبلهما (١).

وقد نقل ابن الأنباري الرأيين بقوله: " ذهب الكوفيون إلى الواو العاطفة يجوز أن تقع زائدة، وإليه ذهب أبو الحسن الأخفش وأبو العباس المبرد وأبو القاسم ابن برهان من البصريين. وذهب [جمهور] البصريون إلى أنه لا يجوز" (٢). وتقدير السياق في الآيات السابقة على مذهب الكوفيين: ( فلما ذهبوا به وأجمعوا أن يجعلوه في غيابة الجب أوحينا إليه لتنبئهم بأمرهم ) ( فلما أسلما وتله للجبين نادينا يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا ). ويسمى بعض النحاة واو الصلة بالواو (الزائدة)، لأنها لا محل لها من الإعراب، والعرب تزيدها في كلامها لما رب بيانية، وكذلك صنع القرآن الذي نزل موافقا لطرائقهم في الكلام والبيان.

ومن شواهد إضافة العرب لهذه الواو قول الأسود بن يعفر النهشلي:

حتى إذا قملت بطونكم ... ورأيتم أبناءكم شبوا

وقلبتم ظهر الجن لنا ... إن اللئيم العاجز الخب

والمعنى: قلبتم ظهر الجن بعد أن كبر أبناءكم وشبتم.

ولن يقبل تحبظ جاهل - لم يعرف طرائق العرب في الكلام - بوجوب حذف الواو في قوله: (وقلبتم)، فما هو أدرى بلغة العرب من شاعر تميم في الجاهلية وندم النعمان بن المنذر ملك المناذرة.

ومن صور الواو (الزائدة) قول امرؤ القيس:

فلما أجزنا ساحة الحي وانتحى ... بنا بطن خبت ذي حفاف عقنقل

والمعنى: لما أجزنا ساحة الحي انتحى بنا .... والواو زائدة.

ومن بعدهما قال الأخطل التغلبي النصراني:

(١) - انظر: الباب في علوم الكتاب، ابن عادل الدمشقي (٢٠ / ٢٢٦).

(٢) - الإنصاف في مسائل الخلاف (٢ / ٦٥٤)، شرح الرضي على الكافية، الأسترباذي (٤ / ٣٩٣)، والجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (١٥ / ١٠٤)، خزنة

الأدب ولب لباب لسان العرب، عبد القادر بن عمر البغدادي (١١ / ٥٧).

ولما رأى الرحمن أن ليس منهم ... رشيد ولا ناه أخاه عن الغدر  
وصب عليهم تغلب ابنة وائل ... فكانوا عليهم مثل راغية البكر  
والمعنى: صب الله عليهم العذاب بتغلب بعد أن فسدوا وغدروا.  
الثالث: وهو مكمل للثاني، فقد ذهب آخرون من فقهاء اللغة إلى جواز زيادة الواو في جواب (لما) و (حتى)،  
وفي جواب غيرهما، ومثلوا له بقول الشاعر:

فإن رشيدا وابن مروان لم يكن ... ليفعل حتى يصدر الأمر مصدرا

فإنه أراد رشيد بن مروان، فزاد الواو بين الصفة والموصوف، وليس في السياق (لما) ولا (حتى).

ومثله قول شاعر آخر: كنا ولا تعصي الحليلة بعلمها ... فالיום تضربه إذا ما هو عصي

فزاد الواو في خبر كان، والمعنى: كنا لا تعصي الحليلة زوجها (١).

ثانيا : قالوا: ثمة جمل في القرآن لم تكتمل (٢)، ومنها قوله تعالى: {ولو أن قرآنا سيرت به الجبال أو

قطعت به الأرض أو كلم به الموتى بل لله الأمر جميعا} [الرعد: ٣١]، وقوله: {حتى إذا ما جاءوها وفتحت  
أبوابها وقال لهم خزنتها}.

والجواب: قبل الشروع في تبيان جواب قولهم تفصيلا؛ نستذكر قولاً لإمام اللغة الجرجاني، وهو يتحدث عن

طرف من إعجاز القرآن، فيقول: «الحذف هو باب دقيق المسلك، لطيف المأخذ، عجيب الأمر، شبيه  
بالسحر، فإنك ترى به ترك الذكر أفصح من الذكر، والصمت عن الإفادة أزيد للإفادة، وتجدك أنطق ما تكون  
إذا لم تنطق وأتم ما تكون بيانا إذا لم تبين» (٣). ثم ذكر له عشرات الشواهد من القرآن الكريم ومن أشعار  
العرب وآدابها، ليدلل على فن تعرفه العرب في كلامها، ولا ينكره إلا الجاهلون من الأعاجم المستعربين اليوم.

وشواهد الحذف في القرآن الكريم كثيرة، وبين يدينا العديد منها مما جرى فيها حذف بعض الكلام من السياق  
تعالى: {حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون واقترب الوعد الحق} [الأنبياء: ٩٦ -  
٩٧] فقوله: {حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون} مبتدأ، وخبره محذوف، والتقدير:  
حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب قالوا: يا ويلنا فقد اقترب الوعد الحق أي يوم القيامة.

وذلك أن خروج يأجوج ومأجوج علامة على اقترابه. وكذلك حذف الخبر في قوله: {وسيق الذين اتقوا ربهم إلى  
الجنة زمرا حتى إذا جاءوها وفتحت أبوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين} (الزمر: ٧٢ -  
٧٣)، والتقدير: سيق المتقون إلى الجنة زمرا حتى إذا جاءوها استقبلتهم الملائكة، وفتحت أبوابها وقال لهم  
خزنتها .. والواو في قوله: {واقترب} {وفتحت أبوابها} هي واو العطف، معطوفة على محذوف دل عليه  
السياق .

### وهنا يسأل سائل: لم يحذف العرب في كلامهم ما يحذفون؟

(١) - خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، عبد القادر بن عمر البغدادي (١١/٤٣ - ٤٥).

(٢) - ذكرنا قبل مذهب أساطين اللغة الكوفيين في مثل هذه الشواهد، وأنهم يرون أن الخبر في هذه المواضع وأشياهاها ظاهر بعد واو الصلة، ونقلنا بعض شواهده  
في لغة العرب والقرآن الكريم.

(٣) - دلائل الإعجاز، ص (١٢١).

العرب تفعل ذلك لأمرين:

الأول: الإيجاز البلاغي لما يفهمه السامع من غير حاجته إلى ذكره، فالإيجاز فيما لا يخل بالمعنى ضرب من البلاغة لا يستغني عنه أرباب البيان، لما فيه من صون الكلام عن الحشو. ومنه قوله تعالى: {قال لو أن لي بكم قوة أو آوي إلى ركن شديد (٨٠)} قالوا يا لوط إنا نرسل ريك لن يصلوا إليك {هود: ٨٠ - ٨١}، فخبّر {لو أن لي بكم قوة أو آوي إلى ركن شديد} محذوف، والتقدير: لو أن لي بكم قوة أو آوي إلى ركن شديد لأويت إليه. وكذلك قوله تعالى: {حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم وظنوا أن لا ملجأ من الله إلا إليه ثم تاب عليهم} (التوبة: ١١٨)، وتقديره: لما ضاقت عليهم الأرض ألهمهم الله التوبة ثم تاب عليهم.

الثاني: أن الحذف يكون أحيانا أبلغ من التصريح في المعنى وأوقع.

وضربوا له بأمثلة منها: قول الكريم: إن جئتني أعطيتك... فترك الكريم التصريح بالمعطى أوقع وأرجى في نفس السامع من قوله: إن جئتني أعطيتك كذا وكذا. ومن أمثله أيضا إنذار القوي المقدر لعدوه: والله لئن قمت إليك لأفعلن بك... فسكوت القوي عن التصريح بأنواع الوعيد يذهب بفكر المتوعد كل مذهب، فلا يدري أي أنواع المكروه - من الضرب والقتل والكسر - يصيبه، فتتمثل في فكره صور من العقوبات لم يخطر بعضها في ذهن المتوعد، وتتكاثر عليه وتؤرقه، وهي ولا ريب أبلغ في نفسه وأزجر من قول المتوعد: لئن قمت إليك لأضربنك.

وقد وقع في القرآن في غير ما موضع حذف ما يفهم من السياق لقصد الزجر والتخويف، منه قوله تعالى: {ولولا فضل الله عليكم ورحمته وأن الله رؤوف رحيم} [النور: ٢٠]، فحذف جواب {ولولا}، والتقدير فيه: ولولا فضل الله عليكم ورحمته لفضحكم بما ترتكبون من الفاحشة ولعاجلكم بالعقوبة قبل التوبة و... يقول العلامة أبو السعود في تعليل هذا الحذف: «وجواب لولا محذوف لتهويله، والإشعار بضيق العبارة عن حصره، كأنه قيل: ولولا تفضله تعالى عليكم ورحمته، وأنه تعالى مبالغ في قبول التوبة، حكيم في جميع أفعاله، وأحكامه التي من جملتها ما شرع لكم من حكم اللعان، لكان ما كان مما لا يحيط به نطاق البيان» (١). ومثله في استدعاء المعاني الكثيرة بحذف الجواب ما جاء في قوله تعالى: {ولو أن قرآنا سيرت به الجبال أو قطعت به الأرض أو كلم به الموتى بل لله الأمر جميعا} [الرعد: ٣١]، والتقدير: لو أن قرآنا سيرت به الجبال أو قطعت به الأرض أو كلم به الموتى لما آمنوا به. ويصح أيضا وجه آخر: لكان هذا القرآن.

فحذف الجواب فتح الباب أمام ذهن السامع ليحجول في كلا المعنيين الصحيحين، وهو يقول: صدق الله العظيم بقوله: {ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل لعلهم يتذكرون (٢٧)} قرآنا عربيا غير ذي عوج لعلهم يتقون} [الزخرف: ٢٧ - ٢٨].

وقد يغين الشيطان على أحدهم، فيتساءل: هل تعرف العرب مثل هذا الحذف في كلامها؟

<sup>١</sup> - تفسير أبو السعود (١٥٩/٦).

ونقول: نعم، فذلك تعرفه العرب في كلام بلغائها، والقرآن النازل بلسان العرب وافقهم في أساليبهم وطرائق بياضهم، ومنها حذفهم الخبر أو جواب القسم.

قال امرؤ القيس: فلو أنها نفس تموت جميعة... ولكنها نفس تساقط أنفسا  
فقوله: (لو أنها نفس تموت جميعة) مبتدأ محذوف الخبر، وتقديره: لغنيت أو لاستراحت بموتها. فحذف الخبر يعطي الفرصة لإعمال الخبرين.

وكذلك قال جرير: كذب العواذل لو رأين مناخنا... مجزئ رامة والمطي سوامي  
ولم يقل: لرأين ما يشحهن ويسخن أعينهن.

وقال الشاعر: قالت بنات العم يا سلمى وإن... كان فقيرا معدما قالت وإن  
أي رضيت زواجه وإن كان فقيرا.

وقال حاتم طيء مقالة صارت مثلا حين أسر، فلطمته جارية: لو غير ذات سوار لطمتني.

أي لو كان ظلمي رجلا ذا قدر لكان سهلا علي، أو لاقتصمت منه (١).

والعرب تعرف الاختصار في كلامها، لا في الجمل والكلمات فحسب، بل قد تختصر الكلمة الواحدة، وتكتفي عنها بحرف، وهو ضرب لم يرد له في القرآن مثل، لما قد يقع فيه من التوهم، قال ابن مكناس:

لم أنس بدرا زارني ليلة... مستوفرا ممتطيا للخطر

فلم يقف إلا بمقدار ما... قلت له أهلا وسهلا ومر [أي: مرحبا].

وقال الشاعر: ما للظليم عال كيف لا يا... ينقد عنه جلده إذا يا

قال الطبري: كأنه أراد أن يقول: إذا يفعل كذا وكذا، فاكتفى بالياء من يفعل (٢).

وقال آخر: وبالخير خيرات وإن شرافاً [أي: فشر]... ولا أريد الشر إلا أن تأ [أي: تشاء]

وقال آخر: قلنا قفي لنا فقالت قاف [أي وقفت]... لا تحسي أنا نسينا الإيجاف، فمن عرف أمثال هذا في

كلام العرب أدرك بلاغة القرآن وعظمة بيانه، وأدرك أيضا جهل الطاعنين فيه على غير هدى.

ثالثا: قالوا: لم يذكر القرآن جواب القسم في قوله تعالى: {والفجر (١) وليال عشر (٢) والشفع والوتر

(٣) والليل إذا يسر (٤) هل في ذلك قسم لذي حجر (٥) ألم ترى كيف فعل ربك بعاد (٦) } [الفجر: ١ -

٦] ، وتساءلوا ما فائدة القسم إذا لم يذكر جوابه.

والجواب:

ليس في القرآن قسم ليس له جواب، لكن جواب القسم قد يذكر صراحة، وقد يضمن، ويفهمه السامع

بقراءة من السياق، يقول سيبويه: «والحذف في كلامهم كثير، إذا كان في الكلام ما يدل عليه». وفي الآية

المستشكلة جواب للقسم محذوف تقديره: والفجر وليال عشر ليعذب الله الكفار كما فعل بعاد ذات العماد

وثمود وفرعون ذي الأوتاد. وقد ورد إضمار جواب القسم في غير ما موضع من القرآن الكريم، ومنه قوله تعالى:

{ص والقرآن ذي الذكر (١) بل الذين كفروا في عزة وشقاق } [ص: ١ - ٢] وجواب القسم مضمّر محذوف

(١) - سر صناعة الإعراب، ابن جني (٢/٦٤٨).

(٢) - جامع البيان (١/٢١٣)، وانظر تفسير ابن كثير (٢/٦٤٨).

، تقديره: ص والقرآن ذي الذكر، إنك لرسول الله، والذين كفروا في عزة وشقاق. قال ابن عاشور: "والغرض من حذف جواب القسم هنا الإعراض عنه إلى ما هو أجدر بالذكر، وهو صفة الذين كفروا وكذبوا القرآن عنادا أو شقاقا منهم" (١) ومما حذف فيه جواب القسم أيضا قوله تعالى: {والنازعات غرقا (١) والناشطات نشطا (٢) والساجحات سبحا (٣) فالسابقات سبقا (٤) فالمدبرات أمرا (٥) يوم ترجف الراجفة} [النازعات: ١ - ٦]، أي: والنازعات والناشطات .. لتبعثن يوم ترجف الراجفة. ومثله قوله تعالى: {لا أقسم بيوم القيامة (١) ولا أقسم بالنفس اللوامة (٢) أيحسب الإنسان أن نجمع عظامه}، وجواب القسم فيه محذوف، دل عليه السياق، أي: أقسم لتبعثن ولتحاسبين وليجزين كل نفس بما كسبت.

## الفصل الثاني

### ما يتعلق بالشبهات اللغوية والبيانية وأسلوب القرآن الكريم

#### أولاً: أخطاء نحوية مزعومة في القرآن :

قال بعض من يزعم أنه من أبناء العربية: إن في القرآن أخطاء نحوية خالف فيها قواعد اللغة العربية، وهذا يدل على أنه ليس من كلام الله، لأن الله لا يخطئ، قالوا هذا حين استشكلوا بعض آيات القرآن؛ وأروها على خلاف ما تعلموه في دراستهم لقواعد النحو في المرحلة الابتدائية، فظنوا أن في هذه الآيات خطأً فات الأولين، وأنهم تنبهوا له - بعقريتهم - بعد مر القرون. وقبل أن نعرض لأهم الآيات التي استشكلوها، نجيب بأجوبة إجمالية بين يدي البحث:

أولاً: أن العرب الذين نزل فيهم القرآن كانوا أفصح الناس، وكان فيهم أصحاب المعلقات كلبيد بن

ربيعة الذي ترك نظم الشعر بعد سماعه للقرآن، ولم يستشكل ما استشكله أعاجم العرب اليوم، كما لم يستشكله مشركو قريش وغيرهم، رغم عداوتهم القرآن وحرهم النبي - صلى الله عليه وسلم - وحرصهم على معاداة دينه {وتنذر به قوماً لداً} (مريم: ٩٧)، لكنهم كانوا عرباً أقحاحاً، فعرفوا ما جهله أهل العجمة من العرب اليوم.

ثانياً: أن اللغة في أصلها سماعية، لا قاعدية، فالعربي حين كان ينطق بالفاعل مرفوعاً، لا لأن آباءه علموه أن الفاعل مرفوع، بل لسليقته العربية التي نشأ عليها منذ طفولته.

لكن في القرن الثاني من بعثة النبي - صلى الله عليه وسلم - دخلت الفرس والروم والترك وغيرهم في الإسلام، وتكلموا بالعربية، فظهر اللحن، وضاعت السليقة، مما دعا العلماء المسلمين لوضع قواعد اللغة المعروفة عندنا اليوم، وقد وضعوها اعتماداً على مصدرين أساسيين: الأول: القرآن الكريم، والثاني: ما ورد عن العرب في أشعارهم وكلامهم، فالقرآن هو المصدر الأول والأساس لقواعد العربية.

لكن العرب الفصحاء قبل وضع هذه القواعد لم يكونوا على نسق واحد في الإعراب والأساليب اللغوية، فلكل قبيلة خصوصيتها اللغوية وفصاحتها وشعراؤها وأدباؤها وإثرائها للغة الضاد، فعمد مقعدو اللغة إلى الشائع عند عموم العرب، وأهملوا غيره مما هو فصيح تنطق به بعض قبائل العرب.

ولو شئنا أن نضرب مثلاً لقلنا: الشائع في قواعد اللغة حذف ضمير الفاعل من الجملة إذا جاء الفاعل اسماً ظاهراً، فيقول عموم العرب: (جاء المسلمون)، ولا يقولون: (جاءوا المسلمون)، لكن قبيلة طيء تجيز إثبات ضمير الفاعل، مع وجود الاسم الظاهر، وهي اللغة المشهورة عند النحاة بـ (أكلوني البراغيث)، ومنه قول أبي فراس الحمداني: نتج الربيع محاسنا... ألقنهنها غر السحائب

وكذا قول محمد بن أمية: رأين الغواني الشيب لاح بعارضي... فأعرضن عني بالحدود النواضر (١)

(١) - شرح شذور الذهب، ابن هشام، ص (٢٢٩)، وفقه اللغة، الثعالبي (٢/٥٦٩).

فالشاعران ذكرا ضمير الفاعل (نون النسوة) في قولهما: (ألقنهما)، و (رأين) مع ذكر الفاعل الظاهر بعده، وهو قولهما: (غر)، (الغواني).

فلا يصح أن يقال عن قوله: (رأين الغواني) بأنه لحن، وأن صحيحه حذف الضمير: رأيت الغواني، فقد نطق به الفصحاء من العرب؛ وإن جاء على خلاف قواعد المتأخرين منهم، أو بالأحرى على خلاف الشائع عند الكثير من قبائل العرب. ومثله شاع اليوم عندنا استخدام كلمة (الذين) في معنى الوصل، وهي لغة فصيحة عند العرب، ومثلها في الفصاحة ما يقوله بنو عقيل وغيرهم من العرب

الذين يستعيضون عنها بكلمة (الذون)، وكذلك (الذو)، كما في قول الشاعر:

قومي الذو بعكاظ طيروا شررا ... من روس قومك ضربنا بالمصاقل (١)

وقول الآخر: نحن الذون صبحوا الصباحا ... يوم النخيل غارة ملحاحا (٢)

ومثله قول الشاعر الهذلي: هم اللاؤون فكوا الغل عني ... بمر الشاهجان إلى الجناح (٣)

فهل سيقال عن قبيلة هذيل أنها تلحن لقولهم (اللاؤون)، في حين أن غيرهم من العرب يقول (اللائي)؟.

ومثله حذف بعض العرب نون النسوة من الفعل المرفوع، في حين أن القواعد التي وضعها المقعدون بعد ذلك تعتبر إثبات النون علامة على رفع الفعل، بينما حذفها يعني جزمه أو نصبه، فهل سيقول أعاجم العرب اليوم أن هؤلاء العرب الأقحاح يلحنون؟

وهل سيتهمون الشاعر المبدع بشار بن برد باللحن والجهل لأنه حذف نون النسوة في قوله:

فلقد كان ما أكابد منها ... ومن القلب يتركاني وحيدا (٤)

**ثالثا:** القرآن نزل بلسان عربي مبين {قرآنا عربيا غير ذي عوج} (الزمر: ٢٨)، والعرب لم تعرف قواعد اللغة إلا بعد الإسلام، وقد وضعها المسلمون كالحليل بن أحمد وسيبويه وابن نفطويه وأمثالهم، واستنبطوها من القرآن أولا ثم من أشعار العرب ومأثوراتها ثانيا، فكيف يحاكم القرآن إلى قواعد وجدت بعده، بل أخذت منه. إن تقريرنا لهذه القواعد العامة كاف في الرد على كل الأباطيل المتعلقة بالنحو، لكن كفايتها لن تمنعنا من الرد التفصيلي على ما اشتبه على أصحاب الشبهات والأباطيل:

**المسألة الأولى: رفع اسم (إن):** قالوا: أخطأ القرآن في قوله تعالى - حسب قراءة نافع وابن عامر

وحمة والكسائي وأبي بكر عن عاصم: {إن هذان لساحران} فقالوا: رفع القرآن اسم إن بالألف، وكان

المفروض أن ينصبه بالياء، فيقول: (إن هذين لساحران). والجواب من وجهين:

الأول: أن قوله تبارك وتعالى: {إن هذان لساحران} جاء على لغة بلحارث بن كعب وزبيد وختعم وهمدان ومن

وليهم من قبائل اليمن، حيث يلزمون المثني الألف مهما كان موقعه من الإعراب، قال ابن جني: "من العرب

(١) - شرح الرضي على الكافية، الأسترايادي (٢٠ / ٣).

(٢) - شرح ابن عقيل (١ / ١٤٤)، ومعجم القواعد العربية، الدقر (٢٤ / ٢٨).

(٣) - معني اللبيب عن كتب الأعراب، ابن هشام الأنصاري، ص (٥٣٥).

(٤) - انظر: بشار بن برد - شخصيته وفنه، إبراهيم عوض، ص (٣٩٢).

من لا يخاف اللبس، ويجري الباب على أصل قياسه، فيدع الألف ثابتة في الأحوال، فيقول: قام الزيدان، وضربت الزيدان، ومررت بالزيدان، وهم بنو الحارث وبطن من ربيعة" (١).

ومن صور ذلك قول شاعرهم هوبر الحارثي: تزود منا بين أذناه ضربة... دعته إلى هابي التراب عقيم (٢)

فألزم المثني الألف في قوله: (بين أذناه)، ولم يقل (بين أذنيه) كما هو معهود في قواعد اللغة التي كتبها النحاة بعده حسب الشائع عند غير قبيلته من قبائل العرب.

ومثله قول جرير بن عبد العزى الحارثي:

فأطرق إطراق الشجاع ولو رأى... مساعا لناباه الشجاع لصمما (٣)

فألزم المثني الألف في قوله: (لناباه)، مع أنه مجرور باللام، فهذه لغة قومه، وهم من هم في الفصاحة والبلاغة.

ومثله قول الآخر: أعرف منها الجيد والعينانا... ومنخران أشبها ظبيانا (٤)

وفيه من شواهد مسألتنا ثلاث كلمات (العينانا) و (منخران) و (ظبيانا)، فهي جميعا مثني منصوب بالألف؛ خلافا لما قعده العلماء بعد ذلك وفقا للمشهور في لغة العرب من نصب المثني بالياء.

الوجه الثاني: أن من العرب الأقحاح الفصحاء من يقلب كل ياء ساكنة انفتح ما قبلها إلى (ألف). ويمثل هذا قال أبو النجم العجلي:

واها لسلمى ثم واها واها... هي المني لو أننا نلناها  
ياليت عينها لنا وفاها... بثمان نرضي به أبأها  
إن أبأها وأبا أبأها قد... بلغا في المجد غايتها

فقد أبدل الشاعر الياء الساكنة المفتوح ما قبلها بالألف في قوله: (عينها بدلا من عينيها) وكذلك (غايتها بدلا من غايتها).

ومثله قول الشاعر:

أي قلوب ركب تراها... اشدد بمشي حقب حقواها  
ناجية وناجيا أبأها... طاروا علاهن فطر علاها

قال ابن الحاجب: "القياس: عليهن وعليها، لكن لغة أهل اليمن قلب الياء الساكنة المفتوح ما قبلها، هذا الشعر من كلامهم" (٥).

**المسألة الثانية: نصب الفاعل :** قالوا: القرآن نصب الفاعل (الظالمين) في قوله: ﴿وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فأتمهن قال إني جاعلك للناس إماما قال ومن ذريتي قال لا ينال عهدي الظالمين﴾ (البقرة: ٢٤).

قالوا: والصحيح أن يقول (الظالمون)، فالظالمون لا ينالون العهد. فجعل القرآن الفاعل منصوبا!.

الجواب: أن القرآن الكريم رفع الفاعل في مواضع لا تخصي لكثرتها، ورفع الفاعل أمر يدركه صغار طلاب الكتاتيب، ولا يحتاج في معرفته إلى خبير في اللغة العربية، فإذا علم ذلك فإن الحصيف إذا ما وجد أمرا استغريه

(١) - سر صناعة الإعراب، ابن جني (٢/٧٠٤)، وانظر: نكت الانتصار لنقل القرآن، الباقلائي، ص (١٣٠).

(٢) - انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (١١/٢١٧)، وانظر: سر صناعة الإعراب، ابن جني (٢/٧٠٥).

(٣) - انظر: المصدر السابق (١١/٢١٧)، وسر صناعة الإعراب، ابن جني (٢/٧٠٤).

(٤) - شرح ابن عقيل (١/٧٣)، وانظر: سر صناعة الإعراب، ابن جني (٢/٧٠٥).

(٥) - شرح شافية ابن الحاجب، الأسترابادي (٤/٣٥٦).

- في كتاب ما - لوروده على خلاف المعهود فإنه لن يسارع إلى تجهيل المؤلف أو تغليطه، إذ مثل هذا لا يغلط به أحد.

والحق أن الخطأ وقع فيه المتحذلقون الذين ظنوا أن الفاعل في الآية هو (الظالمون)، والصحيح أن (العهد) هو الفاعل، وقوله: (الظالمين) مفعول به، والمعنى: لا يشمل عهدي واستخلافي الظالمين. وهذا التعبير شائع عند العرب، فيقولون: هذا ناله خير، وذاك ناله ظلم. وهو مثل قوله تعالى: {إن الذين اتخذوا العجل سينالهم غضب من ربهم} (الأعراف: ١٥٢)، والمعنى: سينال غضب الله الظالمين، ومثله في قوله تعالى:

{أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب} (الأعراف: ٣٧)، فالفاعل في الجملة (نصيب)، كما الفاعل في الآية السابقة (غضب)، وفي الآية التي استشكلوها (عهدي)، ولم تظهر عليها علامة الرفع لتعذر سبب إضافتها إلى ضمير المتكلم (الياء)، إذ يتعذر النطق بـ (عهدي)، فتبين جهل القائلين بهذه الأبطولة، أو بالأحرى عجزهم عن الإتيان بغلط في القرآن يوافقهم عليه البلغاء والعقلاء.

### المسألة الثالثة: عطف المنصوب على المرفوع : قالوا: العرب تعطف مرفوعا على مرفوع،

ومنصوبا على منصوب، في حين أن القرآن عطف على المرفوع منصوبا في قوله: {لكن الراسخون في العلم منهم والمؤمنون يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك والمقيمين الصلاة والمؤتون الزكاة والمؤمنون بالله واليوم الآخر أولئك سنؤتيهم أجرا عظيما} (النساء: ١٦٢)، فقالوا: يجب أن يرفع المعطوف على المرفوع، فيقول: (والمقيمون الصلاة) بدلا من نصبه في قوله: {والمقيمين الصلاة}، لأنها معطوفة على مرفوع {والمؤمنون بالله} وقوله: {الراسخون في العلم}.

والجواب: أن الواو في قوله {والمقيمين الصلاة} ليست واو العطف، بل واو معترضة، وما بعدها منصوب على الاختصاص بالمدح، أي: وأمدح المقيمين الصلاة، وفي هذا مزيد عناية بهم عن المذكورين في الآية، ف {المقيمين} منصوبة على المدح، كما قال إمام اللغة سيبويه (١).

ومثله قوله تعالى في آية أخرى: {والموفون بعهدهم إذا عاهدوا والصابرين في البأساء والضراء} (البقرة: ١٧٧)، فلم يقل: (والصابرون) وقد سبقها: {الموفون}، والتقدير: وأخص بالمدح الصابرين في البأساء.

ونصب {المقيمين} خلافا لنسق ما قبله وما بعده؛ وهي طريقة في الإنشاء تفعله العرب لفتا لنظر القارئ أو السامع إلى أهمية ما بعده وخصوصيته، وتفعله بقصد المدح كما في هذه الآية، أو بقصد الذم كما في قوله تعالى: {وامراته حمالة الحطب} (المسد: ٤)، أي أعني حمالة الحطب، فنصب {حمالة} على الاختصاص بالذم. والنصب على الاختصاص سائغ ومعروف في كلام العرب، ولم يستنكره إلا أعاجم العربية اليوم، وقد كثر في أشعار العرب وآدابها، ومنه قول الخرنق بنت بدر بن هفان وهي ترثي زوجها بشر بن عمرو الضبعي:

لا يبعدين قومي الذين هم ... سم العداة وآفة الجزر

النازلين بكل معترك ... والطيبون معاهد الأزر (٢)

(١) - انظر: الكشاف، الزمخشري (٢٩٦/١).

(٢) - معجم القواعد العربية، الدقر (١٠٤/٢٥).

فقولها: (النازلين) منصوب على الاختصاص، وليس صفة أو معطوفاً على: (سم العداة) و (آفة الجزر).  
ومثله قول أمية بن أبي عائد:

ويأوي إلى نسوة عطل ... وشعثا مراضيع مثل السعالي

فنصب «شعثا» على الاختصاص، مع أنه معطوف على مجرور.

وهكذا فالقرآن الكريم نصب قوله تعالى: {والمقيمين} على الاختصاص، والواو هي واو الاعتراض؛ لا العطف.

### المسألة الرابعة: عطف المرفوع على منصوب في قوله {والصابئون}: قالوا: المعطوف على

المنصوب حقه في لغة العرب النصب، والقرآن رفعه مخالفاً قواعد العربية في قوله: {إن الذين آمنوا والذين هادوا

والصابئون} (المائدة: ٦٩)، والصحيح - حسب حذفهم - أن ينصب المعطوف على اسم إن، فيقول:

{والصابئين} كما في سورة البقرة {إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله} (البقرة:

٦٢)، وسورة الحج: {إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى} (الحج: ١٧).

والجواب: أن الواو في الآيتين الأخيرتين للعطف، والمعطوف على المنصوب منصوب، بينما الأمر مختلف في

قوله: {إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون}، فالواو فيه استثنائية، وليست للعطف على الجملة الأولى.

وقوله: {والصابئون} مرفوع على الابتداء، وخبره محذوف، قال سيبويه والخليل: "الرفع محمول على التقديم

والتأخير، والتقدير: إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى حكمهم كذا ... والصابئون كذلك"، ومثل له

سيبويه بقول الشاعر: وإلا فاعلموا أنا وأنتم ... بغاة ما بقينا في شقاق (١)

ومثله قول ضابئ البرجمي: فمن يك أمسى بالمدينة رحله ... فياني وقيار بها لغريب (٢)

فرفع الشاعر اسم فرسه (قيار)، وهو فيما يظهر معطوف على منصوب (بإاء المتكلم في قوله: فياني)، فرفع

الشاعر (قيار) على الابتداء، والمعنى: إني غريب، وقيار كذلك غريب، ومثله سواء بسواء رفع {الصابئون} في

الآية المستشكلة. لكن يشكل على هذا التخريج ما أورده أبو عبيد في "فضائل القرآن" من خبر يرويه أبو

معاوية الضرير من طريق هشام بن عروة بسنده إلى أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أنها قالت لعروة بن الزبير:

(يا ابن أخي، هذا عمل الكتاب أخطؤوا في الكتاب) (٣)، فهذا الخبر لا يصح سنداً، وهو منكر متنا.

فأما ضعف إسناده فسببه أبو معاوية الضرير، قال عنه المزي: "روى أبو معاوية عن عبيد الله بن عمر أحاديث

مناكير .. قال ابن خراش: صدوق، وهو في الأعمش ثقة، وفي غيره فيه اضطراب" (٤). وأما الذهبي في ميزان

الاعتدال فنقل عن الإمام أحمد قوله عنه: "هو في غير الأعمش مضطرب، لا يحفظها حفظاً جيداً، علي بن

مسهر أحب إلي منه في الحديث". ثم قال الذهبي: "وقد اشتهر عنه الغلو، أي غلو التشيع" (٥). وقال أبو

داود: "أبو معاوية إذا جاز حديث الأعمش أكثر خطؤه، يخطئ على هشام بن عروة، وعلي بن إسماعيل، وعلي

عبد الله بن عمر" (٦)، وهذا الأثر يرويه أبو معاوية عن هشام، فروايته مما يظن فيه الاضطراب.

(١) - انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (٦/٢٤٦).

(٢) - انظر: تأويل مشكل القرآن، ابن قتيبة، ص (٥٠ - ٥٢)، والمدخل لدراسة القرآن العظيم، محمد محمد أبو شهبه، ص (٣٣٦).

(٣) - أخرجه أبو عبيد في فضائل القرآن ح (٤٦٩).

(٤) - تحذيب الكمال، المزي (٢٥/١٢٤).

(٥) - ميزان الاعتدال، الذهبي (٤/٥٧٥).

(٦) - سؤالات الآجري (١/١٤٧).

وأعل يعقوب بن شيبه أبا معاوية بعلة أخرى هي التديس، فقال عنه: "ثقة ربما دلس، وكان يرى الإرجاء" (١)، ومن المعلوم في قواعد الرواية أن المدلس يقبل حديثه إذا صرح بالتحديث [أي قال: حدثني فلان]، ويتوقف فيه إذا عنعه [أي قال: عن فلان]، وقد عنعن أبو معاوية في هذه الرواية، وهو ينقلها عن هشام بن عروة. فهذه العلل ظلمات بعضها فوق بعض، وكلها تضعف الرواية من جهة إسنادها، ولا تشفع لها ولا تقويها رواية ابن شبة (٢) التي يرويها عن أحمد بن إبراهيم الموصلي عن علي بن مسهر، لضعف الموصلي أحمد بن إبراهيم، فقد وصفه أحمد بن حنبل ويحيى بن معين بأنه "لا بأس به"، وهي عند علماء الجرح لا تفيد توثيقاً لروايته، كما لا تفيد جرحاً. وأما شيخه في هذه الرواية، ابن مسهر فقال عنه ابن حجر: "قاضي الموصل، ثقة له غرائب بعد أن أضر" (٣)، فمن كان هذا حاله ترد عليه غرائب، وتطوى ولا تروى.

ولو فرض المحقق صحة الإسناد فإن في المتن ما يقتضي رده، إذ ينسب إلى عائشة رضي الله عنها جهلها بما ذكرناه من أوجه الإعراب التي لا تخفى على العرب زمن النبي - صلى الله عليه وسلم -، وقد بين ذلك الإمام أبو عمرو الداني حين أعل الرواية لأنها جعلت "أم المؤمنين رضي الله عنها مع عظيم محلها وجليل قدرها واتساع علمها ومعرفتها بلغة قومها؛ لحن الصحابة وخطأت الكتبة، وموضعهم من الفصاحة والعلم باللغة، وموضعهم الذي لا يجهل ولا ينكر، هذا لا يسوغ ولا يجوز.

وقد تأول بعض علمائنا قول أم المؤمنين: (أخطؤوا في الكتاب) أي "أخطؤوا في اختيار الأولى من الأحرف السبعة بجمع الناس عليه، لا أن الذين كتبوا من ذلك خطأ لا يجوز، لأن ما لا يجوز مردود بإجماع، وإن طالت مدة وقوعه وعظم قدر موقعه، وتأول اللحن أنه القراءة واللغة" (٤).

وأكد على هذا المعنى الزمخشري: "ولا يلتفت إلى ما زعموا من وقوعه لحناً في خط المصحف، وربما التفت إليه من لم ينظر في الكتاب ولم يعرف مذاهب العرب، وما لهم في النصب على الاختصاص من الافتتان، وغبي عليه [أي خفي عليه] أن السابقين الأولين - الذين مثلهم في التوراة ومثلهم في الإنجيل - كانوا أبعد همة في الغيرة على الإسلام وذبح المطاعن عنه من أن يتركوا في كتاب الله ثلثة ليسدها من بعدهم، وخرقا يرفوه من يلحق بهم" (٥).

### المسألة الخامسة: الجمع بين فاعلين في الجملة: قالوا: العرب لا تأتي بضمير فاعل مع وجود

الفاعل (اسم ظاهر)، حتى لا يكون في الجملة فاعلين، بينما القرآن جعل للفعل فاعلين في قوله: {وأسروا النجوى الذين ظلموا}، ورأى المتحذلقون من أعاجم العرب أن الأولى أن يقول: (وأسر النجوى الذين ظلموا)، أي حذف ضمير الفاعل (الواو) في {وأسروا} لوجود الفاعل ظاهراً وهو قوله: {الذين}. الجواب: سبقت الإشارة إليه في مقدمة هذا المبحث، فهذا الأسلوب جائز على لغة طيء وأزد شنوءة، وهم من العرب الفصحاء، ويضرب اليوم لهذه اللغة مثلاً، وهو قولهم لغة (أكلوني البراغيث).

(١) - ميزان الاعتدال، الذهبي (٤/٥٧٥).

(٢) - تاريخ المدينة المنورة، ابن شبة (٣/١٠١٣).

(٣) - تقريب التهذيب، ابن حجر، ص (٤٠٥).

(٤) - اللقنعي في رسم مصاحف الأمصار، أبو عمر الداني، ص (٤٥).

(٥) - الكشف، الزمخشري (١/٢٩٦).

والعرب تعرف هذا في آدابها وأشعارها (١)، كما قال الشاعر:  
 نصروك قومي فاعتزت بنصرهم ... ولو أنهم خذلوك كنت ذليلاً  
 فقد ألحق الشاعر الواو بالفعل في قوله: (نصروك)، مع أن الفعل مسند إلى فاعل ظاهر بعده، وهو قوله:  
 (قومي). ومنه قول عبد الله بن قيس في رثاء مصعب بن الزبير:  
 تولى قتال المارقين بنفسه ... وقد أسلماه مبعد وحميم  
 فقد وصل الشاعر ألف التثنية بالفعل؛ مع أن الفاعل اسم ظاهر (مبعد)، وكان القياس على القاعدة أن يقول:  
 (وقد أسلمه مبعد وحميم). ومنه قول الشاعر: فأدركنه خالاته فخذلنه ألا ... إن عرق السوء لا بد مدرك  
 فألحق نون النسوة بالفعل في قوله: (فأدركنه)، مع وجود اسم الفاعل ظاهراً (خالاته).  
 وقد تكرر مثل هذا النسق الإعرابي في آيات قرآنية وأحاديث نبوية، منها قوله تعالى: {ثم عموا وصموا كثير  
 منهم} (المائدة: ٧١)، فقد ألحق علامة جمع الذكور (الواو) بالفعل في قوله: {عموا وصموا} مع أن هذا الفعل  
 مسند إلى فاعل ظاهر بعده، وهو قوله: {كثير}، ومنه قوله - صلى الله عليه وسلم -: «يتعاقبون فيكم  
 ملائكة بالليل وملائكة بالنهار» (٢). فهل تراه بقي لطاعن ما يتكلم به وقد عرف أصالته في لغة العرب التي  
 نزل بها القرآن الكريم.

### المسألة السادسة: رفع الفعل المضارع بعد (حتى): قالوا: أخطأ القرآن حين رفع الفعل المضارع

بعد (حتى) في قراءة ورش {حتى يقول والرسول والذين آمنوا معه} (البقرة: ٢١٤)، ورأوا أنه لا يصح فيها إلا  
 الفتح، وهو الوجه المشهور عند بقية القراء.

والجواب: إن (حتى) من أعجب كلام العرب لكثرة صور إعرابها، وما تدل عليه في استعمالاتها، فمنها ما هو  
 للعطف، ومنها ما هو للابتداء، ومنها ما هو لغير ذلك، ولكثرة معانيها واستخداماتها في لغة العرب قال أبو  
 زكريا الفراء: "أموت وفي نفسي شيء من حتى" (٣).

وللفعل المضارع بعد (حتى) ثلاث حالات: ١ - الفعل المضارع الدال على الاستقبال، ويتعين نصبه، كقوله  
 تعالى: {حتى تفيء إلى أمر الله} (الحجرات: ٩).

٢ - المضارع الدال على الحال، ويتعين رفعه، ومثل العرب له بقولهم: "شربت الإبل حتى يجيء البعير يجر  
 بطنه".

٣ - المضارع الدال على الماضي في معناه، ويجوز فيه الوجهان: الرفع والنصب، فأما الرفع فلكونه ماضٍ في  
 معناه، وأما النصب لكونه صيغة مستقبل، وقد جمعها الراجز (٤) بقوله:

تلخيص مسألة حتى يا فتى ... رفعك حالا بعدها إذا أتى

ونصب ما استقبال والوجهان ... في ما مضى معنى فخذ بياني

(١) - انظر الشواهد الشعرية الآتية وغيرها في شرح ابن عقيل (١/١٩٩).

(٢) - أخرجه البخاري ح (٥٥٥)، ومسلم ح (٦٣٢).

(٣) - تاج العروس، الزبيدي (١/٥٣٧).

(٤) - عبد الودود الشنقيطي في تعليقه على كتاب "الجامع بين التسهيل والخلاصة" للمختار بن بونا.

كشربت حتى تجيئ الإبل ... وما تلا (فقاتلوا) (وزلزلوا)  
وعليه فيجوز الوجهان (الرفع والنصب) في قوله تعالى: { حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه } (البقرة: ٢١٤)،  
لأنه ماض في معناه (١).

وهكذا تبين جهل القائلين بوجود اللحن في القرآن، وتسرعهم في الطعن عليه من غير حجة ولا بينة.

**المسألة السابعة: هل أدخل القرآن التنوين على الفعل؟** قالوا: القرآن أدخل التنوين على الفعل،  
والعرب لا تدخله إلا على الاسم، وذلك في قوله: { لنسفعا بالناصية } [العلق: ١٥] وقوله: { ليكونا من  
الصاغرين } [الأعراف: ١٣]، واستدلوا لقولهم بكتابتهما في المصحف - وفقا للرسم العثماني - بالتنوين  
(لنسفعا، ليكونا).

الجواب: التنوين هو نون ساكنة من حيث نطقه (كتاب، كتابا، كتاب)، فإنها تنطق في أحوالها الثلاثة (كتابين)،  
وما ألحق بالفعلين في الآيتين الكريمتين نون ساكنة؛ وهي نون التوكيد المخففة، وتنطق (لنسفعن، ليكونن).  
وهنا يثور سؤال عن سبب كتابة الصحابة لهذين الموضعين (لنسفعا، ليكونا) بالتنوين (الذي ينطق نونا ساكنة)  
بدلا من النون الساكنة.

وفي الجواب نقول بأن العرب إذا أرادت الوقوف على بعض الحروف فإنها تغير الحرف الذي تقف عليه، ليقرأ  
على غير حالة التحريك، ومن أمثاله التاء المربوطة التي تنطق تاء عند الوصل (القيامة، الجنة)، وهاء عند الوقف  
(القيامة، الجنة). ومثله نون التوكيد المخففة، فإن العرب إذا أرادوا الوقف عليها وقفوا بالألف؛ كما في تنوين  
النصب، ولأجل ذلك كتب الصحابة هذين الموضعين لنون التوكيد المخففة (تنوينا)، لأننا نلحقها (نونا ساكنة)  
عند الوصل، و (ألفا) عند الوقف، كما في تنوين الفتحين سواء بسواء. وقد أجمع قراء القرآن على الوقوف  
على هاتين الكلمتين بالألف (لنسفعا) (ليكونا)، قال ابن الأنباري عن النون المخففة: «تتغير في الوقف، ويقف  
عليها بالألف. قال تعالى: { لنسفعا بالناصية } وقال تعالى: { ليسجنن وليكونا من الصاغرين } أجمع القراء  
على أن الوقف فيهما بألف لا غير. وقال الشاعر: يحسبه الجاهل ما لم يعلم» (٢).

وإذا أردنا التلليل على أصالة ما ننسبه إلى العرب من الوقوف على النون الساكنة بالألف - كالتنوين -؛ فإن  
شواهد في شعرهم كثيرة، ونبدأ بالبيت الذي ذكره ابن الأنباري من شعر ابن الأعرابي:

يحسبه الجاهل ما لم يعلما ... شيخا على كرسية معهما

فقوله: (يعلما)، أصلها نون ساكنة (يعلمن)، وكتبت بالألف كما تنطق حال الوقف.

ومن شواهد هذا الصنيع عند العرب قول ميمون بن قيس الأعشى في مدح النبي - صلى الله عليه وسلم -:

فإياك والميتات لا تأكلنها ... ولا تأخذن سهما حديدا لتفصدا

وذا النصب المنصوب لا تنسكته ... ولا تعبد الأوثان والله فاعبدا

وصل على حين العشيات والضحي ... ولا تحمد الشيطان والله فاحمدا

(١) - انظر: دراسات لأسلوب القرآن، محمد عبد الخالق عضيمة (٢/ ١٤٣).

(٢) - (٤) الإنصاف في مسائل الخلاف (٢/ ٦٥٣)، حين أراد النحوي اللغوي ابن الأنباري الاستشهاد للقاعدة لم يجد لها شاهدا أفضل من القرآن الكريم، فبدأ  
به، وثني بشاهد من أشعار العرب، فالقرآن ذروة ما قرأه العربي، وبه يجتج لصحة أسلوبه وسلامته لغته.

ولا تقربن جارة إن سرها ... عليك حرام فانكحن أو تابدا (كن عريا)  
وفيه أربعة شواهد (لتصفدا، فاعبدا، فاحمدا، تأبدا)، فهذه الكلمات الأربع تنتهي بنون ساكنة، وهي تكتب ألفا  
كما تنطق عند الوقوف عليها؛ كما الحال في تنوين النصب، ولأجله كتبت في هذه المواضع بالألف، كما في  
الآيتين الكریمتین. قال ابن منظور: «أراد (فاعبدن)، فوقف بالألف كما تقول: رأيت زيدا» (١).  
وقال الثعالبي: «إنه أراد (والله فاعبدن)، فقلب النون الخفيفة ألفا، وكذلك في قوله عزوجل: {ألقيا في جهنم}»  
(٢). ومثله في شعر العرب قول الشاعر:

أقصر فلست بمقصر جزت المدى ... وبلغت حيث النجم تحتك فاربعاً  
فقوله: (فاربعاً) كتبت بالألف كحالتها عند الوقوف عليها، وهي في الأصل (فاربعن)، ولو وصلت بما بعدها  
لقرأت بالنون الساكنة (فاربعن).

وأيضاً مثله قول امرئ القيس: فقا نبك من ذكرى حبيب ومنزل ... بسقط اللوى بين الدخول فحومل  
قال أبو الحسن الماشعي: «أراد (قفن)؛ لأنه يخاطب واحداً بدلالة قوله في آخر القصيدة:  
أحار ترى برقاً أريك وميضه ... كلمع اليدين في حي مكلل».  
وكذلك قال أبو عكرمة الضبي: «أراد (قفن)، فأبدل الألف من النون الخفيفة» (٣).

## ثانياً: الأخطاء البيانية المزعومة

وإذا كان القرآن قد تحدى العرب ببلاغته زمن جزالة اللغة وحجية الناطقين بها؛ فإن بعض أعاجم العرب  
اليوم يزعمون أن في أساليب القرآن ما لا تجيزه العرب في كلامها، وكأني بهم لم يطلعوا على خبر لبيد بن ربيعة  
العامري صاحب إحدى المعلقات السبعة، وهو من فحول شعراء العرب، فقد سأله عمر بن الخطاب يوماً:  
أنشدني من شعرك. فقرأ له لبيد سورة البقرة، فقال: إنما سألتك عن شعرك، فقال: ما كنت لأقول بيتاً من  
الشعر بعد إذ علمني الله البقرة وآل عمران، فقد ترك قول الشعر إعجاباً بالقرآن، حتى قيل أنه لم يقل بعد  
الإسلام إلا بيتاً واحداً، وهو قوله: ما عاتب المرء الكريم كنفسه ... والمرء يصلحه القرين الصالح  
وقيل بل قال: الحمد لله إذ لم يأتي أجلي ... حتى اكتسيت من الإسلام سربالاً (٤)  
إن عظمة البيان القرآني دعت المستشرق بلاشير إلى الإشادة والإعجاب ببلاغة القرآن، وهو الذي لم يأل جهداً  
في الطعن في القرآن ومعاداته في كتابه "القرآن: ترجمة جديدة" (Le Coran: Traduction nouvelle)،  
لكنه قال: "إن القرآن ليس معجزةً بمحتواه وتعليمه فقط، إنه أيضاً يمكنه أن يكون قبل أي شيء آخر تحفة  
أدبية رائعة؛ تسمو على جميع ما أقرته الإنسانية وبجلته من التحف" (٥).  
وإذا كان الأمر كذلك فلسوف نتوقف مع أهم ما استشكله عباقرة البيان في هذا العصر، ممن لا يفرق بين  
المرفوع والمنصوب، والمشبه والمشبّه به:

(١) - لسان العرب (١/٧٥٨)، وانظر الصحاح للجوهري (٦/٢٢١١)، وشرح شذور الذهب (١/٢٠٧).

(٢) - فقه اللغة، الثعالبي، ص (٢١٤).

(٣) - النكت في القرآن الكريم، ص (٤٥٨)، وتاج العروس (٤٠/٣٦٤).

(٤) - الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (١/١٥٣)، وتاريخ المدينة المنورة، ابن شبة (٢/٦٧٩).

(٥) - قالوا عن الإسلام، عماد الدين خليل، ص (٥٢).

**المسألة الأولى:** عود الضمائر في قوله: {وتعزروه وتوقروه وتسبحوه} إلى رسول الله، قالوا: أتى القرآن

بتركيب يؤدي إلى اضطراب المعنى، وذلك في قوله: {إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه وتوقروه وتسبحوه بكرة وأصيلا} (الفتح: ٨ - ٩)، فقالوا: الأصل في الضمير عوده على آخر المذكور، بينما نجد أن الضمير في قوله: {تعزروه وتوقروه} عائد على الرسول المذكور آخرا. وأما قوله: {تسبحوه} عائد على اسم الجلالة المذكور أولا. وقد أجاب العلماء عن هذا الإشكال بطريقتين صحيحتين:

الأول: اعتبر ابن الجوزي جمع شيئين مختلفين في سياق واحد من صور بلاغة العرب، فيرد كل واحد منهما إلى ما يليق به، وضرب له أمثلة، منها هذه الآية، وأمثلة أخرى، منها قوله تعالى: {حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله ألا إن نصر الله قريب} (البقرة: ٢١٤). فالمعنى يقول المؤمنون: {متى نصر الله}، فيقول الرسول: {ألا إن نصر الله قريب}.

ومن أمثلته أيضا قوله تعالى: {ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله} (القصص: ٧٣)، فالسكن بالليل، وابتغاء الفضل بالنهار، لكنه جاء بالسكن بعد ذكر النهار، لأن السامع يعلم اختصاص الليل بالسكن، والنهار بالبحث عن الرزق وابتغاء فضل الله فيه. ومثله يمكن فهم آية سورة البقرة، فالمعنى: لتؤمنوا بالله ورسوله، وتعزروه رسوله وتوقروه، فهذان من حق الرسول، ثم شرعت الآية في الحديث عن حق الله فيقول: وتسبحوه، وأهمل التفصيل لأنه مستغنى عن ذكره لكونه معلوما عند أهل العلم والبيان، ومن المعيب في البيان ذكر ما يستغنى عنه.

ولهذا المعنى حيد القرطبي الوقوف على قوله: {تعزروه وتوقروه} ثم الابتداء بقوله: {وتسبحوه بكرة وأصيلا} (أ) الثاني: أنه ليس ما يمنع أن تعود الضمائر كلها على الله، أي لتؤمنوا بالله وتعزروه أي تنصروه، وتوقروه وتسبحوه، فتعزير الله هو نصره تبارك وتعالى بنصر دينه، وهو كقوله: {إن تنصروا الله ينصركم} (محمد: ٧)، وكقوله - صلى الله عليه وسلم - : «الدين النصيحة، قلنا لمن يا رسول الله، فقال: لله ولرسوله ولكتابه» (آ).

### **المسألة الثانية: ورود ضمير المفرد في سياق التثنية**

قالوا: أتى القرآن بضمير المفرد في حديثه عن المثني، وذلك في قوله: {والله ورسوله أحق أن يرضوه} (التوبة: ٦٢)، وقالوا مستنكرين: لماذا لم يثن الضمير العائد على اثنين (اسم الجلالة ورسوله)؟ فالأولى تثنيتهما، وأن يكون السياق: (أحق أن يرضوهما). وقد أجاب العلماء عن هذا بأجوبة:

أ- أفراد الضمير ليختص بالحديث عن الله، وليدل بذلك على أن إرضاء الله هو عين إرضاء الرسول، فمن أَرْضَى الله فلا ريب أنه أَرْضَى الرسول - صلى الله عليه وسلم -، ومثله قول الله: {من يطع الرسول فقد أطاع الله} (النساء: ٨٠)، فأفرد الضمير لتلازم الرضائين.

كما أهمل عود الضمير على الرسول لمعنى آخر: وهو التفريق بين الرضائين (رضا الله ورضا رسوله)، فإرضاء الله مقصود لذاته، بينما إرضاء الرسول تبع لرضا الله، لا يستقل، ولو استقل رضاه عن رضا الله - وحاشاه - لما صح أن يطلب رضاه.

(١) - انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (١٦/٢٦٧).

(٢) - أخرجه مسلم ح (٥٥).

ب- الأولى أن لا يذكر مع اسم الله أحد، فلا يثنى مع اسم الله ملك ولا رسول، ولا يذكر الله تعالى مع غيره في صيغة تشرك معه غيره، بل يفرد بالذكر تعظيماً له، ففي صحيح مسلم أن خطيباً قام عند النبي - صلى الله عليه وسلم - فقال في خطبته: "من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعصهما فقد غوى". فقال النبي عليه الصلاة والسلام: «بئس الخطيب أنت، قل: ومن يعص الله ورسوله» (١). فكره النبي - صلى الله عليه وسلم - أن يجمع مع الله غيره في ضمير واحد.

ج- وذهب سيويوه في فهم الآية على وجود خبر محذوف للعلم به ضرورة، فالمعنى: (الله أحق أن يرضوه، ورسوله كذلك)، فيكون الكلام جملتين حذف خبر إحداهما لدلالة الثاني عليه، والتقدير: والله أحق أن يرضوه ورسوله كذلك (٢)، قال أبو عبيدة: "والعرب إذا أشركوا بين اثنين قصرُوا، فخبروا عن أحدهما استغناءً بذلك، وتحقيقاً لمعرفة السامع أن الآخر قد شاركه، ودخل معه في ذلك الخبر، وأنشد:

فمن يك أمسى بالمدينة رحله ... فإني وقيار بها لغريب" (٣)

ولم يقل: (لغريبان)، فالمعنى: (إني لغريب، وقيار كذلك).

ومثله كثير في أشعار العرب (٤) كقول الفرزدق:

إني ضمنت لمن أتاني ما جنى ... وأبي فكان وكنت غير غدور

ولم يقل: (غدورين)، والمعنى: (فكنت غير غدور، وأبي كذلك).

ومثله قول عمرو بن أحمَر الباهلي: رماني بأمر كنت منه ووالدي ... بريئاً ومن أجل الطوى رماني

ولم يقل: (بريئين). والمعنى: (من أجل شجارنا عند بئر الطوى رماني بما أنا بريء منه، وكذلك والدي).

وهذا الذي عرفته العرب (٥) من الاكتفاء بأحد المذكورين، والاستغناء بذكره عن الآخر لشرف الأول أو لغيره من الأسباب البيانية تكرر كثيراً في القرآن: كقول الله تعالى: {وإذا رأوا تجارة أو هواً انفضوا إليها} (الجمعة:

١١)، لم يقل: (إليهما)، بل أعاد الضمير إلى التجارة؛ لأنها الأهم.

ومثله قوله تعالى: {ومن يكسب خطيئة أو إثماً ثم يرم به بريئاً} [النساء: ١١٢]، أي يرمي بالإثم، ولم يقل:

(بهما)، بل أعاد الضمير على الإثم دون الخطيئة، لأنه أعظم منها.

### المسألة الثالثة: خطاب المثنى بصيغة الجمع

قالوا: أتى القرآن بالمعيب عند أهل البيان حين ذكر المثنى بصيغة الجمع، في قوله تعالى: {إن تتوبا إلى

الله فقد صغت قلوبكما} (التحریم: ٤)، فالخطاب موجه لحفصة وعائشة. فلماذا لم يقل: (صغاً قلباكما)، إذ

أنه ليس للثنتين أكثر من قلبين؟ وفي الجواب ذكر علماء اللغة أجوبة، أهمها:

(١) - أخرجه مسلم ح (٨٧٠).

(٢) - إعراب القرآن، ابن سيده (٢٩٠/٥).

(٣) - مجاز القرآن، أبو عبيدة (٢٥٧/١ - ٢٥٨).

(٤) - انظر المصدر السابق، وزاد المسير، ابن الجوزي (٤٣٠/٣)، وللدخل لدراسة القرآن، محمد أبو شهبه، ص (٣٣٦).

(٥) - انظر: فقه اللغة، الثعالبي (٥٦٩/٢ - ٥٧٠).

أ- أن الله قد أتى بالجمع في قوله: {قلوبكما}، لأنه يسوغ في لغة العرب؛ لإضافته إلى مثنى، وهو ضميرهما. والجمع في مثل هذا أكثر استعمالاً من المثنى. فإن العرب تكره اجتماع تثنيتين، فيعدلون إلى صيغة الجمع؛ لأن التثنية جمع في المعنى والأفراد.

ب- أن الكثير من العرب يجعل أقل الجمع اثنين، والقرآن وافق العرب في أساليبها في هذا الموضع وفي غيره، فعبّر عن المثنى بالجمع، ومنه قول الله لآدم وحواء: {وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو} (البقرة: ٣٦)، ووافق أسلوب غيرهم ممن يجعل أقل الجمع ثلاثة في سورة طه، فقال: {قال اهبطا منها جميعاً بعضكم لبعض عدو} (طه: ١٢٣).

ومثله قول الله لموسى وهارون: {قال كلا فاذهبا بآياتنا إنا معكم مستمعون} (طه: ١٥)، ووافق أسلوب الآخرين في سورة طه: {إني معكما أسمع وأرى} (طه: ٤٦).

وأمثلته في كلام العرب أكثر من أن تحصى، ومنه قول الأخفش:

لما أتتنا المرأتان بالخبر... فقلن إن الأمر فينا قد شهر

وقال أبو سعيد الزبيدي:

يحيي بالسلام غني قوم... ويبخل بالسلام على الفقير

أليس الموت بينهما سواء... إذا ماتوا وصاروا في القبور (١)

فقال: (ماتوا)، ولم يقل: (ماتا)، مع أن واو الجماعة تتعلق باثنين، وهما الغني والفقير.

### المسألة الرابعة: تذكير المؤنث

قالوا: أخطأ القرآن حين ذكر المؤنث في قوله تعالى: {الله الذي أنزل الكتاب بالحق والميزان وما يدريك

لعل الساعة قريب} (الشورى: ١٧)، فقال في سياق حديثه عن (الساعة)، وهي مؤنثة: {قريب} ولم يقل:

(قريبة). ومثله في قوله: {ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها وادعوه خوفاً وطمعاً إن رحمت الله قريب من

الحسنين} (الأعراف: ٥٦)، ولم يقل: (قريبة)، مع أنه يتحدث عن رحمة الله، وهي مؤنثة.

والجواب: أن المعتز يجهل أن العرب تميز التسوية بين المذكر والمؤنث في مواضع، أهمها خمسة أوزان، وهي:

(فعل) كرجل شكور وامرأة شكور، (مفعال) كرجل مقدم وامرأة مقدم، (مفعيل) كرجل مسكين وامرأة

مسكين، (مفعول) كرجل مغشم وامرأة مغشم، (فعليل) كرجل جريح وامرأة جريح (٢).

وقوله تعالى: {قريب} على وزن (فعليل)، فيسوى فيها بين الذكر والأنثى.

ومنه قول امرئ القيس: له الويل إن أمسى ولا أم هاشم... قريب ولا البسباسة ابنة يشكرا

ومنه قول قيس بن الخطيم: فليت أهلي وأهل أثلة في ال... دار قريب من حيث نختلف

ومثله قول وضاح: حين تنبي أن هندا قريب... يبلغ الحاجات منها الرسول

ومثله قول عبد الله بن الحجاج: وأنى ترجي الوصل منها وقد نأت... وتبخل بالموجود وهي قريب

وقد جمع بين الوجهين (بعيدة، قريب) الشاعر بقوله:

(١) - انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (٧٣/٥)، وفقه اللغة، الثعالبي (٥٧٠/٢).

(٢) - وانظر بيانه في صبح الأعشى، القلقشندي (٦١/١).

عشية لا عذراء منك بعيدة... فتدنو ولا عذراء منك قريب (١)

### المسألة الخامسة: ضمير الجمع والإفراد

قالوا: القرآن يخلط بين المفرد والجمع، وذلك في قوله: {كمثل الذي استوقد ناراً فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم} (البقرة: ١٧)، فصدر الآية يتحدث عن مفرد {الذي استوقد}، لكنه في آخر الآية استخدم ضمير الجمع {بنورهم}، والأولى - حسب زعمهم - أن يقول: (بنوره)، كما استشكلوا أمراً آخر، وهو تشبيه الجماعة بالواحد.

والجواب: أن الله لم يشبه الجماعة بالواحد، وإنما شبه قصتهم بقصة المستوقد، فالمعنى: مثل استضاءة المنافقين بما أظهوره بلسانهم وهم به مكذبون اعتقاداً؛ كمثل استضاءة الموقد ناراً.

ولن يعترض معترض على قولنا: (كمثل استضاءة)، فالحذف في الكلام معروف عند العرب، إذا فهم المعنى من السياق، كما قال نابغة بني جعدة: وكيف تواصل من أصبحت... خلالته كأبي مرحب (٢)

أي: كخلالة أبي مرحب. فأسقط (خلالة)، لأنها مفهومة من السياق.

وأما تمثيل الجماعة بالواحد فجائز، ومثاله كثير في القرآن ولغة العرب، كقوله: {مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار} (الجمعة: ٥).

ثم يصح أن يقال: إن الآية تتحدث عن مستوقد واحد أضاء للمجموع، فصار هذا الضوء لهم جميعاً، لأنهم جميعاً منتفعون به.

ووجه آخر لم يعرفه أعاجم العرب الطاعنون في القرآن، وهو أن العرب تأتي ب (الذي) بمعنى (الذين)، كما قال الأشهب بن رميلة: وإن الذي حانت بفلج دماؤهم... هم القوم كل القوم يا أم خالد ومثله قول الشاعر: رب عبس لا تبارك في أحد... في قائم منهم ولا فيمن قعد إلا الذي قاموا بأطراف المسد (٣)

### المسألة السادسة: هل يعود الضمير على غير مذكور في السياق؟

قالوا: كيف يعود القرآن بالضمير على غير مذكور في القرآن كله، وذلك في آية رفع المسيح وإلقاء شبهه على غيره، وهي قوله تعالى: {وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم} (النساء: ١٥٧)، أي: (شبه لهم غير المسيح بالمسيح)، فالهاء في {شبه} تعود على (المصلوب البديل)، وهو غير مذكور في السياق، لا بل هو غير مذكور في القرآن كله؟

والجواب: القرآن نزل في مخاطبة العقلاء، ومن فائق بلاغة البليغ أن يطوي أو يضم ذكر بعض ما يعرفه السامعون ببداهة عقولهم، فيستغنون بها عما لا يستغني عنه أصحاب البلادة. وقد كان من عادة العرب في كلامهم العود بالضمير على غير مذكور في السياق لاستغناء السامع عن ذكره، لذا وردت أمثلة عديدة له في

(١) - انظر: لسان العرب، ابن منظور (١/٦٦٣).

(٢) - انظر: جامع البيان، الطبري (١/١٧٤).

(٣) - انظر المصدر السابق (١/١٧٤)، والبحر المحيط، أبو حيان الأندلسي (١/٨٤)، وسر صناعة الإعراب، ابن جني (٢/٥٣٧).

آيات القرآن الكريم، ومنها قوله تعالى في صدر سورة القدر: {إنا أنزلناه في ليلة القدر} (القدر: ١)، فالضمير في قوله {أنزلناه} يعود على (القرآن الكريم)، وهو غير مذكور في السورة، لكنه مفهوم من السياق. ومثله عود الضمير في قوله تعالى: {كلا إذا بلغت التراقي (٢٦) وقيل من راق} (القيامة: ٢٦ - ٢٧)، وقوله: {فلولا إذا بلغت الحلقوم (٨٣) وأنتم حينئذ تنظرون} (الواقعة: ٨٣ - ٨٤)، فالضمير في كلتا الآيتين في قوله: {بلغت} يراد منه (الروح)، وهي غير مذكورة في السياقين، لكنها مما يفهمه السامع، فيستغنى عن ذكرها البلغاء.

وكذلك يقرأ القارئ قوله تعالى: {فاكهة كثيرة (٣٢) لا مقطوعة ولا ممنوعة (٣٣) وفرش مرفوعة (٣٤) إنا أنشأناهن إنشاء (٣٥) فجعلناهن أبكارا} (الواقعة: ٣٢ - ٣٦)، فيعرف أن ضمير النسوة في قوله: {أنشأناهن} يراد منه (حوريات الجنة)، رغم أنهن غير مذكورات في السياق. وهو كذلك يدرك عود الضمير على (الأرض) حين يقرأ قول الله تعالى: {كل من عليها فان} (الرحمن: ٢٦)، وقوله: {ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة} (فاطر: ٤٥)، ومع أن (الأرض) غير مذكورة في السياقين، فإن معنى قوله: (عليها، ظهرها) لم يلتبس على أحد ممن يفقه كلام العرب وأساليبهم، فهذا أسلوب عربي في البيان، سجلوه في الكثير من أشعارهم التي تمثل إحدى ذرى البيان العربي، فمنه قول حميد بن ثور: وصهباء منها كالسفينة نضجت ... به الحمل حتى زاد شهرا عديدها فالضمير في قوله: (منها) يراد به (الإبل)، وهن غير مذكورات فيما قبله من أبيات. ومثله قول حاتم الطائي في مطلع رائيته:

أماوي ما يغني الثراء عن الفتى ... إذا حشرجت يوما وضاق بها الصدر  
فقوله: (حشرجت وضاق بها) يعني به حشرجة (الروح)، وهي غير مذكورة في هذا البيت الذي استفتح به قصيدته.

وكذلك قول لبيد في معلقته: حتى إذا ألقيت يدا في كافر ... وأجن عورات الثغور ظلامها فالضمير في قوله: (ألقيت)، يراد منه (الشمس)، ولم يجر لها ذكر فيما قبله، ولكن يدل عليه عجز البيت، وهو قوله: وأجن عورات الثغور ظلامها.

ومثله كذلك قول طرفة في معلقته: على مثلها أمضي إذا قال صاحبي ألا ليتني أفديك منها وأفتدي فالضمير في قوله (مثلها) عائد على (الفلاة) ولم يرد لها ذكر في الأبيات قبله، لكنه مفهوم من السياق، فاستغنى البلغاء عن التصريح به لاستغناء العقلاء عنه.

وهكذا فإن عود الضمير على غير مذكور في السياق ضرب من ضروب البلاغة التي لم يعرفها الطاعنون في القرآن، فحالنا وحالهم كما قال الشاعر:

إذا حسناتي اللاتي أدل بها ... صارت ذنوبي فقل لي كيف أعتذر

**ثالثاً : شبه وأوهام تتعلق بأسلوب القرآن والتناسق الداخلي للنص**

إن التناسق الداخلي للنص شرط لا غنى عنه في الكتاب حين ينسب إلى كاتب حصيف، وهو من باب أولى شرط في الكتاب حين ينسب إلى الله عز وجل؛ لذا يستحيل أن يوجد التناقض في كلام الله {أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا} (النساء: ٨٢). وما ذكره البعض عن تناقضات مزعومة في القرآن لا يعدو أن يكون سوء فهم منهم لآياته أو جهلا بلغة العرب ومساقات كلامها، وهذا بين لمن تبصر هذه المواضع التي استشكلوها كما سنها في الفصل الرابع بالتفصيل .

### المسألة الأولى: هل في القرآن ما هو لغو ولا معنى له؟

قالوا: إن في القرآن ما يعتبر لغوا في الكلام، ولا فائدة من ذكره، ومقصدهم ما جاء في قوله تعالى: {فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام في الحج وسبعة إذا رجعتم تلك عشرة كاملة} (البقرة: ١٩٦)، فقالوا: {عشرة كاملة} لا داعي لها، لأن كل سامع للآية يعرف أن  $٧+٣=١٠$ .  
والجواب:

كلام العقلاء والبلغاء قائم على الاختصار غير المخل والإسهاب غير الممل، فثمة مواضع يخلو فيها الكلام بذكر بعض لا يخلو من بعض التفاصيل، فنقول: رأيتُه بعيني. وسمعتُه بإذني. والرؤية لا تكون إلا بالعين، والسمع لا يكون إلا بالأذن، ومع ذلك لا يعتبر هذا من لغو الكلام، بل هو متمم لجماله. والعرب في بليغ كلامها إذا ذكرت عددين فإنها تجمعهما فيما يسمونه الفذلكة (١)، ولا يرون في ذلك لغوا أو عيبا، قال ابن عرفة: «مذهب العرب إذا ذكروا عددين أن يجمعهما» (٢)، ويمثله نزل القرآن كما في الآية التي استشكلوها، وكذلك في قوله تعالى: {وواعدنا موسى ثلاثين ليلة وأتمناها بعشر فتم ميقات ربه أربعين ليلة} [الأعراف: ١٤٢]. وشواهد الفذلكة في شعر العرب كثير، منها قول النابغة:

توهمت آيات لها معرفتها ... لستة أعوام وذا العام سابع  
وكذلك قوله: قالت ألا ليثما هذا الحمام لنا ... إلى حمامتا ونصفه فقد  
فحسبوه فألفوه كما حسبت تسعا وتسعين لم تنقص ولم تزد  
فكملت مائة فيها حمامتها ... وأسرعت حسبة في ذلك العدد  
فقوله: (سابع) و (فكملت مائة) قد يراه الجاهل بطرائق العرب لغوا يعيب الكلام، لكن هيهات لأعاجم العرب الذين لا يملكون من الذوق اللغوي ما يملكه النابغة أو الفرزدق القائل:  
ثلاث واثنتان فهن خمس ... وثالثة تميل إلى السهام  
ومثله من الفذلكة كذلك قول الأعشى: وست حين يدركني العشاء ... ثلاثة بالغداة فهي حسبي  
وشرب المرء فوق الري داء فذلك تسعة في اليوم ربي  
فهذه الشواهد التي قالها أدباء العربية وأساطينها تبين فنا من فنون البيان جهله الطاعنون في القرآن الذي نزل وفق نسق كلام العرب موافقا لوجوه بلاغتهم.

(١) - تاج العروس من جواهر القاموس (٢٧/ ٢٩٤).

(٢) - لسان العرب (٤/ ٥٨٦).

وقد ذكر العلماء وجوها من المعاني تبين فائدة الفذلكة، منها دفع التوهم بأن الواو التي بين الأرقام بمعنى (أو)، وهو معنى صحيح لها على مذهب علماء العربية الكوفيين، فعن قوله تعالى: {فصيام ثلاثة أيام في الحج وسبعة إذا رجعتن} قال الزجاج: «جمع العددين لجواز أن يظن أن عليه ثلاثة أو سبعة، لأن الواو قد تقوم مقام (أو)، ومنه: {مثنى وثلاث ورباع} (فاطر: ١) ، فأزال احتمال التخيير» (١).

وقال الزمخشري: «فائدة الفذلكة في كل حساب أن يعلم العدد جملة، كما علم تفصيلاً ليحاط به من جهتين، فيتأكد العلم، وفي أمثال العرب: علمان خير من علم».

وقال غيره من العلماء: ذكر الله العشرة لئلا يتوهم أن العدد سبعة يراد به الكثرة، لا العدد نفسه، كما هو معهود عند العرب، فقد روى أبو عمرو بن العلاء وابن الأعرابي عن العرب: "سبع الله لك الأجر" أي أكثر ذلك، يريدون التضعيف. وقال الأزهري في قوله تعالى: {إن تستغفر لهم سبعين مرة} (التوبة: ٨٠) هو جمع السبع الذي يستعمل للكثرة (٢)، وهو مشهور في لغة العرب.

ولهذا لما احتل أن يتوهم أن المراد بالسبع ما هو أكثر من السبع، ذكرت الآية الفذلكة، فرفع هذا الاحتمال. وهكذا ففي كل هذه الوجوه ما يؤكد على حكمة الله البالغة بذكر جمع الأعداد؛ وإن جهل ذلك الطاعنون في القرآن والشانئون له بغير علم ولا بينة.

ومن ذلك كله تبين جهل الطاعنين في بلاغة القرآن وأسلوبه، لقد جهلوا لغة العرب وبلاغة القرآن التي عرفها أعداؤه زمن بلاغة العرب وجزالة اللغة، فقال قائلهم (الوليد بن المغيرة): والله إن لقوله الذي يقول لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإنه لمثمر أعلاه، مغدق أسفله، وإنه ليعلو وما يعلا، وإنه ليحطم ما تحته" (٣).

### المسألة الثانية : الكلام المفكك

جاء في سورة الإسراء: {وقرآنًا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلاً} [الإسراء: ١٠٦] . {وقرآنًا فرقناه} : نزلناه مفرقاً منجماً " فإنه نزل في تضاعيف عشرين سنة " {لتقرأه على الناس على مكث} : على مهل وتؤدة. فإنه أيسر للحفظ وأعون على الفهم {ونزلناه تنزيلاً} حسب الحوادث، بعد هذه المقدمة قالوا: " كيف يكون القرآن وحياً، وهو متقطع مفرق يأتي بعضه في وقت، ويتأخر بعضه إلى وقت آخر، لقد كان محمد يرتبك عندما كان العرب أو اليهود أو النصارى يسألونه. وأحياناً كان يحتج بأن جبريل تأخر الرد على هذه الشبهة:

إنهم يستبعدون أن يكون القرآن وحياً لأنه لم ينزل مرة واحدة. فنزوله مفرقاً على مدى ثلاث وعشرين سنة ينفي عنه كونه وحياً من عند الله، هذه واحدة ويثبت أنه كلام مفكك، وهذه ثانية ونقول لهم على وفق طريقتهم: ونحن نسأل:

(١) - البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي (٢/ ٢٦٨).

(٢) - انظر المصدر السابق (٢/ ٢٦٨).

(٣) - السيرة النبوية، ابن كثير (١/ ٤٤٩).

من أين لكم هذا الدليل؟ أنزل عليكم وحى من الله قال لكم فيه: إن كل وحى من عندي يكون نزوله دفعة واحدة. وكل ما خالف هذا لا يكون وحياً! هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين. هذا عن الأولى.

أما عن الثانية، فمن يجاريكم من العقلاء على هذا المعيار الذى وضعتموه لمعرفة الكلام المفكك الذى تتهمون كلام رب العالمين به؟ إن الكلام المفكك عند العقلاء هو الكلام الذى لا يناسب بعضه بعضاً، لا من حيث المفردات والتراكيب ولا من حيث المعاني والدلالات. وهذا معيار عام لا يخص كلاماً دون كلام، فمن الناس من يكتب كتاباً في سنة، أو خمس، أو عشر، ويأتي ما كتبه آية في الجودة والإتقان. ولو قدر لإنسان أن يكتب كتاباً من مائة صفحة في ساعة أو ساعتين أو ثلاث لجاء كتابه "تخليط" يصد عنه الناس.

والقرآن، الذى نزل مفرقاً في ثلاث وعشرين سنة، ليس له مثل ولا حتى مقارب في إحكام نسجه، وتآلف نظمه وصحة معناه وصفاء عباراته، وسلامة لغته من كل عيب أو قصور.

كتاب قطع عُمرًا من الدهر يقترب من الألف ونصف الألف من السنين، ومع هذا فهو كتاب كل عصر سام فوق كل كلام قيل بعده أو قبله أو في عصر نزوله ومعانيه تكشف للناس في كل عصر سبقاً في ميادين المعرفة يذهل ويدهش. وكفاه فضلاً سبقه للحضارات الحديثة في مختلف ميادين المعرفة العلوية والأرضية وما بين السماء والأرض، وما في أعماق الأنهار والبحار والمحيطات، وما في أعماق الأرض.

وكل هذا وفاء بالوعد الإلهي، الذى ورد في القرآن: {سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق} [فصلت: ٥٣]. إن القرآن الذى تفترون عليه هو كتاب الوجود كله، كم حاول الحاقدون قبلكم ومعكم أن يحدثوا فيه شرحاً فأعياهم، وبقي هو كلمة الله العليا السابحة في الآفاق يتحدى تعاقب الدهور والعصور، وهو المنارة الشاخنة يتلأأ ضوءها ماحياً حيالك الظلام<sup>(١)</sup>. {الحمد لله الذى أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجاً\* قيماً لينذر بأساً شديداً من لدنه ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجراً حسناً\* ماكتين فيها أبداً\* وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولداً\* ما لهم به من علم ولا لآبائهم كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذبا} [الكهف: ١-٥].

### المسألة الثالثة : الكلام المكرر

هذه الشبهة من الشبهات التي أكثرها اللغو حولها. واتخذوها كذلك منفذاً للطعن في القرآن الكريم بأنه ليس وحياً من عند الله. وركزوا كل التركيز على تكرار القصص في القرآن وذكروا بعض القصص الذى تكرر، مع الإشارة إلى مواضعه في سور القرآن، كما ذكروا تكرار بعض العبارات والجمل. ولغو لغواً كثيراً، حول تكرار قصة آدم في القرآن، وقالوا إنها تكررت خمس مرات. ونحن نقول بل تكررت سبع مرات. كما فعلوا الشيء نفسه مع التكرار الوارد في سورة "الرحمن" وادعوا أن القرآن إذا حذف منه المكرر لم يبق منه إلا ما يملأ كراسة

(١) - شبهات المشككين ، مجموعة من العلماء أشرف عليه الدكتور حمدي زفروق الشبهة / ٧ / ، الناشر موقع وزارة الأوقاف المصرية

واحدة. لذلك فإننا في الرد عليهم سنقف وقفة متأنية، نلقنهم فيها درساً بليغاً حول التكرار الوارد في القرآن المحفوظ وبخاصة في سورة الرحمن، وتكرار قصة آدم في مواضع سبعة. لنقيم الحجة لله.

### الرد على هذه الشبهة:

يقع التكرار في القرآن الكريم على وجوه: مرة يكون المكرر أداة تؤدي وظيفة في الجملة بعد أن تستوفي ركنيها الأساسيين. وأخرى تتكرر كلمة مع أختها للداع، بحيث تفيد معنى لا يمكن الحصول عليه بدونها. فاصلة تكرر في سورة واحدة على نمط واحد. قصة تتكرر في مواضع متعددة مع اختلاف في طرق الصياغة وعرض الفكرة. بعض الأوامر و النواهي والإرشادات والنصح مما يقرر حكماً شرعياً أو يحث على فضيلة أو ينهى عن رذيلة أو يرغب في خير أو ينفر من شر.

وتكرار القرآن في جميع المواضع التي ذكرناها، والتي لم نذكرها مما يلحظ عليها سمة التكرار. في هذا كله يبين التكرار القرآني ما يقع في غيره من الأساليب لأن التكرار وهو فن قولي معروف. قد لا يسلم الأسلوب معه من القلق والاضطراب فيكون هدفاً للنقد والطعن. لأن التكرار رخصة في الأسلوب إذا صح هذا التعبير والرخص يجب أن تؤتى في حذر ويقظة.

### وظيفة التكرار في القرآن:

مع هذه المزالق كلها جاء التكرار في القرآن الكريم محكماً. وقد ورد فيه كثيراً فليس فيه موضع قد أخذ عليه دَعْ دعاوى المغالين فإن بينهم وبين القرآن تارات؛ فهم له أعداء وإذا أحسننا الفهم لكتاب الله فإن التكرار فيه مع سلامته من المآخذ والعيوب يؤدي وظيفتين:

أولاهما: من الناحية الدينية.

ثانيهما: من الناحية الأدبية.

فالناحية الدينية باعتبار أن القرآن كتاب هداية وإرشاد وتشريع لا يخلو منها فن من فنونه، وأهم ما يؤديه التكرار من الناحية الدينية هو تقرير المكرر وتوكيده وإظهار العناية به ليكون في السلوك أمثل وللاعتقاد أبين. أما الناحية الأدبية فإن دور التكرار فيها متعدد وإن كان الهدف منه في جميع مواضعه يؤدي إلى تأكيد المعاني وإبرازها في معرض الوضوح والبيان. وليكن حديثنا عنه على حسب المنهج الذي أثبتناه في صدر هذا البحث.

### تكرار الأداة:

ومن أمثلتها قوله تعالى: {ثم إن ربك للذين هاجروا من بعدما فتنوا ثم جاهدوا وصبروا إن ربك من بعدها لغفور رحيم} [النحل: ١١٠]. {ثم إن ربك للذين عملوا السوء بجهالة ثم تابوا من بعد ذلك وأصلحوا إن ربك من بعدها لغفور رحيم} [النحل: ١١٩]. والظاهر من النظر في الآيتين تكرار "إن" فيهما. وهذا

الظاهر يقتضى الاكتفاء بـ " إِنَّ " الأولى. ولم يطلب إلا خبرها. وهو فى الموضوعين أعنى الخبر " لغفور رحيم " لكن هذا الظاهر خولف و أعيدت " إِنَّ " مرة أخرى. ولهذا المخالفة سبب.

وهذا السبب هو طول الفصل بين " إِنَّ " الأولى وخبرها. وهذا أمر يُشعر بتنافيه مع الغرض المسوقة من أجله " إِنَّ " وهو التوكيد. لهذا اقتضت البلاغة إعادتها لتلحظ النسبة بين الركنين على ما حقها أن تكون عليه من التوكيد. على أن هناك وظيفة أخرى هي: لو أن قارئاً تلا هاتين الآيتين دون أن يكرر فيهما " إِنَّ " ثم تلاهما بتكرارها مرة أخرى لظهر له الفرق بين الحالتين: قلق وضعف فى الأولى، وتناسق وقوة فى الثانية.

ومن أجل هذا الطول كررت فى قول الشاعر (١) :

وإن امرأ طألت مَوَائِقُ عَهْدِهِ \*\*\* عَلَى مِثْلِ هَذَا إِنَّهُ لَكَرِيمٌ

يقول ابن الأثير رثياً هذا الرأى: .. فإذا وردت " إِنَّ " وكان بين اسمها وخبرها فسحة طويلة من الكلام. فإعادة " إِنَّ " أحسن فى حكم البلاغة والفصاحة كالذى تقدّم من الآيات " (٢) .

### تكرار الكلمة مع أختها:

ومن أمثلتها قوله تعالى: {أولئك الذين لهم سوء العذاب وهم فى الآخرة هم الأخسرون} [النمل:٥] . فقد تكررت " هم " مرتين، الأولى مبتدأ خبرها: " الأخسرون " . والثانية ضمير فصل جيء به لتأكيد النسبة بين الطرفين وهى: هُمُ الأولى بالأخسرية. وكذلك قوله تعالى: {أولئك الذين كفروا بربهم وأولئك الأغلال فى أعناقهم وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون} [الرعد:٥] .

تكررت هنا " أولئك " ثلاث مرات. ولم تجد لهذه الكلمة المكررة مع ما جاورها إلا حسناً وروعة. فالأولى والثانية: تسجلان حكماً عاماً على منكري البعث: كفرهم بربهم وكون الأغلال فى أعناقهم.

والثالثة: بيان لمصيرهم المهين. ودخولهم النار. ومصاحبتهم لها على وجه الخلود الذى لا يعقبه خروج منها. ولو أسقطت {أولئك} من الموضوعين الثانى والثالث لرك المعنى واضطرب. فتصبح الواو الداخلة على: (الأغلال فى أعناقهم .) واو حال. وتصبح الواو الداخلة على: (أصحاب النار هم فيها خالدون) عاطفة عطفاً يرك معه المعنى. لذلك حسن موضع التكرار فى الآية لما فيه من صحة المعنى وتقويته. وتأكيد النسبة فى المواضع الثلاثة لتسجيل عليهم بسوء المصير.

### تكرار الفاصلة:

سبق أن ذكرنا فى مبحث الفواصل بسوء المصير من تكرار الفاصلة مرتين بدءاً وثلاث مرات نهاية. وقد وجهنا أسلوب التكرار فى تلك الصور. ولكننا هنا أمام فاصلة لم تقف فى تكرارها عند حد المرات الثلاث. بل تعدت ذلك بكثير. لذلك آثرنا أن نبحثها هنا إذ هي بهذا الموضوع أنسب (١) .

(١) - ديوان الحماسة: ١٠٥/٢ ولم ينسب لقاتل معين.  
(٢) - الملل السائر (ج ٣ ص ٧) تحقيق د/ بدوى طبانة ود/ الحوفى.

ونعتمد في دراستنا لتكرار الفاصلة على ثلاث سور هي : " الرحمن القمر المرسلات " . وهي السور التي برزت فيها هذه الظاهرة الأسلوبية . بشكل لم يرد في غيرها، كما ورد فيها . فقد تكررت : (فبأي آلاء ربكما تكذبان) (٣١ مرة) في " الرحمن " . وتكررت (فكيف كان عذابي ونذر) (٤مرات) في " القمر " . وتكررت : (ويل يومئذ للمكذبين) ( ١٠ مرات ) في " المرسلات " .

### تكرار الفاصلة في " القمر " :

ولهذا التكرار في المواضع الثلاثة أسباب ومقتضيات . ففي سورة القمر " نجد العبارة المكررة وهي : (فكيف كان عذابي ونذر (قد صاحبت في كل موضع من مواضع تكرارها قصة عجيبة الشأن، وكان أول موضع ذُكرت فيه عقب قصة قوم نوح . وبعد أن صوّر القرآن مظاهر الصراع بينهم وبين نوح عليه السلام ثم انتصار الله لنوح عليهم . حيث سلّط عليهم الطوفان . فأغرقهم إلا من آمن وعصمه الله .

ونجد أن الله نجّى نوحاً وتابعيه . ولكن تبقى هذه القصة موضع عظة وادكار، ولتلفت إليها الأنظار وللتحويل من شأنها جاء قوله تعالى عقبها : (فكيف كان عذابي ونذر (مُصدراً باسم الاستفهام " كيف " للتعجب مما كان، ولقد مهّد لهذا التعجب بالآية السابقة عليه . وهي قوله تعالى : ﴿ ولقد تركناها آية فهل من مدكر ﴾ [القمر: ١٥] . والموضع الثاني لذكرها حين قص علينا القرآن قصة عاد وعتوها عن أمر الله وفي " عاد " هذه نجد العبارة اكتنفت القصة بدءاً ونهاية . قال تعالى : (كذبت عادٌ فكيف كان عذابي ونذر \* إنا أرسلنا عليهم رجاً صرصراً في يوم نحسٍ مستمر \* تنزع الناس كأنهم أعجاز نخل منقعر \* فكيف كان عذابي ونذر) [القمر: ١٨-٢١]

وتكرار العبارة هكذا في البداية والنهاية إخراج لها مخرج الاهتمام . مع ملاحظة أن أحداث القصة هنا صوّرت في عبارات قصيرة ولكنها محكمة وافية .. ولم يسلك هذا المسلك في قصة نوح أعنى قصر العبارات والسبب فيما يبدو لي أن إهلاك قوم نوح كان بالإغراق في الماء . وهي وسيلة كثيراً ما تكون سبب هلاك . فقد كانت سبب هلاك فرعون وملئه .. أما أن يكون الإهلاك بالريح فذلك أمر يدعو إلى التأمل والتفكير .

ولعل مما يقوى رأينا هذا . أن هذه القصة قصة عاد وردت في موضع آخر من القرآن يتفق مع هذا الموضوع من حيث الفكرة، ويختلف معه قليلاً من حيث طريقة العرض وزيادة التفصيل .

جاء في سورة الحاقة : ﴿ وأما عاد فأهلكوا بريح صرصرٍ عاتية \* سخرها عليهم سبع ليالٍ وثمانية أيام حسوماً فترى القوم فيها صرعى كأنهم أعجاز نخل خاوية \* فهل ترى لهم من باقية ﴾ [ الحاقة: ٦ ٠٨ ] . فإرسال الريح هكذا سبع ليالٍ وثمانية أيام حسوماً مدعاة للعظة والاعتبار .

ومثله : ﴿ وفي عاد إذ أرسلنا عليهم الريح العقيم \* ما تذر من شيء أتت عليه إلا جعلته كالرميم ﴾ [الذاريات: ٤١] . ﴿ فأما عاد فاستكبروا في الأرض بغير الحق وقالوا من أشد منا قوة أولم يروا أن الله الذي خلقهم هو أشد

منهم قوة وكانوا بآياتنا يمجحدون\* فأرسلنا عليهم ريحاً صرصراً في أيام نحسات لنذيقهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ولعذاب الآخرة أحرزى وهم لا ينصرون} [فصلت: ١٥-١٦].

فقد بطرت " عاد " نعم ربها عليها. وغرها ما فيه من أسباب التمكين في الأرض وقوة البطش أن تبارز ربها ومولى نعمها بالمعاصي، فأهلكها الله بما لا قبل لها به. وفي كل موضع يذكر القرآن فيه قصة هؤلاء، تأتي عباراته قوية هادرة واعظة زاجرة.. جاء في موضع آخر: {ألم تر كيف فعل ربك بعاد\* إرم ذات العماد\* التي لم يخلق مثلها في البلاد}[الفجر: ٦-٨] وكانت عاقبتها خسراً وهلاكاً مع من طغى في الأرض بغير الحق: {فصب عليهم ربك سوط عذاب\* إن ربك لبالمرصاد}[الفجر: ١٣-١٤].

أما الموضوع الأخير الذى ذكرت فيه هذه العبارة: {فكيف كان عذابي ونذر} فحين قص الله علينا قصة " ثمود "، وقد جاءت فيها كذلك مهينة لتلقى صورة العقاب بعد التشويق إليها عند السامع. ولفت نظره إليها: {فكيف كان عذابي ونذر\* إنا أرسلنا عليهم صيحة واحدة فكانوا كهشيم المحتظر}[القمر: ٣٠-٣١].

ومن هنا ندرك شدة اقتضاء المقام لهذا التكرار. فليست إحدى العبارات في موضع بمغنية عن أختها في الموضوع الآخر. إنما هو اتساق عجيب تطلبه المقام من الناحيتين: الدينية والأدبية. من الناحية الدينية حيث تحمل المؤمنين على التذكر والاعتبار عقب كل قصة من هذه القصص، ومن الناحية الأدبية لأن العبارة: {فكيف كان عذابي ونذر} تأتي عقب كل قصة أيضاً لافتة أنظار المشاهدين إلى " كنه " النهاية وختام أحداث القصة.

وقد مهد القرآن لهذا التكرار حيث لم يأت إلا بعد خمس عشرة آية تنتهى كلها بفاصلة واحدة تتحد نهاياتها بحرف " الراء " مع التزام تحريك ما قبلها. وذلك هو نهج فواصل السورة كلها. وقد أشاع هذا النسق الشجي نوعاً من الإحساس القوى بجو الإنذار. والسورة فوق كل هذا مكية النزول والموضوع.

كما أن الطابع القصصي هو السائد في هذه السورة. فبعد أن صور القرآن الكريم موقف أهل مكة من الدعوة الجديدة. وبيّن ضلال مسلكهم. وقد كان الرسول (حريصاً على هدايتهم في وقت هم فيه أشد ما يكونون إغراضاً عنه. لهذا اقتضى الموقف العام سوق عير الماضين ليكون في ذلك تسلية للرسول (ومن اتبعه وزجر لمن عارضه وصد عنه. وما دام هذا هو طابع السورة فإن أسس التربية خاصة تربية الأمم تستدعى تأكيد الحقائق بكل وسيلة ومنها التكرار الذى لمسناه في سورتنا هذه؛ حتى لكأنه أصيل فيها وليس بمكرر.

#### تكرار آخر في سورة " القمر "

وفي هذه السورة " القمر " مظهر آخر من مظاهر التكرار، هو قوله تعالى: (ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر) (١٩). حيث ورد في السورة أربع مرات، وهذه دعوة صالحة للتأمل فيما يسوقه الله من قصص.

وقد اشتملت هذه الآية: {ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر} على خبر واستفهام، والخبر تمهيد للاستفهام الذى فيها ولفت النظر إليه.

### التكرار في سورة " الرحمن ":

أما التكرار الوارد في " الرحمن " في قوله تعالى: {فبأي آلاء ربكما تكذبان} حيث تكررت الآية فيها إحدى وثلاثين مرة فله أسبابه كذلك. ويمكن أن نسجل هذه الملاحظات:

أولاً: إن هذا التكرار الوارد في سورة " الرحمن " هو أكثر صور التكرار الوارد في القرآن على الإطلاق. ثانياً: إنه أي التكرار في هذا الموضوع قد مُهَّدَ له تمهيداً رائعاً. حيث جاء بعد اثنتي عشرة آية متحدة الفواصل. وقد تكررت في هذا التمهيد كلمة " الميزان " ثلاث مرات متتابعة دونما نبو أو ملل: {والسمااء رفعها ووضع الميزان \* ألا تطغوا في الميزان \* وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان} [الرحمن: ٧-١٠] وهذا التمهيد قد أشاع كذلك لحناً صوتياً عذباً كان بمثابة مقدمة طبيعية لتلائم صور التكرار وتألّفها النفس وتأنس بها فلا تهجم عليها هجوماً؛ لأن القرآن قد راعى في فواصل المقدمة التمهيدية ما انبنت عليه فواصل الآية المكررة. ثالثاً: إن الطابع الغالب على هذه السورة هو طابع تعداد النعم على الثّقَلين: الإنس والجن، وبعد كل نعمة أو نعم يعددها الله تأتي هذه العبارة: {فبأي آلاء ربكما تكذبان}

وعلى هذا الأساس يمكن ببسر فهم عِلَّة التكرار الذى حفلت به سورة الرحمن أنه تذكير وتقرير لنعمه. وأنها من الظهور بمكان فلا يمكن إنكارها أو التكذيب بها.

" فتكرار الفاصلة في الرحمن.. يفيد تعداد النعم والفضل بين كل نعمة وأخرى لأن الله سبحانه عدّد في السورة نعماءه وذكّر عباده بآلائه. ونبههم على قدرها وقدرته عليها ولطفه فيها. وجعلها فاصلة بين كل نعمة لتعرف موضع ما أسداه إليهم منها. ثم فيها إلى ذلك معنى التبكيك والتقريع والتوبيخ؛ لأن تعداد النعم والآلاء من الرحمن تبكيك لمن أنكرها كما يبكيك منكر أيادي المنعم عليه من الناس بتعديدها" (١).

ولقائل أن يسأل: إن هذه الفاصلة قد تكررت بعدما هو ليس بنعمة من وعيد وتهديد. فكيف يستقيم التوجيه إذن بعد هذه الآيات؟

(يرسل عليكما شواظ من نار ونحاس فلا تنتصران \* فبأي آلاء ربكما تكذبان) [٣٥-٣٦].

(يعرف المجرمون بسيماهم فيؤخذ بالنواصي والأقدام \* فبأي آلاء ربكما تكذبان) [٤١-٤٢].

(هذه جهنم التي يكذب بها المجرمون \* يطوفون بينها وبين حميم آن \* فبأي آلاء ربكما تكذبان) [٤٣-٤٥] وظاهر هذه الآيات بلاء وانتقام وليس بنعم.

(١) - خزنة الأدب للحموى: ص ١٤٤-١٤٥.

والجواب: ولكن المتأمل يدرك أن في الإنذار والوعيد وبيان مآل الضالين عصمة للإنسان من الوقوع فيما وقعوا فيه فيكون مصيره مصيرهم. ومن هذا الاعتبار يتبين أن هذه المواضع مندرجة تحت النعم، لأن النعمة نوعان: إيصال الخير. ودفع الشر. والسورة اشتملت على كلا النوعين فلذلك كررت الفاصلة.

### التكرار في سورة " المرسلات ":

بقى التكرار الوارد في سورة " المرسلات ". وقد صنع ما صنع في نظيره في " القمر " و " الرحمن " من التقديم له بتمهيد.. وله مثلها هدف عام اقتضاه.

بيد أن التمهيد يختلف عما سبق في " القمر " و " الرحمن ". فقد رأينا فيهما اتحاد الفاصلة في الحروف الأخيرة مع التزام نهج معين فيما قبله. أما هنا فإن الأمر يختلف.

### المسألة الرابعة : الكلام الغريب

في القرآن كثير من الكلمات الغريبة، وهما بعضاً منها: فاكهةً وأباً، غسلين، حناناً، أوّاه، الرقيم، كلاله، مبلسون، أحببتوا، حنين، حصحص، يتفيؤا، سربا، المسجور، قمطير، عسعس، سجيل، الناقور، فاقرة، استبرق، مدهامتان... ونحن نسأل: أليست هذه الألفاظ الغريبة مخالفة للسليم من الإنشاء...؟! \* الرد على هذه الشبهة:

لا وجود في القرآن لكلمة واحدة من الغريب حقاً، كما يعرفه اللغويون والنقاد. فالغريب. الذي يعد عيباً في الكلام، وإذا وجد فيه سلب عنه وصف الفصاحة والبلاغة. هو ما ليس له معنى يفهم منه على جهة الاحتمال أو القطع، وما ليس له وجود في المعاجم اللغوية ولا أصل في جذورها.

والغريب بهذا المعنى ليس له وجود في القرآن الكريم، ولا يحتج علينا بوجود الألفاظ التي استعملت في القرآن من غير اللغة العربية مثل: إستبرق، وسندس، واليم، لأن هذه الألفاظ كانت مأنوسة الاستعمال عند العرب حتى قبل نزول القرآن، وشائعة شيوعاً ظاهراً في محادثاتهم اليومية وكتاباتهم الدورية. وهي مفردات وليست تراكيب. بل أسماء مفردة لأشخاص أو أماكن أو معادن أو آلات. ثم إنها وإن لم تكن عربية الأصل، فهي - بالإجماع - عربية الاستعمال. ومعانيها كانت. وما تزال معروفة في القرآن، وفي الاستعمال العام.

ومنها الكلمات التي ذكروها مما هو ليس عربياً، مثل: غسلين، ومعناها: الصديد، أي صديد أهل النار، وما يسيل من أجسادهم من أثر الحريق، ولما كان يسيل من كل أجسامهم شبه بالماء الذي يُغسل به الأدران. أما بناؤه على: فعلى فظاهر أنه للمبالغة. ومثل: " قمطيرا " ومعناها: طويلاً، أو شديداً. ومثل: " إستبرق " ومعناها: الديباج. وهكذا كل ما في القرآن من لغة غير عربية الأصل فهي عربية الاستعمال بألفاظها ومعانيها. وكانت العرب تلوكها بألسنتها قبل نزول القرآن.

واستعارة اللغات من بعضها من سنن الاجتماع البشرى ودليل على حيوية اللغة. وهذه الظاهرة فاشية جداً في اللغات حتى في العصر الحديث. ويسميتها اللغويون بـ "التقارض" بين اللغات، سواء كانت لغات سامية أو غيرها كالإنجليزية والألمانية والفرنسية وفي اللغة الإسبانية كلمات مستعملة الآن من اللغة العربية. أما ما اقترضته اللغة العربية من غيرها من اللغات القديمة أو ما له وجود حتى الآن فقد اهتم به العلماء المسلمون ونصوا عليه كلمة كلمة، وأسموه بـ "المعزَّب" مثل كتاب العلامة الجواليقي، وقد يسمونه بـ "الدخيل" هذا بالنسبة لما ذكره من الكلمات غير العربية الأصل، التي وردت في القرآن الكريم.

أما بقية الكلمات فهي عربية الأصل والاستعمال ولكن مثيري هذه الشبهات قوم يجهلون فكلمة (حنان) لها جذر لغوي عربي، يقال: حَنَّ، بمعنى: رق قلبه ومال إلى العطف على الآخرين. والمضارع: يحن والمصدر: الحنان والحنين، وقد يستعملان استعمال الأسماء.

ومنه قول الشاعر: حننت إلى ربِّنا ونفسك باعدت \* مزارك من رياء ونفسا كما معا  
وأما (أواه) فهو اسم فاعل من "التأوه" على صيغة المبالغة "فَعَّال".  
وكذلك (حصحص) ومعناه: ظهر وتبيَّن.

ومنه قول الشاعر العربي القديم: من مُبْلَغُ عني خِداشاً فإنه \* كذوب إذا ما حصحص الحق كاذب  
أما (الناقور) فهو اسم من "النقر" كالفاروق من الفراق.

وحتى لو جارينا هؤلاء الحاقدين، وسلمنا لهم جدلاً بأن هذه الكلمات غريبة؛ لأنها غير عربية، فإنها كلمات من "المعزَّب" الذي عزَّبه العرب واستعملوه بكثرة فصار عربياً بالاستعمال. ومعانيه معروفة عند العرب قبل نزول القرآن. وما أكثر الكلمات التي دخلت اللغة العربية، وهجر أصلها وصارت عربية. فهي إذن. ليست غريبة، لأن الغريب ما ليس له معنى أصلاً، ولا وجود له في المعاجم اللغوية، التي دونت فيها ألفاظ اللغة.

قد يقال: كيف تنكرون "الغريب" في القرآن، وهو موجود باعتراف العلماء، مثل الإمام محمد بن مسلم بن قتيبة العالم السني، فقد وضع كتاباً في "غريب القرآن" وأورده على وفق ما جاء في سور القرآن سورة سورة؟ وكذلك صنع السجستاني وتفسيره لغريب القرآن مشهور. ومثله الراغب الأصفهاني في كتابه "المفردات" في شرح غريب القرآن. ثم الإمام جلال الدين السيوطي، العالم الموسوعي، فله كتاب يحمل اسم "مبهمات القرآن". ألا يُعد ذلك اعترافاً صريحاً من هؤلاء الأئمة الأفاضل بورود الغريب في القرآن الكريم؟ ومن العلماء المحدثين الشيخ حسنين مخلوف، مفتي الديار المصرية في النصف الأول من القرن العشرين، وكتابه "كلمات القرآن لا يجهله أحد". كما أن جميع مفسري القرآن قاموا بشرح ما رأوه غريباً في القرآن. فكيف يسوغ القول. الآن. بإنكار وجود الغريب في القرآن أمام هذه الحقائق التي لا تغيب عن أحد؟

من حق غير الملم بفقهاء هذه القضية . قضية الغريب . أن يسألوا هذا السؤال، ومن واجبنا أن نجيب عليه إجابة شافية موسعة .

الجواب : هذا السؤال جدير بأن نستقصى جوانب الإجابة عليه لوجهته وأهميته فأولاً: إن الغريب الذى نسب في كتب العلماء إلى القرآن، إنما هو غريب نسبي وليس غريباً مطلقاً. فالقرآن في عصر الرسالة، وعصر الخلفاء الراشدين كان مفهوماً لجميع أصحاب رسول ولم يرد في رواية صحيحة أن أصحاب رسول الله غاب عنهم فهم ألفاظ القرآن من حيث الدلالة اللغوية البحتة، وكل ما وردت به الرواية أن بعضهم سأل عن واحد من بضعة ألفاظ لا غير . وهى روايات مفتقرة إلى توثيق، وقرائن الأحوال ترجح عدم وقوعها، والألفاظ المسئول عنها هي: (غسلين)، (قسورة)، (أبًا)، (فاطر)، (أواه)، (حنان) وقد نسبوا الجهل بمعاني هذه الكلمات إما إلى عمر بن الخطاب وإما إلى ابن عباس ، وكلا الرجلين أكبر من هذه الاتهامات.

ومما يضعف إسناد الجهل إلى عمر بمعنى كلمة " أبًا " أن عمر كما تقول الرواية سأل عن معناها في خلافته، مع أن سورة " عبس " التي وردت فيها هذه الكلمة من أوائل ما نزل بمكة قبل الهجرة، فهل يُعقل أن يظل عمر جاهلاً بمعنى ( أبًا ) طوال هذه المدة (قراءة ربع قرن) ؟ أما ابن عباس فإن صحت الرواية عنه أنه سأل عن معاني ( غسلين ) و ( فاطر ) فإنه يحتمل أنه سأل عنها في حداثة سنه . ومعروف أن ابن عباس كان معروفًا بـ " ترجمان القرآن " ومعنى هذا أنه كان متمكنًا من الفقه بمعاني القرآن، وقد ورد أن الرسول صلى الله عليه وسلم دعا له قائلاً: [اللهم فقهه في الدين، وعلمه التأويل]، هذا فيما يتعلق بشأن الروايات الواردة في هذا الشأن.

أما فيما يتعلق بالمؤلفات قديماً وحديثاً حول ما سمي بـ " غريب القرآن " فنقول: إن أول مؤلف وضع في بيان غريب القرآن هو كتاب " غريب القرآن " لابن قتيبة (في القرن الثالث الهجري) وهذا يرجح أن ابن قتيبة، لم يكتب هذا الكتاب للمسلمين العرب، بل كان القصد منه هو أبناء الشعوب غير العربية التي دخلت في الإسلام، وكانوا يتحدثون لغات غير اللغة العربية.

أما مسلموا القرنين الأول والثاني الهجريين، والنصف الأول من القرن الثالث، فلم يكن فيها . فيما نعلم . كتب حول بيان غريب القرآن، سوى تفسير عبد الله بن عباس .، وكتاب " مجازات القرآن " لأبي عبيدة معمر بن المثنى ( م ٢١٠هـ ) وهما أعنى تفسير ابن عباس، ومجازات أبي عبيدة، ليسا من كتب الغريب، بل هما: محاولتان مبكرتان لتفسير القرآن الكريم مفردات وتراكيب .

ولما تقادم الزمن على نزول القرآن، وضعف الحصول اللغوي عند الأجيال اللاحقة، قام بعض العلماء المتأخرين . مثل: الراغب الأصفهاني، صاحب كتاب " مفردات القرآن "، وجلال الدين السيوطي، صاحب كتاب " مبهمات القرآن " . بوضع كتب تقرب كتاب الله إلى الفهم، وتقدم بيان بعض المفردات التي غابت

معانيها واستعمالاتها عن الأجيال المتأخرة، وهذا يسلمنا إلى حقيقة لاحت في الأفق من قبل، نعيد ذكرها هنا في الآتي:

إن ما يطلق عليه " غريب القرآن " ف بعض المؤلفات التراثية ومنها كتب علوم القرآن، وما تناوله مفسرو القرآن الكريم في تفاسيرهم، هو غريب نسبي لا مطلق، غريب نسبي باعتبار أنه مستعار من لغات أخرى غير اللغة العربية، أو من لهجات عربية غير لهجة قريش التي بها نزل القرآن وغريب نسبي باعتبار البيئات التي دخلها الإسلام، وأبناؤها دخلاء على اللغة العربية، لأن لهم لغات يتحدثون بها قبل دخولهم في الإسلام، وظلت تلك اللغات سائدة فيهم بعد دخولهم في الإسلام وغريب نسبي باعتبار الأزمان، حتى في البيئات العربية، لأن الأجيال المتأخرة زمنياً ضعفت صلتهم باللغة العربية الفصحى مفردات وتراكيب. وكل هذه الطوائف كانت، وما تزال، في أمس الحاجة إلى ما يعينهم على فهم القرآن، وتذوق معانيه، والمدخل الرئيس لتذوق معاني القرآن هو فهم معاني مفرداته، وبعض أساليبه.

والغريب النسبي بكل الاعتبارات المتقدمة غريب فصيح سائغ، وليس غريباً عديم المعنى، أو لا وجود له في معاجم اللغة ومصادرها، وهذا موضع إجماع بين علماء اللغة والبيان، في كل عصر ومصر. ولا وزن لقول من يزعم غير هذا من الكارهين لما أنزل الله على خاتم أنبيائه ورسوله.

### مسائل ابن الأزرق

بقي أمر مهم، له كبير صلة بموضوع " الغريب " في القرآن ذلك الأمر هو ما عرف في كتب الأقدمين بـ " مسائل ابن الأزرق " ونوجز القول عنها هنا إيجازاً يكشف عن دورها في الانتصار للحق، في مواجهة مثيري هذه الشبهات ومسائل ابن الأزرق مسطورة في كثير من كتب التراث مثل ابن الأنباري في كتابه " الوقف " والطبراني في كتابه " المعجم الكبير " والمبرد في كتابه " الكامل ". وجمال الدين السيوطي في كتابه " الإتيقان في علوم القرآن " وغيرهم.

ولهذه المسائل قصة إيجازها: أن عبد الله بن عباس كان جالساً بجوار الكعبة يفسر القرآن الكريم، فأبصره رجلان هما: نافع بن الأزرق، ونجدة بن عويمر، فقال نافع لنجدة " قم بنا إلى هذا الذي يجترئ على القرآن ويفسره بما لا علم له به. فقاما إليه فقالا له: إننا نريد أن نسألك عن أشياء في كتاب الله، فتفسرها لنا، وتأتينا بما يصادقه من كلام العرب. فإن الله أنزل القرآن بلسان عربي مبين.

فقال ابن عباس: سلاني عما بدا لكما. ثم أخذوا يسألانه وهو يجيب بلا توقف، مستشهداً في إجاباته على كل كلمة، " قرآنية " سألاه عنها بما يحفظه من الشعر العربي المأثور عن شعراء الجاهلية، ليبين للسائلين أن القرآن نزل بلسان عربي مبين، وكان الإمام جلال الدين السيوطي قد جمع هذه المسائل وذكر منها مائة

وثمانين وثمانين كلمة، وقد حرص على ذكر إجابات ابن عباس عليها رضى الله عنه، وقال: إنه أهمل نحو أربع عشرة كلمة من مجموع ما سئل عنه ابن عباس (١).

وها نحن أولاء نورد نماذج منها، قبل التعليق عليها، ولماذا أشرنا إليها في مواجهة هذه الشبهة التي تزعم أن ألفاظ الكتاب العزيز " غريبة " وغير مفهومة.

### النموذج الأول: " عزيز "

قال نافع بن الأزرق لابن عباس: أخبرني عن قوله تعالى: (عن اليمين وعن الشمال عزيز) [المعرج: ٣٧].

قال ابن عباس: عزيز: الحلق من الرفاق، فسأله نافع: وهل تعرف العرب ذلك؟

فقال ابن عباس: نعم، أما سمعت قول عبيد بن الأبرص: فجاءوا يُهرعون إليه حتى يكونوا حول منسره عزينا يعنى جماعات يلتفون حول الرسول (، وهو مشتق من الاعتزاء، أى ينضم بعضهم إلى بعض، قال الراغب في المفردات: العزيز: الجماعة المنتسب بعضها إلى بعض (٢).

### النموذج الثاني: " الوسيلة "

قال نافع: أخبرني عن قوله تعالى: {وابتغوا إليه الوسيلة} [المائدة: ٣٥]. قال ابن عباس: الوسيلة: الحاجة، قال

نافع: وهل تعرف العرب ذلك؟ قال ابن عباس: نعم، أما سمعت قول عنترة:

إن الرجال لهم إليك وسيلة... أن يأخذوك تكحلي وتخضي

يعنى: اطلبوا من الله حاجاتكم. واستعمال الوسيلة في معنى الحاجة كما فسرهما ابن عباس فيها إلماح أن طريق قضاء الحوائج يكون إلى الله؛ لأن معنى الوسيلة: الطريق الموصل إلى الغايات.

### النموذج الثالث: " شرعةً ومنهاجاً "

وسأله نافع عن الشرعة والمنهاج في قوله تعالى: {لكل جعلنا منكم شرعةً ومنهاجاً} [المائدة: ٤٨]. فقال ابن

عباس: الشرعة: الدين، والمنهاج: الطريق، واستشهد بقول أبي سفيان الحارث بن عبد المطلب:

لقد نطق المأمون بالصدق والهدى.... وبين للإسلام ديناً ومنهاجاً.

### النموذج الرابع: " ريشاً "

وسأله نافع عن كلمة " ريشاً " في قوله تعالى: {يا بني آدم قد أنزلنا عليكم لباساً يواري سوءاتكم وريشاً ولباس

التقوى ذلك خير..} [الأعراف: ٢٦]، ففسره ابن عباس بالمال، واستشهد بقول الشاعر:

فريشي بخير طالما قد بريتني.... خير الموالي من يريش ولا يبرى

### النموذج الخامس: " كبد "

(١) - الإتيان في علوم القرآن. فصل ما يجب على المفسر لكتاب الله.

(٢) - ومنه قول العامة " عزوة " أى جماعة انظر حرثي العين والزاي في كتاب الراغب.

وسأله نافع عن كلمة " كبد " في قوله تعالى: { لقد خلقنا الإنسان في كبد } [البلد: ٨].

فقال ابن عباس: في اعتدال واستقامة. ثم استشهد بقول كبيد بن ربيعة:

يا عين هلا بكيت أربد إذ قمنا وقام الخصوم في كبد

وهكذا نهج ابن عباس في المسائل الـ (١٨٨) التي وجهت إليه، يجيب عنها بسرعة مذهلة، وذاكرة حافظة لأشعار العرب، وسرعة بديهة في استحضار الشواهد الموافقة لفظاً ومعنى للكلمات القرآنية، التي سئل عنها (١).

وهذا يؤكد لنا حقيقتين أمام هذه الشبهات التي أثارها الحاقدون ضد القرآن الكريم.

الأولى: كذب الادعاءات التي نسبت لابن عباس الجهل ببعض معاني كلمات القرآن.

الثانية: أن القرآن كله لا غريب فيه بمعنى الغريب الذي يعاب الكلام من أجله، وأن نسبة الغريب إليه في كتابات السلف، تعنى الغريب النسبي لا الغريب المطلق، وقد تقدم توضيح المراد من الغريب النسبي في هذا المبحث، باعتبار الزمان، وباعتبار البيئة والمكان، وأن ما وضعه القدماء من مؤلفات تشرح غريب القرآن إنما كان المقصود به إما أبناء الشعوب التي دخلت الإسلام من غير العرب. وإما للأجيال الإسلامية المتأخرة زمنًا، التي غابت عنها معاني بعض الألفاظ. وقد يضاف إلى هذا كله الألفاظ المشتركة والمترادفة والمتضادة، والاحتمالية المعنى، أما أن يكون في القرآن غريب لا معنى له وغير مأنوس الاستعمال. فهذا محال.

## المسألة الخامسة: الكلام العاطل

يدعى المشككون أنه جاء في فواتح ٢٩ سورة بالقرآن الكريم حروف عاطلة، لا يفهم معناها ويتساءلون: إن كانت هذه الحروف لا يعلمها إلا الله (كما يقولون) فما فائدتها لنا، إن الله لا يوحى إلا بالكلام الواضح فكلام الله بلاغ وبيان وهدى للناس".

الرد على هذه الشبهة:

أطلقوا على هذه الحروف وصف " الكلام العاطل " والكلام العاطل هو " اللغو " الذي لا معنى له قط. أما هذه الحروف، التي أفتتحت بها بعض سور القرآن، فقد فهمت منها الأمة، التي أنزل عليها القرآن بلغتها العريقة، أكثر من عشرين معنى (٢)، وما تزال الدراسات القرآنية الحديثة تضيف جديداً إلى تلك المعاني التي رصدتها الأقدمون فلو كانت " عاطلة " كما يدعى خصوم الإسلام، ما فهم منها أحد معنى واحداً. ولو جارينا جدلاً هؤلاء المتحاملين على كتاب الله العزيز من أن هذه " الحروف " عاطلة من المعاني، لوجدنا شططاً في اتهامهم القرآن كله بأنه " كلام عاطل " لأنها لا تتجاوز ثماني وعشرين آية، باستبعاد " طه " و " يس " لأنهما اسمان للنبي، حذف منهما أداة النداء والتقدير: يا " طه " يا " يس " بدليل ذكر الضمير العائد عليه

(١) - انظر " الإعجاز البياني للقرآن. د/عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطي) ط: دار المعارف بالقاهرة.

(٢) - انظر للوقوف على هذه المعاني: التفسير الكبير " للفخر الرازي. تفسير سورة البقرة.

هكذا: (ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى) [طه: ٢] و (إنك لمن المرسلين) [يس: ٣] وباستبعاد هاتين السورتين من السور التسع والعشرين تُصبح هذه السور سبعة وعشرين سورة، منها سورة الشورى، التي ذكرت فيها هذه الحروف المقطعة مرتين هكذا: "حم، عسق" فيكون عدد الآيات موضوع هذه الملاحظة ثمانين آية في القرآن كله، وعدد آيات القرآن الكريم ٦٢٣٦ آية. فكيف ينطبق وصف ثمانين آية على ٦٢٠٨ آية؟. والمعاني التي فهمت من هذه "الحروف" نختار منها ما يأتي في الرد على هؤلاء الخصوم.

الرأي الأول:

يرى بعض العلماء القدامى أن هذه الفواتح، مثل: الم، و، الر، والمص". تشير إلى إعجاز القرآن، بأنه مؤلف من الحروف التي عرفها العرب، وصاغوا منها مفرداتهم، وصاغوا من مفرداتهم تراكيبيهم. وأن القرآن لم يغير من أصول اللغة ومادتها شيئاً، ومع ذلك كان القرآن معجزاً؛ لا لأنه نزل بلغة تغاير لغتهم، ولكن لأنه نزل بعلم الله عز وجل، كما يتفوق صانع على صانع آخر في حذقه ومهارته في صنعه مع أن المادة التي استخدمها الصانعان في "النموذج المصنوع" واحدة وفي هذا قطع للحجة عنهم، ويؤيد هذا قوله سبحانه وتعالى: {أم يقولون افتراه قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين\* فلم يستجيبوا لكم فاعلموا أنما أنزل بعلم الله وأن لا إله إلا هو فهل أنتم مسلمون} [هود: ١٣ - ١٤]. يعنى أن اللغة واحدة، وإنما كان القرآن معجزاً لأمر واحد هو أنه كلام الله، نازل وفق علم الله وصنعه، الذى لا يرقى إليه مخلوق.

الرأي الثاني:

إن هذه الحروف "المقطعة" التي بدئت بها بعض سور القرآن إنما هي أدوات صوتية مثيرة لانتباه السامعين، يقصد بها تفريغ القلوب من الشواغل الصارفة لها عن السماع من أول وهلة. فمثلاً "الم" في مطلع سورة البقرة، وهى تنطق هكذا، "ألف لام ميم" تستغرق مسافة من الزمن بقدر ما يتسع لتسعة أصوات، يتخللها المدد الصوت عندما تفرغ السمع تهيؤه، وتجذبه لعقبى الكلام قبل أن يسمع السامع قوله تعالى بعد هذه الأصوات التسعة: {ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين} [البقرة: ٢]، وإثارة الانتباه بمثل هذه المدخل سمة من سمات البيان العالى، ولذلك يطلق بعض الدارسين على هذه "الحروف" في فواتح السور عبارة "قرع عصى" (١) وهى وسيلة كانت تستعمل في إيقاظ النائم، وتنبيه الغافل. وهى كناية لطيفة، وتطبيقها على هذه "الحروف" غير مستنكر. لأن الله عز وجل دعا الناس لسماع كلامه، وتدبر معانيه، وفى ذلك يقول سبحانه وتعالى: {وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون} [الأعراف: ٢٠٤].

الرأي الثالث:

ويرى الإمام الزمخشري أن في هذه "الحروف" سرّاً دقيقاً من أسرار الإعجاز القرآني المفعم، وخلاصة رأيه نعرضها في الآتي: "واعلم أنك إذا تأملت ما أورده الله عز سلطانه في الفواتح من هذه الأسماء يقصد الحروف وجدتها نصف حروف المعجم، أربعة عشر سواء، وهى: الألف واللام والميم والصاد، والراء والكاف

(١) - يعنى الضرب بالعصى على الأرض لتنبه المراد تنبيهه

والهاء، والياء والعين والطاء والسين والحاء، والقاف والنون، في تسع وعشرين سورة، على حذو حروف المعجم ". ثم إذا نظرت في هذه الأربعة عشر وجدتها مشتملة على أنصاف أجناس الحروف، بيان ذلك أن فيها: من المهموسة نصفها: " الصاد، والكاف، والهاء والسين والحاء ".  
ومن المجهورة نصفها: الألف واللام والميم، والراء والعين والطاء، والقاف والياء والنون.  
ومن الشديدة نصفها: " الألف والكاف، والطاء والقاف ".  
ومن الرخوة نصفها: " اللام والميم، والراء والصاد، والهاء والعين، والسين والحاء والياء والنون ".  
ومن المطبقة نصفها: " الصاد والطاء ".  
ومن المنفتحة نصفها: " الألف واللام، والميم والراء، والكاف، والهاء والعين والسين والحاء، والقاف والياء والنون  
ومن المستعلية نصفها: " القاف والصاد، والطاء ".  
ومن المنخفضة نصفها: " الألف واللام والميم، والراء والكاف والهاء، والياء والعين والسين، والحاء والنون ".  
ومن حروف القلقله نصفها: " القاف والطاء " (١).  
يريد أن يقول: إن هذه الحروف المذكورة يلحظ فيها ملحظان إعجازيان: الأول: من حيث عدد الأبجدية العربية، وهي ثمانية وعشرون حرفاً. فإن هذه الحروف المذكورة في فواتح السور تعادل نصف حروف الأبجدية، يعنى أن المذكور منها أربعة عشر حرفاً والذي لم يذكر مثلها أربعة عشر حرفاً:  
 $14 + 14 = 28$  حرفاً هي مجموع الأبجدية العربية.  
الثاني: من حيث صفات الحروف وهي:  
الهمس في مقابلة الجهارة، الشدة في مقابلة الرخاوة، الانطباق في مقابلة الانفتاح، والاستعلاء في مقابلة الانخفاض، والقلقله في مقابلة غيرها. نجد هذه الحروف المذكورة في الفواتح القرآنية لبعض سور القرآن تعادل نصف أحرف كل صفة من الصفات السبع المذكورة. وهذا الانتصاف مع ما يلاحظ فيه من التناسب الدقيق بين المذكور والمتروك، لا يوجد إلا في كلام الله المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم. وهو ذو مغزى إعجازي مذهل لذوى الألباب، لذلك نرى الإمام جبار الله الزمخشري يقول مُعقِباً على هذا الصنع الحكيم: " فسبحان الذى دقت في كل شيء حكمته. وهو المطابق للطائف التنزيل واختصاراته. فكأن الله عز اسمه عدد على العرب الألفاظ التي منها تراكيب كلامهم، إشارة إلى ما ذكرت من التبكيث لهم، وإلزام الحجة إياهم (٢).  
ثم أخذ الإمام الزمخشري، يذكر في إسهاب الدقائق والأسرار واللطائف، التي تستشف من هذه " الحروف " التي بدئت بها بعض سور القرآن، وتابعه في ذلك السيد الشريف في حاشيته التي وضعها على الكشاف، والمطبوعة بأسفل تفسير الزمخشري. وذكر ما قاله الرجلان هنا يخرج بنا عن سبيل القصد الذى نتوخاه في هذه الرسالة. ونوصى القراء الكرام بالاطلاع عليه في المواضع المشار إليها في الهوامش المذكورة وبقى أمراً مهمًّا في الرد على هذه الشبهة التي أثارها خصوم الإسلام، وهي شبهة وصف القرآن بالكلام العاطل. نذكره في إيجاز في الآتي:

(١) - الكشاف (ج ١ ص ١٠٠-١٠٣).

(٢) - الكشاف: (ج ١ ص ١٠٣).

لو كانت هذه " الحروف " من الكلام العاطل لما تركها العرب المعارضون للدعوة في عصر نزول القرآن، وهم المشهود لهم بالفصاحة والبلاغة، والمهارة في البيان إنشاءً ونقداً؛ فعلى قدر ما طعنوا في القرآن لم يثبت عنهم أنهم عابوا هذه " الفواتح " وهم أهل الذكر " الاختصاص " في هذا المجال. وأين يكون " الخواجات " الذين يتصدون الآن لنقد القرآن من أولئك الذين كانوا أعلم الناس بمزايا الكلام وعيوبه؟! وقد ذكر القرآن نفسه مطاعنهم في القرآن، ولم يذكر بينها أنهم أخذوا على القرآن أيّ مأخذ، لا في مفرداته ولا في جملة، ولا في تراكيبه. بل على العكس سلّموا له بالتفوق في هذا الجانب، وبعض العرب غير المسلمين امتدحوا هذا النظم القرآني ورفعوه فوق كلام الإنس والجن، ولشدة تأثيره على النفوس اكتفوا بالتواصي بينهم على عدم سماعه، و الشوشرة عليه ، والطاعنون الجدد في القرآن لا قدرة لهم على فهم تراكيب اللغة العربية، ولا على صوغ تراكيبها صوغاً سليماً، والشرط فيمن يتصدى لنقد شيء أن تكون خبرته وتجربته أقوى من الشيء الذي ينقده. وهذا الشرط منعدم أصلاً عندهم.

### المسألة السادسة: تنافي عروبة القرآن مع عجمة بعض كلماته، الكلام الأعجمي

جاء في سورة الشعراء: {نزل به الروح الأمين \* على قلبك لتكون من المنذرين \* بلسان عربي مبين} [الشعراء: ١٩٣-١٩٥] . وجاء في سورة الزمر: {قرآنا عربياً غير ذي عوج} [الزمر: ١٨] . وجاء في سورة الدخان: {فإنما يسرناه بلسانك لعلهم يتذكرون} [الدخان: ٥٨] . وجاء في سورة النحل: {ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر لسان الذي يلحدون إليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين} [النحل: ١٠٣] ونحن نسأل : " كيف يكون القرآن عربياً مبيناً، وبه كلمات أعجمية كثيرة، من فارسية، وآشورية، وسريانية، وعبرية، ويونانية، ومصرية، وحبشية، وغيرها؟ " ثم ذكروا الكلمات الأعجمية حسب زعمهم التي وردت في القرآن الكريم وهي: آدم أباريق إبراهيم أرائك استبرق إنجيل تابوت توراة جهنم حبر حور زكاة زنجيل سبت سجيل سرادق سكينه سورة صراط طاغوت عدن فرعون فردوس ماعون مشكاة مقاليد ماروت هاروت الله. الرد على هذه الشبهة:

هذه هي شبهتهم الواهية، التي بنوا عليها دعوى ضخمة، ولكنها جوفاء، وهي نفى أن يكون القرآن عربياً مثلهم كمثل الذي يهم أن يعبر أحد المحيطات على قارب من بوص، لا يلبث أن تتقاذفه الأمواج، فإذا هو غارق لا محالة ، ولن نطيل الوقوف أمام هذه الشبهة، لأنها مناهة من أساسها بأفة الوهن الذي بنيت عليه. ونكتفي في الرد عليها بالآتي:

- إن وجود مفردات غير عربية الأصل في القرآن أمر أقر به علماء المسلمين قديماً وحديثاً. ومن أنكره منهم مثل الإمام الشافعي كان لإنكاره وجه مقبول سنذكره فيما يأتي إن شاء الله.

- ونحن من اليسير علينا أن نذكر كلمات أخرى وردت في القرآن غير عربية الأصل، مثل: (منسأة) بمعنى عصي في سورة " سبأ " ومثل ( اليم ) بمعنى النهر في سورة " القصص " وغيرها.

- إن كل ما في القرآن من كلمات غير عربية الأصل إنما هي كلمات مفردات، أسماء أعلام مثل: " إبراهيم، يعقوب، إسحاق، فرعون"، وهذه أعلام أشخاص، أو صفات، مثل: " طاغوت، حبر"، إذا سلمنا أن كلمة " طاغوت" أعجمية.

- إن القرآن يخلو تمامًا من تراكيب غير عربية، فليس فيه جملة واحدة إسمية، أو فعلية من غير اللغة العربية.  
- إن وجود مفردات أجنبية في أي لغة سواء كانت اللغة العربية أو غير العربية لا يخرج تلك اللغة عن أصالتها، ومن المعروف أن الأسماء لا تترجم إلى اللغة التي تستعملها حتى الآن. فالمتحدث بالإنجليزية إذا احتاج إلى ذكر اسم من لغة غير لغته، يذكره برسمه ونطقه في لغته الأصلية ومن هذا ما نسمعه الآن في نشرات الأخبار باللغات الأجنبية في مصر، فإنها تنطق الأسماء العربية نطقاً عربياً. ولا يقال: إن نشرة الأخبار ليست باللغة الفرنسية أو الإنجليزية مثلاً، لمجرد أن بعض المفردات فيها نطقت بلغة أخرى.

والمؤلفات العلمية والأدبية الحديثة، التي تكتب باللغة العربية ويكثر فيها مؤلفوها من ذكر الأسماء الأجنبية والمصادر التي نقلوا عنها، ويرسمونها بالأحرف الأجنبية والنطق الأجنبي لا يقال: إنها مكتوبة بغير اللغة العربية، لمجرد أن بعض الكلمات الأجنبية وردت فيها، والعكس صحيح.

ومثيرو هذه الشبهة يعرفون ذلك كما يعرفون أنفسهم فكان حرياً بهم ألا يتمادوا في هذه اللغو الساقط إما احتراماً لأنفسهم، وإما خجلاً من ذكر ما يثير الضحك منهم.

- إنهم مسرفون في نسبة بعض هذه المفردات التي ذكروها وعزوها إلى غير العربية فإن كثيراً من هذه الكلمات - التي استعجموها - عربية في جذورها واشتقاقاتها، وجهل البعض بما لقلة استخدامها أو غيره لا يعني أعجميتها، ومن ذلك كلمة (قرآن - سكينه - حور)، فكلمة (قرآن) ليست من الكلمة العبرية (؟؟؟؟) قارا، ولا من السريانية (قرا)، بل هي من الجذر العربي (قرأ)، وهذا التشابه في جذور كلمات اللغات السامية كبير ومعروف عند علماء اللغات، وصوره أكثر من أن تحصى في اللغات السامية، وبسببه أخطأ البعض في نسبة بعض الكلمات العربية الأصلية إلى لغات أخرى (١).

فالزكاة والسكينة، وأدم والخور، والسبت والسورة، ومقاليد، وعدن والله، كل هذه مفردات عربية أصلية لها جذور لغوية عريقة في اللغة العربية. وقد ورد في المعاجم العربية، وكتب فقه اللغة وغيرها تأصيل هذه الكلمات عربياً فمثلاً: الزكاة من زكا يزكو فهو زاك. وأصل هذه المادة هي الطهر والنماء.

وكذلك السكينة، بمعنى الثبات والقرار، ضد الاضطراب لها جذور لغوية عميقة في اللغة العربية. يقال: سكن بمعنى أقام، ويتفرع عنه: يسكن، ساكن، مسكن، أسكن.

(١) - القرآن ولغة السيان، أحمد محمد علي الجمل، (كتاب إلكتروني)، وقد بين الدكتور الجمل أمثلة لهذا التشابه، ومنه لفظة (الخور)، فتدور معانيها في العربية والعبرية والسريانية على البياض والصفاء، لكنها كلمة عربية أصلية استخدمها العرب، ووردت في أشعارهم، ومن ذلك قول عمرو بن قميئة: لها عين حوراء في روضة... وتقرأ مع البت أرطى طولاً، وقول خليفة بن بشير: حتى أضاء سراج دونه حجل... حور العيون ملاح طرفها ساجي

و كلمة (قرآن)، مشتقة عربية على وزن (فعلان) من (قرأ، قرآن)، ومثل هذا الاشتقاق كثير في لغة العرب (رحمن - فرقان - رضوان - حيوان - حيران - غضبان). وكلمة (قرآن) مصدر آخر من الفعل (قرأ)، وهو يختلف في معناه عن المصدر (قراءة)، كما يفترق (رحمن عن رحيم، وفرقان عن فرق، ورضوان عن رضا، وحيوان عن حياة، وحيران عن حائر)، فالمصدر (فعلان) يفيد معنى زائدا، فالقراءة في أي كتاب هي صورة للقراءة، أما القرآن فهو حقيقة القراءة، وكذلك (الحياة) تدل على أي صورة من صور الحياة، بينما (الحيوان) تدل على الحياة الحقيقية، لذلك قال الله عن الآخرة: {وإن الدار الآخرة لهي الحيوان لو كانوا يعلمون} [العنكبوت: ٦٤]، وكذلك الفرق بين الرضى والرضوان، وبين الفرق والفرقان (١).

لكن العرب أيضا استخدمت كلمات وفدت إلى العربية من لغات أخرى، وهي في غالبها تتعلق بمسميات وافدة على العرب، فاستوردها العرب في رحلاتهم إلى الشام وفارس مع أسمائها ك (سندس، إستبرق، زنجبيل)، فأصبحت عربية بالتعريب واستخدام العرب لها، ويشبه هذا استخدامنا اليوم لبعض الكلمات المتعلقة بمصنوعات وفدت إلينا من الغرب، ك (التلفزيون، الفيديو، الراديو).

واستعمال العرب ثم القرآن لأمثال هذه الكلمات لن يقلل من عروبة القرآن، فعروبة أساليبه وفصاحته كلماته لم ينكرهما حتى عرب الجاهلية، وهم من هم في الفصاحة والجزالة، وكذلك في الحرص على الوقوف على زلل في القرآن أو خطأ.

- إن هذه المفردات غير العربية التي وردت في القرآن الكريم، وإن لم تكن عربية في أصل الوضع اللغوي فهي عربية باستعمال العرب لها قبل عصر نزول القرآن وفيه.. وكانت سائغة ومستعملة بكثرة في اللسان العربي قبيل نزول القرآن وبهذا الاستعمال فارقت أصلها غير العربي، وعُدَّت عربية نطقاً واستعمالاً وخطأً، إن وجود كلمات فرنسية متفرقة في كتاب مكتوب بالإنجليزية، لن يجعل الكتاب فرنسياً، ولن تشكك في إنجليزية الكتاب ولا الكاتب، وبخاصة حين تكون هذه الكلمات أسماءً لأعاجم، فهذه الكلمات تنقل كما هي من لغة إلى أخرى من غير ترجمة معانيها.

إذن فورودها في القرآن مع قلتها وندرتها إذا ما قيست بعدد كلمات القرآن لا يخرج القرآن عن كونه " بلسان عربي مبين"، ومن أكذب الادعاءات أن يقال: إن لفظ الجلالة " الله " عبرى أو سرياني وإن القرآن أخذه عن هاتين اللغتين. إذ ليس لهذا اللفظ الجليل " الله " وجود في غير العربية:

فالعبرية مثلاً تطلق على " الله " عدة إطلاقات، مثل ايل، الوهيم، وأدوناي، ويهوا أو يهوفاء. فأين هذه الألفاظ من كلمة " الله " في اللغة العربية وفي اللغة اليونانية التي ترجمت منها الأناجيل إلى اللغة العربية حيث نجد الله فيها " الوى " وقد وردت في بعض الأناجيل يذكرها عيسى عليه السلام مستغيثاً بربه هكذا " الوى الوى "

(١) - صيغ النسب في اللغتين العربية والسريانية، د. أحمد الجمل، مجلة كلية اللغات والترجمة، جامعة الأزهر، العدد ٣٢ لسنة ٢٠٠١م، ص (٢٤٢-٢٤٤)، نقلاً عن كتاب القرآن ولغة السريان، أحمد محمد علي الجمل.

وترجمتها إلهي إلهي. إن نفى عروبة القرآن بناء على هذه الشبهة الواهية أشبه ما يكون بمشهد خرافي في أدب اللامعقول (١).

### المسألة السابعة : قالوا: القرآن يستخدم كلمات لا تليق وتخدش الحياء، مثل كلمة

(النكاح) أو (الغائط) أو (الفرج)، ومفهوم كلمة النكاح عندهم (الجماع)، وأما (الغائط) فأرأوه اسما صريحا لما يخرج في الخلاء، وكذلك الحال في (الفرج) الذي اعتبروه لفظا صريحا في الدلالة على محل الجماع.

والجواب: لعل من نافلة القول أن نقرر أن الباحث في كتب أهل الأديان اليوم لن يجد كتابا مثل القرآن في عنايته بالأداب وانتقائه لأجود الكلمات والألفاظ، لأنه كتاب الرب الحكيم العليم، تعالى عن كل نقيصة ومثلية، لكن الجماع والتبول والتبرز عمليات حيوية لا يخلو عن التطرق إليها كتاب يتناول توجيهه المناشط الإنسانية، بيد أن عظمة القرآن عرضت ما يتعلق بهذه المعاني في قالب أدبي رصين لا مثيل له، فذكرها بطريق الاستعارة والكناية استعلاء وترفعا عن اللفظ الصريح المستقبح.

ومن ذلك أنه تبارك وتعالى عبر بالماساة والملامسة عن الجماع، كما في قوله تعالى: {والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا فتحرير رقبة من قبل أن يتماسا ذلكم توعظون به والله بما تعملون خبير فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين من قبل أن يتماسا} (المجادلة: ٣ - ٤)، ومثله قوله: {وإن طلقتموهن من قبل أن تمسوهن} [البقرة: ٢٣٧]، وقوله: {أو لامستم النساء} [النساء: ٤٣]، وفي مواضع أخرى استعاضت الآيات عن ذكر الجماع بألفاظ عامة كالرفث والإفضاء والمباشرة والاعتزال، ومن ذلك قوله عز وجل: {أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم} [البقرة: ١٨٧]، قال ابن عباس: "الرفث، الجماع، ولكن الله كريم يكني" ٢، وأصل الرفث كما قال أبو عبيدة هو: "اللغا من الكلام، وأنشد: ورب أسراب حجاج كظم ... عن اللغا ورفث التكلم" ٣) وأما التكنية عن الجماع بالإفضاء، ففي قوله تعالى: {وكيف تأخذونه وقد أفضى بعضكم إلى بعض} [النساء: ٢١]، وفي آية أخرى كنى الله تعالى عنه بالمباشرة؛ لما فيه من التقاء البشريتين {فالآن باشروهن} [البقرة: ١٨٧].

وأما لفظة (النكاح) فهي في لغة العرب بمعنى الاختلاط والتضام، كما تستعمل العرب (النكاح) بمعنيين مجازيين: أولهما: للدلالة على عقد النكاح. والثاني: هو الجماع.

قال الفيومي: "تناكحت الأشجار إذا انضم بعضها إلى بعض، أو من نكح المطر الأرض إذا اختلط بثراها، وعلى هذا فيكون (النكاح) مجازا في العقد والوطء جميعا، لأنه مأخوذ من غيره، فلا يستقيم القول بأنه حقيقة، لا فيهما، ولا في أحدهما، ويؤيده أنه لا يفهم العقد إلا بقرينة نحو (نكح) في بني فلان ولا يفهم الوطء إلا بقرينة نحو (نكح) زوجته، وذلك من علامات المجاز" ٤).

(١) - عن كتاب وزارة الأوقاف المصرية شبهات المشككين الشبهة الرابعة، وكتاب د. منقذ السقار تنزيه القرآن عن مضاعف الرهبان ص ٢٥٣ وما بعد.

(٢) - (جامع البيان، الطبري (٣/٤٨٧)). مرجع سابق.

(٣) - (القرطبي (٢/٤٠٧)). مرجع سابق.

(٤) - (المصباح للنير في غريب الشرح الكبير (٢/٦٢٤)). الناشر: المكتبة العلمية - بيروت.

وحين استخدم القرآن هذه اللفظة (النكاح) أراد المعنى المجازي الأول (عقد النكاح)، ولم يرد (الجماع)، وهذا يتبين لمن تأمل الآيات القرآنية، كمثل قوله تعالى: {وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَىٰ مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ} [النور: ٣٢]، فالمعنى: زوجوهم، ومثله في قوله: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُونَهَا فَمَتَّعُوهُنَّ وَسِرَّحُوهُنَّ سِرَّاحًا جَمِيلًا} [الأحزاب: ٤٩]، فالآية صريحة في طلاق الزوجة بعد العقد عليها وقبل الدخول فيها، فقوله: {نَكَحْتُمُ} أي عقدتم، ومثله قوله ﷺ: «تَنكِحُ الْمَرْأَةَ لِأَرْبَعٍ؛ لِمَالِهَا وَلِحَسْبِهَا وَجَمَالِهَا وَلِدِينِهَا، فَظَفَرُ بَدَاتِ الدِّينِ تَرَبَّتْ يَدَاكَ» (متفق عليه) أي تخطب المرأة ويطلب الزواج منها لهذه الأمور.

وكذلك كنى القرآن عن محل الجماع بالحرث والتغشي، فأما الحرث ففي قوله تعالى: {نَسَاءُكُمْ حَرِثَ لَكُمْ فَأَتُوا حَرِثَكُمْ أُنَى شَعْتُمْ} [البقرة: ٢٢٣]، والتغشي في قوله: {فَلَمَّا تَعَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمَلًا خَفِيًّا} [الأعراف: ١٨٩]، وكذلك كنى القرآن عن مقدمات الجماع بالمرأودة، كما في قوله تعالى: {وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا} [يوسف: ٢٣]، فهو كناية عما تطلب المرأة من الرجل وما يطلبه الرجل من المرأة.

ومثل هذا الأدب كنى القرآن عن محل الجماع بـ (الفرج)، في قوله: {وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا} [الأنبياء: ٩١]، وهو لفظ كناية، وليس بلفظ صريح، كما توهم الجهلة من أعاجم العربية، فالفرج عند العرب يراد به أصلاً فرج القميص، أي شقه، ومنه قوله تعالى: {مَا لَهَا مِنْ فَرْجٍ} [ق: ٢٦]، والتعبير به عن موضع العفة من أَلطَفِ الكِنَايَاتِ وَأَحْسَنَهَا، قال الجرجاني: "فرج بالسكون، والفرجة الشق بين الشئيين، والفرج ما بين الرجلين .. وقال بعضهم أصله الشق، وكني به عن السوءة، وكثر حتى صار كالصريح" (١).

وحين تحدث القرآن عن التبول والتغوط لم يصرح بهما، بل ذكر لآزمهما، وهو الطعام والشراب، فقال عن المسيح وأمه: {مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صَدِيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ انظُرْ كَيْفَ نَبِّينَ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ} [المائدة: ٧٥].

وأما لفظة (الغائط) فهي أيضا من ألفاظ الكناية، وهي صورة أخرى من صور الأدب القرآني، لأن الغائط في لغة العرب ليس اسما للعذرة التي تخرج من الإنسان، بل هو المكان المنخفض من الأرض، ولما كانوا يقضون حوائجهم فيها؛ فقد استعملوه للدلالة على العذرة، لكرهية العرب للتصريح باسمها.

قال عمرو بن معدي كرب الزبيدي: فكم من غائط من دون سلمى ... قليل الأنس ليس به كتيع ومراده كثرة الوديان التي تفصله عن سلمى.

وفي مقابل هذا الأدب القرآني الجم؛ فإننا نذكر المرددين لهذه الشبهة ببعض ما في كتبهم مما تستقبح ذكره الطباع: فقد ورد ذكر (الخزء) في سفر حزقيال حين زعموا أن الله قال لنبيه حزقيال: "وتأكل كعكا من الشعير، على الخرز الذي يخرج من الإنسان تحبزه أمام عيونهم" (حزقيال ٤/ ١٢).

ووردت المضاجعة صريحة في كتبهم في مواضع لا تحصى لكثرتها، بل ورد ذكر تفاصيل فاضحة عن العلاقة الجنسية، ومنه قول التوراة: "وزنتا بمصر في صباهما زنتا. هناك دغدغت ثديهما، وهناك ترغزغت ترائب

(١) - (التعريفات، الجرجاني، ص (٥٥٣)). مصدر سابق .

عذرتهما" (حزقيال ٢٣ / ٣)، ومثله في قولها: "حبيبي لي، بين ثديي بيت" (نشيد ١ / ١٥)، وأمثال هذا كثير، يطول المقام بتتبعه.

وهكذا فإن أدب العبارة القرآنية لا يبارى ولا يجارى، لأنه كتاب الله وكلامه، وما وقع فيه الآخرون من اتهام القرآن بذكر القبيح؛ إنما كان لعدم فهم هذه الألفاظ، فقد فاتهم أنها ألفاظ كناية تستخدمها العرب لتوري بها عن الصريح المستقبح، فلما غلب استعمالها على ما أطلقت عليه كناية؛ ظنها الجاهلون بلغة العرب من ألفاظ الفحش والقباحة ومما لا يليق...<sup>(١)</sup>

### المسألة الثامنة: هل أقسم أم لم يقسم؟! مثلاً: هل أقسم الله بمكة أم لم يقسم؟

قالوا: تناقض القرآن في مسألة قسم الله بمكة، فهو أقسم بما في قوله: {وهذا البلد الأمين} (التين: ٣)، وفي موضع آخر ينكر هذا القسم بمكة، فيقول: {لا أقسم بهذا البلد} (البلد: ١).

والجواب: لقد أقسم الله بالبلد الأمين (مكة) كما في آية سورة التين.

وما فهمه المعترضون من آية سورة البلد خطأ قادم إليهم بلغة العرب وطرائقها في البيان، ففي قوله: {لا أقسم}. (لا) ليست (لا) النافية التي تعني نفي القسم، بل هي (لا) الصلة، ويسميتها بعض النحويين (لا) الزائدة، فهي زائدة نحوياً، وإن كانت غير زائدة بلاغياً، لأنها تفيد التأكيد<sup>(٢)</sup>. قال الزجاج: "لا اختلاف بين الناس أن معنى قوله تعالى: {لا أقسم بيوم القيامة} وأشكاله في القرآن معناه: أقسم"<sup>(٣)</sup>.

والعرب ما زالت تستخدمها في كلامها من القديم، فهي كقولنا: لا أوصيك بفلان، أي لا أحتاج إلى وصاتك به، فهي نوع من التأكيد على الوصاية، وليست طلباً للإهمال.

ومن طريف الأخبار أن رجلاً سأل أبا العباس بن سريج عن هاتين الآيتين، فقال ابن سريج: أي الأمرين أحب إليك؟ أجيبك ثم أقطعك، أو أقطعك ثم أجيبك؟ فقال الرجل: بل اقطعني ثم أجبني.

فقال: اعلم أن هذا القرآن نزل على رسول الله ﷺ بحضرة رجال، وبين ظهري قوم كانوا أحرص الخلق على أن يجدوا فيه مغزاً وعليه مطعنا، فلو كان هذا عندهم مناقضة لتعلقوا به، وأسرعوا بالرد عليه، ولكن القوم علموا وجهلت، فلم ينكروا منه ما أنكرت.

إن العرب قد تدخل (لا) في أثناء كلامها وتلغي معناها، وأنشد فيه أبياتا<sup>(٤)</sup>.

ومثله كثير في أشعار العرب<sup>(٥)</sup>، ومنه قول النابغة:

فلا وحق الذي مسحت كعبته... وما هريق على الأنصاب من جسد: أي: فوحق الذي.

وقول الآخر: تذكرت ليلي فاعترتني صباية... وكاد صميم القلب لا يتصدع: أي: يتصدع.

ومثله قول الشاعر: فلا والله لا يلقي لما بي... ولا لما بهم أبدا دواء: أي: فوالله.

(١) - تنزيه القرآن الكريم عن دعاوى المبطلين، منقذ بن محمود السقار ص ٢٥٧ - ٢٦٠.

(٢) - (كتاب العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي (٨ / ٣٤٩) الناشر: دار ومكتبة الهلال، والأصول في النحو، ابن السراج البغدادي (٢ / ٢٥٩). الناشر: مؤسسة الرسالة، لبنان - بيروت، المحقق: عبد الحسين الفتلي.

(٣) - (تاج العروس، المرتضى الزبيدي (٤٠ / ٤٧٠)، وانظر: لسان العرب، ابن منظور (١٥ / ٣٦٤).

(٤) - (البرهان في علوم القرآن، الزركشي (٢ / ٥٤)، وانظر مغني اللبيب عن كتب الأعراب، ابن هشام، ص (٣٢٩).

(٥) - (تأويل مشكل القرآن، ابن قتيبة، ص (٢٤٤ - ٢٤٦)، والجامع لأحكام القرآن، القرطبي (٢٠ / ٥٩)، ودفع إيهام الاضطراب عن آي الكتاب، الشنقيطي، ص (٢٦٩ - ٢٧١). الناشر: مكتبة ابن تيمية - القاهرة، توزيع: مكتبة الخراز - جدة الطبعة: الأولى ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م

ومثله قول طرفة: فلا وأبيك ابنة العامري ... لا يدعي القوم أني أفر: أي: وأبيك.

وهذا الأسلوب في القسم يفيد تعظيم المقسم به، كما في سورة البلد، وكما في قوله تعالى: {فلا أقسم بمواقع النجوم وإنه لقسّم لو تعلمون عظيم إنه لقرآن كريم} [الواقعة: ٧٥ - ٧٧]، وكقوله: {لا أقسم بيوم القيامة ولا أقسم بالنفس اللوامة} [القيامة: ١ - ٢].

وقد وردت (لا) الصلة في مواضع كثيرة في القرآن الذي نزل بلغة العرب، ومنه قوله: {لكيلا تحزنوا على ما فاتكم} [آل عمران: ١٥٣]، أي (لتحزنوا)، وقوله: {ما منعك إذ رأيتهم ضلوا ألا تتبعن} [طه: ٩٢ - ٩٣]، أي (أن تتبعن)، وقوله: {فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم} [النساء: ٦٥]، أي: (فوربك)، وقوله: {لئلا يعلم أهل الكتاب ألا يقدرون على شيء من فضل الله} [الحديد: ٢٩]، أي: (ليعلم أهل الكتاب).

وقد ورد في سياق قصة آدم إثبات (لا) الصلة في موضع، وحذفها في آخر، لجواز الوجهين وتكامل معنيهما، فأما إثباتها ففي قوله تعالى: {ما منعك ألا تسجد إذ أمرتك} [الأعراف: ١٢]، وقد حذفت في قوله: {ما منعك أن تسجد} (ص: ٧٥)، والمعنى فيهما واحد، وهو: ما الذي منعك أن تسجد لآدم؟<sup>(١)</sup>

(١) - تنزيه القرآن للسقار ص ٢٣٥ مرجع سابق .

## الفصل الثالث

### هل القرآن مقتبس مما سبقه من كتب أم حاكم عليها

#### تمهيد :

وكيف يقرأ محمد تلك الكتب ويطلع عليها وهو لا يعرف القراءة والكتابة، ولو عرفها لما خفي هذا على معاصريه ، يقول المؤرخ الفرنسي (سيديو): (١) «كان محمد أمياً كأبناء بلده، فكان لا يستطيع حتى القراءة». . ويقول المستشرق الفرنسي (الكونت هنري دي كاستري) : «كان محمد لا يقرأ ولا يكتب؛ بل كان كما وصف نفسه نبياً أمياً، وهو وصف لم يعارضه فيه أحد من معاصريه، ولا شك أنه يستحيل على رجل في الشرق أن يتلقى العلوم بحيث لا يعلم الناس، لأن حياة الشرقيين ظاهرة للعيان.. ثبت إذاً مما تقدم؛ أن محمداً لم يقرأ كتاباً مقدساً، ولم يسترشد في دينه بمذهب متقدم عليه» (٢). ويقول المستشرق الإنكليزي (بلمر) في مقدمته لترجمته للقرآن الكريم إلى اللغة الإنكليزية: «وإنني لا أبالغ إذا قلت: إن شريعة محمد تحمل إلى الناس تعاليم ونظماً وقوانين ليست في غيرها مما سبق عليها».

أما احتواء القرآن على بعض التعاليم اليهودية والنصرانية، ودفاعه عن هاتين الديانتين في مواطن كثيرة كما يقول بعض المتهمين؟ لأن الإسلام الذي جاء به محمد هو دين الله؛ الذي جاء به جميع الأنبياء قبل محمد؛ بمن فيهم نوح وإبراهيم وموسى وعيسى، تقول الآية الكريمة: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ [الشورى: ١٣]. فهو لم يأت بدين جديد، وأن ما جاء به لا يتناقض أبداً مع ما جاء به نوح وإبراهيم وموسى وعيسى؛ بل هو يدعمه ويشهد له. وإن الإله الذي عبده محمد ودعا الناس إلى عبادته؛ هو الإله ذاته الذي عبده نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ودعوا الناس إلى عبادته، ولهذا تجد في القرآن الكريم ذكراً طيباً لجميع أنبياء الله منذ آدم وحتى محمد بن عبد الله عليهم السلام، وتجد فيه إشارات لبعض ما جاؤوا به، وبخاصة أساس دعوة دين الله على مر العصور والأزمان؛ وهو التوحيد: أن لا إله في السموات والأرض إلا الله سبحانه، وعلى هذا اتفقت دعوة جميع الأنبياء والرسل.

وفي هذا يقول الكاتب الفرنسي (موريس بوكاي) (٣): «أما الوحي القرآني الذي نزل عقب ستة قرون من المسيح، فقد احتفظ بالعديد من تعاليم التوراة والإنجيل اللذين أكثر من ذكرهما، بل وفرض على كل مسلم الإيمان بالكتب السابقة (سورة ٤ آية ١٣٦) كما أبرز المكانة المهمة التي شغلها في تاريخ الوحي رسل الله - كنوح وإبراهيم وموسى؛ وعيسى الذي كان له من بينهم مقام مرموق؛ وقد أظهر القرآن ولادته - كما في الإنجيل - كحدث معجز، كما كرم والدته مريم تكريماً خاصاً وأطلق اسمها على السورة رقم ١٩/ . ولا مفر من

(١) - في كتابه (تاريخ العرب العام) ص ٥٩ ترجمة عادل زعيتر - ط. الباي الحلبي

(٢) - في كتابه (الإسلام - المسمى في الترجمة العربية: خواطر وسوانح) ص ١٥٢ ترجمة فتحي زغلول ط. مصر.

(٣) - في كتابه (التوراة والإنجيل والقرآن والعلم) ص ٧ . طبعة دار الكندي ١٩٧٨ بيروت .

الاعتراف بأن هذه التعاليم الإسلامية مجهولة على العموم في بلادنا الغربية، وقد يعجب البعض من هذا! ولكن سرعان ما يزول ذلك إذا ذكرنا الطريقة التي لُقن بها العديد من الأجيال - الغربية - قضايا الإنسانية الدينية، والجهالة التي تُركوا فيها تجاه كل ما يخص الإسلام..».

قالوا : إنه أدرك خطايا النصرانية واليهودية، وقام بمهمة لا تخلو من الخطر بين أقوام مشركين يعبدون الأصنام؛ يدعوهم إلى التوحيد، ويزرع فيهم أودية الروح ، يقول د. رالف لنتون : «وبكل تأكيد كانت تعاليم محمد أكثر صراحة وفهماً مما كان عليه الحال في الديانة الزرادشتية أو الديانة النصرانية وهما الديانتان اللتان كانتا تنافسان الإسلام منذ نشأته» (١). بل إن عالم اللاهوت السويسري (د. هانز كنج) يعلن قائلاً: «إن محمداً نبي مرسل، ويحمل الهدى للبشرية جمعاء، وإنه خاتم الأنبياء والمرسلين، وإن الإنجيل بشرٌ به قبل التحريف، وإن القساوسة هم أول من يُقبلون على الإسلام ويعتقدونه إذا ما صدقوا» (٢).

قالوا إن كان الأنبياء قبل محمد قد جاؤوا بالإسلام دين الله، فما الحاجة إلى بعثة محمد؟ لقد تناسوا أن الناس حَرَفُوا الدين الذي جاء به الأنبياء وخرجوا به عن التوحيد الخالص إلى الشرك، فالعرب أتباع ملة إبراهيم حرفوا ما جاء به إبراهيم وصاروا يعبدون الأوثان والأصنام ويشركونها مع الله سبحانه، واليهودية والنصرانية حُرِفَتَا ودخل عليهما من الطقوس والعبادات والعقائد ما لم يأت به موسى ولا عيسى عليهما السلام. فكان لا بد من بعثة نبي يجدد دعوة الأنبياء قبله ويعيدها إلى مسارها الصحيح في الاعتقاد بوحدانية الله سبحانه؛ الوحدانية النقية الخالصة من كل شرك. ولهذا بُعث نبي المسلمين خاتم الأنبياء. يقول المفكران (هنري توماس و دانلي توماس)(٣): «في القرن السابع - الميلادي - حين بدا على الدنيا أنها قد أصيبت بالجفاف، وحين فقدت اليهودية مولدها، واحتلقت النصرانية بموروثات الأمم الرومانية والبربرية؛ ينبع في الشرق فجأة ينبوع صافٍ من الإيمان ارتوى منه نصف العالم». ويقول الباحث الأمريكي الكبير (د. مايكل هارت)(٤): «ولسوء الحظ إن الأناجيل يناقض بعضها بعضاً أحياناً في نقاط متعددة». أما الفيلسوف الفرنسي الشهير (فولتير) فيقول مخاطباً بني قومه: «لقد قام النبي بأعظم دور يمكن لإنسان أن يقوم به على الأرض.. إن أقل ما يقال عنه أنه قد جاء بكتاب، وجاهد، والإسلام لم يتغير قط، أما أنتم ورجال دينكم؛ فقد غيرتم دينكم عشرين مرة»(٥). ويقول الفيلسوف الإنكليزي (برنارد شو): «لقد أقام محمد فوق اليهودية والنصرانية ودين بلاده القديم؛ ديناً سهلاً واضحاً قوياً، وصرحاً خلقياً قوامه البسالة والعزة القومية» (٦).

ويقول المؤرخ (ول ديورانت): «وترى اليهودية والنصرانية والإسلام أن أهم ما يحتاج إليه المجتمع السليم هو الإيمان بان هذا الكون خاضع لحكم أخلاقي مسيطر على شؤونه.. غير أن المسيحية قد أضافت إلى هذه العقيدة أن الله الواحد يظهر في ثلاثة أقانيم مختلفة، أما اليهودية والإسلام فتريان أن هذا الاعتقاد ليس إلا شركاً

(١) - د. رالف لنتون شجرة الحضارة ٣٤٣/٢ تعريب د. أحمد فخري. طبعة الانغلو المصرية ١٩٦١ القاهرة

(٢) - عن كتاب (محمد نبي الهدى والرسول الخاتم) لمحمد يحيى الدين سالم.

(٣) - في كتابهما (القادة الدينيين) عن كتاب (محمد في الآداب العالمية للمصنفة) ص ١١٠ محمد عثمان عثمان

(٤) - في كتابه (الملة الأوائل) ص ٣١ ترجمة أسعد عيسى وأحمد سيانو طبعة دار قتيبة دمشق .

(٥) - عن كتاب (غوته والعالم الغربي) كاتارينا مومزن ص ١٨١-٣٥٥. ترجمة عدنان عباس سلسلة عالم المعرفة ١٩٩٥

(٦) - عن كتاب (قصة الحضارة) لديورانت ٤٧/٧. طبعة دار الجليل بيروت

مقنعاً، وتعلنان وحدانية الله بأقوى الألفاظ وأشدها حماسة. وفي القرآن سورة خصصت كلها لهذا الغرض هي السورة /١١٢/ (١)، ويقول المستشرق الأمريكي (سنكس): «إن محمداً عليه السلام لم يأت لمكافحة التوراة والإنجيل، بل إنه كان يقول: إن هذين قد أنزلا من السماء لهداية الناس إلى الحق مثل القرآن، وإن تعاليم القرآن جاءت مصدقة لهما، ولكنه لم يأخذ منهما.. وقد رفض محمد نبي الإسلام جميع الرموز والأساطير، ودعا إلى عبادة إله واحد قادر رحمان رحيم كما يصفه القرآن في كل سورة من سوره» (٢)، ويقول العلامة الفرنسي (لوزون) أستاذ علم الكيمياء والفلك، في كتابه (الله في السماء): «وليس محمد نبي العرب وحدهم؛ بل هو أفضل نبي قال بوحداية الله، وإن دين موسى وإن كان من الأديان التي أساسها الوحدانية إلا أنه كان قومياً محضاً وخصاً ببني إسرائيل، أما محمد فقد نشر دينه بقاعدتيه الأساسيتين: وهما الوحدانية والبعث، وقد أعلنه لعموم البشر في أنحاء المسكونة، وإنه لعمل عظيم يتعلق بالإنسان جملة وتفصيلاً عند من يدرك معنى رسالة محمد»، ويقول العلامة الفرنسي الكبير (غوستاف لوبون): «وللإسلام وحده أن يباهي بأنه أول دين أدخل التوحيد إلى العالم» (٣).

وتقول المستشرفة والأستاذة الجامعية (د. لورافيشيا فاغليري) (٤): «دعا الرسول العربي عبدة الأوثان وأتباع نصرانية ويهودية محرفتين، إلى أصفى عقيدة توحيدية.. إذ كان واثقاً من أن كل عاقل لا بد أن يؤمن آخر الأمر بالإله الواحد، الواجب الوجود»، وتقول: «هناك من يقول: إن الإسلام لم يقدم أيما عنصر جديد لتصوير العلاقة بين الإنسان والله. ولكن أية قيمة لمثل هذا النقد إذا عرفنا أن محمداً نفسه لم يزعم أنه جاء بأفكار جديدة، ولكنه أعلن في جلاء أن الله أرسله ليعيد ملّة إبراهيم- التي حُرّفت من بعده- إلى أصلها، وليؤكد ما كان الله قد أوحى به إلى انبيائه السابقين مثل موسى ويسوع المسيح؟ لقد كان هو آخر الأنبياء حملة التشريع؛ ليس غير»، وتقول: «وبفضل الإسلام هُزمت الوثنية في مختلف أشكالها.. لقد أدرك الإنسان آخر الأمر مكانته الرفيعة.. لقد هوى الكهان وحفظه الألعاز المقدسة الزائفون، وسامسة الخلاص، وجميع أولئك الذين تظاهروا بأنهم وسطاء بين الله والإنسان، والذين اعتقدوا بالتالي أن سلطتهم فوق إرادات الآخرين. نقول لقد هوى هؤلاء كلهم عن عروشهم. إن الإنسان أمسى عبداً لله وحده.. وأعلن الإسلام المساواة بين البشر»، ثم تقول: «إن أول واجبات الإنسان أن يتدبر ظواهر الطبيعة، وأن يتأمل فيها لكي ينتهي إلى الإيقان بوجود الله. وانطلاقاً من هذا المبدأ الرئيس ينشأ الإيمان بالأنبياء وبالكتب المنزلة، وللإسلام في كتابه المنزل شيء أعجوبي؛ إن معجزة الإسلام العظمى هي القرآن.. وقد أثبت أنه ممتنع على التقليد والمحاكاة حتى في مادته.. ولا يزال لدينا برهان آخر على مصدر القرآن الإلهي، في الحقيقة التالية: وهي أن نصه ظل صافياً غير محرف طوال القرون التي تراخت ما بين تنزيله ويوم الناس هذا»، ثم تقول: «ليس من شروط صلاة المسلم أن تؤدي في معبد، لأن أيما مكان في الأرض، شرط أن يكون نظيفاً، هو قريب إلى الله، وبالتالي ملائم للصلاة، وليس المسلم في حاجة

(١) - عن كتاب (قصة الحضارة) لديورانت ٥٣/٧

(٢) - في كتابه (ديانة العرب) عن كتاب (محمد رسول الإسلام) لمحمد فهمي عبد الوهاب- ط. تونس ص ٤٣

(٣) - في كتابه حضارة العرب ص ١٢٥- تعريب عادل زعيتر- القاهرة- ط ٣ الباي الحلبي.

(٤) - في كتابها (دفاع عن الإسلام) ص ٨٣، ٦٧، ٥٦، ٤٥، ٤٤، ٤٣، ٤٢. تعريب ترجمة منير البعلبكي طبعة دار العلم للملايين ١٩٦٠ بيروت

لا إلى الكهان، ولا إلى القرابين، ولا إلى الطقوس لكي يسمو بقلبه إلى خالقه. والشرط الوحيد الذي ينبغي توفره في الصلاة لكي تكون مقبولة هو طهارة الجسد والنفس والثياب والمكان».

يقول المستشرق الفرنسي (إدوار مونت) في كتابه (حاضر الإسلام ومستقبله): «إن الانقياد لإرادة الله يتجلى في محمد والقرآن، بقوة لا تعرفها النصرانية»، أما (توماس كارليل) فيقول: «وقد زعم (براديه) وأمثاله أن القرآن طائفة من الأخاديع والتزاويق لفقها محمد لتكون أعداراً له عما كان يرتكب ويقترف، وذرائع لبلوغ مطامعه وغاياته، ولكنه قد آن لنا أن نرفض جميع هذه الأقوال، فإني لأمقت كل من يرمي محمداً بمثل هذه الأكاذيب، وما كان ذو نظر صادق ليرى قط في القرآن مثل ذلك الرأي الباطل»<sup>(١)</sup>. العلامة (شيريل) عميد كلية الحقوق بجامعة فيينا، إذ قال في مؤتمر الحقوق سنة ١٩٢٧/١: «إن البشرية لتفتخر بانتساب رجل كمحمد إليها؛ إذ أنه برغم أميته استطاع قبل بضعة عشر قرناً أن يأتي بتشريع سنكون نحن الأوروبيين أسعد ما نكون لو وصلنا إلى قمته بعد ألفي سنة»<sup>(٢)</sup>.

هل يدعي كذاب ملفق ويعلم للناس جميعاً أنه أعجز من أن يستطيع نفع نفسه أو الإضرار بها! وبالتالي فهو أعجز من أن يستطيع نفع غيره أو الإضرار به، ثم يعلن للناس جميعاً أنه بشر مثل غيره من بني البشر لا يعلم الغيب.. وأن ذلك كله مرده إلى الله سبحانه؛ مردداً الأمر الإلهي الذي أوحى إليه في القرآن الكريم: ﴿قُلْ لَأْمَلِكُ لِنَفْسِي نَفْعاً وَلَا ضَرّاً إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبِ لَأَسْتَكْتَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٨]. هل هذا كلام مشعوذ ملفق؟ و لهذا قال المؤرخ (ول ديورانت): «ولم يدع النبي في يوم من الأيام أنه قادر على معرفة الغيب». وقبل ديورانت قال الشاعر الفرنسي الشهير (لامارتين) في كتابه (السفر إلى الشرق): «لقد هدم الرسول المعتقدات التي تتخذ واسطة بين الخالق والمخلوق»<sup>(٣)</sup>.

**أولاً : ماذا يعني قولهم إن محمدا مدعيا للنبوة، مؤلفا للقرآن، ؟** أخذ مصادر القرآن من الشعر الجاهلي كما قال بذلك "تسدال" و"شيوخ" و"شبرنجر، و من الحنفاء كما قال غيرهم ومن الصابئة والزرادشتية والهندية القديمة ومن اليهودية والنصرانية المحرفة كما يقول "سميث" و"حداد" اللبناي وغيرهم وأخذ عن "ورقة" و"بجيري"؟. وأن الوحي مجرد "إلهام نفسي"؟ مثل "جان دارك" الفتاة التاريخية الفرنسية في القرن الخامس عشر الميلادي كما قال المستشرق "جب" (٤). هذه الأسئلة أو هذه الافتراضات حتى تكون قد حدثت، بعضها أو حتى مجتمعة لا بد أن يكون محمدا قد فعل الآتي...

أ - تعلم القراءة سرا : إذ أنه كان أميا واشتهر عنه ذلك بين العرب : {وما كنت تتلوا من كتاب ولا تحطه يمينك إذا لارتاب المبطلون} [العنكبوت: ٤٨] .

(١) - في كتابه (الأبطال) ص ٨٠ ترجمة محمد السباعي . طبعة دار الكتاب العربي .

(٢) - عن (محمد في الآداب العالمية) ص ١٥٦ محمد عثمان عثمان . طبعة ١٩٩٦ دمشق .

(٣) - ول ديورانت في قصة الحضارة ٧ / ٤٣ و لامارتين في السفر إلى الشرق ص ٢٧٧ .

(٤) - د / عمر بن إبراهيم رضوان " آراء المستشرقين حول القرآن الكريم وتفسيره - " دار طيبة - الرياض جزء ١ ص ٢٥٥ ، ٢٣٩٨ ، ٣٨٢ .

ب - تعلم لغات كتب أهل الكتاب، على كثرتها، سرا . وكما ذكرنا سابقا قول د. عبد الرحمن بدوي في قوله: ((ولكي نفترض صحة هذا الزعم- نقل الرسول عن أهل الكتاب-)، فلا بد أن محمداً كان يعرف العبرية والسريانية واليونانية، ولا بد أنه كان لديه مكتبة عظيمة اشتملت على كل نصوص التلمود، والأناجيل المسيحية، ومختلف كتب الصلوات، وقرارات المجامع الكنسية، وكذلك بعض أعمال الآباء اليونانيين ، وكتب مختلف الكنائس - والمذاهب المسيحية.))

ج - لم يدع صحيفة من صحف أهل الكتاب وغيرهم ..إلا قرأها سرا ،  
- مع أن هذه الكتب لم نجد لها مرة واحدة ولا في مكان واحد .  
- مع العلم أن عدد هذه الكتب كبير جدا يستحيل الاطلاع عليها كلها من شخص واحد.  
- مع أن حجم الكتب أيامه كبيرا جدا و في قراطيس .يستحيل تداولها سرا.  
- مع أن عدد النسخ من الكتاب الواحد كان قليلا، لأن النسخ كان يدويا ولحرق كتب أصحاب الديانات والفرق من الأباطرة.

- مع أن جزء كبيرا من هذه الكتب كان أسراراً لا يسمح بتداولها إلا بين علماء كل طائفة .هذا عدا المخطوطات التي لم نجد لها إلا في القرن الحالي . فهل كان لديه علماء للتنقيب عن المخطوطات {يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا بين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفوا عن كثير} [المائدة: ١٥]  
ث - استبعد التفاصيل غير المنطقية من كل كتاب : بالرغم من أن هذه التفاصيل تعج بها تلك الكتب . فلم يحدث أن اتفق القرآن مرة في جزئية غير معقولة مع وجود تفاصيل كثيرة مشتركة بين القرآن وتلك الكتب ،أي أنه ﷺ قد أدرك أن هناك أناسا متعلمين في القرن العشرين وما بعده سيقروا الكتاب(القرآن) وأدرك أنهم لن يستسيغوا إلا المنطقي، فاستبعد من القرآن كل ما يتناقض مع العقل و المنطق {أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا} [النساء: ٨٢]

ج - أخذ يجمع التفاصيل من كل كتاب ما يستقيم مع الكتاب الآخر، ثم عرض كل قصة في موضوع محدد ولغرض معين، ثم عرضها في صورة بيانية معجزة بعد إضافة تفاصيل أخرى من عنده ثم وضعها في موضعها المناسب في القرآن بل وتحكم في مشاعره الإنسانية؛ حيث تختلف الحالة الوجدانية لكثير حال نزولها، مع حالته النفسية حال نزولها مثل سورة النور التي نزلت في حادث الإفك حيث اتهم في عرضه ، كان المتوقع أن يكون جو السورة حزن وغضب، فإذا بها تسبح بقارئها وسامعها في جو من السلام والروحانية والنور.

د - أضاف ﷺ إلى كتابه (القرآن) نبوءات بالغيب في أمور عدة مثل أدائه وأصحابه لعمرة القضاء وضمن تحقيقها وكالتنبؤ بانتصار الروم مثلا على الفرس (سورة الروم)!!(في وقت كانت هذه النبوءة أبعد ما تكون عن التحقيق وخاطر بدعوته مخاطرة حاسمة، مثل ذلك أيضا التنبؤ بانتصار الإسلام وتمكينه من أكبر قوى الأرض في ذروة الضعف والاضطهاد للمسلمين.

هـ - أضاف تفاصيل من العلوم الكونية لم نعلم نحن أغلبها إلا متأخرا جدا، كما سيرد في بحث القرآن

ف - لاحظ كيف اضطهدت المرأة - وغيرها من الضعفاء - وعلم أن أناسا سيأتون في القرن العشرين وما بعده ينادون بتحريرها، فأراد سبقهم وفعل ذلك .

ق - علم صفات وألقاب النبي المنتظر عند أهل الكتاب فخطها في القرآن لنفسه، ثم تحكم في مسار حياته حتى تطابق صفاته صفات ذلك النبي!!  
إن هذا هو المستحيل بعينه... فالكاذب مدعي النبوة رجل شرير فاجر، شره المطامع، ديني المطالب مثل مدعو النبوة في القرن الأول الميلاد... لذلك فإنه إذا تظاهر في البداية بالتدين والصلاح للتغريب بالبعث فإنه لا يطبق في البقاء عليه صبرا... ولا يلبث أن يفتضح أمره وتظهر حقيقته لأعين الملائكة<sup>(١)</sup>.

## ٢- القرآن والكتاب المقدس " نظرة عامة "

أثبت البحث التفصيلي في القيم الأخلاقية السامية الواردة في الكتاب المقدس، أنها كلها مثبتة في القرآن الكريم<sup>(٢)</sup>، غير أنّ هذا الكتاب المعجز والفريد، لا يكفي بالموافقة والجمع، وإنما هو يجمع إلى الأخلاق المثبتة في أسفار الأولين، أنماطاً جديدة في السلوك والتعامل بما يوافق علمية هذا الدين وإحكام أحكامه التي لا سبيل لنسخها؛ إذ لا رسالة بعد رسالة محمد! كما جبر القرآن الكريم ما في أحكام التوراة من شدة وتضييق، وما في الكثير من أحكام الإنجيل من رخاوة وتهاون.. فكانت الخلاصة: أخلاقاً متقنة مصلحة لكل زمان ومكان. قال المستشرق ((هاملتون جب)):(إن المواقف الدينية التي عبر عنها القرآن ونقلها إلى الناس تشمل بناءً دينياً جديداً متميزاً... ومن هذه الوجهة يغدو التساؤل عن مصادر الدين الذي جاء به محمد أمراً غير وارد بالمرة.)<sup>(٣)</sup>  
أما نظريات بعض المستشرقين وأتباعهم الذين يقولون نقل محمد عن الكتاب المقدس، فهل كان الكتاب المقدس مترجماً للعربية زمن النبي؟ وهل ثبت أن محمداً كان قارئاً؟ وهل قال عنه قومه أن يقرأ أو عرف بينهم بالقراءة والدراسة البحث؟ إن إثبات علم الرسول ﷺ بدقائق الأسفار المقدسة السابقة لا يستقيم إلا بإثبات (ثقافة موسوعية) للرسول في أسفار أهل الكتاب وعقائدهم ولفظهم.. وقد صدق الدكتور عبد الرحمن بدوي في قوله: ((ولكي نفترض صحة هذا الزعم - نقل الرسول عن أهل الكتاب -، فلا بد أن محمداً كان يعرف العربية والسريانية واليونانية، ولا بد أنه كان لديه مكتبة عظيمة اشتملت على كل نصوص التلمود، والأنجيل المسيحية، ومختلف كتب الصلوات، وقرارات المجامع الكنسية، وكذلك بعض أعمال الآباء اليونانيين، وكتب مختلف الكنائس - والمذاهب المسيحية.))<sup>(٤)</sup>!!

لقد ثبت علمياً في الدراسات التاريخية أن العهد القديم والجديد لم يكن مترجماً إلى اللغة العربية قبل الإسلام، وقد نص على ذلك المستشرقون أنفسهم وقد قرّر الناقد ((آرثور فووبوس))<sup>(٥)</sup> في بداية بحثه عن أقدم ترجمة عربية للعهد الجديد في كتابه ((الترجمات المبكرة للعهد الجديد)) أنّ المحاولة التي ادّعى من خلالها معرفة

(١) - الباحث هشام طلبة، محمد في الترجوم والتلمود و التوراة ص ٤٥٥ - ٤٦١ .

(٢) - انظر هذا التفصيل الشاق في: محمد عبد الله دراز، مدخل إلى القرآن الكريم، ص ٩٣-١٠٢ وهي رسالة دكتوراه له، استغرق المؤلف ست سنوات (١٩٤١ م - ١٩٤٧ م) في تحضير رسالتي الدكتوراه باللغة الفرنسية وهما (المدخل إلى القرآن) و (دستور الأخلاق في القرآن). ونوقشت هذه الرسالة أمام لجنة من كبار المستشرقين ومنهم: ماسينيون - ليفي بروفيسال وغيرهما. وفتح المؤلف شهادة الدكتوراه بمرتبة الشرف العليا في ١٥ / ١٢ / ١٩٤٧ م.

(٣) - هاملتون جب، دراسات في حضارة الإسلام، ت/ إحسان عباس وآخرون. بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٦٤، ص ٢٥٤ - ٢٥٥

(٤) - عبد الرحمن بدوي، دفاع عن القرآن ضد متقديه، ت/ كمال جاد الله، القاهرة: الدار العلمية للكتب والنشر، ١٩٩٩ م، ص ٢٤، وانظر ((هل القرآن الكريم مقتبس من كتب اليهود والنصارى؟)) للدكتور سامي العامري فإنه رائع ومميز في هذا المجال .

(٥) - آرثور فووبوس: أستاذ العهد الجديد والتاريخ المبكر للكنيسة في ((The Lutheran School of Theology at Chicago)). له عناية خاصة بالدراسات السنيانية والنصرانية المبكرة.

محمد ﷺ ببعض كتب العهد الجديد في اللغة العربية، وأنه استعمل هذه الكتب في تأليف القرآن، محتجين (باعتباس) (!) القرآن الكريم من إنجيل متى والمزامير والأسفار الخمسة، هو احتمال ((خاطئ وليس فيه تحقيق. ولا يفيدنا القرآن هنا، ولا بد أن يُترك خارج النقاش.)) (١) ، وقد أشارت الموسوعة البريطانية إلى عدم وجود ترجمة عربية لأسفار اليهود قبل الإسلام وأن أول ترجمة كانت في أوائل العصر العباسي ، وكانت بأحرف عبرية (٢) .

شهد لغياب الترجمة العربية لهذه الأسفار، العديد من الأكاديميين المحققين، وأقرت بذلك الموسوعات المتخصصة التي لم تحمل همّ دعوى نقض أصالة القرآن الكريم، وذلك بعد أن ثبت بالاستقراء التاريخي غياب الترجمة العربية للكتاب المقدس زمن البعثة النبوية، ولعلّ أهم من كتب في موضوع تاريخ ترجمات الكتاب المقدس في لغات العالم، الباحثة ((بروس متزغر)) (٣)، أستاذ لغة العهد الجديد وآدابه، في كتابه المرجعي ((The Bible in Translation)) المتعلق بصورة مباشرة بتاريخ ترجمات الكتاب المقدس؛ فقد قال في هذا الشأن: ((من الراجح أنّ أقدم التراجم (العربية) للكتاب المقدس تعود إلى القرن الثامن.)) (٤) وكتب المستشرق المنصّر ((توماس باتريك هوغز)) في معجمه الذي خصّه للمصطلحات الإسلامية ((The Dictionary of Islam)) -نقلًا عن المستشرق ((ج.م. رودويل)) (٥)-: ((لا توجد حجة على أنّ محمدًا قد اطلع على الأسفار المسيحية المقدسة... لا بد أن يُعلم أنّه لا توجد آثار واضحة على وجود ترجمة عربية للعهد القديم والجديد سابقة لزمن محمد... أقدم ترجمة عربية للعهد القديم بلغنا أمرها، هي ترجمة الحبر سعديا الفيومي)) (٦). واحتج بالاختلاف الثابت في الصياغة الأدبية بين الترجمات العربية المتأخرة لأسفار العهدين واختلافها أيضًا في رسم أسماء الأعلام؛ للقول إنّها لا تعود لترجمة عربية قديمة سابقة للإسلام، وإنّما هي ترجمات متأخرة عن ذلك، من أصول لغوية مختلفة (السبعينية، والفولجات، وسريانية، وقبطية). (٧)

وخلص الباحث الإنجيلي المصري ((ألبرت إستيرو)) (٨) في خاتمة أطروحته للدكتوراه حول (الترجمة العربية) التي اعتمدها ((ابن قتيبة)) في اقتباساته من الكتاب المقدس: ((الاقتباسات الكتابية لعبد الله مسلم بن قتيبة ومصدرها: التحقيق في شأن أبكر الترجمات العربية للكتاب المقدس)) (٩) إلى القول: ((ربّما ظهرت

(<sup>١</sup>) *Arthur Vööbus, Early Versions of the New Testament: Manuscript Studies, Stockholm: 1954, pp.274-275*

(<sup>٢</sup>) - دراسات في تاريخ الإسلام ونظمه، س. د. جوتين، نقلًا عن كتاب الوحي القرآني في المنظور الاستشراقي ونقده، محمود ماضي، ص: ١٤٨  
(<sup>٣</sup>) بروس متزغر (١٩١٤م-٢٠٠٧م): أحد أئمة دراسات النقد النصي للعهد الجديد. له مؤلفات متنوعة في موضوعات متعددة في الدراسات الأكاديمية المتعلقة بالعهد الجديد. شارك في إعداد أهم نص يوناني قياسي للعهد الجديد في القرن العشرين. كما شارك في تحرير العديد من الترجمات الإنجيلية للعهد الجديد والتعليق عليها. تعتبر مؤلفاته مراجع أساسية في الدراسات المتخصصة في الجامعات الغربية.

(<sup>٤</sup>) Bruce Metzger, *The Bible in Translation*, Grand Rapids: Baker Academic, 2001, p. 46-

(<sup>٥</sup>) - جون مدوز رودويل (١٨٠٨م-١٩٠٠م): مستشرق إنجليزي.

(<sup>٦</sup>) - Thomas Patrick Hughes, *The Dictionary of Islam, being a cyclopaedia of the doctrines, rites, ceremonies, and customs, together with the technical and theological terms, of the Muhammadan religion*, London: W.H. ALLEN, 1895, pp.516-516

(<sup>٧</sup>) انظر؛ المصدر السابق، ص٥١٦

(<sup>٨</sup>) - يكتب بالحرف اللاتيني (Albert Istero)، والمقابل العربي تقريبي إذ لم أعر على اسمه كما يكتب باللغة العربية. جاء في مخطوطة الدكتوراه تعريفه أنه من مواليد سنة ١٩٣٠م، في (بورسعيد) بمصر. رسم قسيسًا سنة ١٩٥٨ في الكنيسة الإنجيلية. انتخب سنة ١٩٦٥م كسكرتير عام لمجلس كنائس الشرق الأوسط. وهو يدرّس الأدب الكتابي في إحدى مدارس الكنيسة الإنجيلية المصرية.

(<sup>٩</sup>) - ناقشها سنة ١٩٩٠م في جامعة (Johns Hopkins) الأمريكية.

الترجمات العربية للكتاب المقدس في الفترة الأخيرة من الحكم الأموي- في بداية القرن الثامن.)) (١)، ومما استدلل به لغياب ترجمة عربية قبل ظهور الإسلام؛ عدم حاجة يهود البلاد العربية لهذه الترجمة في لغة العرب؛ إذ دلت النقوش على استعمالهم للآرامية، أما النصارى فيشهد عدم وجود مجتمع نصراني في الحجاز، واعتماد الليتورجيا على اللغات الأخرى، على أنه من غير المعقول أن يواكب ذلك وجود ترجمة عربية للكتاب المقدس. (٢)

ومن لطائف الاستدلال على أنه لم ينقل من غيره ما يذكره العلماء في فوائد أسباب النزول؛ إذ يذكرون أن من فوائد أسباب النزول أنه من الله تعالى من ناحية الارتجال، فنزوله بعد الحادثة مباشرة يقطع دعوى من ادعوا أنه أساطير الأولين، أو من كتب السابقين ، فلو كان ينقل كتابه من كتب غيره ، لكان إذا سأله سائل يترى حتى يراجع الكتب التي عنده ، وينظر ماذا تقول في هذه المسألة ثم يجيب، ولكن النبي لم يكن يفعل ، بل يسأله الرجل فيعطيه الجواب الموافق للصواب، الذي لم يكن قرأه ولا عرفه إلا في هذه اللحظة التي نزل عليه فيها (٣) .

ومن أوضح الأدلة على رد دعوى النقل من ، غيره التحدي أن يأتي بمثله، فلو كان القرآن مأخوذاً من التوراة والإنجيل والكتب السابقة ، لما استطاع محمد أن يتحدى الناس ويقدم على هذا الخطأ الفادح؛ لأن هذه الأصول المنقول عنها موجودة في متناول أيدي الجميع، فلماذا يتحدى الناس بشيء موجود، ألا يخشى أن يقوم بعض الناس بالرجوع إلى مراجعه والعمل مثل عمله، فينكشف؟ ، ثم هذه الأساطير والمراجع ليست خاصة بمحمد ، بل هي كتب متداولة بيد الجميع ، إن افتراض تعلم النبي من نصارى الشام ويهود المدينة وغيرهم، لا يتفق مع الحقيقة التاريخية التي تحدثنا عن الحيرة والتزدد في موقف المشركين من رسول الله في محاولتهم لتفسير ظاهرة الرسالة؛ لأن مثل هذه العلاقة مع النصارى أو اليهود لا يمكن التستر عليها أمام أعداء الدعوة من المشركين وغيرهم، الذين عاصروه وعرفوا أخباره وخبروا حياته العامة بما فيها من سفرات ورحلات (٤) ، وإن وجود بعض الشرائع في القرآن ، التي تتفق مع ما في التوراة والإنجيل ، أو حتى ما عند العرب ليس في هذا دليل على أنه مأخوذ منها، فالقرآن لم يأت لهدم كل شيء ، بل لتصحيح الخطأ وإقرار الحق، فالصدق والشجاعة والكرم والحلم والرحمة والعزة كل هذه المعاني موجودة عند كفار مكة ومع هذا جاء الإسلام ولم يغير منها شيئاً بل باركها وحث عليها، لذلك قال النبي: «إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق» (٥) . ولم يقل: لأنشئها ، إذن ليس من الضروري لكتاب هداية من هذا القبيل، أن يشجب كل الوضع الذي كانت الإنسانية عليه قبله حتى يثبت صحة نفسه، فمن الطبيعي أن يقر القرآن بعض الشرائع، سواء في الكتب السابقة السماوية ، أو في عادات الناس وأعرافهم، وأما الخطأ فإنه لا يقره (٦) ، وقد نص القرآن على هذا المعنى في مثل قوله تعالى: ﴿وما

(١) - Albert Steero, 'Abdullah Muslim Ibn Qutayba's Biblical Quotations and their Source: An inquiry into the earliest existing Arabic Bible Translations, p.236, manuscript

(٢) - انظر المصدر السابق، ص ٧-١٧

(٣) - ذكر هذه الفائدة الطاهر بن عاشور في كتابه التحرير والتنوير (٥٠/١) . وراجع د. عبدالحسن المطيري، دعاوى الطاعنين في القرآن ص: ٢١٤ وما بعدها

(٤) - للمستشرقون وشبهاتهم حول القرآن، محمد باقر الحكيم (ص: ٤٣) .

(٥) - أخرجه الإمام أحمد عن أبي هريرة (٨٧٢٩) ، رواه الإمام مالك في الموطأ بلاغا من غير إسناد (كتاب الجامع، باب ما جاء في حسن الخلق) بلفظ (بعثت لأتمم حسن الخلق) ، وأخرجه البيهقي بلفظ (إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق) (انظر فتح الباري (٦/٦٦٥) .

كان هذا القرآن أن يفترى من دون الله ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين { يونس: ٣٧ } .

وكيف يمكن اعتبار التوراة والإنجيل من أهم مصادر القرآن مع أن القرآن، خالفها في كثير من الأشياء؛ ففي بعض الأحداث التاريخية نجد القرآن يذكرها بدقة متناهية، ويتمسك بها بإصرار، في الوقت الذي كان بإمكانه أن يتجاهل بعضها، على الأقل تفاديا للاصطدام بالتوراة والإنجيل) ، ففي قصة موسى يشير القرآن إلى أن التي كفلت موسى هي امرأة فرعون، مع أن سفر الخروج يؤكد أنها كانت ابنته، كما أن القرآن يذكر غرق فرعون بشكل دقيق ، لا يتجاهل حتى مسألة نجاة بدن فرعون من الغرق مع موته وهلاكه، في الوقت الذي نجد التوراة تشير إلى غرق فرعون بشكل مبهم، ويتكرر نفس الموقف في قضية العجل؛ حيث تذكر التوراة أن الذي صنعه هو هارون، وفي قصة ولادة مريم للمسيح وغيرها من القضايا<sup>(١)</sup>، ومن المعلوم أن في القرآن ما لا وجود له في كتب اليهود والنصارى، مثل: قصة هود وصالح وشعيب، فكيف أتى بها النبي (صلى الله عليه وسلم) ؟<sup>(٢)</sup>

والأهم لو كان محمد هو مؤلف القرآن الكريم لاحتاج إلى جيوش من المترجمين والنقاد وخبراء المخطوطات والجيولوجيين وعلماء يهود ونصارى من جميع الطوائف اليهودية والنصرانية !! والسبب أنه كما يقول الباحث هشام طلبه في كتابه " محمد في التوراة والترجم والتلمود " أن بعض القصص التي ذُكرت في القرآن الكريم تشبه القصص الموجودة في كتب اليهود والنصارى ، وسنطلق على هذه التشابهات اسم " **الشواهد القرآنية** " .... وهذه الشواهد القرآنية أو التشابهات تتضمن مفاجأة كبرى وهي كالتالي :” سنجد دائما هذه الشواهد القرآنية في كتب اليهود والنصارى مع ان عدد هذه الكتب كبير جدا ... كما ان الكتاب الواحد له أكثر من نص .... التوراة نفسها سينية لها ستة نصوص اساسية ( البشتيا - الفولجاتا - الشبعينية - السامرية - الترجوم - القياسية ) : النسخة القياسية لها ثلاث نصوص فرعية ( الالوهيمي - اليهودي - الكهنوتي ) هذه هي النصوص الاساسية عدا العديد من النصوص الفرعية ، وأي ناشر للكتاب المقدس يجب ان يستخدم أكثر من نص من هذه النصوص مستعينا بعلم يسمونه ” علم نقد النصوص ” ليصلوا لنص اقرب ما يكون للنص الأصلي المفقود ، سنجد دائما هذه الشواهد القرآنية مع ان هذه الكتب المذكورة كُتبت بلغات مختلفة العبرية ، السامرية ، اللاتينية ، اليونانية ، الآرامية ، السريانية ، القبطية الحبشية ، المندائية ، وغيرها ما عدا العربية .

مع ان هذه الكتب لم نجدها مرة واحدة بل لقد جُمعت على مر قرون طويلة منذ القرن الرابع الميلادي وحتى الان .... أغلب هذه الكتب وجدناها بعد وفاة محمد ﷺ وآخر ما وجدناه كانت مخطوطات البحر الميت (١٩٤٧-١٩٥٦) ، سنجد دائما هذه الشواهد القرآنية في كتب السابقين مع أن هذه الكتب لم نجدها في مكان واحد بل في اماكن متعددة كسيناء و نجع حمادي و القاهرة ، كهوف البحر الميت ، الحبشة ، الفاتيكان ، مكتبات نبلاء اوروبا .. ومع ان هذه الكتب كانت نادرة في عهد النبي ﷺ .... لأن النسخ كان يدويا و لم تكن هناك طباعة و كذلك بسبب حرق كُتب اتباع الأديان المضطهدة خصوصا النصارى... سنجد دائما

(١) - المستشرقون وشبهاتهم حول القرآن (ص:٤٦) .

(٢) - المرجع السابق ص : ٤٧

(٣) - الوحي القرآني من المنظور الاستشراقي ونقده، لماضي (ص:١٤٨) ، الجواب الصحيح لابن تيمية (٢٥/٣) ، (٥٧/٤) .

هذه الشواهد القرآنية مع ان حجم الكتب أيامه ﷺ كان كبيرا و كانت على هيئة قراطيس من العسير تداولها سرا .... سوف اعطى مثلا لهذه الخاصة ” الشواهد القرآنية في اسفار السابقين ” :

من المعروف ان قصة يوسف عليه الصلاة والسلام هي الوحيدة التي نجدها في القران متتالية في موضع واحد . هذه القصة لا نجدها كما هي في أي كتاب من كتب اليهود او النصارى - سنجد قسما منها في التوراة التي بين ايدينا الان ( قياسية - سبعينية ) مع وجود تفاصيل في الرواية التوراتية لا نجدها في القران كقطع التوراة لسرد قصة يوسف دون اي مناسبة لتروى لنا قصة أخرى و هي مضاجعة يهودا لزوجة ابنه ! - اما القسم الثاني من رواية يوسف في القران فسنجده في عدد كبير من كتب اهل الكتاب غير التوراة و سنجد هذا القسم مشتتا تماما ، فجزئية إخبار يوسف رؤياه لأبيه اولا نجدها في كتاب ” العاديات اليهودية ” للمؤرخ يوسيفوس ...

و جزئية ((أَرْسَلَهُ مَعَنَا عَدَاً يَزْتَعُ وَيَلْعَبُ)) في كتاب ( بسكيتارباتى و سيفر عدد ) - هذان الكتابان اتفقا مع القران في ذلك و اختلفا فيها مع التوراة نفسها - و جزئية ” وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا ” في كتاب . و جزئية ” وَشَرُّهُ بِثَمَنِ بَخْسٍ ” في كتاب آخر .... و جزئية ” وَجَاؤُوا آبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ ” في كتاب ( عهود الاسباط و هو من كتب الاسرار ) و جزئية ” فَأَكَلَهُ الذُّبُّ ” في كتاب ” yashar wa yesheb ” و هكذا اكثر من ٢٦ جزئية كذلك التي ذكرناها انفا في اكثر من ٣٠ كتابا ... كل هذه الكتب سالفة الذكر وجدنا لها تفاصيل عديدة غير منطقية لا تُذكر في القران الكريم كذكر كتاب ” تنهوما ” أن يهودا حين أخذ منه بنيامين دخل في صراع مع يوسف و نزلت الملائكة لتشهد الصراع بين يوسف ” الثور ” و يهودا ” الاسد ” !! و يضيف كتاب br و التلمود هنا أيضا ان رجال يوسف الأقوياء فقدوا اسنانهم بسبب صرخة يهودا !! و يذكر الكتابان في موضع آخر ان ملاك العاطفة هو الذى حث يهودا على مضاجعة زوجة ابنه المذكورة في التوراة ! هذا عن القسم الثاني في الرواية القرآنية اما القسم الاخير فلا نجد في التوراة او غيرها فلا بد إذن أن محمدا ﷺ كانت لديه مخطوطات أخرى إضافة لكل ما ذكر من مصادر لم نجدها حتى الان وهذا مستحيل بكل المقاييس!! هذه الخاصة - الشواهد القرآنية في كتب السابقين - نستنتج منها أنه من المستحيل على رجل مثل محمد صلى الله عليه و سلم أن يقرأ كل صحيفة في كل كتاب من كتب لم نعرف نحن الان أكثرها إلا متأخرا جدا (١)..... ثم يستبعد التفاصيل غير المنطقية ثم يأخذ من هذا ما يتناسب مع ذلك .... ثم يقدم هذا النتاج في صورة بيانية رائعة و لا بد أنه قد فعل كل هذا في السر ايضا !

إن هذا هو المستحيل بعينه خصوصا إذا أضفنا لذلك معرفته واطلاعه على كتب الأسرار apocrypha الخاصة بكل طائفة!! فكثير من طوائف اليهود والنصارى لديهم كتب لا يطلع عليها إلا كبار رجال الدين عندهم ، فهل اطلع محمد ﷺ على تلك الكتب أيضا ليؤلف القرآن الكريم؟! ومن أيسر سبيل لتبيّن أصالة النصّ القرآني واستقلاله عن دعوى الاقتباس من (الكتاب المقدس) النصراني؛ هو النظر المباشر في كلا الكتابين، والمقارنة الصارمة بينهما لينجلي عن الحقّ غبارُ الشبهة ، ومن أهم ما يكشف الأوجه التي توضّح

(١) - الباحث هشام طلبة، محمد في الترجوم والتلمود والتوراة "ظهور نصوص اختفت ألفي عام" ص ٢٨٥-٢٩٠ دون دار نشر

أنّ القرآن الكريم لم يقتبس من أسفار اليهود والنصارى، تصحيح القرآن الكريم لأخطاء أسفار أهل الكتاب، وفصله بين أصيل الوحي ودخيل التحريف..

### ٣- مقارنة تفصيلية وتحليلية ل أربع نصوص متشابهة .

إن وُرُودَ مواضع بينها تشابه في كل من التوراة والقرآن الكريم ومن أبرزها الجانب القصصي، وبعض المواضع التشريعية جعلهم يطنظنون بأن القرآن أخذ مما سبقه فقالوا: إن القرآن مقتبس من التوراة، وبعضهم يضيف إلى هذا أن القرآن اقتبس مواضع أخرى من " الأناجيل " ومن الزرادشتية وشعر العرب.

نقول: المادة المقتبسة لها طريقتان عند الشخص المقتبس، إحداهما: أن يأخذ الفكرة بلفظها ومعناها كلها أو بعضها. والثانية: أن يأخذها بمعناها كلها أو بعضها كذلك ويعبر عنها بكلام من عنده، والمقتبس في عملية الاقتباس أسير المقتبس منه قطعاً ودائر في فلكه؛ إذ لا طريق له إلى معرفة ما اقتبس إلا ما ذكره المقتبس منه. فهو أصل، والمقتبس فرع لا محالة، وعلى هذا فإن المقتبس لا بد له وهو يزاول عملية الاقتباس من موقفين لا ثالث لهما:

أحدهما: أن يأخذ الفكرة كلها بلفظها ومعناها أو بمعناها فقط.

وثانيهما: أن يأخذ جزءاً من الفكرة باللفظ والمعنى أو بالمعنى فقط.

ويعتد على المقتبس أن يزيد في الفكرة المقتبسة أية زيادة غير موجودة في الأصل؛ فهو لا طريق له لمعرفة ما اقتبس إلا ما ورد عند المقتبس منه، فكيف يزيد على الفكرة والحال أنه لا صلة له بمصادرها الأولى إلا عن طريق المقتبس منه، ، إذا جرى الاقتباس على هذا النهج صدقت دعوى من يقول إن فلاناً اقتبس منى كذا، أما إذا تشابه ما كتبه اثنان، أحدهما سابق والثاني لاحق، واختلف ما كتبه الثاني عما كتبه الأول مثل:

١- أن تكون الفكرة عند الثاني أبسط وأحكم ووجدنا فيها ما لم نجده عند الأول.

٢- أو أن يصحح الثاني أخطاء وردت عند الأول، أو يعرض الوقائع عرضاً يختلف عن سابقه ، في هذه الحال لا تصدق دعوى من يقول إن فلاناً قد اقتبس منى كذا، ورُدُّ هذه الدعوى مقبول من المدعى عليه، لأن المقتبس (اتهاًماً) لما لم يدر في فلك المقتبس منه (فرضاً) بل زاد عليه وخالفه فيما ذكر من وقائع فإن معنى ذلك أن الثاني تخطى ما كتبه الأول حتى وصل إلى مصدر الوقائع نفسها واستقى منها ما استقى، فهو إذن ليس مقتبساً وإنما مؤسس حقائق تلقاها من مصدرها الأصيل ولم ينقلها عن ناقل أو وسيط، وسوف نطبق هذه الأسس التي تحكم عملية الاقتباس على ما ادعاه القوم هنا وننظر:

هل القرآن عندما اقتبس كما يدعون من التوراة كان خاضعاً لشرطي عملية الاقتباس وهما: نقل الفكرة كلها، أو الاقتصار على نقل جزء منها فيكون بذلك دائراً في فلك التوراة، وتصدق حينئذ دعوى القوم بأن القرآن (معظمه) مقتبس من التوراة؟ أم أن القرآن لم يقف عند حدود ما ذكرته التوراة في مواضع التشابه بينهما؟ بل:

١ - عرض الوقائع عرضاً يختلف عن عرض التوراة لها.

٢ - أضاف جديداً لم تعرفه التوراة في المواضع المشتركة بينهما.

٣ - صحح أخطاء " خطيرة " وردت في التوراة في مواضع متعددة.

٤ - انفرد بذكر " مادة " خاصة به ليس لها مصدر سواه.

٥ - في حالة اختلافه مع التوراة حول واقعة يكون الصحيح هو ما ذكره القرآن. والباطل ما جاء في التوراة بشهادة العقل والعلم إذا كان الاحتمال الأول هو الواقع فالقرآن مقتبس من التوراة.. أما إذا كان الواقع هو الاحتمال الثاني فدعوى الاقتباس باطلة ويكون للقرآن في هذه الحالة سلطانه الخاص به في استقراء الحقائق، وعرضها فلا اقتباس لا من توراة ولا من إنجيل ولا من غيرهما.

لا أظن أن القارئ يختلف معنا في هذه الأسس التي قدمناها لصحة الاتهام بالاقتباس عموماً ، وما علينا بعد ذلك إلا أن نستعرض بعض صور التشابه بين التوراة والقرآن، ونطبق عليها تلك الأسس المتقدمة تاركين الحرية التامة للقارئ سواء كان مسلماً أو غير مسلم في الحكم على ما سوف تسفر عنه المقارنة ونحن على صواب في نفى الاقتباس عن القرآن؟. والمسألة بعد ذلك ليست مسألة اختلاف في الرأي يصبح فيها كل فريق موصوفاً بالسلامة، وأنه على الحق أو شعبة من حق ، وإنما المسألة مسألة مصير أبدي من ورائه عقيدة صحيحة توجب النجاة لصاحبها يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم ، أو عقيدة فاسدة تحل قومها دار البوار يوم يقدم الله إلى ما عملوا من عمل فيجعله هباءً منثوراً.

**الصورة الأولى من التشابه بين التوراة والقرآن.** لقطه من قصة يوسف عليه السلام مع امرأة العزيز تبدأ هذه اللقطه من بدء مراودة امرأة عزيز مصر ليوسف (عليه السلام) ليفعل بها الفحشاء وتنتهي بقرار وضع يوسف في السجن. واللقطة كما جاءت في المصدرين هي:

**أولاً: نصوصها في التوراة:** (سفر التكوين الإصحاح (٣٩) الفقرات (١٩ ٧))

" وحدث بعد هذه الأمور أن امرأة سيده رفعت عينها إلى يوسف وقالت: اضطجع معي، فأبى وقال لامرأة سيده: هو ذا سيدي لا يعرف معي ما في البيت وكل ما له قد دفعه إلى يدي، ليس هو في هذا البيت أعظم مني. ولم يمسك عنى شيئاً غيرك لأنك امرأته. فكيف أصنع هذا الشر العظيم، وأخطئ إلى الله، وكانت إذ كلمت يوسف يوماً فيوماً أنه لم يسمع لها أن يضطجع بجانبها ليكون معها..

ثم حدث نحو هذا الوقت أنه دخل البيت ليعمل عمله ولم يكن إنسان من أهل البيت هناك في البيت فأمسكته بثوبه قائلة اضطجع معي فترك ثوبه في يدها وخرج إلى خارج، وكان لما رأت أنه ترك ثوبه في يدها، وهرب إلى خارج أنها نادى أهل بيتها وكلمتهم قائلة:

" انظروا قد جاء إلينا برجل عبراني ليداعبنا دخل إلّي ليضطجع معي فصرخت بصوت عظيم، وكان لما سمع أني رفعت صوتي وصرخت أنه ترك ثوبه بجاني وهرب وخرج إلى خارج. فَوَضَعَتْ ثوبه بجانبها حتى جاء سيده إلى بيته فكلمته بمثل هذا الكلام قائلة دخل إلّي العبد العبراني الذي جئت به إلينا ليداعبني وكان لما رفعت صوتي وصرخت أنه ترك ثوبه بجاني وهرب إلى خارج فكان لما سمع سيده كلام امرأته الذي كلمته به قائلة بحسب هذا الكلام صنع بي عبدك أن غضبه حمى.. فأخذ سيده يوسف ووضعه في بيت السجن المكان الذي كان أسرى الملك محبوسين فيه "

**نصوص القرآن الأمين :** (وَرَأَوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْت لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُغْلِبُ الظَّالِمُونَ \* وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ \* وَاسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ وَأَلْفَا سَيْدَهَا لَدَى الْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ \* قَالَ هِيَ رَاوَدْتَنِي عَنْ نَفْسِي وَشَهِدْتُ شَاهِدًا مِنْ أَهْلِهَا إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ \* فَلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ \* يُوسُفُ أَعْرَضَ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ إِنَّكِ كُنْتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ ... (١) } ثم بدا لهم من بعد ما رأوا الآيات كَيْسَجُنَّهٗ حَتَّىٰ حِينٍ { [يوسف: ٢٣-٢٩ ثم ٣٥]

أدعو القارئ أن يقرأ النصين مرات قراءة متأنية فاحصة، وأن يجتهد بنفسه في التعرف على الفروق في المصدرين قبل أن يسترسل معنا فيما نستخلصه من تلك الفروق. ثم يكمل ما يراه من نقص لدينا أو لديه فقد يدرك هو ما لم ندركه، وقد ندرك نحن ما لم يدركه وربّ قارئ أوعى من كاتب..

الفروق كما نراها

التوراة / ..... القرآن الأمين

المراودة حدثت مرارًا وتُصح يوسف لامرأة سيده كان قبل المرة الأخيرة: المراودة حدثت مرة واحدة اقترنت بعزم المرأة على يوسف لينفذ رغبتها.

(١) - لم نذكر النص القرآني الخاص بمحدث النسوة إذ لا مقابل له في التوراة.

تخلو من الإشارة إلى تغليق الأبواب وتقول إن يوسف ترك ثوبه بجانبها وهرب وانتظرت هي قدوم زوجها وقصت عليه القصة بعد أن أعلمت بما أهل بيتها.: يشير إلى تغليق الأبواب وأن يوسف هم بالخروج ففقدت ثوبه من الخلف وحين وصلا إلى الباب فوجئا بالعزير يدخل عليهما فبادرت المرأة بالشكوى في الحال.

لم يكن يوسف موجوداً حين دخل العزير ولم يدافع يوسف عن نفسه لدى العزير.: يوسف كان موجوداً حين قدم العزير، وقد دافع عن نفسه بعد وشاية المرأة، وقال هي راودتني عن نفسي.

تخلو من حديث الشاهد وتقول إن العزير حمى غضبه على يوسف بعد سماع المرأة: يذكر تفصيلاً شهادة الشاهد كما يذكر اقتناع العزير بتلك الشهادة ولومه لامرأته وتذكيرها بخطئها. وتشبثت يوسف على العفة والطهارة.

تقول إن العزير في الحال أمر بوضع يوسف في السجن ولم يعرض أمره على رجال حاشيته.

يشير إلى أن القرار بسجن يوسف كان بعد مداولة بين العزير وحاشيته.

تخلو من حديث النسوة اللاتي لُمنَ امرأة العزير على مراودتها فتاها عن نفسه، وهي فجوة هائلة في نص التوراة. يذكر حديث النسوة بالتفصيل كما يذكر موقف امرأة العزير منهن ودعوتها إياهن ملتزمة أعدارها لديهن ومصرة على أن ينفذ رغبتها

هذه ستة فروق بارزة بين ما يورده القرآن الأمين، وما ذكرته التوراة. والنظر الفاحص في المصدرين يرينا أنهما لم يتفقا إلا في " أصل " الواقعة من حيث هي واقعة وكفى، ويختلفان بعد هذا في كل شيء. على أن القرآن قام هنا بعمليتين جليلين الشأن: أولهما: أنه أورد جديداً لم تعرفه التوراة ومن أبرز هذا الجديد:

(١) حديث النسوة وموقف المرأة منهن. (٢) شهادة الشاهد الذي هو من أهل امرأة العزير.

ثانيهما: تصحيح أخطاء وقعت فيها التوراة ومن أبرزها:

(١) لم يترك يوسف ثوبه لدى المرأة بل كان لابساً إياه ولكن قطع من الخلف.

(٢) غياب يوسف حين حضر العزير وإسقاطها دفاعه عن نفسه.

**اعتراض وجوابه:** قد يقول قائل: لماذا تفترض أن الخطأ هو ما في التوراة، وأن الصواب هو ما في القرآن؟! أليس ذلك تحيزاً منك للقرآن؛ لأنه كتاب المسلمين وأنت مسلم؟ ولماذا تفترض العكس؟ وإذا لم تفترض أنت العكس فقد يقول به غيرك، و ما تراه أنت لا يصادر ما يراه الآخرون. هذا الاعتراض وارد في مجال البحث. وإذن فلا بد من إيضاح، والجواب: لم نتحيز للقرآن لأنه قرآن. ولنا في هذا الحكم داعيان:

الأول: لم يرد في القرآن - قط - ما هو خلاف الحق؛ لأنه لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد. وقد ثبتت هذه الحقيقة في كل مجالات البحوث التي أجريت على " مفاهيم " القرآن العظيم في كل العصور. وهذا الداعي وحده كافٍ في تأييد ما ذهبنا إليه.

الثاني: وهو منتزع من الواقعة نفسها موضوع المقارنة وإليك البيان: كل من التوراة والقرآن متفقان على " عفة يوسف " وإعراضه عن الفحشاء. ثم اختلفا بعد ذلك: فالتوراة تقول: إن يوسف ترك ثوبه كله لدى المرأة وهرب والقرآن يقول: إنه لم يترك الثوب بل أمسكته المرأة من الخلف ولما لم يتوقف يوسف عليه السلام اقتطعت قطعة منه وبقيت ظاهرة في ثوبه.

فأي الروايتين أليق بعفة يوسف المتفق عليها بين المصدرين؟! أن يترك ثوبه كله؟! أم أن يُحرق ثوبه من الخلف؟! إذا سلمنا برواية التوراة فيوسف ليس " عفيفاً " والمرأة على حق في دعواها؛ لأن يوسف لا يخلع ثوبه هكذا سليماً إلا إذا كان هو الراغب وهي الآية ، ولا يقال إن المرأة هي التي أخلعته ثوبه؛ لأن يوسف رجل، وهي امرأة فكيف تتغلب عليه وتخلع ثوبه بكل سهولة، ثم لما يمتنع تحتفظ هي بالثوب كدليل مادي على جنائته المشينة؟! وهل خرج يوسف " عرياناً " وترك ثوبه لدى غريمته..؟!!

والخلاصة أن رواية التوراة فيها إدانة صريحة ليوسف وهذا يتنافى مع العفة التي وافقت فيها القرآن الأمين.

أما رواية القرآن فهي إدانة صريحة لامرأة العزيز، وبراءة كاملة ليوسف عليه السلام.

لقد دعت المرأة إلى نفسها ففر منها. فأدرسته وأمسكته من الخلف وهو ما يزال فاراً هارباً من وجهها فتعرض ثوبه لعملية جذب عنيفتين إحداهما إلى الخلف بفعل المرأة والثانية إلى الأمام بحركة يوسف فانقطع ثوبه من الخلف ، وهذا يتفق تماماً مع العفة المشهود بها ليوسف في المصدرين ولهذا قلنا: إن القرآن صحح هذا الخطأ الوارد في التوراة ، .. فهل القرآن مقتبس من التوراة؟!!

فهل تنطبق على القرآن أسس الاقتباس أم هو ذو سلطان خاص به فيما يقول ويقرر؟. المقتبس لا بد من أن ينقل الفكرة كلها أو بعضها. وها نحن قد رأينا القرآن يتجاوز هذه الأسس فيأتي بمجديد لم يذكر فيما سواه، ويصحح خطأ وقع فيه ما سواه ، فليس الاختلاف فيها اختلاف حَبْكٍ وصياغة، وإنما هو اختلاف يشمل الأصول والفروع. هذا بالإضافة إلى إحكام البناء وعفة الألفاظ وشرف المعاني (١) .

إن الذى روته التوراة هنا لا يصلح ولن يصلح أن يكون أساساً للذي ذكره القرآن. وإنما أساس القرآن هو الوحي الصادق الأمين. ذلك هو مصدر القرآن " الوضيء " وسيظل ذلك هو مصدره تتساقط بين يديه دعاوى الباطل ومفتريات المفترين في كل عصر ومصر.

### الصورة الثانية من صور التشابه بين التوراة والقرآن : قصة هابيل وقابيل ابني آدم

نصوص التوراة: " حدث من بعد أيام أن قابيل قدم من أثمار الأرض قربانا للرب، وقدم هابيل أيضا من أبقار غنمه، ومن سماتها، فنظر الرب إلى هابيل وقربانه ولكن إلى قابيل. وقربانه لم ينظر. فاغتاظ قابيل جداً

(١) - تأمل عبارة التوراة " اضطحع معي " تجدها مبتذلة فاضحة تكاد تجسم معناها تجسيمياً. ثم تأمل عبارة القرآن (ورأوته التي هو في بيتها عن نفسه) تجدها كناية لطيفة شريفة بعيدة عن التبذل والإسفاف. والألفاظ أوعية المعاني والمعاني ظلال الألفاظ..

وسقط وجهه. فقال الرب لقابين لماذا اغتظت ولماذا سقط وجهك؟ إن أحسنت أفلا رفع؟؟. وإن لم تحسن فعند الباب خطية رابضة وإليك اشتياقها، وأنت تسود عليها. وكلم قابين هايبيل أخاه. وحدث إذ كانا في الحقل أن قابين قام على هايبيل أخيه وقتله. فقال الرب لقابين أين هايبيل أخوك فقال لا أعلم أحارس أنا لأخي؟ فقال ماذا فعلت؟ صوت دم أخيك صارخ إلى من الأرض. فالآن ملعون أنت من الأرض التي فتحت فاهها لتقبل دم أخيك من يدك متى عملت الأرض؟؟ تعود تعطيك قوتها. تائهاً وهارباً تكون في الأرض فقال قابين للرب: ذنبي أعظم من أن يحتمل أنك قد طردتني اليوم على وجه الأرض، ومن وجهك أحتفى وأكون تائهاً وهارباً في الأرض فيكون كل من وجدني يقتلني فقال له الرب: لذلك كل من قتل قابين فسبعة أضعاف ينتقم منه. وجعل الرب لقابين علامة لكي لا يقتله كل من وجده. فخرج قابين من لدن الرب وسكن في أرض نود شرقي عدن " (سفر التكوين ٤-٣-١٦) .

**نصوص القرآن الأمين :** {واتل عليهم نبأ ابني آدم بالحق إذ قربا قرباناً فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر قال لأقتلنك قال إنما يتقبل الله من المتقين \* لئن بسطت إلى يدك لتقتلني ما أنا بباسط يدي إليك لأقتلك إني أخاف الله رب العالمين \* إني أريد أن تبوء بإثمي وإثمك فتكون من أصحاب النار وذلك جزاء الظالمين\* فطوعت له نفسه قتل أخيه فقتله فأصبح من الخاسرين \* فبعث الله غراباً يبحث في الأرض ليريه كيف يواري سوءة أخيه \* قال يا ويلتي أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأواري سوءة أخي فأصبح من النادمين \* من أجل ذلك كتبنا على بنى إسرائيل أنه من قتل نفساً بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعاً ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعاً ولقد جاءهم رسلنا بالبينات ثم إن كثيراً منهم بعد ذلك في الأرض لمسرفون { [المائدة: ٢٧-٣٢] .

### الفروق بين المصدرين

اتفق المصدران حول نقطتين اثنتين لا ثالث لهما واختلفا فيما عداهما. اتفقا في: مسألة القربان. وفي قتل أحد الأخوين للآخر. أما فيما عدا هاتين النقطتين فإن ما ورد في القرآن يختلف تماماً عما ورد في التوراة، وذلك على النحو الآتي:

التوراة/.....القرآن الأمين

تسمى أحد الأخوين بقابين وهو " القاتل " والثاني " هايبيل " كما تصف القربانين وتحدد نوعهما./ لا يسميهما ويكتفى ببنوتهما لآدم كما اكتفى بذكر القربانين ولم يحددتهما.

تروى حواراً بين قابين والرب بعد قتله أخاه، وتعلن غضب الرب على قابين وطرده من وجه الرب إلى أرض بعيدة./ لا يذكر حواراً حدث بين القاتل وبين الله، ولا يذكر أن القاتل طرده الله من وجهه إلى أرض بعيدة، إذ ليس على الله بعيد.

التوراة تخلو من أي حوار بين الأخوين. / يذكر الحديث الذى دار بين ابني آدم ويفصل القول عما صدر من القتل قبل قتله وتهديده لأخيه بأنه سيكون من أصحاب النار إذا قتله ظلماً..

لا مقابل في التوراة لهذه الرواية ولم تبين مصير جثة القتيل؟! / يذكر مسألة الغراب، الذى بعثه الله ليُرى القاتل كيف يتصرف في جثة أخيه، ويوارى عورته.

تنسب الندم إلى " قابين " القاتل لما هدده الله بجرمانه من خيرات الأرض، ولا تجعله يشعر بشناعة ذنبه. / يصرح بندم " القاتل " بعد دفنه أخيه وإدراكه فداحة جريمته.

لا هدف لذكر القصة في التوراة إلا مجرد التاريخ. فهي معلومات ذهنية خالية من روح التربية والتوجيه. / يجعل من هذه القصة هدفاً تربوياً ويبنى شريعة القصص العادل عليها. ويلوم بني إسرائيل على إفسادهم في الأرض بعد مجيء رسل الله إليهم.

أضف إلى هذه ما تحتوى عليه التوراة من سوء مخاطبة " قابين " الرب، فترى في العبارة التي فوق الخط: " أحارس أنا لأخي " فيها فظاظة لو صدرت من إنسان لأبيه لعد عاقاً جافاً فظاً غليظاً فكيف تصدر من " مربوب " إلى " ربه " وخالفه..؟! ولكن هكذا تنهج التوراة فلا هي تعرف " قدر الرب " ولا من تنقل عنه حواراً مع الرب. ولا غرابة في هذا فالتوراة تذكر أن موسى أمر ربه بأن يرجع عن غضبه على بني إسرائيل، بل تهديده إياه سبحانه بالاستقالة من النبوة إذا هو لم يستجب لأمره، والواقع أن ما قصَّه علينا القرآن وهو الحق من أمر ابني آدم مختلف تماماً عما ورد في التوراة في هذا الشأن.

فكيف يقال: إن القرآن اقتبس هذه الأحداث من التوراة وصاغها في قالب البلاغة العربية؟! إن الاختلاف ليس في الصياغة، بل هو اختلاف أصيل كما قد رأيت من جدول الفروق المتقدم. والحاكم هنا هو العقل فإذا قيل: إن هذه القصة مقتبسة من التوراة قال العقل:

\* فمن أين أتى القرآن بكلام الشقيق الذى قتل مع أخيه، وهو غير موجود في نص التوراة التي يُدعى أنها مصدر القرآن؟!

\* ومن أين أتى القرآن بقصة الغراب الذى جاء ليُرى القاتل كيف يوارى سوءة أخيه وهى غير واردة في التوراة المدعى أصالتها للقرآن؟!

\* ولماذا أهمل القرآن الحوار الذى تورده التوراة بين " الرب " وقابين القاتل وهذا الحوار هو هيكل القصة كلها في التوراة؟! إن فاقد الشيء لا يعطيه أبداً، وهذا هو حكم العقل. والحقائق الواردة في القرآن غير موجودة في التوراة قطعاً فكيف تعطى التوراة شيئاً هي لم تعرف عنه شيئاً قط..؟! لا.. إن القرآن له مصدره الخاص به الذى استمد منه الوقائع على وجهها الصحيح، ومجرد التشابه بينه وبين التوراة في " أصل الواقعة " لا يؤثر في استقلال القرآن أبداً.

## الصورة الثالثة من صور التشابه بين التوراة والقرآن مقارنة بين بعض التشريعات

### المحرمات من النساء :

قارنًا فيما سبق بين بعض المسائل التاريخية التي وردت في كل من التوراة والقرآن الأمين. وأثبتنا بأقطع الأدلة أن القرآن له سلطانه الخاص به فيما يقول ويقرر، ورددنا دعوى أن القرآن مقتبس من التوراة. وبَيَّنَّا حكم العقل في هذه الدعوى كما أقمنا من الواقع " المحكي " أدلة على ذلك ، ونريد هنا أن نقارن بين بعض المسائل التشريعية في المصدرين؛ لأنهم يقولون: إن المسائل والأحكام التشريعية التي في القرآن لا مصدر لها سوى الاقتباس من التوراة، وقد اخترنا نص المحرمات من النساء في التوراة لنقابله بنص المحرمات من النساء في القرآن الحكيم ليظهر الحق. النص في المصدرين

**أولاً: في التوراة:** " عورة أبيك وعورة أمك لا تكشف. إنها أمك لا تكشف عورتها. عورة امرأة أبيك لا تكشف. إنها عورة أبيك. عورة أختك بنت أبيك أو بنت أمك المولودة في البيت، أو المولودة خارجاً لا تكشف عورتها. عورة ابنة ابنك أو ابنة بنتك لا تكشف عورتها إنها عورتك. عورة بنت امرأة أبيك المولودة من أبيك لا تكشف عورتها إنها أختك. عورة أخت أبيك لا تكشف إنها قريبة أبيك. عورة أخت أمك لا تكشف إنها قريبة أمك عورة أخي أبيك لا تكشف، إلى امرأته لا تقرب إنها عمته. عورة كنتك لا تكشف. إنها امرأة ابنك لا تكشف عورتها. عورة امرأة أخيك لا تكشف إنها عورة أخيك. عورة امرأة، وبنتها لا تكشف، ولا تأخذ ابنة ابنتها أو ابنة بنتها لتكشف عورتها إنهما قريباتها. إنه رذيلة. ولا تأخذ امرأة على أختها للضرر لتكشف عورتها معها في حياتها (سفر اللاويين ١٨/٧-١٨) .

**ثانياً: في القرآن الحكيم:** {ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء إلا ما قد سلف إنه كان فاحشة ومقنَّاً وساء سبيلاً \* حرمت عليكم أمهاتكم وبناتكم وأخواتكم وعماتكم وخالاتكم وبنات الأخ وبنات الأخت وأمهاتكم اللاتي أرضعنكم وأخواتكم من الرضاعة وأمهات نسائكم وربائبكم اللاتي في حجوركم من نسائكم اللاتي دخلتم بهن فإن لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم وحلائل أبنائكم الذين من أصلابكم وأن تجمعوا بين الأختين إلا ما قد سلف إن الله كان غفوراً رحيماً والمحصنات من النساء} [النساء: ٢٢-٢٤] .

هذان هما النصان في المصدرين. نص التوراة، ونص القرآن الحكيم. فما هي أهم الفروق بينهما يا ترى؟! وقبل إجراء المقارنة نفترض صحة النص التوراتي وخلوه من التحريف إذ لا مانع أن يكون هذا النص فعلاً مترجماً عن نص أصلي تشريعي خلا مترجمة من إرادة تحريفه ، والمهم هو أن نعرف هل يمكن أن يكون نص التوراة هذا أصلاً اقتبس منه القرآن الحكيم فكرة المحرمات من النساء، علماً بأن النص التوراتي قابل إلى حد كبير لإجراء دراسات نقدية عليه، ولكن هذا لا يعنيننا هنا.

الفروق بين المصدرين:

- التوراة: ١- لا تقيم شأنًا للنسب من جهة الرضاة. ٢- تحرم نكاح امرأة العم وتدعوها عمّة.
- ٣- تحرم نكاح امرأة الأخ لأخيه. ٤- لا تذكر حرمة النساء المتزوجات من رجال آخرين زواجهم قائم.
- ٥- تجعل التحريم غالباً للقرابة من جهة غير الزوج مثل قرابة الأب الأم العم ٠٠٠. وهكذا.
- القرآن الأمين: ١- يحرم من الرضاة ما يحرم من النسب. ٢- لا يحرم نكاح امرأة العم ولا يدعوها عمّة.
- ٣- لا يحرم نكاح امرأة الأخ لأخيه إذا طلقها أو مات عنها أخوه.
- ٤- يحرم نكاح المتزوجات فعلاً من آخرين زواجاً قائماً ويطلق عليهن وصف المحصنات من النساء.
- ٥- يجعل التحريم لقرابة الزوج ممن حرمت عليه. أو قرابة زوجته أحياناً.
- هذه الفروق الواضحة لا تؤهل النص التوراتي لأن يكون أصلاً للنص القرآني، علمياً، وعقلياً، فللنص القرآني سلطانه الخاص ومصدره المتميز عما ورد في التوراة. وإلا لما كان بين النصين فروق من هذا النوع المذكور.

### وقفه مع ما تقدم:

نكتفى بما تقدم من التوراة وإن كانت التوراة مصدراً ثراً لمثل هذه المقارنات، ولو أرخينا عنان القلم لما وقفنا عند حد قريب ولتضاعف هذا الحجم مئات المرات. ومع هذا فما من مقارنة تجرى بين التوراة وبين القرآن إلا وهى دليل جديد على نفي أن يكون القرآن مقتبساً من كتاب سابق عليه، فالقرآن وحى أمين حفظ كلمات الله كما أنزلت على خاتم النبيين (وقد رأينا في المقارنات الثلاث المتقدمة أن القرآن فوق ما يأتي به من جديد ليس معروفاً في سواه إنه يصحح أخطاء وقعت فيما سواه وهذا هو معنى " الهيمنة " التي خصَّ الله بها القرآن في قوله تعالى: { مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيماً عليه } [المائدة: ٤٨] .

فالأمر الذي لم يلحقها تحريف في التوراة جاء القرآن مصدقاً لها أو هو مصدق لكل من التوراة والإنجيل بالصفة التي أنزلها الله عليهما قبل التحريف والتبديل ، أما الأمور التي حُرِفَتْ، وتعقبها القرآن فقصها قصاً صحيحاً أميناً، وصحح ما ألحقه بهما من أخطاء، فذلك هو سلطان " الهيمنة " المشهود للقرآن بما من منزل الكتاب على رسله ، فالقرآن هو كلمة الله " الأخيرة " المعقبة على كل ما سواها، وليس وراءها معقب يتلوها؛ لأن الوجود الإنساني ليس في حاجة مع وجود القرآن إلى غير القرآن ، كما أن الكون ليس في حاجة مع الشمس إلى شمس أخرى تمدّه بالضوء والطاقة بعد وفاء الشمس بهما.

ولنأخذ صورة مقارنة من العهد الجديد أيضاً حيث يختلف عن العهد القديم وذلك لأن نص الإنجيل الذي سندرسه يقابله من القرآن نصاب كل منهما في سورة مما يصعب معه وضع النص الإنجيلي في جدول مقابلاً بالنصين القرآنيين. ولهذا فإننا سنهمل نظام الجدول هنا ونكتفى بعرض النصوص، والموازنة بينها والموضوع الذي سنخضعه للمقارنة هنا هو بشارة زكريا عليه السلام بابنه يحيى عليه السلام وذلك على النحو الآتي:

**الصورة الرابعة من الإنجيل والقرآن :** بشارة زكريا ب " يحيى " (عليهما السلام)

النص الإنجيلي: " لم يكن لهما معنى زكريا وامرأته ولد. إذ كانت اليصابات يعنى امرأة زكريا عاقراً. وكان كلاهما متقدمين في أيامهما فبينما هو يكهن في نوبة غرفته أمام الله حسب عادة الكهنوت أصابته القرعة أن يدخل إلى هيكل الرب ويبخر، وكان كل جمهور الشعب يصلى خارجاً وقت البخور. فظهر له ملاك الرب واقفاً عن يمين مذبح البخور. فلما رآه زكريا اضطرب ووقع عليه خوف. فقال له الملاك: لا تخف يا زكريا؛ لأن طلبتك قد سمعت وامراتك اليصابات ستلد لك ولداً وتسميه يوحنا، ويكون لك فرح وابتهاج. وكثيرون سيفخرون بولادته؛ لأنه يكون عظيماً أمام الرب. وخمراً ومسكرلاً لا يشرب، ومن بطن أمه يمتلئ بروح القدس ويرد كثيرين من بنى إسرائيل إلى الرب إلههم، ويتقدم أمامه بروح إيليا وقوته ليرد قلوب الآباء إلى الأبناء. والعصاة إلى فكر الأبرار، لكى يهتئ للرب شعباً مستعداً. فقال زكريا للملاك: كيف أعلم هذا وأنا شيخ وامرأتي متقدمة في أيامها...؟! فأجاب الملاك وقال: أنا جبرائيل الواقف قدام الله. وأرسلت لأكلمك وأبشرك بهذا. وها أنت تكون صامتاً ولا تقدر أن تتكلم إلى اليوم الذى يكون فيه هذا لأنك لم تصدق كلامي الذى سيتم في وقته. وكان الشعب منتظرين زكريا ومتعجبين من إبطائه في الهيكل. فلما خرج لم يستطع أن يكلمهم ففهموا أنه قد رأى رؤيا في الهيكل. فكان يومئ إليهم. وبقي صامتاً.. " (لوقا ١ / ٧-٢٢) .

#### النصوص القرآنية:

سورة آل عمران: {هنالك دعا زكريا ربهُ قال رب هب لي من لدنك ذريةً طيبةً إنك سميع الدعاء \* فنادته الملائكة وهو قائم يصلى في المحراب أن الله يُبشرك بيحيى مصدقاً بكلمة من الله وسيداً وحسوراً ونبيّاً من الصالحين \* قال رب أنى يكون لي غلامٌ وقد بلغني الكبر و امرأتي عاقر قال كذلك الله يفعل ما يشاء \* قال رب اجعل لي آية قال آيتك ألا تكلم الناس ثلاثة أيام إلا رمزاً واذكر ربك كثيراً وسبح بالعشى والإبكار} [ آل عمران : ٣٨-٤١ ] . (وانظر قبلها من الآيات)

سورة مريم: {ذكر رحمة ربك عبده زكريا \* إذ نادى ربه نداءً خفياً \* قال رب إني وهن العظم منى واشتعل الرأس شيباً ولم أكن بدعائك رب شقياً \* وإني خفت الموالي من ورائي وكانت امرأتي عاقراً فهب لي من لدنك ولياً \* يرثني ويرث من آل يعقوب واجعله رب رضياً \* يا زكريا إنا نبشرك بغلام اسمه يحيى لم نجعل له من قبل سمياً \* قال رب أنى يكون لي غلام وكانت امرأتي عاقراً وقد بلغت من الكبر عتياً \* قال كذلك قال ربك هو على هين وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئاً \* قال رب اجعل لي آية قال آيتك ألا تكلم الناس ثلاث ليال سوياً \* فخرج على قومه من المحراب فأوحى إليهم أن سبحوا بكرة وعشيّاً \* يا يحيى خذ الكتاب بقوة وآتيناه الحكم صبياً \* وحناناً من لدنا وزكاه وكان تقياً \* ويراً بوالديه ولم يكن جباراً عصياً \* وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حياً} [مريم: ٨-١٥] .

ذلك هو نص الإنجيل. وذان هما نصا القرآن الأمين. والقضية التي ناقشها هنا هي دعوى " الحاقدين " أن القرآن مقتبس من الأناجيل كما ادعوا قبلا أنه مقتبس من التوراة ، وندعو القارئ أن يراجع النص الإنجيلي مرات، وأن يتلو النصوص القرآنية مرات، ويسأل نفسه هذا السؤال: هل من الممكن علمياً وعقلياً أن يكون النص الإنجيلي مصدرًا لما ورد في القرآن الأمين؟! إن المقارنة بين هذه النصوص تسفر عن انفراد النصوص القرآنية بدقائق لا وجود لها في النص الإنجيلي، ومن أبرز تلك الدقائق ما يلي:

### أولاً: في سورة آل عمران:

(أ) تقدم على قصة البشارة في " آل عمران " قصة نذر امرأة عمران ما في بطنها لله محرراً. وهذا لم يرد في النص الإنجيلي.

(ب) الإخبار بأنها ولدت أنثى " مريم " وكانت ترجو المولود ذكراً وهذا لم يأت في النص الإنجيلي.

(ج) كفالة زكريا للمولودة " مريم " ووجود رزقها عندها دون أن يعرف مصدره والله سبحانه وتعالى أعلم سؤاله إياها عن مصدره. وهذا بدوره لم يرد في النص الإنجيلي.

(د) القرآن يربط بين قصة الدعاء بمولود لـزكريا وبين قصة مولودة امرأة عمران. وهذا لا وجود له في النص الإنجيلي.

(هـ) دعاء زكريا منصوص عليه في القرآن وليس له ذكر في النص الإنجيلي.

### ثانياً: في سورة مريم:

(أ) ما رتبته زكريا على هبة الله له ولياً، وهو أن يرثه ويرث من آل يعقوب. ولم يرد هذا في النص الإنجيلي.

(ب) السبب الذي حمل زكريا على دعاء ربه وهو خوفه الموالي من ورائه والنص الإنجيلي يخلو من هذا.

(ج) كون زكريا أوحى لقومه بأن يسبحوا بكرة وعشياً. ولا وجود لهذا في النص الإنجيلي.

(د) الثناء على المولود " يحيى " من أنه بار بوالديه عليه سلام الله يوم ولادته ويوم موته ويوم بعثه حيّاً ورد في القرآن ولا مقابل له في النص الإنجيلي.

هذا كله جديد خاص بالقرآن لا ذكر له في سواه. وهذا يعني أن القرآن قد صور الواقعة المقصودة تصويراً أميناً كاملاً ، وهذه هي المهمة الأولى التي تعقب بها القرآن المهيم ما ورد في الإنجيل المذكور.

وبقيت مهمة جليلة ثانية قام بها القرآن المهيم نحو النص الإنجيلي، كما قام بمثلها نحو النصوص التوراتية المتقدمة. وتلك المهمة هي : تصحيح الأخطاء التي وردت في النص الإنجيلي.

ومن ذلك:

(أ) النص الإنجيلي يجعل الصمت الذي قام بزكريا عقوبة له من الملاك، فصحح القرآن هذه الواقعة، وجعل الصمت استجابة لدعاء زكريا ربه. وقد حرص على هذا النصان القرآنيان معاً. ففي آل عمران (قال رب اجعل

لي آية قال آيتك ألا تكلم الناس ثلاثة أيام (إلا رمزاً) وفي مريم: (قال رب اجعل لي آية قال آيتك ألا تكلم الناس ثلاث ليال سوياً) ، فالصمت فكان تكريماً لذكرا عليه السلام من الله، وليس عقوبة من الملاك، وقد انساق بعض مفسري القرآن الكريم وراء هذا التحريف الإنجيلي فقال: إن الصمت كان عقوبة لذكرا، ولكن من الله لا من الملاك ، وها نحن نرفض هذا كله سواء كان القائل به مسلماً أو غير مسلم، فما هو الذنب الذي ارتكبه زكرا حتى يعاقب من الله أو حتى من الملاك؟!

هل إقراره بكونه سنه وعقر امرأته هو الذنب؟! لقد وقع هذا من إبراهيم عليه السلام حين بشر بإسحق، ووقع من سارة حين بشرت به فلم يعاقب الله منهما أحداً ، وقد وقع هذا من " مريم " حين بُشِّرَتْ بحملها بعميسى ولم يعاقبها الله عليه. فما السر في ترك إبراهيم وسارة ومريم بلا عقوبة وإنزالها بذكرا وحده مع أن الذي صدر منه صدر مثله تماماً من غيره ، أي المسألة محاباة..؟! كلا.. فالله لا يجازي أحداً ، إن أكبر دليل على نفي هذا القول هو خلو النصوص القرآنية منه، وليس هذا تعصباً منا للقرآن. وإنما هو الحق، والمسلك الكريم اللائق بمنزلة الرسل عند ربهم ، إن الصمت الذي حل بذكرا كان بالنسبة لتكليم الناس، ومع هذا فقد ظل لسانه يلج بحمد الله وتسيحه في العشى والإبكار كما نص القرآن الأمين.

(ب) النص الإنجيلي يحدد مدة الصمت بخروج زكرا من الهيكل إلى يوم أن ولد يحيى.

وهذا خطأ ثانٍ صححه القرآن المهيمن فجعل مدته ثلاثة أيام لبليهن بعد الخروج من الحراب.

(ج) النص الإنجيلي يجعل البشارة على لسان ملاك واحد، بينما النصان القرآنيان يجعلانها على لسان جمع من الملائكة: {فنادته الملائكة وهو قائم يصلي في الحراب} {آل عمران: ٣٩} {يا زكرا إنا نبشرك بغلام} {مريم: ٧} . وهذا خطأ ثالث وقع فيه النص الإنجيلي فصححه القرآن الأمين.

(د) النص الإنجيلي يجعل التسمية ب " يحيى " يوحنا من اختيار زكرا بيد أن الملاك قد تنبأ بها ، وهذا خطأ رابع

صححه القرآن الأمين فجعل التسمية من وحى الله إلى زكرا: { اسمه يحيى لم نجعل له من قبل سمياً } {مريم: ٧}

(هـ) النص الإنجيلي يقول: " إن زكرا حين جاءه الملاك وقع عليه خوف واضطراب "، وقد خلا النص القرآني

من هذا.. فدل خلوه منه على أنه لم يقع ، ذلك أن القرآن الحكيم عَوَّدَنَا فِي قِصَّةِ اللِّوَقَائِعِ المُنَاطَرَةَ لِهَذِهِ الوَاقِعَةِ أن يسجلها إذا حدثت ولا يهملها، بدليل أنه قد نَصَّ عليها في واقعة السحرة مع موسى عليه السلام فقال:

{فأوجس في نفسه خيفة موسى} {طه: ٦٧} . وقال في شأنه كذلك عند انقلاب العصى حية لأول مرة:

{فلما رآها تهمز كأنها جأثٌ ولَّى مُدْبِرًا ولم يُعَقِّبْ} {القصص: ٣١} . وحكاها عن إبراهيم عليه السلام حين

جاءته الملائكة تبشيره فقال حكاية عن إبراهيم لضيوفه: {إنا منكم ورجلون} {الحجر: ٥٢} . وحكاها عن مريم

حين جاءها الملك: {قالت إني أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقيا} {مريم: ١٨} .

وحِرْصُ القرآن على ذكر هذا الانفعال (الخوف، إذا حدث) يدل على أن خلوه منه بالنسبة لذكرا دليل على أنه

لم يقع منه خوف قط، وهذا " الخلو " يعتبر تصحيحاً لما ورد في الإنجيل من نسبة حدث إلى زكرا هو في الواقع

لم يصدر منه ، فهذه خمسة أخطاء قام بتصحيحها القرآن الأمين نحو نصوص الإنجيل المذكورة هنا في المقارنة. وبهذا نقول: إن القرآن أدى هنا في تعقبه للنص الإنجيلي مهمتين جليلتين:

الأولى: تصوير الواقعة المقصوفة تصويراً أميناً كاملاً.

الثانية: تصحيح الأخطاء الواردة في النص الإنجيلي المقارن.

### وقفه أخيرة مع دعوى الاقتباس:

موضوع الدعوى كما يروج لها المبشرون أن القرآن اقتبس من الكتاب المقدس كل قصصه التاريخي . والواقعة التي هي موضوع دعوى الاقتباس هنا هي حادثة تاريخية دينية محددة ببشارة زكريا عليه السلام بيحيى عبد الله ورسوله ووثائق تسجيلها هما: الإنجيل، ثم القرآن الأمين ، وصلة الإنجيل بالواقعة المقصوفة أنه سجلها فرضاً بعد زمن وقوعها بقليل؛ لأن عيسى كان معاصراً ليحيى عليهما السلام وصلة القرآن الأمين بما أنه سجلها بعد حدوثها بزمن طويل " حوالى سبعمائة سنة " ، وقرب الإنجيل من وقوع الحادثة المقصوفة، وبُعد القرآن الزمنى عنها يقتضى إذا سلمنا جدلاً بدعوى الاقتباس المطروحة أن يأتي الاقتباس على إحدى صورتين:

أولاهما: أن يقتبس القرآن جزءاً مما ورد من القصة الكلية في الإنجيل. وتظل القصة فيه ناقصة عما هي عليه في المصدر المقتبس منه (الإنجيل) على حسب زعمهم.

ثانيهما: أن يقتبس القرآن القصة كلها كما هي في الإنجيل بلا نقص ولا زيادة، سواء أخذها بألفاظها أو صاغها في أسلوب جديد (البلاغة العربية كما يدعون) ، بشرط أن يتقيد بالمعاني الواردة في المصدر المقتبس منه؛ لأن الفرض قائم (حتى الآن) على أن القرآن لم يكن له مصدر يستقى منه الواقعة غير الإنجيل المقتبس منه، ومحظور على القرآن عملاً بهذه القيود التي تكتنف قضية الاقتباس للوقائع التاريخية من مصدرها الأوحده أن يأتي بجديد أو يضيف إلى الواقعة ما ليس في مصدرها الأوحده.

### فماذا صنع القرآن إذن؟

هل اقتبس من الإنجيل جزءاً من الواقعة؟ أم الواقعة كلها؟! دائراً في فلك الإنجيل دورة ناقصة أو دورة كاملة؟! لو كان القرآن قد فعل هذا: اقتبس جزءاً من الواقعة كلها، وكَوِّم مع صياغة جديدة لم تغير من المعنى شيئاً؛ لكان لدعوى الاقتباس هذه ما يؤيدها من الواقع القرآني نفسه. ولما تردد في تصديقها أحد. ولكننا قد رأينا القرآن لم يفعل شيئاً مما تقدم. لم يقتبس جزءاً من الواقعة ولا الواقعة كلها. وإنما صورها تصويراً أميناً رائعاً. سجل كل حقائقها، والتقط بعدساته كل دقائقها. وعرضها عرضاً جديداً نقياً صافياً، وربط بينها وبين وقائع كانت كالسبب الموحد لها في بناء محكم وعرض أمين ، ولم يقف القرآن عند هذا الحد.. بل قام بإضافة الكثير جداً من الجديد الذى لم يعرفه الإنجيل. وصحح كثيراً من الأخطاء التي وردت فيه بفعل التحريف والتزوير. إما بالنص وإما بالسكوت. وهذا لا يتأتى من مقتبس ليس له مصدر سوى ما اقتبس منه ، وإنما يتأتى ممن له

مصدره ووسائله وسلطانه المتفوق، بحيث يتخطى كل الحواجز، ويسجل الواقعة من " مسرحها " كما رآها هو، وعقلها هو، وسجلها هو. وكان هذا هو القرآن.

إن المصدر الوحيد للقرآن هو الوحي الصادق الأمين.. وليس ما سجله الأحبار والكهان، والفريسيون، والكتبة في توراة أو أناجيل، إن مقاصد القرآن وتوجيهاته وكل محتوياته ليس في التوراة ولا في الإنجيل منها شيء يذكر. وفاقدا الشيء لا يعطيه. هذا هو حكم العقل والعلم، ومن لم يخضع لموازين الحق من عقل وعلم ونقل فقد ظلم نفسه.<sup>١</sup>

## ٤- القرآن والكتاب المقدس، نقاط الاختلاف في حقائق الإيمان والقصص والأحكام التشريعية (٢)

إن القرآن يصرح بوجود التشابه بين ما أنزله الله على الأنبياء وبين ما أنزله على خاتمهم { ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون } [الأنبياء: ١٠٥] ومثله في قوله: { بل تؤثرون الحياة الدنيا والآخرة خير وأبقى إن هذا لفي الصحف الأولى صحف إبراهيم وموسى } [الأعلى: ١٦ - ١٩] (١)، فوحدة المصدر تستلزم وجود التشابه، والتشابه بينهما يكون بقدر ما يشتمل عليه الكتاب المقدس من حق وما بقي فيه من هدي الأنبياء { إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده وأوحينا إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وعيسى وأيوب ويونس وهارون وسليمان وآتينا داوود زبوراً } [النساء: ١٦٣].

لكن التشابه بين الكتابين ليس مطرداً، فثمة فروق كبيرة بينهما سنعرض لبعضها بعد أن نبين أن الكثير مما يظنه البعض تشابهاً هو في حقيقته مشتمل على مفارقة كبرى تبطل زعم الزاعمين بالتشابه بين الكتابين، فمثلاً لا تشابه ولا توافق بين ما جاء في الإنجيل وما جاء في القرآن عن المحرومين من دخول الجنة رغم ما قد يظن من تشابه السياقين، ففي الإنجيل أن المسيح قال لتلاميذه: "الحق أقول لكم: إن مرور جمل من ثقب إبرة أيسر من دخول غني إلى ملكوت الله" (متى ١٩ / ٢٣ - ٢٥)، فهذا النص في تجريم الأغنياء وحرمانهم من الجنة؛ بينما القرآن ضرب هذا المثل في حديثه عن الكفار، المكذبين المجرمين، لا الأغنياء { إن الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها لا تفتح لهم أبواب السماء ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط وكذلك نجزي المجرمين } [الأعراف: ٤٠]، فالتشابه بين النصين ينطبق عليه تشبيه العلامة ديدات بالشبه بين الجبن والطباشير، وإن كنت لا أشك بتشابه القرآن مع ما أنزله الله على المسيح عليه الصلاة والسلام، مما أضعوه وحرّفوه.

ونود أن ننبه هنا إلى أن آيات القرآن بلغت ٦٢٣٦ آية، وأن التشابه بينها وبين النصوص الكتابية لا يزيد - بحال من الأحوال - عن مائة آية، ونعتقد جازمين أن هذه الكتب قبل تحريفها كان فيها من صور

(١) - شبهات المشككين كتاب وزارة الأوقاف المصرية بإشراف د. حمدي زقزوق الشبه رقم ١١ .

(٢) - عن تنزيه القرآن د. منقذ السقار ص ٦٥ - ٨٥ .

التشابه مع القرآن ما هو أكثر من ذلك بكثير، كما يلزم العلم بالاختلاف والبون الكبير بين موضوعات القرآن وموضوعات الكتاب المقدس، فالعهد القديم (التوراة) في حقيقته هو تاريخ بني إسرائيل وأنسابهم وأعدادهم وسير ملوكهم وأنبيائهم وقصص حروبهم، فهو في الجملة كسائر كتب التاريخ المعروفة، كالبداية والنهاية لابن كثير، وتاريخ الأمم والملوك للطبري، ولا يستثنى من ذلك إلا سفران فقط (اللاويون والثنية)، فهما معنيان بالأحكام التشريعية.

وأما العهد الجديد (الإنجيل) فيتكون من أناجيل أربعة، تضمنت سيرة المسيح من الولادة إلى الصلب المزعوم، فهي أشبه ما تكون بسيرة النبي - صلى الله عليه وسلم - التي يرويها ابن إسحاق أو تهذيبها لابن هشام، كما يتضمن العهد الجديد أيضا رسائل التلاميذ، وهي تحكي عن قصصهم ورحلاتهم وأعجوباتهم ووصاياهم الموجهة إلى أصدقائهم ومعارفهم لتوضيح بعض المفاهيم اللاهوتية أو لطلب بعض القضايا الشخصية، أما القرآن الكريم فهو مختلف في تكوينه وموضوعه، فهو يحوي (شرح حقائق الإيمان - قصص السابقين - أحكام تشريعية - توجيهات للمجتمع المسلم - معالجة قضايا في العصر النبوي - وصف اليوم الآخر وما يتعلق به).

وينحصر المشترك بين موضوعات القرآن وموضوعات الكتاب المقدس في ثلاثة محاور (حقائق الإيمان - قصص السابقين - الأحكام التشريعية). لكن نظرة فاحصة ستكشف التباين الكبير بين حديث القرآن وحديث الكتاب المقدس في هذه الموضوعات الثلاثة، وهو ما نفضله بإذن الله.

## أ. حقائق الإيمان بين القرآن والكتاب المقدس

الكتب التي ينزلها الله يتوقع قارئها جميعا أن تركز على حقائق الإيمان الرئيسة كالتعريف بالله وأنبيائه وملائكته وكيفية عبادته، ومن البدهي أن تتطابق هذه الكتب، لوحدة مصدرها، فالنبي - صلى الله عليه وسلم - لم يكن بدعا عن إخوانه الأنبياء، بل جاء لبيان المعاني ذاتها التي بعثهم الله للدعوة إليها، وفي مقدمة ذلك توحيد الله والتعريف به وبصفاته {وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون} (الأنبياء: ٢٥)، والتحذير من الشرك {ولقد أوحى إليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين بل الله فاعبد وكن من الشاكرين} (الزمر: ٦٥ - ٦٦)، فهذه حقائق أطبق الأنبياء على ذكرها، ولا يتصور خلو دعوة نبي منها، فالتشابه بينها لازم لها، وهو دليل وحدة أصلها، وأما الاختلاف بينها في التعريف بهذه الحقائق فذاك دليل تحريف بعضها، وأنه ليس من عند الله تعالى.

والسؤال: هل يتشابه القرآن مع الكتاب المقدس فيما يتعلق بحقائق الإيمان؟

للإجابة عن هذا السؤال نكتفي بعرض مسألة واحدة من مسائل الإيمان وهي أهمها، مسألة التعريف بالله وصفاته، ليقيس القارئ الشاهد على الغائب، وفي التعريف بالله وصفاته يتشابه الكتابان (القرآن والكتاب المقدس) بقدر ما يحويه الكتاب المقدس من الحق، ويفترقان بقدر ما تحويه هذه الكتب من الشوائب والتحريف بسبب التدخل البشري فيها.

ولا ريب أن في الكتاب المقدس اليوم مجموعة من النصوص التي تعظم الله وتحدث عن وحدانيته، فأصول هذه الكتب من عند الله، وهذه الحقائق الإيمانية الصحيحة بقايا آثار الأنبياء في هذا الكتاب، فتطابق القرآن معها دليل على وحدة المصدر، وهو الله عز وجل، ولا يعني بالضرورة أن القرآن نقل منها؛ إذ التشابه لا يدل بالضرورة على النقل، فقد تطابق الإنجيليون الأربعة (متى ومرقس ولوقا ويوحنا) في الكثير من نصوصهم مع أسفار العهد القديم، ولم يزعم أحد من مثيري الأباطيل عن القرآن أنهم كانوا ينقلون من العهد القديم أو من بعضهم البعض.

وإزاء التطابق بين القرآن والكتاب المقدس في بعض المعاني فإنه يمكن للمتابع رصد الكثير من التفاصيل المختلفة بين الكتابين، وهو ما يحيل أن يكون أحدهما مصدرا للآخر، فالله - بحسب القرآن الكريم - إله عظيم بائن من خلقه، مستو على عرشه استواء يليق بجلاله، لا ندرك كنه ذاته ولا كيفية صفاته {ليس كمثل شيء وهو السميع البصير} [الشورى: ١١]، بينما هو بحسب الكتاب المقدس إله يخالط مخلوقاته، فيتجسد في صور بشرية، وينزل إلى الأرض، ويمشي فيها " هو ذا الرب يخرج من مكانه، وينزل ويمشي على شوامخ الأرض" (ميخا ١ / ٣)، ويركب على الملائكة الكروبيم في تنقلاته " طأطأ السماوات ونزل، وضباب تحت رجله، ركب على كروب، وطار، ورئي على أجنحة الريح ... " (صموئيل (٢) / ٢٢ - ١٠ - ١١)، وقد نزل مرة إلى باب خيمة الاجتماع، فكلم موسى وجها لوجه " ويكلم الرب موسى وجها لوجه، كما يكلم الرجل صاحبه" (الخروج ٣٣ / ١١). وإذا كان الله عز وجل منزها - بحسب القرآن - عن الطعام والشراب والنقائص فإن الكتاب المقدس يزعم أن الرب زار إبراهيم وأكل عنده بعض اللحم مع اللبن (انظر التكوين ١٨ / ٨).

وإذا كان القرآن ينزه الله سبحانه وتعالى عن الشبيه والمثيل {ليس كمثل شيء وهو السميع البصير} (الشورى: ١١)، {ولم يكن له كفوا أحد} (الإخلاص: ٣)، فإنه في الكتاب المقدس أشبه ما يكون بالإنسان الذي خلقه مشابها له "وقال الله: نعمل الإنسان على صورتنا كشبهنا" (التكوين ١ / ٢٦). ووصفه سفر دانيال بصفات الإنسان الجسدية، فشعر رأسه أبيض وملابسه كذلك بيضاء "وجلس القديم الأيام، لباسه أبيض كالثلج، شعر رأسه كالصوف النقي، وعرشه لهيب نار" (دانيال ٧ / ٩)، وله عينان وأجفان (انظر المزمور ١١ / ٤)، وله شفتان ولسان (انظر إشعيا ٣٠ / ٢٧ - ٢٨)، وله رجلان رأهما بنو إسرائيل (انظر الخروج ٢٤ / ٩)، وأيضا له فم وأنف يخرج منهما دخان ونار "صعد دخان من أنفه، ونار من فمه" (المزمور ١٨ / ٩).

وقد مشى في الجنة، حتى سمع آدم وحواء وقع خطواته: "وسمعا صوت الرب الإله ماشيا في الجنة عند هبوب ريح النهار" (التكوين ٣ / ٨). والله - بحسب القرآن - لا يرى في الدنيا {لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير} (الأنعام: ١٠٣)، وهذا خلاف المفهوم التوراتي الذي يزعم أن موسى رآه وجها لوجه (انظر الخروج ٣٣ / ١١)، كما رآه يعقوب حين صارعه بعد أن عبر وادي يبوب، فسمى المكان "فينئيل"، وهي كلمة عبرانية معناها (وجه الله) "قاتلا: لأني نظرت الله وجها لوجه، ونجيت نفسي" (التكوين ٣٢ / ٣٠). وإذا كان الله تعالى يصف نفسه في القرآن بأنه على كل شيء قدير؛ فإن سفر التكوين وهو أحد أسفار الكتاب المقدس الذي زعموا أن القرآن منحول منه يزعم في قصة يعقوب السابقة أن الله هزم في مصارعة

ليعقوب، وكذلك فإن سفر القضاة يذكر أن الرب عجز عن نصر بني إسرائيل على بعض أعدائهم، لأن لهم مركبات من حديد (انظر القضاة ١ / ١٩).

وهكذا، فإن هذا وغيره يثبت التباين الكبير في أهم مسألة كان يفترض أن ينقلها النبي - صلى الله عليه وسلم - من الكتاب المقدس لو كان هو مصدره في التعرف على الله تبارك وتعالى، لكن القرآن الموحى به إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - خالف الكتاب في هذه المسائل وغيرها، لأنه وحي الله تبارك وتعالى.

## ب. قصص الأنبياء والأمم السابقة بين القرآن والكتاب المقدس

الموضوع الثاني الذي يشترك القرآن والكتاب المقدس في الحديث عنه، هو قصص الأنبياء والسابقين، والمفروض أننا نتحدث عن حقائق تاريخية لن تختلف بين القرآن والكتاب المقدس بل والمؤرخين لكن قراءة سريعة في هذا الموضوع في الكتابين تثبت فروقا هائلة بين معطيات الأحداث التاريخية هنا وهناك، علاوة على كيفية العرض وغايته، فقصاص الكتاب المقدس وردت في سياق تاريخي بحت، بينما وردت قصص القرآن في سياق الاعتبار والتدبر، مع الإعراض عن كافة التفاصيل التاريخية التي لم يحفل بها القرآن الكريم لعدم فائدتها، فالكتب الإلهية ينزلها الله للعتة، وليس للتأريخ للأمم والأشخاص ( والمقارنة التي أجريت في البحث السابق أوضح الفكرة)

ونبه في هذا الصدد إلى أن في القرآن قصصا عن أنبياء وأمم لا وجود لذكرهم في كتب اليهود والنصارى، مثل: قصة هود وصالح وشعيب وذي القرنين وأصحاب الكهف وقصة موسى مع الخضر، وغيرها كثير. وأما القدر الذي اشتركا فيه، فبينهما من التخالف فيه ما لا يحصىه إلا الله، ففي حين يعظم القرآن الأنبياء ويعتبرهم أعظم البشر وأفضلهم {ووهبنا له إسحاق ويعقوب كلا هدينا ونوحا هدينا من قبل ومن ذريته داوود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهارون وكذلك نجزي المحسنين وزكريا ويحيى وعيسى وإلياس كل من الصالحين وإسماعيل واليسع ويونس ولوطا وكلا فضلنا على العالمين ومن آباؤهم وذرياتهم وإخوانهم واجتبتناهم وهديناهم إلى صراط مستقيم} (الأنعام: ٨٤ - ٨٧)، نجد في مقابله في الكتاب المقدس حديثا عن الأنبياء على خلاف ذلك، فما من رذيلة ولا بلية إلا ونسبها الكتاب إلى أنبياء الله تبارك وتعالى.

فهارون عليه السلام النبي العظيم منزه عن الشرك وعن بناء العجل الذي بناه السامري وعبدته بنو إسرائيل من دون الله (انظر طه: ٨٥ - ٨٧)، لكن التوراة تجعله بانيا للعجل الذهبي المعبود من دون الله (انظر الخروج ٣٢ / ٢ - ٤). وإذا كان داود في القرآن نبيا عظيما {اصبر على ما يقولون واذكر عبدنا داوود ذا الأيد إنه أواب} (ص: ١٧)، فإنه في الكتاب المقدس كان زانيا (انظر صموئيل (٢) ١١ / ١ - ٢٦)، وقاتلا، فقد قتل مائتين من الفلسطينيين، وقطع غلغهم، ليقدمها مهرا لزوجته ميكال (صموئيل (١) ١٨ / ٢٧). وأما سليمان فيصفه القرآن بالنبي الأواب: {ووهبنا لداود سليمان نعم العبد إنه أواب} (ص: ٣٠)، في حين تزعم التوراة بأنه ترك وصايا الله، وبني معابد للأصنام إرضاء لزوجاته الوثنيات (الملوك (١) ١١ / ٣ - ١١)، فهذه المفارقات

العظيمة في الصورة الإجمالية، وأكثر منها في تفاصيل الأخبار، وهي جميعا تثبت التمايز بين الكتابين بما يحيل أن يكون القرآن منحولا من الكتاب المقدس.

## ج. الأحكام التشريعية بين القرآن والكتاب المقدس

يشارك أيضا القرآن مع الكتاب المقدس في الحديث في موضوع الأحكام التشريعية التي يشرعها الله لعباده، والمسلمون يؤمنون بوحدة أصول الشرائع الإلهية التي أنزلها الله على نبيه - صلى الله عليه وسلم - وإخوانه الأنبياء { شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه } [الشورى: ١٣]، والقرآن نزل مصدقا لما جاء به الأنبياء { وما كان هذا القرآن أن يفترى من دون الله ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين } [يونس: ٣٧] وقد تم إجراء مقارنة مهمة في البحث السابق .

لقد كان من البدهي أن تتشابه الشرائع المنزلة على الأنبياء لوحدة المشرع جل وعلا، ومرة أخرى نذكر أن بين الكتابين من التشابه على قدر ما في كتب القوم من الحق، فقد ذكر القرآن شريعة القصاص، وأنها شرعة شرعها الله لليهود من قبل { وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس والعين بالعين والأنف بالأنف والأذن بالأذن والسن بالسن والجروح قصاص } [المائدة: ٤٥]، فهذه الشريعة عدل من الله، ولذا قررها على أنبيائه وفي شرائعهم، ومنها شريعة محمد - صلى الله عليه وسلم - التي قررها القرآن: { ولكم في القصاص حياة يا أولي الألباب } [البقرة: ١٧٩]، ولا يعني هذا التشابه - الذي يتناسب وعدل الله - أن النبي كان ينقلها من كتبهم.

لكن التطابق ممتنع بين الشرائع القرآنية والكتابية في كثير من الصور، ففي هذه الكتب الكثير من الشرائع التي لم يذكرها القرآن، لا بل تتعارض مع قواعد التشريع القرآني الذي يرى فيها ظلما محرما، كشرعية كسر عنق الحمار "وأما بكر الحمار فتفديته بشاة، وإن لم تفده تكسر عنقه، كل بكر من بنيك تفديته" (الخروج ٣٤ / ١٩ - ٢٠). وكذلك قتل صاحب الثور قصاصا من الثور الذي نطح رجلا فقتله. (انظر الخروج ٢١ / ١٨ - ٣٢)، وشرعية الإكراه على الزواج بزوجة الأخ المتوفى من غير أن يكون له ولد (انظر التثنية ٢٥ / ٥ - ١٠)، وأيضا شرائع الكهنوت وإناطة إقامة العبادات والشعائر بهم (انظر سفر اللاويين في مواضع كثيرة منه) والتي لا نجد لها أثرا في القرآن الذي لا يوجد فيه أي مسألة أو حكم يقر النظام الكهنوتي فضلا عن الدخول في تفاصيله.

ومن أمثلة التباين بين الكتابين أن القرآن يحرم الكثير والقليل من الخمر {إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه} (المائدة: ٩٠)؛ فإن الكتاب المقدس يرى شربها وسيلة لعلاج مشكلات الفقراء، بنسيان أتعابهم وآلامهم: "أعطوا مسكرا لهالك، وخمرا لمري النفس، يشرب وينسى فقره، ولا يذكر تعبته بعد" (الأمثال ٣١ / ٧). وفي العهد الجديد دعا بولس لشرب الخمر من غير إسراف في تعاطيه: "لا تكن فيما بعد شراب ماء، بل استعمل خمرا قليلا من أجل معدتك وأسقامك الكثيرة" (تيموثاوس (١) ٢٣ /

٥)، والفروق كثيرة يطول المقام بتتبعها. ونختم بذكر شهادتين لمستشرقين منصفين، أولهما المستشرق الإنجليزي لايتنر الذي يقول في كتابه "دين الإسلام": "بقدر ما أعرف من ديني اليهود والنصارى أقول بأن ما علمه محمد ليس اقتباسا، بل قد أوحى إليه ربه، ولا ريب في ذلك". وأما الشهادة الثانية فهي لهنري دو كاستري، وفيها يقول: "ثبت أن محمدا لم يقرأ كتابا مقدسا، ولم يسترشد في دينه بمذهب متقدم عليه" (١).

## ٥ - هل تعلم النبي القرآن من بحيرا وورقة بن نوفل؟

قالوا: تعلم محمد من راهب نسطوري كان يقيم في مدينة بصرى في الشام، كما تعلم من ورقة بن نوفل وهو من علماء أهل الكتاب في مكة، وتربطه صلة قرابة بخديجة زوج النبي .

والجواب: هنالك جواب تفصيلي في فصل الشبهات التي تثور حول نبي الله محمد لاحقا، ونقول سريعا: إذا كان القرآن منقولاً عن ورقة وبحيرا فلم ينسبها إلى أنفسهما؟ ولم أمكنوا محمداً من ذلك؟ وكيف اطلع هؤلاء على علوم القرآن التي سجلت قصص الأولين والآخرين وحوث المبهر من أخبار الغيوب التي كشف عنها العلم الحديث اليوم؟ لو فرضنا أنه تعلم من بحيرا وورقة أخبار السابقين، فماذا عن مئات الآيات التي نزلت بخصوص أحداث حصلت بعد وفاة بحيرا وورقة بزمان طويل، فعالجها القرآن في حينها، كسورة آل عمران التي تتعلق ثمانون آية منها بقدم نصارى نجران، وستون آية أخرى بأحداث غزوة أحد، وسورة التوبة التي تحدثت عن أحداث تتعلق بغزوة تبوك، وسورة الأحزاب التي تناولت أيضاً أحداث تلك الغزوة، ومثل هذا كثير لا يخفى ويلزم هنا التنبيه إلى أن لقيا النبي الراهب بحيرا إبان شببته ليس محل اتفاق المسلمين، فقد حسن رواية هذا الخبر بعض أهل العلم، وضعفها آخرون منهم (٢).

وعلى فرض صحة الرواية فماذا عساه يتعلم غلام يبلغ من العمر التاسعة أو الثانية عشرة في لقاء واحد من هذا الراهب النسطوري! لقد صدق توماس كارلايل: "لا أعرف ماذا أقول بشأن الراهب النسطوري (سرجيوس) الذي قيل إنه تحدث مع أبي طالب، كم من الممكن أن يكون أي راهب قد علم صبيا في مثل تلك السن، لكنني أعرف أن حديث الراهب النسطوري مبالغ فيه بشكل كبير، فقد كان عمر محمد - صلى الله عليه وسلم - أربعة عشر عاما، ولم يعرف لغة غير لغته" (٣). وفرض صحة رواية لقيا الراهب للنبي يوصلنا إلى نتيجة أعرض عنها الطاعنون في القرآن، فقد قال الراهب الذي زعموا أن النبي تعلم منه: (هذا سيد العالمين، هذا رسول رب العالمين، يبعثه الله رحمة للعالمين. فقال له أشياخ من قريش: ما علمك؟ فقال: إنكم حين أشرفتم من العقبة لم يبق شجر ولا حجر إلا خر ساجدا، ولا يسجدان إلا لنبي، وإني أعرفه بخاتم النبوة أسفل من غضروف كتفه مثل التفاحة) (٤). هذا ولم تنقل الروايات أن النبي جلس إلى بحيرا يتعلم منه أخبار

(١) - قالوا عن الإسلام، عماد الدين خليل، ص (١٠٨، ١٣٣).

(٢) - قصة لقيا النبي - صلى الله عليه وسلم - بحيرا أخرجه الحاكم في مستدركه (٢/ ٦٧٢)، قال: صحيح على شرط الشيخين، فتعقبه الذهبي في التلخيص بقوله: "أظنه موضوعا، فيعضه باطل"، وأخرجه الترمذي ح (٣٦٢٠)، وقال: "حسن غريب"، وأبو نعيم الأصفهاني في معرفة الصحابة ح (١٢٠٢)، والطبري في تاريخه (٢/ ٢٨٧)، ونقلها ابن هشام في تحذيه للسيرة (١/ ١٨٠).

(٣) - الأبطال، توماس كارلايل، ص (٦١).

(٤) - أخرجه الترمذي ح (٣٦٢٠)، وقال: "حسن غريب".

السابقين أو غيرهم، بل ذكرت أن بحيرا كان يسأل النبي عن أشياء من حاله ونومه وهيئته وأموره (١)، يستثبت فيها من كونه نبي آخر الزمان بما يعرفه من بشارات أهل الكتاب عنه، وقد قال أبو طالب:

ما رجعوا حتى رأوا من محمد ... أحاديث تجلو غم كل فؤاد  
وحتى رأوا أحبار كل مدينة ... سجودا له من عصابة وفرد  
فقال لهم قولوا بحيرا وأيقنوا ... له بعد تكذيب وطول بعاد  
فإني أخاف الحاسدين وإنه ... لفي الكتب مكتوب بكل مداد (٢)

وأما ورقة بن نوفل الأسدي فلم تذكر كتب السيرة والسنة أن النبي - صلى الله عليه وسلم - لقيه إلا يوم نزل عليه الوحي في غار حراء، وكان شيخا كبيرا قد عمي، وتوفي بعدها، أي لم يدرك من القرآن إلا تنزل خمس آيات فقط، وقد قالت عائشة رضي الله عنها وهي تحكي قصة لقيا النبي - صلى الله عليه وسلم - له بعد نزوله من غار حراء: (ثم لم ينشب [يلبث] ورقة أن توفي) (٣).

ولو تأمل المنصف بقية القصة لرأى فيها دلائل نبوته - صلى الله عليه وسلم -، فقد شهد له بالنبوة هذا العالم من علماء أهل الكتاب، فقال: (هذا الناموس الذي نزل الله على موسى، يا ليتني فيها جذعا، ليتني أكون حيا إذ يخرجك قومك .. لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي، وإن يدركني يومك أنصرك نصرًا مؤزرا) لقد عرف ورقة نبوة النبي مما سمعه منه عن ظهور جبريل له في غار حراء، حين قال له: اقرأ. فأجاب النبي «ما أنا بقارئ»، فهو مصداق ما يجده في صحف أهل الكتاب في سفر النبي إشعيا: "أو يدفع الكتاب لمن لا يعرف الكتابة، ويقال له: اقرأ هذا، فيقول: لا أعرف القراءة" (إشعيا ٢٩ / ١٢). فورقة العالم بالكتب السابقة يشهد للنبي - صلى الله عليه وسلم - بالرسالة، ويتحسر على أيام فتوته، ويود لو قدر على نصرته هذا الحق الفتي، ولو كان هذا القرآن من تعليمه لكان له موقف آخر، وصدق الله: {ويقول الذين كفروا لست برسلا قل كفي بالله شهيدا بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب} (الرعد: ٤٣).

## ٦- هل القرآن منحول من شعر امرئ القيس؟

قالوا: نقل محمد سورة القمر من أربعة أبيات من شعر الشاعر الجاهلي امرئ القيس الذي يقول:

دنت الساعة وانشق القمر عن غزال صاد قلبي ونفر  
أحور قد حرت في أوصافه ناعس الطرف بعينه حور  
بسهام من لحاظ فاتك تركتني كهشيم المحتظر  
وإذا ما غاب عني ساعة ... كانت الساعة أدهى وأمر

والجواب: لو فرضنا أن القرآن وافق في أربع آيات معاني مذكورة في شعر امرئ القيس، فماذا عن بقية آيات القرآن التي تجاوزت الستة آلاف، هل يعجز من ألف هذه الآلاف - من غير أن يكون لها مثل في شعر العرب

(١) - انظر: تهذيب سيرة ابن هشام (١/ ١٨٠).

(٢) - انظر: تاريخ دمشق، ابن عساکر (٦٦/ ٣١١).

(٣) - أخرجه البخاري ح (٤)، ومسلم ح (١٦٠).

- عن مثل هذه الفقرات الأربعة؟ إن التماثل في بعض الألفاظ أو الأساليب التعبيرية لا يعني النقل على كل حال، بل نقول: إن وقوع التماثل في أساليب البيان أمر بدهي، إذ جاء القرآن على نسق تعهده العرب في كلامها، فلن يكون مستغرباً أن يشابه ما عهدوه من أمثلة واستعارات وسوى ذلك من ضروب البلاغة، لأنه نزل {بلسان عربي مبين} (الشعراء: ١٩٥). ولو كان النبي - صلى الله عليه وسلم - يقتبس من أشعار امرئ القيس فلماذا سكنت عنه قريش، وهو الذي يتحداها أن تأتي بمثل القرآن أو بعضه، إنهم لم يجحلوها من القول {وقالوا أساطير الأولين اكتتبها} (الفرقان: ٥)، لكنهم لم يتهموه أبداً بالنقل عن شعرائهم وأدبائهم.

على أي حال، فالخققون يقولون: إن هذه الأبيات مقتبسة من القرآن، وليس العكس، فقد كتبت زمن العباسيين، ونسبت إلى امرئ القيس ضمن ما يسمى بظاهرة النحل في الشعر العربي، حيث عمد بعض الرواة ك (حماد بن هرمز الراوية ت ١٥٥هـ، وتلميذه خلف الأحمر ت ١٨٠هـ) زمن العباسيين إلى وضع أشعار من إنشائهم ونسبوها إلى الجاهليين. ولإلقاء نظرة على طريقة وصول شعر امرئ القيس إلينا ننقل قول الأصمعي: "كل شيء في أيدينا من شعر امرئ القيس، فهو عن حماد الراوية إلا شيئاً سمعناه من أبي عمرو بن العلاء" (١)، فمن هو حماد هذا؟ وما موثوقيته؟

يقول محمد بن سلام الجمحي: "أول من جمع أشعار العرب وساق أحاديثها حماد الراوية، وكان غير موثوق به، وكان ينحل شعر الرجل غيره، وينحله غير شعره، ويزيد في الأشعار" (٢). ويقول أبو حاتم: "كان بالكوفة جماعة من رواة الشعر مثل حماد الراوية وغيره، وكانوا يصنعون الشعر، ويقتنون المصنوع منه، وينسبونه إلى غير أهله. وقد حدثني سعيد بن هرمز البرجمي قال: حدثني من أثق به أنه كان عند حماد حتى جاء أعرابي، فأنشده قصيدة لم تعرف، ولم يدر لمن هي، فقال حماد: اكتبوها، فلما كتبوها وقام الأعرابي، قال حماد: لمن ترون أن نجعلها؟ فقالوا أقوالاً، فقال حماد: اجعلوها لطرفة. وقال الجاحظ: ذكر الأصمعي وأبو عبيدة وأبو زيد عن يونس أنه قال: إني لأعجب كيف أخذ الناس عن حماد وهو يلحن ويكسر الشعر ويصحف ويكذب، وهو حماد بن هرمز الديلمي. قال أبو حاتم: قال الأصمعي: جالست حمادا فلم أجد عنده ثلاث مائة حرف، ولم أرض روايته" (٣).

وزاد الطين بلة تلميذه خلف، حيث يقول: كنت آخذ من حماد الراوية الصحيح من أشعار العرب، وأعطيه المنحول، فيقبل ذلك مني، ويدخله في أشعارها، وكان فيه حمق" (٤). ولو تأمل الأريب في معلقة امرئ القيس وجزالة ألفاظها وغريب سبكها لأيقن كذب نسبة تلك الأبيات الممتلئة رقة وعذوبة إليه، فبينهما من التباين في الأسلوب والألفاظ ما لا يخفى على أديب ناقد، أو عارف بطبقات شعراء العرب وأساليبهم، ولذلك لم يوردها مصطفى عبد الشافي في ديوان امرئ القيس الذي جمعه وحققه (٥).

(١) - المزهر في علوم اللغة، السيوطي (٢/ ٣٤٨)، وانظر: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، جواد علي (١٤/ ٦٦).

(٢) - طبقات فحول الشعراء، ابن سلام (١/ ٤٨).

(٣) - الأغاني، أبو الفرج الأصفهاني (٦/ ١٠٢).

(٤) - المصدر السابق (٦/ ١٠٢).

(٥) - انظر: ديوان امرئ القيس، ضبط وتصحيح مصطفى عبد الشافي، دار الكتب العلمية، ط ١، بيروت، ١٤٠٣هـ.

ولكم أثار شفقتي الدكتور سنكلر تسديل مثير هذه الشبهة في كتابه "مصادر الإسلام"، فعنه نقلها الطاعنون في القرآن؛ أثار شفقتي لكثرة ما وصفه أديب العربية عباس العقاد بالجهل الذي أوقعه ومن تابعه في هذا الغلط الفاحش، فهو؛ أي سنكلر تسديل من "طائفة تقتحم هذه المباحث، وهي أجهل بآلاتها من عامة الأميين .. من جهل هؤلاء الخاطبين في أمر اللغة العربية قبل الإسلام .. ربما كان سنكلر تسديل الذي مثلنا به لجهل المستشرقين باللغة والذوق الأدبي وشواهد التضمن والاقْتباس .. موازين النقد الأدبي الذي اشتغل به هذا نفر من المستشرقين لا تسلم على هيئة من جراء أخطائهم، لأنهم ضلّوا أناسا من تلاميذهم [وبخاصة نصارى العرب الذين ردّوا ترديد البيغاء هذه الشبهة من بعد تسديل الأعجمي] فاتبعوهم في أكثر الأخطاء التي كانوا يقعون فيها من جراء عجزهم عن النفاذ إلى حقائق التاريخ وأسرار البلاغة العربية" (١).

ولم ينس العقاد أن يعلم تسديل ومن ضل وراءه من تلاميذه أن الفوارق بين الشعر الجاهلي وشعر غير ه من العصور أكبر من أن تخفى على ناقد، فلكل عصر، بل لكل شاعر خصائصه الشعرية التي لا تخفى إلا على من "لا سند له ولا سابقة من مثله في آداب الأمم، ولا نصيب له من الذوق الأدبي غير النبو والاستغراب" (٢).

بقي ان أتمس في آذان أتباع تسديل فأخبرهم بأن تسديل تخلص من جهله، وتراجع عن شبهته التي طرحها، وقال: "هذا رأي السيد (س. ج. لايل) الذي أرى أنه من العسير أن نجد ناقدًا أقدر منه للحدّث في موضوع الشعر العربي القديم. لقد تفضل بإخباري في رسالة أرسلها إلي حول مؤلف الأبيات محل السؤال والمنسوبة إلى امرئ القيس، أنه يعتقد أنها ليست له، وقد ضمنت بعض ملاحظاته في هذا الملحق ... لقد غيرت رأيي في الموضوع في النسخة الفارسية بسبب ما قدمه من حجج" (٣).

## رابعاً: هل القرآن منحول من شعر أمية ابن أبي الصلت؟

قالوا: نقل محمد من شعر أمية بن أبي الصلت الذي يقول في قصيدته:  
ويوم موعدهم أن يحشروا زمرا ... يوم التغابن إذ لا ينفع الحذر  
مستوسقين مع الداعي كأنهم ... رجل الجراد زفته الريح منتشر  
وأبرزوا بصعيد مستو حرز ... وأنزل العرش والميزان والزبر  
تقول خزانها ما كان عندكم ... ألم يكن جاءكم من ربكم نذر  
وفيها كبير شبه مع ما نجده في سور القرآن من معان، فدل ذلك - بحسب فهمهم - على أن القرآن منحول من شعر هذا الشاعر العربي.

والجواب: أن أمية بن أبي الصلت شاعر عربي مخضرم أدرك الجاهلية والإسلام، وكان من الحنفاء الراضين لعبادة الأصنام والأوثان، ورأى الرسول - صلى الله عليه وسلم -، وسمع منه سورة (يس) في مكة، فتبعته قريش تسأله

(١) - اللغة الشاعرة، عباس العقاد، ص (١٠١ - ١٠٦).

(٢) - المصدر السابق، ص (١٠٥).

(٣) - W. St. Clair Tisdall, The Original Sources Of The Qur'an, 1905, Society For The Promotion Of Christian Knowledge: London, p. 50

عن رأيه فيه، فقال: أشهد أنه حق، قالوا: هل تتبعه؟ قال: حتى أنظر في أمره. وخرج إلى الشام. وهاجر النبي إلى المدينة، وحدثت وقعة بدر، فعاد أمية من الشام يريد الإسلام، فقال له قائل: يا أبا الصلت ما تريد؟ قال: أريد محمداً قال: وما تصنع؟ قال: أومن به، وألقي إليه مقاليد هذا الأمر. قال: أتدري من في القلب [قلب بدر حيث ألقى قتلى المشركين]؟ قال: لا. قال: فيه عتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، وهما ابنا خالك [أمه ربيعة بنت عبد شمس]، فامتنع من الإسلام، وأقام في الطائف حتى مات في السنة التاسعة من الهجرة (١). فأمية معاصر للنبي - صلى الله عليه وسلم -، سمع منه القرآن فتأثر به، وكاد أن يسلم لولا عصبية لأبناء خاله، فهو الذي تأثر بالقرآن، ولم يتأثر القرآن به، وقد سمع النبي شعر أمية من الشريد بن سويد فأعجبه، وقال: «فلقد كاد يسلم في شعره» (٢).

لكن العجب من زعم المبطلين أن القرآن نقل عن أمية، بينما يشهد أمية على صحة القرآن فيقول لكفار قريش: "أشهد أنه حق" (٣)، فلم لا يقبل القوم شهادته التي تكذب وتنقض دعواهم بنحل القرآن من شعره؟! كما تذكر الأخبار أن أمية كان يتوق للنبوة قبل مبعث النبي - صلى الله عليه وسلم -، فلو كان النبي ينقل من شعره "هل يعقل سكوت أمية لو كان قد وجد أي ظن وإن كان بعيداً فيفيد أن الرسول قد أخذ فكرة منه، أو من المورد الذي أخذ أمية نفسه منه؟ لو كان شعر بذلك، لنادى به حتماً، ولأعلن للناس أنه هو ومحمد أخذاً من منبع واحد، وأن محمداً أخذ منه، فليس له من الدعوة شيء، ولكانت قريش وثقيف أول القائلين بهذا القول والمنادين به" (٤).

بل لو كان صحيحاً ما يقال عن النقل من شعر أمية بن أبي الصلت الثقفي لما أسلم أهل بيته، فقد أتت أخته فارعة النبي - صلى الله عليه وسلم - مسلمة بعد فتح الطائف، وأنشدت بين يديه شيئاً من شعر أخيها (٥)، كما ذكر أهل الأخبار والسير إسلام أولاده حين أسلمت ثقيف كلها، فابنه القاسم ذكره ابن حجر في الصحابة، وكان شاعراً، وهو الذي رثى عثمان بن عفان - رضي الله عنه - بقوله:

لعمري لبئس الذبح ضحيتهم به ... خلاف رسول الله يوم الأضحى  
فطيبوا نفوساً بالقصاص فإنه ... سيسعى به الرحمن سعى نجاح (٦)

وكذلك أسلم ابنه ربيعة بن أمية، وهو كذلك مذكور في الصحابة (٧) وابنه القاسم بن ربيعة وولاه عثمان بن عفان الطائف (٨)، وكذلك أسلم وهب بن أمية (٩)، وفي إسلام هؤلاء ما يكفي لرد هذه الأبطولة، فلو رأوا القرآن أو بعضه منحولاً من شعر أبيهم لفضحوا ذلك، ولما كانوا في عداد المؤمنين. ويشكك جواد علي بكثير

(١) - البداية والنهاية، ابن كثير (٢/٢٨٥).

(٢) - أخرجه مسلم ح (٢٢٥٥).

(٣) - البداية والنهاية، ابن كثير (٢/٢٨٥).

(٤) - المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، جواد علي (١٢/٦٨).

(٥) - أخرجه أبو بكر الشيباني في الآحاد والمثاني ح (٣٤٧٩).

(٦) - انظر: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير (٣/٥٩٦)، والإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر (٥/٤٠٥)، والمفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، جواد علي (١٢/٦٨).

(٧) - انظر: الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر (٢/٤٦١).

(٨) - انظر: الإكمال، ابن ماكولا (٦/٣٠٢).

(٩) - انظر: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير (٥/٤٥٦)، والإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر (٦/٦٢٢).

مما ينسب إلى أمية ويرده إلى ظاهرة النحل التي ذكرناها آنفاً، فبعض ما ينسب إليه لا يعقل أن يكون من شعره، وهو لا ريب منحول ومتقول عليه، ومنه قولهم:  
لك الحمد والمن رب العبا ... د أنت المليك وأنت الحكم  
محمدًا أرسله بالهدى ... فعاش غنيا ولم يهتضم  
عطاءً من الله أعطيته ... وخص به الله أهل الحرم  
وقد علموا أنه خيرهم ... وفي بيتهم ذي الندى والكرم  
أطيعوا الرسول عباد الإله ... تنجون من شر يوم ألم  
تنجون من ظلمات العذاب ... ومن حر نار على من ظلم  
دعانا النبي به خاتم ... فمن لم يجبه أسر الندم  
نبي هدى صادق طيب ... رحيم رؤوف بوصل الرحم  
به ختم الله من قبله ... ومن بعده من نبي ختم  
يموت كما مات من قد مضى ... يرد إلى الله باري النسب  
مع الأنبياء في جنان الخلود ... هم أهلها غير حل القسم  
وقدس فينا بحب الصلاة ... جميعا وعلم خط القلم  
كتابا من الله نقرأ به ... فمن يعتريه فقد ما أتم

فهذه الأبيات منسوبة إلى أمية بن أبي الصلت، وهي قطعا من منحول الشعر المنسوب إليه، إذ هي ولا ريب لمؤمن بالنبي - صلى الله عليه وسلم - مصدق بالقرآن، وهذا لم يتحقق في أمية الذي مات على الكفر<sup>(١)</sup>. ثم لو فرضنا جدلا أن أمية كان قبل الإسلام، فهل مجرد التشابه في كلمات معدودات كاف للحكم أن القرآن - بطوله - منقول عن هذا أو ذاك، {فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا} (النساء: ٧٨). وهكذا تبين سخف وضعف الافتراءات والأباطيل التي تنسب إلى القرآن النقل من هذه المصادر البشرية، وأنه كلام الله تعالى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد<sup>(٢)</sup>.

## ٨ - تصحيح القرآن الكريم للأخطاء التاريخية للكتاب المقدس<sup>(٣)</sup>:

ملاحظة هذه التصحيحات القرآنية لكتابتهم المقدس يعتبرونها أخطاء قرآنية وينتقدون القرآن لأنه خالفهم بذكرها وسوف يمر معنا لاحقا ببحث أخطاء تاريخية وجغرافية وغيرها بعض الشبه والتوهّمات عندهم .

(١) - المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، جواد علي (١٢ / ٦٨)، وانظر: خزنة الأدب، عبد القادر البغدادي (١ / ٢٤٩).  
(٢) - عن د. منقذ السقار، تنزيه القرآن ٧٧-٨٤ .

(٣) - هذه الأمثلة عن كتاب د. سامي عامري ((هل القرآن الكريم مقتبس من كتب اليهود والنصارى؟)) وتحت عنوان جانبي (نقض شبهة المنصرين والمستشرقين، وإثبات إعجاز القرآن الكريم في ضوء حقائق التاريخ والعلم). (٤٨٧-٤٥٧) ، عن مبادرة البحث العلمي لمقارنة الأديان سنة ٢٠١٠ وهو مرجعنا الأساسي هنا.

## ١ - هامان صاحب فرعون:

درج المنصّرون على اتهام القرآن بالخلط التاريخي بين الشخصيات، وقد بنوا أوهامهم على أصل فاسد؛ وهو أنّ كتبهم التي يقدسونها هي المرجع والفيصل في معرفة الحقّ من الباطل.. ومعلوم لكلّ دارس مدى تماقت هذه الدعوى وارتكازها على قاعدة هشّة؛ إذ الكتاب المقدّس بجميع أسفاره أرقّ من أن يكون دعامة لمثل هذه الدعوى، ومن أهمّ الادعاءات في هذا الباب، قول المنصّرين إنّ الكتاب المقدّس قد ذكر أنّ شخصية عاشت في فارس وشغلت منصب الوزارة كان اسمها ((هامان))، وقد عاشت كما يفهم من سفر ((إستير)) في زمن بعيد عن زمن ((موسى)) عليه السلام.. ومن الخطأ أن يقول المرء بقول القرآن إنّها قد عاشت في زمن ((موسى)) عليه السلام، وإنّما كانت العضد الأيمن لفرعون!

والجواب من وجهين :

**الوجه الأوّل :** قصّة إستير بأكملها ليست سوى خرافة اخترعها يهود السبي البابلي، ولا يوجد دليل تاريخي واحد على صدقها؛ حتى قالت ((الموسوعة اليهودية)) لسنة ١٩١٠م إنّ قلة قليلة فقط من النقاد المعاصرين ترى أنّ هذه القصة تعتمد (١) على أسس تاريخيّة، فالأغلبية الواسعة من المفسّرين المعاصرين ترى أنّ هذا السفر بأكمله ليس سوى ((قطعة من الخيال المحض)) (٢) أو بعبارة تعليق (( The New Oxford Annotated Bible )) فإنّ سفر إستير ((ليس تاريخًا وإنما خرافة (...)) أريد منها تفسير أصل عيد الفوريم (٣) ومعناه)). (٤) من أهمّ ما يعترض به على قصة سفر إستير :

أولاً: هذه القصة لم تذكر في غير التوراة. وهذا المؤرخ الإغريقي ((هيروديت)) الذي عاصر الملك الفارسي المقصود ((أكركزيس)) ودوّن سيرته، لم يشر إلى ((إستير)) ولا ما كان من أمرها. ٥  
ثانياً: النبيّان ((عزرا)) و((نحميا)) اللذان كانا من أوائل العائدين من بابل، واللذان قصّتا قصة السبي البابلي، لم يشرّا إلى ((إستير)) ولا إلى أي شيء مما جاء في السفر المسمى باسمها.

ثالثاً: لم يعثر على هذا السفر ضمن مخطوطات البحر الميت.

رابعاً: كان للعديد من آباء الكنيسة تحفظات على هذا السفر. ٦

خامساً: عدم وجود اسم الجلالة البتة في هذا السفر المريب، حتى قال ((مارتن لوثر)) زعيم ((الإصلاح))

البروتستانتي: ((ليت هذا السفر لم يوجد، ففيه لم يرد اسم الله)) (٧) ١٠

(١) - هذا إثبات (الأصل) القصة لا (تفاصيلها)!

(٢) - "Comparatively few modern scholars of note consider the narrative of Esther to rest on an historical foundation. (...) The vast majority of modern expositors have reached the conclusion that the book is a piece of pure fiction" *The Jewish Encyclopedia*, 5/236

(٣) - عيد الفوريم: هو العيد الذي يحتفل فيه اليهود بملاك الوزير الفارسي "هامان" الذي دبر مؤامرة لإبادة اليهود في الامبراطورية.

(٤) - Herbert G. May and Bruce M.

Metzger, eds. *The New Oxford Annotated Bible With Apocrypha*, New York: Oxford University, 1973, p.603

(٥) - عبد الجليل شلبي، مفتريات المبشرين على الإسلام، الرياض: مكتبة المعارف، ١٤٠٦هـ، ١٩٨٥م، ط٢، ص١٥٩

(٦) - انظر؛ Israel P. Loken, *Esther, Loken Expository Commentary*, Xulon Press, 2007, p.22

(٧) - د. محمد يومي مهرا، إسرائيل، الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٩، ٢٤٤/٣ش

سادسا: أسماء شخصيات هذا السفر تشهد لخرافية ٢ القصة؛ فاسم ((إستير)) بطله القصة شبيه باسم ((أشتار)) إلهة البابليين، واسم ((هدسة)) قريب من الكلمة البابلية ((حدثو)) أي عروس، وكان أصلاً يطلق على شجرة الآس، و((مردخاي)) اسم الإله البابلي الرئيسي ((مردوخ))، و((هامان)) عدو ((مردخاي)) هو نفس ((همان)) أو ((هُمان)) ((هميان)) أحد الآلهة الرئيسية في عيلام. و((شوش)) عاصمة عيلام هي المكان الذي جرت فيه أحداث هذه القصة. واسم ((وشتي)) كان اسماً لأحد الآلهة في عيلام. (٣)

سابعاً: يزعم سفر إستير أنّ الملك الفارسي لما غضب من زوجته عندما رفضت أن تظهر جمالها لندمائهم قرّر أن يعاقبها بأن يبحث عن فتاة جميلة في بلاده ليجعلها ملكة، ومن هذه البداية الساذجة بدأت القصة.. وهذا أشبه بقصص ألف ليلة وليلة الخرافية.

ثامناً: من غير المقبول تاريخياً أن يتخذ الملك الفارسي ((إستير)) زوجةً و((مردخاي)) وزيراً رغم أنّهما على دين اليهودية.. فهذا يتعارض مع اعتزاز الفرس بقوميتهم، خاصة في ظلّ القوة الهائلة والتفوق الكبير للإمبراطورية الفارسية.

تاسعاً: أشارت ((الموسوعة اليهودية)) إلى أنّ من أهمّ المطاعن في هذا السفر، القرار المزعوم بإهدار دم أعداء اليهود والذي نُقذ بعد ذلك، وهو زعم لا دعامة تاريخية له، بالإضافة إلى أنّه يخالف ما يتصوّر من التحدي المسلح الذي لا بد أن يبدر من الأرسقراطيين..

كما أنه لا دليل تاريخي على قرار إبادة اليهود الذي نسب ((لهامان)) ضدّ اليهود. (٤)

عاشراً: أشارت ((الموسوعة اليهودية)) إلى مخالفة الكثير من الأعراف المذكورة في سفر إستير لأعراف الفرس القديمة في ذلك الزمان؛ كالسماح للأجانب أن يتصلوا بنساء الملك في الحرم، وعدم إمكان أن ترسل الملكة رسالة إلى زوجها، وتقسيم الامبراطورية إلى ١٢٧ مقاطعة، وعدم معاينة ((هامان)) الوزير ((مردخاي)) اليهودي الذي رفض السجود له. (٥)

الحادي عشر: جاء في وصف اليهود زمن الملك الفارسي الحاكم إبان القصة المزعومة: ((يوجدُ شعَبٌ مُنتَشِرٌ فَرِيدٌ بَيْنَ الشُّعُوبِ فِي جَمِيعِ أَقْلِيمِ مَمْلَكَتِكَ، سُنَنُهُمْ تُخَالِفُ سُنَنَ جَمِيعِ الشُّعُوبِ، وَلَا يَحْفَظُونَ سُنَنَ الْمَلِكِ)). وهذا الوصف ينطبق على اليهود بين اليونان لا بين الفرس. (٧)

الثاني عشر: ذكر المؤرخ ((هيروديت)) أنّ الملك الفارسي لا يجوز له أن يتزوَّج إلا من سبع عائلات نبيلة حصراً (١)، فكيف يستقيم مع ذلك أن يتزوَّج من يهوديّة تنتمي للشعب المستذلّ؟!!

(١) - يبدو أنّ غياب ذكر الربّ في هذا السفر قد أثار حفيظة المتديّنين اليهود، ولذلك أضافوه في الترجمة السبعينية (!) فقد ذكر مثلاً أنّ ((إستير)) ((تخشى الله)) ((φοβέσθαι τὸν Θεόν)) (إستير ٢/٢٠)، وانظر أيضاً في ذكر اسم الرب: ٤/٨: ((τὸν Κύριον))، ١٣/٦٦: ((ὄτι Θεὸς ζῶν))!!

(٢) - ألحقت مقدمة سفر إستير في الترجمة الانجليزية الكاثوليكية *The New American Bible* إلى هذا الأمر، وقد صرحت أنه لا يمكن اعتبار هذا السفر وثيقة تاريخية وإنما هو صياغة حرّة: ((The book is a free composition - not a historical document)) ((*Saint Joseph* Edition of *The New American Bible*, p.500

(٣) - انظر؛ قاموس الكتاب المقدس، مقال ((إستير)) (نسخة إلكترونية)

(٤) - *The Jewish Encyclopedia*, 5/236

(٥) - المصدر السابق

(٦) - إستير ٣/٨

(٧) - انظر؛ *The Jewish Encyclopedia*, 5/236

الثالث عشر: الزوجة الوحيدة المعروفة عند المؤرخ ((هيروديت)) على أنها اقترنت بهذا الملك الفارسي هي ((Amestris)). ولا صلة بين اسمها واسم ((إستير))، كما أنّها كانت ابنة قائد فارسي ولم تكن عبرانية. (٢)

الرابع عشر: بطل القصة ((مردخاي)) كان من سبي عام ٥٨٧ ق م، ومن ثمّ فإنّه في العام الثالث من حكم الملك الفارسي ((اكرزكزيس الأول)) (أي حوالي عام ٤٨٢ ق.م) يكون قد بلغ المئة والعشرين عامًا، كما أنّ ((إستير)) يجب أن تكون في هذه الفترة عجوزًا!!

الخامس عشر: اضطراب ترجمات سفر إستير في نسب ((هامان))؛ ففي حين يذكر النص السبعيني اليوناني أنّ ((هامان)) رجل ((مقدوني))، يذهب النص العبري إلى أنّ ((هامان)) رجل ((أجاسي)) (٤). وهذا التناقض يؤكد أنّ هذه الشخصية لا وجود لها في الحقيقة!

إنّ الإشكالات التاريخية المتراكمة في سفر إستير قد جعلت الناقد ((جون د. لفسون)) (٥) في تعليقه على هذا السفر يقول: ((الإشكالات التاريخية في سفر إستير على قدر عظيم من الضخامة بما يقنع كل من لم يُلزمه اعتقاد ديني بالإيمان بتاريخية رواية الكتاب المقدس، أن يشك في صحة هذه الرواية)) (٦)، ويرفع البروفسور ((إسرائيل ب. لوكن)) (٧) سقف محنة هذا السفر اليوم - وهو أكاديمي من المحافظين - بإقراره أنّ: ((كلّ النقاد المعاصرين تقريبًا ينكرون تاريخية هذا الكتاب)) (٨).

**الوجه الثاني وهو المهم:** يعتبر ((موريس بوكاي)) (٩) أول من كشف وجه الإعجاز القرآني في ربط شخصية ((هامان)) تاريخيًا بشخصية فرعون الذي عاش في زمانه ((موسى)) عليه السلام، وذلك في قوله في كتابه ((موسى وفرعون)) (١٩٩٥م): ((الاسم كما هو مكتوب باللغة العربية في القرآن، نقحرة (١٠) دقيقة لاسم شخص نحن نعرف اليوم هجاءه الهيروغليفي. لم يقم أي شارح للقرآن، في حدود معرفتي، ببيانه بطريقة دقيقة ...

أريد أن أعلم هل يتماشى هذا الاسم مع اسم هيروغليفي مُحتَفَظ به في وثائق تلك الفترة، لا بدّ أن يكون من تُعرض عليه نقحرة الاسم متخصصًا في اللغة الهيروغليفيّة، ويتقن بالإضافة إلى ذلك العربية الفصحى لا اللهجة المصرية الحاليّة ... واحد من علماء الآثار المصرية الأكثر تميّزًا يتوقّف فيه هذان الشرطان، أراد إجابتي. امتنعت عن التصريح لمحدّثي عن أيّ نصّ عربيّ نتحدّث، واكتفيت بتعريفه بأنّ هذا النصّ يعود إلى القرن السابع ميلاديًّا. عندما كتبت أمامه الاسم العربيّ؛ عرف مباشرة كيف يترجمه إلى اللغة المصرية القديمة، مؤكّدًا لي

(١) - انظر: Jon D. Levenson, Esther, A Commentary, London: Westminster John Knox, 2004, p. 24.

(٢) - انظر: Geoffrey W. Bromiley, International Standard Bible Encyclopedia, Michigan: Wm. B. Eerdmans Publishing, 1982, 2/159.

(٣) - انظر: إستر ١٦/١٠.

(٤) - انظر: إستر ٣/١٧.

(٥) - جون د. لفسون: أسناد الدراسات اليهودية. درس في هارفارد وجامعة شيكاغو. حصل على عدد من الجوائز العلمية الكبرى.

(٦) - Jon D. Levenson, Esther, A Commentary, p. 23.

(٧) - إسرائيل ب. لوكن: أسناد الكتاب المقدس واللاهوت في كلية ((College of Biblical Studies))

(٨) - Israel P. Loken, Esther, Loken Expository Commentary, Xulon Press, 2007, p. 20.

(٩) - موريس بوكاي (١٩٢٠م-١٩٩٨م): باحث فرنسي، له عناية بدراسة الكتب الدينية في ضوء المعارف العلمية والتاريخية الحديثة. من أشهر مؤلفاته كتابه ((La Bible, le Coran et la Science : Les Écritures Saintes)) *examinées à la lumière des connaissances modernes* الذي خصصته لكشف مطابقة القرآن الكريم لمكتشفات العلم الحديث ونقل أسفار اليهود والنصارى. له عناية كبيرة بكشف جوانب الإعجاز العلمي والتاريخي في القرآن الكريم. لم يعترف ((بوكاي)) للإسلام -على خلاف ما أشيع عنه- وأقرّ مع ذلك بإعجاز القرآن الكريم، وهو أمر يدعم موضوعية دراساته العلمية المحايدة.

(١٠) - transliteration

أنني قد خُذعت فيما يتعلّق بتحديد تاريخ النصّ العربي للحجّة الآتية (التي لا أجهلها): لا يمكن لأيّ نصّ على مدى زمن نسيان اللغة الهيروغليفية أن يحتوي اسمًا لا يزال مجهولًا إلى اليوم، اسمٌ له نفس الجرس الهيروغليفيّ، جرس يوافق تمامًا هذه الكلمة العربية.

نصحني مع ذلك أن أراجع معجم ((أسماء شخصيات الإمبراطورية الجديدة)) للألماني ((رانك))، وهو مؤلّف كلاسيكي، وأن أبحث إن كان الاسم الذي رسمه بالهيروغليفية موجودًا في هذا المعجم بنقحرتة الألمانية، مما سييسّر لي المراجعة. اكتشفت أنّ الاسم مكتوب في المعجم كما توقّعه هذا العالم. و يا للمفاجأة، ها أنا ذا أقرأ زيادة على ذلك مهنته بالألمانية: ((رئيس عمّال المقالع))، إذ كذلك كان يسمّى من كان يشرف على البناء.. عندما عدت إلى هذا العالم مع نسخة مصورة للصفحة التي تعنينا من المعجم، وفتحت أمامه صفحة من صفحات المصحف حيث بإمكانه أن يقرأ كلمة ((هامان))؛ ذهل. (١)

أضيف هنا أنّ ((رانك)) قد أحال إلى كتاب نشر سنة ١٩٠٦م لعالم المصريات ((Walter Wreszinski)) أشار إلى أنّ اسم ((هامان)) موجود على مسلّة في متحف مدينة فيينا (النمسا)، لما استطعت لاحقًا قراءة الوظيفة باللغة الهيروغليفية مشكّلة؛ لاحظت أنّ الإضافة الملحقه بالاسم تؤكّد أهميّة هذه الشخصية (بالنسبة لفرعون).

لو أنّ الكتاب المقدّس أو أيّ مؤلّف أدبي معروف قبل الوحي القرآني، أشار إلى ((هامان)) ووظيفته؛ لما كان وجود هذا التفصيل المذكور في القرآن ليثير انتباه أحد. إنّ الذي يظهر هو أنّ المعطيات الهيروغليفية المعاصرة فقط هي التي تثير الانتباه إلى هذا التفصيل المذكور في القرآن. بما أنّ ذلك لا يمكن أن يكون معتمدًا على معارف سابقة لعصر ظهور القرآن، فإنّ وجوده في القرآن يثير التفكير)) (٢). (٣)

## ٢ - استعمال الجمال في زمن يعقوب عليه السلام

جاء في العهد القديم ذكر الجمال كوسيلة تستعمل للتنقل وحمل المتاع، من ذلك: ((ثم جلسوا (أي) إخوة ((يوسف)) عليه السلام) ليأكلوا طعامًا فرفعوا عيونهم ونظروا وإذا قافلة إسماعيليين مقبلة من جلعاد وجمالهم (גמליהם) حاملة كتيراء وبلسانًا ولاذنا ذاهبين لينزلوا بها الى مصر.)) (٤)، تكثّر ذكر الجمال كأحد وسائل التنقل؛ مما يعني أنه قد تمّ تدجينها من طرف البشر في حياة ((يعقوب)) و((يوسف)) و((موسى))

(١) - ((il fut sans voix))

(٢) - Maurice Bucaille, Moise et Pharaon, ed. Seghers, 1995, pp.230-231

(٣) - ذكر عالم المصريات الشهير ((كنث كيشن)) ((Kenneth Kitchen)) في كتابه الهام ((Pharaoh Triumphant the life and times of Ramesses II, Warminster: Aris & Phillips, 1982)) -الذي أفاض فيه في الحديث عن ((رمسيس الثاني)): حياته وإنجازاته- أمر شخص مقرب من الفرعون ((رمسيس الثاني))، اسمه ((Amen em inet)) وأنه كان رفيق ((رمسيس الثاني)) لما كان أميرًا، وقد كانا على نفس السن (ص ٢٨)، وهو رفيق صباه ورفيه (١٣٥)، وقلّده وظيفة رئيس المركبات الملكية، وهي وظيفة عسكرية (انظر؛ ما جاء في القرآن الكريم: {إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِبِينَ} سورة القصص/ الآية (٨) (ص٤٤) وجعله رسوله إلى البلاد الأخرى (ص٦٥) وقد نصّب والد ((Amen em inet)) واسمه ((Wennofer)) رئيسًا للكهنة، ويُقل ((Amen em inet)) من العمل العسكري والدبلوماسي إلى وظيفة المشرف على الأعمال الملكية الأثرية (انظر؛ ما جاء في القرآن الكريم: {فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانَ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَلْ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أُطْعَمُ إِلَى إِلِهِ مُوسَى وَإِنِّي لأظنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ} سورة القصص/ الآية (٣٨) (ص ١٢٦) .. علمًا أنّ مقطع (Amen) كان منتشرًا بصورة كبيرة في الحقبة الرميسية (تشمل عصر الأسرتين ١٩ و ٢٠، وسميت بهذا الاسم لكثرة من حكم فيها باسم (رمسيس) كجزء من أسماء المصريين؛ فقد تكرر مقطع (Amen) ٦٩ مرّة في قائمة أسماء العمال الذين ورد ذكرهم في كتاب ((A Community of Workmen at thebes in the Ramesside period)) لعالم المصريات الشهير ((Jaroslav Černý)) (Cairo: IAFO, 2001, pp.419-420)

(٤) - تكوين ٢٥/٣٧

عليهم السلام .. يعتبر هذا الادعاء خطأً تاريخياً كاشفاً لتأليف التوراة في صورتها الحالية بعد قرون من حصول الوقائع المؤرخة ...

وقد جاء في الدراسة الكاثوليكية في هامش ترجمة (( The New American Bible )) تعليقا على نصّ تكوين ١٢ / ١٦ الذي ذكر الجمال كأحد وسائل النقل في زمن ((إبراهيم)) عليه السلام: ((الجمال الأهلية، ربما لم تعرف في الاستعمال العام في الشرق الأدنى القديم حتى آخر الألفية الأولى قبل الميلاد؛ ولذلك فإنّ الإشارة إلى الجمال في زمن الآباء (تكوين ٢٤ / ١١-١١ / ٢٤ ؛ ٣٠ / ٤٣ ؛ ٣١ / ١٧ ، ٣٤ ؛ ٣٢ / ٨ ، ١٦ ؛ ٣٧ / ٢٥ ) تعتبر خطأً تاريخياً)). وهو ما اعترف به إمام المحافظين في الدراسات الأركيولوجية الكتابية المعاصرة ((ويليم فوكسول ألبرايت)) ((William Foxwell Albright)) بقوله إنّ الجمال لم تستعمل في زمن ((يوسف)) ولا قبله، منافحا عن هذا الرأي بشدة في أكثر من مؤلف ٢، رغم ما عرف عنه من تطرف لصالح إثبات تاريخية الأحداث المذكورة في العهد القديم!

ويحدد بعض الباحثين بدأ تدجين الجمال في أواخر القرن الثالث قبل الميلاد، وربما بعد ذلك، وقد ظلت الجمال على التحقيق غريبة على المصريين، بل لقد كانت غريبة على من أقبل على مصر من الساميين؛ فقد سافرت قبيلة ((أبشاي)) في الأسرة الثانية عشرة على الحمير، لا الجمال. (٣)

لم يذكر القرآن الكريم الجمال كوسيلة نقل في زمن ((إبراهيم)) و((يوسف)) و((موسى)) عليهم السلام .. وقد استعمل القرآن عبارة ((العير)) في حديثه عن رحلة إخوة ((يوسف)) إلى مصر .. {فَلَمَّا جَهَّزْتُمْ بِجَهَّازِهِمْ جَعَلَ السَّفَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيُّهَا الْعَيْرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ} [يوسف: ٧٠] ، {وَأَسْأَلُ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعَيْرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَادِقُونَ} [يوسف: ٩٢] ، {وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعَيْرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَنْ تُفَنِّدُون} [يوسف: ٩٤]

وقد جاء تعريف ((العير)) -بفتح العين- في ((لسان العرب)): ((الحمار أيا كان أهليا أو وحشيا)). ٤٠ ، وفي تعريف ((العير)) -بكسر العين-: ((... وقال أبو الهيثم في قوله: ولما فصلت العير كانت حُمرا، قال: وقول من قال العير الإبل خاصة باطل. العير: كل ما امتير عليه من الإبل والحمير والبغال، فهو عير.)) ٥٠ ، وفي معجم ((مختار الصحاح)) في تعريف ((العير)): ((الحمار الوحشي والأهلي أيضا)) ٦ .. وقال ((الألوسي)): ((وقيل: العير قافلة الحمير ثم توسع فيها حتى قيلت لكل قافلة كأنها جمع عير بفتح العين وسكون الياء وهو

(١) - Saint Joseph Edition of the New American Bible, p.15 -

(٢) - انظر: W.F. Albright, Archaeology and the Religion of Israel, Baltimore: Johns Hopkins, 1942, 1953, pp. 96-

102, 132, From the Stone Age to Christianity, Baltimore: The Johns Hopkins University Press, 1940, pp. 120-196

(٣) - انظر د. محمد بيومي مهران، دراسات تاريخية في القرآن الكريم، ٢٠٠٦/٢

(٤) - ابن منظور، لسان العرب، ٦٢٠/٤

(٥) - المصدر السابق، ٦٢٤/٤

(٦) - الرازي، مختار الصحاح، بيروت: مكتبة لبنان ناشرون، ١٤١٥هـ، ١٩٩٥م، ص ١٩٤

الحمار، وأصلها غير بضم العين والياء استثقلت الضمة على الياء فحذفت ثم كسرت العين لثقل الياء بعد الضمة كما فعل في بيض جمع أبيض وغيد جمع أعيد. ١.. وكلمة ((لاير)) (غير) باللغة العبرية تعني ((حمار)). ٢. وقد استخدمت كلمة ((عير)) ((لاير)) في سفر إشعياء للدلالة على الحمير التي تحمل المتاع؛ حيث يقول النص ٦/٣٠: ((ישאו לל-כתף עירים הילהם)) ((يحملون على كتف حمير ثروتهم)). واستدل المعجمي ((جنزبوس)) بهذا النص لبيان أنّ من معاني كلمة ((عير)) العبرية: الحمير التي تستعمل ((لحمل المتاع)). ٣.

استعمل القرآن الكريم في سورة يوسف أيضاً عبارة ((بعير)) ومن معانيها: ((حمار)) كما في ((لسان العرب)): ((قال ابن بري وفي البعير سؤال جرى في مجلس سيف الدولة ابن حمدان وكان السائل ابن خالويه والمسؤول المنتبي قال ابن خالويه: والبعير أيضاً الحمار وهو حرف نادر ألقيته على المنتبي بين يدي سيف الدولة، وكانت فيه خنزوانة وعنجوية، فاضطرب فقلت: المراد بالبعير في قوله تعالى: {وَلَمَن جَاءَ بِهِ جِمْلٌ بَعِيرٌ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ} ٤ الحمار، فكسرت من عزته، وهو أن البعير في القرآن الحمار، وذلك أن يعقوب وإخوة يوسف، عليهم الصلاة والسلام، كانوا بأرض كنعان وليس هناك إبل وإنما كانوا يمتارون على الحمير. قال الله تعالى: {وَلَمَن جَاءَ بِهِ جِمْلٌ بَعِيرٌ ... {أي حمل حمار.)) ٥

وقد ذكر ((الطبري)) في تفسيره عن ((مجاهد)) تلميذ ((ابن عباس)) رضي الله عنه وناقل تفسيره للقرآن الكريم أنّ البعير في قصة ((يوسف)) هي الحمير: ((وَقَالَ ابْنُ جُرَيْجٍ، قَالَ مُجَاهِدٌ، {كَيْلٌ بَعِيرٌ}: جِمْلٌ حِمَارٌ. قَالَ: وَهِيَ لُغَةٌ. قَالَ الْقَاسِمُ: يَعْنِي مُجَاهِدٌ أَنَّ الْحِمَارَ يُقَالُ لَهُ فِي بَعْضِ اللُّغَاتِ: بَعِيرٌ)). ٦. وكذلك ذكره ((مقاتل بن سليمان)) ٧ في تفسيره. (٨)

والبعير العربية، تقابل في اللغة العبرية كلمة ((بغير)) ((بللاير)) التي تعني الدابة عامة (٩). وتعني كلمة ((بغيرا)) ((حمار)) في السريانية الدابة إطلاقاً (١٠)، والدابة التي يحمل عليها المتاع خاصة (١١):

ويبدو ارتباط كلمة ((بعير)) ((بللاير)) بالدواب عامة في الفعل الثلاثي العبري ((باعر)) ((بللاير)) بمعنى ((رعى)) من ((الرعى)) وهو ما يشمل الدواب دون تخصيص؛ ولذلك قال المعجمي اليهودي ((داود بن أبراهام الفاسي)) (١٢) في معجمه التوراتي الشهير عبري-عربي ((جامع الألفاظ)) في تفسير نص ((بللاير

(١) - الألوسي، روح المعاني، ١٣/٣٣. نقل ((الألوسي)) قبله قولاً آخر: ((والعير: الإبل التي عليها الأحمال؛ سُميت بذلك لأنها تعير أي تذهب وتجيء)). وليس يخفى بطلان هذا القول؛ إذ إنّ أصل التسمية ثابت في اللغات السامية الأخرى للحمير، وردّ المعنى إلى الذهاب والجيء بعيداً!

(٢) - The Brown, Driver, Briggs Hebrew and English Lexicon: with an appendix containing the Biblical Aramaic: coded with the numbering system from Strong's Exhaustive concordance of the Bible, p. 746

(٣) - William Gesenius, A Hebrew and English Lexicon of the Old Testament, , p.774

(٤) - سورة يوسف/ الآية (٧٢)

(٥) - ابن منظور، لسان العرب، ٤/ ٧١

(٦) - لطبري، تفسير الطبري، بيروت: دار الفكر، ١٤٠٥هـ، ١٣/١٢

(٧) - مقاتل بن سليمان (توفي سنة ١٥٠هـ): خراساني، نزيل مرو. أخذ الحديث عن ((مجاهد بن جبر)) و((عطاء بن أبي رباح)) وغيرهما.

(٨) - ابن منظور، لسان العرب، ٤/ ٧١

(٩) - Gesenius Hebrew and English Lexicon of the Old Testament, p.149

(١٠) - بنيامين حداد، الميزان، معجم الأصول اللغوية المقارنة سنيان-عربي، ص ٦٤

(١١) - Carolo Brockelmann, Lexicon Syriacum, Edinburgh: T. & T. Clark, 1895, p.43

(١٢) - داود بن أبراهام الفاسي (القرن العاشر): نحوي، معجمي، يهودي من فرقة القرائين.

בשדה אחר) (وبعير بسدي أحيير) (١): ((אי אטלק דואבה פי חקל גירה ואבערת)) (٢) ((أي أطلق دوابه في حقل غيره وأبعرت)). (٣)

والمثير أيضاً في هذا السياق أنّ التوراة قد استعملت في قصّة (يوسف) العبارة العبريّة ((بعير)) (٤) التي استعملها القرآن، في الحديث عن دواب إخوة ((يوسف)) .. وقد صرّحت في مواضع أخرى أنّ إخوة ((يوسف)) قد استعملوا الحمير في سفرهم إلى مصر. (٥)

وقد بحث ((موريس بوكاي)) في كتابه ((موسى وفرعون)) قضية ((البعير)) في سورة يوسف، وأشار إلى أن المستشرق ((جاك بيرك)) قد وضع في هامش ترجمته الفرنسيّة لمعاني القرآن الكريم إشارة إلى أنّ كلمة ((بعير)) تعني الدابة التي تحمل المتاع، لا الجمل، وأضاف ((بوكاي)) قائلاً: ((أنا عظيم السرور بسبب هذه الدقة للسبب الآتي: لاحظت أثناء قراءتي للترجمات المختلفة لسورة يوسف بالفرنسية والإنجليزية بالنسبة للآيتين ٦٥، ٧٢ من سورة يوسف، أنّه لم يترجم أي أحد الكلمة العربية ((بعير)) إلى غير كلمة جمل. يبدو لي أن هذا الأمر يعتبر خطأً تاريخياً ظاهراً، لأنني أعلم أنه في مصر القديمة (وذلك على كامل المدى التاريخي السابق للعصر المسيحي) لم تُستعمل الجمال المدججة البتّة لحمل المتاع: قدمت تفاصيل وافية لهذا الموضوع في الجزء الكتابي الخاص بقصة يوسف. بدا لي أنا أيضاً بصورة واضحة أنّ إشارة الكتاب المقدس إلى الجمال التي تحمل المتاع في هذا العصر، خطأً تاريخياً حقيقي (الترجمة السبعينية من القرن الثالث قبل الميلاد تضم هي أيضاً في اليونانية كلمة جمل (٦)).

أثناء إقامتي في هقار (٧) في نزهة عند مخيم للطوارق مع المأسوف عليه ((هنري لاهوت)) سألت هذا العالم المتخصص في هذه المناطق عن الزمن الذي بدأ فيه تدجين الإبل - ذات السنم الواحد والسنامين-، فأجابني بكل ثقة أنه كان لا بد أن ننتظر العصر الروماني لنشهد استعمال هذا الحيوان كدابة نقل. بعد أن حصلت هذه المعلومة حول الجمل من هذا المصدر القيم، تساءلت عن المعنى الحقيقي للكلمة القرآنية ((بعير)) والتي ترجمت إلى ((جمل)) من طرف كل المترجمين - في حدود علمي - بمن في ذلك الشيخ ((حمزة بوبكر)). (٨)

استعمل القرآن أثناء حديثه عن الجمل كلمة أخرى، كلمة جمل (في المفرد في سورة الأعراف الآية ٤٠، وفي الجمع في سورة المرسلات الآية ٣٣)، واستعمل كلمة ((إبل)) للدلالة على مجموع الجمال (سورة الأنعام الآية ١٤٤، سورة الغاشية الآية ١٧).

<sup>١</sup> الخروج ٤/٢٢

<sup>(٢)</sup> - كتب الشرح العربي للألفاظ العبرية بالحرف العبري لا العربي.

<sup>(٣)</sup> - David B. Abraham Al-Fasi, *Kitab Jani' Al-Alfaz*, ed. Solomon L. Skoss, New Haven: Yale University Press, 1936, 1/254.

<sup>(٤)</sup> - ض يكون ١٧ / ٤٥ قول فرعون ((ليوسف)): ((اطلب من إخوتك أن يحملوا دوابهم بالفتح ويرجعوا لى أرض كنعان)); فالدواب في الأصل العبري ((بعير)) كما هو مسطور في الأصل العبري:

((אמר אל אחיך זאת עשו: טענו את בעירכם. ולכו באו. ארצה כנען.))

<sup>(٥)</sup> - يكون ٢٦/٤٢، ١٨/٤٣ ...

<sup>(٦)</sup> - (καμελος) (كاميلوس)

<sup>(٧)</sup> - منطقة في الجزائر

<sup>(٨)</sup> - حمزة بوبكر (١٩١٢م-١٩٩٥م): كان إماماً لمسجد باريس. له ترجمة فرنسيّة لمعاني القرآن الرجم.

ما هو إذن معنى كلمة بعير في القرآن؟! وجهتُ هذا السؤال إلى البرفسور ((جاك بيرك))، بعد أن أعلمته بما أعرفه عن الجمال عبر التاريخ مما أخبرني به ((هنري لاهوت))، ومن خلال ملاحظتي لغياب استعمال هذا الحيوان المدجن في مصر القديمة. لما راجع ((جاك بيرك)) ((لسان العرب))، وجد أن الكلمة تعني ((كل ما يحمل))؛ لذلك فإنه لا بد من استبعاد كلمة جمل من كل الترجمات، وهو ما سيظهر في ترجمته بعد عدة سنوات.

أنصح القارئ أن يراجع الجزء الأول من هذا الكتاب الخاص بالرواية الكتابية لدخول مصر، حيث أشرت إلى استعمال كلمة (جمل) لا فقط في زمن يوسف، وإنما أيضاً في زمن إسحاق، في النص الذي بين أيدينا اليوم في العهد القديم، العبري واليوناني. دخل الخطأ التاريخي إلى النص من خلال محرري الكتاب المقدس أو نساخه ... من الواضح أنه في زمن تبليغ القرآن إلى الناس، كان الجمل يعدّ أفضل دابة لحمل المتاع في السفر بين البلدان القاحلة.

ليس الجمل هو الذي يظهر في القرآن على أنه الدابة التي تنقل المتاع في الشرق الأوسط قبل ألفي سنة في قصة يوسف. إنَّ القرآن ينقل لنا المعطيات التاريخية الدقيقة المتعلقة بنقل المتاع ((١))

**الخلاصة:** صحيح أنّ القرآن الكريم قد وافق التوراة في قولها إنّ إخوة ((يوسف)) قد استعملوا الحمير في سفرهم، لكنّ القرآن الكريم مع ذلك لم يتابع التوراة في زعمها أنّ الجمال قد دجنت زمن الآباء ((إبراهيم ويعقوب ويوسف عليهم السلام))، رغم أنّ البيئة العربيّة كانت قد استقرّت على الاعتقاد أنّ الجمل هو (سفينة الصحراء)؛ فلا ينفع في الارتحال في الصحارى غيره.

### ٣- ادعاء فرعون الألوهية

تخلو التوراة من آية إشارة إلى دعوى فرعون الألوهية في حين أثبت القرآن الكريم تاريخية هذه الدعوى الشنيعة: { وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي } {القصص: ٣٨} .. { قَالَ لَئِنِ اتَّخَذَتِ الْهَمَاءُ غَيْرِي لِأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ } {الشعراء: ٢٩} ..

في مقابل صمت التوراة عن تأله الفرعون، ينطق التاريخ بأنّ مؤسس الأسرة المصريّة الأولى، استطاع أن يكون لمصر حوالي سنة ٣٢٠٠ ق.م حكومة مركزية قوية ثابتة الأركان، كان على رأسها ((الملك المؤله)) الذي استطاع أن يجمع بين يديه كلّ السلطات، حكومة كان الملك فيها هو المحور؛ فهو ((الإله الأعظم))، وهو ((الإله الصقر حور)) الذي تجسّد في هيئة بشرية؛ ولذلك فهو في نظر رعاياه، إله حي على شكل إنسان، يتساوى مع غيره من الآلهة الأخرى فيما لها من حقوق، ومن ثمّ فله حق الاتصال بهم، وله على شعبه ما غيره من الآلهة من التقديس والمهابة. (٢)

(١) - Maurice Bucaille, *Moise et Pharaon*, pp. 209-210

(٢) - انظر؛ محمد بيومي مهران، دراسات تاريخية في القرآن الكريم، ٢ / ٢١٤

ويقول القرآن ناقلاً عن فرعون دعواه: {فَحَشَرَ فَنَادَى فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى} [النازعات: ٢١] .. وهو تصوير دقيق لحال الفراعنة الذين كانوا يعتقدون أنّ الواحد فيهم هو ((الإله الأعظم)) الذي تعود إليه كلّ أمور المملكة وكلّ أمور الناس، وهو الذي يعلم كلّ كبير وصغير من أمر الناس..(١)

ومما يلاحظ أيضاً أنّ القرآن بالإضافة إلى نقله ادعاء فرعون للألوهية، يقول على لسان الملائم من قومه: {وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَدْرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ} [الأعراف: ١٢٧] .. وفرعون مدع للألوهية، كما أنّ له هو أيضاً آلهة .. ورغم أنّ الأمر يبدو في ظاهره متناقضاً إلا أنّ التاريخ المصري يخبرنا أنّ ((رمسيس الثاني)) -فرعون التسخير في قصة ((موسى)) عليه السلام، على الراجح- كان يدعي الألوهية إلى درجة أن رفع نفسه إلى طبقة ((كبار الآلهة))، إلا أنه أيضاً كان يعبد أربعة آلهة أخرى؛ وهي ((آمون)) و((رع)) و((بتاح)) و((سوتخ)) (٢) .. وهذا لغز لم يكشف إلا مع التعرّف على اللغة الهيروغليفية في القرون الأخيرة.

وهنا معجزات دقيقة لا نرى لها أثراً في التوراة، رغم أهميتها القصوى في نقل ملابس ما كان بين ((موسى)) عليه السلام وفرعون مصر. ونضيف فائدة أخرى، ما دمنا نتحدث عن ((رمسيس الثاني))؛ وهي أنّ الحديث النبوي الشريف قد سمى زوجة فرعون التي التقطت ((موسى)) من اليم، ((آسية)) (٣) واليوم يخبرنا التاريخ المصري القديم -بعد أن فتح بابه لنا- أنّ اسم الزوجة الثانية ((رمسيس الثاني))، بل الزوجة الرئيسية على قول الأثرية ((ماري)) ٤، هو ((آيسة)) (٥).

ومن الواضح سهولة المطابقة بين الاسمين كما ورد في الحديث النبوي وفي الآثار المصرية.. علماً أنّ التوراة لا تذكر هذا الاسم، بل وترى أنّ ابنة فرعون هي من التقطت ((موسى)) من اليم لا زوجته كما يقول القرآن الكريم (٦) وصور رمسيس الثاني واضحة وقد وضع نفسه بين الإله ((آمون)) والإلهة ((موت)) في ثلاث آلهة.

#### ٤- ((الملك)) لا ((فرعون))

يقول الدكتور ((محمد بيومي مهران)) -أستاذ تاريخ مصر والشرق الأدنى القديم بجامعة الاسكندرية-: ((إن قصة التوراة تتحدث دائماً عن ملك مصر على أنه فرعون مصر، بينما يتحدث القرآن على أنه الملك وليس الفرعون (٧)، ومن المعروف تاريخياً اليوم أن كلمة ((فرعون)) في صيغتها المصرية ((برعا)) أو ((برعو))، كانت تعني البيت العالي، أو البيت العظيم، وكانوا يشيرون بها إلى القصر الملكي - وليس إلى ساكنه - ثم

(١) - انظر، محمد بيومي مهران، دراسات تاريخية في القرآن الكريم، ٢ / ٢١٤

(٢) - انظر، د. رشدي البدرابي، مصدر سابق، عن الدكتور محمد وصفي، الارتباط الزمني والعقائدي بين الأنبياء والرسل، ص ١٥٤

(٣) - قال صلى الله عليه وسلم: ((كَمَلُ مِنَ الرِّجَالِ كَثِيرٌ، وَلَمْ يَكْمُلْ مِنَ النِّسَاءِ: إِلَّا آسِيَةُ امْرَأَةِ فِرْعَوْنَ، وَمَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ، وَإِنَّ فَضْلَ عَائِشَةَ عَلَى النِّسَاءِ كَفَضْلِ الثَّيِّدِ عَلَى سَائِرِ الطَّعَامِ)) (صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى وضرب الله مثلا للذين آمنوا امرأة فرعون، ح / (٣٤١١)).

(٤) - سليم حسن، مصر القديمة، ٤٣٤/٦ (نقله، محمد بيومي مهران، إسرائيل، ١/ ٣٩٢).

(٥) - يمكن أن ينطق بطرق مختلفة، منها ((آيسة)) و((إيسى)) وحتى ((إست))؛ انظر؛ محمد بيومي مهران، إسرائيل، ١/ ٣٩٢

(٦) - خروج ٢ / ٥-٩

(٧) - تكوين ٤٠ / ٧ - ٤١ / ١٥، ٤٦، ٣١ - ٥٠ / ٧

سرعان ما تغيرت وغدت تعبيراً محترماً، يقصد به الملك نفسه، وذلك منذ الأسرة الثامنة عشرة، وأما متى حدث هذا التغيير في استعمال لقب فرعون، فإن سير ((ألن جارندر)) - العالم الحجة في اللغة المصرية القديمة - يحدد ذلك بعهد الفرعون ((تخوتمس الثالث)) (١٤٩٠ - ١٤٣٦ ق.م)، حيث بدئ في إطلاق الاصطلاح أي ((فرعون)) على الملك نفسه ثم في عهد الداعية الديني المشهور ((أخناتون)) (١٣٦٧ - ١٣٥٠ ق.م)، مستنداً في ذلك على خطاب من عهده، ثم استعمل منذ الأسرة التاسعة عشرة (١٣٠٨-١١٨٤ ق.م)، وفيما بعد، في بعض الأحيان، كمرادف لكلمة ((جلالته))، ومن هذا الوقت أصبحنا نقرأ: ((خرج فرعون)) و((قال فرعون ... وهكذا)).

إن القرآن الكريم أراد أن يفرق بين حاكم مصر الأجنبي على أيام ((يوسف)) الصديق في عهد الهكسوس؛ فأطلق عليه لقب ((ملك))، وبين حاكم مصر الوطني على أيام ((موسى)) -مثلاً- الذي أطلق عليه لقب ((فرعون)) وهو اللقب الذي كان يطلق على ملوك مصر منذ عهد ((أخناتون))، هذا فضلاً عن أن ذلك من إعجاز القرآن، الذي لا إعجاز بعده، وإذا ما عدنا إلى التوراة، لوجدنا أن الحقائق التاريخية تقف ضد ما أورده التوراة بشأن استعمال لقب فرعون، إذ إنها تستعمله حين يجب أن تستعمل لقب ملك، وذلك قبل الأسرة الثامنة عشرة، وتستعمل لقب ملك حين يجب أن تستعمل لقب فرعون، وذلك منذ عهد الأسرة الثامنة عشرة (١٥٧٥ - ١٣٠٨ ق.م)، وفيما بعدها ((١)).

وقال ((موريس بوكاي)): ((.. عبارة أخرى وردت في سورة يوسف يبدو لي أنها تحتاج إلى إشارة خاصة، لأنها تمثل مطابقة كاملة للاستعمال الذي كان في زمن يوسف، كما هو مثبت في التاريخ. أنا جد مدين للبرفسور جاك بيرك أنه لفت انتباهي منذ عدة سنين إلى الأمر التالي: لقب الحاكم في سورة يوسف خمس مرات ((الآيات ٤٣، و ٥٠ و ٥٤، و ٧٢، و ٧٦)) دائماً باسم ((ملك))، ولم يُلقب البتة بلقب ((فرعون)) الذي اختص به في القرآن الحاكم في الزمن الذي جرت فيه الأحداث المتعلقة بموسى وذلك في خمس وستين مرة. استعمال الكتاب المقدس كما أشرت إلى ذلك في الجزء الأول من كتابي، كلمة فرعون في جميع نصوصه للدلالة على حاكم مصر (أحياناً مقترنة بكلمة ملك)، لا فقط في زمن يوسف (أي في أقصى الاحتمالات القرن السابع عشر قبل الميلاد) بل حتى قبل ذلك في زمن إبراهيم (الفصل الثامن عشر من سفر التكوين).

لم يُعرف ملك مصر بلقب فرعون إلا منذ حكم أمينوفيس الرابع، أي في الربع الثاني من القرن الرابع عشر قبل المسيح. كل استعمال لكلمة فرعون للدلالة على ملك مصر قبل هذا العصر هو خطأ تاريخي: ارتكب محررو الكتاب المقدس هذا الخطأ لما كانوا يستعملون لغة زمانهم عند تأليفهم للكتاب المقدس. في المقابل، فإن استعمال هذه الكلمة للأحداث الأقرب لنا كزمن موسى، هي مطابقة للمعطيات التاريخية، إنّه عليّ أن أعلن أنه في زمن تبليغ القرآن إلى الناس، كانت اللغة المصرية القديمة قد اختفت منذ أكثر من قرنين من الذاكرة البشرية، وبقيت كذلك إلى القرن التاسع عشر؛ لذلك فليس بإمكاننا أن نعرف أنّ ملك مصر في زمن

يوسف يجب أن يدعى بلقب غير المذكور في الكتاب المقدس. دقة اختيار الكلمات في هذا الموضوع في نص القرآن تثير التفكير.)) (١)

### ٥ - عدد بني إسرائيل في مصر

من أكثر المواضع التي شغلت النقاد المعاصرين، العدد الضخم للإسرائيليين الذي عاشوا في مصر وخرجوا منها مع ((موسى)) عليه السلام بعد أن طاردهم فرعون وجنوده .. تذكر التوراة أنّ ((عدد نفوس بيت يعقوب التي قدمت إلى مصر (كانت سبعين نفساً)) (٢)، ثم أصبح العدد بعد ٢١٥ سنة على رأي التوراة السبعينية، أو ضعف هذا الرقم على رأي التوراة العبرانية، ((شعباً أعظم وأكثر)) من المصريين - أصحاب أقوى وأعظم دولة في العالم في ذلك الوقت -، ولما طردوا من مصر كان من بينهم ((نحو ست مئة ألف ماش من الرجال، عدا الأولاد، فكان جميع الأبكار الذكور، من ابن شهر فصاعداً، اثنين وعشرين ألفاً ومئتين وثلاثة وسبعين.))!! (خروج ١٢ / ٣٧، عدد ٤٣ / ٤٣)

يعلق بعض الباحثين على ذلك، بقوله إننا لو قسمنا عدد الجماعة على الأبكار، لخلصنا إلى أن المرأة الإسرائيلية من اليهود الآبقين، كانت تلد زهاء ٦٥ وليداً، وهو أمر لا يستقيم مع المنطق، فضلاً عما تعرضوا له من ذلة وعسف تحت رؤساء التسخير، ولا مع ما روي من عبورهم البحر في سويغات قصار، ومن ثم فإن علماء اللاهوت والمؤرخين، سواء بسواء، أصبحوا الآن لا يعلقون أية أهمية على هذه الأرقام التي ذكرتها التوراة، ويعتبرونها محض خيال إسرائيلي. (٣)

إنّ القول إنّ الإسرائيليين قد بلغ عددهم زمن ((موسى)) عليه السلام أكثر من المصريين، ليس إلا علامة على فحش مبالغات التوراة وفحش تناقضاتها، خاصة إذا علمنا أنّ التوراة ذاتها تذكر الاضطهاد والقتل الذي سلط على الإسرائيليين .. فكيف يكون عددهم أكثر من المصريين رغم عمليات القتل؟! وكيف يستدلّ الأقلّ الأكثر؟! (٤)

وقد ردّ الإمام ((ابن حزم)) منذ قرابة ألف سنة على هذا الخطأ، وبيّن الإعجاز القرآني في هذا الباب، بعد أن كشف بمنهجيته النقدية الصارمة خبط التوراة ومبالغاتها الباطلة: ((أين هذا الكذب البارد من الحق الواضح في قول الله تعالى حاكياً عن فرعون إنه قال إذ تبع بني إسرائيل: {إِنَّ هَؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ} ٥. هذا الذي لا يجوز غيره ولا يمكن سواه أصلاً.)) (٦) ..

علماً أنّ هذه الحقيقة التصويبية التي وردت على لسان الإمام ابن حزم رحمه الله، لم تذكر في نقد الرواية التوراتية في الغرب إلا سنة ١٨٦٢م على يد ((ج. و. كولينسو)) ((J. W. Colenso)) - أحد مؤسسي نقد

(١) - Maurice Bucaille, Moise et Pharaon, pp.210-211

(٢) - تكوين ٢٧ / ٤٦

(٣) - محمد يومي مهران، دراسات تاريخية في القرآن، ١٤٢ / ٢

(٤) - انظر المصدر سابق، ١٤٣ / ٢

(٥) - سورة الشعراء / الآية (٥٤)

(٦) - ابن حزم، الفصل في الملل والأهواء والنحل، ١ / ١٩٤

العهد القديم المعاصر - وإن كان الألماني ((ه. س. رايماروس)) ((H. S. Reimarus)) قد سخر من الرقم التوراتي قبل ذلك بقرن واحد!!! (١)

قد يقول معترض: ((إنّ ما قاله فرعون- في القرآن الكريم- لا يعدو كونه محاولة للتّهوين من أمر الإسرائيليين!!)) والجواب هو: أولاً: النصّ القرآني في سرده لقصة ((موسى)) عليه السلام لا يوحي أصلاً أنّ بني إسرائيل قد بلغوا الكثرة المزعومة في التوراة، ثانياً: العدد المذكور في التوراة- كما يقول ((بوكاي)) يفوق عدد شعب دولة بأكملها في ذلك الوقت ٢، وليس من المعقول أن يوصف شعب كامل تبصرهم عيون الناس بأنهم ((شردمة قليلون))!!

وقد يتوجه المعترض بقوله إلى جهة أخرى ليقول إنّ القرآن لم يقدّم سبقاً علمياً وإنما صوّب خطأ ظاهراً...!! وأقول: إنّ الكشف عن هذا الخطأ قد احتاج من أهل العلم دراسة جادة للنصوص ومقارنة جادة بينها ونظراً جاداً في السنن الكونية في تكاثر الشعب الواحد، وهو أمر لم تعرفه أوروبا إلا منذ ما يعرف بعصر النهضة (القرن ١٦ م). وقد رأيت أنّ هذه الحقيقة لم يعرفها الغرب إلا بعد أكثر من ألف سنة من تنزّل القرآن الكريم...!! وقد سبقهم علماء الإسلام لأنهم كانوا يسترشدون بنور القرآن الكريم. إنّه إذن، الإعجاز!

## ٦- إسماعيل هو الذبيح

جاء في سفر التكوين ١٢/٢٢-١٣: ((وبعد هذا امتحن الله إبراهيم، فناده: ((يا إبراهيم)) فأجابته: ((لييك!!)) فقال له: ((خذ ابنك وحيدك، إسحق الذي تحبه، وانطلق إلى أرض المريا وقدمه محرقة على أحد الجبال الذي أهديك إليه))... ومد إبراهيم يده وتناول السكين ليذبح ابنه. فناده ملاك الرب من السماء قائلاً: ((إبراهيم، إبراهيم)) فأجاب: ((نعم)). فقال: ((لا تمد يدك إلى الصبي ولا توقع به ضرراً لأني علمت أنك تخاف الله ولم تمنع ابنك وحيدك عني)).

وهذا بلا ريب خطأ؛ لأنّ الكتاب المقدس نفسه يُقرّر أنّ ((إسماعيل)) قد وُلد قبل ((إسحاق)). وقد جاءت النصوص القرآنية كاشفة ضمناً أنّ الذبيح هو ((إسماعيل)). (٣) قال الإمام ابن القيم: في دفع دعوى الكتاب المقدس، وبيان دلالة القرآن الكريم أنّ الذبيح هو ((إسماعيل)): ((وهي باطلة قطعاً من عشرة أوجه: أحدها: أن بكره ووحيدته هو إسماعيل باتفاق الملل الثلاث، فالجمع بين كونه مأموراً بذبح بكره وتعيينه بإسحاق جمع بين النقيضين.

<sup>١</sup> د. لوي فتوحي ود. شذى الدركرلي، التاريخ يشهد بعصمة القرآن العظيم، تاريخ بني إسرائيل المبكر، لندن: دار الحكمة، ١٤٢٢هـ، ٢٠٠٢م، ص ١٣٣  
<sup>٢</sup> انظر؛ Maurice Bucaille, *Moses and Pharaoh, The Hebrews in Egypt*, Tokyo: NTT Mediascope, 1994, pp.7, 111-112

(٣) - ما ذهب إليه بعض العلماء المسلمين من أنّ الذبيح هو ((إسحاق)) لا دليل عليه من قرآن أو سنة، وإنما هو متلقى عن اليهود والنصارى؛ قال شيخ الإسلام ((ابن تيمية)): ((هذا القول إنما هو متلقى عن أهل الكتاب مع أنه باطل)). (ابن القيم، زاد المعاد، ت/ شعيب الأناؤوط وعبد القادر الأناؤوط، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٧هـ، ١٩٨٦م، ط ١٤، ١/٧١)، وقال الإمام ((ابن كثير)): ((وما أظن ذلك تلقي إلا عن طريق أخبار أهل الكتاب، وأخذ ذلك مُسَلِّماً من غير حجة)). (ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ١٥/٤)

الثاني: أن الله سبحانه وتعالى أمر إبراهيم أن ينقل هاجر وابنها إسماعيل عن سارة ويسكنها في برية مكة لثلا تغير سارة، فأمر بإبعاد السرية وولدها عنها حفظاً لقلبها ودفعاً لأذى الغيرة عنها، فكيف يأمر الله سبحانه وتعالى بعد هذا بذبح ابن سارة وإبقاء ابن السرية؟! فهذا مما لا تقتضيه الحكمة.

الثالث: أن قصة الذبح كانت بمكة قطعاً، ولهذا جعل الله تعالى ذبح الهدايا والقرايين بمكة تذكيراً للأمم بما كان من قصة أبيهم إبراهيم مع ولده.

الرابع: أن الله سبحانه بَشَّرَ سارة أم إسحاق بإسحاق، ومن وراء إسحاق يعقوب ١، فبشرها بهما جميعاً، فكيف يأمر بعد ذلك بذبح إسحاق وقد بشر أبويه بولد ولده؟!

الخامس: أن الله سبحانه وتعالى لما ذكر قصة الذبيح وتسليمه نفسه لله تعالى وإقدام إبراهيم على ذبحه، وفرغ من قصته قال بعدها: {وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَقَ نَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ} [الصفوات: ١١٢]، فشكر الله تعالى له استسلامه لأمره وبذل ولده له، وجعل من إثابته على ذلك أن آتاه إسحاق، فنجى إسماعيل من الذبح وزاده عليه إسحاق.

السادس: أن إبراهيم صلوات الله تعالى وسلامه عليه سأل ربه الولد؛ فأجاب الله دعاءه وبشّره، فلما بلغ معه السعي أمره بذبحه، قال تعالى: {وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ} [الصفوات: ٩٩-١٠١]؛ فهذا دليل على أن هذا الولد إنما بُشِّرَ به بعد دعائه وسؤاله ربه أن يهب له ولداً، وهذا المبشّر به هو المأمور بذبحه قطعاً بنص القرآن، وأما إسحاق فإنما بُشِّرَ به من غير دعوة منه، بل على كبر السن وكون مثله لا يولد له، وإنما كانت البشارة به لامرأته سارة، ولهذا تعجبت من حصول الولد منها ومنه؛ قال تعالى: {وَلَقَدْ جَاءتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبَشْرَىٰ قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ فَلَمَّا رَأَىٰ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْحَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَحْزَنْ إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحَكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَقَ يَعْقُوبَ قَالَتْ يَا وَيْلَتَىٰ أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْغِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ} ٢ فتأمل سياق هذه البشارة وتلك؛ تجدهما بشارتين متفاوتين؛ مخرج إحداهما غير مخرج الأخرى، والبشارة الأولى كانت له والثانية كانت لها، والبشارة الأولى هي التي أمر بذبح من بشر فيها دون الثانية.

السابع: أن إبراهيم عليه السلام لم يقدم بإسحاق إلى مكة البتة، ولم يفرق بينه وبين أمه، وكيف يأمره الله تعالى أن يذهب بابن امرأته فيذبحه بموضع ضربتها في بلدها ويدع ابن ضربتها؟!

الثامن: أنّ الله تعالى لما اتخذ إبراهيم خليلاً؛ والخلة تتضمن أن يكون قلبه كله متعلقاً بربه ليس فيه شعبة لغيره، فلما سأله الولد وهبه إسماعيل؛ فتعلق به شعبة من قلبه، فأراد خليله سبحانه أن تكون تلك الشعبة له ليست لغيره من الخلق، فامتحنه بذبح ولده، فلما أقدم على الامتثال؛ خلصت له تلك الخلة وتمحضت لله وحده، فمسح الأمر بالذبح، لحصول المقصود وهو العزم وتوطين النفس على الامتثال، ومن المعلوم أن هذا إنما

(١) - قال تعالى: {وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحَكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَقَ يَعْقُوبُ} سورة هود/ الآية ٧١

(٢) - سورة هود/ الآيات (٦٩-٧٣)

يكون في أول الأولاد لا في آخرها، فلما حصل هذا المقصود من الولد الأول لم يحتج في الولد الآخر إلى مثله، فإنه لو زاحمت محبة الولد الآخر الخلة لأمر بذبحه كما أمر بذبح الأول، فلو كان المأمور بذبحه هو الولد الآخر لكان قد أقرّه في الأول على مزاحمة الخلة به مدة طويلة، ثم أمره بما يزيل المزاحم بعد ذلك، وهذا خلاف مقتضى الحكمة فتأمل.

التاسع: أن إبراهيم عليه السلام إنما رزق إسحاق عليه السلام على الكبر، وإسماعيل عليه السلام رزقه في عنفوانه وقوته، والعادة أن القلب أعلق بأول الأولاد، وهو إليه أميل وله أحب، بخلاف من يرزقه على الكبر، ومحل الولد بعد الكبر كمحل الشهوة للمرأة...)) (١)

وقد اعترف بالدلالة القرآنية على أنّ الذبيح هو ((إسماعيل))، ((جايجر)) نفسه؛ فبعد أن استعرض ما جاء في القرآن الكريم، قال: ((من الواضح إذن أنه طبقاً لعرض محمد؛ فإنّ إسماعيل هو الذي قام بدور التضحية...))! (٢)

## ٧- ألوهية المسيح

تكرّر في القرآن الكريم نفي ألوهية المسيح: {وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أانتَ قلتَ للنّاسِ اتّخذوني وأمّي إلهين من دون الله قال سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحقّ إن كنتُ فُلتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ} [المائدة: ١١٦]، {مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ} [مریم: ٣٥]

وتكرّر مع ذلك تمجيد المسيح عليه السلام، ونسبته إلى البشرية والنبوة: {إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ} [ال عمران: ٥٩]، {قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا} [مریم: ٣٠]، {قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ} [البقرة: ١٣٦]

وهنا يسأل العاقل نفسه سؤالاً: لقد ذهب النصارى إلى أنّ المسيح قد أعلن أنه إله، وأنه صادق في دعواه، وذهب اليهود إلى اتّهام المسيح أنه قد ادّعى الألوهية زوراً؛ فلم يذكر قرآن (محمد صلى الله عليه وسلم) أنّ المسيح لم يدّع الألوهية أصلاً؟! أليس في ذلك إنكار (لحقيقة) تاريخية أطبق عليها أهل الكتاب - كما يقولون هم بأنفسهم عن (إجماعهم!) -؟! أليس ذاك خطأ تاريخي في القرآن الكريم؟! ليس الاعتراض هنا على صحة (ألوهية) المسيح، فهذا أمر يُدرك حكمه بالعقل المجرد، وإنما هو عن صحة القول إنّ المسيح قد ادّعى أنه إله!

الإجابة يقدّمها لنا لاهوتي، بل أحد أعلام اللاهوتيين في زماننا، وهو ((جون هك)) (٣) بقوله في كتابه ((The Metaphor of God Incarnate: Christology in a pluralistic age))

(١) - ابن القيم، إغائة للهنان من مصاديد الشيطان، ت/ محمد سيد كيلاني، القاهرة: مكتبة التراث، د.ت، ٢/٣٤٨-٣٥١

(٢) - A. Geiger, *Judaism And Islam*, p.103

(٣) - جون هك (ولد سنة ١٩٢٢م): لاهوتي. دّرس في عدد من الجامعات. رئيس الجمعية البريطانية لفلسفة الدين، ونائب رئيس الكونغرس العالمي للاديان. ذكر ((Robert Smid)) أنه كبيراً ما يشار إلى ((هك)) أنه (أحد أبرز فلاسفة الدين المهتمين في القرن العشرين، لن لم يكن أبرزهم)).

الصادر في طبعته الأولى سنة ١٩٩٣م، ناقلاً ما أجمع عليه النقاد المحققون اليوم: ((نقطة أخرى عليها اتفاق واسع بين علماء العهد الجديد، وهي أكثر أهمية لفهم تطور علم دراسة طبيعة المسيح ((Christology))، وتمثل في أنّ يسوع التاريخي لم يدع الألوهية التي ادعاها له متأخرو المسيحيين: إنه لم يظن في نفسه أنه تجسّد الإله، أو الإله الابن... إنّه من المستبعد جداً أن يكون يسوع التاريخي قد ظلّ في نفسه ذلك بأية صورة من الصور. في الحقيقة، إنّ المتصوّر أنه سيرفض هذه الفكرة باعتبارها هرطقة، إحدى الأقوال المنسوبة إليه، هي: ((لماذا تدعوني صالحاً؟ ليس أحد صالحاً إلاّ الله وحده.)) (مرقس ١٠/١٨).

بالطبع لا توجد إفادات من الممكن أن تقدّم بيقين حول ما قاله يسوع أو ما لم يقله أو ما فكّر فيه. لكن الحجّة المتاحة قادت المؤرّخين المتخصصين في الفترة التاريخية (لحياة المسيح) إلى أن يستنتجوا بإجماع مذهل أنّ يسوع لم يدع أنه الإله المتجسّد.

هذا الأمر محلّ اتفاق عام اليوم حتّى إنّ بضعة اقتباسات ممثّلة (للرأي السائد) مأخوذة من كتاب مستقيمي العقيدة (أرثوذكس)، تكفي لإثبات غرضنا الحالي. رئيس الأساقفة ((مايكل رمزي)) ((Michael Ramsey)) وهو أيضاً أحد علماء العهد الجديد، كتب أنّ ((يسوع لم يدع لنفسه الألوهية)) (١٩٨٠م). عالم العهد الجديد المعاصر له ((س. ف. د. مول)) ((C. F. D. Moule)) قال إنّ ((كلّ حالة كرايستولوجيا "عالية" قائمة على أصالة الدعوى المدّعاة ليسوع حول نفسه، خاصة في الإنجيل الرابع، لا بد أن تعتبر غير ثابتة.)) (١٩٧٧م). استنتج ((جيمس دون)) ((James Dunn)) في دراسة رائدة حول أصول عقيدة التجسّد أنّه ((لا توجد حجّة حقيقية في تراث يسوع المبكر ممّا من الممكن أن تسمّى بإنصاف، وعيًّا بالألوهية)) (١٩٨٠م)، اعترف أيضاً ((براين هبلثوايت)) ((Brian Hebblethwaite)) المناصر بقوة للتراث النيقوي (١) الخلقيدوني (٢) المسيحاني أنّه ((لم يعد ممكناً المدافعة عن ألوهية يسوع من خلال الإحالة إلى أقواله)) (١٩٨٧م). يقول أيضاً متحمس آخر للخلقيدونية وهو ((دافيد براون)) ((David Brown))، إنّّه ((توجد حجج قوية على أنّ يسوع لم ير نفسه البتّة أهلاً لأن يعبد)) وإنه ((من المستحيل تأسيس أية دعوى للتأليه بناءً على إدراكه إذا أهملنا الصورة التقليدية كما يعكسها الفهم الحرفي لإنجيل يوحنا)) (١٩٨٥م) ((٣))

هذا هو الإعجاز حيث يخالف القرآن الكريم ما (استقر) عليه اليهود والنصارى زمن البعثة النبوية.. واليوم (يستقر) البحث النقدي الأكاديمي الغربي في شاطئ القرآن الكريم، دون اعتبار لقول أمّتين من الناس عاش أجدادهما مع المسيح نفسه!

## ٨ - الأصول الوثنية للعقيدة النصرانية

(١) - أي العقيدة التي قررها النصارى في مجمع نيقية سنة ٣٢٥م حيث وصف المسيح أنّه ((الله من الله)) ((Θεὸν ἕκ Θεοῦ)).  
(٢) - أي العقيدة التي قررها النصارى في مجمع خلقيدونية سنة ٤٥١م الذي قرّر أنّ المسيح طبيعتين ومشيتين، البتّة وأخرى بشرية ((الله حق وحشر حق)) ((θεὸν ἀληθῶς καὶ ἄνθρωπον ἀληθῶς τὸν αὐτὸν)).

قال تعالى: { وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ } [التوبة : ٣٠] ، يقول الشيخ ((أحمد عبد الغفور عطار)) في موسوعته: ((الديانات والعقائد في مختلف العصور)): ((إن هذه الآية الشريفة إنباء عن الماضي المجهول، وما كان محمد صلى الله عليه وسلم ولا عرب الحجاز يعلمون أن أمماً سبقت أمة المسيح، قالوا ما قالوه فيه، وهذا يجعلنا مطمئنين إلى أن القرآن كلام الله علام الغيوب، لا كلام عبد الله ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم، لأن الكشوف الأثرية والبحوث لم تكتشف مضاهاة النصرانية للذين كفروا إلا حديثاً، وبعد موت محمد صلى الله عليه وسلم بمئات السنين، فعرف ثلوث الهند وغيرها كالصين والمكسيك ومصر ودياناتهم الوثنية التي تشربتها النصرانية، وهذا سر من أسرار القرآن يظهر مع الزمن)).(١)

وقد صنّف النقاد الغربيون كتباً عديدة في موضوع تأثر النصرانية بالعقائد الشرقية والوثنية، ومنها:

John Hick, ed. The Myth of God Incarnate, Oxford : New Blackfriars, 1977

Frank Viola and George Barna, Pagan Christianity, Ill. : BarnaBooks, 2008, 2002.

Jonathan Z. Smith, Drudgery Divine, : On the Comparison of Early Christianities and the Religions of Late Aniquity, Chicago: University of Chicago Press, 1990

Robert J. Miller, Born Divine: the birth of Jesus and other sons of God, CA: Polebridge Press, 2003

Tom Harpur, Pagn Christ, Toronto: Thomas Allen Publishers, 2004.

Timothy Freke and Peter Gandy, The Jesus Mysteries: was the 'original jesus' a pagan god?, New York : Harmony Books, 2000.

Shirley Strutton Dalton and Laurence E. Dalton, Jesus Christ: A Pagan Myth, On ... وغيرها كثير جداً ... Demand Publishing, 2008

## ٩- ابتداع الرهبانية

قال تعالى: { وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا } [الحديد: ٢٧] .

كانت الرهبنة معلماً أساسياً من معالم النصرانية في القرن السابع ميلادياً، وقد وجدت لها حضوراً بارزاً في تجمعات النصارى الأقرب إلى مكة، وذكر أمرها في الشعر الجاهلي؛ بما يدلّ على أنّها قد أضحت متصلة اتصالاً وثيقاً بالإيمان النصراني والهيكل الكنسي في الثقافة الشعبوية العربية .. لكنّ القرآن الكريم يصرّح بما لا يتوقعه العربي في ذلك الإطار الزماني والمكاني؛ إذ يقرّر أنّ الرهبنة مسلك دخيل على

النصرانية ابتدعه قوم ظنوا فيه الصلاح والتهذيب للنفس، وقد آل أمر هذه الرهبنة إلى الفساد! (١)

إنَّ الحقيقة التاريخية التي نعرفها اليوم معرفة يقينية هي أنَّ الرهبنة لم تعرف في القرنين الأول والثاني ميلادياً، وإنما ظهرت بداية في نهاية القرن الثالث ميلادياً في مصر على يد قديس الكنيسة ((أنطونيوس الكبير)) (٢٥١م-٣٥٦م) الذي يسمَّى ((بأبي الرهبنة)) ((Father of Monasticism)). (٢)

## ١٠ - يوسف النجار، الشخصية الخرافية

تضمّنت أناجيل النصارى ذكر شخصية ((يوسف النجار)) وأنه كان خطيب ((مريم)) أم المسيح عليهما السلام، وزعمت أنه قد تولى رعاية المسيح عليه السلام أثناء طفولته.

وقد أهمل القرآن الكريم ذكر هذه الشخصية في حياة المسيح وأمه على صورة تكشف أنَّ القرآن الكريم ينكر وجودها أصلاً، إننا لا نجد ((ليوسف النجار)) ذكراً في القرآن الكريم ولا في الأحاديث النبوية، كما أنَّ الرواية القرآنية تنطلق بنا من الرغبة في تكريس ((مريم)) للهيكل، وكفالتها، إلى ولادتها العذرية، وربة قومها في هذه الولادة العجيبة، دون إشارة إلى اتهام (الخطيب) بهذه الفعل، مكتفية بتزيه ((مريم)) عن فعل الفاحشة: {يَا أُخْتِ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكَ بَعْثًا} [مريم: ٢٨]

وبالنظر في الكتاب المقدس نفسه؛ يستبين لنا صواب الرواية القرآنية وبطلان تاريخية شخصية ((يوسف النجار)) المذكور في الأناجيل؛ لأسباب عديدة من أهمها:

إنجيل مرقس الذي هو أقدم الأناجيل الأربعة تأليفاً، لم يشر البتة إلى ((يوسف النجار))، أشار إنجيل يوحنا إلى ((يوسف)) كشخصية لها علاقة بالمسيح في ٤٥/١: ((ثُمَّ وَجَدَ فِيلِيُسُ نَشَائِيلَ، فَقَالَ لَهُ: «وَجَدْنَا الَّذِي كَتَبَ عَنْهُ مُوسَى فِي الشَّرِيعَةِ، وَالْأَنْبِيَاءُ فِي كُتُبِهِمْ وَهُوَ يَسُوعُ ابْنُ يُوسُفَ مِنَ النَّاصِرَةِ»)). .. لكننا نعلم أنَّ العهد القديم لم يشر البتة إلى شخص اسمه ((يسوع ابن يوسف من الناصرة)) ((ישוע בן יוסף מנצרת)). يذكر إنجيل مرقس ٣/٦ أنَّ ((المسيح)) يعمل نجاراً، في حين ذهب إنجيل متى ٥٥/١٣ إلى أنَّ ((المسيح)) هو ((ابن النجار))!! نسب ((يوسف النجار)) في الأناجيل مضطرب؛ فوالده في إنجيل متى ١٦/١ اسمه ((يعقوب))، في حين أنَّ اسم والده في إنجيل لوقا ٢٣/٣: ((هالي)).

اختلفت الأناجيل في موطنه؛ فهو في إنجيل متى ١/٢ من بيت لحم، في حين أنه في إنجيل لوقا ٢٦/١ من الناصرة. لو كانت ((مريم)) مخطوبة ((ليوسف النجار)) وثبت حملها أمام الناس؛ لوجب طبق الشريعة اليهودية رجماً (تثنية ٢٢/٢٣-٢٤)، وهو ما لم يكن!

تنصَّ شريعة اليهود على منع المرأة من الزواج من غير سبطها (العدد ٨/٣٦-٩)، في حين نقرأ أنَّ ((مريم)) من سبط لاوي (انظر؛ لوقا ٥/١ إذ إنَّ ((إليصابات قريبة)) ((مريم)) لوقا ٣٦/١) من بنات ((هارون))، كما ذكر

(١) - قال الإمام ((ابن كثير)) (تفسير القرآن العظيم، ٢٢٩٠/٤): ((وقوله تعالى: {فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَائِهَا} أي: فما قاموا بما التزموه حق القيام. وهذا دم لهم من وجهين: أحدهما) الابتداع في دين الله ما لم يأمر به الله. و(الثاني) في عدم قيامهم بما التزموه مما زعموا أنه قرينة يقرهم إلى الله عز وجل)).  
(٢) - The Catholic Encyclopedia, 1/555

قديس الكنيسة ((هيبوليتس)) ١ أن أم ((مريم)) وأم ((إليصابات)) كانتا أختين (٢)، في حين أنه قد تكرر القول إن ((يوسف النجار)) من نسل ((داود))؛ مما يعني منع زواجهما طبق شريعة اليهود.

لقد نفى القرآن الكريم ضمناً هذا الزواج، وبزاً ((مريم)) أمام قومها الذين كانوا يعتقدون ديانةً وجوب رحم الزانية المخطوبة، بمعجزة كلام ابنها في المهد؛ فكانت الرواية متناسقة ومتكاملة، متجاوزة أخطاء الأناجيل وتناقضها مع العهد القديم!

## ٩ - السبق التاريخي للقرآن الكريم على الكتب السابقة :

لا يقتصر الإعجاز القرآني والتميز التاريخي في القرآن الكريم، مقارنة بما ورد في الأسفار المقدسة عند المنصرين، على التصحيح والتعديل، بل تجاوزه إلى السبق التاريخي المعجز في أبواب التاريخ القديم للأمم الدائرة التي لا علم للعرب الجاهليين وغيرهم بأمرها المطروق في تلك اللغات القرآنية المذهلة ، ومن هذه اللوحات التاريخية المعجزة التي تشف عن المصدر العلوي لهذا الكتاب الفريد، نذكر نتفاً تغني اللبيب عن طلب المزيد:

### ١ - نجاة جنة فرعون

يقول تعالى: {وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدُوًّا حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْعَرْقُ قَالَ أَمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ آيَاتِنَا لَعَافُلُونَ} [يونس: ٩٠-٩٢]

تذكر هذه الآيات حادثة غرق فرعون، وهو ما جاء أيضاً في نص التوراة (٣)، غير أن القرآن الكريم يضيف أمرين آخرين لم تعرفهما التوراة:

١- حفظ الله سبحانه جنة فرعون المهالك من أن تبقى في البحر.

٢- نجى الله سبحانه هذه الجثة في اليوم الذي غرقت فيه لتبقى آية للناس وعبرة.

وقد بقي أمر جثث الفراعنة المحنطة مخفياً طوال قرون عديدة، ولم يكشف إلا في آخر القرن التاسع عشر حيث عثر على مومياءات الفراعنة عند فتح قبر ((المنحبت الثاني)).

ذهب باحثون كثيرون، ومنهم ((موريس بوكاي)) الطبيب، وعضو الجمعية الفرنسية للمصريّات la Société française d'égyptologie، إلى أن فرعون الخروج (٤) هو ((مرنبتاح بن رمسيس الثاني)) (٥). وقد قام الدكتور ((بوكاي)) بتقديم بيانات علمية بالغة الأهمية في هذا الشأن - لم تأخذ للأسف

(١) - هيبوليتوس (١٧٠-٢٣٦م): لاهوتي وأحد قديسي الكنيسة.

(٢) - انظر؛ عبد الرحمن بدوي، دفاع عن القرآن ضد منتقديه، ص ١٧١

(٣) - انظر؛ خروج ١٤/٢٨، مزمو ٥٣/٧٨، ١١/١٠٦

(٤) - ((فرعون الخروج)) أي الفرعون الذي لاقى ((موسى)) عليه السلام ومن معه أثناء خروجهم من مصر، و((فرعون التسخير)) هو الفرعون الذي قام بتسخير بني إسرائيل قبل ذلك. وقد ذهب عدد من علماء المصريات إلى أن ((فرعون الخروج)) هو نفسه ((فرعون التسخير))، في حين ذهب آخرون إلى أنهما اثنين، فيعد وفاة ((فرعون التسخير)) استلم حكم مصر ((فرعون الخروج))، وهو الذي مال إليه د. ((بوكاي))، وانتصر له بأدلة قوية، وهو مذهب عدد كبير من أعلام المصريات.

(٥) - أشهر فرعون آخر اقترح النقاد أنه فرعون الخروج، هو ((رمسيس الثاني))، وقد رفض ((موريس بوكاي)) هذا القول لأسباب، من أهمها أن ((الدراسة الطبية لهذه المومياء لا تقدم لنا أدنى أرضية للتفكير في ذلك. في الحقيقة، إنه من الجلي الواضح أن رمسيس الثاني كان عاجزاً تماماً عن أن يتولى تلك المهمة الحزينة قبل

الشديد حظّها من العناية من المتخصّصين-، فقد ذكر أنّ التحليل الطيّ لمومياء ((مرنتاح)) قد تمّ بين سنتي ١٩٧٤م و١٩٧٥م بمشاركة أطباء مصريين، وكان هو من المشاركين فيه. وقد استقدم من فرنسا أحد أهم المتخصصين في الطب الشرعي لبحث فرضيّة موت هذا الفرعون بفعل ارتداد الأمواج عليه والغرق في البحر.

نشرت نتائج هذا البحث في كتاب ((بوكاي)) ((مومياءات الفراعنة، الأبحاث الطبيّة المعاصرة)) (Momies du Pharaons : les enquêtes médicales modernes) الذي نال عنه جائزة الأكاديميّة الفرنسيّة، والأكاديميّة القوميّة الفرنسيّة للطب ، ملخّص النتائج كالتالي:

~ أصيبت هذه المومياء بكسور بعد الموت إثر تمزق أنسجتها.

~ فقدت كلّ الأعضاء الداخليّة للمومياء، وبالسؤال عن الرئتين (لاحتمال وجود آثار الغرق) علّم أنّهما قد اختفتا، وأنّ العادة أن ينزعهما المحتط.

~ بتحليل مجهري لقطعة صغيرة من عضل المومياء؛ أمكن اكتشاف تفاصيل تشريحيّة حفظت بصورة جيّدة أثناء عمليّة التحنيط، أكّدت أنّه من المحال أن تكون هذه الجثّة قد بقيت في الماء لفترة طويلة.

~ فقدان بعض الأعضاء في البدن أثناء حياة المومياء بما يرجح أنّ ذلك ناتج عن ضربات (blows) خارجيّة، وهو أمر أكّده صور الأشعة السينيّة (X-rays):

فقدان أجزاء من القفص الصدري والبطن (abdomen) والجمجمة بسبب ضربات تلقاها الفرعون أثناء حياته.

فجوة في الصدر من الراجح أنّها ناتجة عن إصابة أثناء حياة هذا الفرعون، ومن المستبعد تشريحياً أن تكون ناتجة عن كسر اللصوص لصدر المومياء ١.

فجوة في أسفل الظهر (١٠ على ١٥ سنتمتر)، سببها ضربة من الخارج.

فجوة في الرأس (٣٧ على ٢٣ مليمتر)، وبصورة دقيقة عند العظم الجداري الأيمن، وكانت بسبب ضربة/هبة شديدة جدّاً. ٢.

فقدان هذه الأعضاء قاد علماء التشريح إلى القول إنّ سببها هو صدمة أصابت الفرعون، وأنّه من الراجح أنّ دخول عظام الرأس إلى منطقة المخ، ودفعها للمخ بصورة عنيفة قد أدّى إلى وفاة الفرعون بصورة سريعة أو ربّما آنيّة مباشرة.

---

موته.)) (Maurice Bucaille, *Mummies of the Pharaohs, modern medical investigations*, New York: St. (Martin's Press, 1990, p.107

(١) - أشار ((بوكاي)) إلى أنّ العظم المفقود هنا كان موجوداً عندما صوّرت المومياء في أوائل القرن العشرين (يبدو أنّه كان موضوعاً فوق الفجوة بعد أن انفصل عن الجثّة).

(٢) - أبطل ((بوكاي)) من خلال صور الأشعة ودراسة جمجمة الفرعون ما رآه ((اليوت سميث)) في بداية القرن العشرين من أنّ هذه الفجوة ناتجة عن فعل اللصوص الذين أصابوا المومياءات بأضرار عند سرقة ما كان معها من جواهر (انظر؛ Maurice Bucaille, *Mummies of the Pharaohs, modern medical investigations*, p.123

~ كشفت الأشعة السينية أنه لا أثر لانفجار العظام حول الفجوات، وهذا دليل على أنّ فقدان هذه الأعضاء كان بسبب ضربّة/هبة أثناء حياة الفرعون. ١

ويضيف ((بوكاي)) قائلاً: ((قدّمت هذه الاستنتاجات مع الوثائق في أبريل ١٩٧٦م، أمام المؤسسة الفرنسية للطب الشرعي، ولم تقدّم أية اعتراضات على استنباطاتنا)) ٣.٢  
وختتم حديثه بالتأكيد على أنّ موت هذا الفرعون كان بفعل انطباق البحر عليه، وهو ما ذكره الكتاب المقدس (٤) .. وقد ذكر القرآن الكريم هذه الحقيقة وأضاف إليها أخرى؛ وهي نجاة جثة هذا الفرعون؛ لتكتمل عناصر الإعجاز والسبق.

وأشار ((بوكاي)) إلى أنّه لو بقيت الجثة فترة طويلة في الماء؛ لصار تحنيطها غير مجدٍ. وأشار هنا إلى لفظة جميلة، وهي أنّ القرآن الكريم قد أشار إلى نجاة جثة هذا الفرعون من الهلاك في الماء، في نفس اليوم الذي هلك صاحبها فيه (٥) ، وهو ما يزيد الإعجاز القرآني هنا عمقاً!

وكان ((بوكاي)) قد قال في كتابه ((الكتاب المقدس والقرآن والعلم)) ((La Bible le Coran et la Science)) حول اكتشاف جثة الفراعنة حديثاً: ((في العصر الذي كان فيه الرسول يضع القرآن في متناول الناس، كانت أبدان كل الفراعنة الذين شكّ الناس في هذا العصر الحديث خطأ أو صواباً بأنهم اهتموا بالخروج، موجودة في قبور وادي الملوك في ((طيبيا)) في الضفة المقابلة للأقصر من النيل. وقد كان الناس في هذا الزمان يجهلون كل هذا الواقع. ولم يكتشفوه إلا في أواخر القرن التاسع عشر (٦) وقد ثبت كما يقول القرآن، أنّ بدن فرعون الخروج قد نجا. أيّا كان هذا الفرعون، فإنه اليوم في صالة الموميآت الملكية في المتحف المصري في القاهرة، ميسرة رؤيته للزائرين.)) (٧)

ومّا استدلّ به لصالح إثبات أنّ ((مرنبتاح)) هو فرعون الخروج، ما جاء في مسألة مرنبتاح الشهيرة التي تضمّ الإشارة الوحيدة لإسرائيل في النصوص المصرية، فقد تعامل نصّ المسألة مع كلمة ((إسرائيل)) -لغوياً- باعتبارها دالة على شعب لا دولة له -على خلاف بقية المذكورين في النص-. وقد أورد هذا النص انتصارات

(١) - انظر؛ Maurice Bucaille, *Moses and Pharaoh*, pp. 127- 128. انظر أيضاً؛ Maurice Bucaille, *Mummies of the Pharaohs, modern medical investigations*, pp. 156-160

(٢) - Maurice Bucaille, *Moses and Pharaoh*, p. 128

(٣) - شاع القول بتسفيه أن يكون ((مرنبتاح)) هو فرعون الخروج -لدى من ينكرون هذا القول-، بدعوى أنّه ليس للقائلين بذلك إلاّ حجة واحدة وهي آثار الملح على المومياء كدليل على الغرق، وهو ما ليس بحجة لأنّ عملية التحنيط تستدعي استعمال الملح (انظر؛ لؤي فتوح وشذى الدركري، التاريخ يشهد بعضمة القرآن العظيم، تاريخ بني إسرائيل المبكر، ص ١٢٤)!! وأنت ترى هنا أنّ كلّ الأدلة المعروضة في هذا الملخص لا تعلق لها بالملح وبقائه في جثة المومياء!! انظر في تفصيل الأدلة على أنّ مرنبتاح هو فرعون الخروج، والرّد على المخالفين، محمد بيومي مهران، دراسات تاريخية في القرآن الكريم، ٣٠٨-٣٢٩

(٤) - انظر؛ Maurice Bucaille, *Moses and Pharaoh*, pp. 128- 129

(٥) - انظر؛ Maurice Bucaille, *Mummies of the Pharaohs, modern medical investigations*, pp.158, 160

(٦) - (في عصر الأسرة الحادية والعشرين حينما توفي كبير كهنة آمون (بيئودجيم الثاني)) قرر زملاؤه الكهنة إخماء العيث بنحث الفراعنة فجمعوا جثثهم واتخذوا من دفن كبير الكهنة ستاراً ودفنوا الجميع في قبر الملكة ((إنحاي)) بالدير البحري والذي تم توسعته ليتسع لجميع جثث الفراعنة منذ عصر الأسرة الثامنة عشرة. وأغلقوا القبر . وسجلوا أن ذلك قد تم في السنة العاشرة من حكم الملك ((سيامون)) في عام ٩٦٩ ق.م.

وردوا المدخل تماماً وضيعوا المعالم حوله حتى لا يستدل عليه اللصوص فيقبر الجديدي سالما من عبث اللصوص لأكثر من ٢٨٠٠ سنة ونسي تماماً وسمي ((حييفة الدير البحري)) ويحتوي على جميع المومياءات ومن بينها مومياء رمسيس الثاني.)) (رشدي البدرائي، موسى وهارون عليهما السلام من هو فرعون موسى؟، نسخة إلكترونية)

(٧) - موهيس بوكاي، التوراة والإنجيل والقرآن والعلم، دار الكندي، ط ٢، ص ٢٠٤

الفرعون: ((الأمرء منبطحون يصرخون طالبين الرحمة، وليس من بين الأقواس التسعة من يرفع رأسه، الخراب للتحنو، بلاد خاتي هادئة، وكنعان قد استلبت في قسوة، وأخذت عقلا، وقبض على جازر، وصارت ينوعام كأن لم يكن لها وجود، وإسرائيل قد خربت وأزيلت بذرتها، أصبحت خارو أرملة لمصر.)) (١)

((خربت/ضاعت إسرائيل، وأزيلت بذرتها.)) على غير العادة في نصوص هذه المسئلة، فإن العلامة المرتبطة بكلمة ((إسرائيل)) ليست علامة دولة، أو مدينة، وإنما علامة تدلّ على طائفة من الناس، من الممكن الربط بين هذا النصّ وبين ما جاء في القرآن الكريم من قتل الفرعون لذرية بني إسرائيل: {إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضِعُّ طَائِفَةً مِّنْهُمْ يُدَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ} [القصص: ٤]، {وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَدْرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذُرْكُمُ الْأَهْلِكَ قَالَ سَنُقَاتِلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهُونَ} [الأعراف: ١٢٧] وقد جاء أمر قتل ذرية اليهود أيضًا في التوراة. (خروج ١٥ / ١-٢٢)

## ٢- وسائل التعذيب في زمن فرعون

قال تعالى مصورًا ما حدث من تحدّ بين سحرة فرعون و((موسى)) عليه السلام، وكيف آمن السحرة بالله وحده وكفروا بفرعون لما انبهروا بمعجزة العصا التي تحوّلت إلى حية حقيقية؛ فقرّر فرعون الانتقام منهم: {قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّمَا أَنْ تُلْقِيَ وَإِنَّمَا أَنْ تَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا جِبَاهُهُمْ وَعَصِيهِمْ يُحِيلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُّوسَى قُلْنَا لَا تَحْزَنْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى وَالْقَ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفَ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدٌ سَاحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى فَأَلْقَى السَّحْرَةَ سُجَّدًا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ أَدْنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمْ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السَّحْرَ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِّنْ خِلَافٍ وَلَا أَصْلَابَكُمْ فِي جُدُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمَنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى} [طه: ٦٥-٧١]

ذكر القرآن الكريم هاهنا وسائل التعذيب في زمن فرعون، وقد نشر الدكتور ((أحمد عبد الحميد يوسف)) نصًا ورد في معبد عمدا من بلاد النوبة المصرية يصوّر وسائل التعذيب في زمان فرعون، وهو يرجع إلى السنة الرابعة من عهد ((مرنبتاح)) (٢) (حوالي سنة ١٢٢٠ ق.م)، وهو يؤكّد أنّ ((مرنبتاح)) قد عذب الناس بقطع من خلاف وصلب.. (٣)

ولا بدّ من الملاحظة في هذا المقام، أنّ القرآن قد انفرّد بذكر إيمان السحرة، بالله سبحانه، وهو ردّ فعل منطقي من قوم امتهنوا السحر، فلما جاءهم من بزهم في ما برعوا فيه، وعلموا أنّ ما قام به هو أعظم ممّا صنعوا، وأنه حقّ لا مجرد خيال، أسلموا لله ربّ العالمين..

(١) - محمد بيومي مهران، دراسات تاريخية في القرآن الكريم، ٣١١-٣١٢

(٢) - رجح العديد من النقاد كما سبق، أنّ ((مرنبتاح)) هو فرعون الخروج.

(٣) - انظر، أحمد عبد الحميد يوسف، مصر في القرآن والسنة، ص ١١٠، و A. A. Joussef, *Merenptah's Fourth year at Amada*, ASAE, I. VIII, 1964, P. 237

نقله، د. محمد بيومي مهران، دراسات تاريخية في القرآن الكريم، ٢٠٠/٢

والسؤال الذي نواجهه به المنصّرين هو: لم يورد القرآن هذه الواقعة ويعقبها بذكر حقيقة تاريخية ما كان يعلمها الناس ذاك الزمان ولم ترد في التوراة، إلا أن تكون وحيًا من الحق سبحانه؟!

### ٣- صعود فرعون إلى السماء

قال تعالى: { وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانَ ابْنِ لِي صَرِّحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ الْأَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لأَظُنُّهُ كَاذِبًا وَكَذَلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءُ عَمَلِهِ وَصُدَّ عَنِ السَّبِيلِ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ } [غافر: ٣٦] ، يتحدث اليوم علماء ((المصريات)) عن اعتقاد كان راسخًا عند الفراعنة أنه بإمكان الفرعون أن يصعد إلى السماء على سلم أو برج ليرى الآلهة هناك؛ ويؤكد ((ألن ف. سجال)) (( Alan F. Segal )) هذه الحقيقة بقوله: ((تظهر العديد من الكتابات في نصوص الأهرامات أنّ الفرعون يصعد إلى السماء باستعمال سلم. ن. يصعد على سلم أعدّه له أبوه ((رع)). أو صنعت (الآلهة) سلمًا ل ((ن)) ليصعد به إلى السماء.)) (١) وقد أشار الباحث ((بيتري)) إلى تفشّي ((الفكرة الدينية في الرغبة في الصعود إلى الآلهة في السماء)) في مصر الفراعنة. (٢) ، ويذهب الكثير من علماء ((المصريات)) إلى أنّ الاعتقاد عند قدماء المصريين كان على أنّ الأهرامات ذاتها وسيلة الفرعون لبلوغ السماء. (٣)

### ٤- حفظ القمح في سنبله

قال تعالى: { يُوسُفُ أَيُّهَا الصّٰدِيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقْرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعُ عِجَافٍ وَسَبْعِ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ لَعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأْبًا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُعَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْرِضُونَ } [يوسف: ٤٥-٤٩] .

تفرد القرآن الكريم بذكر خبرٍ في قصة ((يوسف)) عليه السلام لم يرد في التوراة .. والناظر في هذه الزيادة قد لا يرى لها -من وجهة نظره- أهمية خاصة .. ولكنّ الله سبحانه وتعالى العليم الحكيم، يأبى إلا أن يجعل نور الإعجاز يسري في آي القرآن مدى الزمان .. ونحن اليوم قادرون على أن نفهم إحدى حكم إيراد هذه الزيادة التي تمثل مقطعًا من قصة ((يوسف)) عليه السلام غفلت عنه التوراة اليهودية-النصرانية ..

المقطع هو نصح ((يوسف)) عليه السلام لملك مصر أن يحفظ الحبّ في سنبله، رغم أنّ أهل مصر ما كان من عادتهم أن يفعلوا ذلك عند التخزين. وجليّ أنّ الغاية من هذه الوسيلة في الحفظ هي الإبقاء على القيمة الغذائية والصحيّة للحبّ أيام التخزين للاستفادة منه عند المجاعة التي ستجتاح البلاد ، وقد قدّم أحد

(١) - Alan F. Segal, Life After Death: A history of the afterlife in the religions of the West, New York : Doubleday, 2004, p.38

(٢) - د. لوي فنوحي ود. شذى الدركري، التاريخ يشهد بعصمة القرآن العظيم، تاريخ بني إسرائيل المبكر، لندن: دار الحكمة، ١٤٢٢هـ، ٢٠٠٢م، ص ١٣٣

(٣) - انظر؛ Jon Manchip White, Everyday Life in Ancient Egypt, Courier Dover Publications, 2003, p.47; Brian M. Fagan, From Stonehenge to Samarkand: an anthology of archaeological travel writing, New York : Oxford University Press, 2006, p.10, Emmet John Sweeney, The Genesis of Israel and Egypt, Algora Publishing, 2008, 1/32

الباحثين(١) في مؤتمر الإعجاز العلمي في الكويت(٢) بحثًا عن جانب الإعجاز في ما ورد على لسان ((يوسف)) عليه السلام ؛ فقال : ((إن الذي يوقفنا في الآية الكريمة ملحوظتان علميتان:

١ . تحديد مدة صلاحية حبة الزرع في خمس عشرة سنة هي حصيللة سبع سنوات يزرع الناس ويحصدون خلالها دأبًا وتتابعًا وهي سنوات الخصب والعطاء، يليها سبع سنوات شداد عجاف هي سنوات الجفاف، يليها سنة واحدة هي السنة الخامسة عشرة وفيها يغاث الناس وفيها يعصرون من الفواكه، وقد أفاد البحث العلمي أن مدة ١٥ سنة هي المدة القصوى لاستمرار الحبوب محافظة على طاقة النمو والتطور فيها.

٢ . طريقة التخزين وهو قوله تعالى ((فدروه في سنبله)) وهي الطريقة العلمية الأهم في بحثنا: وفي إطار ترك البذور أو الحبوب في السنابل . قمنا ببحث تجريبي مدقق حول بذور قمح تركناها في سنبله لمدة تصل إلى سنتين مقارنة مع بذور مجردة من سنابلها، وأظهرت النتائج الأولية أن السنابل لم يطرأ عليها أي تغيير صحي و بقيت حالتها ١٠٠%.

مع العلم أن مكان التخزين كان عاديًا ولم ترع فيه شروط الحرارة أو الرطوبة أو ما إلى ذلك. وفي هذا الإطار تبين أنّ البذور التي تركناها في سنابلها فقدت كمية مهمة من الماء وأصبحت جافة مع مرور الوقت بالمقارنة مع البذور المعزولة من سنابلها، وهذا يعني أن نسبة ٢٠.٣% من وزن القمح المجرد من سنبله مكون من الماء مما يؤثر سلبيًا على مقدرة هذه البذور من ناحية زرعها ونموها ومن ناحية قدرتها الغذائية لأن وجود الماء يسهل من تعفنه وترديه صحي.

ثم قمنا بمقارنة مميزات النمو (طول الجذور، وطول الجذوع) بين بذور بقيت في سنبلها وأخرى مجردة منها لمدة تصل إلى سنتين؛ فتبين أن البذور في السنابل هي أحسن نموًا بنسبة ٢٠% بالنسبة لطول الجذور و ٣٢% بالنسبة لطول الجذوع. وموازية مع هذه النتائج قمنا بتقدير البروتينات والسكريات العامة التي تبقى بدون تغيير أو نقصان؛ أما البذور التي تعزل من السنابل فتتخفف كميته بنسبة ٣٢% من البروتينات مع مرور الوقت بعد سنتين وبنسبة ٢٠% بعد سنة واحدة.

وبهذا يتبين في هذا البحث أن أحسن وأفضل تخزين للبذور هي الطريقة التي أشار بها ((يوسف)) عليه السلام وهي من وحي الله. ومن المعلوم أن هذه الطريقة لم تكن متبعة في القدم وخاصة عند المصريين القدامى الذين كانوا يختزنون الحبوب على شكل بذور معزولة عن سنابلها؛ وهذا يعتبر وجهًا من وجوه الإعجاز العلمي في تخزين البذور والحبوب في السنابل حتى لا يطرأ عليها أي تغيير أو فساد مما يؤكد عظمة الوحي ودقة ما فيه من علم.)) (٣)

## ١٠ - القرآن الكريم يصحح الأخطاء العلميّة للكتاب المقدس

(١) - د. عبد المجيد بلعابد. ، وقد كشف هذا السبق العلمي أيضا د. محمد جمال الدين الفندي منذ بضعة عقود في كتابه ((الإسلام وقوانين الوجود))، القاهرة:

الهيئة العامة للكتاب، ١٩٨٢، ص ١٢٧

(٢) - انعقد في تاريخ ٢٥ نوفمبر ٢٠٠٦

(٣) - نشر هذا البحث موقع "الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة" <http://www.nooran.org/O/> ١٠/١٠/٢٠١٢.htm

لم تكن البلاد العربية عرضة للأفكار العلمية المتطورة في الإمبراطوريتين الرومانية والفارسية، نتيجة غياب التواصل المعرفي بينهما، وبساطة أنماط الحياة الصحراوية التي تعتمد على التجارة البيئية ورعي الإبل وزراعة النخيل، والاعتقاد في الآلهة أنّها تورث الخصب والصحة والثراء؛ إذ في غضبها ورضاها تفسر الظواهر الكونية في البشر والبيئة .. في ظلّ هذه الظروف، يستدعي العقل القول إنّ القرآن لن يجد حرجاً في نقل أفكار أهل الكتاب مادامت لا تجد مخالفة من علم عربي ثابت في بيئة الصحراء، إن صحّ الزعم بدعوى الاقتباس من أسفار أهل الكتاب.. ولكن عند النظر في ما ورد في القرآن الكريم؛ يستبين الناظر أنّ القرآن خالف صراحة أو ضمناً أفكاراً علمية خاطئة في الكتاب المقدس .. وسنستعرض هنا بعضها تمثيلاً لهذه الحقيقة بعد أن نعلن الحقيقة التي كشفتها ترجمة أورشليم للكتاب المقدس، وتبنتها ترجمة الرهبانية اليسوعية العربية في هامشها الأول المتعلق بقصة الخلق في سفر التكوين، وهي أنّ: ((النصّ يستند إلى علم لا يزال في عهد الطفولة. فلا حاجة إلى التفنن في إقامة التوافق بين هذه الصور وعلومنا العصرية.)) (١) ..

إنّ الكتاب المقدس، إذن، يقدم لنا الطفولة الساذجة للعلم البدائي الغرّ!! وشهد شاهد من أهلها!

## ١ - شكل الأرض بين الكتاب المقدس والقرآن

تضمّن الكتاب المقدس نصوصاً كثيرة تدلّ في مجموعها على ترسخ اعتقاد أنّ الأرض منبسطة، وأنّ لها أركاناً أربعة، وحواش في نهاياتها: فالأرض مسطّحة في الكتاب المقدس :

\* ((ثم أخذ إبليس أيضاً إلى قمة جبل عال جداً، وأراه جميع ممالك العالم وعظمتها)) (متى ٤/٨) .. أخذ إبليسُ المسيح إلى جبل ٢ عال جداً تطلّ قمته على جميع الأرض .. وهذا نظرياً محال إلا أن تكون الأرض مسطّحة .. ولاحظ عبارة ((عالٍ جداً للدلالة على أنّ المقصود هو العلو المادي الحقيقي الذي يمكن صاحبه من أن يطلّ على جميع الأرض!

\* ((وهذه هي الرؤيا التي شهدتها في منامي: رأيت وإذا بشجرة منتصبة في وسط الأرض ذات ارتفاع عظيم، وقد نمت الشجرة وقويت حتى بلغ ارتفاعها السماء، وبدت للعيان حتى إلى أطراف الأرض.)) (دانيال ٤/١٠ - ١١) .. ورد في هذه الرؤيا أن شجرة كانت في وسط الأرض (!) ولعظم علوها؛ فقد أطلت على جميع الأرض، حتى أطرافها، ولا يمنع كونها رؤيا منامية، عكسها لتصور بدائيّ لشكل الأرض عند كاتب/محرّر/معدّل سفر دانيال!!

صرح الكتاب المقدس أن للأرض أطرافاً: \* ((يا رب عزّي وحصني وملجائي في يوم الضيق إليك تأتي الأمم من أطراف الأرض ...)) (إرمياء ١٦/١٩)

(١) - ترجمة الرهبانية اليسوعية، ط٣، بيروت: دار المشرق، ١٩٩٤م، ص ٦٨  
(٢) - يبدو أنّ مؤلّف إنجيل لوقا قد اتّبعه إلى نكارة ما أورده مؤلّف إنجيل متى من وجود جبل يطلّ على جميع العالم؛ ولذلك حذف ذكر الجبل، واكتفى بالقول إنّ المسيح قد (أصعد) ((αναγαγων))، لكنّه لم يستطع أن يفلت من الخطأ العلمي في تصور وجود مكان من الممكن أن يطلّ منه على جميع البلاد المسكونة، وقد وقع في الزلل العلمي رغم أنّه قد (ضيق) العرض البصري من ((ممالك العالم)) ((τὰς βασιλείας του κόσμου)) (متى ٤/٨) إلى ((الممالك التي يسكنها البشر)) ((τὰς βασιλείας της οικουμένης)) (لوقا ٤/٥)!!

\* ((ليمسك بأطراف الأرض فينفض الأشرار منها؟)) (أيوب ٣٨/١٣) (الفاندايك)

\* ((تحت كل السماوات يطلقها كذا نوره إلى أطراف الأرض.)) (أيوب ٣٧/٣) .. أَكْرَهُ ذات أطراف؟! (١)

لقد جاءت ترجمة الفولجات دقيقة في ضبط معنى النصّ العبري: ((extremis)) و((extrema)) و((terminos)) في الدلالة على الحدود القصوى للأرض التي تمثل أطرافها!

### صرح الكتاب المقدس أن للأرض أركاناً أربعة:

((وينصب راية للأمم ويجمع منفيي إسرائيل ومشتتي يهوذا من أربعة أطراف الأرض)) (إشعياء ١١/١٢) ..

ثبوت الأطراف الأربعة؛ يثبت هندسيًا الزوايا الأربع! (٢)

((وبعد هذا رأيت أربعة ملائكة واقفين على أربع زوايا الأرض، ممسكين أربع رياح الأرض لكي لا تهب ريح

على الأرض ولا على البحر ولا على شجرة ما.)) (رؤيا ١/٧) (الفاندايك)

((فيخرج ليضلل الأمم في زوايا الأرض الأربع، جوج ومأجوج، ويجمعهم للقتال، وعددهم كثير جدًا كرمل

البحر!)) (رؤيا ٨/٢٠) .. كيف تكون الكرة بأطراف أو زوايا؟! (٤)

وقد شتّع قديس الكنيسة ((يوحنا ذهبي الفم)) (٣) في تعليقه على الرسالة إلى العبرانيين ١/٨ على

القائلين بكروية الأرض، بقوله: ((أين هؤلاء الذين يقولون إنّ السماء تدور من حولنا؟ أين هؤلاء الذين يعلنون

أفكاراً كروية؟ هاتان الفكرتان قد هزمتا هاهنا!)) (٤)

جاء التصريح في المقابل بكروية الأرض في القرآن الكريم، ودلت السنة الشريفة على نفس الأمر، وأجمع

أهل الإسلام منذ القرون الأولى على هذه الحقيقة؛ يقول شيخ الإسلام ((ابن تيمية)): ((ثبت بالكتاب والسنة

وإجماع علماء الأمة أن الأفلاك مستديرة، قال الله تعالى: { وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ

{ [فصلت: ٣٧]، وقال: { وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ

(١) - جاء الحديث في القرآن الكريم عن أطراف الأرض: { أَوْمٌ يَرَوْنَ أَنَا نَأْيُ الْأَرْضِ نَنفُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا وَاللَّهُ يَخْتَكِمُ لَا تَمَنَّهُ لِخَيْبٍ وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ وَقَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلِلَّهِ الْمَكْرُ جَمِيعًا يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ وَسَيَعْلَمُ الْكُفَّارُ لِمَنْ عُقْبَى الدَّارِ } (سورة الرعد/ الآيات ٤١-٤٢)، و{ لَيْلٌ مَتَّعْنَا هَؤُلَاءِ وَأَنَاءَهُمْ حَتَّى طَالَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَا نَأْيُ الْأَرْضِ نَنفُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا أَفَهُمُ الْغَالِبُونَ } (سورة الأنبياء/ ٤٤) .. والسياق هنا قاطع في دلالاته على أطراف (حواشي) الأرض التي يُمكن فيها أهل الباطل، وأنها تنقص؛ لاستمرار أهل الكفر في الانحراف عن صراط الحق؛ قال ((الزخشرى)): ((تنقص أرض الكفر ودار الحرب، وتخذف أطرافها بتسليط المسلمين عليها وإظهارهم على أهلها وردها دار إسلام.)) (الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعبون الأقاويل في وجوه التأويل، ت/ عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض وقتحي حجازي، الرياض: مكتبة العبيكان، ١٤١٨هـ، ١٩٩٨م، ١٤٧/٤)، وقال ((سيد قطب)): ((إن يد الله القوية لبادية الآثار فيما حولهم، فهي تأتي الأمم القوية الغنية . حين تبطر وتكفر وتفسد . فتتفص من قوتها وتنقص من ثرائها وتنقص من قدرها؛ وتحصرها في رقة من الأرض ضيقة بعد أن كانت ذات سلطان وذات امتداد، وإذا حكم الله عليها بالانحسار فلا معقب لحكمه، ولا بد له من النفاذ)) (في ظلال القرآن، القاهرة: دار الشروق، ١٤٢٥هـ- ٢٠٠٤م، ط ٣٤، ٤/٢٠٦٥) .. وقال ((ابن الأعرابي)): الطَّرْفُ والطَّرْفُ الرجل الكريم. قال ((القشيري)): وعلى هذا فالأطراف الأشراف. (أبو حيان الأندلسي، البحر المحیط، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٢هـ، ٢٠٠١م، ٣٨٩/٥) .. فإذا قلنا إنّ ((أطراف)) في الآيتين تعني ((حواشي الشيء))؛ يكون المعنى بدلالة السياق: نقصان أرض الكفر، وأما إن فهمت كلمة ((أطراف)) بمعنى ((أشراف الناس))؛ كان المعنى هو: هلاك الأشراف .. فليست هناك صلة سياقية بين ((الأطراف)) وحدود الأرض كشكل هندسي مسطح له نهايات جانبية!

(٢) - اختارت الكثير من الترجمات الإنجليزية كلمة ((comers)) ((الزوايا)) ك: ((The King James Version)) و((The English Standard Version)) و((The Darby Translation)) و((The American Standard Version)) و((The Amplified Bible))

وهو نفس ما اختارته الترجمة الفرنسية ((La Bible de Semeur)) باعتبارها كلمة: ((coins)) ..

(٣) - يوحنا ذهبي الفم (٣٤٧م-٤٠٧م): رئيس أساقفة القسطنطينية. من أبرز اللاهوتيين النصارى الأوائل. يعتبر من أهم قديسي الكنيسة الأرثوذكسية، كما أنه من المراجع الكبرى للكنيسة الكاثوليكية. لقب بـ((ذهبي الفم)) لبلاغته في مواضعه وخطبه.

(٤) - John Chrysostom, 'Homily xiv on Hebrews,' in Nicene and Post-Nicene Fathers, New York: The Christian Literature Company, 1890, 14/433

{ [الانباء: ٣٣]، وقال تعالى: { لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ } . [يس : ٤٠]

قال ((ابن عباس)): في فلكة مثل فلكة المغزل. وهكذا هو في لسان العرب: الفلك الشيء المستدير، ومنه يقال: تغلك ثدي الجارية إذا استدار، قال تعالى: { يُكْوَرُ اللَّيْلُ عَلَى النَّهَارِ وَيُكْوَرُ النَّهَارُ عَلَى اللَّيْلِ } [الزمر: ٥]، والتكوير: هو التدوير، ومنه قيل: كار العمامة، وكورها إذا أدارها، ومنه قيل للككرة كرة، وهي الجسم المستدير، ولهذا يقال للأفلاك: كروية الشكل (...). وقال النبي ﷺ للأعرابي الذي قال: إنا نستشفع بك على الله، ونستشفع بالله عليك. فقال: ((ويحك! إن الله لا يُستشفع به على أحد من خلقه، إن شأنه أعظم من ذلك، إن عرشه على سماواته هكذا)) وقال بيده مثل القبة: ((وإنه ليعط به أطيظ الرجل الجديد براكبه)). رواه أبو داود وغيره من حديث جبير بن مطعم عن النبي ﷺ، وفي الصحيحين عن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: ((إذا سألتم الله الجنة؛ فاسألوه الفردوس؛ فإنها أعلى الجنة، وأوسط الجنة، وسقفها عرش الرحمن))؛ فقد أخبر أن الفردوس هي الأعلى والأوسط، وهذا لا يكون إلا في الصورة المستديرة، فأما المربع ونحوه؛ فليس أوسطه أعلاه، بل هو متساوٍ.)) (١)

وسئل رحمه الله عن رجلين تنازعا في (كيفية السماء والأرض) هل هما (جسمان كريان)؟ فقال أحدهما كريان، وأنكر الآخر هذه المقالة وقال: ليس لها أصل وردها فما الصواب؟ فأجاب: ((السموات مستديرة عند علماء المسلمين، وقد حكى إجماع المسلمين على ذلك غير واحد من العلماء أئمة الإسلام: مثل أبي الحسين أحمد بن جعفر بن المنادي أحد الأعيان الكبار من الطبقة الثانية من أصحاب الإمام أحمد وله نحو أربعمائة مصنف، وحكى الإجماع على ذلك الإمام أبو محمد بن حزم وأبو الفرج بن الجوزي، وروى العلماء ذلك بالأسانيد المعروفة عن الصحابة والتابعين، وذكروا ذلك من كتاب الله وسنة رسوله، وبسطوا القول في ذلك بالدلائل السمعية، وإن كان قد أقيم على ذلك أيضًا دلائل حسابية.)) (٢)

## ٢ - أعمدة السماء

تعتبر الجبال في الكتاب المقدس أعمدة تحمل قبة السماء حتى لا تقع على الأرض أوردتها ترجمة ((The Revised Standard Version))، وهو نفس الاعتقاد الذي كان شائعًا في الأدبيات المصرية القديمة والأكاديمية واليونانية... (٣) أهم النصوص الكتابية الدالة على هذا الأمر ما جاء في سفر أيوب ١١/٢٦: ((من زجره ترتعش أعمدة السماء وترتعد من تفرعه.))، يقول التعليق على الكتاب المقدس ((Eerdmans

(١) - ابن تيمية، مجموع الفتاوى، المدينة المنورة: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ١٤٢٥هـ، ٢٠٠٤م، ١٩٣/٢٥-١٩٤

(٢) - ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ٥٨٦/٦

(٣) - انظر التفصيل: [http://www.bibleandscience.com/bible/books/genesis/genesis\\_pillarsheaven.htm](http://www.bibleandscience.com/bible/books/genesis/genesis_pillarsheaven.htm)

(1/5/2010)

Commentary on the Bible)) في هذا النص: ((أعمدة السماء في العدد ١١ هي الجبال التي تحمل السماء)) (١).

لا نجد البتة في القرآن الكريم حديثًا عن دور الجبال في إمساك السماء، رغم وفرة الآيات التي تصف الجبال ووظائفها، وإنما نجد في القرآن الكريم نفيًا لوجود أعمدة مادية تمسك السماء: { خَلَقَ السَّمَاوَاتِ بِعَجْرِ عَمَدٍ تَرْوِيهَا وَالْقَمَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِي أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ } [لقمان: ١٠]، لقد جمعت هذه الآية بين حقيقتين تخدمان خرافة الكتاب المقدس:

الأولى: غياب أعمدة من الممكن أن تبصرها العين، تمسك السماء.

الثانية: أنّ وظيفة الجبال هي تثبيت الأرض لا إمساك السماء.

### ٣- الأرض الثابتة:

جاء في مزمو ١/٩٣: ((الرب قد ملك مرتديًا الجلال. منتطفاً بجزام القوة. الأرض تثبتت فلن تتزعزع.)) ، و مزمو ٥/١٠٤: ((المؤسس الأرض على قواعدها فلا تتزعزع إلى الدهر والأبد.))

أخبار الأيام الأول ٣٠/١٦: ((ارتعدي أمامه ياكل الأرض، هوذا الأرض قد استقرت ثابتة.)) ،

قررت النصوص السابقة أنّ الأرض ثابتة لا تتحرك، في حين جاء النص القرآني في إثبات أنّ كلّ شيء يسير في خط متفلك (دائري)، قال تعالى { وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ } [الانبيا: ٣٣]. تثبت هذه الآية أنّ الأرض متحركة غير جامدة من أوجه:

أولاً: الليل والنهار هنا ظرفاً زمان، كناية عن ظرف المكان وهو (الأرض)؛ إذ إنّ الليل والنهار لا يتحركان في خط دائري، وإطلاق الظرف وإرادة المحل والمكان من معهود القرآن الكريم ولغة العرب.

ثانياً: جاء الفعل في صيغة الجمع (يسبحون)؛ بما يؤكد أنّ متعلّقه جمعٌ؛ وهو: الشمس + القمر + ما دلّ عليها الليل والنهار؛ وهو الأرض.

ثالثاً: استعمال لفظ ((خلق)) لا ((جعل)) في الحديث عن (الليل) و(النهار) رغم أنّهما عرض لا جوهر؛ بما يؤكد أنّ المعنى المقصود هو الأرض المتحركة التي يصدق عليها لفظ الخلق. وقال تعالى { وترى الأرض تحسبها جامدة وهي تمرّ بالسحاب صنع الله الذي أتقن كل شيء } [النمل: ٨٨] فالأرض يحسبها من عليها جامدة لا تتحرك لكنها في الحقيقة تمرّ بالسحاب أي تتحرك كالسحاب في الفضاء .

### ٤- الجبال

يقرّر الكتاب المقدس أنّ الأرض قائمة على جبال تحملها من تحتها؛ فقد جاء في ١ صموئيل ٨/٢: ((ينهض المسكين من التراب، ويرفع البائس من كومة الرماد، ليجلسه مع النبلاء، ويملكه عرش المجد، لأن للرب

أساسات الأرض التي أرسى عليها المسكونة.))، ولما وصف النبي ((يونان)) غرقه قال: ((قَدْ أَكْتَنَفْتَنِي مِیَاةً إِلَى النَّفْسِ. أَخَاطَ بِي عَمْرٌ. ائْتَفَّ عَشْبُ الْبَحْرِ بِرَأْسِي. نَزَلْتُ إِلَى أَسْفَلِ الْجِبَالِ. مَعَالِيقُ الْأَرْضِ عَلَيَّ إِلَى الْأَبَدِ. ثُمَّ أَصْعَدْتُ مِنْ الْوَهْدَةِ حَيَاتِي أَيُّهَا الرَّبُّ إِلَهِي.)) (يونان ٢/٥-٦) .. لقد وجد ((يونان)) نفسه تحت ((أسافل)) (قصبیم) - جمع ((قاع)) ((أسفل)) (قصب) (١)

- الجبال؛ فالجبال هي مجرّد نتوء على وجه الأرض، وبإمكان المرء أن يرى قاع الجبل من البحر، إذ الأرض قائمة على المياه؛ فقد جاء في مزمور ٦/١٣٦: ((الباسط الأرض فوق المياه، لأن رحمته إلى الأبد تدوم.)) ومزمور ٢٤/١-٢: ((للرب الأرض وكل ما فيها. له العالم، وجميع الساكنين فيه؛ لأنه هو أسس الأرض على البحار، وثبتها على الأتھار.))

وقد علّق الناقد ((جوليس أ. بور)) ((Julius A. Bewer)) ٢ على نصّ يونان ٦/٢ بقوله: ((اعتقد اليهود أنّ الأرض مؤسّسة على محيط مائي أسفلها، المزمور ٢٤/٢، وأنّ نهايات الجبال، أعمدة الأرض، تمتد عمقاً إلى الأسس. انظر مزمور ١٨/١٦)) ٣

الجبال في القرآن الكريم ليست أعمدة للسماء، وإتّما هي تمسك الأرض حتى لا تضطرب أو تميد راجع للمبحث الرابع لهذا الدليل: {أَمْ نَجْعَلُ الْأَرْضَ مِهَادًا وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا} [النبأ: ٦-٧]، {وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ} [النحل: ١٥]، {وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ} [الانبياء: ٣١]، {أَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ} [الملك: ١٦]

وهنا: وصف القرآن الكريم الجبال أنّها مثل الوتد، وهو قطعة من الخشب أو الحديد تغرز في الأرض لتشدّد الخيمة، ويكون جزؤها الأكبر مخفيًا تحت الأرض، بيّن القرآن الكريم وظيفتها وهي حفظ الأرض من أن تميد، أظهر القرآن الكريم أنّ باطن الأرض يحمل طبيعة مضطربة غير ساكنة.

يشهد العلم الحديث اليوم على دقّة هذه الأوصاف الثلاثة (٤)، التي لم تعرف إلا منذ بضعة عقود بعد دراسات جادة من العلماء المتخصصين. (٥)

## ٥- السحب الصلبة

(١) - عرفها المعجمي ((ويليم جنيس)) في هذا السياق بـ((نحاية)) ((أسفل)) (William Gesenius, A Hebrew and English Lexicon of the Old Testament, tr. Edward Robinson, ed. Francis Brown, Oxford: Clarendon Press, 1907, p.891)

(٢) - جوليس أ. بور: أستاذ الفيلولوجيا الكتابية في ((Union Theological Seminary)) بنيويورك.

(٣) - Julius A. Bewer, A critical and Exegetical Commentary on Haggai, Zechariah, Malachi and Jonah, - A Critical and Exegetical Commentary on Jonah, New York: Charles Scribner, 1912, p.46

(٤) - وظيفة الجبال في حفظ الأرض من أن تميد قال بها العالم الأميركي ((فرنك برس)) ((Frank Press)) الرئيس السابق للأكاديمية الأميركية للعلوم، في كتابه ((أرض)) ((Earth)) الذي هو من الكتب المقررة في عدد من جامعات العالم في دراسة الجيولوجيا (انظر؛ Frank Press, and Raymond Siever, Earth, 3rd ed. San Francisco: W. H. Freeman & Company, 1982)، ولم يشع بعد القول بهذا الأمر بين المتخصصين في الجيولوجيا.

(٥) - انظر؛ Z. R. El-Naggar, the Geological Concept of Mountains in the Qur'an, Cairo: Al-Falah Foundation, 1424/2003، زغلول النجار، موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، الأرض، بيروت: دار المعرفة، ١٤٢٨هـ، ٢٠٠٧م، ص ٢٠١-

جاء في سفر أيوب ٢٦/٨: ((يَصْرُّ المياہ في سحبه فلا يتحرق الغيم تحتها.))، جاء في شرح هذا النص في التعليق على الكتاب المقدس ((Eerdmans Commentary on the Bible)): ((اعتبرت السحب هنا كالسقاء (waterskin) الذي يحمل في داخله الماء، وبصورة خارقة لم يتمزق.)) (١) فالسحب عند كاتب هذا السفر تحتزن الماء في داخلها كما يحتزن السقاء المصنوع من جلد الحيوانات الماء، ثم تحمله إلى مسافات بعيدة دون أن يسقط منه شيء، بصورة معجزة .. ! ويؤكد الحبر اليهودي العَلَم (راشي) هذا المعنى في تعليقه على هذا النص بقوله عن الغيم إنه لا يتمزق ((أبدًا حتى ينزل ماؤه جميعًا مع بعض.)).

في مقابل هذا التصور البدائي الساذج لطبيعة السحب، يقرر القرآن الكريم أن السحب تنزل الماء مباشرة بعد تكونه فيها، في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رِجَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ وَيُنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَنِ مَنْ يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ﴾ [النور: ٤٣]، يكشف استعمال حرف الفاء الذي يدل على التعاقب السريع، أنه ما إن تراكم السحب وتصبح ذات طبيعة ماطرة حتى ينزل (الودق) أي المطر! (٢)

## ٦- نشأة اللغات

يفسر الكتاب المقدس تعدد لغات البشر، تفسيرًا خرافيًا بقوله: ((وَكَانَ أَهْلُ الْأَرْضِ جَمِيعًا يَتَكَلَّمُونَ أَوْلًا بِلِسَانٍ وَاحِدٍ وَلُغَةٍ وَاحِدَةٍ. وَإِذِ ارْتَحَلُوا شَرْقًا وَجَدُوا سَهْلًا فِي أَرْضٍ شِنْعَارَ فَاسْتَوَطَنُوا هُنَاكَ. فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: ((هَيَّا نَصْنَعْ طُوبًا مَشُوبًا أَحْسَنَ شَيْءٍ)). فَاسْتَبَدَلُوا الْحِجَارَةَ بِالطُّوبِ، وَالطَّيْنَ بِالزُّفْتِ. ثُمَّ قَالُوا: ((هَيَّا نُنشِئْ لِنَفْسِنَا مَدِينَةً وَبُرْجًا يَبْلُغُ رَأْسُهُ السَّمَاءَ، فَتُخَلَّدَ لَنَا اسْمًا لِنَلَّا نَنْشِئَتْ عَلَيَّ وَجِهَ الْأَرْضِ كُلِّهَا)). وَنَزَلَ الرَّبُّ لِيَشْهَدَ الْمَدِينَةَ وَالْبُرْجَ اللَّذَيْنِ شَرَعَ بَنُو الْبَشَرِ فِي بِنَائِهِمَا. فَقَالَ الرَّبُّ: ((إِنْ كَانُوا، كَشَعْبٍ وَاحِدٍ يَنْطَفُونَ بِلُغَةٍ وَاحِدَةٍ، قَدْ عَمِلُوا هَذَا مُنْذُ أَوَّلِ الْأَمْرِ، فَلَنْ يَمْتَنِعَ إِذَا عَلَيَّهِمْ أَيُّ شَيْءٍ عَزَمُوا عَلَيَّ فَعَلِهِ. هَيَّا نُنزِلْ إِلَيْهِمْ وَنُبَلِّلْ لِسَانَهُمْ، حَتَّى لَا يَفْهَمَ بَعْضُهُمْ كَلَامَ بَعْضٍ)). وَهَكَذَا سَتَّئْتُهُمُ الرَّبُّ مِنْ هُنَاكَ عَلَى سَطْحِ الْأَرْضِ كُلِّهَا، فَكَفُّوا عَنِ بِنَاءِ الْمَدِينَةِ، لِذَلِكَ سَمَّيْتَ الْمَدِينَةَ ((بَابِلَ)) لِأَنَّ الرَّبَّ بَلَّلَ لِسَانَ أَهْلِ كُلِّ الْأَرْضِ، وَبِالتَّالِي سَتَّئْتُهُمْ مِنْ هُنَاكَ فِي أَرْجَاءِ الْأَرْضِ كُلِّهَا.)) (تكويين ١١/٩-١٠)

وهنا: تصور شنيع لصفات الخالق سبحانه: تظهر هذه القصة الخرافية الإله المعبود في مقام من يخشى أن يبلغ خلقه مرتبته في القوة والسلطان إن اجتمعوا واتحدوا وقويت بيضتهم .. وهذا تصور منكر للألوهية قريب مما كان يرد في الأساطير اليونانية والشرقية حيث الحسد والصراع بين الآلهة فيما بينها، أو بين الآلهة والبشر! الفهم الخاطئ لمعنى اسم مدينة ((بابل)): كلمة ((بابل)) ليست من ((بال)) العبرية

(١) - James D. G. Dunn and J. W. Rogerson eds. Eerdmans Commentary on the Bible, Michigan: W.B. Eerdmans, 2003, p.348

٢ قال الشيخ المفتر (ابن عاشور): ((وأكثر المفسرين على أن الودق هو المطر، وهو الذي اقتضت عليه دواوين اللغة.)) (التحجير والتنوير، ٢٦١/٩)

التي هي اختزال لكلمة ((بلبل)) العبرية (١) ، بمعنى ((بلبل)) و((مزج))، وإثما هي تعني ((باب إل)) أي ((باب الرب))؛ وكما يقول ((جرهارد فون راد)) ((Gerhard Von Rad)) : ((هذا التفسير لكلمة ((بابل)) هو بدهة لا معنى له إتيولوجيًا، إنه اختلاق شعبي؛ إذ إنَّ بابل تعني ((باب الله)) (٢)، وقد كان الاسم في الأكادية ((باب إلو)) بنفس المعنى السابق، قبل أن يسيء مؤلف سفر التكوين فهمه، أو يزيّف معناه! (٣)

يقول د. ((حسن ظاظا)) (٤): ((وقد اتفق كل الباحثين المحدثين، في أوروبا المسيحية، وفي الأوساط اليهودية المستنيرة، على اعتبار هذه القصة أسطورة شعبية لا تحكي واقعًا تاريخيًا بقدر ما تلمس تعليلاً فنيًا لاختلاف الألسنة واللغات. فالسير جيمس جورج فريزر يفرد لها فصلًا كاملاً في كتابه الكبير ((الفلكلور في العهد القديم))، فيتبع بالنقد والتحليل تطور هذه الأسطورة منذ الوثنيات القديمة، ويقول: إن العلاقة اللغوية بين أمم بابل وبين بلبله الألسن ليست إلا من الخيال الشعبي، إذ إن الثابت علميًا أن كلمة بابل أصلها في اللغة البابلية نفسها ((باب- إلو))، ومعناها باب الله، أو باب الآلهة؛ لأنَّ بابل كانت مدينة مقدسة، وكان سكان العراق القديم يحجون إلى معبدها الكبير؛ ولأن المعبد البابلي كان يتميز دائماً ببرج ضخم مرتفع مبني في صحنه يسمى ((زقورة)) أو ((زجورة))، ظن القدامى من الآراميين واليهود أن هذا البرج شيده الكفار تحدياً لله أو - كما ينقل عنهم فريزر - إنهم اعتقدوا أن بإمكانهم، من هذا البرج، أن يصوّبوا السهام والحراب التي تنطلق نحو السماء فتدمر مملكة الله العليا. وقد حكوا في ذلك خرافات نقلها فريزر عن لويس جنزبرج في كتابه ((أساطير اليهود)): منها أنهم زعموا أن بعض هذه السهام كان إذا أطلق نحو السماء عاد إلى الأرض مخضباً بالدم. ومنها أن هؤلاء الكفار من سكان بابل كانوا يريدون أن يصل ارتفاع البرج إلى السماء ليضعوا أصنامهم مكان الله. ومنها أن برج بابل عندما تهدم غاص ثلثه في باطن الأرض، واحترق ثلث آخر بالنار، وبقي الثلث الأخير خراباً، ومع ذلك فإن مكانه - كما زعموا - ما يزال محتفظاً بسر المعجزة، فكل من يمر عليه يفقد ذاكرته تماماً وينسى كل شيء يعرفه. ومما لا شك فيه أن كل هذه الأساطير كان يبررها شيء واحد، هو غرابة هذه الصروح المعمارية البابلية الدينية في نظر أولئك البدو من الآراميين والعبريين، فربطوا ذلك بمحاولة تفسير تنوع اللغات الذي كان يبدو لهم غير متفق مع كون الجنس البشري كله يرجع إلى أب واحد وأم واحدة هما آدم وحواء. فإذا ما انتقلنا إلى العالم الإسلامي وجدنا المسألة تأخذ أبعاداً فكرية أكثر اتساعاً)) (٥)

أما القرآن الكريم، فلا يتابع الكتاب المقدس في شيء مما سبق، وإثما يسوق أمر تعدد لغات الناس سوق المنّ على البشر وإظهار فضل الله عليهم؛ بما ينفي بصورة تامة التفسير التوراتي الساذج؛ قال تعالى: { وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ } [الروم: ٢٢] .. فتعدّد

<sup>١</sup> انظر؛ George James Spurrell, *Notes on the Hebrew Text of the Book of Genesis*, Oxford: Clarendon Press, 1887, p.118

<sup>٢</sup> Gerhard Von Rad, *Genesis: A Commentary*, Philadelphia: Westminster John Knox Press, 1972, 3rd edition, p. 150

<sup>٣</sup> - انظر؛ William Ricketts Cooper, *An Archaic Dictionary*, London : S. Bagster and Sons, 1876 , p.116

<sup>٤</sup> - حسن ظاظا (1420- 1337هـ ، ١٩١٩- ١٩٩٩م): من أعلام المتخصصين العرب في الدراسات اليهودية. حصل على الماجستير في الأدب العبري والفكر اليهودي من الجامعة العبرية بالقدس في فلسطين، وذكوراه الدولة من جامعة السربون. له عدد من الكتب والمقالات في اليهودية واللغات ونشأتها.

<sup>٥</sup> - حسن ظاظا، اللسان والإنسان، مدخل إلى معرفة اللغة، دمشق: دار القلم، ط٢، ١٤١٠هـ، ١٩٩٠م، ص ٤٧-٤٨

اللغات آية من آيات عظمة الخالق سبحانه .. وكفى .. وليس مظهرًا من مظاهر صراع الربّ مع البشر (!) وخوفه من اجتماعهم ضده!!

## ٧- مراحل خلق الجنين:

جاء في سفر الحكمة ١ ٢/٧: ((وفي مدة عشرة أشهر تكونت في الدم من زرع رجل ومن اللذة التي تصاحب النوم.))، هذا النص ما قرره الطب اليوناني الأرسطي من أنّ الجنين ينشأ من دم الحيض، وهي النظرية التي هيمنت على الفكر اليهودي والنصراني منذ زمن مبكر وحتى قرون قريبة، وجاء في سفر أيوب ٩/١٠ - ١١: ((أذكر أنك جبلتني من طين، أترجعي بعد إلى التراب؟ ألم تصبني كاللبن وتخترني كالجنين؟ كسوتي جلدًا ولحمًا، فمسحتني بعظام وعصب.))

هذا هو النصّ المفضّل عند آباء الكنيسة لشرح تكوّن الجنين (٢)، وقد لخص الناقد ((نورمن هابل)) (٣) معناه بقوله: ((شكّل الجنين من الطين، صبّ المني كالحليب، وجمّد كالجنين، كسي بالجلد واللحم، وأخيرًا نُسج بالعظام والأعصاب.)) (٤)، في هذا النص مجموعة أخطاء علمية:

أولاً: يُفهم من هذا النص أنّ الجنين يتكوّن فقط من مني الرجل الذي يُصب في الرحم، وليس لنطفة المرأة دور هاهنا.

ثانياً: يُفهم من هذا النص أنّ الجنين يتكوّن من كامل المني الذي يقذفه الرجل.

ثالثاً: يُفهم من المعنى الحرفي لهذا الحديث أنّ أول مرحلة من مراحل تكوّن الجنين، هي تحوّل المني السائل إلى كتلة جامدة.

وقد علّق الكثير من النقاد على هذا النص بقولهم إنّ المقصود هو أنّ مني الرجل عندما يلتقي بدم الحيض عند المرأة يحوله إلى كيان صلب متخثّر، ويشهد على ذلك النص السابق من سفر الحكمة ٢/٧، وهو المعنى الطبي الذي كان سائدًا في البيئة التي كتب فيها هذا السفر؛ ولذلك جاء تعليق ترجمة أورشليم للكتاب المقدس على هذا النص -وقد تبنته ترجمة الرهبانية اليسوعية العربية-: ((كان العلم الطبي القديم يتصوّر تكوّن الجنين كتجمّد دم الأم بتأثير عنصر الزرع)) (٥) (٦).

وقد أكّد ((ترتليان)) (٧) هذا المعنى بقوله في كتابه ((حول جسد المسيح)) (١) أنّ الزرع الذي يتكوّن منه الجنين ليس إلاّ دمًا ولونًا، ويتخثّر هذا الدم بفعل مني الرجل.

(١) - سفر الحكمة: يؤمن بقداسته النصارى الكاثوليك والنصارى الأرثوذكس

(٢) - انظر هامش: Ante Nicene Fathers, Buffalo: The Christian Literature Publishing Company, 1887, 3/538

(٣) - نورمن هابل (ولد سنة ١٩٦٤م): أستاذ في جامعة جنوب أستراليا، محرر كتاب (The Earth Bible).

(٤) - Norman Habel, The Book of Job: a commentary, Philadelphia: Westminster John Knox Press, 1985, p.119

(٥) ترجمة الرهبانية اليسوعية، ص ١٠٦٥

(٦) La Bible de Jerusalem, Éditions du Cerf, 1973, p.664

(٧) - ترتليان: (١٦٠-٢٢٠م) من أوائل اللاهوتيين النصارى. عرف باهتمامه بالدفاع عن النصرانية والرّة على من اعتبرهم ((هراطقة)). يعتبر أحد المراجع اللاهوتية الكبرى للكنائس التقليدية. يلقبه الكثير من أعلام النصارى الأرثوذكس المصريين بـ((العلامة)).

رابعاً: يفهم من هذا النص أنّ المنيّ المتجمّد أو الدم المتجمّد يتحول إلى الهيئة الأولى للجنين.

خامساً: يفهم من هذا النص أنّ تلك الكتلة تكسى أولاً بالجلد واللحم.

سادساً: يفهم من هذا النص أنّه بعد تكوّن الجلد واللحم (يُنسج) الرضيع بالعظام والأعصاب.

هذا النص في الحقيقة ليس إلا تكراراً لما قاله ((أرسطو)) في كتابه ((حول ولادة الحيوانات))

في المقابل: قال تعالى: {إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا} {الإنسان: ٢}، قال تعالى: {ثُمَّ جَعَلْ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِّنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ} {السجدة: ٨}، قال تعالى: {أَلَمْ يَكُنْ نُطْفَةً مِّنْ مَّيِّ يُمِّي} {القيامة: ٣٧}، قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: ((ما من كل الماء يكون الولد.)) (٢) ، قال تعالى: {وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِّنْ طِينٍ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ} {المؤمنون: ١٢-١٤} النصوص السابقة، تخالف منصوص الكتاب المقدس النصراني ومفهومه، وتوافق آخر ما توصل إليه العلم وثبتت بالعين الباصرة:

أولاً: يفهم من هذه النصوص أنّ الجنين يتكوّن من اختلاط مني الرجل بنطفة المرأة، وليس لدم المرأة دور في الولادة، والقرآن والسنة قاطعان هنا في مخالفة التصوّر الأرسطي/التوراتي، وقد قال الإمام ((ابن حجر)): ((وزعم كثير من أهل التشريح أنّ مني الرجل لا أثر له في الولد إلا في عقده، وأنّه إمّا يتكوّن من دم الحيض، وأحاديث الباب (أي الموضوع) تُبطل ذلك)). (٣)

ثانياً: يفهم من هذه النصوص أنّ الجنين يتكوّن من جزء ضعيف من مني الرجل الذي يشارك نطفة المرأة عمليّة التكوين؛ فهو جزء صغير مستخلص (سلالة) من ماء الرجل.

ثالثاً: يفهم من هذه النصوص أنّ أول مرحلة من مراحل تكوّن الجنين هي اختلاط نطفة الرجل بنطفة المرأة، ثم انتقالهما إلى مرحلة (العلقة) التي تعني: (١) قطعة الدم المتجمّدة، وهي أيضاً (٢) (علقة) لأنّها تعلق في الرحم، كما أنّها (٣) من ناحية الشكل تشبه دودة العلق.

رابعاً: يفهم من هذه النصوص أنّ العلقة تتحوّل إلى مضغة حيث تتحوّل (العلقة) إلى ما يشبه قطعة لحم ممضوغ عليها طبقات الأسنان.

خامساً: يفهم من هذه النصوص أنّ العظام تتكوّن قبل اللحم.

سادساً: يفهم من هذه النصوص من خلال استعمال حرف (الفاء) الذي يفيد التعاقب السريع أنّ المراحل السابقة تتم في أوقات متقاربة. وأنّ مرحلة الانتقال إلى الخلق القريب من مرحلة الوضع تستغرق وقتاً أطول، بدلالة حرف (ثم) الذي يفيد الترتيب مع التراخي.

(١) - De Carne Christi. 19. 3

(٢) - رواه مسلم، كتاب النكاح، باب حكم العزل، ح/١٤٣٨

(٣) - ابن حجر، فتح الباري، ١١/٤٨٠

وقد شهد لإعجاز الآيات السابقة العديد من علماء الأجنة من غير المسلمين، ومن أهمهم ((كيث مور)) (Keith Moore) الذي يعد اليوم من أئمة علم الأجنة في الغرب، وهو ليس بمسلم، ويقدم شهادته من منطلق الإقرار العلمي بالبحث، وصرح بحقيقة الإعجاز القرآني في كتابه الأكاديمي الذي اعتمد كمبرر في جامعات غربية تدرس الطب: ((الإنسان المتطور)) (The Developing Human) ((١٩٨٨م)) حيث قال بعد أن ذكر نظريات تطور الجنين عند الهندوس واليونان وفي التلمود: ((لقد كان تطور العلوم التطبيقية بطيئاً في القرون الوسطى، ونحن نعلم القليل عن بعض النقاط الهامة المسجلة حول دراسات علم الأجنة في تلك الفترة. ولقد ذكر في القرآن (في القرن السابع الميلادي)، كتاب المسلمين المقدس، أنّ الإنسان يخلق من أمشاج إفرازي الذكر والأنثى. وردت عدة إحالات إلى خلق الإنسان من "نطفة". كما قررت أن الخلايا الناتجة تستقر في الرحم كالبذرة لستة أيام بعد بداية تشكلها. تمت الإشارة أيضاً إلى أنّ شكل الجنين في الطور المبكر يشبه العلقه. وبعد ذلك ذكر بأن الجنين يُشبه الشيء المصوغ)). (١) .

وكان قد كتب في مقدمة هذا الكتاب (طبعة ١٩٨٢م): ((أذهلتني دقة التقريرات المسجلة في القرن السابع بعد الميلاد، وذلك قبل تأسيس علم الأجنة. ومع أي كنت على وعي بتاريخ علماء المسلمين العظيم في القرن العاشر، وبعض ما قدموه لعلم الطب، لم أكن على علم البتة بالحقائق الدينية والمعتقدات الواردة في القرآن والسنة. ومن المهم أن يتعلم الطلبة المسلمون وغيرهم معاني العبارات القرآنية حول تطور نشوء الإنسان، بناءً على المعرفة العلمية المعاصرة)). (٢)

وصرح في المؤتمر الطبي الذي عقد في ((الدمام)) سنة ١٩٨١م: ((إنه لشرف عظيم لي أن أساعد في شرح بعض تقارير القرآن حول تطوّر الخلق البشري. ومن الواضح لدي بأن التقريرات القرآنية قد بلغت - قطعاً - محمداً من الله؛ وذلك لأن كل تلك العلوم - تقريباً - لم يتم اكتشافها إلا بعد قرون عديدة بعد ذلك. وهذا يثبت لي أنّ محمداً هو قطعاً رسول من الله)). وأثناء فترة الأسئلة سئل ((مور)): ((هل يعني ذلك أنك تؤمن بأن القرآن كلام الله؟))؛ فأجاب: ((لا أجد إشكالاً في قبول ذلك)). (٣)

## ٨- في الخمر شفاء:

قال ((بولس)) في رسالته الأولى إلى ((تيموثاوس)) ٢٣/٥: ((لا تشرب الماء فقط بعد الآن. وإنما خذ قليلاً من الخمر مداوياً معدتك وأمراضك التي تعاودك كثيراً))، هذا قول لا سند له من علم، فإنّ للخمر أضراراً كثيرة جداً متلفة للبنيان الجسدي للإنسان، فضلاً عما تحدثه في أخلاقه وسلوكه من فساد، سواء أكان الشرب بكميات كبيرة أو صغيرة! (٤) .

(١) Keith Moore, The Developing Human: clinically oriented embryology, Philadelphia: Saunders, - 1988, p.8

(٢) - المصدر السابق، طبعة ١٩٨١م، ص ١٠ (نقله)؛ Muzaffar Iqbal, Science and Islam, CT: Greenwood Publishing Group, 2007, p.163

(٣) - Muzaffar Iqbal, Science and Islam, p.164

(٤) - انظر الدراسة العلمية الشرعية؛ محمد علي البار، الخمر بين الطب والفقه، جدة: الدار السعودية.

وقد جاء النص القرآني في تبشيع الخمر وتقييحه قبح الميسر وعبادة الأصنام: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ } [المائدة: ٩٠] ، وجاء الحديث النبوي الشريف حاسماً في قوله: ((إنه ليس بدواء ولكنه داء.)) (١) ، وأنَّ ((ما أسكر كثيره؛ فقليله حرام.)) (٢) .

## ٩- النوم بسبب التهيج النفسي:

جاء في إنجيل لوقا ٤٥/٢٢ في الحديث عن الفترة السابقة مباشرة للقبض على المسيح، وقد كان فيها المسيح وتلاميذه في حالة خوف؛ لأنهم يرقبون محنة قادمة: ((ثم قام من الصلاة وجاء إلى التلاميذ، فوجدهم نائمين من الحزن.)) .. تعليق إنجيل لوقا للنوم السريع (٣) ب((من الحزن)) (أبو تيس لوبيس)، خطأ علمي جلي؛ إذ إنَّ الإنسان عند الخوف تفرز عنده غدة الكظر -التي تقع فوق الكلية- هرمون الأدرينالين، مما يحدث عنده حالة تنبّه، لا استرخاء ونوم. (٤)

في مقابل ذلك، نجد أنّ القرآن الكريم قد عدّ النوم عند الخوف معجزة؛ لأنّ الأصل عند الخوف هو التنبّه والرعب لا النوم والأمن؛ فجاءت المعجزة بذلك في غزوة بدر خارقة للمألوف، مصادمة للأصل الطبيعي؛ قال تعالى: { إِذْ تَسْتَعِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِالْفِ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرَدِّينَ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ إِذْ يُعَشِّيكُمُ النَّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنزِلُ عَلَيْكُمْ مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً لِّيُطَهِّرَ كُمْ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْسَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ } [الأنفال: ٩- ١١] قال الشيخ ((الطاهر بن عاشور)): ((فإسناد الإغشاء أو التغطية إلى الله لأنه الذي قدر أن يناموا في وقت لا ينام في مثله الخائف، ولا يكون عامّاً سائر الجيش، فهو نوم منحهم الله إياه لفائدتهم.)) (٥)

## الفصل الرابع : الشبهات والنهم على نصوص القرآن

(١) - رواه مسلم، كتاب الأشربة، باب تحريم التداوي بالخمير، ح/ (١٩٨٤)

(٢) - رواه الأربعة، وصححه ابن حبان.

(٣) - ناموا في أقل من ساعة من وصولهم البستان (مرقس ١٤/٣٧)!!

(٤) - Gerard J. Tortora and Sandra Reynolds Grabowski, Principles of Anatomy and Physiology, HarperCollins -

College Publishers, 7th ed, pp.511, 512, 557

(٥) - الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ٢٧٨/٥ ، وكما نوهنا أول معظم هذا البحث مأخوذ عن كتاب الدكتور سامي العامري المذكور .

المبحث الأول : الإشكاليات والشبهات والتوهّمات في ذات الله وصفاته وأفعاله في نصوص القرآن

المبحث الثاني : الأباطيل والشبهات والتوهّمات التي توهموها في النبيين والمرسلين في نصوص القرآن

المبحث الثالث : الأباطيل والشبهات والتوهّمات في عيسى بن مريم والمسيحية كما توهموها في نصوص القرآن .

المبحث الرابع : الأباطيل والشبهات والتوهّمات في شخص خاتم النبيين كما توهموها في نصوص القرآن

المبحث الخامس : زعمهم تناقض بعض الآيات . "آيات متناقضة" !! .

المبحث السادس : أخطاء مزعومة في القرآن الكريم، واتهام القرآن بمعارضة الحقائق الدينية والتاريخية والكونية والتجريبية وغيرها .

**المبحث الأول :**

**إشكالات وأوهام زُمي بها القرآن تتعلق بذات الله وصفاته وأفعاله**

**مدخل :**

قبل الولوج في الإشكالات والطعون التي رمي بها القرآن الحكيم أو التي لم يفهم مقصودها، حول الذات الإلهية وصفاتها وأفعالها، من المفيد أن نمر مروراً خفيفاً سريعاً في آيات الكتاب المقدس التي تصف الله وأفعاله فهم يسقطون أفهامهم التي مدّهم بها كتابهم على كتابنا زوراً وحمقاً وغيره من صفاء كتابنا . فمن صفات الله في كتابهم المزور :

١- الرب يعري العورات ويوقع الناس في الزنا .

(اشعيا ٣ : ١٦ ) قال الربّ: من أجل أن بنات صهيون يتشاحنن ويمشين ممدوات الأعناق وغامزات بعيونهن وخاطرات في مشيهن ويخشحن بأرجلهن يصلع السيّد هامة بنات صهيون ويعري الربّ عورتهم .  
(تثنية ٢٨ : ١٥) خاطب الربّ بني إسرائيل مهدّداً إياهم: أن لم تسمع لصوت الربّ إلهك: تأتي عليك جميع اللعنات وتدرّكك... تخطب امرأة، ورجل آخر يضطجع معها.

(حزقيا ٢٣ : ٢٢) لأجل ذلك يا أهولبية، قال السيّد الربّ: هاأنذا أهيج عليك عشاقك: ينزعون عنك ثيابك... ويتركونك عريانة وعارية، فتتكشف عورة زناك ووذيلتك وزناك. تمتلئين سكرًا وحرزًا كأس التّحير والخراب... فتشريينها وتمتصينها وتقضمين شقفها. وتحتئين ثديك لأني تكلمتُ. فهذا جاءوا. هم الذين لأجلهم استحمت. وكحلت عينيك وتخلّيت بالحليّ. وجلست على سرير فاخر... فقلت عن البالية في الزّنا الآن يزنون زناً معها. والكثير الكثير (عامو ٧ : ١٦) (ارميا ٨ : ١٠) (ارميا ١٣ : ٢٢) (ناحوم ٣ : ٤)

٢- الرب جاهل وضعيف - تعالى الله عما يصفون

كورنثوس ١ ( ١ : ٢٥ ) : لأن جهالة الله احكم من الناس . وضعف الله اقوى من الناس . وفي القضاة ( ١ : ١٩ ) لم يستطع الله طردهم لأن مركباتهم حديد ! " وكان الرب مع يهوذا فملك الجبل، ولكن لم يطرد سكان الوادي لأن لهم مركبات حديد !! " .

٣- الرب يندم ويحزن وينسى ويتأسف في قلبه حسب زعمهم:

يصوّر الكتاب المقدس الرب سبحانه وتعالى بأنه شخص كثير الندم . ورأى الرب أن شر الإنسان قد كثر في الأرض . وأن كل تصور أفكار قلبه إنما هي شريرة فحزن الرب أنه عمل الإنسان في الأرض وتأسف في قلبه سفر التكوين ٦

وبعد أن محا الحياة من على وجه الأرض . بالطوفان ماعدا نوح الذي كان من نسل أبناء الله وبنات الله !!! ولم يكن من نسل بنات الناس . ندم الرب أيضا " : وقال الرب في قلبه : لا أعود ألعن الأرض أيضا من أجل الإنسان لأن تصور قلب الإنسان شرير منذ حادثه . ولا أعود أيضا أميت كل حي كما فعلت ( سفر

التكوين ، الإصحاح ٨ : ٢٠-٢٢

ثم تتكرر سلسلة الندم وحتى لا ينسى الله عهده مع نوح بألا يُغرق الأرض مرة أخرى وضع قوسه في السحاب ، فعندما يرى المطر هاطلا يضع قوس قزح فيذكر أنه قد عقد عقدا مع نوح الا يُغرق الأرض (سفر التكوين الإصحاح ٩) فتضرع موسى أمام الرب الإلهة وقال له : ارجع عن حمو غضبك واندم على الشر بشعبك .. فندم الرب على الشر الذي قال إنه يفعله بشعبه " خروج ص ٣٢ .. وكذلك أهل نينوى نادوا بصوم لعل الله يندم عن حمو غضبه فلما رأى الله أعمالهم " ندم الله على الشر الذي تكلم أن يصنعه بهم " سفر يونان ٥ : ٣ - ١٠

وهذا ما جاء بسفر سفر العدد ( الإصحاح ١٤ ) "ولكن ما أن قدم له بنو إسرائيل اللحم المشوي الذي يجبه جدا حتى انبسطت أساريه ، وعفا عن بني إسرائيل وأعطاهم كل طلباتهم ، وندم على ما نوى أن يفعله بهم وكتب ميثاقا جديدا ليعطيهم أرض كنعان وعندما جعل الرب طالوت - شاول - ملكا على بني إسرائيل ، فعل شاول جميع الموبقات ، وندم الرب أنه جعل شاول ملكا. سفر صموئيل الأول ( الإصحاح ١٥ : ١١ - ١٠ ) وهنالك الكثير من هذه النصوص حتى ملّ الله من الندم : إرميا الإصحاح ١٥ : ٦ ) " انت تركتني يقول الرب. الى الوراء سرت فأمد يدي عليك واهلكك. مللت من الندامة " .

٤ - الرب يأمر أشعيا بأن يتعري ويدعو بني اسرائيل وهو عاري لمدة ثلاث سنوات : أما أشعيا فقد أمره الرب بان يتعري تماما ، ويمشي عاريا وحافيا ثلاث سنوات ليكون أعجوبة الله !! " تكلم الرب عن يد أشعيا بن آموز قائلا : اذهب وحل المسح عن حقوبك ، واخلع حذاءك عن رجلك . ففعل هكذا ومشى معري وحافيا. فقال الرب : كما مشى عبدي أشعيا معري وحافيا ثلاث سنوات آية وأعجوبة " ( سفر أشعيا ٢٠ : ٢ ، ٣ )

٥ - الرب يصارع يعقوب فيغلبه حسب زعمهم: جاء في سفر التكوين ( الإصحاح ٣٢-٢٣ ) : ( فبقى يعقوب وحده ، وصارعه إنسان حتى طلوع الفجر . ولما رأى أنه لا يقدر عليه - أي لا يقدر على يعقوب - اضطر ان يباركه ويغير اسمه إلى اسرائيل

٦ - الرب يسير أمام بني إسرائيل ليلا ونهار في عمود سحاب وعمود نار : يزعم الكتاب المقدس أن الله عندما غضب على بني اسرائيل لرفضهم دخول الأرض المقدسة التي كتب الله لهم ، وأتاهم في صحراء سيناء ( برية صين ) . ولكنه مع ذلك لم يتركهم لأنهم شعبه وابنه البكر الأثير لديه جدا مهما فعلوا ولذلك كان يسير أمامهم في الطريق ليلا ونهارا حتى لا يضلوا ورغم هذا الجهد الجبار لم يستطع حسب زعمهم أن يدلهم على الطريق لمدة أربعين عاما سفر الخروج ( ١٣ : ٢٠ - ٢٠ )

٧- الرب يتعب ويرتاح: جاء في سفر التكوين ، الإصحاح الثاني " : وفرغ الله في اليوم السابع من عمله الذي عمل فأستراح في اليوم السابع من جميع عمله الذي عمل . وبارك الله اليوم السابع وقدهس لأنه فيه استراح من جميع عمله الذي عمل الله خالقاً" وفي الخروج ٣١ : ١٧ : " هُوَ بَيْنِي وَبَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلامَةٌ إِلَى الْأَبَدِ لِأَنَّهُ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ صَنَعَ الرَّبُّ السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَفِي الْيَوْمِ السَّابِعِ اسْتَرَاخَ وَتَنَفَّسَ " . وهكذا يصور لنا الكتاب المقدس أن الله يصاب بالتعب والنصب ويحتاج الى الراحة . وقد نفى القرآن الكريم هذه الفرية ، قال تعالى {ولقد خلقنا السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام وما مسنا من لغوب } [ق : ٣٨ ]

٨ - الرب يأمر بالسلب والسرقة: قال الله لبني اسرائيل: حين تمضون من أرض فرعون : لا تمضوا فارغين . بل تطلب كل امرأة من جارحتها أمتعة : فضة وذهب وثياباً . وتضعونها على بنيكم وبناتكم فتسلبون المصريين (خروج ٣ : ٢١) . وتمكن بنو إسرائيل بهذا أن يسرقوا أموال المصريين . وفعل بنو إسرائيل بحسب قول موسى " اطلبوا من المصريين أمتعة فضة وأمتعة ذهباً وثياباً . وأعطى الرب نعمة للشعب في عيون المصريين حتى أعاروهم فسلبوا المصريين " (الخروج ، الإصحاح ١٢)

٩ - الرب يأمر نبيه هوشع بأن يأخذ ويحب زانية وأولاد زنى : جاء في سفر هوشع ( الإصحاح ١ ) أول ما كلم الرب هوشع قال الرب لهوشع : اذهب خذ لنفسك امرأة زنى وأولاد زنى "" وقال الرب لهوشع : اذهب أيضاً احب امرأة ، حبيبة صاحب زانية ، كمحبة الرب لبني إسرائيل وهم ملتفتون إلى آلهة أخرى ومحبون لأقراص الزبيب (هوشع ، الإصحاح ٣)

١٠ - عنصرية الرب: فقد جاء في أشعيا (٢/٤٩) أن الرب أمر كل أجنبي إذا لقي يهوديا أن يسجد له على الأرض ويلبس غبار نعليه... ٤٩ : ٢٣ و يكون الملوك حاضنيك و سيداتهم مرضعاتك بالوجه الى الارض يسجدون لك و يلحسون غبار رجلك فتعلمين اني انا الرب الذي لا يخزي منتظروه ..... غير اليهود كلاب في نظر الرب : متى ١٥ : ٢٣ لَكِنَّهُ لَمْ يُجِبْهَا بِكَلِمَةٍ . «مَا أُرْسَلْتُ إِلَّا إِلَى الْخِزَافِ الضَّالَّةِ، إِلَى بَيْتِ إِسْرَائِيلَ!» .. ٢٦ فَأَجَابَ : « لَيْسَ مِنَ الصَّوَابِ أَنْ يُؤْخَذَ خُبْزُ الْبَنِينَ وَيُطْرَحَ لِحِرَاءِ الْكِلَابِ ! » .. مرقس ٧ : وَ ارْتَمَتْ عَلَى قَدَمَيْهِ، ٢٧ وَلَكِنَّهُ قَالَ لَهَا : «دَعِي الْبَنِينَ أَوْلًا يَشْبَعُونَ! فَلَيْسَ مِنَ الصَّوَابِ أَنْ يُؤْخَذَ خُبْزُ الْبَنِينَ وَيُطْرَحَ لِلْكِالِبِ » .

١١- الرب يأمر نبيه حزقيال بأن يأكل الخراء (حزقيال ٤ : ١٢) قال الرب لحزقيال : وتأكل كعكاً من الشعير على الخراء الذي يخرج من الإنسان: تخبزه أمام عيونهم... هكذا يأكل بنو إسرائيل خبزهم التّحس... قلت: آه يا سيّد الربّ: ها نفسي لم تتنجّس ومن صباي إلى الآن لم أكل ميتة ولا فريسة ولا دخل فمي لحم نجس. فقال لي: انظر قد جعلت لك خشي البقر بدل خراء الإنسان. فتصنع خبزك عليه.

١٢- الرب يعشق المحارق واللحم المشوي حسب زعمهم : يرسم الكتاب المقدس للرب الإله صورة كريهة جداً . فهو رب يحب اللحم المشوي جداً . ومستعد أن يتنازل عن كل شئ في سبيل وجبة دسمة من اللحم المشوي تقدم له كقربان .. والعهد القديم من أوله لآخره يذكر القرابين المشوية . ولا يكاد إصحاح واحد يخلو من ذكر هذه القرابين ومن اللحم المشوي ، وفي الإصحاح الواحد عشر المرات ، في بعض الأحيان لدرجة تسبب الغثيان وضيق النفس والربو من كثرة دخان اللحم المشوي.

ولا نرى الأنبياء من لدن آدم إلى آخر أنبياء بني إسرائيل يعبدون الله أو يدعون الناس إلى عبادة الإله الواحد الأحد ... ولا نراهم يأمرن بمعروف أو ينهون عن منكر .. بل نجدهم هم والكهنة مشغولون جداً بقضية اللحم المشوي ، والذين يحصلون بموجبه على جميع طلباتهم ، بمجرد أن يتنسم الرب رائحة اللحم المشوي ، تنبسط أساريه ، ويفعل لهم ما يشاءون : تعذيب الأمم ، قتلها .. حرقها ، يدخل المعارك معهم في وسطهم داخل تابوت ، يقاتل معهم ، يعطيهم أراضي الغير ... يجعل الكل عبيدا لهم ، ولا يهتم بعد ذلك إن عبدوا الأوثان أو سرقوا الأموال كما لا يهتم أن يكون اللحم المشوي من عجول أغنام مسروقة ، كما يزعمون أن يعقوب سرق أغنام خاله وقدم اللحم المشوي للرب فتنسم الرب نسيم الرضا بعد أن امتلأت خياشيمه بدخان المشوي . وأعطى يعقوب العهد له ولأولاده وأعطاهم أرض فلسطين .. وأعطاهم الأرض حولها من النيل إلى الفرات .. إلخ

ويبدأ مسلسل اللحم المشوي بأن هايبيل قرب لحما سمينا ، بينما قدم أخوه قابيل شيئا قليلا من ثمار الأرض " فنظر الرب إلى هايبيل وقربانه ، ولكن إلى قابيل وقربانه لم ينظر ، فأغتاظ قابيل جدا " (التكوين الإصحاح الرابع ٦-٣ .. ) وأدى ذلك إلى أن يقوم قابيل بقتل أخيه وارتكاب أول جريمة على الأرض) .. والمنظر الثاني يأتي بعد أن أغرق الله الأرض بالطوفان .. وما تكاد السفينة تستقر على جبل أراراط حتى يخرج نوح ويقدم قربانا للرب : فقد جاء في سفر التكوين ، ( الإصحاح ٨ : ) ( وبنى نوح مذبحا للرب . وأخذ من كل البهائم الطاهرة ومن كل الطيور الطاهرة وأصعد محرقات على المذبح . فتنسم الرب رائحة الرضا . وقال الرب في قلبه لا أعود ألعن الأرض أيضا من أجل الإنسان

ويظهر ابراهيم عليه السلام فلا نراه يدعو الى الله والى توحيدده ، ولا ينكر على قومه ما هم فيه من عبادة الأوثان ، ولا ترد قصته مع النمرود و لا مجادلته له ، ولا قصته مع أبيه . بل كل ما يرد أن إبراهيم يقدم محرقات للرب فيتنسم الرب رائحة اللحم المشوي " فيقول الرب لإبرام : اذهب من أرضك وعشيرتك ومن بيت أبيك الى الأرض التي أريك . فأجعلك أمة عظيمة وأباركك وأعظم اسمك " ( سفر التكوين ، الإصحاح ١٢ ) .. وبعد رحلات طويلة يعود ابراهيم من مصر وقد ملك أموالا ضخمة من الذهب والفضة والأغنام التي أعطاها له فرعون مصر عندما قدم ابراهيم زوجته سارة ليتزوجها فرعون حسب زعمهم .

وقدم إبراهيم اللحم المشوي مرة أخرى " . في ذلك اليوم قطع الرب مع إبرام - أي إبراهيم - ميثاقاً قائلاً :  
لنسلك أعطي هذه الأرض من نهر مصر إلى النهر الكبير نهر الفرات القينيين والقنزيين والقدمونيين والحثيين  
والفرزيين والرفائيين والأموريين والجرجاشيين واليبوسيين " (التكوين ، الإصحاح ١٥ : ٢٠-١٨ )  
دم الختان " : وقال الله لإبراهيم وأما أنت فتحفظ عهدي . أنت ونسلك من بعدك في أجيالهم . هذا هو  
عهدي الذي تحفظونه بيني وبينكم . ابن ثمانية أيام يختن منكم كل ذكر من أجيالكم ( سفر التكوين ،  
الإصحاح ١٧ : ١٢-٩ ) ( وأما الذكر الأغلف الذي لا يختن من لحم غرلته فتقطع تلك النفس من شعبها أنه  
قد نكث عهدي " ، المهم رائحة اللحم المشوي ودم الغرلة .. ولا يهم بعد ذلك أن يقتل أو يسرق أو يزي أو  
أن يعبد الأوثان .. علامة العهد دم الغرلة وعلامة الرضا اللحم المشوي .

ويتكرر منظر اللحم المشوي ويقدم إبراهيم حسب زعمهم قرباناً وراء قربان للحصول على مزيد من المنافع  
الدينيوية ، حتى أنه قرر أن يقدم ابنه إسحاق قرباناً وسر الرب جدا بهذا القربان ، وأنزل كبشاً بدلاً منه ليذبح  
ويشوى .. وقطع الرب مزيداً من العهود لإبراهيم بأنه سيعطيه أرض الكنعانيين وجميع الأراضي حولها من النيل  
إلى الفرات .. وستكون جميع هذه الأراضي لنسله أبد الأبدين!! وقام إسحاق بالدور ذاته ، وقدم المحرقات  
وحصل على مزيد من العهود والمواثيق . وأما يعقوب فقد قدم اللحم المشوي عدة مرات ، من الغنم الكثيرة التي  
سرقها من خاله لابان . فقد جاء في سفر التكوين الإصحاح ٢١ ومن الواضح جدا أن الرب حسب زعم  
الكتاب المقدس يحب شيئين اثنين حبا جما .... وهما اللحم المشوي والدم .. ويجعل عهده مع إبراهيم دم الختان  
.. وتنقذ صفوة زوجة موسى ابنها من يدي الرب بأن تقطع غرلة الصبي وتمسح رجلي الإله بدم الختان ،  
وتقول له : عريس دم من أجل الختان ، فينفك عن الصبي قائلاً : عريس دم ... ويطلب الرب من بني إسرائيل  
أن يضعوا الدم علامة على بيوتهم حتى يعرفها عندما يمر الليل ويهلك كل بكر من المصريين ودوابهم.  
والآن : بعد هذه الرحلة التي تزج وتخبط بعقل مرتحلها تأتي لما رموا به القرآن الحكيم حول الذات الإلهية من  
أباطيل وهم خداعاً وإسقاطاً لما في نصوصهم علينا :

### أولاً : نسبة صفات النقص إلى الله تعالى في القرآن !!:

قالوا: القرآن نسب إلى الله صفات لا تليق به، وهي المكر والخداع والكيد والنسيان، وذلك في مثل قول  
الله: {يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ} [النساء: ١٤٢]، وقوله: {وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ} [الأنفال: ٣٠]، وقوله:  
{إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا وَأَكِيدُ كَيْدًا} [الطارق: ١٦]، وقوله: {نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ} [التوبة: ٦٧].

في البدء القرآن هو الكتاب الوحيد الذي ينزه الله عن النقائص، وهو لا ينسب إلى الله تعالى إلا صفات  
الكمال والجلال، ولا يسميه إلا بأحسن الأسماء {وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا} [الأعراف: ١٨٠] ،  
وكذلك: {اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ} [طه: ٨]. وقال : هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ

السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيِّمُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى (الحشر: ٢٢ - ٢٤).

والقرآن لا يسمى الله بأسماء تنتقص ذاته العلية؛ كما لا يوصف بالمكر والخداع والكائد، فهذه الأسماء لا كمال فيها، فلا يسمى بها الرب تبارك وتعالى، كما لا يوصف بالمكر والخداع والكيد، أما باب الأفعال أوسع من الصفات. والسؤال: كيف نسب القرآن إلى الله فعل الكيد والمكر والخداع؟

إن آفة الجهل بلغة العرب وطرائقهم في التعبير عن المعاني من أعظم بلايا هذا الزمان، حيث اضمحلت معرفة الناس باللغة، وأصبح أهلها أعاجم فيها، فالعرب تعرف في أساليبها المشاكلة اللفظية، وهي استخدام اللفظ في غير معناه؛ لمقابلته مع فعل آخر.

يقول أبو بكر ابن حجة في تعريف المشاكلة: "المشاكلة في اللغة هي المماثلة، ... المشاكلة هي ذكر الشيء بغير لفظه لوقوعه في صحبته" (١). وعند ابن عاشور المشاكلة هي: "استعارة لفظ لغير معناه مع مزيد مناسبة مع لفظ آخر مثل اللفظ المستعار. فالمشاكلة ترجع إلى التلميح، أي إذا لم تكن لإطلاق اللفظ على المعنى المراد علاقة بين معنى اللفظ والمعنى المراد إلا محاكاة اللفظ، سميت مشاكلة" (٢).

وأمثلتها في لغة العرب كثيرة، منها قول الشاعر أبي الرقعمق الأنطاكي:

قالوا اقترح شيئاً تُجد لك طبخه ... قلت اطبخوا لي جبّة وقميصاً

فالطبخ إنما يكون في الطعام، وليس في الجبة والقميص، لكن الشاعر العربي تزيد حاجته إلى الجبة والقميص على حاجته إلى الطعام، فطلب الملابس بكلام شاكل فيه قولهم: (تُجد لك طبخه)، فسألهم حاجته: (اطبخوا لي جبة وقميصاً). ومثله في المشاكلة اللفظية قول عمرو بن كلثوم في معلقته: ألا لا يجهلن أحدٌ علينا ... فنجهل فوق جهل الجاهليين

أي بنجازه على جهله، فسمى المجازاة جهلاً للمشاكلة فحسب، وإلا فإن الجهل لا يفخر به، بل يستحي منه. ومثله قول أبي تمام: من مبلغ أفناء يعرب كلّها ... أني بنيت الجار قبل المنزل .

ومن المعلوم أن الجار يجاور ولا يبني، لكن حقيقة (بنيث) اللغوية غير مرادة، فهو لم يرد حقيقة البناء في (بنيث) كما لم يرد حقيقة الجهل في (فنجهل) ولا حقيقة الطبخ في (اطبخوا).

ومثل هذا يفهمه الناس والعوام في كلامهم حتى في أيامنا هذه، فلو تواعد اثنان على موعد، فغاب عنه أحدهما، واعتذر لذلك بالنسيان، فقابله الآخر بالتخلف عن موعد آخر، ليقابل خلفه بخلف مثله، ثم يقول له:

(١) - (خزانة الأدب وغاية الإرب، ابن حجة الحموي (٢/ ٢٥٢) دار ومكتبة الهلال-بيروت، دار البحار-بيروت الطبعة الأخيرة ٢٠٠٤م، وانظر: الإيضاح في

علوم البلاغة، الخطيب القزويني، ص (٣٢٧). دار الجيل - بيروت ط/ الثالثة

(٢) - (التحير والتبوير، ابن عاشور (٥/ ٢٣٩). الدار التونسية للنشر - تونس سنة النشر: ١٩٨٤ هـ

نسيت موعدك كما نسيت موعدي، أو نسيتك كما نسيتني، والسامع لمثل هذا يدرك أنه لا يريد أنه نسيه على الحقيقة، إنما أراد مجازاته على نسيانه بالتخلف المتعمد، وأن قوله: (نسيت) من باب المشاكلة اللفظية فحسب. وهذا الأسلوب الذي عرفه العرب في كلامهم جاء في القرآن صور كثيرة منه، لنزوله بلسان عربي مبين، ومن صور المشاكلة اللفظية في القرآن قوله تعالى: { وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا } (الشورى: ٤٠)، فسمى عقوبة السيئة وقصاصها سيئة؛ مع أنها ليست سيئة على الحقيقة، بل هي عدل وحق، فالمعنى: وجزاء سيئة عقوبة، واستخدمت كلمة سيئة للمشاكلة اللفظية، وليس المراد منها معنى السوء حقيقة.

ومثله قول الله تعالى: { مَنْ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ } [البقرة: ١٤٩]، فرد الاعتداء ليس اعتداء، لكن جاز تسميته كذلك في باب المشاكلة اللفظية، ومثله { رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ } [البينة: ٨]، فكل منهما على معنى، وأمثاله في القرآن كثير.

إذا تبين ذلك وجب إعادة قراءة الآيات المشكلة للوقوف على معاني هذه الألفاظ وفق سياقاتها، فالآيات حين تحدثت عن مكر الله بالكافرين أو مخادعته لهم وأمثاله لم تكن تنسب إلى الله هذه الأفعال ابتداء، إنما ذكرت هذه الألفاظ في مقابل فعل المشركين، فحين وقع منهم المكر والخداع والكيد، رد الله كيدهم وخداعهم ومكرهم، فسمى الله فعله بألفاظ من جنس ما صنعوا، للمشاكلة اللفظية مع ما وقع من الكفار، من غير أن تكون الحقيقة اللغوية لهذه الألفاظ مُراد.

وهذه المشاكلة في الأسلوب تتضح لمن قرأ تلك الآيات المستشكلة، كمثله قوله تعالى: { يُجَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ } [النساء: ١٤٢]، وقوله: { وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ } [الأنفال: ٣٠]، وقوله: { إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا وَأَكِيدُ كَيْدًا } [الطارق: ١٥-١٦]، وقوله: { فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ } [التوبة: ٧٩]، وقوله: { نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ } [التوبة: ٦٧]، فلم تنسب هذه الأفعال (الخداع، المكر، الكيد ... ) إلى الله؛ إلا في باب المقابلة لفعل الكافرين، من غير أن تكون معانيها مُراد على الحقيقة.

والتدقيق في معاني تلك الآيات يبين أنها لا تدل على معان سيئة في حديثها عن أفعال الله، فمكر الله في قصة قوم صالح هو إهلاكهم لكفرهم: { قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ وَمَكْرًا مَكْرًا وَمَكْرًا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ } [النمل: ٤٩ - ٥١] فالمكر الإلهي هنا هو عذاب الله الذي أتاهم وهم لا يشعرون، وليس في هذا أي معنى يستقبح.

وأما الخداع في قوله تعالى: { وَهُوَ خَادِعُهُمْ }، فهو "إمهال الله لهم في الدنيا حتى اطمأنوا وحسبوا أن حيلتهم وكيدهم راجحاً على المسلمين، وأن الله ليس ناصرهم .. فإطلاق الخداع على استدراج الله إياهم استعارة تمثيلية، وحسنتها المشاكلة (١).

(١) - (التحجير والتوير، ابن عاشور (٥/ ٢٣٩)، وانظر: مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الأصفهاني (١/ ٢٨٩). دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت الطبعة: الأولى - ١٤١٢ هـ.

ولما أراد اليهود بالمسيح السوء، وحاكوا مؤامرتهم للقبض عليه مكر الله بهم فأبجى المسيح بأسلوب خفي عليهم، ولذلك قال الله: {وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ} [آل عمران: ٥٤] ، فمكر الله هو إنجاء المسيح منهم، وعدم تحقيق أهدافهم، وهو غاية نبيلة ومقصد كريم.

ومثله إنجاء الله نبيه محمداً ﷺ من مؤامرة قريش حين اجتمعوا على بابه يريدون قتله يوم الهجرة، فقال الله: {وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ} [الأنفال: ٣٠]، فإنجاء نبيه ﷺ ليس فيه ما يستقبح.

ونطوي التفصيل في بقية الصور فهي على مثل ما بيناه. ولن يفوتنا التنبيه إلى أمر صحيح ذكره أهل العلم باللغة، حين قالوا: هذه الألفاظ (المكر والكيد والخداع) لا تُستقبح معانيها في لغة العرب ابتداءً، إنما تستقبح باعتبار ما أضيفت إليه، فالمكر - مثلاً - هو التوصل بالأسباب الخفية إلى الإيقاع بالعدو، فمكر بأحدهم تتمكنك منه من غير أن يتنبه إلى فعلك وتديريك، فهذا في اللغة (مكر)، ولا يوصف بمدح أو ذم إلا بمعرفة ما يضاف إليه، فتوصل المرء إلى حقه بأسلوب خفي (مكر) ممدوح، وتوصله إلى حقوق الناس بأسلوب خفي (مكر) مذموم. وهكذا فإن الله عز وجل يقابل مكر الكافرين السيء (أي سعيهم للإيقاع بالأنبياء على وجه خفي) بالمكر الحسن (إنجاء الأنبياء بوجه خفي)، فهذا معنى قوله تعالى: {وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ} [الأنفال: ٣٠]، ولأجل ذلك قال الله عن فعله: {وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ} (الأنفال: ٣٠)، ولم يقل بأنه: (أمكر الماكرين)، لأنه لا يمكر إلا بخير، فهو يمكر بالماكرين، ومكره الخير فعل جميل يقابل مكرهم السيء.

وأما الخداع فهو حسب الفيروزبادي: إرادة الشر بالمخدوع وهو لا يعلم (١) ، وأما ابن دريد فعرفه بأنه الكتمان والإخفاء، وكلا المعنيين لا يستقبح؛ إلا إذا انضاف إليه مقصد السوء، وإلا فمخادعة العدو الظالم لنيل الحقوق المشروعة لا يستقبحها أحد، فالله جازى الكافرين شراً على أفعالهم وهم لا يدرون (بخفاء)، فقابل الله خداع الكافرين المشين بخداع ممدوح.

وأما الكيد في مثل قوله: {إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا وَأَكِيدُ كَيْدًا} [الطارق: ١٥]، فهو كما عرفه الجرجاني بأنه إرادة مضرة الغير خفية، وهو من الخلق: الحيلة السيئة، ومن الله: التدبير بالحق لمجازاة أعمال الخلق. وعرفه غيره بأنه التدبير ضد العدو (٢).

وهذه المعاني لا عيب فيها، إلا إذا كانت سبيلاً للتوصل إلى غاية مردولة، أما مقاومة كيد الكائدين (إرادتهم الضر بالخفاء) بكيد مثله، أي (بإضرار خفي بهم)، فهذا غير مستنكر، إذ لا يلزم أن يكون الإضرار بالعدو على وجه ظاهر حتى يستساغ من الناحية الأخلاقية.

ولذلك يقول الله على لسان إبراهيم: {وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ} [الأنبياء: ٥٧] ، ويعني أنه سيتخلص منها بوجه خفي، وهذا كيد ممدوح يتخلص به النبي إبراهيم عليه السلام من الأصنام التي تعبد من دون الله؛ من غير

(١) - (القاموس المحيط، الفيروزبادي (٣/١٦ - ١٧). مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، الطبعة: الثامنة، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م

(٢) - (التعريفات، الجرجاني، ص (١٨٩). دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م مادة "الكيد"

أن يدري به سفهاء المشركين، فيتعرضوا له بالقتل والإيذاء، وقد فعل هذا الكيد، فحطم أصنامهم من غير أن يعرفوا ذلك { قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ } [الأنبياء: ٥٩].

ومثله قول الله: { كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ } [يوسف: ٧٦] ، أي صنع الله صنيعاً خفياً جلب فيه الخير ليعقوب وبنيه بإحضارهم من المجاعة إلى أرض مصر.

وهكذا فالكيد الحسن والخداع الحسن لا يستبشعه أحد، ومن مثل هذا المخادعة والمكر بمن أراد الاعتداء على العرض والمال والنفوس، فمخادعة المعتدي والمكر به طلباً للإبغاء منه وللإيقاع به على وجه خفي من محاسن الأمور وفاضل الأفعال.

وفي خاتمة هذا المبحث أرى أن أدكر القارئ الكريم أن هذه الفرية يثيرها قوم ينسب كتائبهم لله مثل هذه المعاني، ولكن أعيانهم أن يجدوا في القرآن ملمزاً صحيحاً، وتقطعت بهم السبل، فرموا القرآن بما نراه في كتبهم، فاعجب لذلك، وليطل عجبك وأنت تقرأ المنسوب إلى النبي داود حيث قال: «إلى متى يا رب تنساني كل النسيان» (المزمور ١٣ / ١)، ونسب سفر إرمياء إليه أنه خاطب الله بقوله: "آه يا سيد الرب، حقاً إنك خداعاً خادعت هذا الشعب وأورشليم قائلاً: يكون لكم سلام. وقد بلغ السيف النفس" (إرميا ٤ / ١٠)، فالكتاب ينسب إلى الله - وحاشاه - نسياناً وخداعاً ينطوي على الكذب؛ إذ وعد بالسلام، لكنه أعطى القتل والدمار!! سبحانه هذا بهتان عظيم. (١)

### ثانياً : هل يضل الله عباده؟

قالوا: أتى القرآن بالمنكر من القول حين ذكرت آياته أن الله يضل من يشاء، والإضلال عمل مشين، فكيف ينسبه القرآن إلى الله عز وجل؟! وكيف يعذب الله بناره من أضلهم وحجب عنهم هدايته؟! الجواب:

من الضروري أن يتبين لكل أحد أنه لا يوجد كتاب امتدح الله وعظمه بمثل ما نجد في القرآن العظيم، ولكننا نؤمن أيضاً أنه ما من فعل حسن أو قبيح يجري في هذه الدنيا؛ إلا وهو واقع بمشيئة الله وإرادته، فالمسلمون يؤمنون أن الله هو المهيمن على هذا الكون، فلا رب فيه سواه، وكل ما يجري في الكون من خير أو شرور فإنما يقع وفق قدره الأزلي، فلن يعصى الله أو يطاع إلا بإرادته وعلمه، وهو تعالى وحده دون سواه خالق الخير والشر، فالمسلمون لا يقولون بقول الجحوس الذين زعموا أنهم ينزهون الله عن النقائص، فجعلوا للكون خالقين، خالقاً للخير، وآخر للشر.

وعليه فإن الله هو الذي يخلق ويرزق ويحيي ويعطي وينفع ويهدي، وهو أيضاً من يميت ويمنع ويمرض ويضل، فنسبة مثل هذه الأفعال إليه لتعلقها بطلاقة قدرته وهيمته جل وعز.

وأما مسألة تعذيب الله لمن أضله وقول القائلين بأنه مناف لعدل الله، فإنما يصدق لو كان إضلال الله للناس ابتداءً، وهذا محال على عدل الله تبارك وتعالى { وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ } [التوبة: ١١٥]، فقد خلق الناس جميعاً على الفطرة موحدين، لذا خطب النبي - صلى الله عليه وسلم - الناس فقال: «ألا إن ربي أمرني أن أعلمكم ما جهلتم مما علمني يومي هذا .. وإني

(١) - راجع تنزيه القرآن الكريم عن دعاوى المبطلين، منقذ بن محمود السقار ص ١١٥ - ١٢٢ مرجع سابق.

خلقت عبادي حنفاء كلهم، وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم، وحرمت عليهم ما أحللت لهم، وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطاناً<sup>١</sup>.

وهكذا فالله عز وجل خلق البشر مؤمنين، وإنما ضل من ضل باتباع الشياطين بإرادتهم واختيارهم. ولتقوم حجة الله على عباده فإنه وهبهم العقل؛ ليميزوا به بين سبيل الخير وسبيل الشر: { وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ } [البلد: ١٠]، ولأجل ذلك أرسل إليهم الرسل وأنزل الكتب، ولو كانت الهداية والإضلال جبرية حتمية لما كان من ضرورة لإرسال النبيين { رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا } [النساء: ١٦٥]. والمتأمل في آيات القرآن يرى جلياً أن إضلال الله لهؤلاء الذين أضلهم كان بمقتضى أفعالهم السيئة، فقد أضلهم لاختيارهم العمالية ورفضهم الهداية وتنكبهم طرقها، فالله يضل من اختار الضلال، وفي المقابل هو يهدي من اختار الهدى والرشاد. وقد نبه القرآن على هذا المعنى في آيات كثيرة، منها قوله: { فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ } [الصف: ٥] (وقد ورد مثل هذا في آيات كثيرة ذكرت أن الله لا يهدي الظالمين والكافرين والخائنين وغيرهم ممن تنكب طريق الحق واختار العمالية على الهداية). فكان إضلال الله لهم ومنعه الهداية عنهم بسبب زيغائهم، ومثله قوله: { فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ } [البقرة: ١٠].

ومثله حال أولئك الذين صرف الله قلوبهم عن النور والهدى بسبب استكبارهم عن قبول الحق { سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كَلِمًا لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْعِغْيِ يَتَّخِذُوهُ } [الأعراف: ١٤٦]. ووفق هذه القاعدة أيضاً أضل الله من نقض عهده وميثاقه وأفسد في الأرض بالمعاصي: { وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ } [البقرة: ٢٦ - ٢٧]، فهذا الفاسق يستحق الضلالة بسبب إفساده في الأرض وعمله المشين. ويؤكد هذا المعنى قوله تعالى: { وَتَقَلَّبُ أَعْقَانَهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أُولَئِكَ مَرَّةً وَنَدْرَهُمْ فِي طُعْيَانِهِمْ يَعْصُونَ } [الأنعام: ١١٠]، وقوله: { فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ يُضِلُّ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ } [النحل: ٣٧]، فكل هؤلاء الذين أضلهم الله لا يستحقون هداية الله بسبب فعالهم القبيحة: { كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ أُولَئِكَ جَزَاءُهُمْ أَنْ عَلَيهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ } [آل عمران: ٨٦ - ٨٧].

وكما أن الإضلال نتيجة للضلال { وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا } [الشورى: ٤٠]، فكذلك هداية الله إنما هي توفيق وجزاء لمن اختار طريق الطاعة { فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمًا } [النساء: ١٧٥]، { فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى } [الليل: ٥ - ١٠].

ومثل هذه المعاني التي يستنكرها أهل الكتاب على القرآن وردت في كتبهم، ومنه قول بولس: " لأنهم لم يقبلوا محبة الحق حتى يخلصوا، ولأجل هذا سيرسل إليهم الله عمل الضلال حتى يصدقوا الكذب، لكي يدان جميع الذين لم يصدقوا الحق، بل سروا بالإثم " (تسالونيكى (٢) ١٠ / ٢ - ١٢).

وبعد ثبوت براءة القرآن مما نسبوه إليه فإني أتساءل والعجب يلغني: هل جهل أصحاب هذه الشبهة وجود ما استنكروه على القرآن في كتبهم؟ ألم يقرؤوا ما جاء في سفر حزقيال، وهو من الأسفار المقدسة التي يؤمن بها الطاعنون في القرآن من اليهود والنصارى: "الني إذا ضل وتكلم بكلام، فأنا الرب أضللت ذلك النبي" (حزقيال ١٤ / ٩)؟! (وقد تكرر هذا في نصوص كثيرة نكتفي بالإشارة إلى بعضها: انظر: (الخروج ٧ / ٣)، (الأيام (٢) ١٨ / ٢٢)، (تسالونيكى (٢) ١١ / ٢).)، وفي العهد الجديد يذكر بولس أن الله يقسي قلوب من أراد ضلالهم: "هو يرحم من يشاء، ويقسي من يشاء" (رومية ٩ / ١٨)، فماذا هم قائلون؟

وبعيداً عن التعليل القرآني الذي ذكرناه لإضلال الله أهل الشر من عباده؛ فإن بولس لا يجعل الهداية والإضلال بسبب اختيار البشر ونتيجة أفعالهم، بل يسنده وما يستتبعه من العذاب إلى حق الله المطلق في فعل ما يشاء، فيقول: "فتقول لي: لماذا يلوم بعد؟ لأن من يقاوم مشيئته! بل من أنت أيها الإنسان الذي تجاوب الله؟ أعل الجبلت تقول لجابلها: لماذا صنعتني هكذا؟ أم ليس للخزاف سلطان على الطين أن يصنع من كتلة واحدة إناء للكرامة، وآخر للهوان" (رومية ٩ / ١٨ - ٢١)، فالإضلال حسب النص الإنجيلي لا يتعلق إلا بالمشيئة الإلهية، وليس بسبب ظلم العباد وضلالهم وطغيانهم.<sup>١</sup>

### ثالثاً: هل يأمر الله بالفحشاء؟

قالوا: القرآن ينسب إلى الله الأمر بالفاحشة في قوله: {وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاَهَا تَدْمِيرًا} [الإسراء: ١٦]، ففهموا منه أن الآية تقول: الله أمر المترفين بالفسق، ثم عاقبهم على ذلك!

والجواب: ١- لم يظهر في منطوق الآية صريحاً حقيقة ما أمر به الله، فالآية تقول: {أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا}، ولا تحدد حقيقة المأمور به ولا تفصيله، لكن مفهوم الآية يدل على أن الله أمرهم بالطاعة {فَفَسَقُوا فِيهَا} بعضياتهم له، فالفسق هو الخروج عن الطاعة.

قال ابن منظور: " {فسق عن أمر ربه} خرج من طاعة ربه، والعرب تقول إذا خرجت الرطبة من قشرها: قد فسقت الرطبة من قشرها، وكأن الفأرة إنما سميت فويسقة لخروجها من جحرها على الناس، والفسق الخروج عن الأمر وفسق عن أمر ربه أي خرج". (١)

ومن هذا تبين أن فسقهم هو خروجهم عن أمر الله الذي أمرهم بالصالح، فخرجوا عن أمره، والله عز وجل لا يأمر إلا بالصالح، ولا يدعو تبارك وتعالى إلى الفاحشة ولا إلى السيء من القول أو الفعل {وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ} [الأعراف: ٢٨].

(١) - راجع تنزيه القرآن الكريم عن دعاوى المبطلين، منقذ بن محمود السقار ص ١٢٢ - ١٢٥ (١)  
(٢) - لسان العرب، ابن منظور (٣٠٨ / ١٠). مرجع سابق. الناشر: دار صادر - بيروت الطبعة: الثالثة - ١٤١٤ هـ

٢ - بماذا يأمر الله؟؟ (ان الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون)) [النحل / ٩٠] ، ان الله لا يأمر بالفسق ولا بالفجور كما بينت الآية التالية وان كلمة الامر جمعه أمور الامر هو الشأن في الشيء .  
ومصدره أمرته إذا كلفته بشيء أي التكليف الله عز وجل يصف الأمر انه أمرهم بالصلاح فكلمة (أمرنا مترفيها =) أي امرناهم بالطاعة .

فماذا بدر منهم؟ غير الامر الذي كلفهم به ماذا قال؟ قال ففسقوا فيها ((أفمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا )) [السجدة، ١٨] الفسوق أعم من الكافر لأنه أدخل بحكم ما ألزمه العقل واقتضته الفطرة! كذلك عن قوله في سورة الكهف (( ففسق عن أمر ربه )) [الكهف / ٥٠] ، وهذا يدل علي ان الفسوق هو خروج عن طور تكليف واخلال بأمر الزمه اياه المكلف ما بإخلال بجميع احكامه او ببعضها وكذلك حقت كلمة ربك على الذين فسقوا وخلصوا القول :

انه بقوله (وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها) بمعنى رؤساءها أي بالطاعة علي لسان رسلنا (ففسقوا فيها) أي خرجوا عن امرنا (فحق عليها القول عليها القول) بالعذاب (فدمرناها تدميرا) اهلكناها بإهلاك أهلها وتخريبها

فالأية دلالة علي ان الله سبحانه لا يعذب إلا بعد الانذار والوعيد، إذ تبين لنا أن العذاب لا يكون الا بعد التبيان وبعد ان نبين لهم ما يجب عليهم.

ودلالة قوله تعالى: {وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا} [الإسراء: ١٥] إخبار عن عدله تعالى وأنه لا يعذب أحدا إلا بعد قيام الحجة عليه بإرسال الرسول إليه ، كقوله تعالى { كلما ألقى فيها فوج سألهم خزنتها ألم يأتكم نذير قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شيء إن أنتم إلا في ضلال كبير } [الملك: ٨-٩] ، وكذا قوله ( وسيق الذين كفروا إلى جهنم زمرا حتى إذا جاءوها فتحت أبوابها وقال لهم خزنتها ألم يأتكم رسل منكم يتلون عليكم آيات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا بلى ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين ) [الزمر: ٧٣] إلى غير ذلك من الآيات الدالة على أن الله تعالى لا يدخل أحدا النار إلا بعد إرسال الرسول إليه وان يكون الحجة قائمة عليهم في حجة لهم بعدم إبلاغهم .. فالذين رتبوا الفسق على الأمر ليسوا فقط مخطئين بل متقصدين للخطأ فأمر الله تعالى في القرآن لا يكون إلا بطاعة وخير، ولا يأمر سبحانه بفسق أو فحشاء، كما ذكر القرآن الكريم، وعلى هذا يكون المراد من الآية: أمرنا مترفيها بطاعتنا ومنهجنا، ولكنهم خالفوا وعصوا وفسقوا؛ لذلك حق عليهم العذاب ، فالفهم المستقيم للآية أنهم فسقوا فأراد الله إهلاكهم. و(قرية) أي أهل القرية. وقوله: كما قال تعالى: {كذلك حقت كلمت ربك على الذين فسقوا "٣٣"} [يونس] ، وقد أوجب الله لها العذاب لتسلم حركة الحياة، وليحمي المؤمنين من أذى الذين لا يؤمنون بالآخرة.

**رابعاً : هل يتحسر الله؟**

قالوا: نسب القرآن إلى الله التحسر في قوله: { يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ } [يس: ٣٠]، والتحسر أشد الندم، فهل الله يتحسر؟

والجواب: أن الآية لم تذكر مطلقاً صدور الحسرة من الله، بل تحكي تحسر الكافرين على تكذيبهم الرسل وهم يلقون في النار، ولو كان التحسر من الله. عياداً بالله من هذا المعنى. فإن الله قادر على إخراجهم من النار وإدخالهم الجنة؛ فهذا أولى له من التحسر الذي يصنعه من لا يملك حيلة ولا دفعاً لما يتحسر عليه.

وهذا المعنى فهمه مفسرو الإسلام ونقلوه عن التابعين، قال ابن كثير: "قال قتادة: { يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ } : أي يا حسرة العباد على أنفسها على ما ضيعت من أمر الله، وفرطت في جنب الله... ومعنى هذا: يا حسرتهم وندامتهم يوم القيامة إذا عاينوا العذاب، كيف كذبوا رسل الله، وخالفوا أمر الله" (١).  
قال ابن عباس: { يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ } أي يا ويل العباد (نفس المصدر).

ويصدق هذا قول الله تعالى: { أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتِي عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ وَإِن كُنْتُ لَمِنَ السَّآخِرِينَ } [الزمر: ٥٦]، فالمتحسر هو الكافر، لا الله عز وجل، فبطلت الشبهة واستبان الحق لمن ألقى السمع وهو شهيد.

والعجب أن كتب أصحاب هذه الشبهة لا تمل من كثرة نسبة التحسر والندم إلى الله تعالى، ومن ذلك أن الرب قال: "ندمتُ على أي جعلتُ شاول ملكاً، لأنه رجع من ورائي، ولم يقم كلامي" (صموئيل (١) ١٥ / ١٠)، وأنه رفع عن بني إسرائيل العذاب بيد أعدائهم "لأن الرب ندم من أجل أنينهم" (القضاة ٢ / ١٨). (٢)

### خامساً : هل الكبر صفة محمودة حتى يصف القرآن الله سبحانه بها ؟

قالوا: الكبر صفة مذمومة ينفر منها العقلاء، ومع ذلك فإن القرآن يصف الله ويسميه بالمتكبر في قوله: { هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيَّمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ } [الحشر: ٢٣].

والجواب: بداية فإن الله عز وجل وصف نفسه وسماها في القرآن الكريم بأسماء وصفات الجلال والجلال {وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى}، فأى اسم من أسمائه يدل على غاية في الحسن والكمال، مما يليق بجلال الله وعظمته. وهذا المعنى يلزم صفات الله، وإن دلت هذه الصفات على غير الكمال والجلال حين تضاف إلى العباد؛ فإن الاسم في إطلاقه على الله يتعالى عن كل معنى مشين.

وقد سمى الله تعالى نفسه بالمتكبر لتعالیه وتنزهه عن كل النقائص والمعائب، قال قتادة: "تكبر عن كل شر" (٣).

ولو تساءلنا عن معنى الكبر في لغة العرب؛ لوجدنا المرتضى الزبيدي يجيب بالقول: "الكبر: الرفعة والشرف... والتكبر والاستكبار: التعظيم.."، والله عز وجل مستحق للرفعة والشرف والتعظيم، بل له من ذلك أكمله وأتمه.

(١) - (تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (٦/ ٥٧٤)) مرجع سابق .

(٢) - تنزيه القرآن الكريم عن دعاوى المبتلين، منقذ بن محمود السقار ص ١٢٧

(٣) - (جامع البيان، الطبري (٢٣/ ٣٠٢)). مرجع سابق .

قال ابن الأثير: "المتكبر والكبير أي العظيم ذو الكبرياء، وقيل: المتعالي عن صفات الخلق، وقيل: المتكبر على عتاة خلقه .. والكبرياء العظمة والملك، وقيل هي عبارة عن كمال الذات وكمال الوجود، ولا يوصف بها إلا الله تعالى". (١)

وأما كبر الإنسان فهو مذموم - بالجملة - إذا طلب فيه الإنسان ما لا يستحقه، فالناس سواسية، لا يتميز بعضهم على بعض إلا بقدر ما أنعم الله به على الواحد فيهم، فمن كان هذا حاله؛ فحقه المزيد من التواضع والصَّغار لله المنعم، لا التباهي والكبر على عباد الله، يقول الزبيدي: "الكبر والتكبر والاستكبار متقاربة، فالكبر: حالة يتخصص بها الإنسان من إعجابه بنفسه، وأن يرى نفسه أكبر من غيره" (٢)، فمثل هذا الكبر مذموم؛ لأن البشر متساوون، فتعظم بعضهم واستكبارهم على بعضهم غير مستحق، فلحق صاحبه الذم.

كما أن من كبر العباد ما هو ممدوح؛ كاستكبارهم واستعلائهم عن الذنوب والدنايا والחסائس، فالعاقل يتكبر ويزفع على مواقعتها، وتكبره عليها غير مذموم.

ومن الكبر غير المذموم ما يقع طبيعة؛ كاستكبار الإنسان على غيره من الحيوانات، فيرى أنه أفضل منها وأعلى، وأنه أحق بالحياة منها، وأن حياة كثير منها رهن مصلحته وحاجته، وأنه الأحق بمنافع الكون المسخر له، فاستكباره عليها وتكبره بذبحها وإهدار مصالحها ليس بمذموم؛ لأنه حقه، فإذا كان كذلك؛ فتكبر الله المنعم على عباده أولى. (٣)

### سادساً: هل الله لا يعلم الأشياء إلا بعد حدوثها؟

قالوا: القرآن ينسب إلى الله أنه لا يعلم الأشياء إلا بعد حدوثها، واستدلوا بآيات، منها قوله: {الآن خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا} [الأنفال: ٦٦]، وقوله: {وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعِ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَيَّ عَقْبَيْهِ} [البقرة: ١٤٣].

والجواب: أن القرآن نسب إلى الله العلم المطلق بكل شيء، فهو الذي يعلم ما كان وما سيكون، وما لم يكن لو كان كيف يكون، والآيات القرآنية في هذا الصدد لا تكاد تحصى لكثرتها، منها قوله: {وَأَنْتُمْ اللَّهُ وَاعِلْمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ} [البقرة: ٢٣١]، وقوله: {إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ} [آل عمران: ١١٩]، وقوله: {إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا} [النساء: ٣٢].

وعلم الله أزلي، وقد كتب الله ما سيعمله العباد قبل أن يخلق الخلق بخمسين ألف سنة، يقول ﷺ: «كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة» (٤) وفي حديث آخر: «وكتب في الذكر كل شيء، وخلق السماوات والأرض» (٥)، فهذا النوع الأول من علم الله، وثبوته كافٍ في دفع الشبهة.

(١) - (لسان العرب، ابن منظور (٥/١٢٥)). مرجع سابق .

(٢) - (تاج العروس، الزبيدي (٣/٥١٤)). مرجع سابق .

(٣) - تنزيه القرآن الكريم عن دعاوى المبطلين، منقذ بن محمود السقار ص ١٢٨ - ١٢٩ مرجع سابق .

(٤) - (مسلم ح (٢٦٥٣)).

(٥) - (البخاري ح (٣١٩٢)).

والنوع الثاني من العلم الإلهي هو علمه بوجود ما علمه أولاً، أي علمه بحدوث أفعالنا التي كان يعلم أنها ستكون، فالله يعلم ذنب المذنب وطاعة المطيع قبل أن يخلق الخلق، ثم إذا أذنب العبد أو أطاع؛ علم الله تحقق الفعل ووجوده، فأثابه عليه بموجب فعله، فهذا نوع آخر من العلم، يتصف به الله العليم الذي كان وما يزال عليماً.

وهو ما يفهمه المتأمل في آيات القرآن الكريم، ففي آيات سورة المائدة يخبر الله أنه يتلي عباده بما حرم عليهم من الصيد ليعلم من يخافه بالغيب ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَبِئْسَ مَا كُنْتُمْ تَفْعَلُونَ﴾ [المائدة: ٩٤]، فهذا علم الوجود للفعل وتحققه، وهو العلم الذي يحاسب الله الخلائق به، ولا يمنع هذا ولا يتعارض مع علم الله المطلق الذي أثبتته السياق نفسه: ﴿لَتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [المائدة: ٩٧].

ومثله في حديث الله عن المنافقين، فقد أخبر الله أنه يعلم ما في صدورهم، وأنه سيعلم أفعالهم التي تخبر بما في قلوبهم حين يفعلونها ﴿أَوَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ﴾ [العنكبوت: ١٠ / ١١]. ومثله قول الله تعالى: ﴿وَلَيَبْتَغِي اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَيُخَصِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ [آل عمران: ١٥٤]، فهو عليم بضمائرهم، واختباره لهم ليس لزيادة علمه تبارك وتعالى، بل ليتحقق ما علمه بفعل العباد، فيجازيهم بموجب هذا العلم، أي بموجب علمه بما عملوا.

وقد سمي العلماء هذا العلم "علم المشاهدة"، أي مشاهدة أو رؤية ما علمه الله أولاً، ثم تحقق فرآه، ومن المعلوم أن الرؤية والعلم يترادفان في بعض الإطلاقات، كما في قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ [المجادلة: ٧]، ومعناه: ألم تعلم، لذا قال القرطبي في تفسير قوله تعالى: ﴿لَيَعْلَمَنَّ أَنَّ قَدْ أَبْلَغُوا رَسُولَاتٍ رَحْمَتِهِمْ﴾ [الجن: ٢٨]: "المعنى: ليعلم الله ذلك علم مشاهدة كما علمه غيباً".<sup>(١)</sup>

وفي شرح قوله: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ﴾ [محمد: ٣١] يقول ابن الجوزي: "العلم الذي هو علم وجود، وبه يقع الجزاء".<sup>(٢)</sup>

وقال ابن تيمية: "علم الرب تبارك وتعالى لا يجوز أن يكون مستفاداً من شيء من الموجودات، فإن علمه من لوازم ذاته؛ فعلم العبد يفتقر إلى سبب يحدثه وإلى المعلوم الذي هو الرب تعالى أو بعض مخلوقاته، وعلم الرب لازم له من جهة أن نفسه مستلزمة للعلم والمعلوم: إما نفسه المقدسة وإما معلوماته التي علمها قبل خلقها ...".

ثم ذكر بعضاً من الآيات من جنس ما أورده الطاعنون في القرآن اليوم، وعقب بالقول: "هذا مع اتفاق سلف الأمة وأئمتها على أن الله عالم بما سيكون قبل أن يكون، وقد نص الأئمة على أن من أنكر العلم القديم فهو كافر"<sup>(٣)</sup>. وهكذا تبين فساد هذا القول وبطلانه بالدليل والبرهان.

(١) - (الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (١٩ / ٣١). مرجع سابق .

(٢) - (زاد المسير، ابن الجوزي (٤ / ١٢٢). الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت ط: الأولى - ١٤٢٢ هـ المحقق: عبد الرزاق المهدي

(٣) - (دره تعارض العقل مع النقل، ابن تيمية (٩ / ٣٩٦). الناشر: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، -السعودية ط٢/١٩٩١

لكن العجب في هذه الأبطولة صدورها ممن في كتبه مثل هذه المعاني من غير أن يستنكرها، فقد جاء في سفر التكوين أن الله قال لإبراهيم: " لا تمد يدك إلى الغلام، ولا تفعل به شيئاً، لأني الآن علمت أنك خائف الله، فلم تمسك ابنك وحيدك عني" (التكوين ٢٢ / ١٢)، ومثله في سفر التثنية " وتذكر كل الطريق التي فيها سار بك الرب إلهك هذه الأربعين سنة في القفر؛ لكي يُدَلِّكَ ويجربك، ليعرف ما في قلبك؛ أتَحْفَظ وصاياها أم لا؟" (التثنية ٨ / ٢)، أفما كان أولى بهم أن يحملوا نصوص القرآن على المعاني التي يحملون عليها ما جاء في كتبهم؟ لكنهم قوم مبطلون. (١)

### سابعاً : هل شكَّ القرآن في عدد قوم يونس عليه السلام؟

قالوا: شك القرآن في عدد قوم يونس حين قال: { وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِثَّةِ آلِفٍ أَوْ يَزِيدُونَ } [الصفات: ١٤٧]، وهذا الشك - الذي يفيد حرف (أو) - يمنع نسبة القرآن إلى الله العليم الذي لا يخفى عليه عدد قوم يونس ولا غيرهم.

والجواب: الله بكل شيء عليم، ولا يعزب عن علمه شيء في الأرض ولا في السماء، وإنما جهل المستشكل لهذه الآية لغة العرب، ذلك أن (أو) في لغة العرب تأتي على معاني (٢) ، فمنها ما هو للشك، كقولنا: جاء محمد أو زيد، ومنها ما يفيد التخيير، كقولنا: تعال اليوم أو غداً، ومنها ما يأتي بمعنى (و) أو (بل)، وهما معنيان متقاربان، وهو موضع الشاهد، ويلزمنا فيه بعض التفصيل.

تفيد (أو) معنى الواو، وهو كثير في لغة العرب، كما في قول الشاعر توبة بن الحمير:

وقد زعمت ليلي بأني فاجرٌ ... لنفسي تقاها أو عليها فجورها

أي: وعليها فجورها. ومثله قول أبي الأسود الدؤلي:

أحب محمداً حباً شديداً ... وعباساً وحمزة أو علياً

ويريد أنه يحب حمزة وعلياً؛ لا أنه متردد في محبته بينهما.

ومثله قول جرير وهو يمدح الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز:

نال الخلافة أو كانت له قدراً ... كما أتى ربّه موسى على قدر

أي: نال الخلافة وقد كانت له قدراً.

وهذا الاستخدام الشائع عند العرب لحرف (أو) بمعنى الواو (٣)، ورد في القرآن الكريم في مواضع كثيرة،

منها قول الله تعالى: { وَلَا تُطْعَمُ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا } (الإنسان: ٢٤)، أي: ولا تطعم آثماً وكفوراً، وكذلك قوله:

{ عُدْرًا أَوْ نُدْرًا } (المرسلات: ٦)، أي: عذراً ونذراً، وقوله: { لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى } (طه: ٤٤)، أي: يتذكر

ويخشى، وقوله: { لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا } [طه: ١١٣]، أي: يتقون ويحدث لهم ذكراً، وقوله: { حَرَمْنَا

(١) - تنزيه القرآن الكريم عن دعاوى المبطلين، منقذ بن محمود السقار ص ١٣٠ - ١٣٢

(٢) - (وشرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب، محمد الجوهري (٢/ ٨٠٨) الناشر: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية (أصل الكتاب: رسالة ماجستير للمحقق) الطبعة: الأولى، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٤م. مختار الصحاح، الرازي (١/ ٢٥)). الناشر: المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت - صيدا الطبعة: الخامسة، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م .

(٣) - انظر المنجد من الشواهد في شرح الأسموني على ألفية ابن مالك (١/ ٣٧٨-٣٨١). الناشر: دار الكتب العلمية بيروت - لبنان الطبعة: الأولى ١٤١٩هـ -

عَلَيْهِمْ شُحُومُهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوْ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ { [الأنعام: ١٤٦]، أي: وما اختلط بعظم.

وقد خرج العلماء قوله تعالى: {أو يزيدون} على هذا المعنى الشائع عند العرب، أي: بمعنى الواو، فالمعنى: أن الله أرسل يونس إلى مائة ألف ويزيدون، ونقل ذلك عن بعض الصحابة والتابعين، كابن عباس والحسن وسعيد بن جبيرة، بل هو مروي عن النبي ﷺ، فقد سأله أبي بن كعب عن هذه الآية؟ فقال ﷺ: «عشرون ألفاً» (١) ، أي: يزيدون عشرين ألفاً.

كما تأتي (أو) في لغة العرب بمعنى آخر قريب، وهو (بل) التي تفيد الإضراب الانتقالي كما أسماه إماما اللغة أبو علي الفارسي وابن جني، وغيرهما، واستشهدوا بقول جرير وهو يصف كثرة عياله: ماذا ترى في عيال قد برمت بهم ... لم أحص عدتهم إلا بعدد كانوا ثمانين أو زادوا ثمانية ... لولا رجاؤك قد قتلت أولادي ومثله قول ذي الرمة:

بَدَتْ مِثْلَ قَرْنِ الشَّمْسِ فِي رَوْثِ الضُّحَى ... وَصورتها أو أنتِ في العين أُمْلَحُ ٢.

وتفيد (بل) معنى زائداً على (الواو)، وهو إثبات المخبر عنه، ونفي ما زاد عنه، ومعناه في البيت الأول أنهم ثمان وثمانون، وليسوا أقل من ذلك، وفي الثاني أن جمالها ليس بأقل من قرن الشمس، بل هي أجمل منها.

وهذا المعنى الفصيح والبليغ ل (أو) ورد في القرآن مراراً، ومنه قوله تعالى: {ثُمَّ قَسَتْ فُلُوبُكُمْ مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً} [البقرة: ٧٤]، أي: بل هي أشد قسوة، وقوله: {إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً} [النساء: ٧٧]، أي: بل أشد خشية، وقوله عن قرب النبي ﷺ من جبريل: {فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى} [النجم: ٩]، أي: بل هو أدنى، وقوله: {وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ} [النحل: ٧٧]، أي: بل هو أقرب، وقوله: {فَادْكُرُوا اللَّهَ كَدِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا} [البقرة: ٢٠٠]،

أي: بل أشد ذكراً.

لذا لما سأل عبد الله بن سلام النبي ﷺ: على كم تفرقت بنو إسرائيل؟ أجابه ﷺ: «على واحدة أو اثنتين وسبعين فرقة، وأمتي أيضاً ستفترق مثلهم، أو يزيدون واحدة، كلها في النار إلا واحدة» (٣). وقوله: «على واحدة أو اثنتين وسبعين فرقة»، ليس للشك، بل المعنى: واحدة وسبعون لليهود، واثنتان وسبعون للنصارى، كما يفسره ﷺ في حديث عوف بن مالك عنه: «افتترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة .. وافتترقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة».

(١) - (أخرجه الترمذي ح (٣٢٢٩)).

(٢) - (مختار الصحاح، الرازي (١/٢٥٠)). مرجع سابق

(٣) - (أخرجه عبد الرزاق في مصنفه ح (١٨٦٧٥)).

وكذلك قوله ﷺ : «وأمتي أيضاً ستفترق مثلهم، أو يزيدون واحدة»، معناه: بل يزيدون واحدة، كما في قوله في حديث عوف السالف: «والذي نفسي بيده لتفترقن أمتي على ثلاث وسبعين فرقة» (١). ومال إلى هذا التوجيه ابن كثير بقوله في شرحه لآية سورة يونس: "أي: ليسوا أقل منها، بل هم مائة ألف حقيقة، أو يزيدون عليها. فهذا تحقيق للمخبر به، لا شك ولا تردد، فإن هذا ممتنع هاهنا" ، وهكذا فإن القرآن ينص على أن عدد قوم يونس عليه السلام قد جاوز المائة ألف، فاستبان الأمر وبطلت الشبهة {وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا} (الفرقان: ٣٣). (٢)

### ثامناً: فتبارك الله أحسن الخالقين ، وهل من خالق غير الله ؟

سؤال : يقول عز وجل في سورة [المؤمنون: ١٣] {فتبارك الله أحسن الخالقين} فهل يعني هذا أن هناك إلهاً آخر؟ .. الجواب :

قال القرطبي (٣): (أحسن الخالقين) أتقن الصانعين. يقال لمن صنع شيئاً خلقه، ومنه قول الشاعر: ... ولأنت تفري ما خلقت وبع ... ض القوم يخلق ثم لا يفري»  
 وذهب بعض الناس إلى نفي هذه اللفظة عن الناس، وإنما يضاف الخلق إلى الله تعالى. وقال ابن جريح: إنما قال: "أحسن الخالقين" لأنه تعالى قد أذن لعيسى عليه السلام أن يخلق. ولا تنفى اللفظة عن البشر في معنى الصنع، وإنما هي منفية بمعنى الاختراع والإيجاد من العدم.

ذكر المفسرون أوجهاً في قوله تعالى { فتبارك الله أحسن الخالقين } [ المؤمنون : ١٤ ] أهمها :

الأول : أن الخلق هنا بمعنى الصنع ، فالمعنى: تبارك الله أتقن الصانعين . كما مرّ آنفاً

الثاني : أن الخلق بمعنى التقدير ، فإنه سبحانه هو أحسن المقدرين جل وعلا .

الثالث : أن المعنى : أن الله تعالى هو أحسن الخالقين في اعتقادكم وظنكم .

الرابع : وهو أحسنها : أننا نثبت للمخلوق خلقاً، لكنه ليس كخلق الله تعالى. فخلق الله جل وعلا إيجاد من العدم، وخلق المخلوق لا يكون إلا بالتغيير والتحويل والتصرف في شيء خلقه الله تعالى .ومن ذلك ما جاء في الصحيحين أنه يقال للمصورين يوم القيامة: "أحيوا ما خلقتم". ومعلوم أن المصور لم يوجد شيئاً من العدم إنما حول الطين، أو الحجر إلى صورة إنسان أو طير ، وحول بالتلوين الرقعة البيضاء إلى ملونة، والطين والحجر والمواد والورق كلهم من خلق الله تعالى .

وأيضاً : فالعبد لا يمكنه فعل شيء إلا عند وجود الإرادة الجازمة والقدرة التامة، والإرادة والقدرة كلتاها مخلوقتان لله عز وجل، وخالق السبب التام خالق للمسبب. ولهذا كان من اعتقاد أهل السنة والجماعة أن الله تعالى خالق للعباد وأفعالهم، كما قال ربنا { والله خلقكم وما تعملون } [الصفات: ٩٦] . والحاصل أن الخلق الذي هو الإيجاد من العدم صفة يختص بها الله تعالى، كما قال { أفمن يخلق كمن لا يخلق أفلا تذكرون } [النحل: ١٧] وقال تعالى { هل من خالق غير الله يرزقكم من السماء والأرض لا إله إلا هو } [فاطر: ٣] .

(١) - (أخرجه ابن ماجه ح (٣٩٩٢)، والطبراني في الكبير ح (١٢٩).)

(٢) - (تفسير القرآن العظيم (٤/٣١٦).) . و تنزيه القرآن الكريم عن دعاوى المبطلين ، منقذ بن محمود السقار ص ١٣٣ - ١٣٥

(٣) - تفسير القرطبي ١٢ / ١١٠ مرجع سابق .

يقول الأزهري : " وأصل الخلق التقدير، فهو باعتبار تقدير ما منه وجوؤها وباعتبار للإيجاد على وفق التقدير خالقٌ . والخلقُ في كلام العرب : ابتداء الشيء على مثال لم يُسبق إليه : وكل شيء خلقه الله فهو مُبتدئُه على غير مثال سبق إليه : ألا له الخلق والأمر تبارك الله أحسن الخالقين " (١)

و يقول أبو بكر الأنباري : " الخلق في كلام العرب على وجهين: أحدهما الإنشاء على مثال أبداعه، والآخر التقدير؛ وقال في قوله تعالى: فتبارك الله أحسن الخالقين، معناه أحسن المقدِّرين؛ وكذلك قوله تعالى: وتخلّفون إفكاً؛ أي تُقدِّرون كذباً .

وقوله تعالى: أَيُّ أخلُق لكم من الطين خلقه؛ تقديره، ولم يرد أنه يُحدث معدوماً (٢).

و معنى هذا الكلام أن الخلق عادة يعني صنع الشيء و تحويله من صورة إلى صورة أخرى لذا نسمى الإبداعات النادرة أعمال خلاقة لروعة تقديرها و مهارة خالقها أي صانعها ، أما الخلق بمعنى الإيجاد من العدم فينفرد به الله لذا كان هو أحسن الخالقين أي الذي لا يخلق على منواله أحد أبداً .

والخلق في اللغة التقدير، يقال خلقت الأديم إذا قسته لتقطع منه شيئاً، فمعنى أحسن الخالقين أتقن الصانعين

## تاسعاً : وصف الله تعالى نفسه : {وكان الله عليماً حكيماً} [النساء: ١٧] {وكان الله على كل شيء قديراً} [النساء: ١٣٣] فهل كان وانتهى؟

لماذا ذكر في كثير من سور القرآن الكريم لفظ : وكان الله عليماً حكيماً، وكان الله على كل شيء قديراً، وغيرها في صيغة الماضي فما المعنى المقصود ؟

١- المقصود من الآيات.. { وكان الله عليماً حكيماً } { وكان الله على كل شيء قديراً } وما جاء بمعناها. اتصاف المولى جل جلاله بكل صفة من تلك الصفات المخبر عنها من العلم، والحكمة، وكمال القدرة على وجه الاستمرار والدوام ، فمعنى قوله تعالى : ( وكان الله عليماً حكيماً ) أي : لم يزل على ذلك . وهذا لا إشكال فيه، فإنَّ ( كان ) تأتي كثيراً في القرآن الكريم، وفي كلام العرب بمعنى اتصال الزمان من غير انقطاع. ومما ورد من ذلك في القرآن الكريم زيادة على الآيتين المسئول عنهما وما جاء في معناهما قوله تعالى : { إنه كان لآياتنا عنيدا } [المدرثر: ١٦]. وقوله تعالى : { إن هذا كان لكم جزاء } [الإنسان: ٢٢]. وقوله : ( كان مزاحها زنجبيلاً ) [الإنسان: ١٧].

ومن شواهدهما في كلام العرب قول المتلمس : وكنا إذا الجبار صعر خده \*\*\* أقمنا له من ميله فتقومنا  
وقول قيس بن الخطيم : وكنت امرأة لا أسمع الدهر سبة \*\*\* أسب بها لإكشفت غطاءها  
وقول أبي جندب الهذلي : وكنت إذا جاري دعا لمضوفة \*\*\* أشمر حتى ينصف الساق مئزري  
فهؤلاء الشعراء إنما يجربون عن حالتهم الدائمة المستمرة، وليس غرضهم الإخبار عما مضى. (٣)

(١) - (لسان العرب لابن منظور مادة خ-ل-ق) ، الناشر: دار صادر - بيروت ، الطبعة: الثالثة - ١٤١٤ هـ

(٢) - " (المصدر السابق)

(٣) - عن مركز الفتوى بالشبكة الاسلامية ، وهذا جواب الشيخ عطية صقر :

٢- إذا وصف الله نفسه في القرآن الكريم لم يأت هذا الوصف دائماً مقروناً بلفظ "كان" فكثيراً ما يأتي الوصف بدون ذلك . قال تعالى { إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ } [سورة البقرة : ١٠٩ ] { إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ } [ سورة البقرة : ٢٢٢ ] { وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ } [ سورة المزمل : ٢٠ ] .

وفي بعض الآيات يأتي الوصف مع لفظ "كان" كقوله تعالى { وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا } [سورة الأحزاب : ٥٩ ] وقوله { وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا } [سورة الفتح : ٢٦ ] وقوله تعالى { وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا } [ سورة النساء : ١٣٤ ]

وليس المراد بذلك أن الله . سبحانه . كان مُتصِفًا بالمغفرة والرحمة والعلم والسمع والبصر في زمن مضى، ثم زالت عنه هذه الصفات في الزمن الحاضر ولا يتصف بها في المستقبل؛ ذلك لأن تقسيم الزمن إلى ماضي وحاضر ومستقبل هو بالنسبة لنا نحن، حين نتحدث ونحدد ما يقع من أحداث قبل زمن الحديث عنها أو في أثناء الحديث أو بعده أما الله سبحانه فهو مُتَزَه عن الزمان . وما كان مخلوقاً لا يتحكّم فيمن خلقه .

وكان الله . سبحانه . حين يقرن صفاته بلفظ "كان" يبيّن لنا أنه موصوف بذلك قبل أن يخرننا، بل قبل أن يخلقنا، فهي صفات أصيلة فيه وجبت له لذاته لا لعله أوجدتها فيه . فقد كان الله بصفاته ولا شيء معه . وقد تَبَّه المفسرون على ذلك، فجاء مثلاً في تفسير الجلالين لقوله تعالى في أول سورة النساء { إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا } قوله : أي لم يزل مُتصِفًا بذلك . وقال الجمل في الحاشية : تَبَّه به على أن "كان قد اسْتَعْمِلَتْ هنا في الدوام، لقيام الدليل القاطع على ذلك"

**عاشراً : يؤكد القرآن أنه لا يمكن للملائكة أن تعصى الله [التحريم/ ٦] ، ومع ذلك فقد عصى إبليس الذي كان من الملائكة ، [البقرة / ٣٤] فأيهما صحيح .؟**

الرد على الشبهة:

١- ومع تقرير هذه الآية أن هؤلاء الملائكة القائمين على النار { لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون } يقرر القرآن الكريم أن إبليس . وهو نوع من الملائكة بأحد الاقوال في قمة العصيان والعصاة: {وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس أبى واستكبر وكان من الكافرين } وبالجمع بين الآيتين نقول: إن عموم الملائكة لا يعصون الله سبحانه وتعالى فهم مفطورون ومجبولون على الطاعة.. لكن هذا لا ينفي وجود صنف هم الجن . ومنهم إبليس، شملهم القرآن تحت اسم الملائكة . كما وصف الملائكة أيضاً بأنهم جنّة . لخفائهم واستتارهم . وهذا الصنف من الجن ، منهم الطائعون ومنهم العصاة..

" سجدوا إلا إبليس " ، وهو فرد من أفراد الملائكة ، كما يفهم من الآية وأمثالها في القصة ، إلا آية الكهف فإنها ناطقة بأنه كان من الجن .. وليس عندنا دليل على أن بين الملائكة والجن فصلاً جوهرياً يميز أحدهما عن الآخر ، وإنما هو اختلاف أصناف ، عندما تختلف أوصاف . فالظاهر أن الجن صنف من الملائكة .

وقد أطلق القرآن لفظ الجنَّة على الملائكة ، على رأى جمهور المفسرين فى قوله تعالى: {وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا } [الصفات: ١٥٨] " (١)

" وقال سعيد بن جبیر: إن الجن سبَّط من الملائكة ، خلقوا من نار ، وإبليس منهم ، وتُخلق سائر الملائكة من نور.. والملائكة قد تسمى جنا لاستتارها. وفى التنزيل: {وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا } [الصفات: ١٥٨] وقال الشاعر أعشى قيس . فى ذكر سليمان . عليه السلام: وسَخَّر من جنِّ الملائكة تسعة قيماً لديه يعملون بلا أجر. (٢)

فلا تناقض إذًا بين كون الملائكة لا يعصون الله .. وبين عصيان إبليس.. وهو من الجن ، الذين أطلق عليهم اسم الملائكة ... فهو مثله كمثل الجن هؤلاء منهم الطائعون ومنهم العصاة. (٣)

## ٢ - رد بشكل آخر فى الموضوع :

إبليس مأمورًا بالسجود كما نصَّت الآيات، وهو علم دخوله فى الخطاب، ولم يتم توجيه الأمر إليه مباشرة؟ وذلك جاء على صيغة تغليب الأكثر وتوجيه الخطاب إليه، فإبليس فردٌ والملائكة ، جمعٌ كثيرٌ، فذكروا بالأمر بالسجود دونه من باب التغليب وهو أسلوب عربي عريق، قد جاء كثيرًا فى نصوص القرآن والسنة ولغة العرب .

وإنَّ إبليس أبو الجن وذلك هو ظاهر القرآن ولا معارض له مقبول فإن الله سبحانه قد أخبر فى كتابه عن إبليس أنه اعترض على السجود بقوله: {خلقتني من نار وخلقته من طين} فهو يتحدث عن خلقه هو لا عن غيره من أب أو جد فأول الجن خلقا هو إبليس وهو أبوهم {أفتتخذونه وذريته أولياء من دوني وهم لكم عدو} [الكهف: ٥٠] كما أن أول الإنس خلقا هو آدم وهو أبوهم وإبليس قد خلق قبل آدم {ولقد خلقنا الإنسان من صلصال من حمأ مسنون\* والجان خلقناه من قبل من نار السموم} [الحجر: ٢٧].

قال الحسن البصري رحمه الله: "ما كان إبليس من الملائكة طرفة عين قط وإنه لأصل الجن كما أن آدم أصل الإنس" قال ابن كثير: "وهذا إسناد صحيح عن الحسن" (٤) . وقال ابن حجر فى الفتح : " إبليس أبو الجن كلهم " (٥) وبهذا القول يزول الإشكال عن كيفية وجود إبليس بين الملائكة وهو ليس منهم، فالله قد خلقه وجعله بينهم، كما أنه خلق آدم وجعله فى الجنة ثم أنزل الجميع إلى الأرض جزاء وابتلاء، هذا بالنسبة لأبي الجن.

وأما بالنسبة لأبي الشياطين فلا بد من مقدمة لبيان ذلك، فإن لفظ ( شيطان ) يطلق على إبليس ويطلق على جنس من الجن وهم المردة من ذرية إبليس، ويطلق على المتمرد من الإنس على أوامر ربه. فأما إطلاقه على إبليس ففي مثل قوله تعالى {فأزلهما الشيطان عنها } وقوله تعالى {فوسوس لهما الشيطان } وقوله تعالى

( ١ ) - (الأعمال الكاملة للإمام محمد عبده) ج ٤ ص ١٣٣). عن شبهات المشككين مجموعة من نخبة العلماء منشور وزارة الأوقاف المصرية ، شبهة ٣٧ .

( ٢ ) - (الجامع لأحكام القرآن) ج ١ ص ٢٩٤-٢٩٥). مرجع سابق .

( ٣ ) - شبهات المشككين ، مجموعة من المؤلفين ، موقع وزارة الأوقاف المصرية شبهة رقم ٣٧

( ٤ ) - تفسير ابن كثير (٢٣١/١) فى تفسير قوله (وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم). مرجع سابق .

( ٥ ) - فتح الباري : (٣٦٩/٦) مرجع سابق .

{ لا يفتننكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة } [الاعراف: ٢٧] وهذا غالب إطلاقه، فالشيطان علم في الغالب على إبليس.

وأما إطلاقه على جنس من الجن ففي مثل قوله تعالى { وما تنزلت به الشياطين } وقوله تعالى { هل أنبئكم على من تنزل الشياطين } { والشياطين كل بناء وغواص } { وجعلناها رجوما للشياطين } وهو ههنا وصف لهم.

وأما إطلاقه على متمردي الإنس ففي مثل قوله تعالى { وكذلك جعلنا لكل نبي عدو شياطين الجن والإنس يوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا } وهو هنا وصف لهم أيضا. وحينئذ فلا يمكن أن يقال : أبو الشياطين هو فلان إذ منهم جن ومنهم بشر، إلا أن يكون الحكم أغلبي، فيقال إبليس أبو الشياطين لأن غالب الشياطين منهم ولأنه مصدر شيطنتهم .

**الحادي عشر: رد على الكذاب زكريا بطرس في معنى (الصمد) قال ولم يتفق مفسرو القرآن حول معناها واطراف ان هذه الآية دليل على عقيدة التثليث وذلك ان المعنى الفعلي لكلمة " الصمد " هو الواحد في مجموع وقال: وسبب اختلاف التفاسير هو ان كلمة " الصمد " هو لفظ أعجمي عبراني وبالعودة الى القاموس العبراني نجدها " شمد " ومعناها الواحد في مجموع وبالتالي فإن تفسير الآيات هو على النحو التالي " الله احد اي واحد الله الصمد اي واحد في مجموع والمجموع هو ثلاثة أقانيم حسب المعنى العبراني وباللغة اليونانية " سمد " ومعناها ايضا الواحد المكون من مجموع.**

إليك ما جاء في تفسير كلمة الصمد في معاجم اللغة فإليك ما قال لسان العرب وبه كل المعاني الممكنة والمستعملة لكلمة صمد وليس به معنى مكون من ثلاثة علما بأن المعجم يأتي بأصل الكلمة وكل ما يدور حولها!

(( صمد : صَمَدٌ يَصْمِدُهُ صَمْدًا وَصَمَدٌ إِلَيْهِ كِلَاهُمَا: فَصَدَهُ. وَصَمَدٌ صَمْدٌ الْأَمْرُ: فَصَدَ فَصَدَهُ وَاعْتَمَدَهُ. وَتَصَمَّدَ لَهُ بِالْعَصَا: فَصَدَ.

وفي حديث معاذ بن الجُمُوح في قتل أبي جهل: فَصَمَدْتُ لَهُ حَتَّى أَمَكَّنْتَنِي مِنْهُ غِرَّةً أَيْ وَثَبْتُ لَهُ وَقَصَدْتَهُ وَانْتَظَرْتَ غَفْلَتَهُ. وفي حديث علي: فَصَمَدًا صَمْدًا حَتَّى يَتَّجِلَى لَكُمْ عَمُودَ الْحَقِّ. وَبَيْتٌ مُصَمَّدٌ، بِالتَّشْدِيدِ، أَيْ مَقْصُودٌ.

وَتَصَمَّدَ رَأْسَهُ بِالْعَصَا: عَمَدَ لِمُعْظَمِهِ. وَصَمَدَهُ بِالْعَصَا صَمْدًا إِذَا ضَرَبَهُ بِهَا.

وَصَمَدٌ رَأْسُهُ تَصْمِيدًا: وَذَلِكَ إِذَا لَفَّ رَأْسَهُ بِحِرْقَةٍ أَوْ ثَوْبٍ أَوْ مِنْدِيلٍ مَا خِلا الْعِمَامَةَ، وَهِيَ الصَّمَادُ.

وَالصَّمَادُ: عِفَاصُ الْقَارُورَةِ؛ وَقَدْ صَمَدَهَا يَصْمِدُهَا. ابن الأعرابي: الصَّمَادُ سِدَادُ الْقَارُورَةِ؛ وَقَالَ اللَّيْثُ: الصَّمَادَةُ عِفَاصُ الْقَارُورَةِ. وَأَصَمَدَ إِلَيْهِ الْأَمْرُ: أَسَنَّده.

والصَّمَد، بالتحريك: السَّيِّدُ المِطَاعُ الذي لا يُقْضَى دونه أمر، وقيل: الذي يُصَمَّدُ إليه في الحوائج أي يُقْصَدُ؛ قال:

أَلَا بَكَرَ النَّاعِي بِحَيْرِي بَنِي أَسَدٍ... بَعْمَرُو بِنِ مَسْعُودٍ، وبالسَّيِّدِ الصَّمَدِ

والصَّمَد: من صفاته تعالى وتقدّس لأنه أضحمت إليه الأمور فلم يُقْضَ فيها غيره؛ وقيل: هو المصمّت الذي لا جَوْفَ له، وهذا لا يجوز على الله، عز وجل. والمصمّد: لغة في المصمّت وهو الذي لا جوف له، وقيل: الصمّد الذي لا يطعم، وقيل: الصمّد السيّد الذي ينتهي إليه الشؤدد،

وقيل: الصمّد السيد الذي قد انتهى سُؤدده؛ قال الأزهري: أما الله تعالى فلا نهاية لسؤدده لأن سُؤدده غير محدود؛ وقيل: الصمّد الدائم الباقي بعد فناء خلقه؛ وقيل: هو الذي يُصمّد إليه الأمر فلا يُقْضَى دونه، وهو من الرجال الذي ليس فوقه أحد، وقيل: الصمّد الذي صمّد إليه كل شيء أي الذي خلق الأشياء كلها لا يستغنى عنه شيء وكلها دالّ على وحدانيته. وروي عن عمر أنه قال: أيها الناس إياكم وتعلّم الأنساب والطعن فيها، فوالذي نفس محمد بيده، لو قلت: لا يخرج من هذا الباب إلا صمّد، ما خرج إلا أقلكم؛ وقيل: الصمّد هو الذي انتهى في سُؤدده والذي يُقْصَدُ في الحوائج؛ وقال أبو عمرو: الصمّد من الرجال الذي لا يعطش ولا يجوع في الحرب؛ وأنشد:

وسارية فوّقها أسود ..... بكفّ سبنتي ذفيف صمّد

قال: السارية الجبل المرتفع الذاهب في السماء كأنه عمود.

والأسود: العلم بكفّ رجل جريء. والصمّد: الرّفع من كل شيء.

والصمّد: المكان الغليظ المرتفع من الأرض لا يبلغ أن يكون جبلاً، وجمعه أصماد وصماد؛ قال أبو النجم:

يُعَادِرُ الصَّمَدَ كَظْهَرِ الأَجْرَلِ

والمصمّد: الصلْب الذي ليس فيه حور.

أبو خيرة: الصمّد والصماد ما دقّ من غلظ الجبل وتواضع وأطمأنّ ونبت فيه الشجر. وقال أبو عمرو: الصمّد الشديد من الأرض.

بناءً مُصمّد أي مُعلّى. ويقال لما أشرف من الأرض الصمّد، بإسكان الميم. ورؤضات بني عُقَيْل يقال لها الصماد والرّباب.

والصمّدة والصمّدة: صخرة راسية في الأرض مُستويّة بمّتن الأرض وربما ارتفعت شيئاً؛ قال: مُخَالِفُ صُمْدَةٍ وَقَرِينُ أُخْرَى، جُجْرٌ عَلَيْهِ حَاصِبَهَا الشَّمَالُ وناقاة صمّدة وصمّدة: حُمْلٌ عليها قلم تلّقح؛ الفتح عن كراع.

ويقال: ناقاة مصماد وهي الباقية على القُرّ والجذب الدائمة الرّسل؛ ونوق مصامد ومصاميد؛

والصمّمّد: ماء للرّباب وهو في شاكلية في شقّ صرّيّة الجنوبيّ.))<sup>١</sup>

أما زكريا بطرس فاحترع لإضلال الأتباع الذين سيتبرؤون منه وسيتبرأ منهم أن الصمّد ثلاثة في واحد، أما ما اتفق فيه مفسروا اللغة والقرآن أن الصمّد: السيد الذي لا يستغنى عنه في المهمات، وهو سيد القوم المطاع

(١) - لسان العرب باب الدال فصل الصاد (٣ / ٢٥٩) . مرجع سابق .

فيهم. قال في «الكشاف»: وهو فعل بمعنى مفعول من: صمد إليه، إذا قصدته، فالصمد المصمود في الحوائج. قلت ( والقائل ابن عاشور ): ونظيره السند الذي تسند إليه الأمور المهمة. والفلق اسم الصباح لأنه يتفلق عنه الليل.

والصمد: من صفات الله، والله هو الصمد الحق الكامل الصمدية على وجه العموم. فالصمد من الأسماء التسعة والتسعين في حديث أبي هريرة عند الترمذي. ومعناه: المفتقر إليه كل ما عداه، فالمعدوم مفتقر وجوده إليه والموجود مفتقر في شؤونه إليه. وقد كثرت عبارات المفسرين من السلف في معنى الصمد، وكلها مندرجة تحت هذا المعنى الجامع، وقد أتهاها فخر الدين إلى ثمانية عشر قولاً. ويشمل هذا الاسم صفات الله المعنوية الإضافية وهي كونه تعالى حياً، عالماً، مريداً، قادراً، متكلماً، سميعاً، بصيراً، لأنه لو انتفى عنه أحد هذه الصفات لم يكن مصموداً إليه.<sup>(١)</sup> ثم من قال أن اللغة العربية اخذت الكلمة من العبرية وليس العكس، خصوصاً وأن كل الأدلة الملموسة وغير الملموسة تثبت أن العربية هي اللغة الأصل وأن العبرية والآرامية هي فروع من اللغة العربية! يعني باختصار لماذا لا تكون الكلمة عربية قحة ولكن استخدمت في العبرية وتحورت وتغير مفهومها ومعناها مع الوقت! علماً أنه ليس هنالك أي علاقة بين اللغة العبرية واليونانية ولو قالوا الآرامية لقلنا لا بأس ولكن ألا يثبت هذا أن جميع تلك اللغات اخذت الكثير عن اللغة العربية!!

وللعلم: "سمد" أو "شمد" في العبرية تعني تدمير ولا تعني أبداً واحد في مجموع كما ادعى ذلك المعتوه. ولم تستخدم أبداً في العهد القديم بمعنى واحد في ثلاثة أو مجموع كما قال، ولت هذا المدعي يخبرنا أين ذكرت في العهد القديم حيث أن كلمة بهذه الخطورة يستدل بها على التثليث لا بد أنها قد ذكرت في مكان ما من كتابهم بهذا المعنى. أليس كذلك؟ وإن لم يجدها فليته يأتينا بأي كلمة أخرى وليس مجرد كلمة "سمد" أو صمد يكون معناها ( واحد في ثلاثة )!!!

**الثاني عشر: شبهه { إِنَّ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ } كيف يحاسبنا بعد أن يغويننا. الرد: هذه الشبهة فرع عن شبهة (هل الله يضل عباده) في (المطلب) أو الشبهة الثانية**

في البداية الكلام لنوح عليه السلام على قومه بعد الجدل الغير مفيد والنقاش المستفتر. الآيات: { قالوا يا نوح قد جادلتنا فأكثر جدالنا فأتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين (٣٢) قال إنما يأتيكم به الله إن شاء وما أنتم بمعجزين (٣٣) ولا ينفعكم نصحي إن أردت أن أنصح لكم إن كان الله يريد أن يغويكم هو ربكم وإليه ترجعون } [هود: ٣٢-٣٤] قال الزمخشري<sup>(٢)</sup>: إذا عرف الله من الكافر الإصرار فخلاه وشأنه ولم يلجئه، سمى ذلك إغواء وإضلالاً، كما أنه إذا عرف منه أنه يتوب ويرعوى فلفظ به: { أَنْ يُغْوِيَكُمْ } أن يهلككم من غوى الفصيل غوي، إذا بشم فهلك<sup>(٣)</sup>، ومعناه: أنكم إذا كنتم من التصميم على الكفر بالمنزلة التي لا تنفعكم نصائح الله ومواعظه وسائر أطفاه، كيف ينفعكم نصحي؟

(١) - التحرير والتبوير لابن عاشور (٣٠ / ٦١٧) ، الناشر: الدار التونسية للنشر - تونس ، سنة النشر: ١٩٨٤ هـ

(٢) - تفسير الزمخشري (الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل) (٢ / ٣٩١) . الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤٠٧ هـ

(٣) - في الصحاح «البشم» التحم. يقال: بشمت من الطعام - بالكسر. وبشم الفصيل من كثرة شرب اللبن (مختار الصحاح ص ٣٥)

ونهاية الآية تدل على هذا المعنى وهو قوله : " هو ربكم وإليه ترجعون " ، ومثال ذلك هو قول الحق سبحانه : { فَخَلَفَ مِنْ بَعدِهِمْ خَلْفًا أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسُوفَ يَلْقَوْنَ غِيًّا } [ مريم : ٥٩ ] وقوله سبحانه هنا : { فسوف يلقون غيًّا } أي : سوف يلقون عذاباً ، لأن غيهم كان سبباً في تعذيبهم ، فسُمي العذاب باسم مُسبِّبه ، ومثل قول الحق سبحانه : { جزاء سيئة سيئة مثلها ... } [ الشورى : ٤٠ ] والحق سبحانه لا يُسيء لعباده ، ولكنهم هم الذين يُسيئون لأنفسهم ، فسُمي ما يلقاهاهم من العذاب سيئة . وهذا يعرف بالمشاكلة ، وهو ذكر الشيء بلفظ غيره لوقوعه في صحبته ، مثل { ومكروا ومكر الله ... } آل عمران .. فإطلاق المكر من جانب الله سبحانه إنما هو لمشاكلة ما معه وكذلك { الغي } يرد بمعنى { الإغواء } ، ويرد بمعنى الأثر الذي يترتب عن الغي من العذاب .

وقد عرض الله سبحانه صور متعددة بالقرآن للإغواء ، فسيدينا آدم عليه السلام مال عن الطريق وأكل من الشجرة رغم تحذير الله سبحانه له ألا يقربها .... ولكن بحكم طبيعة سيدنا آدم عليه السلام البشرية فعل ما حذر الله عنه .... وقد ذكر لنا الحق سبحانه كلمات الشيطان بقوله : { قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ } [ الحجر : ٣٩ ] ، ولكن هل أغوى الله - سبحانه - الشيطان ؟ إن الله سبحانه لا يغوي ، ولكنه يترك الخيار للمكلف إن شاء أطاع ، وإن شاء عصى ولو أن الله سبحانه جعلنا لما كان لنا اختيار ، فإن أطاع الإنسان نال عطاء الله ، وإن ضل ، فقد جعل الله له الاختيار ، ووجهه لغير المراد على أن يهتدي ، وقادر على أن يضل .

فقال تعالى عن الإنسان : { إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا } [ الإنسان : ٣ ] فالله قد جعل الإنسان مُهيئاً لأن يسلك أحد السبيلين : سبيل الهدى وسبيل الضلال ، ثم دل سبحانه على طريق الصواب المستقيم ، وترك له حرية الاختيار ، فإما شاكرًا لنعمة الدلالة إلى الخير ، فيكون مؤمناً ، وإما كافراً بها فيكون كافراً . المستشرقون جهله باللغة العربية .. وكان من الأفضل أن يصلحوا ما بكتبهم .. ففاد الشيء لا يعطيه . فهم دائماً يستقبلون ألفاظ العقائد الإسلامية على أساس ما أشتهر به اللفظ من معنى ؛ فالألفاظ لها معان متعددة .... وهذا بسبب ركاكة كتبهم .

يقول الرازي (١) : المسألة الأولى : اعلم أن الكفار لما أوردوا تلك الشبهة " أن من اتبعه الأراذل " وأجاب نوح عليه السلام عنها بالجوابات الموافقة الصحيحة أورد الكفار على نوح كلامين ، الأول : أنهم وصفوه بكثرة المجادلة فقالوا : يا نوح قد جادلنا فأكثرنا جدالنا ، وهذا يدل على أنه عليه السلام كان قد أكثر في الجدل معهم ، وذلك الجدل ما كان إلا في إثبات التوحيد والنبوة والمعاد ، وهذا يدل على أن الجدل في تقرير الدلائل وفي إزالة الشبهات حرفة الأنبياء ، وعلى أن التقليد والجهل والإصرار على الباطل حرفة الكفار .

والثاني : أنهم استعجلوا العذاب الذي كان يتوعدهم به ، فقالوا : فأتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين ثم إنه عليه السلام أجاب عنه بجواب صحيح فقال : " إنما يأتيكم به الله إن شاء " وما أنتم بمعجزين والمعنى أن إنزال

العذاب ليس إلي وإنما هو خلق الله تعالى فيفعله إن شاء كما شاء، وإذا أراد إنزال العذاب فإن أحدا لا يعجزه، أي لا يمنعه منه، والمعجز هو الذي يفعل ما عنده لتعذر مراد الغير فيوصف بأنه أعجزه، فقوله: وما أنتم بمعجزين أي لا سبيل لكم إلى فعل ما عنده، فلا يمتنع على الله تعالى ما يشاء من العذاب إن أراد إنزاله بكم، وقد قيل معناه: وما أنتم بمانعين، وقيل: وما أنتم بمصونين، وقيل: وما أنتم بسابقين إلى الخلاص، وهذه الأقوال متقاربة.

واعلم أن نوحا عليه السلام لما أجاب عن شبهاتهم ختم الكلام بخاتمة قاطعة، فقال: {ولا ينفعكم نصحي إن أردت أن أنصح لكم أي إن كان الله يريد أن يغويكم} فإنه لا ينفعكم نصحي البتة، إن نوحا عليه السلام إنما ذكر هذا الكلام ليدل على أنه تعالى ما أغواهم، بل فوض الاختيار إليهم وبيانه من وجهين الأول: أنه عليه السلام بين أنه تعالى لو أراد إغواءهم لما بقي في النصح فائدة فلو لم يكن فيه فائدة لما أمره بأن ينصح الكفار، وأجمع المسلمون على أنه عليه السلام مأمور/ بدعوة الكفار ونصيحتهم، فعلمنا أن هذا النصح غير خال عن الفائدة، وإذا لم يكن خاليا عن الفائدة وجب القطع بأنه تعالى ما أغواهم، فهذا صار حجة لنا من هذا الوجه. الثاني: أنه لو ثبت الحكم عليهم بأن الله تعالى أغواهم لصار هذا عذرا لهم في عدم إتيانهم بالإيمان ولصار نوع منقطعاً في مناظرتهم، لأنهم يقولون له إنك سلمت أن الله إذا أغوانا فإنه لا يبقى في نصحك ولا في جدنا واجتهادنا فائدة، فإذا ادعيت بأن الله تعالى قد أغوانا فقد جعلتنا معذورين فلم يلزمنا قبول هذه الدعوة، فثبت أن الأمر لو كان كما قاله الخصم، لصار هذا حجة للكفار على نوح عليه السلام، ومعلوم أن نوحا عليه السلام لا يجوز أن يذكر كلاما يصير بسببه مفحما ملزما عاجزا عن تقرير حجة الله تعالى، فثبت بما ذكرنا أن هذه الآية لا تدل على قول المجبرة، ثم إنهم ذكروا وجوها من التأويلات: الأول: أولئك الكفار كانوا مجبرة، وكانوا يقولون إن كفرهم بإرادة الله تعالى، فعند هذا قال نوح عليه السلام: إن نصحه لا ينفعهم إن كان الأمر كما قالوا، ومثاله أن يعاقب الرجل ولده على ذنبه فيقول الولد: لا أقدر على غير ما أنا عليه، فيقول الوالد فلن ينفعك إذا نصحتي ولا زجري، وليس المراد أنه يصدقه على ما ذكره بل على وجه الإنكار لذلك. الثاني: قال الحسن معنى يغويكم أي يعذبكم، والمعنى: لا ينفعكم نصحي اليوم إذا نزل بكم العذاب فآمنتكم في ذلك الوقت، لأن الإيمان عند نزول العذاب لا يقبل، وإنما ينفعكم نصحي إذا آمنتكم قبل مشاهدة العذاب.

الثانية: قوله: {ولا ينفعكم نصحي إن أردت أن أنصح لكم إن كان الله يريد أن يغويكم} جزاء معلق على شرط بعده شرط آخر وهذا يقتضي أن يكون الشرط المؤخر في اللفظ مقدما في الوجود وذلك لأن الرجل إذا قال لامرأته أنت طالق إن دخلت الدار، كان المفهوم كون ذلك الطلاق من لوازم ذلك الدخول، فإذا ذكر بعده شرطا آخر مثل أن يقول: إن أكلت الخبز كان المعنى أن تعلق ذلك الجزاء بذلك الشرط الأول مشروط بحصول هذا الشرط الثاني والشرط مقدم على المشروط في الوجود فعلى هذا إن حصل الشرط الثاني تعلق ذلك الجزاء بذلك الشرط الأول أما إن لم يوجد الشرط المذكور ثانيا لم يتعلق ذلك الجزاء بذلك الشرط الأول، هذا هو التحقيق في هذا التركيب، فلهذا المعنى قال الفقهاء: إن الشرط المؤخر في اللفظ مقدم في المعنى، والمقدم في اللفظ مؤخر في المعنى.

واعلم أن نوحا عليه السلام لما قرر هذه المعاني قال: هو ربكم وإليه ترجعون وهذا نهاية الوعيد أي هو إلهكم الذي خلقكم ورباكم ويملك التصرف في ذواتكم وفي صفاتكم قبل الموت وعند الموت وبعد الموت مرجعكم إليه وهذا يفيد نهاية التحذير.<sup>١</sup>

**الثالث عشر: { وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم } روى سعيد بن جبير لما خلق الله آدم، أخذ ذريته من ظهره مثل الذرّ، فقبض قبضتين، فقال لأصحاب اليمين ادخلوا الجنة بسلام، وقال للآخرين ادخلوا النار ولا أبالي (الطبري في تفسير [الأعراف ٧: ١٧٢]. فهل هذا هو طريق الخلاص الذي عندكم؟**

الرد :

في هذه الآية تعرض قضية التوحيد من زاوية جديدة، وزاوية عميقة.. تعرض من زاوية الفطرة التي فطر الله عليها البشر؛ وأخذ بها عليهم الميثاق في ذات أنفسهم، وذات تكوينهم؛ وهم بعد في عالم الذر..! إن الاعتراف بربوبية الله وحده فطرة في الكيان البشري. فطرة أودعها الخالق في هذه الكينونة وشهدت بها على نفسها بحكم وجودها ذاته، وحكم ما تستشعره في أعماقها من هذه الحقيقة. أما الرسالات فتذكير وتحذير لمن ينحرفون عن فطرتهم الأولى، فيحتاجون إلى التذكير والتحذير.. إن التوحيد ميثاق معقود بين فطرة البشر وخالق البشر منذ كينونتهم الأولى، فلا حجة لهم في نقض الميثاق - حتى لو لم يبعث إليهم بالرسول يذكروهم ويحذروهم - ولكن رحمته وحدها اقتضت ألا يكلمهم إلى فطرتهم هذه فقد تحرف؛ وألا يكلمهم كذلك إلى عقولهم التي أعطاها لهم فقد تضل؛ وأن يبعث إليهم رسلاً مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل!

{ وإذ أخذ ربك من بني آدم - من ظهورهم - ذريتهم، وأشهدهم على أنفسهم: ألسنت بربكم؟ قالوا: بلى شهدنا! أن تقولوا يوم القيامة: إنا كنا عن هذا غافلين. أو تقولوا: إنما أشرك آبائنا من قبل. وكنا ذرية من بعدهم. أفتهلكنا بما فعل المبطلون؟.. وكذلك نفصل الآيات ولعلمهم يرجعون }..

إنها قضية الفطرة والعقيدة يعرضها السياق القرآني في صورة مشهد - على طريقة القرآن الغالبة - وإنه لمشهد فريد.. مشهد الذرية المكونة في عالم الغيب السحيق، المستكنة في ظهور بني آدم قبل أن تظهر إلى العالم المشهود، تؤخذ في قبضة الخالق المربي، فيسألها: { ألسنت بربكم؟ }.. فتعترف له - سبحانه - بالربوبية؛ وتقر له - سبحانه - بالعبودية؛ وتشهد له - سبحانه - بالوحدانية؛ وهي منثورة كالذر؛ مجموعة في قبضة الخالق العظيم!

إنه مشهد كوني رائع باهر، لا تعرف اللغة له نظيراً في تصوراتها المأثورة! وإنه لمشهد عجيب فريد حين يتملاه الخيال البشري جهد طاقته! وحينما يتصور تلك الخلايا التي لا تحصى، وهي تجمع وتقبض. وهي تحاطب خطاب العقلاء - بما ركب فيها من الخصائص المستكنة التي أودعها إياها الخالق المبدع - وهي تستجيب استجابة العقلاء، فتعترف وتقر وتشهد؛ ويؤخذ عليها الميثاق في الأصلاب!

(١) - تفسير الرازي المسمى مفاتيح الغيب (١٧/٣٤٣)، مرجع سابق .

وإن الكيان البشري ليرتعش من أعماقه وهو يتملى هذا المشهد الرائع الباهر الفريد. وهو يتمثل الذر السابع. وفي كل خلية حياة. وفي كل خلية استعداد كامن. وفي كل خلية كائن إنسان مكتمل الصفات ينتظر الإذن له بالنماء والظهور في الصورة المكونة له في ضمير الوجود المجهول، ويقطع على نفسه العهد والميثاق، قبل أن يبرز إلى حيز الوجود المعلوم!

لقد عرض القرآن الكريم هذا المشهد الرائع الباهر العجيب الفريد، لتلك الحقيقة الهائلة العميقة المستكنة في أعماق الفطرة الإنسانية وفي أعماق الوجود.

عرض القرآن هذا المشهد قبل قرابة أربعة عشر قرناً من الزمان، حيث لم يكن إنسان يعلم عن طبيعة النشأة الإنسانية وحقائقها إلا الأوهام! ثم يهتدي البشر بعد هذه القرون إلى طرف من هذه الحقائق وتلك الطبيعة. فإذا " العلم " يقرر أن الناسلات، وهي خلايا الوراثة التي تحفظ سجل " الإنسان " وتكمن فيها خصائص الأفراد وهم بعد خلايا في الأصلاب.. أن هذه الناسلات التي تحفظ سجل ثلاثة آلاف مليون من البشر، وتكمن فيها خصائصهم كلها - لا يزيد حجمها على سنتيمتر مكعب، أو ما يساوي ملء قمع من أقماع الخياطة!.. كلمة لو قيلت للناس يومذاك لاتهموا قائلها بالجنون والخيال! وصدق الله العظيم:

{ سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق } [فصلت: ٥٣].

أخرج ابن جرير وغيره - بإسناده - عن ابن عباس قال: " مسح ربك ظهر آدم، فخرجت كل نسمة هو خالقها إلى يوم القيامة.. فأخذ موثيقهم، وأشهدهم على أنفسهم: { ألسنت بربكم؟ قالوا: بلى }.. وروي مرفوعاً وموقوفاً على ابن عباس (١).

فأما كيف كان هذا المشهد؟ وكيف أخذ الله من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم؟ وكيف خاطبهم: { ألسنت بربكم } وكيف أجابوا: { بلى شهدنا }؟.. فالجواب عليه: أن كفيات فعل الله - سبحانه - غيب كذاته. ولا يملك الإدراك البشري أن يدرك كفيات أفعال الله ما دام أنه لا يملك أن يدرك ذات الله. إذ أن تصور الكيفية فرع عن تصور الماهية. وكل فعل ينسب لله سبحانه مثل الذي يحكيه قوله هذا كقوله تعالى:

{ ثم استوى إلى السماء وهي دخان... } [فصلت: ١١]

{ ثم استوى على العرش } [الأعراف: ٥٤]

{ يحو الله ما يشاء ويثبت } [الرعد: ٣٩]

{ والسموات مطويات بيمينه } [الزمر: ٦٧]

{ وجاء ربك والملك صفاً صفاً } [الفجر: ٢٢]

{ ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم } [المجادلة: ٧]

إلى آخر ما تحكيه النصوص الصحيحة عن فعل الله سبحانه، لا مناص من التسليم بوقوعه، دون محاولة إدراك كفيته.. إذ أن تصور الكيفية فرع عن تصور الماهية كما قلنا.. والله ليس كمثله شيء فلا سبيل إلى إدراك

(١) - تفسير الطبري (٣٢٣/١٣). مرجع سابق. وتفسير ابن كثير ٥٠١/٣. مرجع سابق.

ذاته ولا إلى إدراك كصفات أفعاله. إذ أنه. لا سبيل إلى تشبيه فعله بفعل أي شيء، ما دام أن ليس كمثلته شيء.. وكل محاولة لتصور كصفات أفعاله على مثال كصفات أفعال خلقه، هي محاولة مضللة، لاختلاف ماهيته - سبحانه - عن ماهيات خلقه. وما يترتب على هذا من اختلاف كصفات أفعاله عن كصفات أفعال خلقه.. وكذلك جهل وضل كل من حاولوا - من الفلاسفة والمتكلمين - وصف كصفات أفعال الله، وخطوا خطأ شديداً!

على أن هناك تفسيراً لهذا النص بأن هذا العهد الذي أخذه الله على ذرية بني آدم هو عهد الفطرة.. فقد أنشأهم مفطورين على الاعتراف له بالربوبية وحده. أودع هذا فطرهم فهي تنشأ عليه، حتى تنحرف عنه بفعل فاعل يفسد سواءها، ويميل بها عن فطرتها.

قال ابن كثير في التفسير<sup>(١)</sup>: قال قائلون من السلف والخلف: إن المراد بهذا الإلهاد إنما هو فطرهم على التوحيد - كما تقدم في حديث أبي هريرة وعياض بن حمار المجاشعي ومن رواية الحسن البصري عن الأسود ابن سريع - وقد فسر الحسن الآية بذلك. قالوا: ولهذا قال: { وإذ أخذ ربك من بني آدم ما قبل: من آدم.. } من ظهورهم { .. ولم يقل من ظهره.. } ذرياتهم { أي جعل نسلهم جيلاً بعد جيل، وقرناً بعد قرن، كقوله تعالى: { وهو الذي جعلكم خلفاء الأرض }

وقال: { ويجعلكم خلفاء الأرض }

وقال: { كما أنشأكم من ذرية قوم آخرين }

ثم قال: { وأشهدهم على أنفسهم: ألسن بربكم؟ قالوا: بلى! }

أي أوجدهم شاهدين بذلك قائلين له.. حالاً.. وقالوا: والشهادة تارة تكون بالقول كقوله:

{ قالوا شهدنا على أنفسنا وغرهم الحياة الدنيا وشهدوا على أنفسهم أنهم كانوا كافرين }

وتارة تكون حالاً كقوله تعالى: { ما كان للمشركين أن يعمروا مساجد الله شاهدين على أنفسهم بالكفر }

أي حالهم شاهد عليهم بذلك، لا أنهم قائلون ذلك.. وكذلك قوله تعالى: { وإنه على ذلك لشهيد }

كما أن السؤال تارة يكون بالمقال وتارة يكون بالحال. كقوله: { وآتاكم من كل ما سألتموه }

قالوا: ومما يدل على أن المراد بهذا هذا أن جعل هذا الإلهاد حجة عليهم في الإلحاد. فلو كان قد وقع

هذا، كما قال من قال، لكان كل أحد يذكره ليكون حجة عليه. فإن قيل: إخبار الرسول ﷺ به كاف في

وجوده، فالجواب: أن المكذبين من المشركين يكذبون بجميع ما جاءهم به الرسل من هذا وغيره. وهذا جعل

حجة عليهم، فدل على أنه الفطرة التي فطروا عليها من الإقرار بالتوحيد. ولهذا قال: { أن تقولوا } .. أي لتلا

تقولوا { يوم القيامة إنا كنا عن هذا }. أي التوحيد.. { غافلين، أو تقولوا: إنما أشرك آبائنا { ... الآية). أما

الأحاديث التي أشار إليها في أول هذه الفقرة فهي:

(١) - ابن كثير (٣/ ٥٠٦). دار طيبة ط ٢، مرجع سابق

"كل مولود يولد على الفطرة - وفي رواية. " على هذه الملة " - فأبواه يهودانه وينصرانه وبمجسانه، كما تولد بهيمة جمعاء، هل تحسون فيها من جدعاء؟" (١). " يقول الله إني خلقت عبادي حنفاء، فجاءتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم، وحرمت عليهم ما أحللت لهم". (٢)

روى الطبري بإسناده عن الأسود بن سريع من بني سعد قال: غزوت مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فاشتد عليه، ثم قال: " ما بال أقوام يتناولون الذرية؟" فقال رجل: يا رسول الله. أليسوا أبناء المشركين؟ فقال: " إن خياركم أبناء المشركين! ألا إنها ليست نسمة تولد إلا ولدت على الفطرة. فما تزال عليها حتى يبين عنها لسانها، فأبواها يهودانها وينصرانها". قال الحسن: لقد قال في كتابه: { وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم }... الآية. (٣)

ونحن لا نستبعد أن يكون قول الله تعالى: { وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم.. الآيات } على وجهه لا على سبيل الحال. لأنه في تصورنا يقع كما أخبر عنه الله سبحانه. وليس هناك ما يمنع أن يقع حين يشاء.. ولكننا كذلك لا نستبعد هذا التأويل الذي اختاره ابن كثير، وذكره الحسن البصري واستشهد له بالآية.. والله أعلم أي ذلك كان..

وفي أي من الحالين يخلص لنا أن هناك عهداً من الله على فطرة البشر أن توحد. وأن حقيقة التوحيد مركوزة في هذه الفطرة؛ يخرج بها كل مولود إلى الوجود؛ فلا يميل عنها إلا أن يفسد فطرته عامل خارجي عنها! عامل يستغل الاستعداد البشري للهدى وللضلال، وهو استعداد كذلك كامن تخرجه إلى حيز الوجود ملاسبات وظروف.

إن حقيقة التوحيد ليست مركوزة في فطرة " الإنسان " وحده؛ ولكنها كذلك مركوزة في فطرة هذا الوجود من حوله - وما الفطرة البشرية إلا قطاع من فطرة الوجود كله. موصولة به غير منقطعة عنه، محكمة بذات ناموس الذي يحكمه - بينما هي تتلقى كذلك أصداءه وإيقاعاته المعبرة عن تأثيره واعترافه بتلك الحقيقة الكونية الكبيرة..

إن ناموس التوحيد الذي يحكم هذا الوجود، واضح الأثر في شكل الكون، وتنسيقه، وتناسق أجزائه، وانتظام حركته، وإطاراد قوانينه، وتصرفه المطرد وفق هذه القوانين.. وأخيراً - حسب العلم القليل الذي وصل إليه البشر - وحدة الجوهر الذي تتألف منه ذراته، وهو الإشعاع الذي تنتهي إليه المواد جميعاً عند تحطيم ذراتها وإطلاق شحناتها..

ويوماً بعد يوم يكشف البشر أطرافاً من ناموس الوحدة في طبيعة هذا الكون، وطبيعة قوانينه التي تحكم تصرفاته - في غير آلية حتمية ولكن بقدر من الله مطرد متجدد وفق مشيئة الله الطليقة - ولكننا نحن لا نعتمد على هذا الذي يكشفه علم البشر الظني - الذي لا يمكن أن يكون يقينياً بحكم وسائله البشرية - في تقرير هذا الناموس. إنما نحن نستأنس به مجرد استئناس. واعتمادنا الأول في تقرير أية حقيقة كونية مطلقة، على ما

(١) - البخاري ح (١٣٥٣) ومسلم ح (٢٦٥٨) وغيرهم .

(٢) - مسلم ح (٢١٩٧) وابن حبان ح (٦٥٣) .

(٣) - تفسير الطبري (١٣ / ٢٣١) مرجع سابق تحقيق شاكر

قرره لنا الخالق العليم بما خلق. والقرآن الكريم لا يدع مجالاً للشك في أن الناموس الذي يحكم هذا الكون هو ناموس الوحدة، الذي أنشأته المشيئة الواحدة للخالق الواحد سبحانه.

كما أنه لا يدع مجالاً للشك في عبودية هذا الكون لربه، واعترافه بوحدانيتها، وعبادته له بالكيفية التي يعلمها الله ولا نعرف عنها إلا ما يخبرنا به؛ وما نراه من آثارها في انتظامه ودأبه واطراده.

هذا الناموس الذي يصرف الكون كله - بقدر الله المطرد المتجدد وفق مشيئة الله الطليقة - سارٍ كذلك في كيان الإنسان - بوصفه من كائنات هذا الكون - مستقر في فطرته، لا يحتاج إلى وعي عقلي للإحساس به؛ فهو مدرك بالفطرة، مستقر في صميمها، تستشعره بذاتها، وتتصرف وفقه، ما لم يطرأ عليها الخلل والفساد، فتتحرف عن إدراكها الذاتي له، وتدع للأهواء العارضة أن تسيرها، بدلاً من أن تسير وفق قانونها الداخلي القويم.

هذا الناموس - بذاته - هو ميثاق معقود بين الفطرة وخالقها. ميثاق مودع في كيانها، مودع في كل خلية حية منذ نشأتها. وهو ميثاق أقدم من الرسل والرسالات. وفيه تشهد كل خلية بربوبية الله الواحد، ذي المشيئة الواحدة، المنشئة للناموس الواحد الذي يحكمها ويصرفها. فلا سبيل إلى الاحتجاج بعد ميثاق الفطرة وشهادتها - سواء أكان بلسان الحال هذا أم بلسان المقال كما في بعض الآثار - لا سبيل إلى أن يقول أحد: إنه غفل عن كتاب الله الهادي إلى التوحيد. وعن رسالات الله التي دعت إلى هذا التوحيد. أو يقول: إنني خرجت إلى هذا الوجود، فوجدت آبائي قد أشركوا فلم يكن أمامي سبيل لمعرفة التوحيد. إنما ضل آبائي فضلت فهم المسؤولون وحدهم ولست بالمسؤول! ومن ثم جاء هذا التعقيب على تلك الشهادة: { أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين. أو تقولوا: إنما أشرك آباؤنا من قبل، وكنا ذرية من بعدهم. أفتهلكنا بما فعل المبطلون؟ }<sup>(١)</sup>

**الرابع عشر : { واتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً } روى أحمد في مسنده إن الله ليُعَذِّبَ العامة بعمل الخاصة حتى يروا المنكر بين ظهرائهم وهم قادرون على أن ينكروه، ولا ينكروه. فإذا فعلوا ذلك عَذَّبَ اللهُ الخاصة والعامة (المنار في تفسير الأنفال ٨ : ٢٥). لكن ورد في الإسراء ١٧ : ١٥ { لَا تَرَوْا وَازِرَةً وَرَزْرَ أُخْرَى } . فكيف تتفق هذه الآية مع ما جاء في الحديث؟ علّمنا الله أن النفس التي تخطئ هي تموت، لأنه لا يوجد إنسان كامل حتى يزر وازرة إنسانٍ آخر، ولكن الله بمحبته أرسل لنا المسيح الذي حمل كل أوزارنا وصالحنا مع الله إلى الأبد**

الرد : { واتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً، واعلموا أن الله شديد العقاب } والفتنة: الابتلاء أو البلاء.. والجماعة التي تسمح لفريق منها بالظلم في صورة من صورته ولا تقف في وجه الظالمين؛ ولا تأخذ الطريق على المفسدين . . جماعة تستحق أن تؤخذ بجريرة الظالمين المفسدين.. الإسلام منهج تكافلي إيجابي لا يسمح أن يقعد القاعدون عن الظلم والفساد والمنكر يشيع (فضلا على أن يروا دين الله لا يتبع؛ بل أن يروا ألوهية الله تنكر وتقوم ألوهية العبيد مقامها!) وهم ساكتون. ثم هم بعد ذلك يرجون أن يخرجهم الله من الفتنة لأنهم هم في ذاتهم صالحون طيبون!. ولما كانت مقاومة الظلم تكلف الناس التكليف في الأنفس والأموال فقد

(١) - في ظلال القرآن المجلد الثالث ١٣٩٦ وما بعدها . مرجع سابق .

عاد القرآن يذكر العصبية المسلمة بما كان من ضعفها وقلة عددها، وبما كان من الأذى الذي ينالها، والخوف الذي يظللها.. وكيف آواها الله بدينه هذا وأعزها ورزقها رزقا طيبا.. فلا تقعد إذن عن الحياة التي يدعوها إليها رسول الله. ولا عن تكاليف هذه الحياة، التي أعزها بها الله، وأعطاهما وحماها فقال بعد الآية السابقة : { واذكروا إذ أنتم قليل مستضعفون في الأرض، تخافون ... } .. اذكروا هذا لتستيقنوا أن الرسول يدعوكم لما يحييكم كي لا تقعدوا عن مكافحة الظلم في كل صوره وأشكاله<sup>(١)</sup> . لأن المعاصي الإجتماعية والمجتمعية تتضافر فتشمل الجميع ثم تتكاثر فلا يستطيعون لها رداً .

{ ولا تزر وازرة وزر أخرى .. " ١٥ " } [سورة الإسراء] أي: لا يحمل أحد ذنب أحد، ولا يؤاخذ أحد بجريرة غيره، وكلمة: { تزر وازرة .. " ١٥ " } من الوزر: وهو الحمل الثقيل، ومنها كلمة الوزير: أي الذي يحمل الأعباء الثقيلة عن الرئيس، أو الملك أو الأمير. فعدل الله يقتضي أن يحاسب الإنسان بعمله، وأن يسأل عن نفسه، فلا يرمي أحد ذنبه على أحد، كما قال تعالى: { لا يجزي والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئا " ٣٣ " } [سورة لقمان] وحول هذه القضية تحدث كثير من المستشرقين الذين يبحثون في القرآن عن مأخذ، فوقفوا عند هذه الآية: { ولا تزر وازرة وزر أخرى .. " ١٥ " } [سورة الإسراء] وقالوا: كيف نوفق بينها وبين قوله: { وليحملن أثقالهم وأثقالاً مع أثقالهم .. " ١٣ " } [سورة العنكبوت] وقوله تعالى: { ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم ألا ساء ما يزرون " ٢٥ " } [سورة النحل]

ونقول: التوفيق بين الآية الأولى والآيتين الأخيرتين هين لو فهموا الفرق بين الوزر في الآية الأولى، والوزر في الآيتين الأخيرتين .

ففي الأولى وزر ذاتي خاص بالإنسان نفسه، حيث ضل هو في نفسه، فيجب أن يتحمل وزر ضلاله. أما في الآية الثانية فقد أضل غيره، فتحمل وزره الخاص به، وتحمل وزر من أضلهم. ويوضح لنا هذه القضية الحديث النبوي الشريف: "من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء، ومن سن في الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شيء " .

قال الألوسي : { واتقوا فِتْنَةً لَأَ تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً } أي لا تختص إصابتها لمن يباشر الظلم منكم بل تعمه وغيره والمراد بالفتنة الذنب وفسر بنحو إقرار المنكر والمداهنة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وافتراق الكلمة وظهور البدع والتكاسل في الجهاد حسبما يقتضيه المعنى ... الآية مخبرة بأن إصابة الفتنة لا تخص بالظالمين بل تعم غيرهم أيضاً ... ثم لا يخفى أن الخطاب إذا كان عاماً للأمم وفسرت الفتنة بإقرار المنكر لا يجيء الإشكال على عموم الإصابة بقوله سبحانه : { وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى } [الأنعام: ١٦٤، الإسراء: ١٥، فاطر: ١٨، الزمر: ٧] لأنه كما يجب على مرتكب الذنب الانتهاء عنه يجب على الباقيين رفعه وإذا لم يفعلوا كانوا آثمين فيصيبهم ما يصيبهم لأثمهم .

<sup>١</sup> - في ظلال القرآن المجلد الثالث / ١٤٩٦، مرجع سابق

ويدل للوجوب ما روى عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أمر الله تعالى المؤمنين أن لا يقروا المنكر بين أظهرهم فيهمهم الله تعالى بعذاب يصيب الظالم وغير الظالم (١).  
 عن أبي بكر رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يده أوشك أن يعمهم الله تعالى بعقاب » (٢) و عن ابن مسعود قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لما وقعت بنو إسرائيل في المعاصي ناهم علماءهم فلم ينتهوا فجالسوهم في مجالسهم و اكلوهم و شاربوهم فضرب الله تعالى قلوب بعضهم ببعض و لعنهم على لسان داود و عيسى ابن مريم ذلك بما عصوا و كانوا يعتدون (٣) .

يقول د. سيد طنطاوي: يؤكد سبحانه ترهيبه لهم من التراخي في تغيير المنكر فيقول: { واتقوا فِتْنَةً لَّا تُصِيبُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ } و الفتنة: من الفتن . وأصله: إدخال الذهب النار لتظهر جودته من رداءته ، واستعمل في إدخال الإنسان النار كما في قوله تعالى { ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ } أى : عذابكم . وتارة يسمون ما يحصل عنه العذاب فتنة فيستعمل فيه نحو قوله تعالى : { أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا } وتارة في الاختيار نحو قوله تعالى { وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا } . والمراد بالفتنة هنا العذاب الدنيوي ، كالأمرض ، والقحط ، واضطراب الأحوال ، وتسلب الظلمة ، وعدم الأمان . . وغير ذلك من المحن والمصائب والآلام التي تنزل بالناس بسبب غشيانهم الذنوب ، وإقرارهم للمنكرات ، والمداهنة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . والخطاب لجميع في كل زمان ومكان .  
 فالمعنى : دواموا أيها المؤمنون على طاعة الله بقوة ونشاط ، واحذروا من أن ينزل بكم عذاب سيعم عند نزوله الأخيار والفجار والمسيئين .

وقوله : { وَاَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ } المراد منه الحث على لزوم الاستقامة خوفاً من عقاب الله - تعالى - . أى : واعلموا أن الله شديد العقاب لمن خالف أمره ، وانتهك حرمانه (٤).  
 هذا ، وقد دلت الآية الكريمة على وجوب الإقلاع عن المعاصي ، ووجوب محاربة مرتكبيها ، فإن الأمة التي تشيع فيها المعاصي والمظالم والمنكرات . . ثم لا تجد من يحاربها ويعمل على إزالتها ، تستحق العقوبة جزاء سكوتهما واستخذائها وجبنها .

وقد ذكر بعض المفسرين أن هذه الآية الكريمة نزلت في حق بعض الصحابة الذين اشتروا في وقاعة الحمل فيما بعد . ولكن هذا القول غير صحيح؛ لأن الآية الكريمة تخاطب المؤمنين جميعاً في كل زمان ومكان ، وأمرهم بالبعد عن المعاصي والمنكرات التي تفضي بهم إلى العذاب الدنيوي قبل الأخرى . وليست خاصة

(١) - تفسير الألوسي (٥ / ١٨٠-١٨٢) ، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت ، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ ، المحقق: علي عبد الباري عطية

(٢) - أخرجه الترمذي ح(٢١٦٨) وأبو داود ح(٤٣٣٨) حكم الالباني صحيح عن قيس بن حازم وأحمد ح(٣٠) قال شاکر صحيح على شرط الشيخين.

(٣) - رواه الترمذي ح(٣٠٤٧) وقال: هذا حديث حسن غريب ، وأحمد ح(٣٧١٣) و أبو داود (٤٣٣٦)

(٤) - المفردات في غريب القرآن ص ٣٧١ للراغب الأصفهاني. مرجع سابق .

(٥) - تفسير الوسيط لطنطاوي ٦/ ٧٦ ، الناشر: دار تحفة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة - القاهرة ، الطبعة: الأولى سنة ١٩٩٧-١٩٩٨

بفريق دون فريق . لذا قال ابن كثير : والقول بأن هذا التحذير يعم الصحابة وغيرهم الصحيح ، ويدل عليه الأحاديث الواردة في التحذير من الفتن .(١)

عن عدى بن عميرة قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : " إن الله - تعالى - لا يعذب العامة بعمل الخاصة حتى يروا المنكر بين ظهرائهم وهم قادرون على أن ينكروه فلا ينكروه ، فإذا فعلوا ذلك عذب الله الخاصة والعامة " .

وقال ﷺ : " ما من قوم يعمل فيهم بالمعاصي وهم أعز وأكثر ممن يعملون ، ثم لم يغيروه ، إلا عمهم الله بعقاب " (٢) . وقال الإمام القرطبي : قال ابن عباس : أمر الله المؤمنين ألا يقروا المنكر بين أظهرهم فيعمهم العذاب . ففي صحيح مسلم " عن زينب بنت جحش أنها سألت رسول الله ﷺ فقالت له : يا رسول الله ، أهلكنا وفينا الصالحون؟ قال : " نعم إذا كثرت الخبث " . وفي صحيح الترمذي : " إن الناس إذا رأوا الظالم ولم يأخذوا على يديه ، أو شك أن يعمهم الله بعقاب من عنده " . وفي صحيح البخاري والترمذي عن النعمان بن بشير عن النبي ﷺ قال : " مثل القائم على حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا - أى اقترعوا - على سفينة فأصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم فقالوا : لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقاً ولم نؤذ من فوقنا ، فإن يتركوهما وما أرادوا هلكوا جميعاً ، وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعاً " ، ففي هذا الحديث تعذيب العامة بذنوب الخاصة .

قال علماؤنا: فالفتنة إذا عمت هلك الكل وذلك عند ظهور المعاصي، وانتشار المنكر وعدم التغيير. وإذا لم تغير وجب على المؤمنين المنكرين لها بقلوبهم هجران تلك البلدة والهرب منها ، روى ابن وهب عن مالك قال: تمجر الأرض التي يصنع فيها المنكر جهاراً ولا يستقر فيها. واحتج بصنيع أبي الدرداء في خروجه عن أرض معاوية حين أعلن بالربا، فأجاز بيع سقاية الذهب بأكثر من وزنها.(٣)

فإن قيل : فقد قال الله تعالى { وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى } وقال : { كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهينَةٌ } وهذا يوجب ألا يؤخذ أحد بذنب أحد ، وإنما تتعلق العقوبة بصاحب الذنب؛ فالجواب أن الناس إذا تظاهروا بالمنكر فمن الفرض على كل من رآه أن يغيره ، فإذا سكت عليه فكلهم عاص؛ هذا بفعله وهذا برضاه ، وقد جعل الله في حكمه الراضي بمنزلة العامل؛ فانظم في العقوبة .(٤)

وقال بعض العلماء : وذكر القسطلاني " أن علامة الرضا بالمنكر عدم التألم من الخلل الذي يقع في الدين بفعل المعاصي ، فلا يتحقق كون الإنسان كارها له ، إلا إذا تألم للخلل الذي يقع في الدين ، كما يتألم ويتوجع لفقد ماله أو ولده . فكل من لم يكن بهذه الحالة ، فهو راض بالمنكر ، فتعمه العقوبة والمصيبة بهذا الاعتبار .(٥)

(١) - المرجع السابق ص ٧٧ وابن كثير ٤ / ٣٣

(٢) - الحديثين في مسند الإمام أحمد (٢٥٨/٢٩) ، مؤسسة الرسالة ٢٠٠١ تحقيق شعيب الأرنؤوط .

(٣) - الوسيط لسيد طنطاوي ٦ / ٧٨ . مرجع سابق .

(٤) - تفسير القرطبي ج ٧ ص ٣٩١-٣٩٣ . مرجع سابق .

(٥) - تفسير القاسمي ج ٥ ص ٢٧٧ . الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت ، الطبعة: الأولى - ١٤١٨ هـ ، المحقق: محمد باسل عيون السود

الخامس عشر : (مَن كفر بالله من بعد إيمانه، إلا مَن أكره قلبه مطمئن بالإيمان) ، نزلت في عمار بن ياسر، وذلك أن المشركين أخذوه وأباه وأمه وغيرهم فعذبوهم، وقتلوا أباه وأمه، وأما عمار فوافقهم وكفر بمحمد وقلبه كاره. فأتى عمارُ محمداً وهو يبكي فقال له محمد: كيف وجدت قلبك؟ قال: مطمئناً بالإيمان فجعل محمد يمسح عينيه وقال: إن عادوا فعُدْ لهم بما قلت (الرازي في تفسير هذه الآية). يعني يجوز الكفر باللسان إذا كان في القلب الإيمان ، وهذا تعليم فاسد، فهل يرضى الله بالشرك به باللسان؟ قال المسيح: لا تخافوا من الذين يقتلون الجسد ولكن النفس لا يقدر أن يقتلوا، بل خافوا بالحري من الذي يقدر أن يهلك النفس والجسد كليهما في جهنم... مَن ينكرني قدام الناس أنكره أنا أيضاً قدام أبي الذي في السموات (متى ١٠ : ٢٨ ، ٣٣)

الرد :

{مَن كفر بالله من بعد إيمانه إلا مَن أكره قلبه مطمئن بالإيمان ولكن من شرح بالكفر صدرا فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم} [النحل: ١٠٦]. الحق سبحانه وتعالى سبق وأن تحدث عن حكم المؤمنين وحكم الكافرين، ثم تحدث عن الذين يخلفون العهد ولا يوفون به، ثم تحدث عن الذين افتروا على رسول الله والذين كذبوا بآيات الله، وهذه كلها قضايا إيمانية كان لابد أن تثار، وفي هذه الآية الكريمة يوضح لنا الحق سبحانه وتعالى أن الإيمان ليس مجرد أن تقول: لا إله إلا الله محمد رسول الله. فالقول وحده لا يكفي ولا بد وأن تشهد بذلك، ومعنى تشهد أن يواطئ القلب واللسان كل منهما الآخر في هذه المقولة. والمتأمل لهذه القضية يجد أن القسمة المنطقية تقتضي أن يكون لدينا أربع حالات: الأولى: أن يواطئ القلب اللسان إيجاباً بالإيمان؛ ولذلك نقول: إن المؤمن منطقي في إيمانه؛ لأنه يقول ما يضمرة قلبه.

الثانية: أن يواطئ القلب اللسان سلباً أي: بالكفر، وكذلك الكافر منطقي في كفره بالمعنى السابق. الثالثة: أن يؤمن بلسانه ويضمرة الكفر في قلبه، وهذه حالة المنافق، وهو غير منطقي في إيمانه حيث أظهر خلاف ما يبطن ليستفيد من مزايا الإيمان.

الرابعة: أن يؤمن بقلبه، وينطق كلمة الكفر بلسانه. وهذه الحالة الرابعة هي المرادة في هذه الآية. فالحق تبارك وتعالى يعطينا هنا تفصيلاً لمن كفر بعد إيمان، وما سبب هذا الكفر؟ وما جزاؤه؟ قوله: {مَن كفر بالله من بعد إيمانه .. "١٠٦"} [سورة النحل] هذه جملة الشرط تأخر جوابها إلى آخر الآية الكريمة، لتقف أولاً على تفصيل هذا الكفر، فيما أن يكون عن إكراه لا دخل للإنسان فيه، فيجبر على كلمة الكفر، في حين قلبه مطمئن بالإيمان.

{مَن كفر بالله من بعد إيمانه إلا مَن أكره قلبه مطمئن بالإيمان .. "١٠٦"} [سورة النحل]

ثم سكت عنه القرآن الكريم ليدلنا على أنه لا شيء عليه، ولا بأس أن يأخذ المؤمن بالتقية، وهي رخصة تقي الإنسان موارد الهلاك في مثل هذه الأحوال. وفي تاريخ الإسلام نماذج متعددة أخذت بهذه الرخصة، ونظقت كلمة الكفر وهي مطمئنة بالإيمان. وفي الحديث الشريف: "رفع عن أمتي: الخطأ، والنسيان، وما استكرهوا عليه".

ويذكر التاريخ أن ياسر أبا عمار وزوجه سمية أول شهيدين في الإسلام، فكيف استشهدا؟ كانا من المسلمين الأوائل، وتعرضوا لكثير من التعذيب حتى عرض عليهم الكفار النطق بكلمة مقابل العفو عنهما، فماذا حدث من هذين الشهيدين؟ صدعاً بالحق وأصراً على الإيمان حتى نالا الشهادة في سبيل الله، ولم يأخذا برخصة التقية. وكان ولدهما عمار أول من أخذ بها، حينما تعرض لتعذيب المشركين.

وقد بلغ رسول الله ﷺ أن عمار بن ياسر كفر، فأنكر صلى الله عليه وسلم هذا، وقال: "إن إيمان عمار من مفرق رأسه إلى قدمه، وإن الإيمان في عمار قد اختلط بلحمه ودمه". فلما جاء عمار أقبل على رسول الله وهو يبكي، ثم قص عليه ما تعرض له من أذى المشركين، وقال: والله يا رسول الله ما خلصني من أيديهم إلا أني تناولتكم وذكرت آهنتهم بخير، فما كان من النبي ﷺ إلا أن مسح دموع عمار بيده الشريفة وقال له "إن عادوا إليك فقل لهم ما قلت".

وقد أثارت هذه الرخصة غضب بعض الصحابة، فراجعوا فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا: فما بال بلال؟ فقال: "عمار استعمل رخصة، وبلال صدع بالحق"

ولاشك أن هاتين منزلتان في مواجهة الباطل وأهله، وأن الصدع بالحق والصبر على البلاء أعلى منزلة، وأسمى درجة من الأخذ بالرخصة؛ لأن الأول آمن بقلبه ولسانه، والآخر آمن بقلبه فقط ونطق لسانه الكفر. لذلك، ففي حركة الردة حاول مسيلمة الكذاب أن يطوف بالقبائل لينتزع منهم شهادة بصدق نبوته، فقال لرجل: ما تقول في محمد؟ قال: رسول الله، قال: فما تقول في؟ فقال الرجل في لباقة: وأنت كذلك، يعني أخرج نفسه من هذا المأزق دون أن يعترف صراحة بنبوة هذا الكذاب.

فقابل آخر وسأله: ما تقول في محمد؟ قال: رسول الله، قال: وما تقول في؟ فقال الرجل متهمكماً: اجهر لأني أصبحت أصم الآن، وأنكر على مسيلمة ما يدعيه فكان جزاؤه القتل. فلما علم رسول الله صلى الله عليه وسلم خبرهما قال: "أحدهما استعمل الرخصة، والآخر صدق بالحق.

وقد تحدث العلماء عن الإكراه في قوله تعالى: {إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان .. "١٠٦"} [سورة النحل] وأوضحوا وجوه الإكراه وحكم كل منها، على النحو التالي:

إذا أكره الإنسان على أمر ذاتي فيه. كأن قيل له: اشرب الخمر وإلا قتلتك أو عذبتك قالوا: يجب عليه في هذه الحالة أن يشربها وينجو بنفسه؛ لأنه أمر يتعلق به، ومن الناس من يعصون الله بشرها. فإن قيل له: اكفر بالله وإلا قتلتك أو عذبتك، قالوا: هو مخير بين أن يأخذ بالتقية هنا، ويستخدم الرخصة التي شرعها الله له، أو يصدع بالحق ويصمد. أما إذا تعلق الإكراه بحق من حقوق الغير، كأن قيل لك: اقتل فلاناً وإلا قتلتك، ففي هذه الحالة لا يجوز لك قتله؛ لأنك لو قتلته لقتلت قصاصاً، فما الفائدة إذن؟

وبعد أن تحدث الحق تبارك وتعالى عن حكم من أكرهه وقلبه مطمئن بالإيمان، يتحدث عن النوع الآخر: {ولكن من شرح بالكفر صدراً.. "١٠٦"} [سورة النحل] ، أي: نطق كلمة الكفر راضياً بها، بل سعيدة بما نفسه، منشراحاً بما صدره، وهذا النوع هو المقصود في جواب الشرط {فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم} "١٠٦" [سورة النحل] ، فإن كانت الآيات قد سكتت عن أكرهه، ولم تجعل له عقوبة لأنه مكره، فقد بينت أن من شرح بالكفر صدراً عليه غضب من الله أي: في الدنيا. ولهم عذاب عظيم أي: في الآخرة. وكما رأينا في تاريخ الإسلام نماذج للنوع الأول الذي أكرهه وقلبه مطمئن بالإيمان، كذلك رأينا نماذج لمن شرح بالكفر صدراً، وهم المنافقون، ومنهم من أسلم بعد ذلك وحسن إسلامه، ومنهم عبد الله ابن سعد بن أبي السرح من عامر بن لؤي .

### السادس عشر : ( إكراه أو لا إكراه ) .

{ولو شاء ربك لآمنَ من في الأرض كُلِّهم، أفأنت تُكْرِه الناسَ حتى يكونوا مؤمنين} [يونس ٩٩] {قاتلوهم حتى لا تكونَ فتنةٌ ويكون الدِّينُ كُلُّهُ لله} [الأنفال ٨ : ٣٩] والسؤال : كيف تتفق آيات الإكراه وعدم الإكراه؟ في بداية دعوة محمد في مكة رأى أنه ليس من صالحه إعلان الحرب على خصومه. ولكن حينما استتبَّ له الأمر في المدينة أعلن هذه الحرب، حتى قال في الحديث أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله (متفق عليه مشكاة المصابيح حديث رقم ١٢). وغاية ما اعتذر به المسلمون عن هذا قولهم إن بعض هذه الآيات ناسخ للآخر .

الرد :

قوله: {قاتلوهم حتى لا تكونَ فتنةٌ ويكون الدِّينُ كُلُّهُ لله} [الأنفال ٨ : ٣٩]. تقول : القتال بسبب الفتنة وعليه لما بيّن تعالى أنّ هؤلاء الكفار إن انتهوا عن كفرهم حصل لهم الغفران، وإن عادوا فهم متعودون بسنة الأولين، أتبعه بأن أمر بقتالهم إذا أصروا فقال: { وَتَلَّوْهُمُ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةً } قال عروة بن الزبير: كان المؤمنون في مبدأ الدعوة يفتنون عن دين الله، فافتتن من المسلمين بعضهم وأمر رسول الله ﷺ المسلمين أن يخرجوا إلى الحبشة، وفتنة ثانية وهو أنه لما بايعت الأنصار رسول الله ﷺ بيعة العقبة، تأمرت قريش أن يفتنوا المؤمنين بمكة عن دينهم، فأصاب المؤمنين جهد شديد، فهذا هو المراد من الفتنة، فأمر الله تعالى بقتالهم حتى تنزل هذه الفتنة. ومن وجه آخر، إن مبالغة الناس في حبهم أديانهم أشد من مبالغتهم في حبهم أرواحهم، فالكافر أبداً يسعى بأعظم وجوه السعي في إيذاء المؤمنين وفي إلقاء الشبهات في قلوبهم وفي إقائهم في وجوه المحنة والمشقة، وإذا وقعت المقاتلة زال الكفر والمشقة، وخلص الإسلام وزالت تلك الفتن بالكلية.

{ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةً } أي شرك أو إضلال لغيرهم، وفتن منهم للمؤمنين عن دينهم وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ أي يخلص التوحيد لله، فلا يعبد غيره، والآية السابقة لها تدل على المعنى { قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ، } قُلْ يا محمد لهؤلاء الذين كفروا بالحق لما جاءهم، من أهل مكة وغيرهم، قل لهم: إِنْ يَنْتَهُوا عن كفرهم وعداوتهم للمؤمنين يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ من كفرهم ومعاصيهم وَإِنْ يَعُودُوا إِلَى قِتَالِكَ وَيَسْتَمِرُوا فِي ضَلَالِهِمْ وَكُفْرِهِمْ وَطُغْيَانِهِمْ، انتقمنا منهم،.. ثم أمر من الله - تعالى - للمؤمنين بقتال الكافرين {وقاتلوهم} إذا

ما استمروا في كفرهم وطغيانهم. والمعنى: عليكم - أيها المؤمنون - إذا ما استمر أولئك الكافرون في كفرهم وعدوانهم، أن تقاتلوهم بشدة وغلظة، وأن تستمروا في قتالهم حتى تزول صولة الشرك، وحتى تعيشوا أحرارا في مباشرة تعاليم دينكم، دون أن يجراً أحد على محاولة فتنتكم في عقيدتكم أو عبادتكم... (١)

وقوله { فَإِنْ أَنْتَهُوا } أي: بقتالكم عما هم فيه من الكفر فكفوا عنهم وإن لم تعلموا بواطنهم فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ... وفي الصحيح أن رسول الله ﷺ قال لأسامة لما علا ذلك الرجل بالسيف، فقال الرجل لا إله إلا الله، فضربه فقتله فذكر ذلك للرسول ﷺ فقال لأسامة: أقتلته بعد ما قال لا إله إلا الله؟ فكيف تصنع «بلا إله إلا الله» يوم القيامة؟ فقال: يا رسول الله إنما قالها تعودا فقال. هلا شققت عن قلبه؟ وجعل يقول ويكرر عليه من لك بلا إله إلا الله يوم القيامة، قال أسامة: حتى تمنيت أني لم أكن أسلمت إلا يومئذ (٢)

أما ما جاء بسورة يونس لأهل الكتاب وليس للكفار، {ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم، أفأنت تُكِرُّ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ} [آية ٩٩]. واعلم أنه تعالى لما ذكر هذا الكلام قال: { أفأنت تُكِرُّ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ } والمعنى أنه لا قدرة لك على التصرف في أحد، والمقصود منه بيان أن القدرة القاهرة والمشية النافذة ليست إلا للحق سبحانه وتعالى.

فقوله: { أفأنت تُكِرُّ النَّاسَ } يعني إنما يقدر على إكراههم واضطرارهم إلى الإيمان هو لا أنت. وإيلاء الاسم حرف الاستفهام، وللإعلام بأن الإكراه ممكن مقدور عليه، وإنما الشأن في المكروه من هو؟ وما هو إلا هو وحده لا يشارك فيه، لأنه هو القادر على أن يفعل في قلوبهم ما يضطرون عنده إلى الإيمان، وذلك غير مستطاع للبشر.

فالفارق كبير بين توجيه الخطاب من جهة المشركين الذين ينشرون الفتنة بين الناس وبين ما جاء بسورة يونس لأهل الكتاب والناس... فلا وجود للفتنة التي ينتج عنها قتال .

قدّم البخاري في صحيحه عدة روايات تشرح قوله: {وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله} عن ابن عمر؛ أن رجلا جاءه فقال: يا أبا عبد الرحمن، ألا تسمع ما ذكر الله في كتابه... فإن الله تعالى يقول: {وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة}؟ قال ابن عمر: قد فعلنا على عهد النبي ﷺ إذ كان الإسلام قليلا وكان الرجل يفتن في دينه: إما أن يقتلوه، وإما أن يوثقوه، حتى كثر الإسلام فلم تكن فتنة، فلما رأى أنه لا يوافقها فيما يريد، قال: فما قولك في علي وعثمان؟ قال ابن عمر: ما قولي في علي وعثمان؟ أما عثمان فكان الله قد عفا عنه، وكرهتم أن يعفو عنه، وأما علي فابن عم رسول الله ﷺ وختنه - وأشار بيده - وهذه ابنته أو بنته - حيث ترون. وروى عن سعيد بن جبيرة قال: خرج علينا ابن عمر، رضي الله عنهما، فقال رجل: كيف ترى في قتال الفتنة؟ فقال: وهل تدري ما الفتنة؟ كان محمد ﷺ يقاتل المشركين، وكان الدخول عليهم فتنة، وليس بقتالكم على الملك (٣). عن ابن عمر؛ أنه أتاه رجلان في فتنة ابن الزبير فقالا إن الناس قد صنعوا ما ترى، وأنت ابن عمر بن الخطاب، وأنت صاحب رسول الله ﷺ، فما يمنعك أن تخرج؟ قال: يمنعني أن الله حرم

(١) - د. سيد طنطاوي، التفسير الوسيط (٩٨/٦) مرجع سابق، تفسير القاسمي "محاسن التأويل" (٢٩٢/٥) مرجع سابق .

(٢) - ابن كثير (٥٧/٤) مرجع سابق، والحديث في الصحيحين، صحيح البخاري برقم (٤٢٦٩) وصحيح مسلم برقم (٩٦) .

(٣) - صحيح البخاري ح (٤٦٥٠، ٤٦٥١)

علي دم أخي المسلم. قالوا: أو لم يقل الله: {وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله}؟ قال: قد قاتلنا حتى لم تكن فتنة، وكان الدين كله لله، وأنتم تريدون أن تقاتلوا حتى تكون فتنة، ويكون الدين لغير الله. (١)

### والسؤال : هل صحيح أن الإسلام ضد حرية الاعتقاد؟

١ . كفل الإسلام للإنسان حرية الاعتقاد. وجاء ذلك في وضوح تام في القرآن الكريم: {لا إكراه في الدين} [البقرة: ٢٥٦] . فلا يجوز إرغام أحد على ترك دينه واعتناق دين آخر. فحرية الإنسان في اختيار دينه هي أساس الاعتقاد. ومن هنا كان تأكيد القرآن على ذلك تأكيداً لا يقبل التأويل في قوله: {فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر} [الكهف: ٢٩] .

٢ . وقد أقر النبي ﷺ الحرية الدينية في أول دستور للمدينة حينما اعترف لليهود بأنهم يشكلون مع المسلمين أمة واحدة. ومن منطلق الحرية الدينية التي يضمنها الإسلام كان إعطاء الخليفة الثاني عمر بن الخطاب للمسيحيين من سكان القدس الأمان " على حياتهم وكنائسهم وصلبائهم، لا يضار أحد منهم ولا يرغم بسبب دينه " .

٣ . لقد كفل الإسلام أيضاً حرية المناقشات الدينية على أساس موضوعي بعيد عن المهارات أو السخرية من الآخرين. وفي ذلك يقول القرآن: {ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن} [النحل: ١٢٥] . وعلى أساس من هذه المبادئ السمحة ينبغي أن يكون الحوار بين المسلمين وغير المسلمين، وقد وجه القرآن هذه الدعوة إلى الحوار إلى أهل الكتاب فقال: {قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله \* فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون} [آل عمران: ٦٤] . ومعنى هذا أن الحوار إذا لم يصل إلى نتيجة فلكل دينه الذى يقتنع به. وهذا ما عبرت عنه أيضاً الآية الأخيرة من سورة (الكافرون) التى ختمت بقوله تعالى للمشركين على لسان محمد ﷺ : {لكم دينكم ولي دين} [الكافرون: ٦] .

٤ . الاقتناع هو أساس الاعتقاد: فالعقيدة الحقيقية هي التى تقوم على الإقناع واليقين، وليس على مجرد التقليد أو الإرغام. وكل فرد حر فى أن يعتقد ما يشاء وأن يتبنى لنفسه من الأفكار ما يريد، حتى ولو كان ما يعتقد أفكاراً إحدادية. فلا يستطيع أحد أن يمنعه من ذلك طالما أنه يحتفظ بهذه الأفكار لنفسه ولا يؤذى بها أحداً من الناس. أما إذا حاول نشر هذه الأفكار التى تتناقض مع معتقدات الناس، وتتعارض مع قيمهم التى يدينون لها بالولاء، فإنه بذلك يكون قد اعتدى على النظام العام للدولة بإثارة الفتنة والشكوك فى نفوس الناس. وأي إنسان يعتدى على النظام العام للدولة فى أي أمة من الأمم يتعرض للعقاب، وقد يصل الأمر فى ذلك إلى حد تهمه الخيانة العظمى التى تعاقب عليها معظم الدول بالقتل. فقتل المرتد فى الشريعة الإسلامية ليس لأنه ارتد فقط ولكن لإثارته الفتنة والبلبلة وتعكير النظام العام فى الدولة الإسلامية. أما إذا ارتد بينه وبين نفسه دون

(١) - الحديث ذكره ابن كثير عن ابن مردويه وذكر زوايا وقصص عبيده على الآية، راجع تفسير ابن كثير (٤ / ٥٦) مرجع سابق .

أن ينشر ذلك بين الناس ويثير الشكوك في نفوسهم فلا يستطيع أحد أن يتعرض له بسوء، فالله وحده هو المطلع على ما تخفي الصدور.

وقد ذهب بعض العلماء المحدثين إلى أن عقاب المرتد ليس في الدنيا وإنما في الآخرة، وأن ما حدث من قتل للمرتدين في الإسلام بناء على بعض الأحاديث النبوية فإنه لم يكن بسبب الارتداد وحده، وإنما بسبب محاربة هؤلاء المرتدين للإسلام والمسلمين (١)

**السابع عشر : كل المخلوقات في السموات والأرض طائعة وقائنة لله تعالى (٣٠ : ٢٦) .  
ومع ذلك نجد حالات كثيرة من عدم الطاعة من جانب البشر (مثلاً: ٦٩ : ١٠) .**

الجواب:

كل المخلوقات، في السموات والأرض، طائعة وقائنة لله، سبحانه وتعالى: {وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ} [الروم: ٢٦] . فهم قانتون لله، أي خاضعون ومطيعون لإرادته، سبحانه وتعالى . .

ومع ذلك يشهد الواقع، وتحكي الآيات القرآنية الكثير عن حالات العصيان وعدم الطاعة من جانب البشر . . وذلك من مثل قوله سبحانه: {وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَنْ قَبْلَهُ وَالْمُؤْتَفِكَاتُ بِالْخَاطِئَةِ (٩) فَعَصَا رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخَذَةً رَابِيَةً} [الحاقة: ٩-١٠] ، ففي هذه الآية وحدها إشارات إلى عصيان فرعون . . وعصيان من سبقه من المؤتفكات - أي قرى قوم لوط - الذين أخذهم الله أخذة رابية، أي زائدة في الشدة على غيرها . .

بل إن تاريخ الإنسانية هو صراع بين أهل الطاعة وأهل العصيان . حتى أن المأثور النبوي الشريف قد تحدث عن أن كل بني آدم خطاء، وخير الخطائين التوابون ، فكيف يتسوق شيوع العصيان في البشر، مع الآية القرآنية التي تحدثت عن أن كل من في السموات والأرض قانتون - أي خاضعون ومطيعون - لله سبحانه وتعالى؟ إن مفتاح الإجابة عن هذا التساؤل، هو فهم أنواع الإرادة الإلهية والقضاء الإلهي . . فالله سبحانه لا يريد العصيان، ولا يقضي بالشر . لكن إرادته وقضاهه نوعان:

١ - إرادة وقضاء تكويني وحتمي للمخلوقات غير المخيرة . . وذلك مثل القضاء الذي تتحدث عنه الآية: {قُلْ أَنتُمْ لَكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ (٩) وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِي مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ (١٠) ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ (١١) فَفَضَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرًا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحٍ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ} [فصلت: ١٢] . . ومن مثل: {بَدِيعَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ} [البقرة: ١١٧] .

ففي هذا اللون من الأمر الإلهي والقضاء الرباني تكون المخلوقات غير المختارة مجبولة على القنوت والطاعة والخضوع لله سبحانه وتعالى . .

٢ - إرادة وقضاء معهما تخيير . . وذلك خاص بالإنسان المخير . . المكلف . . المسئول . . والذي له - بسبب هذا التخيير والحرية - حساب وجزاء.

وإلى مثل هذا تشير الآيات: { وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبُلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٌ وَلَا تَنْهَرَهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا (٢٣) } وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا } [الإسراء: ٢٣-٢٤] .

فنحن هنا أمام قضاء إلهي، شاء الله سبحانه وتعالى أن يترك للإنسان المخير إزاءه حرية الطاعة والعصيان، ليتميز الخبيث من الطيب، وليكون الجزاء وفق العمل والإرادة والاختيار. . فالإنسان المخير، الذي هداه الله النجدين، له قدرات واستطاعات الطاعة والعصيان. . ولذلك، كان من جنس الإنسان المؤمن والكافر، والمطيع والعاصي، ومن يبتغي وجه الله، ومن يبتغي غير دين الله. . بينما المخلوقات غير المختارة مجبولة على الطاعة والخضوع { أَفَعَيَّرَ دِينَ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ } [آل عمران: ٨٣] ، { وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَالُهُمْ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ } (الرعد: ١٥) ، { ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ } [فصلت: ١١] .

ففي مخلوقات الله مخلوقات مجبولة على الطاعة والخضوع. . وفي هذه المخلوقات، منهم من يطيع ومنهم من يختار العصيان، فيبتغي غير دين الله! (١).

(١) - حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين ، الشبهة رقم ٣٨ ، مجموعة من العلماء بإشراف الدكتور محمود حمدي زقزوق ، الناشر وزارة الأوقاف المصرية المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية . القاهرة سنة ٢٠٠٢ . وهذا الرد كان للدكتور محمد عمارة .

## المبحث الثاني : تهم وطعون وإشكالات على الأنبياء في القرآن

### فساد أنبياء الكتاب المقدس

الانبياء معلّموا البشر ومرشدهم لما فيه خيرهم ، فمن المنطقي أن يكونوا قدوة فهم أتقى وأعقل البشر المختارين من السماء لأهل الأرض ليبلغوا رسالتها ووصاياها ويكونوا القدوة بالأفعال والأعمال فيتعلّم البشر منهم بشغف ومحبة ويترسم خطاهم ، هؤلاء الرسل الذين يؤهلهم الله لرسالته لا بد من توافر صفات فيهم كحسن الخلق واللطافة والرحمة والتواضع والعقل السليم وعشق الله حتى يصبحوا المثل لغيرهم .

لكن ليس هنالك صفة من صفات التحقير والتدني والإسفاف والفساد لم يسم بها الكتاب المقدس أنبياءه ، فهم أحسن من الناس العاديين وأدنى منهم تقى ومعرفة بالله ، والناس العاديين أخلاقهم أرقى وأحسن ، فمنهم الزاني القذر والمتعري والقاتل والجرم ، ومنهم عابد الاوثان ومنهم شريب الخمر ، وأكثرهم جمع بين الأقدار كلها ، يدعو لشيء ويفعل مقابله كل القبائح .

تخيل معي أن الرسول الذى أختاره الله سبحانه وتعالى حبيث او سكير زاني كذاب حبيث النفس هل ستقبل منه كلام وتنفذه(كالوصايا العشر) هل سيكون لك القدوة هل ستتبعه هل تعتقد أن الله يختار نبي ورسول بهذه الصفات .

يحتوى الكتاب المقدس على الكثير من أفعال الأنبياء المفترية عليهم ، وعندما تقول هذا الكلام للنصراني يقول لك أن الانبياء في المسيحية وفي الكتاب المقدس ليسوا بمعصومين!! . لكن رد المسيح عليه السلام عليهم فقال كما في انجيل متى : ( ٥ : ١٣ ) : ( انتم ملح الارض . ولكن ان فسد الملح فبماذا يملح . لا يصلح بعد لشيء إلا لأن يطرح خارجا ويداس من الناس ... ) وكما هو واضح إنهم الملح الفاسد لذا فهم القدوة الفاسدة فبالتأكيد أن الأرض سوف تفسد والأقوام التي أرسلوا لها ستكون شديدة الفساد بتصرفاتهم وكذلك ( متى ٧ / ١٦ ) : ( من ثمارهم تعرفونهم . هل يجتنون من الشوك عنباً او من الحسك تيناً ، هكذا كل شجرة جيدة تصنع اثماراً جيدة . واما الشجرة الرديئة فتصنع اثماراً رديئة ، لا تقدر شجرة جيدة ان تصنع اثماراً رديئة ولا شجرة رديئة ان تصنع اثماراً جيدة ، كل شجرة لا تصنع ثمرًا جيداً تقطع وتلقى في النار )

الشجرة الجيدة تطرح الثمر الجيد الصالح ، المليء بالخير ، والشجرة الفاسدة تطرح الخبث والشر ، فهل شجرة الانبياء في الكتاب المقدس طرحت صلاح أم فساد

١ - فهم أنبياء ... لكنهم عراة !!

- (تكوين ٩ : ٢٠) وشرب نوح من الخمر فسكر وتعزى داخل خبائه فأبصر حام عورة أبيه . وللعلم فقد لعنه أبوه وجعله عبد العبيد لأنه رآه "تناقض غريب"

- صموئيل ٢ : ( ١٩ : ٢٣ ) وكان روح الله على شاول ، فخلع هو أيضاً ثيابه وتنبأ هو أيضاً . فانطرح عرباناً ذلك النهار كله وكل الليل .

- ( صموئيل ٢ : ٦ ) ورقص داود أمام الناس وأمام الله .

- (قضاة ١٥ : ٥) وذهب وأمسك ثلاثمائة ثعلب وأخذ مشاعل ذنبا إلى ذنب ووضع مشعلاً بين كل ذنين في

الوسط ثم أضرم المشاعل نارًا وأطلقها بين زروع الفلسطينيين فأحرق الأكداس والزرع وكروم الزيتون .

- (قضاة ١٦ : ١) ثم ذهب إلى غزة ورأى هناك امرأة زانية فدخل إليها .

- اتخذ لنفسك زانية !! (هوشع ١ : ٢) أول ما كلم الرب هوشع قائلاً: اذهب خذ لنفسك امرأة زانية وأولاد زنى لأن الأرض قد زنت " نفذ الأمر وتزوج عاهرة "

- (تك ٣٥ : ٢٢) (رأوبين ابن يعقوب يضاجع زوجة أبيه بلها التي كانت جارية (تك ٤٩ : ٤) . ووبَّخه أبوه يعقوب قائلاً) : لأنك صعدت على مضجع أبيك حينئذ دنسته، على الفراش صعدت .

### النبوة بين الكتاب المقدس والقرآن

الأنبياء اختارهم الله واصطفاهم لأشرف مهمة من بين سائر عبادِه { وَسَلِّمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ اللَّهُ خَيْرٌ مَّا يُشْرِكُونَ } [النمل : ٥٩] ، فهم أبرُّ أهل الأرض، وأكرمهم، وأجلهم، عصمهم الله من الكفر، ونزههم عن مقارفة الكبائر بتوقيفه وهدايته { كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِن عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ } [يوسف : ٢٤] ، فالرسول على قدر المرسل .

لكنهم رغم عصمة الله لهم من الكبائر والחסائس - فإنهم كسائر بني آدم، بشر يصيبون ويخطئون، وينالهم ما يصيب غيرهم من عوارض البشرية، قال ابن بطال فإن المسلمين "اختلفوا، هل يجوز وقوع الذنوب منهم؟ فأجمعت الأمة على أنهم معصومون في الرسالة، وأنه لا تقع منهم الكبائر .. وقال أهل السنة: جائز وقوع الصغائر من الأنبياء" (١) .

وقد ذكر القرآن الكريم وقوع بعض الأنبياء في صغائر الذنوب، وذكر استغفارهم الله وتوبتهم منها، ومنه قوله تعالى عن أبينا آدم: { وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ } [طه : ١٢١ - ١٢٢] ، وقوله على لسان إبراهيم عليه السلام: { وَالَّذِي أُطْمِعَ أَن يُغْفَرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ } [الشعراء : ٨٢] ، وقوله عن النبي ﷺ : { لِيُغْفَرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ } [الفتح : ٢] ، فهم بشر يخطئون، لكنهم ﷺ أعرف الناس برحمهم، وأخوفهم له، وأسرعهم إليه توبة، وأقلهم واقعة لمعصيته، ف "الله تعالى قد أخبر بوقوع ذنوب من بعضهم، ونسبها إليهم، وعاتبهم عليها، وأخبروا بذلك عن نفوسهم، وتنصلوا منها، واستغفروا منها وتابوا .. وكل ذلك مما لا يزي بمراتبهم، وإنما تلك الأمور التي وقعت منهم على جهة الندور [أي كانت نادرة]، وعلى جهة الخطأ والنسيان، أو تأويل دعا إلى ذلك، فهي بالنسبة إلى غيرهم حسنات، وفي حقهم سيئات بالنسبة إلى مناصبهم، وعلو أقدارهم؛ إذ قد يؤاخذ الوزير بما يثاب عليه السائس، فأشفقوا من ذلك في موقف القيامة، مع علمهم بالأمن والأمان والسلامة" (٢) . وهذه الذنوب الصغائر يُغض عنها، فتطوى لندرتها؛ فإنها تغور في بحور حسنات الأنبياء الذين سبقوا إلى الله بالعمل الصالح { إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ } [الأنبياء : ٩٠] .

(١) - شرح ابن بطال (١٠ / ٤٣٩) دار النشر: مكتبة الرشد - السعودية، الرياض، الطبعة: الثانية، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م وقد خالف الخوارج والمعتزلة أهل السنة والحق، فقالوا بعصمة الأنبياء عن الصغائر، كما شدَّ الرفضة حين ادعوا عصمة الأنبياء قبل النبوة.  
(٢) - القرطبي (١١ / ٢٥٥) . مرجع سابق .

وإزاء هذا التصور الإسلامي لمقام النبوة تثور مفاهيم باطلة؛ يزعم أصحابها فيها أن القرآن أساء فيها إلى أنبياء الله الكرام، وانتقص من أقدارهم، والعجب كل العجب أن هذه الغيرة المزعومة على الأنبياء صدرت ممن تطفح كتبه بنسبة الكفر والكبائر من الذنوب والإثم إلى الأنبياء، ففي توراتهم التي يؤمن بها كل من اليهود والنصارى أن نوحاً عليه السلام سكر وظهرت عورته أمام أبنائه (انظر التكوين ٩ / ٢٥ - ٢٦)، وأن لوطاً أسكرته ابنتاه، ووضعنا مخطط لمضاجعته، وأنجبنا منه : فحبلت ابنتا لوط من ابيهما فولدت البكر ابنا ودعت اسمه موآب، وهو ابو الموابيين الى اليوم والصغيرة ايضا ولدت ابنا ودعت اسمه بن عمي . وهو ابو بني عمون الى اليوم (انظر التكوين ١٩ / ٣٠ - ٣٧)، و نبي الله يهوذا يزي بكنته ثامار زوجة ابنه لإصحاح ٣٨ ، و نبي الله أيوب يلعن ويحسد ويتمرد على الاله ويرفض رضى الله على الانسان - كيف يجعل الله هذه صفات لنبي من انبيائه : أيوب ( ١٠ : ١ - ١٦ ) فقال لربه وإن ارتفع تصطادني كأسد ثم تعود وتتجبر عليّ !!! وفيه مقاطع صراع فكري مع الله لا يمكن أن تخرج من أدنى الملحدين ، أما نبي الله هوشع هذا النبي المسكين الذى لا حول له ولا قوة الا تنفيذ امر الرب تماما فأول ما كلم الاله النبي هوشع أمره أن يتخذ امرأة زنى وينجب منها أولاد زنا - وهذا النص ليس رمزا لأنه بالفعل فعل ما أمره الرب به - فهل الرب يرشد نبيه للزنى ؟ هوشع ( ١ : ٢، ٦ )

وأن هارون عليه السلام صنع العجل الذهبي لبني إسرائيل ليعبدوه من دون الله (انظر الخروج ٣٢ / ٢ - ٤)، وأنه وأخاه موسى - عليهما السلام - خانا الله (انظر التثنية ٣٢ / ٥١)، ولم يؤمنا به (انظر العدد ٢٠ / ١٢). فقد جعل الكتاب المقدس نبيا الله موسى وهارون خونة للرب الاله ، فهل تقدر أن تقول لك الله شيء وتفعل العكس وأنت لست بشرا عاديا بل نبي يوحى له من الله بل تطلب كل امرأة من جارتها ومن نزيلة بيتها امتعة فضة وامتعة ذهب وثيابا وتضعونها على بنيكم وبناتكم. فتسلبون المصريين (خروج ٢٢/٣)

ولا تخص التوراة النبي موسى بالأمر بقتل النساء والأطفال (انظر العدد ٣١ / ١٤ - ١٨)، بل تنسب هذا الفعل المريع الشنيع إلى وصيه النبي يوشع بن نون (انظر يشوع ٦ / ٢٠ - ٢٤)، وإلى نبي الله داود الذي ترعم الأسفار أنه لم يكتف بقتل النساء والأطفال، بل عمد إلى نشر أعدائه الفلسطينيين بالمناشير، وحطم عظامهم بالفؤوس قبل أن يحرقهم في الأفران (انظر صموئيل (٢) / ١٢ / ٣١) و (الأيام (١) / ٢٠ / ٣).

وقد نال هذا النبيّ الكريم الأواب (داود)، وابنه الحكيم سليمان النصيب الأكبر من الجرح والسوء، فيذكر سفر صموئيل أنه رقص حتى تكشفت عورته أمام عبده (انظر صموئيل (٢) / ٦ / ١٤ - ٢٠)، وأنه قتل مائتين من الفلسطينيين، وقطع عُلقهم ليقدمها مهراً لزوجته ميكال ابنة الملك شاول (انظر صموئيل (١) / ١٨ / ٢٧)، وأنه حين تولى الملك ضاحع زوجة قائده أوربا، فحبلت منه بسليمان، فدفع زوجها إلى الموت ليستر على فعلته (انظر صموئيل (٢) / ١١ / ٢ - ٢٦). ثم عاقبه الله : فقال له الرب. لأنك خدعتني وأخذت امرأة أوربا الحتي: ها أنذا أقيم عليك الشر في بيتك وأخذ نسائك أمام عينيك وأعطيهن لقريبك ويضطجع مع نسائك في عين هذه الشمس .. (صمو ٢، ١٢ : ١١) أما ابن داود فهو يزي باخته (صمو ٢، ١٣ : ١) وكان لأبشالوم امرأة جميلة اسمها ثامار. فأحبها أمنون ومرض لعدم تمكنه منها لأنها عذراء. فنصحها أحد زملائه أن تظاهر بالمرض واضطجع على سريرك وقل لأبيك أن يرسل أختك ثامار لتعطني به ويأكل من يدها. فأرسل داود إليه فأمر

أمنون أن يخرج الجميع من غرفته إلا ثامار. ثم قال لها: ائتي بالطعام إلى المخدع فأكل من يدك. فأحضرت الكعكة أمامه وأطعمته بيدها في المخدع. فأمسكها وقال لها: تعالي اضطجعي معي يا أختي.

وأما ابنه النبي الحكيم سليمان؛ ففي التوراة - التي يؤمن بها الطاعنون في القرآن الكريم - أن نساء الوثنيات أملن قلبه إلى آلهتهن في شيخوخته، فبنى معابد للأوثان، لثعبد فيها الأصنام من دون الله (انظر الملوك (١) / ١١ - ٣). أما نبي الله ابراهيم

يفترى الكتاب المقدس على نبي الله ابراهيم ويصفه بشخص هدفه المصلحة ويقول عنه ما يسمى الكتاب المقدس أنه قدم امرأته لفرعون لينال الخير الوفير من المال والمواشي وأخذ فرعون المرأة لتكون زوجة له (تكوين ١٢/ ١١) ونبي الله اشعيا هذا النبي المسكين أمره الرب أن يخلع ملابسه وحذائه ويمشى عريانا وعورته كشفت أمام الناس فهل يامر الاله نبيه بهذا - هل يأمره أن يتعري ويكشف عورته - كيف سيكون القدوة ( اشعيا ٢٠ / ٢) فقال الرب كما مشى عبدي اشعيا معري وحافيا ثلاث سنين آية واعجوبة على مصر وعلى كوش .... وهكذا، سلسلة طويلة لا تنتهي من الإساءات إلى أنبياء الله تمتلئ بها صفحات كتب الطاعنين في القرآن، الذي يقابلها جميعاً بقول الله للنبي ﷺ عن هؤلاء الأنبياء: {أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمُ اقْتَدِهْ} [الأنعام: ٩٠]. ولكن صدور تلك الإساءات إلى الأنبياء في كتب الطاعنين لن يكون كافياً في الدِّبِّ عن القرآن الكريم، بل لابد من التعرض بالتفصيل والشرح والبيان لحقيقة هذه الأباطيل.

## أولاً : هل وقع آدم في الشرك؟

قالوا: القرآن ينسب الشرك إلى الأنبياء، فقد نسبه إلى آدم بقوله: {هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيًّا فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَثْقَلَتْ دَّعَاؤَ اللَّهِ رَبَّهُمَا لَئِن آتَيْنَا صَلَاحًا لَّنُكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ فَلَمَّا آتَاهُمَا صَاحِبًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ} [الأعراف: ١٩٠]، واستدلوا لذلك بما أورده المفسرون من حديث سمرة المرفوع إلى النبي ﷺ: «ولما ولدت حواء طاف بها إبليس - وكان لا يعيش لها ولد - فقال: سميه عبد الحارث؛ فإنه يعيش، فسمته عبد الحارث، فعاش وكان ذلك من وحي الشيطان وأمره» (١). قالوا: والحارث اسم الشيطان حين كان في الجنة.

**والجواب:** القرآن يثني على آدم عليه السلام أعظم الثناء وأزكاه {إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ} (آل عمران: ٣٣)، ويؤكد هدايته واصطفاء الله له بعد توبته من أكل الشجرة {ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى} (طه: ١٢٢)، ولا يمكن لمن مدحه الله هذه المدحة أن يكون مشركاً بالله.

وأما ما ينقله المفسرون في كتبهم من روايات فيصدق فيها قول أبي حيان الأندلسي: "وذكروا في ذلك محاورات جرت بين إبليس وادم وحواء لم تثبت في قرآن ولا حديث صحيح فأطرحنا ذكرها" (٢)، وقد أطبق العلماء على ضعف حديث سمرة الذي فيه أمر الشيطان لآدم بتسمية ابنه عبد الحارث، لأن في سنده الحسن

(١) - (أخرجه الطبري في تفسيره (١٣/ ٣٠٩)، مرجع سابق والترمذي ح (٣٠٧٧).)

(٢) - (البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي (٥/ ٢٤٦-٢٤٧). الناشر: دار الفكر - بيروت، الطبعة: ١٤٢٠ هـ المحقق: صديقي محمد جميل .

يرويه عن سمرة بصيغة العنعنة، وهو مدلس، فلا تقبل روايته إلا إذا صرح بالتحديث، قال الذهبي: "كان الحسن كثير التدليس، فإذا قال في حديث: عن فلان، ضعف احتجاجة" (١).

ولذلك حكم الألباني بضعف الحديث، لذلك فقد نقله ابن كثير في تفسيره مخالفاً للمروي في هذا الأثر: "قال [أي الحسن]: كان هذا في بعض أهل الملل، ولم يكن بآدم.. عنى بها ذرية آدم، ومن أشرك منهم بعده"، فقله هذا مبطل لما روي عنه.

ثم عقب ابن كثير بقوله: "وهذه أسانيد صحيحة عن الحسن رحمه الله، أنه فسر الآية بذلك، وهو من أحسن التفاسير وأولى ما حملت عليه الآية، ولو كان هذا الحديث عنده محفوظاً عن رسول الله ﷺ، لما عدل عنه هو ولا غيره، ولا سيما مع تقواه لله وورعه، فهذا يدل على أنه موقوف على الصحابي، ويحتمل أنه تلقاه من بعض أهل الكتاب، من آمن منهم، مثل: كعب أو وهب بن مثنبه وغيرهما" (٢).

ولو فرضنا جدلاً صحة القصة التي تنسب إلى آدم؛ فإن غاية ما تذكره القصة أن آدم وقع في شرك التسمية؛ حين سمي الولد "عبد الحارث"، ولكنه لم يقع في شرك العبادة، وبين النوعين فرق كبير، قال قتادة: "فأشركا في الاسم. ولم يشركا في العبادة" (٣). وقال القرطبي في شرحه: "قال المفسرون: كان شركاً في التسمية والصفة، لا في العبادة والرؤية.. إنهما لم يذهبا إلى أن الحارث ربهما بتسميتهما ولدهما عبد الحارث، لكنهما قصدا إلى أن الحارث كان سبب نجاته الولد، فسمياه به، كما يسمى الرجل نفسه عبد ضيفه على جهة الخضوع له، لا على أن الضيف ربه، كما قال حاتم طيء:

وإني لعبد الضيف ما دام ثاوياً... وما في إلا تيك من شيم العبد" (٤).

جمهور المفسرين يرون أن قوله تعالى: {هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمَلاً خَفِيئاً فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَثْقَلَتْ دَعَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْنَا صَالِحاً لَنُكَوِّنَنَّ مِنْ الشَّاكِرِينَ} مقصود به آدم وزوجه، ثم انتقلت الآية للحديث عن ذريته وما وقعوا فيه من الشرك بالأصنام، وهذا التفسير مشهور عند العلماء، نقله المفسرون ومنهم ابن عجيبة بقوله: " {فلما آتاها} ولداً {صالحاً} كما سألا، جعل أولادهما {له شركاء فيما آتاها}، فسموا عبد العزى وعبد مناف وعبد الدار. فالآية إخبار بالغيب في أحوال بني آدم ممن كفر منهم وأشرك، ولا يصح في آدم وحواء هذا الشرك؛ لعصمة الأنبياء، وهذا هو الصحيح. وقد يُعاتبُ الملكُ الأب على ما فعل أولاده، كما إذا خرجوا عن طاعته فيقول له: أولادك فعلوا وفعلوا، على عادة الملوك" (٥).

وهذا المعنى للآية منقول عن جملة من التابعين، منهم عكرمة القائل: "لم يخص بها آدم، ولكن جعلها عامة لجميع الناس بعد آدم" (٦)،

(١) - (ميزان الاعتدال، الذهبي (٥٢٧/١). الناشر: دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت - لبنان الطبعة: الأولى، ١٣٨٢ هـ - ١٩٦٣ م

(٢) - (ابن كثير (٥٢٧/٣). مرجع سابق. تكلم ابن كثير على هذا الأثر كثيراً راجع كلامه فهو مميز.

(٣) - (الطبري (٣١٢/١٣). مرجع سابق.

(٤) - (القرطبي (٣٣٩/٧)، وانظر: تأويل مشكل القرآن، ابن قتيبة، ص (١٦١) الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان المحقق: إبراهيم شمس الدين، وزاد المسير، ابن الجوزي (١٧٦/٢). الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤٢٢ هـ، المحقق: عبد الرزاق المهدي.

(٥) - (البحر المديد، ابن عجيبة (٢٩٣/٢). الناشر: الدكتور حسن عباس زكي - القاهرة الطبعة: ١٤١٩ هـ المحقق: أحمد عبد الله القرشي رسلان

(٦) - (ذكره سعيد بن منصور في سننه (١٧٤/٥).

ومنهم الحسن البصري الذي يقول: "كان هذا في بعض أهل الملل وليس بآدم"، وكان يقول: "هم اليهود والنصارى، رزقهم الله أولاداً فهودوا ونصروا" (١).

ويرى المفسرون ومنهم البغوي في تفسيره أن في الآية محذوفاً في قوله: {جعلاً له}: "راجع إلى جميع المشركين من ذرية آدم .. أي: جعل أولادها له شركاء، فحذف الأولاد وأقامهما مقامهم؛ كما أضاف فعل الآباء إلى الأبناء في تعبيرهم بفعل الآباء فقال: {ثم اتخذتم العجل} [البقرة: ٥١]، {وإذ قتلتم نفساً} [البقرة: ٧٢]، خاطب به اليهود الذين كانوا في عهد النبي ﷺ، وكان ذلك الفعل من آباءهم" (٢). والالتفات في الخطاب من آدم إلى بنيه من غير التنبيه على فصل في الحديث معهود في القرآن، وأمثله كثيرة، ذكر السيوطي بعضها بعد أن نقل الآثار السابقة وغيرها من تفسير ابن أبي حاتم (٣).

ومن صور ما جاء في قصة آدم {قال اهبطاً منها جميعاً لبعضكم لبعض عدو فإما يأتينكم مني هدى فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكاً ونحشره يوم القيامة أعمى} [طه: ١٢٣ - ١٢٤]، فالحديث في أول الآية موضوعه آدم وحواء {قال اهبطاً منها جميعاً}، ثم انتقل بلا فصل للحديث عن ذريته {بعضكم لبعض عدو فإما يأتينكم مني هدى فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى}. وما يشهد لصحة هذا التأويل (الانتقال في الخطاب إلى بني آدم) ويدل عليه قوله تعالى في آخر السياق: {فتعالى الله عما يشركون أيشركون ما لا يخلق شيئاً وهم يخلقون} [الأعراف: ١٩١] وما بعدها، فقد انتقل من الحديث عن الاثنين (آدم وحواء) إلى الحديث عن الجمع (ذريته).

والسياق أيضاً بيّن ووضح في أن المقصود من الشرك عبادة الأصنام؛ لا عبادة الشيطان المذكورة في قصة آدم {ولا يستطيعون هم نصراً ولا أنفسهم ينصرون وإن تدعوهم إلى الهدى لا يتبعوكم سواء عليكم أَدَعَوْتُهُمْ أَمْ أَنْتُمْ صَامِتُونَ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَلُكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} [الأعراف: ١٩٢ - ١٩٤]، فهذا كله في عبادة الأصنام لا الشياطين. ويدل عليه أيضاً قوله: {أيشركون ما لا يخلق}، فقوله {ما} يبين أن المتحدث عنه مما لا يعقل، وهو الأصنام، ولو كان المتحدث عنه الشيطان لقال: (أيشركون من لا يخلق). (٤)

**ثانياً: يوضح القرآن أن الله لا يغفر أن يشرك به [النساء/ ٤٨]. ومع ذلك فقد غفر الله لإبراهيم، عليه السلام، بل جعله نبياً رغم أنه عبد النجوم والشمس والقمر [الأنعام ٨٦-٧٨]. والثانية: إن القرآن قال إن إبراهيم شك في ربه؟**

(١) - (الطبري (١٣/ ٣١٥)). مرجع سابق.

(٢) - (معالم التنزيل، البغوي (٢/ ٣٣٨) دار السلام للنشر والتوزيع - الرياض ط١، ١٤١٦ هـ، وانظر: زاد المسير، ابن الجوزي (٢/ ١٧٧)، والبحر المحيط، ابن

حيان (٥/ ٢٤٥-٢٤٧)، والكشاف، الزمخشري (٢/ ١٨٦-١٨٧)، ومفاتيح الغيب، الرازي (١٥/ ٤٢٩) دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط٣، ١٤٢٠ هـ

(٣) - انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن أبي حاتم (٥/ ١٦٣٤ - ١٦٣٥) الناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز - السعودية ط٣ - ١٤١٩ هـ، والإتقان في علوم

القرآن، السيوطي (١/ ٣١٠). الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب - الطبعة: ١٩٣٤هـ/ ١٩٧٤ م

(٤) - (تفسير مفاتيح الغيب، الرازي (١٥/ ٤٣٠)، ويجوز أن تستخدم (ما) للعقل، لكن ما سقته هو الأغلب عند العرب. و"تنبيه القرآن الكريم عن دعاوى

المبطلين" منقذ بن محمود السقار (ص ١٤٠ - ١٤٥) مرجع سابق.

فالقُرآن أساء إلى أبي الأنبياء إبراهيم الخليل، حين اتهمه بالشك في قدرة الله تعالى على إحياء الموتى، {وإذ قال إبراهيم رب أرني كيف تحيي الموتى قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي} [البقرة: ٢٦٠]. كما نقل عنه أنه قال بربوبية الشمس والقمر: {فلما رأى القمر بازغا قال هذا ربي... فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي هذا أكبر} [الأنعام: ٧٧ - ٧٨].

**والجواب:** إبراهيم عليه السلام حسب القرآن هو المثال الأعلى للمؤمنين، فقد اصطفاه الله {إن الله اصطفى آدم ونوحا وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين} (آل عمران: ٣٣)، وأمر عز وجل بالتزام دينه {قل صدق الله فاتبعوا ملة إبراهيم حنيفا وما كان من المشركين} [آل عمران: ٩٥]، فدينه أحسن الأديان، كما أمر القرآن بالتأسي به {قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إنا براء منكم ومما تعبدون من دون الله {الممتحنة: ٤}، ففي هذه الآيات وغيرها من بيان فضل إبراهيم الخليل ما يقطع قول كل خطيب.

وأما الشك في الإيمان فهو منفي عن إبراهيم الخليل، بدليل قوله تعالى: {قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي} [البقرة: ٢٦٠]، فقد آمن عليه الصلاة والسلام بقدرة الله على الإحياء، وانعقد قلبه على ذلك، وسؤاله لرؤية عملية الخلق فعل حسن أراد أن يترقى به في معارج الإيمان؛ بالانتقال من حال علم اليقين، وهي حالة ذهنية متيقنة إلى حال عين اليقين، أي مشاهدته، فسؤاله طلب ليقين بعد يقين. وقد نفى ﷺ الشك عن إبراهيم بقوله: «نحن أحق بالشك من إبراهيم» (١)، أي أنه منزه عنه كتزويه النبي ﷺ عنه.

وأما قول الخليل عن الشمس والقمر أمها ربه؛ فكان من باب تبكيت الخصم وإقامة الحججة عليهم، فقد يقول المجادل مالا يعتقد في إقامة الحججة والبرهان على مجادله ومناظره، قال الرازي: "هذه المباحثة إنما جرت مع قومه لأجل أن يرشدهم إلى الإيمان والتوحيد، لا لأجل أن إبراهيم كان يطلب الدين والمعرفة لنفسه". وقوله عليه السلام عن الشمس والقمر والكوكب: {هذا ربي} إنما هو نوع من التدرج في إبطال ربوبيتها بدليل قوله تعالى في السياق: {وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه} [الأنعام: ٨٢].

وقد ذكر الرازي وجوها في توجيه قول إبراهيم عليه السلام منها "أنه ﷺ أراد أن يبطل قولهم بربوبية الكواكب، إلا أنه عليه السلام كان قد عرف من تقليدهم لأسلافهم وبعد طباعهم عن قبول الدلائل؛ أنه لو صرح بالدعوة إلى الله تعالى لم يقبلوه ولم يلتفتوا إليه، فمال إلى طريق به يستدرجهم إلى استماع الحججة، وذلك بأن ذكر كلاما يوهم كونه مساعدا لهم على مذهبهم بربوبية الكواكب، مع أن قلبه صلوات الله عليه كان مطمئنا بالإيمان، ومقصوده من ذلك أن يتمكن من ذكر الدليل على إبطاله وإفساده وأن يقبلوا قوله، وتمام التقرير أنه لما لم يجد إلى الدعوة طريقا سوى هذا الطريق، وكان عليه السلام مأمورا بالدعوة إلى الله كان بمنزلة المكره على كلمة الكفر" (٢).

(١) - (بخاري ح ٣٢٧٢)، ومسلم ح (١٥١).

(٢) - (الرازي ٤٠/١٣ - ٤١). مرجع سابق.

وقال ابن القيم: "قيل: إنها على وجه إقامة الحجة على قومه، فتصور بصورة الموافق ليكون أدعى إلى القبول، ثم توسل بصورة الموافقة إلى إعلامهم بأنه لا يجوز أن يكون المعبود ناقصاً أفلاً" (١)، فكل أحد يعلم أن الشمس ستغيب آخر النهار وكذلك الكوكب، وقوله: { فلما أفل قال لا أحب الأفلين } [الأنعام: ٧٦]، ليس لطروء علم جديد على إبراهيم، بل لتبكيته المشركين عبدة الشمس والكواكب بعد إظهار الموافقة على سبيل الجدل والتنزل مع المخالف.

والعودة الفاحصة للآيات تكشف لكل حصيف ما تتضمنه الآيات من تعظيم إبراهيم لله عز وجل دون سواه: { فلما رأى القمر بازغاً قال هذا ربي فلما أفل قال لئن لم يهديني ربي لأكونن من القوم الضالين فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي هذا أكبر فلما أفلت قال يا قوم إني بريء مما تشركون إني وجهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض حنيفاً وما أنا من المشركين وحاجه قومه قال أتأجوجوني في الله وقد هدان ولا أخاف ما تشركون به إلا أن يشاء ربي شيئاً وسع ربي كل شيء علماً أفلاً تتذكرون وكيف أخاف ما أشركتم ولا تخافون أنكم أشركتم بالله ما لم ينزل به عليكم سلطاناً فأأي الفريقين أحق بالأمن إن كنتم تعلمون الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون وتلك حجتنا آتينها إبراهيم على قومه نرفع درجات من نشاء إن ربك حكيم عليم } [الأنعام ٧٧ - ٨٣].

الآيات تحكي كيف أتى الله إبراهيم الحجة على قومه. حجة التوحيد، ودحض الشرك. فهي حجاج وحوار يسلم فيه إبراهيم جديلاً - كشأن حوار الفلاسفة والمفكرين - بما يشركون؛ لينقض هذا الشرك، ويقدم الحجة على تهاوي ما به يحتجون، وعلى صدق التوحيد المركوز في فطرته. ليخلص من هذا الحوار والحجاج والاحتجاج إلى أن الخيار الوحيد المتبقي - بعد هذه الخيارات التي سقطت - هو التوحيد. فهو حوار التدرج من توحيد الفطرة إلى التوحيد القائم على المنطق والبرهان والاستدلال، الذي فند دعاوى وحجج الخصوم. الاستدلال اليقيني - { وليكون من الموقنين } - وليس فيه انتقال من الشرك إلى التوحيد. تلك هي الحقيقة التي يراها الإنسان السوي في النص فهو ينتقل بهم من حال الطفولية العقلية إلى الرشد العقلي فهو (إنما قال " هذا ربي " لتقرير الحجة على قومه فأظهر موافقتهم؛ فلما أفل النجم قرر الحجة وقال: ما تغير لا يجوز أن يكون ربا. وكانوا يعظمون النجوم ويعبدونها ويحكمون بها. وقال النحاس: ومن أحسن ما قيل في هذا ما صح عن ابن عباس أنه قال في قول الله عز وجل: " نور على نور " [النور: ٣٥] قال: كذلك قلب المؤمن يعرف الله عز وجل ويستدل عليه بقلبه، فإذا عرفه أزداد نورا على نور؛ وكذا إبراهيم عليه السلام عرف الله عز وجل بقلبه واستدل عليه بدلائله، فعلم أن له ربا وخالقا. فلما عرفه الله عز وجل بنفسه ازداد معرفة فقال: " أتأجوجوني في الله وقد هدان " [الأنعام: ٨٠].

وقيل: هو على معنى الاستفهام والتوبيخ، منكرًا لفعالهم. والمعنى: أهذا ربي، أو مثل هذا يكون ربا؟ فحذف الهمزة. وفي التنزيل " أفإن مت فهم الخالدون " [الأنبياء: ٣٤] أي أفهم الخالدون؟ ... " (٢)

(١) - (مدارج السالكين، ابن القيم (٣/٦٣). الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت الطبعة: الثالثة، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م)  
(٢) - (الجامع لأحكام القرآن) ج ٧ ص ٢٥، ٢٦. مرجع سابق.

يقول الزمخشري في كشافه في تفسير هذه الايات: "وكان أبوه آزر وقومه يعبدون الأصنام والشمس والقمر والكواكب، فأراد أن ينبههم على الخطأ في دينهم، وأن يرشدهم إلى طريق النظر والاستدلال، ويعرفهم أن النظر الصحيح مؤدّ إلى أن شيئاً منها لا يصحّ أن يكون إلهاً، لقيام دليل الحدوث فيها، وأن وراءها محدثاً أحدثها، وصانعاً صنعها، مدبراً دبر طلوعها وأفولها وانتقالها ومسيرها وسائر أحوالها.

{ هَذَا رَبِّي } قول من ينصف خصمه مع علمه بأنه مبطل، فيحكي قوله كما هو غير متعصب لمذهبه. لأن ذلك أدمى إلى الحق وأنجى من الشغب، ثم يكرّر عليه بعد حكايته فيبطله بالحجة. { لا أَحِبُّ؟ لِأَفَلَيْنَ } لا أحبّ عبادة الأرباب المتغيرين من حال إلى حال، المتنقلين من مكان إلى آخر، المحتجبين بستر، فإنّ ذلك من صفات الأجرام.

{ لَكِنَّ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي } تنبيه لقومه على أنّ من اتخذ القمر إلهاً وهو نظير الكوكب في الأفول، فهو ضال، وأنّ الهداية إلى الحق بتوفيق الله ولطفه.

{ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ } أي للذي دلت هذه المحدثات عليه وعلى أنه مبتدؤها ومبتدعها. (١) واختصرها الشيخ عبد الوهاب النجار في (قصص الأنبياء) بقوله: "لقد أتى إبراهيم في الاحتجاج لدينه وتزييف دين قومه بطريقة التدرج في الإلزام، أو التدرج في تكوين العقيدة. . ." (ص ٠٨٠) . . ذلك هو موقف إبراهيم الخليل، عليه السلام، من الشرك. . لقد عصمه الله منه. . وإنما هي طريقة في الجدل يتدرج بها مع قومه، منطلقاً من منطلقاتهم؛ ليصل بهم إلى هدم هذه المنطلقات، وإلى إقامة الدليل العقلي على عقيدة التوحيد الفطرية المركوزة في القلوب. (٢)

### ثالثاً : هل شك يونس عليه السلام في قدرة الله؟

قالوا: القرآن يتهم النبي يونس بأنه شك في قدرة الله، وهذا كفر، فحين أرسله الله إلى أهل نينوى لم يذهب إليهم، وذهب إلى البحر {وذا النون إذ ذهب مغاضباً فظن أن لن نقدر عليه} [الأنبياء: ٨٧].  
والجواب: أن القارئ لن يجد كتاباً عند أمة من الأمم يعظم الأنبياء كما عظمهم القرآن الكريم، فهو الكتاب الوحيد الذي ينزه الأنبياء عن الكبائر والنقائص، فضلاً عن الكفر والشرك بالله تعالى. وقد فضل الله يونس مع إخوانه الأنبياء على العالمين: {وإسماعيل واليسع ويونس ولوطا وكلاً فضلنا على العالمين} [الأنعام: ٨٦].

وإنما أتى القائل لهذه الشبهة من سوء فهمه للآية، فليس مقصودها أن يونس ظن أنه معجز الله بهربه، بل المعنى أنه ظن أن الله لن يقدر عليه، أي لن يضيق عليه ويلومه في ترك قومه حين لم يستجيبوا لدعوته، فهي كقول الله تعالى: {ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله} [الطلاق: ٧] أي ضيق عليه، ومثله قوله تعالى: {الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر} [الرعد: ٢٦]، وهذا المعنى منقول عن ابن عباس وعن غيره من التابعين

(١) - ((الكشاف) ج ٢ ص ٤٠) مرجع سابق .

(٢) - حقائق الاسلام مقابل شبهات المشككين مجموعة من العلماء ، وزارة الأوقاف المصرية شبهة رقم (٣٦) مرجع سابق ، وكتاب تنبيه القرآن الكريم عن دعاوى المبطلين منقذ بن محمود السقار (ص١٤٧) مرجع سابق

(١). وحفاظا على منزلة يونس بن متى في قلوب المؤمنين نهي النبي ﷺ عن تفضيل المرء نفسه على هذا النبي الكريم: «لا ينبغي لعبد أن يقول إنه خير من يونس بن متى» وفي رواية: «من قال: أنا خير من يونس بن متى؛ فقد كذب» (٢)، فثبت بذلك براءة القرآن من فرية الإساءة إلى يونس عليه السلام.

### رابعاً: همّ يوسف عليه السلام !!

قالوا: نسب القرآن إلى الصديق يوسف عليه السلام الهم في الخطيئة مع زوجة العزيز {ولقد همت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه} [يوسف: ٢٤]، وقالوا: تمتلئ كتب التفسير بصور مشينة لهذا الهم الفاسد الذي لا يليق بنبي كريم.

**والجواب:** لو قرأ الطاعنون في القرآن تمام الآية المستشكلة لأدركوا منزلة يوسف الصديق وعصمة الله إياه من الذنب: {كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء إنه من عبادنا المخلصين} [يوسف: ٢٤]. وقد شهدت امرأة العزيز له بالخيرية والعصمة بقولها: {ولقد راودته عن نفسه فاستعصم ولئن لم يفعل ما أمره ليسجنن وليكونا من الصاغرين} [يوسف: ٣٢]. ولئن همت امرأة العزيز بالفاحشة؛ فإن يوسف عليه السلام لم يقع منه الهم أصلاً؛ وهذا منطوق الآية لمن فهم لغة العرب وطرائقهم في البيان، فالآية تثبت لامرأة العزيز الهم {ولقد همت به}، لكنها تنفي الهم بالمعصية عن الصديق يوسف {وهم بها لولا أن رأى برهان ربه}، و {لولا} عند العرب تفيد امتناعاً لوجود، أي لم يحصل الفعل لوجود ما منعه، فلم يتحقق الهم بالخطيئة لأنه رأى برهان ربه.

قال أبو حاتم: "كنت أقرأ على أبي عبيدة غريب القرآن، فلما أتيت على {ولقد همت به وهم بها} قال: هذا على التقديم والتأخير، كأنه قال: ولقد همت به، ولولا أن رأى برهان ربه لهم بها" (٣). ومثله في قول الله تعالى عن أم موسى: {إن كادت لتبدي به لولا أن ربطنا على قلبها} (القصص: ١٠)، فهي لم تبد لهم بحقيقة أمومتها لموسى؛ لأن الله ربط على قلبها، وكذلك لم يهم يوسف بالمعصية لأنه رأى برهان ربه. ومثله أيضاً في قول الله لنبيه - صلى الله عليه وسلم -: {ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئاً قليلاً} [الإسراء: ٧٤]، فالركون لم يقع منه ﷺ لوجود التثبيت من الله، وكذلك الهم لم يقع من يوسف عليه السلام لوجود برهان الله أي تثبيته وعصمته.

ومثله في كلام الناس معروف: لقد رسبت لولا أني درست، فهو يفيد - في ذهن السامع - النجاح لا الرسوب، وأن ذلك سببه الدراسة. قال أبو حيان: "والذي أختاره: أن يوسف عليه السلام لم يقع منه هم بها البتة، بل هو منفي لوجود رؤية البرهان، كما تقول: لقد قارفت لولا أن عصمك الله.. ومساق الآيات التي في هذه السورة مما يدل على العصمة، وبراءة يوسف عليه السلام من كل ما يشين" (٤).

ثم لو فرضنا وقوع الهم بالفاحشة من الصديق يوسف؛ فإن الهم في لغة العرب حديث النفس بمواقعة أمر، فإن كان الهم في أمر حسن فهو حسن، وإن كان في أمر سوء لم يكن سوءاً إلا بترقي الهم إلى العزم أو الفعل

(١) - تأويل مشكل القرآن، ابن قتيبة، ص (٢٢٩، ٢٣٣). مرجع سابق

(٢) - البخاري ح (٣٣٩٦). و (البخاري ح (٤٦٠٤)).

(٣) - (فتح القدير، الشوكاني (٢١/٣). الناشر: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٤ هـ

(٤) - (أبو حيان الأندلسي (٦/ ٢٥٧)، وانظر: دراسات لأسلوب القرآن الكريم، محمد عبد الخالق عضيمة (٢/ ٦٨٥). الناشر: دار الحديث، القاهرة

(١) ، وإلا كان تركه لله سببا في اكتساب الحسنات والمنزلة عند الله، يقول النبي ﷺ فيما يرويه عن ربه: «يقول الله: إذا أراد عبدي أن يعمل سيئة فلا تكتبوها عليه؛ حتى يعملها، فإن عملها فكتبوها بمثلها، وإن تركها من أجلها فكتبوها له حسنة، وإذا أراد أن يعمل حسنة فلم يعملها فكتبوها له حسنة، فإن عملها فكتبوها له بعشر أمثالها إلى سبع مائة ضعف» (٢)، فلو وقع هم بالسوء من يوسف فهو له حسنة، لأنه لم يترك إلى فعل، فقد تركه لله وخوفا منه «وإن تركها من أجلها فكتبوها له حسنة».

وأخيرا فإن ما ورد في بعض كتب التفسير من أقوال في هم يوسف لم يصح منه شيء عن النبي ﷺ، وهي ومثلها من الإسرائيليات كثير في كتبهم التي لم تخل من أساطير أهل الكتاب وحكاياتهم؛ الغث منها والسمين، ورحم الله أبا حيان الأندلسي فقد أصاب وأجاد في قوله: "طول المفسرون في تفسير هذين المهمين، ونسب بعضهم ليوسف ما لا يجوز نسبته لآحاد الفساق .. وأما أقوال السلف فنعتقد أنه لا يصح عن أحد منهم شيء من ذلك، لأنها أقوال متكاذبة يناقض بعضها بعضا، مع كونها قاذحة في بعض فساق المسلمين، فضلا عن المقطوع لهم بالعصمة .. وقد طهرنا كتابنا هذا عن نقل ما في كتب التفسير مما لا يليق ذكره، واقتصرنا على ما دل عليه لسان العرب ومساق الآيات" (٣).

وأما الشيخ ابن تيمية، فيرى أن هذه القصص المكذوبة المروية في كتب المسلمين من مرويات وقصص أهل الكتاب "وما ينقل من أنه حل سراويله وجلس مجلس الرجل من المرأة، وأنه رأى صورة يعقوب عاضا على يده وأمثال ذلك، فهو مما لم يخبر الله به ولا رسوله، وما لم يكن كذلك فإنما هو مأخوذ عن اليهود الذين هم من أعظم الناس كذبا على الأنبياء، وقدحا فيهم، وكل من نقله من المسلمين فعنهم نقله، لم ينقل من ذلك أحد عن نبينا ﷺ حرفا واحدا" (٤). وهكذا يستبين لكل منصف براءة القرآن من المعاني الباطلة التي حاكها الأفاكون بجهلهم أو بتعاميهم عن معاني الآيات القرآنية التي تعتبر هؤلاء الأنبياء خيرة الله في أرضه، كيف لا! وهم رسل الله الأطهار {وإنهم عندنا لمن المصطفين الأخيار} [ص: ٤٧]. (٥)

### خامساً : هامان وزير فرعون خطأ تاريخي!؟

قالوا: جاء في القرآن أن هامان كان وزيراً لفرعون. وهذا خطأ تاريخي؛ لأن هامان كان وزيراً لأحشويرش ملك الفرس في مدينة بابل. وبين فرعون وأحشويرش زهاء ألف سنة. على هذا قولهم: إن قارون يهودي، وفرعون مصري، وهامان فارسي فكيف قاوم هامان نبي الله موسى وهو لم يكن في زمانه؟ {وزري فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون} [القصص: ١٠]. الجواب:

(١) - الفعل على ست مراتب (الخاطر ثم الهاجس ثم حديث النفس ثم الهم ثم العزم ثم الفعل)، فأما الخاطر والهاجس وحديث النفس فلا يكتبون على العبد؛ لا في الخير، ولا في الشر، كما قال - صلى الله عليه وسلم - : «إن الله تجاوز لأمتي ما حدثت به أنفسها ما لم يتكلموا أو يعملوا به» أخرجه مسلم ح (١٢٧)، وأما الهم فلا يكتب في الشر بمجرد الهم، ويكتب خيرا إن هم العبد بأمر الخير أو ترك هم السوء، وأما العزم فيكتب بالخير والشر؛ ولو لم يقع الفعل لعزم القلب عليه، ومنه قول النبي - صلى الله عليه وسلم - : «إذا التقى المسلمان بسيفيهما؛ فالقاتل والمقتول في النار»؛ فقلت [أي أبو بكر] - رضي الله عنه - [راوي الحديث]: يا رسول الله هذا القاتل فما بال المقتول؟! قال: «إنه كان حريصا على قتل صاحبه» أخرجه البخاري ح (٣٧). عن تنزيه القرآن للسقار ١٤٩-١٥٠.

(٢) - (البخاري ح (٧٥٠١)، ومسلم ح (١٢٩)، واللفظ للبخاري.

(٣) - (البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي (٦/ ٢٥٨). مرجع سابق

(٤) - (مجموع الفتاوى، ابن تيمية (١٠/ ٢٩٧). الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية

عام النشر: ١٤١٦هـ/١٩٩٥م المحقق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم

(٥) - تنزيه القرآن الكريم عن دعاوى المبطلين، منقذ بن محمود السقار ص ١٥٠ مرجع سابق

باختصار: إن هامان ليس اسم شخص، وإنما هو لقب يدل على نائب الرئيس. وبهذا المعنى يكون هامان . أي النائب عن فرعون . قد قاوم نبي الله موسى عليه السلام وقد تم الرد على هذه الشبهة بتفصيل موسع الفصل السابق وهنا رد بأسلوب آخر.

التفصيل :

أولاً : أن هذه الآيات قرئت وتليت على اليهود في زمن النبي ﷺ ، وكان فيهم العلماء والأخبار فلم ينكر أحد منهم هذا الأمر . ومنهم العالم اليهودي عبد الله بن سلام الذي أسلم ودخل في دين الله . .  
ثانياً : من أعلم المؤلف بأن هامان كان وزيراً لفرعون ؟ وهذا السؤال على معنى أن هامان اسم شخص . ولا أحد أعلمه بأن هامان اسم شخص إلا الرواة الذين لا يوثق بمروياتهم . وإذا أصر على أن هامان اسم شخص . فليسلم بأن فرعون اسم شخص . ومعلوم أنه لقب " الملك " كان لرئيس المصريين في زمن يوسف . عليه السلام . وأن لقب " فرعون " كان لرئيس المصريين في زمن موسى . عليه السلام . مما يدل على تغير نظام الحكم .

وإذا صح أن " هامان " لقب لكل نائب عن الملك ، لا اسم شخص . فإنه يصح أن يطلق على النائب عن فرعون أو عن أي ملك من الملوك . وعلى ذلك يكون معنى : (إن فرعون وهامان وجنودهما ) [القصص: ٨٠] هو إن رئيس مصر الملقب بفرعون ، ونائبه الملقب بهامان (وجنودهما كانوا خاطفين) ومثل ذلك: مثل لقب الملك الذى يطلق على رؤساء البلاد ؛ فإنه يطلق على رؤساء فارس واليونان ومصر واليمن وسائر البلاد ، ولا يتوجه على إطلاقه خطأ من أخطاء التاريخ .

وفي الإنجيل أن اليهود كانوا يطلقون لقب " المضل " على من يخالفهم في الرأي . وإذا أطلقه العبرانيون على رجل منهم يقولون له: يا سامري ، بدل قولهم يا مضل . وذلك لأنهم يعتبرون السامريين كفاراً . وإذا أطلقه السامريون على رجل منهم يقولون له: يا عبراني ، بدل قولهم يا مضل . وذلك لأنهم يعتبرون العبرانيين كفاراً . وإذا سمع العبراني عنهم كلمة " سامري " لا يفهم منها أنها اسم شخص ، وإنما يفهم منها أنها لقب للذم . وعن هذا المعنى جاء في إنجيل يوحنا أن علماء اليهود قالوا لعيسى . عليه السلام :. " إنك سامري ، وبك شيطان " ورد عليهم بقوله: " أنا ليس بي شيطان ، لكنى أكرم أبي وأنتم تهينوني . أنا لست أطلب مجدى . يوجد من يطلب ويدين " [يو ٨ : ٤٨ . ٥٠] . (١)

ثالثاً : ماذا تقول النقوش الهيروغليفية عن هامان ؟

المعلومات التي في القرآن الكريم حول مصر القديمة وحكامها تكشف العديد من الحقائق التاريخية التي لم تكن معلنة وغير معروفة حتى أوقات أخيرة . . .

هامان مذكور في القرآن في ستة أماكن مختلفة كأحد المقربين إلى فرعون بينما تذكر لنا التوراة أن هامان لم يذكر في حياة موسى عليه السلام على الإطلاق وأن هامان كان وزيراً وخليلاً لأحشوريش ملك الفرس الذي يدعو اليونان زركيس، وكثيراً من الذين يريدون أن يطعنوا في القرآن و يدعون أن محمد صلى الله عليه وسلم

(١) -حقائق الاسلام مقابل شبهات المشككين الشبهة رقم ٧٥ مجموعة من العلماء

كتب القرآن بالنسخ من التوراة مع أن هناك اختلاف في بعض القصص منها شخصية هامان في القرآن والتوراة ، سخافة هذه الادعاءات عرضت فقط بعد فك طلاسم الأجدية الهيروغليفية المصرية قبل ٢٠٠ سنة تقريبا وأسم هامان قد أكتشف في المخطوطات القديمة وقبل هذه الاكتشافات لم يكن شيء معروف عن التاريخ الفرعوني، ولغز الهيروغليفية تم حله سنة ١٧٩٩ باكتشاف حجر رشيد الذي يعود الى ١٩٦ قبل الميلاد وتعود أهمية هذا الحجر بأنه كتب بثلاث لغات : اللغة الهيروغليفية والديموقراطية واليونانية وبمساعدة اليونانية تم فك لغز الهيروغليفية من قبل شاملبيون وبعدها تم معرفة الكثير حول تاريخ الفراعنة وخلال ترجمة نقش من النقوش المصرية القديمة تم الكشف عن أسم ( هامان ) وهذا الاسم أشير إليه في لوح أثري في متحف هوف في فينا وفي مجموعة من النقوش كشفت لنا أن هامان كان رئيس عمال محجر البناء

وها هي النقوش تكشف لنا حقيقة هامان بعكس ما ذكرته التوراة والإنجيل وردا على الزعم الخاطيء لمعارض القرآن ، وهامان الشخص الذي عاش في مصر وفي وقت موسى والذي كان أقرب المقربين لفرعون كما ذكر القرآن لنا قال الله تعالى : ﴿وقال فرعون يا أيها الملأ ما علمت لكم من إله غيري فأوقد لي يا هامان على الطين فاجعل لي صرحا لعلي أطلع إلى إله موسى وإني لأظنه من الكاذبين﴾ [القصص:٣٨] والنقطة المهمة المذكورة في القرآن هي أن هامان هو الشخص الذي أمره فرعون بأن يبني له صرحا ليتطلع لآله موسى وهنا يظهر إعجاز القرآن في حقيقة هامان والتي لم تعرف حقيقته إلا بعد فك رموز اللغة الهيروغليفية بعكس التحريف الذي في التوراة والإنجيل الذي يذكر لنا بأنه كان وزيرا وخليلا لأحشوريش ملك الفرس (١).

جاء في كتاب اليهود بين القرآن و التوراة و معطيات العلم الحديث للأستاذ عبد الرحمن غنيم تحت عنوان هامان وفرعون ما يلي :

قال تعالى: ﴿ و قال فرعون يا أيها الملأ ما علمت لكم من إله غيري فأوقد لي يا هامان على الطين فاجعل لي صرحا لعلي أطلع إلى إله موسى وإني لأظنه من الكاذبين﴾ [سورة القصص : ٣٨] ، يخاطب فرعون وجهاء قومه الذين تمتلئ العيون من مهابتهم ، أنه يرى أنه لا إله غير فرعون ، فينادي هامان طالبا منه أن يبني له من الطين المحروق و هو القرميد بناء شاهقا ، ( لعلي أبلغ الأسباب ... فأطلع إلى إله موسى وإني لأظنه كاذبا ) ، تدل هذه الآية على عدة إعجازات غيبية :

١ . تأليه فرعون لنفسه : في قوله ﴿ ما علمت لكم من إله غيري ﴾ و الأبحاث الأثرية التي قامت حول الحضارة المصرية القديمة تؤكد أن الفراعنة منذ الأسرة الرابعة كانوا يصرحون ببنوتهم للإله رع الذي يمثل إله الشمس التي كان يعبدها قدماء المصريين ، بل إن اسم رع دخل في ألقاب الفراعنة ، مثل "رع نب " أي الرب الذهبي و لعل أوضح دليل على تأليه الفراعنة لأنفسهم كما يقول بريستد عالم الآثار و التي حفظتها نصوص الأهرام هي أنشودة للشمس تريد فيها هوية الملك بإله الشمس ، إن هذه الأنشودة تخاطب مصر ، في تعداد طويل و رائع للمنافع التي تستمتع بها ، تحت حماية و سيادة إله الشمس ، فعلى ذلك يمنح فرعون مصر نفس المنافع ، ولهذا

(١) - معجزات القرآن للمؤلف هارون يحيى نسخة الكترونية عن موقعه راجع المصادر والمراجع الأجنبية على الموضوع .

يجب أن يتسلم نفس الهبات من مصر ، و لذا الأنشودة بأكملها تعاد بوضع اسم فرعون أينما يجيء اسم رع أو حورس في الأنشودة الأصلية (١).

٢ . الإعجاز الثاني هو استعمال الفراعنة الأجر في بناء الصروح : فقد طلب فرعون من هامان أن يبني له من الطين المحروق ( الأجر ) صرحا ، و هذا يعتبر من الإعجاز التاريخي للقرآن الكريم فقد ظل الاعتقاد السائد عند المؤرخين أن الأجر لم يظهر في مصر القديمة قبل العصر الروماني و ذلك حسب رأي المؤرخين مثل الدكتور عبد المنعم أبو بكر في كتابه الصناعات ، تاريخ الحضارة المصرية ص ٤٨٥ و الذي يرى في ذلك إشكال في رأيه و ما جاءت به الآيات السابقة التي تبين طلب فرعون من هامان أن يبني لي صرحا من الأجر أو الطين المحروق و ظل هذا هو رأي المؤرخين إلى أن عثر عالم الآثار بتري على كمية من الأجر المحروق بنيت به قبور ، و أقيمت به بعض من أسس المنشآت ، ترجع إلى عصور الفراعين رعمسيس الثاني و مرنتاح و سيتي الثاني من الأسرة التاسعة عشر ( ١٣٠٨ - ١١٨٤ ق. م ) و كان عثوره عليها في : " نبيشة " و " دفنه " غير بعيد من بي رعمسيس ( قنطير ) عاصمة هؤلاء الفراعين في شرق الدلتا . (٢)

٣ . أما الإعجاز الثالث هو الإشارة إلى أحد أعوان فرعون باسمه " هامان " فقد وجد العلماء الآثار هذا الاسم مكتوبا على نصب أحد فراعنة مصر القديمة و هذا النصب موجود في متحف هوف بفينا كما يؤكد هذا النص أن هامان كان مقربا من فرعون و قد ورد أيضا أسم هامان في " قاموس أسماء الأشخاص في المملكة الجديدة : Dictionary of Personal names of the New Kingdom وهو القاموس المستند على مجموعة المعلومات المستقاة من الكتابات المصرية القديمة و وردت الإشارة إلى هامان على أن رئيس البناءين في معامل نحت الحجارة و هذا توافق مع القرآن الذي يشير إلى هامان على أنه المسؤول عن تشييد الصروح في مملكة الفرعون (٣).

## سادساً : العجل الذهبي من صنع السامري

إن مدينة السامرة في فلسطين لم يكن لها وجود لما خرج بنو إسرائيل من مصر، مع موسى، وسكنوا أرض سيناء. وفيها عمل لهم هارون العجل الذهبي كطلبهم. فكيف نتخيل سامرياً يضع لهم العجل قبل أن يكون للسامريين وجود؟

الرد على الشبهة: ١ . إنه ليس في فلسطين مدينة تسمى بمدينة السامرة. وإنما كان للسامريين مملكة في فلسطين، عاصمتها " نابلس " المسماة قديماً " شكيم " وكانت هذه المملكة مكونة من عشرة أسباط. وكان للسبطين مملكة في فلسطين عاصمتها " القدس " المسماة قديماً " أورشليم " .

(١) - تطور الفكر و الدين في مصر القديمة بريستد ص ١٨٥ ،

(٢) - كتاب الحضارة المصرية تأليف محمد بيومي مهرا ج ٣ ص ٤٢٩

(٣) - كتاب قصة موسى مع فرعون تأليف هارون يحيى عن موقع هارون يحيى على شبكة الإنترنت

٢ . ولما صعد موسى عليه السلام إلى جبل الطور وتلقى التوراة، نزل فوجد اليهود يعبدون عجلاً جسداً له خوار. فسأل عن ذلك فدلوه على من أغراهم بعبادته . فأمسك به وسأله (ما خطبك يا سامري) أي ما هذا الذى فعلته أيها المضل؟ لأن كلمة (سامري) تطلق على المضل. ولا تطلق على شخص كاسم من الأسماء. وبهذا المعنى لا يكون الذى أضلهم رجل مسمى بالسامري، حتى يتوجه الإشكال. وإلا يلزم أن يكون السامري من أسماء المسيح عيسى عليه السلام فإن اليهود قالوا له: " إنك سامري، وبك شيطان " [يو ٨ : ٤٨] (١). تفصيل أوسع في الرد على الشبهة وإن كان كافياً :

لا يمكن أن نجعل الكتاب المقدس الذي قضى في العلم بالتحريف القطعي والتبديل لا يمكن أن يجعلوه حكماً على القرآن الكريم ، ولا نسلم بصحة معلوماته التاريخية ، فكيف نقبل بكتاب نؤمن بتحريفه أن يكون حكماً على القرآن الكريم ؟؟؟؟

لكن سوف نفترض هنا أن معلومات الكتاب المقدس التاريخية صحيحة فنقول : لقد بنى المعارض اعتراضه على أن اسم ( السامري ) مقتبس من مدينة تسمى ( السامرة ) ، وكذلك يرى المعارض أن السامرة هي أول شيء أطلق عليه سامرة ، وفي هذا خطأ جسيم .

أولاً اسم السامرة ( شومرون بالعبري ) مشتق من سامر ( شامر بالعبرية الذي معناه الحارس ) ، والاسماء التي من أصل عبري مثل ( موسى ، يسوع ، سبت ، سامر ) ، يلفظها العبريون هكذا ( موسى ، يشوع ، شبت ، شامر ) ، ومعنى السامرة هو مركز الحارس ( عن قاموس الكتاب المقدس ) .

وبنيت هذه المدينة على جبل اسمه ( جبل السامرة ) ، وهذا الجبل كان يمتلكه رجل اسمه شامر ، وفي أيام حكم الملك عمري ملك يهوذا ، إشتري الملك الجبل من شامر ، ثم بنى المدينة عليه ، ولهذا دعيت المدينة مدينة السامرة نسبة الى شامر الذي كان يمتلك الجبل الذي بنيت عليه ، إقرأ معي الملوك الاول ( ١٦ : ٢٣ و ٢٤ ) : ٢٣ في السنة الواحدة والثلاثين لآسا ملك يهوذا ملك عمري على اسرائيل اثنتي عشرة سنة . ملك في ترصة ست سنين . ٢٤ واشتري جبل السامرة من شامر بوزنتين من الفضة وبنى على الجبل ودعا اسم المدينة التي بناها باسم شامر صاحب الجبل السامرة .

فمن هنا نستخلص الآتي : أن اسم السامرة لم يوجد لأول مرة زمن وجود المدينة ، بل كان هذا الاسم موجوداً قبلها وهو شامر ، وطالما أن هذا الاسم موجود قبل وجود المدينة ، فلا يمنع أن يكون هذا الاسم قديماً وأن يكون هناك قبل شامر صاحب الجبل بمئات السنين من تسمى بهذا الاسم ...

ويحتمل أن يكون السامري الذي في القرآن يعود اسمه الى قبيلة أو عشيرة أو قرية دعيت باسم شامر ، لأن كما هو معلوم أن الكثير من القرى والمدن والقبائل و الشعوب دعيت بأسماء رجال أو نساء ، مثل الشعب الكنعاني نسبة الى كنعان بن حام بن نوح ، واليهود نسبة الى يهوذا بن يعقوب ، ومثل الشعب الاسرائيلي نسبة الى النبي اسرائيل أو يعقوب عليه السلام ، ومثل سبط اللاويين نسبة الى لاوي بن يعقوب ، ومثل مدينة حنوك التي دعيت باسم حنوك بن قايين ( تكوين ٤ : ١٧ ) وغيرها ...

( ١ ) - حقائق الاسلام مقابل شبهات المشككين ، الشبهة رقم ٧٧ ، مجموعة من المؤلفين .

فإذن نقول إنه من الجائز أن يكون هناك قبيلة أو عشيرة أو قرية دعيت باسم شامر في زمن النبي موسى عليه السلام ، والسامري الذي في القرآن هو رجل من هذه القبيلة أو القرية هذا شيء ، وهناك شيء آخر ألا وهو القول إن الملك عمري هو أول من بنى مدينة السامرة أمر ليس مقطوعا بصحته ، بل ذهب قاموس الكتاب المقدس الى احتمال أن الملك عمري أصلح بناء المدينة ، وهذا ما يقوله القاموس :

السامرة: اسم عبراني معناه (( مركز الحارس )) . عاصمة الأسباط العشرة أثناء أطول مدة في تاريخهم. وقد بنيت المدينة أو أصلح بناؤها أيام عمري بن آخاب ملك إسرائيل ...  
وقوله ( بنيت أو أصلح بناؤها ) يفيد احتمالا وهو أن المدينة موجودة من قبل ، وربما كانت مهدمة أو قديمة فأعاد الملك عمري بناءها ...

والذي يدل على ان المدينة قديمة وموجودة قبل الملك عمري هذا النص في سفر الملوك الاول ( ١٣ : ٣٢ ) :  
لانه تماما سيتم الكلام الذي نادى به بكلام الرب نحو المذبح الذي في بيت ايل ونحو جميع بيوت المرتفعات التي في مدن السامرة .

وهذا الكلام ذكر قبل ثلاثة اصحاحات من ذكر بناء الملك عمري للمدينة ، فكيف يقول ( في مدن السامرة ) ولم تكن المدينة قد بنيت بعد ؟؟؟؟

فإما أن يقولوا إن هذا تحريف في الكتاب المقدس أو يقرأوا أن المدينة موجودة قبل الملك عمري ولا يعرف زمن بنائها ، ولا يستطيع أحد أن يحدد في هذا الاحتمال أن المدينة لم تكن موجودة في زمن موسى عليه السلام ولربما انها موجودة قبل موسى أيضا وهذا ما لا يمكن الجزم به (١).

#### ( ١ ) - رد ثالث على الشبهة للتوسع في فهم المعنى :

نقول العهد القديم ينسب صناعة العجل الى هارون و القرآن ينسبه الى السامري و تعجب معي ينسبوا الكفر الى نبي كبير من بني اسرائيل و يصدقوا كاتب سفر الخروج على هزله و يكذبوا القران الذى ييرئ النبي هارون من هذه الفعلة الشنيعة .  
قد تسال لماذا اقول على هزله لان كاتب السفر رغم انه ينسب هذه الفعلة الشنيعة الى هارون الا انه يجعله يفلت من العقاب تماما كما جعله يفلت من العقاب في قصة زوجة موسى الكوشية . و سبب اخر يجعلنى اقول ان كاتب هذا السفر يهزل تعامله مع الرب بطريقة هزلية كذلك انظر النص الذى يخاطب فيه موسى الرب :  
رجع عن حمو غضبك وندم على لشر يشعبك .  
موسى يراجع الرب في غضبه و يطلب منه ان يندم

و الكارثة ان الرب ندم فعلا بعد كلام موسى الذى خلاصته محاولة اقناع الرب بالعفو عن عبدة العجل حتى لا يشمت فيه المصريين ؟  
ولماذا لا تتساءل ما الذى يجعل القرآن اذا كان من عند غير الله بزعم بعض المتسرعين بتبرئة النبي هارون لماذا يخالف القران التوراة التي ينقل منها و يضع الذنب كله على السامري الذى سنعرف بعد قليل لماذا سمى بهذا الاسم . تماما مثلما اهتم القران بمجادئة التكلم في المهدي التي تبرء السيدة مريم الصديقة و كتبه الاناجيل لم يهتموا الا بوضع نساء زانيات في نسب المسيح عليه السلام ، لا سبب إلا لأنه وحده هو المهيمن على الكتب السابقة .

السامري ليس نسبة الى السامرة البلدة التي هي شمرون بالعبرية و اما هي صفة على النسب الى شمرون بن يساكر بن يعقوب الذى ينسب اليه الشمرونيون عشيرة شمرون من سبط يساكر ابن يعقوب احد اسباط بني اسرائيل الاثنى عشر . السامرى الذى في القران هو من صميم اسباط بني اسرائيل في التيه لا شان له بالسامريين الساكنين السامرة في فلسطين لم يسمه القران بل نسبه الى بنى ابيه .....

بعض التوضيحات عن السنين و الشين معروف ان السنين هي التحويل العربي للشين العبرية  
و هذا النص يثبت ما اقول :

١ الملوك ١٦ ك ٢٤

٢٤ واشترى جبل السامرة من شامر بوزنتين من الفضة وبنى على الجبل ودعا اسم المدينة التي بناها باسم شامر صاحب الجبل السامرة.

رغم ان اسم صاحب الجبل شامر الا ان التسمية على اسمه اصبحت سامرة

و هذا النص عن شمرون الذى هو نفس اسم البلدة بالعبرية العدد ٢٦ : ٢٤

## سابعاً : أبو إبراهيم آزر؟! أم تارح .

إن في التوراة أن أبا إبراهيم اسمه تارح. وقد أخطأ القرآن في قوله إن أباه اسمه آزر.

الرد على الشبهة:

إن الأنساب مختلفة بين التوراة السامرية والعبرانية واليونانية. وإن عدد السنين لكل أب من آدم إلى إبراهيم مختلف فيه بين نسخ التوراة الثلاثة، ولوقا كاتب الإنجيل أزداد على الأسماء فينان. نقلاً عن اليونانية. ومعنى هذا أنه كان يجب على المؤلف تصحيح كتبه قبل أن يوجه نقده. ولذلك جاء في القرآن الكريم: (إن هذا القرآن يقصص على بني إسرائيل أكثر الذي هم فيه يختلفون) (النمل: ٥٧٦). (١)

لتوضيح الشبهة والتوسع بالجواب نقول :

يعطى القرآن أسماء لبعض الشخصيات التاريخية مخالفة لأسمائهم حسب الكتاب المقدس الذي سبق القرآن بعدة قرون. فمثلاً والد إبراهيم عليه السلام كان اسمه Teral أو (تارح) ، ومع ذلك يسميه القرآن (آزر) . واسم الذي كان يوسف عليه السلام في بيته كان Potiphar، أما الاسم المعطى له في القرآن فهو (عزيز) [يوسف : ٣٠] .

أولاً: لا يصح أن نجعل من (الكتاب المقدس) حجة على القرآن ومرجعية له.. لأن الثابت . حتى في الدراسات التي قام بها كثير من علماء اليهود والنصارى . أن هذا الكتاب المقدس قد أعيدت كتابته، وأصابه التحريف.. كما أن ترجماته قد أدخلت عليه تغييرات وتصحيحات، وخاصة في أسماء الأماكن والأشخاص.. ثانياً: لأن القرآن قد تمتع بمستوى من الحفظ والتوثيق والتواتر في النقل جعله الوحي الوحيد الصحيح على ظهر هذا الكوكب الذي نعيش عليه.. فهو الحاكم والمرجع لكل ما عداه من النصوص الدينية الأخرى..

وفي هذا الإطار.. ومن هذا المنطلق نناقش الشبهات التي يثيرها هذا السؤال.. فنقول: بالنسبة لاسم والد الخليل إبراهيم . عليه السلام . لا تختلف معظم المصادر الإسلامية . سواء أنها تفاسير القرآن، أو قصص الأنبياء . على أن (آزر) ليس اسم والد إبراهيم.. وعلى أن اسمه (تارح) ..

ومن العلماء من يرى أن (آزر) اسم صنم، وأن الآية خطاب استنكاري لعبادة والد إبراهيم لهذا الصنم، تقدم المفعول في هذا الخطاب.. والمعنى ألتخذ آزر إلهاً ومعبوداً؟

ومن العلماء من يرى أن (آزر) لقب أطلق على (تارح) بعد أن عمل في حاشية الملك الذي كان حاكماً في ذلك التاريخ.. ونحن نقرأ . حول هذه القضية . في تفسير القرطبي:

" قوله تعالى: (وإذ قال إبراهيم لأبيه آزر) تكلم العلماء في هذا، فقال أبو بكر محمد بن محمد بن الحسن الجويني الشافعي الأشعري في النكت من التفسير له: وليس بين الناس اختلاف في أن اسم والد إبراهيم تارح. والذي في القرآن يدل على أن اسمه آزر.. وقيل: آزر اسم صنم. كأنه قال: وإذ قال إبراهيم لأبيه ألتخذ آزر إلهاً، ألتخذ أصناماً آلهة..

٢٤ ولياشوب عشيرة الياشويين .ولشمرون عشيرة الشمروينين. (نسخة SVD)

اذن الشمروينين تصح بنفس القاعدة الساميين و هو المطلوب آياته .

(١) - الشبهة رقم ٧٨ من حقائق الاسلام مقابل شبهات المشككين

قلت . أي القرطبي .: ما ادعاه من الاتفاق ليس عليه وفاق. فقد قال محمد بن إسحاق والكلبي والضحاك: إن أزر أبو إبراهيم عليه السلام وهو تارح، مثل إسرائيل ويعقوب. قلت: فيكون له اسمان. وقال مقاتل: أزر لقب، وتارح اسم. وحكاة الثعلبي عن ابن إسحاق القشيري. ويجوز أن يكون العكس.. وقال الجوهري : أزر اسم أعجمي، وهو مشتق من أزر فلان فلاناً إذا عاونه، فهو مؤازر قومه على عبادة الأصنام.. وقال مجاهد ويهان: أزر اسم صنم، أي أتخذ أزر إلهاً، أتخذ أصناماً.. وقال الثعلبي في كتاب العرائس: إن اسم أبي إبراهيم الذي سماه به أبوه تارح، فلما صار مع النمرود قيماً على خزانة آلهته سماه أزر. وقال مجاهد: إن أزر ليس باسم أبيه، وإنما هو اسم صنم، وهو إبراهيم بن تارح بن ناخور بن ساروع بن أرغو بن فالغ بن عابر بن شالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح عليه السلام". (١)

ونفس التفسيرات الموضحة لهذه الشبهة نجدتها في (قصص الأنبياء): "قال السيد المرتضى الزبيدي (٢): وروى عن مجاهد في قوله تعالى: (أزر أتخذ أصناماً) قال:

لم يكن بأبيه، ولكن اسم أزر اسم صنم، فموضعه نصب على إضمار الفعل والتلاوة كأنه قال: وإذ قال إبراهيم أتخذ أزر إلهاً، أي أتخذ أصناماً آلهة. وقال الصغاني: التقدير أتخذ أزر إلهاً.

وقد نقل شيخ العروبة المرحوم أحمد زكي باشا عبارة (تاج العروس) السابقة في أول كتابه (تكملة كتاب الأصنام لابن الكلبي)، وهذا القول الذي قاله مجاهد أولى الأقوال بالقبول. وعلى ذلك يكون والد إبراهيم لم يذكر باسمه العلمي في القرآن الكريم، مما يستأنس له. بأن (أزر) اسم إله. أننا نجد في الآلهة القديمة عند المصريين الإله (أزوريس) ومعناه: الإله القوى المعين. وقد كانت الأمم السالفة يقلد بعضهم بعضاً في أسماء الآلهة" (٣) فليست هناك مشكلة إذن حول هذا الموضوع..

أما الشبهة الثانية في هذا السؤال والخاصة باسم الذي اشترى وآوى يوسف عليه السلام في بيته، والذي أطلق عليه القرآن الكريم اسم (عزيز) بينما سماه الكتاب المقدس Potiphar فإنها لا تمثل. هي الأخرى. مشكلة من المشكلات.. ذلك أن منصب هذا الذي آوى يوسف كان (رئاسة الشرطة) واسمه (فوطيفار).. ولقبه (العزيز).. فلا تناقض بين أسماء التعريف به هذه.. ولقد تناولت ذلك المصادر الإسلامية.. في (قصص الأنبياء): "وكان سيده رئيس شرطة المدينة، واسمه (فوطيفار)، ويعبر عن منصبه في العبرية بـ (سرهاطباحييم)، أي رئيس الشرطة..". (٤)

وفي تفسير القرطبي: "قال الضحاك: هذا الذي اشتراه ملك مصر، ولقبه العزيز.. واسمه قطفير. وقال ابن إسحاق: إطفير.. اشتراه لامرأته.. وقال ابن عباس: إنما اشتراه قطفير وزير ملك مصر.. وكان هذا العزيز الذي اشترى يوسف على خزائن الملك....". (٥) (٦)

(١) - الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (ج ٧ ص ٢٢، ٢٣). مرجع سابق.

(٢) - في ص ١٢ ج ٣ (تاج العروس)

(٣) - قصص الأنبياء ص ٧٢، عبد الوهاب النجار، دار احياء التراث العربي بيروت، الطبعة الثالثة دون ذكر سنة الطباعة.

(٤) - المصدر السابق ص ١٢٢.

(٥) - الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ج ٩ ص ١٥٨، مرجع سابق.

(٦) - حقائق الاسلام في مواجهة شبهات المشككين، الشبهة رقم ٤٠

## ثامناً : مريم العذراء بنت عمران

إن القرآن نسب مريم العذراء إلى عمران أبي موسى النبي. وقال: إنها أخت هارون النبي عليه السلام. وهذا يخالف ما جاء في إنجيل لوقا أنها بنت هالي [لوقا ٣: ٢٣] ويخالف التاريخ لأن بين مريم وهارون ألف وستمائة سنة. لعل محمداً ﷺ ، خلط بين مريم أم المسيح ، ومريم أخرى كانت أختا لهارون الذي كان أختا لموسى عليه السلام ، ومعاصرا له ، ولا يوجد مثل هذا التناقض في الكتاب المقدس .

### الرد على الشبهة:

إن المؤلف نقل عن الإنجيل أن مريم بنت هالي. ونقله خطأ. والنص هو: " ولما ابتدأ يسوع كان له نحو ثلاثين سنة. وهو على ما كان يُظن ابن يوسف بن هالي بن متثان بن لاوي بن ملكي بن يتا بن يوسف " إلى أن أوصل نسبه إلى " ناثان بن داود " عليه السلام. وهذا النص لا يدل على أنه نسب مريم كما قال المؤلف، وإنما يدل على أنه نسب المسيح. فكيف يكذب القرآن بنسب ليس لها؟ وكيف ينسبون المسيح إلى يوسف بن هالي. وفي الإنجيل أنه لا أب له ولا سبط له؟ ذلك قوله عن يوسف: " ولم يعرفها حتى ولدت ابنها البكر " [متى ١: ٢٤] ، وكيف يكذبون القرآن بنسب على سبيل الظن؟ ذلك قوله: " وهو على ما كان يُظن " وفي إنجيل متى أن المسيح ابن يوسف بن يعقوب بن متان بن اليعازر بن آليود. إلى أن أوصل نسبه إلى سليمان. عليه السلام. [متى ١] .

والحق: أن مريم ابنة عمران الأب المباشر لموسى . عليه السلام . وهو أب مباشر لموسى ، وهو أب لمرم لأنه رئيس العائلة التي تناسلت هي منها. وهارون ابن عمران. وهي من نسل هارون . عليه السلام . فيكون هو أخوها على معنى أنها من نسله. أما أبوها المباشر فاسمه "يهوياقيم" وأمها اسمها " حنة " كما جاء في إنجيل يعقوب الذي لا يعترف به النصارى.

والنسب هكذا: إبراهيم . إسحاق . يعقوب . لاوي وهو الابن الثالث ليعقوب. وأنجب لاوي ثلاثة هم جرشون وقهات ومراري. وبنو قهات عمران ويصهار وحبرون وعزئييل. وبنو عمران هارون وموسى ومريم.

وقد وصى موسى عن أمر الله تعالى أن تتميز الأسباط التي تريد الإرث في بني إسرائيل. وذلك بأن تتزوج كل بنت في سبطها. ففي سفر العدد: " وكل بنت ورثت نصيباً من أسباط بني إسرائيل؛ تكون امرأة لواحد من عشيرة سبط أبيها؛ لكي يرث بنو إسرائيل كلُّ واحد نصيب آبائه " [عدد ٣٦: ٨] . ووصى بأن يتفرغ سبط لاوي للعلم والدين، ولا يكون له نصيب في الأرض، وإنما يسكن بين الأسباط في مدنهم، ووصى بأن تكون الإمامة في نسل هارون وحده. وعلى هذه الشريعة نجد في بدء إنجيل لوقا: أن " أليصابات " زوجة زكريا. عليه السلام . كانت من نسل هارون من سبط لاوي، وكان زكريا من نسل هارون من سبط لاوي. وتزوجت أليصابات زكريا. وأن مريم العذراء كانت قريبة لأليصابات. وإذا ثبت أنها قريبة لها؛ يثبت أن مريم هارونية من سبط لاوي.

يقول لوقا: " كان في أيام هيروودس ملك اليهودية كاهن اسمه زكريا من فرقة أيتا، وامراته من بنات هارون، واسمها أليصابات.. إلخ " ويقول لوقا: " وهو ذا أليصابات نسيتك.. إلخ "؛ قال لها الملاك ذلك وهو يبشرها

بالحمل بعيسى . عليه السلام . فإذا صح أنها قريبة لها ونسبية لها . فكيف يخطئ المؤلف القرآن في نسبتها إلى هارون . عليه السلام ؟!

وفرقة أييا هي فرقة من بنى هارون ، وهي الفرقة الثامنة من الفرق التي عدّها داود . عليه السلام . للعمل في المناظرة على بيت الرب . وخبرهم في الإصحاح الرابع والعشرين من سفر أخبار الأيام الأول (١) .

**التساؤل بأسلوب آخر :** يتحدث القرآن الكريم عن مريم . أم المسيح ، باسم " أخت هارون " ، فيقول مخاطبا إياها { يا أخت هارون ما كان أبوك امرأ سوء وما كانت أمك بغيا } [مريم: ٢٨] .. وليس لهذه التسمية ذكر في الإنجيل . بل الثابت . في القرآن والأنجيل . أن مريم هي ابنة عمران { ومريم ابنة عمران التي أحصنت فرجها } [التحريم: الآية الأخيرة] . وعمران هذا هو من نسل داود .. أي من سبط ونسل " يهوذا " ، وليس من سبط ونسل " هارون " سبط " اللاويين " فكيف دعاها القرآن " أخت هارون " وبينهم مئات السنين؟  
الجواب :

هذا هو التساؤل والاعتراض الذي يورده البعض شبهة على القرآن الكريم .. والحقيقة التي تفهم من السياق القرآني ، أن تسمية مريم بـ " أخت هارون " ، ليست تسمية قرآنية وإنما هي حكاية لما قاله قومها لها ، وما خاطبها ونادوها به عندما حملت بعيسى . عليه السلام . عندما استنكروا ذلك الحمل ، واتهموها في عرضها وشرفها وعفافها فقالوا لها: { يا مريم لقد جئت شيئا فريا \* يا أخت هارون ما كان أبوك امرأ سوء وما كانت أمك بغيا } [مريم: ٢٧ ، ٢٨] .. فلماذا نسبها قومها إلى هارون ؟!

إن هارون هذا كان رجلا صالحا ، مشهورا بالصلاح والعفة .. فنسبها قومها إليه سخريه منها ، وتحكما عليها ، وتعريضا بما فعلت ، واستهزاء بدعواها بالصلاح والتقوى والتبتل في العبادة بينما هي . في زعمهم . قد حملت سفاحا .. وقيل: إنه كان لها أخ من أبيها اسمه هارون وكان من عباد وصلحاء بنى إسرائيل . فنسبها إليه .. واسم هارون من الأسماء الشائعة في بنى إسرائيل (٢) . والشاهد . من كل ذلك . أن هذه التسمية لمريم بـ " أخت هارون " ، ليست خبرا قرآنيا ، وإنما هي حكاية من القرآن الكريم لما قاله قومها .. (٣)

قال ابن كثير (٤) : " يا أخت هارون " أي شبيهة هارون في العبادة " ما كان أبوك امرأ سوء وما كانت أمك بغيا " أي أنت من بيت طيب طاهر معروف بالصلاح والعبادة والزهادة فكيف صدر هذا منك قال علي بن أبي طلحة والسدي قيل لها " يا أخت هارون " أي أخي موسى وكانت من نسله كما يقال للتميمي يا أخت تميم وللمصري يا أخت مضر وقيل نسبت إلى رجل صالح كان فيهم اسمه هارون فكانت تقاس به في الزهادة والعبادة .

وهنا لعلنا أوضح أمرا مهما : هو أن القرآن تكلم كثيرا بهذه المسألة عن الاخوة وايضا الكتب السماوية السابقة التي حرفت ولكن بقى بها من الاثر الدال على أن الاخوة ايضا لا يشترط أن تكون من النسب وسوف اطرح

(١) - حقائق الاسلام في مواجهة شبهات المشككين ، الشبهة ٧٩

(٢) - قصص الأنبياء ص ٣٨٣ ، ٣٨٤ . مرجع سابق . و الجامع لأحكام القرآن ج ١١ ص ١٠٠ ، ١٠١ . والكشاف للزمخشري ج ٣ ص ١٤ .

(٣) - حقائق الاسلام في مواجهة شبهات المشككين ، الشبهة رقم ٤١ ، مجموعة من العلماء .

(٤) - تفسير القرآن العظيم ، ٥ / ٢٢٧ ط/سلامة مرجع سابق .

من القرآن بعض الايات التي تحدثت عن ذلك والتي تتحدث عن الاخوة اليمانية . { وإن تخالطوهم فإخوانكم والله يعلم المفسد من المصلح ولو شاء الله لأعنتكم إن الله عزيز حكيم } [البقرة : ٢٢٠].

{والذين جاؤوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم} [الحشر : ١٠].

{ أوجب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه واتقوا الله إن الله تواب رحيم }

[الحجرات: ١٢] ، { إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون }

[الحجرات: ١٠] ، { فإن لم تعلموا آباءهم فإخوانكم في الدين ومواليكم } [الأحزاب: ٥] ، { يا أخت

هارون ما كان أبوك امرأ سوء وما كانت أمك بغيا } [مریم : ٢٨] ، { ونزعنا ما في صدورهم من غل إخوانا على سرر متقابلين } [الحجر : ٤٧].

{ واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا }

[آل عمران: ١٠٣] ، { فمن عفي له من أخيه شيء فاتباع بالمعروف وأداء إليه بإحسان } [البقرة: ١٧٨] ،

{فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فإخوانكم في الدين ونفصل الآيات لقوم يعلمون} [التوبة ١١] .

كل هذه الآيات توضح لنا ان المقصود بمعنى الاخوة (( الاخوة اليمانية )) وليس بالنسب

{ يا أخت هارون } الأصل أخو، وهو: المشارك آخر في الولادة من الطرفين، أو من أحدهما أو من الرضاع.

ويستعار في كل مشارك لغيره في القبيلة، أو في الدين، أو في صنعة، أو في معاملة أو في مودة، وفي غير ذلك

من المناسبات. قوله تعالى: { لا تكونوا كالذين كفروا وقالوا لإخوانهم } [آل عمران: ١٥٦]، أي: لمشاركتهم في

الكفر، وقال تعالى: { إنما المؤمنون إخوة } [الحجرات: ١٠]، (أوجب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا)

[الحجرات: ١٢]، وقوله: { فإن كان له إخوة } [النساء: ١١]، أي: إخوان وأخوات، وقوله تعالى: { إخوانا على

سرر متقابلين } [الحجر: ٤٧]، تنبيه على انتفاء المخالفة من بينهم .<sup>(١)</sup>

## تاسعاً : انتباز مريم

إن في القرآن: أن مريم انتبذت من أهلها مكاناً شرقياً، واتخذت لها حجاباً من قبل أن تحبل بالمسيح.

فلماذا انتبذت؟ هل كانت في مشاجرة مع أهلها وهم المشهورون بالتقوى؟ ولماذا تسكن فتاة عذراء بعيدة عن

أهلها؟ ثم في القرآن تناقض في هذا المعنى. وهو أنه صرح بأنها كانت في المحراب في كفالة زكريا، وصرح بأنها

انتبذت. أي خرجت منهم بعد مشاجرة. وقالوا: إن القرآن قد خالف الإنجيل في مكان سكنها من قبل الحبل

بعيسى . عليه السلام . ففي القرآن: أنها كانت تسكن في محراب أورشليم، أو في أي مكان مجهول. وفي الإنجيل

أنها كانت تسكن في " الناصرة " [لو ١ : ٢٦-٢٣] .

الرد على الشبهة: ١ . جاء في إنجيل يعقوب: أن مريم وهى في سن الثالثة: ذهبت بها أمها بصحبة أبيها

إلى " أورشليم " وسلمها إلى كهنة هيكل سليمان، وكانت علامات السرور تبدو عليها. ثم تركاها ورجعا إلى

أورشليم، وعاشت مع الراهبات المنذورات إلى أن حبلت.

(١) - . (انظر: مجمل اللغة ٨٩/١ ؛ دار النشر: مؤسسة الرسالة - بيروت الطبعة الثانية - ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م) واللسان (أخو) ٢٢/١٤

٢ . وإن أنت نظرت في خريطة فلسطين. تجد حبرون أسفل أورشليم وقريبة منها، وتجد الناصرة على نفس الخط وبعيدة عن أورشليم. فتكون أورشليم غرب الناصرة، وشرق حبرون.

٣ . وفي الإنجيل: " وفي ذلك الوقت ولد موسى وكان جميلاً جداً. فرى هذا ثلاثي أشهر في بيت أبيه. ولما بُد؛ اتخذته ابنة فرعون، وربته لنفسها ابناً " [أعمال ٧ : ٢١]

قوله " ولما بُد " لا يدل على أن أهله كرهوه وإنما يدل على أنهم وضعوه في التابوت وهم لوضعه كارهون. ومن ينتبذ عن قوم؛ لا يدل انتباده عنهم على كرههم لهم، وإنما يدل على ابتعاده عنهم لسبب أو لأسباب. وإذا صح وثبت أن ابتعادها عنهم كان لعبادة الله؛ يثبت أنها لم تنتبذ لمشاجرة.

٤ . وقد تبين أن " الناصرة " من نصيب سبط زبولون . وهو من أسباط السامريين . وهي من سبط يهوذا . على حد زعمه . فكيف تكون من سكان الناصرة؟ وإذا كانت من سكان الناصرة، فلماذا أتت إلى أورشليم لتعبد مع سكانها . وسكان أورشليم من سبطي يهوذا وبنيامين؟ فالحق ما قاله القرآن أنها كانت هارونية . ومعلوم أن زكريا وامراته ويوحنا المعمدان كانوا من التابعين لأهل أورشليم .(١)

## عاشراً : مريم تلد في البرية ووليدها يكلمها من تحتها

لقد ولدت مريم السيد المسيح في بيت لحم كما تنبأ أنبياء التوراة بذلك قبل حدوثه بمئات السنين، وليس بجوار جذع نخلة. ووضعت مريم وليدها في مذود [لوقا ٢ : ٢٠.٢] وغريب أن يكلمها وليدها من تحتها: أن تهز جذع النخلة وتأكل من البلح وتشرب من الجدول. فإذا مرّ بها أحد تقول: {إني نذرت للرحمن صوماً فلن أكلم اليوم إنسيا} [مريم: ٢٦] فأين الصوم وهي الآكلة الشاربة المتكلمة؟

### الرد على الشبهة:

١ . ولادة المسيح في بيت لحم . كما قال المؤلف . تدل على أن مريم من سكان الخليل التي هي حبرون، ولا تدل على أنها من سكان الناصرة. ففي خريطة فلسطين تجد بيت لحم تحت أورشليم، وبعدها حبرون. وعلى هذا تكون مريم بعد حملها بالمسيح وإحساسها بدنو الوضع. قد اتجهت إلى حبرون (فأجاءها المخاض) عند بيت لحم. ولو كانت من الناصرة وأحست بالحمل وبالوضع. لاتجهت إلى الناصرة. وعندئذ يكون الوضع في مكان بين أورشليم وبين الناصرة. فقولهم بالمخاض في بيت لحم يصدق القرآن في أنها كانت من نسل هارون الساكنين في حبرون.

٢ . وقول المعترض: إن التوراة تنبأت بولادة المسيح في بيت لحم. يقصد به ما جاء في سفر ميخا وهو " أما أنت يا بيت لحم أفراة وأنت صغيرة أن تكوني بين ألوف يهوذا، فمنك يخرج لي الذي يكون متسلطاً على إسرائيل، ومخارجه منذ القدم منذ أيام الأزل " [ميخا ٥ : ٢] .

والنبوءة موضوعة وليست من النص الأصلي. بدليل: أن المسيح كان من الهارونيين من جهة أمه، وبيت لحم من مدن سبط يهوذا. ولو كان له أب لأمكن للنصارى نسبته إلى سبط أبيه. ولكنه لا أب له؛ فكيف ينتسب إلى سبط يهوذا أو غير سبط يهوذا؟ وبدليل: أن المتسلط على إسرائيل وهو النبي الأمي الآتي على مثال موسى.

١ - حقائق الاسلام في مواجهة شبهات المشككين ، الشبهة ٨٣ مرجع سابق .

يكون ملكاً وفتح بلاد. ولم يكن المسيح ملكاً ولا فاتح بلاد.. وبديل: أن سفر ميخا مرفوض من السامريين. وبديل أن شرح سفر ميخا يصرحون بالتناقض فيه. والنبوءة من مواضع التناقض التي صرحوا بها. يقول الشراح: "هناك تعليمان متشابكان في كتاب ميخا: الأول: الله يدين شعبه ويعاقبه [ف ١. ٣ : ٦ : ١. ٧ : ٧] الله يعد شعبه بالخلاص [ف ٤. ٥ و ٧ : ٢٠. ٨] حين يُعيده إلى حاله السابقة ويجعله بقيادة رئيس من نسل داود [٥ : ٤. ١].

٣ . وقد جاء في إنجيل متى الأبوكريفي معجزة النخلة.

٤ . وكلام المسيح في المهد جاء في برنابا وفي إنجيل الطفولية العربي، وجاء في تاريخ يوسيفوس.

٥ . وقال المعترض: إن المسيح كلم أمه من تحتها: أن تمزج ذرع النخلة.. إلخ. وهو قد قال بذلك على قراءة " من تحتها " والحق: أن الذي ناداها هو ملاك الله نفسه. وسياق الكلام يدل على أنه الملاك. فإنه قد قال لها: { كذلك قال ربك هو عليّ هيّن ولنجعله آية للناس ورحمة منا وكان أمراً مقضياً } [مريم: ٢١] ، ولما حملته وانتبذت به و أجاهها المخاض وتمت الموت؛ عاد إلى خطابه معها فقال: { ألا تحزني قد جعل ربك تحتك سريرا وهزي إليك بجذع النخلة تساقط عليك رطباً جنياً فكلي واشربي وقرى عيناً فإما ترين من البشر أحداً فقولي إني نذرت للرحمن صوماً فلن أكلم اليوم إنسيا } [مريم: ٢٤. ٢٦].

وأما كلام المسيح فهو لم يقل إلا { إني عبد الله أتاني الكتاب و جعلني نبيا و جعلني مباركا أينما كنت و أوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حيا وبرا بوالدي ولم يجعلني جباراً شقيا والسلام عليّ يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيا } [مريم: ٣٠-٣٣].

٦ . المعترض قد غلط في نقل المعنى بقوله: " وغريب أن يكلمها وليدها من تحتها: أن تمزج ذرع النخلة وتأكل من البلح وتشرب من الجدول؛ فإذا مر بها أحد تقول: { إني نذرت للرحمن صوماً فلن أكلم اليوم إنسيا } [مريم: ٢٦]. فأين الصوم وهي الأكلة الشاربة المتكلمة؟ ". ووجه المغالطة: أنه يقول فإذا مر بها أحد تقول.. إلخ. والمعنى الصحيح: أنها لا تقول لكل أحد يمر عليها إنها صائمة عن الطعام والشراب. وإنما تقول: لا أتكلم مع أحد في أمر ابني في هذه الأيام. فجملة (فإما ترين من البشر.. ) جملة مستأنفة لا صلة لها بالطعام والشراب. وقولها: (إني نذرت للرحمن صوماً) تعني به المعنى المجازي وهو الإمساك عن الكلام بدليل: (فلن أكلم) ولم تقل فلن أكل. (١)

**حادي عشر : نوح لم يتبعه الأراذل كما قال القرآن ، ووصفه القرآن بأنه دعا**

**على الله : أن يزيد الناس ضلالا !!**

إن في القرآن أن نوحاً عليه السلام نجح معه جماعة من المؤمنين من غير أولاده. وهذا يخالف ما في التوراة وما في الإنجيل من أنه لم ينج معه من المؤمنين أحد غير أولاده. وأن القرآن بين أن الكافرين بنوح وصفوا المؤمنين به بأنهم أراذل. ثم إن نوح كان يدعو إلى الضلال بنص القرآن قال الله تعالى: { ولا ترد الظالمين إلا ضلالاً } [نوح: ٢٤] ؛ فكيف يدعو نوح ربه أن يزيد الناس ضلالاً؟

(١) - حقائق الاسلام في مواجهة شبهات المشككين ، الشبهة رقم ٨٤ ، مجموعة من العلماء .

## الرد على الشبهة:

أولاً : - إن الذين خرجوا من السفينة حسب نص التوراة العبرانية:

١ - سام ٢ - حام. ٣ - يافث. ٤ - نوح. ٥ - امرأته. ٦ - زوجة سام. ٧ - زوجة حام. ٨ - زوجة يافث) فيكون العدد ثمانية.

ثانياً : - والدليل على صحة ما في القرآن: ([تكوين ٤]) هو أن قابين لما قتل هابيل؛ ولد حنوك ولد عيراد، وعيراد ولد محويائيل، ومحويائيل ولد متوشائيل، ومتوشائيل ولد لامك، ولامك ولد يابال. الذى كان أباً لساكنى الخيام ورعاء المواشى. واسم أخيه يوبال الذى كان أباً لكل ضارب بالعود والمزمار، واسم أخيه توبال قابين. الضارب كل آلة من نحاس وحديد.

قوله عن الثلاثة: الذى كان أباً لساكنى الخيام ورعاء المواشى. الذى كان أباً لكل ضارب بالعود والمزمار. الضارب كل آلة من نحاس وحديد؛ يدل على أنه كان من الناجين غير أبناء نوح. ولذلك قال مفسرو التوراة: " وسلالة قابين سلالة الحياة المدنية، وسلالة شعث سلالة الحياة القدسية "

بالنسبة للثانية : إن نوحاً لم يدع ربه أن يزيد الناس ضلالاً، وإنما دعا على الظالمين من الناس. ومثل ذلك: ما فى التوراة عن الأنبياء فإنهم دعوا على الظالمين، ولم يدعوا على كل الناس. ففي المزمور الثامن عشر: " من الرجل الظالم تنقذنى ". " مثل طين الأسواق؛ اطرحهم "، وفى الإنجيل يقول المسيح لله عن الذين آمنوا به: " احفظهم فى اسمك الذى أعطيتنى " [يو ١٧ : ١١] ولم يدع لكل. (١)

## الثاني عشر : فرعون ينجو من الغرق

إن فى القرآن تناقض فى نهاية فرعون. ففي يونس: {فاليوم ننحيك بدنك} [يونس: ٩٢]. وهذا يدل على نجاته من الغرق، وفى القصص: {فأخذناه وجنوده فنبذناهم فى اليم} [القصص: ٤٠]. وهذا يدل على غرقه، وقد مرت بتفصيل أوسع فى الفصل السابق .

### الرد على الشبهة:

إن المؤلف لم يفسر (فاليوم ننحيك بدنك) على المعنى الظاهرى. وهو إبعاد الجثة عن الهبوط فى اليم، وتركها على الشاطئ حتى يضعها المحنطون فى المقبرة فيراها كل المصريين فيعتبروا ويتعظوا. وفسر على المعنى المجازى كناية عن إفلاته من الغرق. ووجه الشبهة على المعنى المجازى وليس على المعنى الحقيقى .

والمعنى المجازى الذى به وجه الشبهة؛ موجود فى التوراة عن فرعون. ففيها أنه لم يغرق، وموجود فيها ما يدل على غرقه. وهذا هو التناقض الذى نسبه إلى القرآن. وسوف نبين ما فى التوراة من التناقض عن غرق فرعون. ونسأله هو أن يوفق بين المعنيين المتناقضين. وما يجيب به فى التوفيق؛ يكون إجابة لنا.

ففى الإصحاح الرابع عشر من سفر الخروج: " فرجع الماء وغطى مركبات وفرسان جميع جيش فرعون الذى دخل وراءهم فى البحر. لم يبق منهم ولا واحد " وفى الإصحاح الخامس عشر من نفس السفر: " تغطيهم اللجج. قد هبطوا فى الأعماق كحجر " وفى تفسير التوراة ما نصه: " ولا سبيل لنا هنا إلى الحكم بغرق

(١) - حقائق الاسلام فى مواجهة شبهات المشككين، الشبهة رقم ٨١، ٨٨ مرجع سابق

فرعون، إذ لا دلالة عليه في هذا النبأ، ولا من قول المرثم [مز ٧٨: ٥٣ و ١٠٦: ١١] وساق المفسرون أربع حجج على عدم غرقه. ومعنى قولهم: إن قول المرثم لا يدل على غرقه هو: أن داود. عليه السلام. في المزمور ٧٨ والمزمور ١٠٦ قال كلاماً عن فرعون لا يدل صراحة على غرقه.

ونص ٧٨: ٣ هو " أما أعداؤهم فغمروهم البحر " ونص ١٠٦: ١١ هو " وغطت المياه مضايقيهم. واحد منهم لم يبق "

هذا عن عدم غرق فرعون. وأما عن غرقه ففي المزمور ١٣٦: ١٥ " ودفع فرعون وقوته في بحر يوسف؛ لأنه إلى الأبد رحمته " وفي ترجمة أخرى: " أغرق فرعون وجيشه في البحر الأحمر إلى الأبد رحمته (جمعية الكتاب المقدس في لبنان سنة ١٩٩٣م) " ومفسرو الزبور. وهم أنفسهم الذين صرحوا بعدم غرق فرعون. كتبوا عن فرعون: " فإن هذا الأخير قد حاول جهد المستطاع أن يرجع الإسرائيليين إلى عبوديتهم؛ فما تم له ما أراد، بل اندحر شر اندحار " انتهى.

ومن هذا الذى قدمته يكون من الواجب على المؤلف حل التناقض الموجود عنده في أمر فرعون، قبل أن يوجه كلامه إلى القرآن. (١)

### الثالث عشر : لكل أمة رسول منها إليها

إنه جاء في القرآن أن لكل أمة رسول منها. وهذا يناقض الكتاب المقدس في أن الأنبياء والرسل هم من بنى إسرائيل وإليهم وإلى كل العالم. فإذا صدق ما في القرآن فكيف لم يخرج للأمم في إفريقيا وأوروبا وأمريكا وأستراليا وآسيا: أنبياء منهم وإليهم؟ ولو كان لهذه الأمم أنبياء. منها وإليها. لجاز أن يكون للعرب رسول منهم.

#### الرد على الشبهة:

إن كلمة الرسول تأتي على الحقيقة وتأتى على المجاز. فيعيسى. عليه السلام. رسول على الحقيقة. وإذا هو أرسل واحداً من الحواريين إلى قرية من القرى فإنه يكون رسول رسول الله عيسى على المجاز. ففي إنجيل متى: " هؤلاء الإثنا عشر أرسلهم يسوع وأوصاهم قائلاً: " إلى طريق أمم لا تمضوا.. " [متى ١٠: ٥] . وابتداء الدعوة إلى الله كان في زمن أنوش بن شعيث بن آدم؛ لقوله: " حينئذ ابتدئ أن يُدعى باسم الرب " [تك ٤: ٢٦] وظل الحال على هذه الدعوة التي كانت دعوة إلى مكارم الأخلاق وعدم سفك الدماء ظلماً إلى زمان نوح. عليه السلام. ولم يكن من المطعومات شيء محرم فلما خرج نوح من السفينة أعطاه الله شريعة فيها أن كل الطعام حلال، وأن يجب المرء لأخيه ما يحبه هو لنفسه، وليس فيها شريعة تبين أن هذا حلال وهذا حرام. ففي الإصحاح التاسع من سفر التكوين: " كل دابة حية تكون لكم طعاماً. كالعشب الأخضر دفعت إليكم الجميع.. " وظلت شريعة نوح سائدة على العالم إلى أن جاء موسى. عليه السلام. وأعطاه الله التوراة (موعظة وتفصيلاً لكل شيء) (وأمره أن يخص سبب لاوى من بين الأسباط ليعرفها ويعترفها للناس.

(١) - حقائق الاسلام في مواجهة شبهات المشككين ، الشبهة رقم ٨٢ مرجع سابق نشر وزارة الاوقاف المصرية لمجموعة من العلماء .

وهذا الذى ذكرته هو ما يقول به أهل الكتاب جميعاً، ونص عليه أهل الكتاب فى كتبهم. وعنه فى القرآن الكريم: { كل الطعام كان حلالاً لبني إسرائيل } [آل عمران: ٩٣] وهو حلال من أيام نوح. عليه السلام. وعلى ذلك نسأل المؤلف هذا السؤال وهو أن الناس من آدم أبى البشر إلى موسى الكليم كانت رسلهم من بني إسرائيل أم من غير بني إسرائيل؟ إن قلت إن رسلهم كانت من بني إسرائيل يكذبك الواقع والكتب التى تقدسها، وإن قلت كانت من غير بني إسرائيل فلماذا وجهت السؤال إلى المسلمين؟

أما من موسى إلى محمد ﷺ فإن علماء بني إسرائيل من اللاويين والهارونيين كانوا يبلغون التوراة لليهود وللأمم، وإذا انطلق واحد منهم إلى الأمم؛ فإنه يكون رسولاً إلى الأمم. ليس على الحقيقة، وإنما على المجاز بمعنى أنه رسول رسول الله موسى. عليه السلام. وظلوا على هذا الحال إلى زمان سبي بابل سنة ٥٨٦ ق. م فإنهم وهم فى بابل حرفوا التوراة، وقصروا شريعة موسى على اليهود من دون الناس، وابتعدوا عن دعوة الأمم، وتعصبوا لجنسهم وتأمروا على الأمم { ذلك بأنهم قالوا ليس علينا فى الأميين سبيل } [آل عمران: ٧٥]. ومن قبل سبي بابل كان علماءهم يدعون العرب إلى الله على وفق شريعة موسى. فيكون العالم الداعى رسولاً مجازاً. وهكذا فى سائر بلاد العالم. أما من بعد السبي وتخلي العلماء عن الدعوة فإن كل أمة سارت على ما عندها من العلم. وقد وبجهم المسيح عيسى. عليه السلام. على إهمالهم فى دعوة الأمم بقوله: " لكن ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المرءون؛ لأنكم تغلقون ملكوت السموات قدام الناس؛ فلا تدخلون أنتم ولا تدعون الداخلين يدخلون " [متى ٢٣: ١٣].

ثم حث أتباعه بالانطلاق إلى بلاد اليهود أولاً بأمرين هما أن يعملوا بالتوراة، وأن يستعدوا لتركها إذا ما ظهر محمد رسول الله الذى يبشر به. وإذا فرغوا من دعوة اليهود فى بلادهم ينطلقون إلى الأمم، وسماهم رسلاً مجازاً. فقال: " إلى طريق أمم لا تمضوا، وإلى مدينة للسامريين لا تدخلوا، بل اذهبوا بالحرى إلى حراف بيت إسرائيل الضالة. وفيما أنتم ذاهبون، أكرزوا قائلين: " إنه قد اقترب ملكوت السموات " [متى ١٠: ٥]. وملكوت السموات هى مجئ محمد صلى الله عليه وسلم بعد مملكة الروم كما أنبأ النبي دانيال فى الإصحاح السابع من سفره.<sup>(١)</sup>

## الرابع عشر : خَلَطَ الأَسْمَاء

ذكروا آيتين من سورة الأنعام، وأوردوا الشبهة على نص الآيتين حيث قالوا: جاء فى سورة الأنعام { ووهبنا له إسحاق ويعقوب كلاً هدينا ونوحاً هدينا من قبل ومن ذريته داود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهارون وكذلك نجزي المحسنين \* وزكريا ويحيى وعيسى وإلياس كل من الصالحين \* وإسماعيل واليسع ويونس ولوطاً وكلاً فضلنا على العالمين } [الأنعام: ٨٤-٨٦]. والترتيب التاريخى هو: أيوب - إبراهيم وابن أخته لوط وابناه إسماعيل وإسحاق وحفيده يعقوب وابن حفيده يوسف ومن بعده موسى - هارون - داود - سليمان - إلياس - اليسع - يونس - زكريا - يحيى - عيسى.

### الرد على الشبهة:

(١) - حقائق الاسلام فى مواجهة شبهات المشككين ، الشبهة رقم ٨٥ مجموعة من العلماء ، مرجع سابق .

١ . إن الضمير في (ومن ذريته ) يعود إلى نوح، ولا يعود إلى إبراهيم وذلك لأن (لوطا) ليس من ذرية إبراهيم، وإنما خرج معه مهاجراً إلى الله، بعدما آمن له. وفي التوراة " ولوطاً ابن أخيه " [تك ١٢ : ٥] .

٢ . إن الترتيب التاريخي غير حاصل لأسباب منها: أنه يريد بيان فضلهم وصلاتهم؛ ليقنن الناس بهم. وفي التوراة أنبياء لا يعرفون تواريخهم ولا يعرفون نسبهم، ومنهم " أيوب " فإن منهم من يقول إنه من العرب ومنهم من يقول إنه من الأدوميين ومنهم من يجعله اسماً فرضياً. بل إن الأنبياء أصحاب الأسفار كإشعيا وإرميا وملاخي وحبقوق وميخا؛ لا يعرفون هم أنفسهم السابق منهم عن اللاحق.

وقد جمعوا أسفارهم في وقت واحد. ففي الكتاب المقدس الصادر عن دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط سنة ١٩٩٣ م ما نصه: " كانت أول لائحة وضعت في سبيل " قانونية " العهد القديم وأسفاره تضم أسفار الشريعة الخمسة في أيام عزرا [نح ٨ : ١] حوالي عام ٤٠٠ ق. م ثم زاد المعلمون الأسفار النبوية من يشوع والقضاة حتى إشعيا وإرميا وحوالي سنة ٩٠ ق. م التقى معلمو الشريعة اليهود من مختلف البلدان، في بلدة " يمينية " الواقعة في " فلسطين " وثبتوا لائحة نهائية وكاملة للأسفار المقدسة.. إلخ (ص ٣ الكتاب المقدس طبعة لبنان سنة ١٩٩٣ م). (١)

### الخامس عشر : إسماعيل بين الأنبياء

إن القرآن ذكر أن إسماعيل كان (رسولاً نبياً) وفي التوراة أنه إنسان وحشى. وهذا تناقض.... الرد على الشبهة:

١ - أما أنه كان رسولاً فهذا لا إشكال فيه. فإن الشريعة التي كان عليها هي شريعة نوح. عليه السلام. وكان يبلغها للناس كما يبلغها غيره.

٢ - وأما أنه كان نبياً فهذا هو الإشكال عند المؤلف، وهو ليس بإشكال. لأن النبي هو المنبئ بغيب، ويقع الغيب من بعده كما أنبأ به. فلننظر في إسماعيل. بحسب تفسير كلمة النبي عندهم. هل أنبأ بغيب أم لا؟ إنه من إبراهيم الذي سار مع الله، ودعا إليه، ورغب فيه. ولسيره، وعده الله بالبركة في إسماعيل وإسحاق. والبركة ملك ونبوة وإذ وُعد إسماعيل بنبي من نسله، وأنبأ بتحقيق هذا الوعد. ووقع كما قال. فإنه قد ظهر منه محمد صلى الله عليه وسلم فإنه يكون نبياً.

ففي التوراة: " ولما كان أبرام ابن تسع وتسعين سنة؛ ظهر الرب لأبرام وقال له: " أنا الله القدير. سر أمانى، وكن كاملاً؛ فأجعل عهدي بيني وبينك وأكثرك كثيراً جداً " [تك ١٧ : ٢٠] وعن البركة في إسحاق: " وأباركها وأعطيتك أيضاً منها أبناءً أباركها فتكون أمماً وملوك شعوب منها يكونون " [تك ١٧ : ١٦] ، وعن البركة في إسماعيل: " وأما إسماعيل فقد سمعت لك فيه. ها أنا أباركه وأثمره وأكثره كثيراً جداً.. " [تك ١٧ : ٢٠] وقد قام ببركة إسحاق نبي الله موسى، وقام ببركة إسماعيل نبي الله محمد. وإسماعيل قد أنبأ به من قبل ظهوره. (٢)

(١) - حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين ، الشبهة رقم ٨٦

(٢) - المصدر السابق الشبهة رقم ٩٢

## السادس عشر : الكعبة مقام إبراهيم

إنه جاء في القرآن أن الكعبة أول بيت وضع للناس . وأنها كانت مقام إبراهيم، ومعلوم أن الكعبة من بناء الوثنيين كما جاء في الكتب التاريخية.

### الرد على الشبهة:

أولاً: إن الكعبة ليست من بناء الوثنيين كما جاء في الكتب التاريخية التي لا يشك أحد في أن لليهود دخل فيها. وإنما هي من بناء نوح . عليه السلام . فإنه لما خرج من السفينة، ونجا من الغرق هو ومن آمن معه . بنى " مذبحاً " لذبح الحيوانات عنده قرباناً لله تعالى . ففي التوراة: " وبنى نوح مذبحاً للرب . وأخذ من كل البهائم الطاهرة، ومن كل الطيور الطاهرة، وأصعد محرقات على المذبح " [تك ٨ : ٢٠] وهذا المذبح كان في أرض مكة المكرمة المدينة التي استقر الفلك فيها على الجودي . والدليل على ذلك قول التوراة: إن الناس من بعد نوح ارتحلوا شرقاً إلى أرض شنعار التي هي أرض العراق . فارتحلهم إلى الشرق إلى العراق يدل على أن السفينة كانت في بلاد العرب . ذلك قوله: " وكانت الأرض كلها لساناً واحداً ولغة واحدة . وحدث في ارتحلهم شرقاً أنهم وجدوا بقعة في أرض شنعار، وسكنوا هناك " [تك ١١ : ٢٠١] .

وليس في القرآن نصوص صريحة على أن العرب قد عبدوا الأصنام حتى يقال: إن الكعبة كانت لصنم رُحل . وفي التوراة نصوص صريحة على أن اليهود وأدوا نبيهم وبناتهم في النار للعرافة والسحر وأنهم عبدوا الأصنام . بل وفي القرآن نصوص صريحة على أن اليهود عبدوا صنم البعل في أيام إلياس . عليه السلام . ففي الزمور المائة والسادس: " وأهرقوا دمًا زكيًا . دم نبيهم وبناتهم الذين ذبحوا لأصنام كنعان وتدنت الأرض بالدماء " [مز ١٠٦ : ٣٨] . وفي الإصحاح الخامس والستين من سفر إشعياء: " أما أنتم الذين تركوا الرب ونسوا جبل قدسي، ورتبوا للسعد الأكبر مائدة، وملاؤوا للسعد الأصغر خمرًا مزوجة .. " [إش ٦٥ : ١١] . في ترجمة الكتاب المقدس في الشرق الأوسط سنة ١٩٩٥م تحت كلمة السعد الأكبر: لجاد وهو المشتري، وتحت كلمة السعد الأصغر: لمي وهو الزهرة.

وفي ترجمة ١٩٩٥م بلبنان: " ونسيتم جبلي المقدس . وهياثم مائدة للإله جاد، ومزجتم الخمر للإله مناة " والتعليق عندهم هكذا: جاد ومناة إلهان عند الكنعانيين.

هذا مما في التوراة عن عبادة اليهود للأصنام ومما فيها: " بعدد مدنك صارت آهتك يا يهوذا، وبعدد شوارع أورشليم وضعت مذابح للخزي ومذابح للتبخير للبعل " [إرمياء ١١ : ١٣] . ويمكن الفهم من آيات في القرآن أن العرب بنى إسماعيل . عليه السلام . لم يعبدوا الأصنام قط . فإبراهيم . عليه السلام . وهو بنى الكعبة ولم يكن له من ولد غير إسماعيل، يطلب من الله طلبين في ذريته:

أولهما: أن يجنبهم عبادة الأصنام، وثانيهما: أن يعث فيهم نبياً منهم.

وإذ شهد الواقع بتحقيق الطلب الثاني فإن محمداً قد أرسل؛ يكون الطلب الأول قد تحقق أيضاً.

وفي القرآن أن الله قد عاهد إبراهيم وإسماعيل بتطهير الكعبة من الأصنام ولم يذكر أنهم نقضوا العهد. كما ذكر أن اليهود نقضوا في قوله (فبما نقضهم ميثاقهم ..) (النساء: ١٥٥، المائة: ١٣) . وأما قوله تعالى:

{أفرايتم اللات والعزى ومناة..} [النجم: ٢٠١٩]. فإن في التوراة أن اليهود عبدوا صنم مناة. والضمير في (أفرايتم) يحتمل أنه للعرب ويحتمل أنه لليهود. واحتمال عوده إلى اليهود أقوى لوجود شواهد في التوراة عليه. ولا يقدر عاقل على اتهام بدليل محتمل. وأما قوله تعالى: {وإذا الموءودة سئلت بأي ذنب قتلت} [التكوير: ٩٨]. ففي التوراة أن اليهود وأدوا نبيهم وبناتهم. وليس في القرآن من نص صريح على نسبة الواد إلى العرب. (١)

## السابع عشر : هل كان الإنجيل موجودا على زمن موسى .

سؤال : جاء في سورة الأعراف ١٥٥ \_ ١٥٩ خطاب الله لموسى ومن معه بأن محمد صلى الله عليه وسلم مكتوب في التوراة والإنجيل مع ان الانجيل نزل بعد موسى بألفي سنة ، فلماذا ذكر الله الإنجيل في هذا الموقف مع انه لم ينزل بعد !؟

### الرد على الشبهة :

لنستعرض آيات سورة الأعراف ١٥٥-١٥٩ لكي يتضح المعنى :

{واختار موسى قومه سبعين رجلا لميقاتنا فلما أخذتهم الرجفة قال رب لو شئت أهلكتهم من قبل وإياي أهلكنا بما فعل السفهاء منا إن هي إلا فتنتك تضل بها من تشاء وتهدي من تشاء أنت ولينا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الغافرين . ١٥٥ واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة وفي الآخرة إنا هدنا إليك قال عذابي أصيب به من أشاء ورحمتي وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون . ١٥٦ الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم . فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون . ١٥٧ قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعا الذي له ملك السماوات والأرض لا إله إلا هو يحيي ويميت فآمنوا بالله ورسوله النبي الأمي الذي يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون . ١٥٨ ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون . ١٥٩ }

ان خطابه تبارك وتعالى لموسى عليه السلام وذكره للإنجيل قبل نزوله انما هو من باب الإخبار بما سيكون وفيه تبشير له ببعثة محمد ﷺ ، وهذا واضح لقوله تعالى : فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة . . إلى آخر الآيات . (٢) لفت الله سبحانه وتعالى بني اسرائيل الى الذين سيؤمنون برسوله الأمي وأنه سيشمل برحمته العريضة أناسا بعدهم ، وأشاد بصفاتهم استنهاضا لهمم بني اسرائيل إلى التحلي بها . وبشرهم ببعثة هذا الرسول الأمي صلوات ربي وسلامه عليه . هذا ويجوز ان يكون قوله تبارك وتعالى : {الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والإنجيل} هو كلام مستأنف جديد بعد أن انهى الكلام عن سيدنا موسى عليه السلام . وقوله : {يأمرهم بالمعروف} خبرا له فيزول الاشكال من أصله . (٣) ويقول الدكتور محمد عزه دروزه حول هذه الآيات :

(١) - المصدر السابق ، شبهة رقم ١١٢

(٢) - انظر تفسير العلامة الشوكاني " فتح القدير " (٢/٢٧٨) دار ابن كثير ، دار الكلم الطيب - دمشق ، بيروت الطبعة: الأولى - ١٤١٤ هـ

(٣) - إعراب القرآن للباقولي الجزء الاول ص ٤٨١

ان في القرآن الكريم استطرادات كثيرة مثل الاستطراد الذي تضمنته الآيتان ، وهو متناسب جدا مع السياق وفي مثابة بدل بياني آخر للذين سيكتب الله لهم رحمته مما جاء في الآية التي قبله : { ورحمتي وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون } حيث جاء بعدها { الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والإنجيل . . } .

وجاء في قصص الانبياء حول هذه الآيات الكريمات: قال الله تعالى : { واختر موسى قومه سبعين رجلا لميقاتنا فلما أخذتهم الرجفة قال رب لو شئت أهلكتهم من قبل وإياي أهلكنا بما فعل السفهاء منا إن هي إلا فتنتك تضل بها من تشاء وتهدي من تشاء أنت ولينا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الغافرين . واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة وفي الآخرة إنا هدنا إليك } . هذه كانت كلمات موسى لربه وهو يدعو ويتضرع . ورضي الله تعالى عنه وغفر لقومه فأحياهم بعد موتهم ، واستمع المختارون في هذه اللحظات الباهرة من تاريخ الحياة إلى النبوة بمجيء محمد بن عبد الله ﷺ قال تعالى : { قال عذابي أصيب به من أشاء ورحمتي وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون . الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم . فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون } . سنلاحظ طريقة الربط بين الحاضر والماضي في الآية، إن الله تعالى يتجاوز زمن مخاطبة الرسول في الآيات إلى زمنين سابقين، هما نزول التوراة ونزول الإنجيل، ليقرر أنه (تعالى) بشر بمحمد في هذين الكتابين الكريمين. نعتقد أن إيراد هذه البشري جاء يوم صحب موسى من قومه سبعين رجلا هم شيوخ بني إسرائيل وأفضل من فيهم، لميقات ربه. في هذا اليوم الخطير بمعجزاته الكبرى، تم إيراد البشري بآخر أنبياء الله عز وجل.

## الثامن عشر : الوادى طوى

إنه لا يوجد وادى اسمه " طوى " في سيناء. فمن أين جاء به القرآن ؟

**الرد على الشبهة:** إنه فهم من قوله تعالى : { إني أنا ربك فاخلع نعليك إنك بالواد المقدس طوى } [طه: ١٢] أن (طوى) اسم للوادى المقدس. وفهمه خاطئ. وذلك لأن الله لما عبر عن السموات بأنها { مطويات بيمينه } [الزمر: ٦٧] يعنى بذلك: أن لا إله غيره يملك من أمر السموات من شيء. عبر عن الأرض بأنها في ملكه وليس لإله آخر فيها من شيء. فالطى في السماء كناية عن القدرة والطفى في الأرض كناية عن القدرة. والكناية مناسبة للواد المقدس ؛ والمقصود الأرض كلها لئلا يظن أن التقديس لغيره. وكرر الله المعنى في السموات فقال: { يوم نطوى السماء كطى السجل للكتب } [الأنبياء: ١٠٤]. وشبهه أن تكون الأرض (طوى) أى في قبضته.

وفي الرسالة إلى العبرانيين: " وأنت يا رب في البدء أسست الأرض ، والسموات هي عمل يديك. هي تبديد ولكن أنت تبقى وكلها كثوب تبلى ، وكرداء تطويها؛ فتتغير، ولكن أنت أنت، وسنوك لن تفنى " [عب ١: ٢٢.٢٠] فقد عبر عن طيها بطى الرداء ، فيكون المعنى { إنك بالوادى المقدس } الذى سيصير (طوى) بمعنى مطوى كما أن السماء ستكون مطوية بقدرته.

وهنا هو لا يعترض على القرآن بل على التفاسير ، وهو جانب آخر من إعجاز القرآن يزيد في إثباته وذلك أن كلام البشر من العلماء والمفسرين قد يختلف ويؤخذ منه ويرد ؛ ولكن كلام الله لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، شيء عجيب حقا ذلك القرآن الذي يقف أمام هؤلاء جميعا بكل ذلك الفهم الخاطئ والتصيد المستمر وإذ به يتعالى عليهم ويبقى في عليائه معجزا للبشر إلى يوم الدين.(١)

## التاسع عشر : هل إسماعيل أبا ليعقوب كما ذكر القرآن ؟؟

يقول السؤال : إني لا أفهم هذه الآية {أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت إذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدي قالوا نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ..} ، لأنني أعلم أن إسماعيل عم يعقوب . الأب في اللغة يطلق حقيقة ومجازا: فأما الحقيقي فيطلق على الوالد ؛ لأنه يغذو ولده. وأما المجازي: فيطلق على كل من كان سببا في إيجاد شيء، أو صلاحه أو ظهوره، كما في قوله تعالى: {الني أولى بالمؤمنين من أنفسهم} [الأحزاب: ٦] قرئ بزيادة: وهو أب لهم ومعناها صحيح، ويسمى العم مع الأب أبوان وكذلك الأم مع الأب، وكذلك الجد مع الأب ، كما في الآية المسئول عنها، فإسماعيل لم يكن من آبائهم، وإنما كان عمهم حقيقة، وبعضهم يقول هنا: هذا الإطلاق على التغليب . وفي السنة قال النبي ﷺ عن عمه العباس لعمر -رضي الله عنهما- : (أما شعرت أن عم الرجل صنو أبيه) (٢)، وقال: "الحالة بمنزلة الأم" (٣). ومن إطلاق الأب على الجد العالي قوله تعالى: {كما أخرج أبايكم من الجنة} [الأعراف]، وهما: آدم وحواء ، ومن السنة : (ارموا بني إسماعيل فإن أباكم كان راميا) (٤). وفي القرآن يأتي الأب ويراد به أربعة معاني - وهي(٥) :

الأب الأصلي الأدنى : كما هو واضح في مثل قوله تعالى : {وورثه أبواه} [النساء: ١١]، وقوله تعالى: {وإذ قال إبراهيم لأبيه آزر} [الأنعام: ٧٤] على الصحيح ، {وأبونا شيخ كبير} [القصص: ٢٣]. ويطلق ويراد به الأب الأعلى: كما في قوله : {واتبعت ملة آبائي إبراهيم وإسحاق ويعقوب} [يوسف: ٣٨]، وقوله تعالى: {ملة أبييكم إبراهيم} [الحج: ٧٨]، ويطلق ويراد به العم: كما في الآية المسئول عنها . ويطلق ويراد به الحالة ، ومثاله قوله تعالى عن يوسف: {ورفع أبويه على العرش} [يوسف: ١٠٠]

. قلت: -إن صح الخبر في الرابع - ولكن الظاهر أن الأبوين حقيقة أمه وأبوه ، والله أعلم .

ثم قوله : { وإله آبائك } جمع أب؛ ثم بينوا الآباء بقولهم: { إبراهيم وإسماعيل وإسحاق } ؛ { إبراهيم } بالنسبة إلى يعقوب جد؛ و { إسماعيل } بالنسبة إليه عم؛ و { إسحاق } بالنسبة إليه أب مباشر؛ أما إطلاق الأبوة على إبراهيم، وعلى إسحاق فالأمر فيه ظاهر؛ لأن إسحاق أبوه، وإبراهيم جده؛ والجد أب؛ بل قال الله عز وجل لهذه الأمة: {ملة أبييكم إبراهيم} [الحج: ٧٨] ؛ وهي بينها وبين إبراهيم عالم؛ لكن الإشكال في عددهم إسماعيل من آبائه مع أنه عمهم؛ فيقال كما قال النبي صلى الله عليه وسلم لعمر رضي الله عنه: «أما

(١) - الشبهة رقم ٧٢ من شبهات المشككين

(٢) - رواه البخاري (١٤٦٨)، ومسلم (٩٨٣)، واللفظ له من حديث أبي هريرة -رضي الله عنه-

(٣) - متفق عليه عند البخاري (٢٦٩٩)، ومسلم (١٧٨٣) من حديث البراء بن عازب -رضي الله عنه-

(٤) - رواه البخاري (٢٨٩٩) من حديث سلمة بن الأكوع -رضي الله عنه-

(٥) - ابن الجوزي في الوجوه والنظائر ص ١١١-١١٢

شعرت أن عم الرجل صنو أبيه» ؛ و«الصنو» الغصنان أصلهما واحد؛ فذكر مع الآباء؛ لأن العم صنو الأب؛ وكما قال الرسول صلى الله عليه وسلم: «الخالة بمنزلة الأم» ؛ كذلك نقول: العم بمنزلة الأب؛ وقيل: إن هذا من باب التغليب، وأن الأب لا يطلق حقيقة على العم إلا مقرونا بالأب الحقيقي؛ وعلى هذا فلا يكون فيها إشكال إطلاقاً؛ لأن التغليب سائغ في اللغة العربية، فيقال: «القمران»؛ والمراد بهما الشمس، والقمر؛ ويقال: «العمران»؛ وهما أبو بكر، وعمر . وقوله تعالى: { إبراهيم } بدل من { آباءك }؛ أو عطف بيان؛(١)

## العشرون: الرد على شبهة حول خلاف القرآن للكتاب المقدس في عصر

### نمرود

حول خلاف القرآن للكتاب المقدس في عصر نمرود حسب قول القرآن والمفسرين ألقى نمرود بإبراهيم في النار [ الأنبياء: ٦٩: ٦٨ ] وليس من المعقول أن يكون نمرود حيا في زمن إبراهيم عليه السلام [الكتاب المقدس سفر التكوين ٨: ١٠ ، ١١ ، ١٠ : ٢٢ ، ، ١١ : ٢٦ : ١٣] . . . . الرد على الشبهة:

في قصص القرآن الكريم عن إبراهيم الخليل عليه السلام مشاهد عديدة.. منها معجزة نجاته من التحريق بالنار ، بعد أن حطم أصنام قومه التي يعبدونها: { قالوا حرقوه وانصروا آلهتكم إن كنتم فاعلين \* قلنا يا نار كوني بردا وسلاما على إبراهيم \* وأرادوا به كيدا فجعلناهم الأخرسين } .ويحكي القرآن محجة إبراهيم للملك في سورة البقرة: { ألم تر إلى الذي حاج إبراهيم في ربه أن آتاه الله الملك إذ قال إبراهيم ربى الذى يحيى ويميت قال أنا أحيى وأميت قال إبراهيم فإن الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذى كفر والله لا يهدى القوم الظالمين } .والقرآن الكريم لم يسم الملك الذى حاج إبراهيم في ربه « لأن قصد القرآن من القصص هو مضمون المحاجة ، والعبارة منها.. واسم الملك لا يقدم ولا يؤخر في المضمون والعبارة. أما تسمية هذا الملك الذى حاجه إبراهيم ب " النمرود " والاختلاف في نطق اسمه. ومدة ملكه.. فجميعها قصص تاريخي ، أورده المفسرون.. فهو غير ملزم للقرآن الكريم (٢) .. ومن ثم لا يصح أن يورد ذلك كشبهة تثار ضد القرآن.. فليس لدينا في التاريخ الموثق والمحقق ما يثبت أو ينفي أن اسم الملك الذى حاج إبراهيم الخليل في ربه هو " النمرود " . وإنما هو قصص تاريخي يحتاج إلى تحقيق..

ولقد راجعت العهد القديم ، في المواضع التي جاء ذكرها في السؤال [سفر التكوين الإصحاح ٨: ١٠ ، ١١ والإصحاح ١٠: ٢٢ ،، والإصحاح ١١ : ٢٦ : ١٣] وهى تحكى عن قبائل نوح ، ومواليد ابنه سام ، فلم أجد فيها ذكر الملك " النمرود " .

وفي " دائرة المعارف الإسلامية " التي كتبها المستشرقون وقد حرر مادة " إبراهيم " فيها " ج . إنزبرغ " يأتي ذكر الملك نمرود في قصة إبراهيم دون اعتراض.. وفي أثنائها إشارات إلى مصادر عبرية أشارت إلى النمرود منها [ دلالة الخائرين لموسى بن ميمون الفصل ٢٩ ] .. ومنها " سفر هياشار " فصل نوح.. وتأتى الإشارة إلى " نمرود " الملك في سفر التكوين بالعهد القديم الإصحاح ١٠ : ١١ باعتباره " الذى ابتداءً يكون جبارا في الأرض

(١) - الإجابة للشيخ / عبد الحكيم القاسم مقال منشور على الإنترنت .

(٢) - القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ، ج ٣ ص ٢٨٣، ٢٨٥، والزمخشري ، الكشاف ، ج ١ ص ٣٠٥ ، مراجع سابقة .

"..وبه كان يضرب المثل في التجبر.. " وكان ابتداء مملكته بابل وأرك وأكد وكلنة من أرض شنغار. من تلك الأرض خرج آشور وبني نينوى.. " إلخ.. إلخ.. وأخيراً.. فليس هناك ما يمنع تكرار لاسم " نمرود " لأكثر من ملك في أكثر من عصر وتاريخ.. ويبقى أن الشبهة إذا كانت هناك شبهة خاصة بالقصص التاريخي.. ولا علاقة لها بالقرآن الكريم..(١)

## الحادي والعشرين: يمدح القرآن الإسكندر الأكبر (ذو القرنين) كعبد صالح يؤمن بالله ١٨ : ٨٧ . ٨٨. ولكن جميع مؤرخي الإغريق يجمعون على أنه كان من عبدة الأوثان. فكيف يصح ذلك؟

الجواب:

في القرآن [الكهف: ٨٣ . ٩٨] حكاية ذى القرنين: {ويسألونك عن ذى القرنين قل سأتلو عليكم منه ذكراً. إنا مكنا له في الأرض وآتيناه من كل شيء سبباً} [٨٣، ٨٤] إلى آخر الآيات.. وخلال هذه الآيات يتبدى عدل (ذى القرنين) ، فيقول: {قال: أما من ظلم فسوف نعذبه ثم يرد إلى ربه فيعذبه عذاباً نكراً. وأما من آمن وعمل صالحاً فله جزاء الحسنى وسنقول له من أمرنا يسراً} [٨٧، ٨٨] .. تلك هي تسمية القرآن الكريم لهذا الملك (ذى القرنين) .

أما أن ذا القرنين هذا هو الإسكندر الأكبر المقدوني (٣٥٦ - ٣٢٤ ق.م) فذلك قصص لم يخضع لتحقيق تاريخي.. بل إن المفسرين الذين أوردوا هذا القصص قد شككوا في صدقه وصحته.. فابن إسحق (١٥١ هـ / ٧٦٨ م).. مثلاً.. يروى عن " من يسوق الأحاديث عن الأعاجم فيما توارثوا من علم ذى القرنين " أنه كان من أهل مصر، وأن اسمه " مرزبان بن مردية اليوناني " ..

أما الذى سماه " الإسكندر " فهو ابن هشام (٢١٣ هـ ٨٢٨ م) الذى لخص وحفظ (السيره) لابن إسحق.. وهو يحدد أنه الإسكندر الذى بنى مدينة الإسكندرية فنسبت إليه..

وكذلك جاءت الروايات القائلة إن (ذا القرنين) هو الإسكندر المقدوني عن (وهب بن منبه) (٣٤ . ١١٤ هـ / ٦٥٤ . ٧٣٢ م) <sup>٢</sup>، وهو مصدر لرواية الكثير من الإسرائيليات والقصص الخرافي.

ولقد شكك ابن إسحق . وهو الذى تميز بوعى ملحوظ فى تدوين ونقد القصص التاريخي . شكك فيما روى من هذا القصص الذى دار حول تسمية ذى القرنين بالإسكندر، أو غيره من الأسماء.. وشكك أيضاً فى صدق ما نسب للرسول ﷺ حول هذا الموضوع.. وذلك عندما قال ابن إسحق: " فالله أعلم أى ذلك كان؟ .. أقال رسول الله . ﷺ ذلك أم لا؟ " . ويثنى القرطبي على شك وتشكيك ابن إسحق هذا، عندما يورده، ثم يقول: " والحق ما قال " .. أى إن الحق هو شك وتشكيك ابن إسحق فى هذا القصص، الذى لم يخضع للتحقيق والتمحيص، وإن يكن موقف ابن إسحق هذا، وكذلك القرطبي ،

(١) - حقائق الاسلام في مواجهة شبهات المشككين ، شبهة رقم ٤٢

(٢) - الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي ج ١١ ص ٥٠.

هو لون من التحقيق والتمحيص. فليس هناك، إذن، ما يشهد على أن الإسكندر الأكبر المقدوني الملك الوثني هو ذو القرنين العادل والموحد لله. (١)

## الثاني والعشرون: الطعن في قصة سليمان عليه السلام مع بلقيس والهدهد:

قال الإمام الرازي: (أن الملاحظة طعن في هذه القصة من وجود: أحدها: أن هذه الآيات اشتملت على أن النملة والهدهد تكلمتا بكلام لا يصدر ذلك الكلام إلا من العقلاء، وذلك يجر إلى السفسطة، فإننا لو جوزنا ذلك لما أمنا في النملة التي نشاهدها في زماننا هذا أن تكون أعلم بالهندسة من إقليدس وبالنحو من سيوييه، وكذلك القول في القملة والصئبان، ويجوز أن يكون فيهم الأنبياء والتكليف والمعجزات. ومعلوم أن من جوز ذلك كان إلى الجنون أقرب.

وثانيها: أن سليمان عليه السلام كان بالشام، فكيف طار الهدهد في تلك اللحظة اللطيفة من الشام إلى اليمن، ثم رجع إليه.

وثالثها: كيف خفي على سليمان عليه السلام حال مثل تلك المملكة العظيمة مع ما يقال إن الجن والإنس كانوا في طاعة سليمان، وأنه عليه السلام كان ملك الدنيا بالكلية، وكان تحت راية بلقيس حال طيران الهدهد إلا مسيرة ثلاثة أيام؟.

ورابعها: من أين حصل للهدهد معرفة الله تعالي ووجوب السجود له وإنكار سجودهم للشمس وإضافة إلي الشيطان وتزينه؟) (٢).

الجواب: والحقيقة أن هذه الطعون - التي عرض لها محمد خلف الله (٣) - لا تقوم في مجموعها أو تفصيلاً كما مستند للطعن في شيء من القرآن الكريم، وسيكون ردنا عليها نقضاً لكل من يستدل بها وذلك على النحو التالي:

(أ) فيما يتصل بكلام الهدهد والنملة - فقد أصبح من المقطوع به الآن عند العلماء الذين يدرسون سلوك أنواع الطير والحيوان والحشرات، أن لكل منها لغة تقوم مقام اللغة المعهودة عند البشر، في التعبير ونقل الأحاسيس والمعارف، على نحو ما ماتزال تفاصيله مجهولة من البشر، لكن المقطوع به من شواهد كثيرة جداً أن لكل منها نوعاً من اللغة يتم به الإتصال بين أفرادها، وقد سجل بعض العلماء تسجيلات صوتية لأنواع من الطيور في حالة الفزع نقلت إليهم - في غاية من الوضوح - هذه المشاعر والمعاني (٤).

(١) - شبهات المشككين ، شبهة رقم ٤٣

(٢) - مفاتيح الغيب للرازي المسمى بالتفسير الكبير ١٩٠/٢٤-١٩١

(٣) - محمد خلف الله في كتابه "الفن القصصي في القرآن الكريم" سينا للنشر، القاهرة، الطبعة الرابعة ١٩٩٩، وإن كان هو لم يتدعها بل أخذها من المستشرقين مثل المستشرق الألماني هوروفيتش و بروكلمان . وأما الطبعة الأولى فقد طبع عام ١٩٥١. وقد أشرف على الرسالة أمين الخولي - زوج عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطي) - مقرأ له على كل ما قال ، وقد أحدثت هذه الرسالة ضجة مدوية في وقتها حيث تقدم الطالب محمد أحمد خلف الله عام ١٩٤٧ في كلية الآداب بجامعة فؤاد رسالة للحصول على الدكتوراة عن "الفن القصصي في القرآن الكريم" ، وقرر فيها أن القرآن يذكر أشياء لم تقع، وقد تم رفض الرسالة وفصل الطالب، انظر: "منهج المدرسة العقلية الحديثة للرومي" ص: ٤٤٥

(٤) - وقد استخدم هذا تجريباً في زجر الطير لاقط الحب عن أماكن هذه الحبوب بإذاعة تسجيلات التحذير والفزع. والعلماء الآن يحاولون التعرف على منطق بعض الطير.

فلم يعد يشك الآن في أن كل نوع من الأحياء له لغة خاصة بأفراده، وهذا أمر واضح لكل من يراقب سلوك الطيور والحشرات، بل إن بعض العلماء يذهبون إلى أن أنواع النبات هي الأخرى تملك لغة واتصالا فيما بينها، على نحو ما - مما لا يتسع المجال لتقرير القول فيه، ولا يتطلبه.

فما العجب بعد هذا من أن تتكلم النملة، ويتكلم الهدهد، بكلام يفهمه سليمان عليه السلام لأنه - كما ورد في القرآن الكريم - علم منطق الطير وأوتي من كل شيء [النمل: ١٦] ؟ أما أنهم تكلموا بكلام يدل على شيء من العقل فإن من يراقب سلوك الطير والحشرات فسوف يدرك بغاية من الوضوح أن سلوكهم يجرى على نظم من الوعي والتدبير والعمل من أجل غايات تهديهم إليها غرائهم وفطرتهم، وعلى المعاند في هذا أن يقرأ شيء عن سلوك الحشرات والطيور في كتب العلم التجريبي، وسوف يذهله ما يقرأ، وعليه أن يراقب العمل والنظام في (مملكة النحل) أو في (عالم النمل وقراه التي ينشئها) .. وليس ذلك كله إلا مصدقا لقوله تعالي {ربنا الذي أعطي كل شيء خلقه ثم هدى} [طه: ٥٠] وقوله: {وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم ما فرطنا في الكتاب من شيء ثم إلى ربهم يحشرون} [الأنعام: ٣٨] ، وهو الذي تدل عليه بحق كافة مشاهدات العلماء المحققين. والمتشكك في ذلك إنما هو المستحق لسخرية الساحرين! فما العجب إذن في أن تتكلم نملة ويتكلم هدهد؟ وما العجب في أن يفهم عنهما من عرف لغة كل منهما؟

ولا يجر ذلك - كما زعم الملاحدة الطاعنون - إلي شيء من السفسطة التي ذكروها، فلم يقل القرآن الكريم بشيء من ذلك، إنما قال بما تدل عليه ملاحظة هذه الأنواع، وهو أن لها منطقا، أما علم الهندسة، والنحو، والتكاليف، والمعجزات؛ فإنما هو من قول الملاحدة الذي يرد عليهم، لأننا لا نحمل القرآن الكريم إلا ما نطق به لا ما قام في أوهام الملاحدة.

(ب) فيما يتصل بطيران الهدهد من الشام إلى اليمن، ثم الرجوع إلى الشام، فالذي ورد في القرآن الكريم عنه قوله تعالي: {فمكث غير بعيد...} [النمل: ٢٢] ، وليس في القرآن الكريم تحديد أن الهدهد مكث " لحظة " كما يقول هؤلاء، ولا يفهم من " غير بعيد " في سياقها إلا مدة تكفي للطيران، وقد قرئت على صفحاء العرب من المشركين في عصر الرسالة - وهم أعلم باللغة، وكانوا يعرفون اليمن والشام - فما أثاروا - فيما علمنا - هذا الاعتراض، فعلم منه أن التعبير القرآني يخلوا عن دواعي اعتراض هؤلاء الملاحدة.

(ج) أنا كيف خفي على سليمان حال مملكة سبأ - فإن القرآن الكريم لم يصفه بأنه كان يعرف الغيب، وقد كان هذا غيبا بالنسبة إليه، وليس فيما وصف القرآن الكريم به سليمان عليه السلام إلا تسخير الرياح والشياطين وتعليم منطق الطير وإيتاء الملك الذي لا ينبغي لأحد بعده، لكن ليس فيه شيء من وصفه بعلم غير ما علمه الله له، فما العجب في أن تكون في الأرض أشياء وممالك كان سليمان - مع عظمة ما أعطاه الله له - يجهلها؟ إن القرآن الكريم لا يذكر شيئا عن أن سليمان - عليه السلام - كان ملك الدنيا كلها بأكملها - كما يزعم هؤلاء الطاعنون - ولعل مستندهم في هذا إنما هو بعض المبالغات الإسرائيلية التي لم يرد لها ذكر في الوحي القرآني.

أما إذا كان واحد منهم قد فهم ذلك من قوله تعالى: {وحشر لسليمان جنوده من الجن والإنس والطير فهم يوزعون} [النمل: ١٦] ، فهو لا يعرف شيئاً عن أساليب البيان العربية، لأن (من) هنا للتبويض، وليس المعنى أن كل الأنس - دون استثناء - كانوا تحت ملكه.

ولعل الذي جر الطاعنين إلي طعنهم ما ذكروه هم من أنه كان تحت راية ملكة سبأ اثنا عشر الف ملك تحت راية كل منهم مائة ألف !

وليس في نصوص القرآن الكريم شيء من هذا مطلقاً، والعدد الذي ذكروه يجاوز بكثير جداً ما يمكن أن يكون موجوداً عندئذ من عدد السكان، وهو يذكرنا بما نقله ابن خلدون من مبالغات المؤرخين القدماء، وما حذر منه (فيكو) من غرور الأمم حين تكتب تاريخها - فكيف تحمل هذه المبالغات على نصوص القرآن الكريم التي لم تعرض لها إطلاقاً؟

فلا عجب إذن أن يجهل سليمان - عليه السلام - أمر ملكة سبا مع كل ما أعطاه الله له، لأنه لم يعطه علم كل ما في الأرض، ولم تكن هناك اتصالات منتظمة بين الممالك بحيث تعرف كل منها الأخرى، وتتصل بها على النحو الذي نعهده في عصرنا والذي حدث بعد ذلك بحكم التطور العمراني، ولم تكن الجن التي سخرت لسليمان - عليه السلام - أيضاً تعرف الغيب كما ورد في قوله تعالى: {فلما قضينا عليه الموت ما دلهم على موته إلا دابة الأرض تأكل منسأته فلما خر تبينت الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين} [سبأ: ١٤] .

(د) أما من أين حصل للهدهد معرفة الله تعالى ووجوب السجود له وإنكار سجودهم للشمس وإضافته إلي الشيطان وتزيينه؟ وإنما كان الهدهد من جند سليمان عليه السلام، والآيات تتكلم عن أمر (غيب) لا يقاس على معرفة البشر الآن بأحوال الطير، وما المانع من أن تكون فطرة كافة المخلوقات عارفة بوجوب السجود لله تعالى وحده، وقد جاء في القرآن الكريم شاهداً بذلك قوله تعالى: (اولم يروا إلي ما خلق الله من شيء يتفيؤ ظلاله عن اليمين والشمائل سجداً لله وهم داخرون والله يسجد ما في السموات وما في الأرض من دابة والملائكة وهم لا يستكبرون ) [النحل: ٤٨-٤٩] وقوله: {والنجم والشجر يسجدان} [الرحمن: ٦] وقوله: {الم تر ان الله يسبح له من في السموات والأرض والطير صافات كل قد علم صلاته وتسيحه والله عليم بما يفعلون} [النور: ٤١] وقوله {تسبح له السموات السبع والأرض ومن فيهن وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم إنه كان حليماً غفوراً} [الإسراء: ٤٤] ... فما العجب بعد هذا كله أن يكون الهدهد من جند سليمان - عليه السلام - عارفاً لوجوب السجود لله تعالى وحده منكر السجود لغيره؟

إن القضية - فيما نرى قضية إخبار عن الغيب لا تصل معرفة البشر التجريبية أو العقلية إلى شيء يستند إليه إنكار هذا الإخبار الذي يجاوز حدود هذه المعرفة، فالمؤمنون بالغيب وبصدق الوحي القرآني يؤمنون به، والمكذبون ينكرون بكل ما لا يقع منهم تحت حس مباشر أو تجربة مادية، لكنهم في مثل هذه القضايا الغيبية لا مستند لهم في إنكارهم إلا محض الشك والتكذيب وقياس الغائب على الشاهد وتحكيم عقولهم القاصرة فيما هو من علم الغيب، ... ولسنا نملك لهؤلاء وسيلة تحملهم على الإيمان بالغيب وعدم قياس الأمور

فيه على علم الشهادة البشرية. {ومن يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيئاً أولئك الذين لم يرد الله ان يظهر قلوبهم لهم في الدنيا خزي ولهم في الآخرة عذاب عظيم} [المائدة: ٤١] .

.... وبهذا يتبين لنا أنه ليس فيما ورد من قصة سليمان في سورة النمل ما يطعن في صحة شيء مما ورد في القرآن الكريم (١).

وقد ذكر خلف الله طعوناً أخرى لكنها لا تدخل في موضوع (دعوى معارضة القرآن للحقائق التاريخية) ، لذلك لم أذكرها، وإن كان من رد على خلف الله ذكرها؛ لأني لا أرد على كتاب خلف الله، بل أرد على من زعم هذه الدعوى، وأغلب إشكالاته من باب تعارض الآيات بعضها مع بعض ، وقد أجبنا على أكثرها في المطلب السابق (٢).

### **الثالث والعشرون: عيسى يتكلم في المهد : إنه قد جاء في القرآن أن المسيح قد تكلم في المهد. وليس في الأناجيل ما يدل على كلامه في المهد.**

الرد على الشبهة:

إن مريم لم تكن مخطوبة ولا متزوجة. وقد أحصنت فرجها. أي منعت نفسها عن الزواج طيلة حياتها وسلكت في سلك الرهبنة. ثم إنها ابنة كاهن من نسل هارون . عليه السلام . وابنة الكاهن إذا زنت فإنها تحرق بالنار. لما جاء في سفر الأخبار: " وإذا تدنست ابنة كاهن بالزنا؛ فقد دنست أباهما، بالنار تحرق " [لا ٢١ : ٩] . ومريم قد أتت بولد وهي غير متزوجة. وهذا هو دليل الاتهام فلماذا لم تحرق؟ إن عدم حرقها يدل على أن ابنها تكلم في المهد. ومع ذلك فقد جاء في بعض الأناجيل المرفوضة أنه تكلم في المهد. ومن ذلك: " وبينما كانوا نياماً؛ حذرهم الطفل من الذهاب إلى هيرودس " [بر ٧ : ١٠] .

(١) - مدخل إلى علم التفسير للدكتور محمد بلتاجي (ص: ٢٣٦). مكتبة الشباب:، مصر، ١٩٩٨.

(٢) - دعاوى الطاعنين في القرآن الكريم في القرن الرابع عشر الهجري والرد عليها ، عبد المحسن بن زين بن متعب المطيري ص ٣٦٥ - ٣٧٠ مرجع سابق

## المبحث الثالث:

### الطعون والتوهّمات حول عيسى بن مريم والمسيحية في القرآن

قال ابن تيمية رحمه الله: (فتبين أنهم (أي النصارى) يريدون أن يحرفوا القرآن كما حرفوا غيره من الكتب المتقدمة، وأن كلامهم في تفسير المتشابه من الكتب الإلهية من جنس واحد) (١). وقال رحمه الله في شأن ما يستدل به النصارى من آيات الذكر الحكيم: (ان جميع ما يحتجون به من هذه الآيات وغيرها، فهو حجة عليهم لا لهم، وهكذا شأن جميع أهل الضلال إذا احتجوا بشيء من كتاب الله وكلام أنبيائه، كان في نفس ما احتجوا به ما يدل على فساد قولهم، وذلك لعظمة كتب الله المنزلة على أنبيائه، فإنه جعل ذلك هدى وبيانا للخلق وشفاء لما في الصدور، فلا بد أن يكون في كلام الأنبياء صلوات الله عليهم وسلامه أجمعين من الهدى والبيان ما يفرق الله به بين الحق والباطل، والصدق والكذب، لكن الناس يؤتون من قبل أنفسهم، لا من قبل أنبياء الله تعالى) (٢). فلأمر كما قال الله: {وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خِائِنَةٍ مِّنْهُمْ} [المائدة: ١٣]!

### أولاً: القرآن وألوهية المسيح.

قالوا: القرآن وافق المسيحية في معتقداتها وبخاصة تأليه المسيح، فقد ذكر بأنه كلمة الله وروحه: {إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ} [النساء: ١٧١]، فهذا عين ما يقوله النصارى عنه، فكلمة الله ليست مخلوقة، بل هي كلمة أزلية، وكذلك روحه هي حياته، وإذا كان كذلك فالمسيح أزلي، والأزلية من لوازم الربوبية والألوهية. وذلك يجعل (من) للتبعيض - روح من الله -- وكلمته التي تجسدت وصارت إنساناً. كما يقول فندير: "توجد بعض الآيات الأخرى التي تعطي له [أي عيسى] أعظم الألقاب التي لم تعط لغيره فيه [أي في القرآن] البتة، منها: كلمة الله وهذا اللقب لا يصح أن يسمى به أي مخلوق كان" (٣) هكذا يزعم المنصرين والقسس.

ومضى بعضهم إلى القول: إن القرآن المكّي كان يمتدح النصارى ويتقرب إليهم بسبب علاقة النبي ﷺ بخديجة ابنة عم ورقة بن نوفل وبالنجاشي الذي آوى المسلمين في الحبشة، وأن القرآن المدني هو الذي سجل موقفاً رافضاً للمسيحية، خلافاً للقرآن المكّي.

وفي الجواب نقول: تتكامل الآيات المكّية والمدنية في رفض مظاهر الشرك المسيحية المتمثلة في عبادة المسيح عليه السلام والقول بالثالوث. ولعله يحسن أن نبدأ بما جاء في السور المكّية حول هذا الموضوع، ثم ننتقل إلى المدنية منها. ففي الحبشة وقف المسلمون الملتجئون إلى النجاشي بين يديه فسألهم: ما تقولون في عيسى ابن مريم؟ فقال له جعفر بن أبي طالب: نقول فيه الذي جاء به نبينا، هو عبد الله ورسوله وروحه وكلمته ألقاها إلى

(١) - (الجواب الصحيح ٢٧٤/٣) لابن تيمية، الناشر: دار العاصمة، السعودية، الطبعة: الثانية، ١٤١٩هـ / ١٩٩٩م

(٢) - (الجواب الصحيح ٤٣/٤) مرجع سابق

(٣) - عبد الرحمن الخزري: "أدلة اليقين في الرد على ميزان الحق وغيره من مطاعن المشركين" ص (٣٥٩). الطبعة الأولى ١٩٣٤/١٣٥٣.

مریم العذراء البتول " (١)، وهذا القول مصداق ما أنزل الله: { قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا وَبَرًّا بِوَالِدِيٍّ وَمَا يَجْعَلُنِي جَبَّارًا شَقِيًّا وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ ۖ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ } [مریم: ۳۰ - ۳۷]، فهذه الآيات الملكية ناطقة بعبودية المسيح لله، وأنه مخلوق بكلمة (كن)، وأن الله متوعد بعذابه الذين خالفوا الحقيقة وتنكبوها في شخص المسيح.

ومن أراد مزيد بيان فليصخ السمع إلى التقرير الذي ترتحف لقوته الأفتدة وتهتز القلوب، تقرير يشنع فيه القرآن المكي على من زعم أن الله ولداً { وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِذَا تَكَاذُ السَّمَوَاتِ يَتَّقَطَّرَنَ مِنْهُ وَنَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَنَخْرُ الْجِبَالُ هَذَا أَنْ دَعَا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا إِنْ كُنْ مِنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتَى الرَّحْمَنُ عَبْدًا لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا } [مریم: ۸۸ - ۹۵].

لقد كان القرآن الكريم صريحاً في التشنيع على أقوال النصارى في المسيح، وإثبات عبوديته لله في الآيات الملكية والمدنية على السواء، ففي المكي يقول: { وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُونُ وَقَالُوا أَهْتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ } [الزخرف: ۵۷ - ۵۹]. ثم تمضي الآيات لتقول: { وَلَمَّا جَاءَ عِيسَى بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ وَلاَ بَيِّنٍ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَاطِيعُونَ إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ عَذَابٍ يَوْمَ أَلِيمٍ } [الزخرف: ۶۳ - ۶۵].

وفي المدني يقول الله: { لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلاَ الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا } [النساء: ۱۷۲]، وفي سورة المائدة: { وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِهْلِينَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعَلَّمَ مَا فِي نَفْسِي وَلاَ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَيَّ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ } [المائدة: ۱۱۶ - ۱۱۷]، فأى فرق يجده القارئ بين القرآني المكي والمدني؟!

وكما كان القرآن المكي صريحاً في اعتبار المسيح رسولاً من رسل الله الكرام { يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ } [الصف: ۶]، فإن القرآن المدني كان كذلك: { أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ انظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلاَ نَفْعًا وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ } [المائدة: ۷۵ - ۷۶].

وهكذا تبين بطلان الدعوى باختلاف حديث القرآن المكي عن المدني في المسيح عليه السلام، فالكلمة من عند الله علام الغيوب، إذا كان كذلك، فكيف يتوافق القول بعبودية المسيح مع القول بأنه كلمة الله وروح منه؟!

وبداية نبيه إلى أن هذا الاستدلال المغلوط قديم، قاله نصارى نجران بين يدي النبي ﷺ حين سألوه: "ألمست تزعم أنه كلمة الله وروح منه؟ فقال: «بلى». قالوا: فحسبنا. فأنزل الله عز وجل: { فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ } [آل عمران: ٧] (١)، فهذا القول من الفتنة لما فيه من التلبس اعتماداً على المتشابه من القول، أي ما يحتمل معاني مختلفة.

ولو قرؤوا الآية بتمامها لوجدوا فيها بيان ما تشابه عليهم، فهي تنعى عليهم غلوهم في شخص المسيح، وقولهم بأنه ابن الله، وأنه مشترك مع الله في الثالوث { يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ الْإِلَهَ الْحَقُّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَأَمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا } [النساء: ١٧١ - ١٧٢]، فالمسيح عبد الله ورسوله، وهو أيضاً كلمته وروح منه.

فماذا يعني قولنا: المسيح كلمة الله؟ هل يعني أنه عليه السلام صفة الكلام الأزلية لله؟ بالطبع: لا، فالمسيح كلمة الله المخلوقة، لا الكلمة التي يخلق الله بها خلقه [كن]، وهذا صريح القرآن { إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ وَبُكَرْتُمْ فِي الْمَهْدِ وَكَهَلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ } [آل عمران: ٤٥ - ٤٧]، فصرحت الآيات أن المسيح { كَلِمَةٌ مِنْهُ }، وأكمل السياق القرآني فوصفه بأنه مخلوق { اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ }.

فكيف تكون كلمة الله مخلوقة مع يقيننا بأن القرآن كلام الله المنزل غير المخلوق؟

ولتقريب معنى "كلمة الله" نضرب مثلاً بعبارة "اضطهاد اليهود"، فهي تدل على معنيين متغايرين صحيحين: الأول: "اضطهاد النازيين لليهود"، أي أنها تدل على المفعول. الثاني: "اضطهاد اليهود للفلسطينيين"، أي أنها تدل على الفاعل.

وهكذا اختلفت دلالة العبارة بين هذين المعنيين، ومثلها قولنا: "كلمة الله" فيمكن أن تدل على كلمة الله التي خلق بها الأشياء { إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ } [يس: ٨٢]، كما يمكن أن تدل على ما خلق بهذه الكلمة { إِنَّ مَثَلِ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ } [آل عمران: ٥٩]، والباحث عن الحق يختار منهما ما وافق السياق، وانسجم مع المعاني المحكمة؛ خلافاً لأصحاب القلوب المريضة الذين يختارون من المعاني ما يوافق أهواءهم؛ ولو خرج بالنصوص عن مساقها: { فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ } [آل عمران: ٧].

(١) - (الطبري في تفسيره (٣/١٧٧). مرجع سابق)

وسبب اختصاص المسيح بهذا الاسم الشريف دون غيره من المخلوقين بكلمة الله؛ أنه خلق من غير تدخل أبوي، خلق بأمر الله وكلمته التكوينية (كن)، ولما لم يكن للمسيح سبب بشري قريب ينسب إليه من جهة أبيه كغيره من الناس؛ فقد نُسب إلى السبب البعيد، وهو تخليقه بكلمة الله، التي تَخَلَّق وفق إرادة الله تبارك وتعالى (١). ومما يؤكد أن مقصود القرآن بالكلمة؛ كلمة الله التي كانت سبباً في وجوده، لا المعنى الفلسفي الذي يزعمه النصارى (اللوغس) ((logos) مصطلح لاهوتي مسيحي، يطلق على المسيح كلمة الله، بمعنى أنه عقل الله الناطق). قوله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ} [آل عمران: ٤٥]، فهو كلمة من الله، وليس صفة الله الأزلية.

وأما قوله تبارك وتعالى عن المسيح {وروح منه} فلا يفيد أن المسيح روح الله أو حياته كما نطق بذلك فلاسفة المسيحية، لأن قوله: {منه} ليست للتبعيض، بل لابتداء الغاية، بمعنى صادرة عنه، فهي كقوله تعالى: {وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مِّنْهُ} [الحاثية: ١٣]، أي خلقت منه. ويجدر هنا التنبيه إلى أنه ليس من المسلمين أحدٌ يعتقد أن الروح صفة من صفات الله القائمة بذاته، بل الأرواح جميعاً مخلوقاته تبارك وتعالى، ونسبتها إليه من باب نسبة المخلوق إلى خالقه وموجده، وهو من باب التشريف، كقولنا: بيوت الله، شعب الله، وأمثالهما.

ولا يختص المسيح بأنه روح الله، فقد قال الله عن الصديقة البتول مريم: {فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا} [مريم: ١٧]، فالمراد بالروح في الآية جبريل - عليه السلام -، كما سماه الله عز وجل في آية أخرى روح القدس: {قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ} [النحل: ١٠٢]، وفي آية أخرى: {نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ} [الشعراء: ١٩٣]، وسبب تسميته بالروح أنه مخلوق روحي غير مادي. وقد تمثل جبريل (روح الله) للعدراء في صورة رجل {فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا} [مريم: ١٧]، فنفخ في جيبها، فسرى المسيح في أحشائها، فالمسيح خلق بنفخة منه {فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا} [الأنبياء: ٩١].

وهذا المعنى الشريف ورد في حق آدم أيضاً الذي خلق من طين، ثم: {وَوَفَّخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي} [الحجر: ٢٩]، بإضافة روحه عليه السلام إلى الله إضافة تشريف وتكريم، ولو أوجبت هذه الإضافة معنى خارجاً عن الإنسانية؛ لكان آدم أولى بذلك من المسيح {إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ} [آل عمران: ٥٩]. (٢)

يقول الإمام أحمد المعنى في قوله جل ثناؤه {إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم} [النساء: ١٧١] الكلمة التي ألقاها إلى مريم: حين قال له كن، فكان عيسى بكن وليس عيسى هو كن، ولكن بكن كان. فالكن من الله قول، وليس الكن مخلوقاً. وكذب النصارى والجهمية على الله في أمر عيسى. وقلنا نحن إن عيسى بالكلمة كان وليس عيسى هو الكلمة" (٣).

(١) - (الرد الجميل لإهية عيسى بصريح الإنجيل، أبو حامد الغزالي، ص (١٦٦)، والداعي إلى الإسلام، ابن الأثير، ص (٣٧٦). نقلا عن كتاب منقذ السقار، "تنزيه القرآن عن دعاوى المبطلين ص ١٧٦، مرجع سابق.

(٢) - تنزيه القرآن الكريم عن دعاوى المبطلين، منقذ بن محمود السقار ص ١٧١ - ١٧٧

(٣) - (الرد على الجهمية والزندقة ص ٤٣) "الرد على الجهمية والزندقة فيما شكوا فيه من متشابه القرآن وتأولوه على غير تأويله: أحمد بن محمد بن حنبل. قام بتصحيحه والتعليق عليه: إسماعيل الأنصاري، نشر وتوزيع: رئاسة إدارات البحوث العلمية والأفتاء والدعوة والإرشاد بالملكة العربية السعودية.

ويقول أبو عبيد القاسم بن سلام: "وأما المسيح فالمراد أن الله خلقه بكلمة لا أنه هو الكلمة لقوله {ألقاها إلى مريم} ولم يقل ألقاه ويدل عليه قوله تعالى {إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون} " (١) ف "ليس الكلمة صارت عيسى ولكن بالكلمة صار عيسى .. قيل لعيسى إنه كلمة الله وروح منه لأنه لم يكن له أب تولد منه وإنما هو ناشئ عن الكلمة التي قال له بما كن فكان والروح التي أرسل بها جبريل" (٢).

أما إن زعم المنصورون والنصارى أن (من) في قوله تعالى "بكلمة منه" للتبعيض فإنه خطأ فاحش، ولكنها لابتداء الغاية "وهو الغالب عليها حتى ادعى جماعة [كما يذكر ابن هشام الأنصاري] . أن سائر معانيها راجعة إليه" (٣) كما في الآية {وسخر لكم ما في السماوات وما في الأرض جميعا منه} [الجاثية : ١٣] . يقول الشنقيطي: "ولكن من هنا لابتداء الغاية يعني أن مبدأ ذلك الروح الذي ولد به عيسى حيا من الله تعالى لأنه هو الذي أحياه به. ويدل لما ذكرنا ما روي عن أبي بن كعب أنه قال: خلق الله أرواح بني آدم لما أخذ عليهم الميثاق ثم ردها إلى صلب آدم وأمسك عنده روح عيسى عليه السلام فلما أراد خلقه أرسل ذلك الروح إلى مريم فكان منه عيسى عليه السلام" (٤).

فلو افترض أن من للتبعيض لكان المعنى كالتالي: إن الله يبشرك بعيسى بعض من الله ولأصبح المعنى فاسدا فسادا بينا من ناحية نصرانية فضلا عن بطلانه قبل ذلك من ناحية إسلامية ولغوية ، فعيسى يصبح جزءا وبعضا من الإله. والبعض ليس مساويا لكل عقلا، والنصارى يعتقدون أن المسيح (الابن) بزعمهم إله مساو للأب في الجوهر وليس جزءا منه بل يعتقدون أن الكلمة - وهي عيسى - هي الله فعيسى ليس بعضا من الله سواء كان هو الروح أو هو الكلمة بحسب اعتقادهم. وهذا مبطل لكون (من) للتبعيض، فضلا من استخدام (من) لابتداء الغاية في كتبهم على نحو يمنع من خلال السياق أن تكون للتبعيض وهو ما يماثل ما ههنا. ولذلك أول من يجب عليه إبطال أن (من) للتبعيض كما ترى هم النصارى أنفسهم وبحسب اعتقادهم الباطلة ومن الأمثلة التي لا يجوز استخدام من للتبعيض في كتبهم في مثل قوله "امتحنوا الأرواح هل هي من الله نحن من الله فمن يعرف الله يسمع لنا ومن ليس من الله لا يسمع لنا وكل من يجب فقد ولد من الله" (١ يوحنا ٤ : ٧-١٠) . ولكنهم يحاولون التلبيس على المسلمين لتحقيق أغراضهم ولو كانت حقيقة اعتقادهم تناقض دعاوهم وافتراءاتهم على كتاب الله.

## ثانياً: الضمير نحن في القرآن المقصود به عيسى : ( التثليث له وجود في القرآن )؟

فقد كان نصارى نجران يقولون عن عيسى عليه السلام: هو الله، ويقولون: هو ولد الله، ويقولون: هو ثالث ثلاثة ويحتجون بأنه ثالث ثلاثة بقول الله: فعلنا، وأمرنا، وخلقنا وقضينا فيقولون: لو كان الله واحدا ما

(١) - ("فتح الباري ج (١٣) ص (٤٩٨) .) مرجع سابق .

(٢) - (ابن كثير ج (٢) ص (٤٧٨) .) مرجع سابق .

(٣) - (معني الليب عن كتب الأعراب" ج (١) ص (٣١٨)) تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار إحياء التراث العربي.

(٤) - (أضواء البيان ج ١ ص ٣٢٣-٣٢٤ الشنقيطي ) : دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع بيروت - لبنان ، عام النشر : ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م

قال إلا فعلت، وقضيت وأمرت وخلقت ولكنه هو وعيسى ومريم" (١)، كما احتجوا على الرسول ﷺ بقوله تعالى: {إنا نحن} [الحجر،: ٩]. قالوا: وهذا يدل على أنهم ثلاثة" (٢). ويقول المنصر فندر إن "مما لا يصح إغفاله إن القرآن يتفق مع الكتاب المقدس في إسناد الفعل، وضمير المتكلم في صيغة الجمع إلى الله. وفي القرآن ما ورد في سورة العلق حيث يقول: {سندع الزبانية} وإنما أوردنا ذلك إشعاراً بأننا لا نخطئ إذا اعتبرنا عقيدة التثليث موافقة لإسناد ضمير الجمع إلى الله في القرآن" (٣)، فالتثليث عند النصارى هل له وجود في الإسلام؟ فلماذا يستخدم القرآن لفظ نحن في الآيات؟ كثير من غير المؤمنين يقولون إن هذا إشارة إلى عيسى...؟

الجواب: ورد بطلانه والمنادة على صاحبه بالكفر والشرك، بقوله تعالى: ((لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَكَبُودُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ)) [المائدة / ٧٣] والتثليث الذي اخترعه النصارى المتأخرون لا يستدل عليه بشيء من العقل والفطرة ولا بشيء من الكتب الإلهية التي أنزلها الله سبحانه وتعالى. قال ابن القيم: وهذا شأن جميع أهل الضلال مع رؤسائهم ومتبوعيههم، فجهال النصارى إذا ناظرهم الموحّد في تثليثهم وتناقضه وتكاذبه قالوا: الجواب على القسيس، والقسيس يقول: الجواب على المطران، والمطران يجيل الجواب على البترك، والبترك على الأسقف، والأسقف على الباب، والباب على الثلاثمائة والثمانية عشر أصحاب الجُمع الذي اجتمعوا في عهد "قسطنطين"، ووضعوا للنصارى هذا التثليث والشرك المناقض للعقول والأديان... " (٤).

ومن حيث اللفظ فإنه لم يأت في القرآن ولا في السنة، بل جاء لفظ "التثليث" في كلام العلماء عند كلامهم على التثليث في "الاستجمار بالحجارة، الوضوء، الغسل، غسل الميت، التسيح في الركوع والسجود، الاستئذان للدخول للبيت، وغير ذلك.

١ - قال ابن تيمية: قال تعالى: {يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه فآمنوا بالله ورسله ولا تقولوا ثلاثة انتهوا خيراً لكم}، فذكر سبحانه في هذه الآية "التثليث والاتحاد"، ونهاهم عنهما وبين أن المسيح إنما هو {رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه}، وقال: {فآمنوا بالله ورسله}، ثم قال: {ولا تقولوا ثلاثة انتهوا خيراً لكم}°. وقد ظن بعض النصارى - لجهلهم - أن ضمير الجمع الدال على التعظيم في نحو قوله تعالى: (إنا فتحنا لك) ، (إنا أنزلناه) أنه يدل على عقيدتهم الفاسدة عقيدة التثليث.

و قال: وأما قوله {نتلوا} و {نقص} {فإذا قرأناه}: فهذه الصيغة في كلام العرب للواحد العظيم الذي له أعوان يطيعونه، فإذا فعل أعوانه فعلاً بأمره قال: نحن فعلنا، كما يقول الملك: نحن فتحنا هذا البلد، وهزمتنا هذا الجيش، ونحو ذلك؛ لأنه إنما يفعل بأعوانه، والله تعالى رب الملائكة وهم لا يسبقونه بالقول، وهم بأمره يعملون، ولا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، وهو مع هذا خالقهم وخالق أفعالهم

(١) - ("السيرة النبوية". ج ٢ ص: ١٦٠). لابن هشام الناشر: شركة الطباعة الفنية المتحدة، المحقق: طه عبد الرؤوف سعد

(٢) - (ابن تيمية "الجواب الصحيح" ج ٣، ص: (٤٤٨)). المرجع سابق.

(٣) - عبد الرحمن الجزيري: "أدلة اليقين في الرد على كتاب ميزان الحق وغيره من مطاعن المبشرين المسيحيين في الإسلامص (٢١٩).

(٤) - مفتاح دار السعادة" (١٤٨ / ٢) الناشر: دار الكعب العلمية - بيروت بلا تاريخ نشر.

(٥) - "الجواب الصحيح" (١٥ / ٢) مرجع سابق.

وقدرتهم ، وهو غني عنهم ، وليس هو كالمملك الذي يفعل أعوانه بقدره وحركة يستغنون بها عنه ، فكان قوله لما فعله بملائكته : نحن فعلنا : أحق وأولى من قول بعض الملوك .

وهذا اللفظ هو من " المتشابه " الذي ذكر أن النصارى احتجوا به على النبي ﷺ على التثليث لما وجدوا في القرآن { إنا فتحنا لك } ونحو ذلك ، فذمهم الله حيث تركوا المحكم من القرآن أن الإله واحد ، وتمسكوا بالمتشابه الذي يمتثل الواحد الذي معه نظيره ، والذي معه أعوانه الذين هم عبيده وخلقه ، واتبعوا المتشابه يبتغون بذلك الفتنة ، وهي فتنة القلوب بتوهم آلهة متعددة ، وابتغاء تأويله ، وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم . (١).

من أساليب اللغة العربية أن الشخص يعبر عن نفسه بضمير " نحن " للتعظيم ويذكر نفسه بضمير المتكلم الدال على المفرد كقوله " أنا " وضمير الغيبة نحو " هو " وهذه الأساليب الثلاثة جاءت في القرآن والله يخاطب العرب بلسانهم .

ويقول : " فإله سبحانه وتعالى يذكر نفسه تارة بصيغة المفرد مظهراً أو مضمراً ، وتارة بصيغة الجمع كقوله : " إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً " وأمثال ذلك . ولا يذكر نفسه بصيغة التثنية قط ، لأن صيغة الجمع تقتضي التعظيم الذي يستحقه ، وربما تدل على معاني أسمائه ، وأما صيغة التثنية فتدل على العدد المحصور ، وهو مقدس عن ذلك " ولفظ ( إنا ) و ( نحن ) وغيرهما من صيغ الجمع قد يتكلم بها الشخص عن جماعته وقد يتكلم بها الواحد العظيم ، كما يفعل بعض الملوك إذا أصدر مرسوماً أو قراراً يقول نحن وقرنا ونحو ذلك وليس هو إلا شخص واحد وإنما عبر بها للتعظيم ، والأحقق بالتعظيم من كل أحد هو الله عز وجل فإذا قال الله في كتابه إنا ونحن فإنما للتعظيم وليست للتعدد ، ولو أنّ آية من هذا القبيل أشكلت على شخص واشتبهت عليه فيجب أن يرّد تفسيرها إلى الآيات المحكمة ، فإذا تمسك النصراني مثلاً بقوله : ( إنا نحن نزلنا الذكر ) ونحوه على تعدد الآلهة ، ردنا عليه بالمحكم كقوله تعالى : ( وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم ) ، وقوله : ( قل هو الله أحد ) ، ونحو ذلك مما لا يمتثل إلا معنى واحداً ، وعند ذلك يزول اللبس عمن أراد الحق ، وكلّ صيغ الجمع التي ذكر الله بها نفسه مبنية على ما يستحقه من العظمة ولكثرة أسمائه وصفاته وكثرة جنوده وملائكته .

٢ - من العجيب ان عبد المسيح الكندي نفسه في رسائله التبشيرية التي ترد على القرآن استخدم ضمير الجمع للدلالة على المفرد على نفسه هو في عرض شبهته نفسها حيث قال: "وشبيهه بما ذكرنا" . وهذا في رسالته كثير فهل هو ثالث ثلاثة؟ وهكذا القسيس فنذر حيث قال: " وإنما أوردنا ذلك إشعاراً باننا لا نخطئ (٢) " إن هذا دليل على أن هذا الأسلوب شائع مستخدم بكثرة ولا سيما في الكتب وعند الكتاب ويجري في سليقة العرب وسنن العربية قديماً وحديثاً وليس فيه أدنى غرابة أو شبهة لكن النصارى قوم ملبسون .

٣ - من الشواهد الإنجيلية لاستخدام ضمائر المتكلمين التي تدل على الفرد: قول بولس: "كما هو مكتوب أحببت يعقوب وأبغضت عيسو فماذا نقول ألع عند الله ظلماً حاشاً" (رومية (٩: ١٣-١٤) . ويقول أيضاً:

(١) - مجموع الفتاوى " (٥ / ٢٣٣ ، ٢٣٤) مرجع سابق .

(٢) - "رسالة عبد المسيح الكندي إلى الهاشمي يرد بها عليه ويدعوه إلى النصرانية"، طبعت في مصر سنة ١٨٩٥م، ص ٥ و ٦

"إذا نحسب أن الإنسان يتبرر بالإيمان بدون أعمال الناموس. أفنبطل الناموس بالإيمان حاشا بل نثبت الناموس" (رومية (٣: ٢٨-٣١)). ويقول أيضا: "فماذا نقول إن أبانا إبراهيم قد وجد حسب الجسد" (المصدر نفسه (٤: ١)). ويقول: "فماذا نقول إن الأمم الذين لم يسعوا في أثر البر أدركوا البر الذي بالإيمان" (المصدر نفسه (٩: ٣٠)). بل قال بولس: "لذلك أردنا أن نأتي إليكم أنا بولس مرة ومرتين وإنما عاقنا الشيطان" ((١) تسالونيكي (٢: ١٨)). فقولته: (فماذا نقول) و (نحسب) و (أفنبطل) و (نثبت) و (أردنا) و (نأتي) و (عاقنا) تشتمل على ضمائر جمع مستترة وجوبا أو ضمائر ظاهرة أسندت إلى أفعال وهي تدل على مفرد هو بولس وحده وليس ثلاثة هو ثالثهم.

وهكذا نرى أن من الأساليب المعهودة في اللغة العربية التي نزل بها القرآن وترجمت إليها التوراة والإنجيل استخدام ضمائر الجمع للدلالة على المثني أو على المفرد فقط وقد استخدمت لتعود إلى غير الله مما يبين فساد دعوى النصارى والمنصرين في أن ضمائر الجمع المسندة لله سبحانه وتعالى في القرآن تدل على ألوهية عيسى عليه السلام بزعم دلالتها على التثليث، وإنما هو أسلوب من أساليب التعظيم أولى به الخالق سبحانه وتعالى من كل مخلوق، واستخدامه جرى على لسان العرب كثيرا حتى النصارى - كما مر - وهو إلى اليوم معهود غير مستغرب سواء في مخاطبات الملوك أو غيرهم.

فهذا أسلوب سائغ لغة كما يقول ابن قتيبة (١). وابن فارس رحمه الله: "ومن سنن العرب مخاطبة الواحد بلفظ الجمع فيقال للرجل العظيم: انظروا في أمري وكان بعض أصحابنا يقول: إنما يقال هذا لأن الرجل العظيم يقول: نحن فعلنا: فعلى هذه الابتداء خوطبوا في الجواب" (٢). فهل هناك من هو أعظم من مالك الملك وأولى منه بمثل هذا الأسلوب؟

يقول ابن تيمية - رحمه الله - إن ضمير الجمع يقع "على من كان له شركاء وأمثال وعلى الواحد المطاع العظيم الذي له أعوان يطيعونه وإن لم يكونوا شركاء ولا نظراء، والله تعالى خلق كل ما سواه فيمتنع أن يكون له شريك أو مثيل والملائكة وسائر العالمين جنوده تعالى. فإذا كان الواحد من الملوك يقول: إنا ونحن ولا يريدون أنهم ثلاثة ملوك فمالك الملك رب العالمين، ورب كل شيء ومليكه هو أحق بأن يقول: إنا ونحن مع أنه ليس له شريك، ولا مثيل بل له جنود السموات والأرض" (٣).

٤ - كما أن اللغة العربية مليئة بالشواهد على خروج ضمائر الجمع عن ظاهرها للدلالة على المفرد ومن ذلك ما في الشعر الجاهلي:

يقول امرؤ القيس - حين رأى قبر امرأة في سفح جبل عسيب الذي مات عنده: -

أجارتنا إن الخطوب تنوب ... وإني مقيم ما أقام عسيب

أجارتنا إنا غريان ههنا ... وكل غريب للغريب نسيب

فإن تصلينا فالقراة بيننا ... وإن تصرمينا فالغريب غريب

(١) - (مسلم ابن قتيبة "تأويل مشكل القرآن ص ٢٩٣).

(٢) - (أحمد بن فارس: "الصحاح" ص: ١٦٠). الناشر: محمد علي بيضون، الطبعة: الأولى ١٤١٨هـ-١٩٩٧م

(٣) - (ابن تيمية "الجواب الصحيح" ج ٣ ص (٤٤٨)). مرجع سابق.

أجارتنا ما فات ليس يؤوب ... وما هو أت في الزمان قريب" (١).  
ويقول عمرو بن كلثوم متغزلاً:

قفي قبل التفرق يا ظعينا ... نخبرك اليقين وتخبرينا

قفي نسألك هل أحدثت صرماً ... لوشك البين أم خنت الأمانة (٢).

ويقول زهير بن أبي سلمى مخاطباً هرم بن سنان والحارث بن عوف:

سألنا فأعطيتم وعدنا فعدتم ... ومن أكثر التسأل يوماً سيحرم (٣).

ويقول الحارث بن حلزة متغزلاً:-

آذنتنا ببينها أسماء ... رب ثاو يمل منه الشواء (٤).

ويقول الجميح: منقذ بن الطماح في زوجته:

أمست أمامة صممتا ما تكلمنا ... مجنونة أم أحست أهل خروبي

فإن تقرري بنا عينا وتختفضي ... فينا وتنتظري كري وتعريبي (٥).

فضمائر المتكلمين في: أجارتنا، وتصلينا، وتصرمينا، ونخبرك، وتخبرينا، ونسألك وسألنا وعدنا وآذنتنا، كلها

ضمائر جمع للمتكلمين قصد بها الواحد كما هو واضح من السياق.

٥- من الشواهد اللغوية في القرآن التي استخدمت فيها ضمائر الجمع للدلالة على غير الجمع مع أن الضمائر

فيها تعود إلى غير الله سبحانه وتعالى ما يأتي:

قوله تعالى {وداود وسليمان إذ يحكمان في الحرث إذ نفشت فيه غنم القوم وكنا لحكمهم شاهدين} [الأنبياء:

٧٨]. وقوله تعالى {ثم استوى إلى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعاً أو كرها قالتا أتينا

طائعين} [فصلت: ١١]. فالضمير في قوله (لحكمهم) ضمير جمع يدل على المثني وليس على الثلاثة فأكثر ولا

على الواحد وكذلك ياء الجماعة في (طائعين) ومثل ذلك قوله (أتينا) هذه بعض أمثلة استخدام ضمائر الجمع

للدلالة على المثني.

أما استخدام ضمائر الجمع في القرآن للدلالة على المفرد فشواهدها:

قوله تعالى عن الخضر {وأما الغلام فكان أبواه مؤمنين فخشينا أن يرهقهما طغيانا وكفراً فأردنا أن يبدلهما ربهما

خييراً منه زكاة وأقرب رحماً} [الكهف: ٨٠-٨١] .. وقال تعالى {قلنا يا ذا القرنين إما أن تعذب وإما أن

تتخذ فيهم حسناً قال أما من ظلم فسوف نعذبه ثم يرد إلى ربه فيعذبه عذاباً نكراً وأما من آمن وعمل صالحاً

فله جزاء الحسنى وسنقول له من أمرنا يسراً} [الكهف: ٨٦-٨٨]. وقال تعالى {وورث سليمان داود وقال يا

أيها الناس علمنا منطق الطير وأوتينا من كل شيء إن هذا لهو الفضل المبين} [النمل: ١٦].

(١) - "ديوان امرئ القيس" دار بيروت للطباعة والنشر ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م) ص (٧٩) .

(٢) - (الحسين بن أحمد الزوزني: "شرح المعلقات العشر" طبعة (١٩٨٣م) دار مكتبة الحياة، بيروت ص (٢٠٢).

(٣) - (المرجع السابق ص (١٥٥).

(٤) - (المرجع السابق ص (٢٦٣) .

(٥) - (المفضل بن محمد الضبي: "المفضليات" ص (٣٤-٣٥) . الناشر: دار المعارف - القاهرة، الطبعة: السادسة تحقيق شاکر وهارون

فالضمائر في: (فخشينا) و (فأردنا) و (نعذبه) و (سنقول) و (أمرنا) و (علمنا) و (أوتينا) ضمائر جمع تدل على واحد وليس على اثنين أو ثلاثة أو أكثر.<sup>(١)</sup>

### ثالثاً : هل نسب القرآن إلى المسيح صفة الخالقية؟

ثالثة الأثافي عندهم في دعم الخالقية للمسيح قالوا: القرآن يعتبر المسيح خالقاً محيياً للموتى { أني أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيراً بإذن الله وأبرئ الأكمه والأبرص وأحي الموتى بإذن الله { [آل عمران: ٤٩] ، ولم يشهد بمثل ذلك لغيره من المخلوقات، فالخلق صنعة الله التي لا يشاركه فيها إلا المسيح، وفي هذا دليل ألوهيته واستحقاقه للعبادة، ويوافق ما ذكره العهد الجديد عن المسيح "الله خالق الجميع يسوع المسيح" (أفسس ٣ / ٩)، وفي إنجيل يوحنا "كان في العالم، وكوّن العالم به، ولم يعرفه العالم" (يوحنا ١ / ١٠). وهذا ما زعمه المنصر المشهور فنذر أن ما ورد في القرآن من أن عيسى خلق طيراً من الطين إنما هو من صفات الله وحده ذاهبا إلى أن القرآن يؤيد بذلك ألوهية المسيح،<sup>(٢)</sup> وكذلك المنصر المعاصر يوسف يقول: "إن القرآن يقرر بصورة عامة أن المسيح آية في حد ذاته، آية في رسالته، آية في قداسته وكماله، آية في شخصيته، آية في انفراده، وأن هذه الشخصية في القرآن تسمو على جميع الأنبياء، وأن الآيات بمحملها لا يمكن إلا أن تترك في نفس القارئ فكرة عظيمة عن سمو المسيح حتى لتخرج به عن طبقة البشر وتترك الباب مفتوحا لاعتقاد النصرى بألوهيته"<sup>(٣)</sup>. هذه الشبه الثلاثة أبرز الإدعاءات التي زعم المنصرون قديما وحديثا إستنادا إليها أن القرآن يؤيد اعتقادهم بألوهية المسيح - عليه السلام - وقد بدأت منذ عصر الرسول ﷺ على يد نصرى وفد نصرى نجران كما مرّ سابقا وفي هذه قالوا : في قولهم [عن عيسى بأنه] هو الله بأنه كان يحي الموتى، ويرى الأسقام، ويخبر بالغيوب، ثم تبعهم فيما بعد عبد المسيح الكندي، وغيره.

والجواب: هذه المعجزات لم يرد فيها شيء البتة في الأناجيل الحالية ولا يعلم النصرى عنها شيئا من خلال الأناجيل إلا ما اطلعوا عليه من خلال القرآن الكريم، وذلك مثل: كلام عيسى في المهد وكهلا ، خلقه من الطين كهيئة الطير فيكون طيرا بإذن الله، ومثل: إنبائه لهم بما يأكلون وما يدخرون في بيوتهم . وإن كان قد ورد أنه أنبأهم ببعض الأمور المستقبلية كتهدم الهيكل مثلا . وهذا يدل على جهل النصرى بكثير من أحوال عيسى عليه السلام سواء معجزاته أو حياته قبل الثلاثين من عمره أو غير ذلك حيث "لا نجد ذكرا لعيسى عليه السلام عنهم إلا حينما كان طفلا لا يتجاوز عمره ثمانية أيام عند ختنه ثم لا تدلك الأناجيل على شيء من حياته عليه السلام حتى يبلغ اثنتي عشرة سنة فتذكر أنه (لما كانت له اثنتا عشرة سنة صعد إلى أورشليم كعادة العيد) ثم لا تتكلم الأناجيل عن شيء من أحوال عيسى عليه السلام حتى يبلغ الثلاثين من عمره فتذكر أنه بعث آنذاك"<sup>(٤)</sup>.

(١) - افتراءات المنصرين على القرآن الكريم أنه يؤيد زعم ألوهية المسيح عليه السلام ، الدكتور علي بن عتيق الحري ٤٣ - ٥٥ ، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف ببلدنة المنورة ، بدون تاريخ نشر.

(٢) - (الجزيري: "أدلة اليقين" ص: (٣٦٣) .) مرجع سابق .

(٣) - "محمد عزة دروزة: "القرآن والمبشرون" الطبعة الثانية (١٣٩٢هـ-١٩٧٢م) ، ص: (٣٩٩)

(٤) - (علي الحري "نصرانية عيسى عليه السلام ونصرانية بولس دراسة مقارنة من أسفار العهد الجديد" بحث ماجستير (١٤٠٧هـ). ص ٢٣ .)

كما ذكرت الأناجيل أنه ذهب إلى مصر وهو صبي هو وأمه مع يوسف النجار - والله أعلم بذلك - إضافة إلى ما زعمت الأناجيل أنه نسب للمسيح عليه السلام ذلك النسب المضطرب اضطراباً كبيراً كما هو معروف متى (١ : ١-١٧) ولوقا (٣ : ٢٣-٣٨) . هذا هو أغلب ما يعرفه النصارى من تاريخ عيسى عليه السلام إلى مبعثه انطلاقاً من الأناجيل الحالية ولذا فإن القرآن الكريم { يقص على بني إسرائيل أكثر الذي هم فيه يختلفون } [النمل: ٧٦] .

١- حين تحدثت الآيات القرآنية عن معجزات عيسى عليه السلام؛ ما فتئت تذكر أن هذه المعجزات عطية الله تعالى لنبيه المسيح عليه السلام { قد جئتمكم بآية من ربكم }، وقد صنعها وغيرها من المعجزات بإذن الله { أي أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيراً بإذن الله وأبرئ الأكمه والأبرص وأحي الموتى بإذن الله }، فمعجزاته عليه السلام ومعجزات غيره من الأنبياء لا تنفك عن مشيئة الله وإقذارهم عليها.

فهل نسب القرآن الخالقية المطلقة للمسيح حين قال { أخلق لكم }؟

والجواب بدون ريب ولا تكؤ: لا. ولفهم الآيات بحسن الوقوف على معنى لفظة (الخلق) في لغة العرب، إذ تطلق هذه اللفظة على معان؛ ويهمنها منها معنيان:

الأول: الإيجاد من العدم، والإبداع من غير مثال سابق، فالله { بديع السماوات والأرض أي يكون له ولد ولم تكن له صاحبة وخلق كل شيء وهو بكل شيء عليم } [الأنعام: ١٠١]، فهذا خلق يختص به الله وحده.

الثاني: التصوير لما أوجده الله وخلقته، ومنه قول الله: { فتبارك الله أحسن الخالقين } [المؤمنون: ١٤]، فقد وردت في سياق الحديث عن تصوير الإنسان ونقله من طور إلى طور { وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْقَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْقَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ } [المؤمنون: ١٤].

قال القرطبي: «أتقن الصانعين. يقال لمن صنع شيئاً خلقه؛ ومنه قول الشاعر:

ولأنت تقري ما خلقت وبع ... ض القوم يخلق ثم لا يفري

ولا تنفى اللفظة عن البشر في معنى الصنع؛ وإنما هي منفية بمعنى الاختراع وإيجاد من العدم»<sup>١</sup>. وبمثل هذا المعنى تحدث القرآن عن صنع عيسى من الطين كهيئة الطير { أي أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيراً بإذن الله } [آل عمران: ٤٩].

قال أبو حيان الأندلسي: «والخلق يكون بمعنى الإنشاء وإبراز العين من العدم الصرف إلى الوجود. وهذا لا يكون إلاً لله تعالى. ويكون بمعنى: التقدير والتصوير، ولذلك يسمون صانع الأديم ونحوه: الخالق، لأنه يقدر، وأصله في الأجرام، وقد نقلوه إلى المعاني، قال تعالى: { وَتَخْلُقُونَ إِنْكَاءً } [العنكبوت: ١٧]، ومما جاء الخلق فيه بمعنى التقدير قوله تعالى: { فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ } أي المقدرين» (أ).

(١) - الجامع لأحكام القرآن (١٢/ ١١٠). مرجع سابق .

(أ) - (البحر المحيط (٣/ ١٦٣). مرجع سابق .

ومن هذا المعنى أيضاً ما يقال يوم القيامة للمصورين، قال ﷺ: «إن أصحاب هذه الصور يعذبون يوم القيامة، ويقال لهم: أحيوا ما خلقتكم»<sup>(١)</sup>، أي ما صورتوه من الصور، فهذا معنى الكلمة في لغة العرب لمن أراد تدبراً وحقاً، وفي الآية (أَيُّ قَدْ جِئْتُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ) أي جئتم بعلامة من ربكم ولو كان هو ربهم لكانت العلامة منه وليس من غيره .

قالوا إنه قال : ( بآية من ربكم ) ولم يقل ربي فيستدل بذلك على كونه إله أو ابن إله !! : رد تعالى عليهم بالآية التالية مباشرة من نفس السورة قول عيسى : ( إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَأَعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ) [آل عمران: ٥١] ، يستدلون بأن الذي يخلق إنما هو إله واستدلواهم بذلك يدل على جهلهم فقد يُستدل بجزء من الآية بما يتنافى مع آخرها فهو يقول بإذن الله أي أنني أفعل شيئاً ليس بإذني ولا بقدرتي ولكنه بإذن الله الذي أرسلني وعليه فيكون مفهوم الآية أنني أحمل لكم ما يدل على أن الذي أرسلني هو الله .

لم ينفرد عيسى عليه السلام بهذه المعجزات ولو انفرد لما كان دليلاً على ألوهيته لأنه أوتيها بإذن الله تعالى كما مر آنفاً. فكيف وقد شاركه غيره من الرسل والأنبياء في أنواع المعجزات التي أنعم الله بها عليه، إضافة إلى من ليس بنبي ولا رسول، وإن من أول ما شورك به: إحياء الموتى . كما شاركه بها العديد من أنبياء الكتاب المقدس فقد أحيوا الموتى بإذن الله.

ذكر القرآن الكريم معجزات عدة لإحياء الموتى إنعاماً من الله على بعض رسله ، فقد أخذ إبراهيم عليه السلام طيوراً أربعة بأمر الله له بعد دعائه الله أن يريه كيف يحيى الموتى ومزقهن وفرق أجزاءهن على كل جبل منهن جزءاً ثم دعوته لهن أن يأتينه، فأتينه سعياً [البقرة: ٢٦٠] وقد ألقى موسى لعصاه الجمد التي لا روح فيها، ثم تحولها إلى ثعبان عظيم عند فرعون والملا من قومه فألقى عصاه فإذا هي ثعبان مبين { الأعراف: ١٠٤-١٠٧ } . وقوله تعالى { وأوحينا إلى موسى أن ألق عصاك فإذا هي تلقف ما يأفكون } [الأعراف: ١١٧] . فهذه معجزة عظيمة أنعم الله بها على موسى ﷺ إذ أحيا الله هذه القطعة الصغيرة من الخشب الجمد التي لا حياة فيها وجعلها حية عظيمة تسعى وتبتلع بفيها ما وضعه السحرة من عصي وحبال. الخ. كما أحيا الميت الذي قتل في بني إسرائيل في عهد موسى عليه السلام بإذن الله بعد أمر الله لهم أن يضربوا الميت ببعض البقرة التي ذكرها الله سبحانه وتعالى في القرآن يقول تعالى { وإذ قتلتم نفساً فادارأتم فيها والله مخرج ما كنتم تكتمون فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحيى الله الموتى ويريكم آياته لعلكم تعقلون } [البقرة: ٧٢-٧٣] . فهؤلاء الذين ضربوا الميت ببعض لحم البقرة فقام حياً بإذن الله ليسوا من الرسل - على ما يظهر - وعلى الرغم من هذا حدثت على أيديهم هذه المعجزة بإذن الله فهل كان هذا مدعاة لتأليه أحد منهم؟ أو تأليه موسى عليه السلام؟

إن النصراري زعموا أن علة تأليه عيسى عليه السلام هي إحياءه للموتى ولو فرض أنها علة لتأليه أحد ما من البشر، لكان العقل موجبا أن يؤله كل من اشترك في هذه العلة فقام العديد بمثل هذه المعجزات أو الأمور

(١) - أخرجه البخاري ح (٥١٨١)، ومسلم ح (٢١٠٧).

الخارقة للعادة كما سنذكر لاحقا / وقالوا : بما أن عيسى خلق فهو إله لأن الخالق حتما ولا بد أن يكون إلهها كما قال : { أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ } [النحل: ١٧] .

لكن عيسى لم يخلق خلقا سويا باقيا متناسلا من تلقاء نفسه بل كان خلقا مؤقتا ليبرهن لهم على صدق نبوته مع ذكر من أذن له بذلك وهو الله والآية الكريمة ليتأكد لنا نسبة الفعل إلى الله وليس إلى عيسى عليه السلام ، وإذا كان عيسى قد صنع من الطين كهيئة الطير فصار طيرا بإذن الله فمن قبله موسى رعى عصاه فصارت حية تسعى أيضا بإذن الله ولم يقل أحد أنه إله والحية مخلوق له روح كالتائر الذي ذكر في شان عيسى بل أن الحية كانت أكبر من الطائر وابتلعت حبال وعصي السحرة التي أوهموا الناس أنها تتحرك .

إن الله يؤيد أنبياءه بمعجزات ولكي تكون معجزة لا بد أن تكون أمرا خارقا للعادة وأن تكون من جنس ما نبغ فيه القوم المرسل إليهم هذا النبي ومن ذلك موسى عليه السلام أرسل على قوم انتشر فيهم السحر فكانت معجزته أن أيده الله بشيء عجز عنه السحرة بل لم يقفوا عند حد العجز ولكنه تيقنوا أن ما جاء به موسى عليه السلام من العصا التي انقلبت إلى حية والتهمت ما قدموه من سحر وكان متمثلا في حبال وعصي أعلنوا إيمانهم بالله رب العالمين ، وثمة معجزة أخرى لموسى بن عمران عليه السلام فقد حدث أن رجلا قتل من بني إسرائيل ولم يعرفوا من قتله فأحياه الله على يد موسى وأخبر عن قاتله وفي ذلك أشار القرآن الكريم ( وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَآذَرْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ } {٧٢} فَعَلْنَا ضَرْبَهُ بَبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُخَيِّبُ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَيُزَيِّقُكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ } {٧٣} [البقرة]

ومع أنها إحياء للموتى مثل إحياء الموتى عند عيسى عليه السلام فقد وقفت عند كونها معجزة أيد الله بها نبوته فقط ، و لم يقل أحد أن موسى إله أو ابن الله <sup>١</sup> .

وفي زمن عيسى عليه السلام كان الناس قد اشتغلوا بالطب ولكنهم عجزوا عن أمور منها إبراء الأكمه وهو الذي ولد أعمى والأبرص وهو المرض الجلدي المعروف وكذلك أن يتكلم ميت بعد موته فأيده الله بما عجز عنه قومه وهم يعلمون أنه لم يدرس الطب ولا غيره ليعلموا أن هذا الإعجاز من عند الله فيكون أدعى لإيمانهم .

وحجة النصارى تكمن في كون معجزة عيسى لا يقدر عليها بشر فإبراء الأكمه والأبرص وإحياء الموتى مما يعجز عنه بشر وطالما أن عيسى فعله فهو إله . إن كانت عندهم بقية عقل كل المعجزات التي أتى بها الأنبياء يعجز عنها البشر ولا يمكن لبشر أن يأتي بمثلا . فهل كل الأنبياء آلهة ؟ فمعجزة صالح عليه السلام الناقة

{ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذْكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ } [الأعراف: ٧٣] ، أخرج لكم من الصخرة ناقة عظيمة كما سألوها ، { وَ يَا قَوْمِ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذْكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ } [هود: ٦٤]

و يا قوم هذه ناقة الله جعلها لكم حجة وعلامة تدلُّ على صدقي فيما أدعوكم إليه، فاتركوها تأكل في أرض الله فليس عليكم رزقها، ولا تمسوها بعقر، فإنكم إن فعلتم ذلك يأخذكم من الله عذاب قريب من عقربها

(١) - افتراءات المنصرين على القرآن الكريم أنه يؤيد زعم ألوهية المسيح عليه السلام ، الدكتور علي بن عتيق الحربي ص ٧١ - ٨٥ وتنزيه القرآن عن مطاعن الرهبان للسقار ، من زيادات المؤلف عن النص المطبوع في النسخة الإلكترونية وهي موجودة في المكتبة الشاملة

{فَعَفَّرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يَا صَالِحُ ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ} [الأعراف: ٧٧] ،  
فنحروا الناقة استخفافا منهم بوعيد صالح، واستكبروا عن امتثال أمر ربهم، وقالوا على سبيل الاستهزاء واستبعاد  
العذاب: يا صالح ائتنا بما تتوعدنا به من العذاب، إن كنت من رسل الله.

فهل يقدر بشر أن يأتي بناقة من الجبل أو من الصخر كناقاة صالح؟

٤ - لقد جاء في التوراة والأنجيل معجزات كمعجزات المسيح عليه السلام ولاسيما إحياء الموتى. وقبل  
ذكرها لا بد من الإشارة إلى أن معجزات المسيح عليه السلام التي وردت في الأنجيل إنما هي - بنص الأنجيل  
- بإذن الله تعالى هذه بعض النصوص:

(١) - قوله "فرفعوا الحجر حيث كان الميت موضوعا ورفع يسوع عينه إلى فوق وقال أيها الآب أشكرك  
لأنك سمعت لي وأنا أعلم أنك في كل حين تسمع لي ولكن لأجل هذا الجمع الواقف قلت ليؤمنوا أنك أرسلتني  
ولما قال هذا صرخ بصوت عظيم: لعازر هلم خارجا فخرج الميت" (يوحنا (١١: ٤١-٤٣) .) رفع عيسى  
بصره إلى السماء ودعا الله ومجده، وأوضح النص أن هذه المعجزة إنما هي من أجل أن يصدقوا به رسولا من  
عند الله، وقد استجاب الله دعاءه فخرج الميت حيا بإذن الله.

(٢) - قوله "فأجاب يسوع وقال لهم: الحق الحق أقول لكم لا يقدر الابن أن يعمل من نفسه شيئا إلا  
ما ينظر الآب" (يوحنا (٥: ١٩) .) وينسب إلى عيسى عليه السلام أنه قال: "والآن علموا أن كل ما  
أعطيتني هو من عندك" (يوحنا (١٧: ٧)). فكل ما أوتيته المسيح عليه السلام من إحياء للموتى، ومن إنباء  
بالغيب إلى غير ذلك من معجزات إنما هو بنص أقوال المسيح عليه السلام من عند الله وبإذن الله سبحانه  
وتعالى وهذا مثبت أنه ليس له من الأمر شيء ومبطل لدعوى ألوهية المسيح من خلال الأنجيل

(٣) - جاء في نص آخر: "فقلت مرثا ليسوع: يا سيد لو كنت ههنا لم يممت أخي لكن الآن أعلم أن  
كل ما تطلبه من الله يعطيك إياه" (يوحنا (١١: ٢١-٢٢) .) فهذه المرأة تعلم أن الأمر ليس بيده وإنما إذا  
دعا الله أعطاه الله سؤله فإحياء الموتى الذي حدث على يد المسيح إنما هو بإذن الله سبحانه وتعالى.

(٤) - وفي نص آخر: "أيها الرجال الإسرائيليون اسمعوا هذه الأقوال: يسوع الناصري رجل [!] قد تبرهن  
لكم من قبل الله بقوات وعجائب وآيات صنعها الله بيده في وسطكم كما أنتم تعلمون" (أعمال الرسل (٢):  
٢٢) ، وانظر: أعمال الرسل (١٠: ٣٨) .) فالأمر بدهي عند المؤمنين بعيسى آنذاك من بني إسرائيل: أن  
المعجزات التي جاء بها إنما أوجدها وصنعها الله وليس عيسى عليه السلام وإنما حصلت على يد عيسى فهي  
من (قبل الله) أو من عند الله وبإذن الله وأوجدها الله سبحانه وتعالى وما عيسى إلا (رجل) أو عبد من عبيد  
الله ورسول من رسله ثبت صدقه بما أنزله الله على يديه من المعجزات (القوات والعجائب) .

ولذا على الرغم من إحياء عيسى للموتى بإذن الله، لم يجعل ذلك منه عند الجموع التي قام بالمعجزات في  
وسطها إلا أنه نبي فقط فلم يتجاوزوا به طور البشرية. جاء في الأنجيل "فقال [أي عيسى] أيها الشاب لك  
أقول قم فجلس الميت وابتدأ يتكلم فدفعه إلى أمه فأخذ الجمع خوف ومجدوا الله قائلين قد قام فينا نبي عظيم  
وافتقد الله شعبه" (لوقا (٧: ١٤-١٦) .)

وهذه بعض المعجزات التي تشبه معجزات عيسى عليه السلام من التوراة والأنجيل:

١- جاء في سفر الملوك الأول: "قال [إيليا] يا رب إليه لترجع نفس هذا الولد إلى جوفه فسمع الرب لصوت إيليا فرجعت نفس الولد إلى جوفه فعاش. وقال إيليا [لأم الولد] انظري ابنك حي فقالت المرأة لإيليا هذا الوقت علمت أنك رجل الله وأن كلام الرب في فمك حق" ((١٧: ٢١-٢٤)). فأقصى ما قالته المرأة لإيليا بعد أن أحيا الله على يديه ابنها "إنك رجل الله" أي نبي الله. ولم تغل فيه فتقول له: إنك إله. كما جاء في التوراة قوله "ودخل أليشع البيت وإذا بالصبي ميت ومضطجع على سريره فدخل وأغلق الباب على نفسيهما كليهما وصلى إلى الرب. فعطس الصبي سبع مرات ثم فتح الصبي عينيه. فدعاها [أي أم الصبي] ولما دخلت إليه قال احملني ابنك" (الملوك الثاني (٤: ٣٢-٣٦)). فما اتخذ اليسع إلهًا لذلك الإحياء الذي هو بإذن الله وهو كمعجزات عيسى عليه السلام. كما جاء فيها قوله "ومات أليشع فدفنوه وكان غزاة موآب تدخل على الأرض عند دخول السنة وفيما كانوا يدفنون رجلا إذا بهم قد رأوا الغزاة فطرحوا الرجل في قبر أليشع فلما نزل الرجل ومس عظام أليشع عاش وقام على رجله" (الملوك الثاني (١٣: ٢٠-٢١)). فاليشع فيما تروي التوراة حتى وهو ميت تحيي عظامه بإذن الله ميتا. وجاء عن حزقيال أنه أحيا جيشا عظيما جدا جدا بإذن الله كانت عظام أفرادهم رميما (حزقيال (٣٧: ١-١٠)).

فهؤلاء أحيوا بإذن الله أمواتا وبعضهم أحيوا جيشا عظيما من الأموات فلم لم يكونوا آلهة مثل عيسى - تدرجا مع زعم النصارى؟ علما أن العلة التي ادعاها النصارى والمنصرون لتأليه عيسى هي: إحياء الموتى، وهؤلاء اشتهروا مع عيسى عليه السلام في العلة نفسها وقاموا بالأفعال أو المعجزات نفسها. مما يوجب على النصارى - عقلا الاشتراك مع عيسى في النتيجة نفسها وهي الألوهية فعدم تأليه النصارى لمن شارك عيسى عليه السلام في الفعل والعلة (المقدمة الصغرى والكبرى) مكابرة ومعاندة يرفضها العقل فهي من باب التفريق بين المتماثلات والمتطابقات لأن تطابق المقدمات مفض لتطابق النتائج. ومنطقيا كل من شارك عيسى عليه السلام بإحياء الموتى فهو إله كعيسى بجامع إحياء الموتى وتأليه هؤلاء البشر نتيجة كاذبة يكذبها النصارى قبل غيرهم ولما كانت النتائج كاذبة والمقدمات (الصغرى) مسلمة - ولاسيما المقبول منها عند المسلمين والنصارى - ثبت عقلا أن العلة - أو المقدمة الكبرى في قياس الشمول - هي سبب بطلان النتائج وكذبها. وهذا ما تدل عليه آيات القرآن ونصوص التوراة والأنجيل من أن حصول معجزة إحياء الموتى على يد أحد من البشر وإن كان نبيا أو صالحا ليس دليلا على ألوهيته. مما يسقط دعوى النصارى في تأليه عيسى لأنه أحيا موتى إذ تبين أن هذا ليس علة للألوهية حيث قام بهذا الإحياء من ليس بإله من الرسل والأنبياء بإذن الله بل ومن ليس من الأنبياء أو الرسل.

٤- وبقي في جواب هذه الأبطولة أن نبيه القائلين بها إلى أن المسيح لم يدع في الإنجيل المنسوب إلى تلاميذه وتلاميذهم أنه خالق، وأن غاية ما ذكره بولس أن الله هو الخالق، ولكنه خلق الخلائق به "الله خالق

الجميع بيسوع المسيح" (أفسس ٣ / ٩)، فهو واسطة الخلق، وليس الخالق، يقول القس جيمس أنيس: " الآب خلق العالم بواسطة الابن". (١)

## رابعاً : هل امتدح القرآن النصارى؟

قالوا: امتدح القرآن النصارى، وذكر بأنهم في الجنة في قوله: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ} [البقرة: ٦٢].

والجواب: كما كان القرآن واضحاً في بيان وحدانية الله وعبودية المسيح وبشريته؛ كان صريحاً في إضلال القائلين بألوهيته وربوبيته وتكفيرهم، وهذا منثور في مواضع كثيرة من القرآن، منها قول الله تعالى: {لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ} [المائدة: ١٧]، وقوله: {لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} [المائدة: ٧٣]، فهاتان الآيتان وغيرهما واضحتان في بيان كفر القائلين بعقيدة التثليث وألوهية المسيح.

ولكن هذا الحكم القرآني لا يسري على المسيح الذي تبرأ من هذه المعتقدات {وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ} [المائدة: ٧٢]، كما لا يسري الحكم بالكفر والنار على أتباعه المخلصين المؤمنين الذين آمنوا بالله وحده، وشهدوا للمسيح بالرسالة فحسب، واتبعوه ونصروه {قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ} [آل عمران: ٥٢ - ٥٣] ، وفي موضع آخر يقول الله تعالى: {وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا آمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ} [المائدة: ١١١]، فهؤلاء من خيرة الله في خلقه، وهم مؤمنون بالمسيح الرسول، وبريئون من معتقدات النصارى التي استقاها المسيحيون من أقوال بولس والجماع الكنسية من بعده.

إن هذه الثلاثة المؤمنة ممدوحة في القرآن ولا ريب، وقد وصفهم الله بقوله: {أنصار الله} [الصف: ١٤]، ومدحة الله لهم في القرآن تسري على كل مؤمن مشى على نهجهم إلى يوم الدين (بمتلى تاريخ المسيحية بما تسميه الكنيسة اليوم بفرق المرافقة، كالأريوسية والأبيونية، وهي فرق تنكر ألوهية المسيح وتندد بالتثليث، وكانت تمثل السواد الأعظم من النصارى حتى القرن الرابع الميلادي). ولما بعث النبي ﷺ كان لمنهجهم بقايا على الأرض تمثل في أشخاص أحبهم الله؛ لاستقامتهم على التوحيد، وإعراضهم عن مذاهب التثليث والشرك التي كرهها الله، يقول ﷺ: «وإن الله نظر إلى أهل الأرض، فمقتهم عربهم وعجمهم إلا بقايا من أهل الكتاب» (٢).

(١) - (علم اللاهوت النظامي، القس الدكتور جيمس أنس، ص (١٧٨) مراجعة القس منيس عبد النور. الكنيسة الإنجيلية بقصر الدوبارة. القاهرة ، وللمزيد من البيان انظر كتاب "الله جل جلاله واحد أم ثلاثة؟". وانظر تنزيه القرآن عن دعاوى المبطلين له . وكتاب افتراءات المصنوعين على القرآن الكريم أنه يؤيد زعم ألوهية

المسيح عليه السلام ، الدكتور علي بن عتيق الحربي ص ٧١ - ٨٥

(٢) - (أخرجه مسلم ح (٢٨٦٥)).

فهؤلاء ومن سلفهم من المؤمنين هم الذين أثنى الله عليهم بقوله: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ} [البقرة: ٦٢]، وقد ذُكر في سبب نزولها أن سلمان حَدَّثَ النَّبِيَّ ﷺ عن أصحابه النصارى الذين كانوا على الإيمان الخالص بالله عز وجل قبل مبعث النبي ﷺ، فقال: كانوا يصومون ويصلون ويؤمنون بك، ويشهدون أنك ستبعث نبياً. فلما فرغ سلمان من ثنائه عليهم، قال له نبي الله ﷺ: «يا سلمان، هم من أهل النار». فأُنزل الله هذه الآية: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ} (١).

وهذا المعنى بيّن واضح لمن قرأ الآية في سياقها فتدبر الآيات التي قبلها والتي بعدها، حيث تكفر الآيات قبلها لليهود والنصارى، وتنسب إليهم الإساءة إلى الله، وتتوعددهم بالنكال والعذاب: {وَإِذَا جَاءُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَقَدْ دَخَلُوا بِالْكَفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا يَكْتُمُونَ وَتَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يُسَارِعُونَ فِي الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَعمَلُونَ لَوْلَا يُنَهَاهُمْ الرَّبَّائِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا} [المائدة: ٦١ - ٦٤]

ويستمر السياق القرآني بعدها في تكفيرهم مع استثناء المؤمنين منهم من كان على منهج الأنبياء {قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ مِّن رَّبِّكُمْ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَى مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ} [المائدة: ٦٨ - ٦٩].

فمن المحتم أن الذين سماهم الله في آخر الآية: {الْكَافِرِينَ} ليسوا الذين تحدث عنهم صدر الآية التالية {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَى}، فهؤلاء غير الأولين، هؤلاء من المؤمنين بدليل ما ذكر في الآية في وصفهم: {مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا}، والمرء لا يكون مؤمناً بالله بمجرد الإيمان بوجوده، فقد آمن بذلك كفار قريش، ولم يستحقوا هذا الاسم الشريف الذي يختص به من آمن بالله تبارك وتعالى وحده رباً وإلهاً، فلم يعبد معه أحداً غيره.

ثم يمضي السياق القرآني ليقول: {لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَلَاثٌ ثَلَاثَةٌ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ عَفْوَرًا رَّحِيمًا مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ انظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انظُرْ أَتَى يُؤْفَكُونَ} [المائدة: ٧٢ - ٧٥]، ويستمر السياق القرآني إلى آخر آيات السورة وهو يتحدث عن كفر النصارى، فلم أعرض القائلون بمدحة الله للنصارى عن هذا كله، وبتروا الآية من سياقها؟! (٢).

(١) - (أخرجه الطبري في تفسيره بإسناد منقطع (٢/١٥٤)).

(٢) - تنزيه القرآن عن دعاوى المبطلين ص ١٧٧ - ١٨٠ مرجع سابق .

## خامسا : أتباع المسيح موعودون بالظفر على الكافرين ؟

قالوا: وصف القرآن النصارى بأنهم أتباع المسيح الموعودون بالظفر على الكافرين إلى يوم القيامة: {وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِنِّي مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ} [آل عمران: ٥٥]، وهذا كله يدل على صحة طريقتهم ودينهم؛ خلافاً لما يقوله المسلمون من تكفيرهم، وأنهم من أهل النار.

والجواب: قد سبق لنا بيان الموقف القرآني من النصارى القائلين بألوهية المسيح والتثليث. وأما بخصوص هذه الآية فهي تمتدح أتباع المسيح عليه السلام، وهم المسلمون الذين يصدقون أقواله: {وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمَّيَّ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعَلَّمَ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً مِمَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ} [المائدة: ١١٦ - ١١٧]، والمسلمون هم الذين يقولون: ادعاء الألوهية للمسيح ليس بحق، في حين يزعم النصارى أنه إله معبود بحق. ووفق هذا فإن المسلمين هم أتباع المسيح، وقد قال ﷺ: «أنا أولى الناس بعيسى ابن مريم في الدنيا والآخرة، والأنبياء إخوة لعلات، أمهاتهم شتى، ودينهم واحد»، (١) والإخوة لعلات هم الإخوة من أب واحد، وأمهم مختلفات).

إن الدلالة على اتباع المسلمين للمسيح ومفارقة النصارى له ليست من القرآن فحسب، بل هي في كتابهم أيضاً؛ فإن قارئ العهد الجديد (الإنجيل) لن يجد فيه حرفاً واحداً يتحدث فيه المسيح عن ألوهية نفسه، بل على العكس من ذلك تجده يصرح بما ينقضها، فيقول عن نفسه: "وأنا إنسان قد كلمكم بالحق الذي سمعته من الله" (يوحنا ٨ / ٤٠)، كما يجده عليه السلام يخبر عن كونه رسولاً لله فحسب، مما يقتضي التنديد بأهل التثليث؛ والحكم بجرماتهم من الحياة الأبدية، فيقول مخاطباً الله: "هذه هي الحياة الأبدية: أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي وحدك، ويسوع المسيح الذي أرسلته" (يوحنا ١٧ / ٢ - ٣)، وهذا معنى صريح في أن اللجنة مدخرة فقط لمن يقول: (لا إله إلا الله، المسيح رسول الله)، وهذا بالحقيقة قول المسلمين؛ لا النصارى، فتبين أننا أتباعه عليه الصلاة والسلام الموعودون بالعلو على الكافرين إلى يوم القيامة، وقد علوناهم بالحجة والدليل والبرهان بالأمس واليوم وغداً بإذن الله ومِنْتَه.

ولئن غابت شمس المسلمين اليوم عن قيادة الحضارة الإنسانية المادية (لا الروحية) فقد كان لهم شرف ريادتها، وإنها سُحِبَ توشك أن تنبلج، لتشرق شمسنا من جديد، هذه الصحوحة الإسلامية التي تهدر في عالم اليوم طلائع هذا الفجر الآتي .

## سادساً : سؤال أهل الكتاب فيما يشكل على النبي

قالوا: طلب القرآن من النبي أن يسأل النصارى فيما يشكل عليه، وفيما يقع له من الريبة في دينه بقوله: {وَإِنْ كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يُقْرَأُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا

(١) - (أخرجه البخاري ح ٣٤٤٣)

تَكُونَنَّ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ} [يونس: ٩٤] ، وكما طلب هذا من النبي؛ فإنه طلبه من المسلمين حين أمرهم بسؤال أهل الذكر، أي الكتب السابقة في قوله: {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ} [النحل: ٤٣].

والجواب: أن الآية الكريمة {فَإِنْ كُنْتَ فِي شكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يُقْرَأُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّ يَأْتِيَنَّكَ مِنَ رَبِّكَ فَلا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ} [يونس: ٩٤]، لا تتحدث عن مشركي النصارى المنكرين لنبوته، ولا تجعلهم مرجعاً للنبي ﷺ، بل تتحدث عن الذين يشهدون له بأنه أتاه الحق من ربه.

كما يلزم التنويه أيضاً إلى أن النبي ﷺ لم يشك في شيء من نبوته، ولم يسأل أهل الكتاب ولا غيرهم، بل نقل عن بعض التابعين أن النبي ﷺ قال: «لا أشك ولا أسأل» (١). فلفظة (إن) لا تفيد أي تحقق لوقوع الشك من النبي ﷺ، إذ قد يعلق المحال ب (إن)، كما في قوله تعالى: {قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَكْدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ} [الزخرف: ٨١]، وقوله: {وَإِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُمْ بِآيَةٍ} [الأنعام: ٣٥].

وقد فسر العلماء مقصود الآية بقولين يكمل أحدهما الآخر:

الأول: أن المقصود بالسؤال هم المؤمنون من أهل الكتاب كعبد الله بن سلام، وهو قول ابن عباس رضي الله عنهما: (الذين أدركوا محمداً ﷺ من أهل الكتاب فآمنوا به .. فاسألهم إن كنت في شك بأنك مكتوب عندهم) (٢).

الثاني: أن المقصود في الآية ليس أمر النبي ﷺ بالسؤال، بل الخطاب في ظاهره ﷺ، والمراد به غيره من المشركين، على عادة العرب في الخطاب "إياك أعني واسمعي يا جارة" (٣).

ومثله في القرآن كثير، قال تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ} [الأحزاب: ١]، وقال: {وَلَقَدْ أَوْحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكَتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ} [الزمر: ٦٥]، وقال: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ} [الطلاق: ١].

وهذا الوجه صححه الطبري، واستدل له الرازي بقول الله تعالى في آخر السورة: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي شكٍّ مِنْ دِينِي فَلا أَعْبُدُ الَّذِي تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ} [يونس: ١٠٤]، وقال: "فبين أن المذكور في أول الآية على سبيل الرمز، هم المذكورون في هذه الآية على سبيل التصريح .. فثبت أن الحق هو أن الخطاب، وإن كان في الظاهر مع الرسول ﷺ؛ إلا أن المراد الأمة، ومثل هذا معتاد، فإن السلطان الكبير إذا كان له أمير، وكان تحت راية ذلك الأمير جمع، فإذا أراد أن يأمر الرعية بأمر مخصوص، فإنه لا يوجه خطابه عليهم، بل يوجه ذلك الخطاب إلى ذلك الأمير الذي جعله أميراً عليهم، ليكون ذلك أقوى تأثيراً في قلوبهم" (٤).

(١) - (عبد الرزاق في المصنف ح (١٠٢١٠)). الناشر: المجلس العلمي - الهند، المحقق: حبيب الرحمن الأعظمي، بطلب من: للكتب الإسلامي - بيروت

الطبعة: الثانية، ١٤٠٣

(٢) - (جامع البيان، الطبري (١٥/٢٠٠)). مرجع سابق.

(٣) - (انظر: تأويل مشكل القرآن، ابن قتيبة، ص (١٦٧)). مرجع سابق طبعة دار الكتب العلمية بيروت

(٤) - (التفسير الكبير، الرازي (١٧/٣٠٠)). مرجع سابق

بقي أن نشير إلى أن الأمر بالسؤال ليس على ظاهره، فإن العرب تستخدم طلب السؤال؛ بمعنى تأكيد الأمر، ولا تريد طلب السؤال حقيقة، ومنه قول الشاعر:

سلوا الليل عني مذ تناءت دياركم ... هل اكتحلت بالغمض لي فيه أجفان  
وقول الآخر: سلوا نسيمات الريح كم قد تحملت ... محبة صب شوقه ليس يكتم

فهذان وأصراهما لا يراد منه - في لغة العرب - حقيقة السؤال؛ إذ كيف يُسأل الليل أو نسيمات الريح، إنما يراد تأكيد تلك المعاني التي طلب السؤال عنها.

ومثله في القرآن قوله تعالى: { سَلُّهُمْ أَيُّهُمْ بِذَلِكَ زَعِيمٌ } [القلم: ٤٠]، وقوله: { وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مَنْ رُسُلِنَا } [الزخرف: ٤٥]، وقوله: { وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ } [الأعراف: ١٦٣]، فني كل هذا لم يطلب الله من النبي ﷺ حقيقة السؤال، إنما قصد الإخبار وتأكيد صدق هذه المعاني والأخبار التي ذكرها الله تبارك وتعالى في القرآن.

وأما قوله تعالى: { وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ } [النحل: ٤٣]، فهو خطاب من الله للمشركين المنكرين للنبوة؛ المستغربين نزول الوحي على رجل، فقد نبههم الله إلى أن نزول الوحي على بشر أمر معهود تعرفه البشرية، ودعاهم إلى سؤال أهل الكتاب للتأكد من حقيقته والوقوف على جلالة، يقول ابن القيم: "فبقاؤهم [أي أهل الكتاب] من أقوى الحجج على منكر النبوات والمعاد والتوحيد، وقد قال تعالى لمنكري ذلك { فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ } .. يعني سلوا أهل الكتاب: هل أرسلنا قبل محمد رجلاً يوحي إليهم أم كان محمد بدعاً من الرسل لم يتقدمه رسول حتى يكون إرساله أمراً منكرًا؟" (١).

وهكذا فالآية تجعل من شهادة أهل الكتاب دليلاً ناهضاً للاحتجاج على مشركي مكة في مسألة نبوة النبي ﷺ، وهو معنى تكرر في مواضع أخرى من القرآن، كقوله: { وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ } (الرعد: ٤٣) (٢)

## سابعاً: التوثيق المزعوم لكتب أهل الكتاب في القرآن

قالوا: في حين أن المسلمين يرمون كتب أهل الكتاب بالتحريف والتبديل فإن القرآن يُعلي من شأن التوراة والإنجيل، ويصفهما بالهدى والنور { إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ } [المائدة: ٤٤]، و { وَأَتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ } [المائدة: ٤٦].

وقالوا: ذكر القرآن أن التوراة والإنجيل الموجودين عند أهل الكتاب زمن النبي غير محرفين؛ بدليل أنه دعا إلى تحكيمهما { وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أَنْزَلْنَا إِلَيْهِمْ مِنْ رَحْمَةٍ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمَنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ } (المائدة: ٦٦)، وقال لهم: { يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ مِنْ رَحْمَتِنَا } [المائدة: ٦٨].

(١) - (أحكام أهل الذمة، ابن القيم (١/٩٧)). المحقق: يوسف بن أحمد البكري - شاکر بن توفيق العاروري، الناشر: رمادي للنشر - الدمام، الطبعة: الأولى، ١٤١٨ - ١٩٩٧.

(٢) - تنزيه القرآن عن دعاوى المبطلين ص ١٨٢ - ١٨٥ مرجع سابق.

وقالوا: شهد القرآن والسنة أن كتبنا فيها حكم الله { وَكَيْفَ يُحْكُمُونَكَ وَعِنْدَهُمُ التَّوْرَةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ } [المائدة: ٤٣]، ولما أخذها النبي بيده نزع الوسادة من تحته، فوضع التوراة عليها، ثم قال: «آمنت بك وبمن أنزلك» (١).

والجواب: امتدح الله في القرآن ما أنزله على أنبيائه ورسله، وذكر أنه هدى ونور، فكل كتب الله تعالى كذلك، ولو أقام البشر في حياتهم ما أنزل الله إليهم؛ لسعدوا ونجوا، لكن هذه الكتب المنزلة ضاعت وحرفت وبدلت، فما التوراة ولا الإنجيل اللذين بين أيدي اليهود والنصارى بتوراة الله ولا إنجيله؛ وإن كان فيهما بقية أثارة حق مما نزل على الأنبياء، يقول ﷺ: «إن بني إسرائيل لما طال الأمد وقست قلوبهم اخترعوا كتاباً من عند أنفسهم، استهوته قلوبهم واستحلته ألسنتهم، وكان الحق يحول بينهم وبين كثير من شهوراتهم، حتى نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون» (٢). ويكفي في هذا الموضوع أن نؤكد أن التوراة والإنجيل الموجودين اليوم ليسا الكتابين اللذين أنزلهما الله عز وجل وامتدحهما القرآن.

وإثبات هذا ميسور، فقد نسب القرآن الكريم إلى توراة الله وإنجيله معاني نفتقدها في الكتب الموجودة اليوم عند اليهود والنصارى، ففقدتها دليل على أن هذه الكتب قد غيرت وبدلت، وأنه ضاع منها ما أشار القرآن الكريم إلى وجوده فيها.

قال الله تعالى: { إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدَا عَلَيْهِمْ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ } [التوبة: ١١١]، فالآية صريحة في أن موعود الله بالجنة للمؤمنين المجاهدين في سبيله مسطور في التوراة والإنجيل اللذين أنزلهما الله تعالى، ولا وجود لهذه المعاني في العهد القديم ولا الجديد [التوراة والإنجيل المحرفين].

ومثله قوله تعالى: { بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ خَيْرٌ وَأَبْقَى إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى } [الأعلى: ١٦ - ١٩]، فهذا المعنى لا وجود له في الأسفار الخمسة المنسوبة إلى موسى عليه السلام في العهد القديم، والتي تخلو من الحديث عن الآخرة والقيامة، فضلاً عن المقارنة بينها وبين الدنيا.

ومثله نفقد في الأسفار الحالية ما نسبته الله إلى توراته وإنجيله في سورة الأعراف من حديث عن النبي الأمي الذي يبعثه الله فيأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، ويحل الطيبات ويحرم الخبائث: { الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ } [الأعراف: ١٥٧]. وهكذا نخلص إلى القول؛ أن التوراة والإنجيل الممدوحين بالقرآن ليسا بالأسفار الموجودة اليوم؛ لفقد هذه المعاني منها.

والقرآن شهد على الأسفار الموجودة بين يدي اليهود والنصارى بأنها محرفة، وقعت فيها الزيادة، كما وقع فيها النقص، فقد قال تعالى عن تحريف النقص: { يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ } [المائدة: ١٥]، فما جاء به محمد ﷺ فيه بيان لبعض ما أخفاه أهل

(١) - (أخرجه أبو داود ح (٤٤٤٩)).

(٢) - (أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٩٥/٦)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة ح (٢٦٩٤)).

الكتاب، وقد عفا عن الكثير مما أحفوه فلم يذكره، قال ابن كثير: "أي: يبين ما بدلوه وحرفوه وأولوه، وافتروا على الله فيه، ويسكت عن كثير مما غيره، ولا فائدة في بيانه" (١).

كما أخبر القرآن الكريم عن وقوع الزيادة في هذه الكتب: {فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لَيْسَتْ بِهَا مِنْهُ قَلِيلاً فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ} [البقرة: ٧٩]، وقال: {وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقاً يَلُؤُونَ أَلْسِنَتَهُمْ بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ} [آل عمران: ٧٨]. لكن وقوع الزيادة والنقص في الكتاب لا يعني - بالضرورة - أن التحريف قد طال كل سطر وكل كلمة في الكتاب، بل القرآن شهد لهذه الكتب أن فيها بقية من الحق الذي أنزله الله {يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْسِنُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ} [آل عمران: ٧١].

ومن بقايا الحق الذي شهد القرآن بوجوده حكم الرجم للزاني والزانية، فهو موجود في سفر التثنية في الإصحاح الثاني والعشرين، لذلك قال الله: {وَكَيفَ يُحْكُمُونَكَ وَعِنْدَهُمُ التَّوْرَةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ} [المائدة: ٤٣]، فكون حكم الله بشأن الزانيين موجوداً فيها لا يعني أن كل ما فيها هو حكم الله تعالى، فإسم التوراة باق عليها رغم تحريفها، فهي التوراة المحرفة؛ لا المنزلة .

ليس بالضرورة أن تكون العنصرية دليلاً على أن المخاطبين بالسياق القرآني المعاصرون للنبي ﷺ، فإن القرآن حين يخاطب بني إسرائيل يخاطبهم كأمة واحدة، ويتجاوز في خطابه معهم حدود الزمان، فيقول لهم: {أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقاً كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقاً تَقْتُلُونَ} (البقرة: ٨٧)، مع أن قتل الأنبياء لم يقم به جيل واحد منهم، ومثله قوله: {وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ} [البقرة: ٥٥]، والقائل حقيقة أجدادهم، ومثل هذا كثير في القرآن يطول المقام بتبعه.

وأما قوله تعالى لليهود حين أنكروا أن الأظعمة كانت حلالاً عليهم قبل نزول التوراة: {فَأْتُوا بِالتَّوْرَةِ فَأَتَوْهَا إِنَّ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} [آل عمران: ٩٣]، فهو لا يفيد سلامة التوراة التي بين أيديهم من التحريف.

فمطالبته بالإتيان بها؛ إنما يريد به إقامة مزيد من الحجة عليهم من كتابهم (التوراة المحرفة)، قال ابن حزم: "إنما هو في كذب كذبوه، ونسبوه إلى التوراة على جاري عادتهم؛ زائد على الكذب الذي وضعه أسلافهم في توراتهم، فبكنتم عليه السلام في ذلك الكذب المحدث بإحضار التوراة إن كانوا صادقين، فظهر كذبهم" (٢).

وقد دعا الله عز وجل أهل الكتاب إلى إقامة هذا الحق المتبقي، لأنه كفيل بمدايتهم إلى الإسلام، قال ابن كثير: "أي: إذا أقمتموها حق الإقامة، وآمنتكم بما حق الإيمان، وصدقتم ما فيها من الأخبار بمبعث محمد ﷺ ونعته وصفته والأمر باتباعه ونصره ومؤازرته، قادم ذلك إلى الحق واتباع الخير في الدنيا والآخرة، كما قال تعالى: {الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ} [الأعراف: ١٥٧]". (٣) وقال القرطبي: " وإقامة التوراة والإنجيل؛ العمل بمقتضاهما وعدم تحريفهما" (٤).

(١) - (ابن كثير ٣/٦٧). طبعة طيبة للنشر تحقيق: سلامة مرجع سابق .

(٢) - (الفصل في الملل والنحل، ابن حزم (١٥٨/١) (المبوق: ٤٥٦هـ). الناشر: مكتبة الخانجي - القاهرة، بدون تاريخ نشر .

(٣) - (ابن كثير ١/٤٠٤). طبعة طيبة للنشر

(٤) - (الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (٦/٢٤١). مرجع سابق، دار الكتب المصرية ط ٢.

وقال ابن حزم: "وأما قول الله عز وجل: { يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ مِّن رَّبِّكُمْ }؛ فحق لا مرية فيه، وهكذا نقول، ولا سبيل لهم إلى إقامتها أبداً، لرفع ما أسقطوا منها، فليسوا على شيء إلا بالإيمان بمحمد - صلى الله عليه وسلم -، فيكونون حينئذ مقيمين للتوراة والإنجيل، كلهم يؤمنون حينئذ بما أنزل الله منهما؛ ووجد أو عُدم، ويكذبون بما بدل فيهما مما لم ينزله الله تعالى فيهما، وهذه هي إقامتهما حقاً". (١)

وهذا الأسلوب في طلب المحال على سبيل التبكيت أسلوب قرآني ونبوي، ومنه قول الله تعالى للمنافقين يوم القيامة: { قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِن قِبَلِهِ الْعَذَابُ } [الحديد: ١٣]، ومن المعلوم أنهم لا يقدرّون على الرجوع، ولو رجعوا لم يفدهم رجوعهم. ومثله في التبكيت قول النبي ﷺ: «من تحلم بحلم لم يره؛ كُلف أن يعقد بين شعيرتين ولن يفعل ... ومن صوّر صورة؛ عُذب وكُلف أن ينفخ فيها، وليس بنافخ». (٢)

ويجدر هنا التنبيه على ضعف الحديث الذي رواه أبو داود في سننه، وفيه أنه ﷺ وضع التوراة على وسادة وقال: «آمنت بك ومن أنزلك»، فالحديث ورد في قصة رجم اليهوديين الزانيين، وهو مروى في الصحيحين وغيرهما (٣). وقد ضعف هذه الرواية غير واحد من أهل العلم، منهم ابن حزم إذ يقول: "قوله عليه السلام: «آمنت بما فيك»؛ فإنه باطل لم يصح قط، وكله موافق لقولنا في التوراة والإنجيل بتبديلهما، وليس شيء منه حجة لمن ادعى أنهما بأيدي اليهود والنصارى كما نزلنا ... فخير مكذوب موضوع، لم يأت قط من طرق فيها خير، ولسنا نستحل الكلام في الباطل، لو صح فهو من التكلف الذي نهينا عنه كما لا يحل توهين الحق ولا الاعتراض فيه". (٤) وهذه الزيادة «آمنت بك ومن أنزلك» مروية في إسناد ضعيف متهالك لا يصلح للاحتجاج، فهي من رواية هشام بن سعد القرشي، وقد ضعفه العلماء، وترك التحديث عنه جملة من المحدثين، منهم يحيى القطان الذي كان لا يحدث عنه، ومما قاله العلماء عنه: قال النسائي: "ضعيف"، وقال في موضع آخر: "ليس بالقوي". وقال يحيى بن معين: "ليس بشيء"، وفي موضع آخر قال: "ليس بذاك القوي". وأما أحمد بن حنبل فقال عنه: "ليس هو محكم الحديث". وفي موضع آخر قال: "لم يكن بالحافظ". قال أبو حاتم: "يكتب حديثه ولا يحتج به".

وقال ابن حبان: "كان ممن يقلب الأسانيد، وهو لا يفهم، ويسند الموقوفات من حيث لا يعلم، فلما كثر مخالفته الأثبات فيما يروي عن الثقات بطل الاحتجاج به، وإن اعتبر بما وافق الثقات من حديثه فلا ضير" (٥).

(١) - (الفصل في الملل والنحل، ابن حزم (١/١٥٨). مرجع سابق .

(٢) - (أخرجه البخاري ح (٧٠٤٢)، ومسلم ح (٢١١٠).

(٣) - ، وليس فيه هذه الزيادة (؛ صحيح البخاري ح (٣٦٣٥)، (٤٥٥٦)، (٦٨١٩)، (٦٨٤١)، (٧٥٤٣)، وصحيح مسلم ح (١٦٩٩)، (١٧٠٠)، واللوطأ ح (١٥٥١)، وسنن الدارمي ح (٢٣٢١)، وهذه الزيادة غير موجودة حتى في روايات أبي داود الأخرى للقصة (سنن أبي داود ح (٤٤٤٦)، (٤٤٥٠)).

(٤) - (الفصل في الملل والنحل، ابن حزم (١/١٥٧ - ١٥٨). مرجع .

(٥) - (انظر: المجرحين، لابن حبان (٣/٨٩)، والموضوعات، ابن الجوزي (١/٣٦٦)، والكامل، ابن عدي (٧/١٠٨)، وتغذيب الكمال، المزني (١١/٣٧)،

وتغذيب التهذيب، ابن حجر (٣٠/٢٠٦)، والضعفاء والمتروكين، النسائي (١/٢٤٥)).

وهكذا فهذه الرواية التي تفرد بها هشام مردودة، ولا يحتج بها إلا الذين يتعلقون بخيوط أوهى من بيت العنكبوت. كما لن يفوتني تسجيل عجيبي من اليهود والنصارى الذين يرومون توثيق كتبهم من القرآن والسنة؛ في حين أن كتبهم تشهد على نفسها بالتحريف في مواضع كثيرة منها: قول النبي إرمياء: " كيف تقولون: نحن حكماء، شريعة الرب معنا حقاً، إنه إلى الكذب، حوّلها قلم الكتبة الكاذب " (إرميا ٨ / ٨)، أي أن دعواكم بامتلاك شريعة الرب كذب منكم، لأن هذه الشريعة غيرّها وبدّلها الكتبة الكذبة بأقلامهم المحرّفة. ويؤكد النبي إرمياء وقوع التحريف في الكتاب، ويتهدد بالعقوبة أولئك الذين مازالوا يتحدثون عن كلام الرب، فينسيون ما في أيديهم إليه بعد أن حرفوه، فيقول: " وإذا سألك هذا الشعب أو نبي أو كاهن قائلاً: ما وحي الرب؟ فقل لهم: أي وحي؟ إني أرفضكم هو قول الرب، فالنبي أو الكاهن أو الشعب الذي يقول: وحي الرب أعاقب ذلك الرجل وبيته .. أما وحي الرب فلا تذكره بعد، لأن كلمة كل إنسان تكون وحيه، إذ قد حرّفتهم كلام الإله الحي رب الجنود " (إرمياء ٢٣ / ٣٣ - ٣٦).

### ثامناً : هل الذكر المحفوظ هو كتب أهل الكتاب؟

قالوا: سمى القرآن كتبنا ذكراً في قوله: { وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالاً نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ } [النحل: ٤٣] ، فاعتبر الكتب السابقة ذكراً، ثم أخبر أن الذكر محفوظ من التحريف والتبديل { إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ } [الحجر: ٩]، فدل ذلك على سلامتها من التحريف والتبديل. والجواب: أن كل ما ينزله الله تعالى من وحي هو ذكر، يذكّر الله به عباده. لكن الله لم يحفظ من الذكر إلا ذكره الأخير، أي القرآن، فهو الذي تكفل الله بحفظه بقوله: { إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ } [الحجر: ٩]، بدلالة السياق الذي وردت فيه الآية، إذ يقول الله: { وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ لَوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلَائِكَةِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ مَا نُنزِّلُ الْمَلَائِكَةَ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَا كَانُوا إِذَا مُنْظَرِينَ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ } [الحجر: ٦ - ٩]، فالذكر المحفوظ هو الكتاب المنزل على النبي ﷺ كما هو ظاهر في السياق. وهكذا تبين وضوح المعتقد الإسلامي بخصوص ما أنزله الله على الأنبياء، وكذلك تبين تحريف الكتب الحالية وتبديلها، وأنها ليست من عند الله.

### تاسعاً : كيف يمكن القول بأن عيسى لم يميت في الوقت الذي يؤكد فيه القرآن

#### وفاته في سورة آل عمران ؟

الجواب : فنحن غالباً ما نأخذ معنى الألفاظ من الغالب الشائع ، ثم تموت المعاني الأخرى في اللفظ ويروج المعنى الشائع . إن كلمة (( التوفي )) نفهمها على إنها الموت ، ولكن هذا اللفظ موضوع لمعان متعددة ، فيأخذها واحد ليجعله خاصاً بواحد من هذه .

إن كلمة ( التوفي ) قد يأخذها واحدا المعنى ( الوفاة ) وهو الموت ، ولكن ، ألم يكن ربك الذي قال (( إني متوفيك )) ؟ وهو القائل في [الأنعام : ٦٠] : ( وَهُوَ الَّذِي يَنْوِقَاكُمْ بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُمْ بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰ أَجَلٌ مُّسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ )

إذن (( يتوفاكم )) هنا بأي معنى؟ إنها بمعنى ينيمكم . فالنوم معنى من معاني التوفي . ففي [الزمر: ٤٢] : (اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تُمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ) لقد سمى الحق النوم موتاً أيضاً . هذا من ناحية منطلق القرآن ، إن منطلق القرآن الكريم بين لنا أن كلمة (( التوفي )) ليس معناها هو الموت فقط ولكن لها معانٍ أخرى ، إلا أنه غلب اللفظ عند المستعملين للغة على معنى فاستقل اللفظ عندهم بهذا المعنى ، فإذا ما أطلق اللفظ عند هؤلاء لا ينصرف إلا لهذا المعنى ، ولهؤلاء نقول : لا ، لا ، لا بد أن ندقق جيداً في اللفظ ولماذا جاء ؟

وقد يقول قائل : ولماذا يختار الله اللفظ هكذا؟ والإجابة هي : لأن الأشياء التي قد يقف فيها العقل و لا تؤثر في الأحكام المطلوبة ويأتي فيها الله بأسلوب يحتمل هذا ، ويحتمل ذلك ، حتى لا يقف أحد في أمر لا يستأهل وقفة .

فالذي يعتقد أن عيسى عليه السلام قد رفعه الله إلى السماء ما الذي زاد عليه من أحكام دينه؟ والذي لا يعتقد أن عيسى عليه السلام قد رُفِعَ ، ما الذي نقص عليه من أحكام دينه ، إن هذه القضية لا تؤثر في الأحكام المطلوبة للدين ، لكن العقل قد يقف فيها؟ فيقول قائل : كيف يصعد إلى السماء؟ ويقول آخر : لقد توفاه الله . وليعتقد أي إنسان كما يُريد لأنها لا تؤثر في الأحكام المطلوبة للدين .

إذن ، فالأشياء التي لا تؤثر في الحكم المطلوب من الخلق يأتي بها الله بكلام يحتمل الفهم على أكثر من وجه حتى لا يترك العقل في حيرة أمام مسألة لا تضر ولا تنفع .

إن الحق سبحانه قد سمى النوم موتاً لأن النوم غيب عن حس الحياة . واللغة العربية توضح ذلك : فأنت تقول - على سبيل المثال - لمن أقرضته مبلغاً من المال ، ويطلب منك أن تتنازل عن بعضه .. فتقول : لا ، لا ، لا بد أن أستوفي مالي ، وعندما يُعطيك كل مالك ، تقول له : استوفيت مالي تماماً ، فتوفيته هنا تعني : أنك أخذت مالك بتمامه . إذن معنى (( متوفيك )) قد يكون هو أخذك الشيء تاماً . (( فمتوفيك )) تعني مرة تمام الشيء ، (( كاستيفاء المال )) وتعني مرة (( النوم )) .

وحين يقول الحق : (( إني متوفيك )) ماذا يعني ذلك؟ إنه سبحانه وتعالى يريد أن يقول : أريدك تاماً ، أي أن خلقي لا يقدر على هدم بيتك ، إني طالبك إليّ تاماً ، لأنك في الأرض عرضه لأغيار البشر من البشر ، لكنني سأتي بك في مكان تكون خالصاً لي وحدي ، لقد أخذتك من البشر تاماً ، أي أن الروح في جسدي بكل مواصفاتها .

و قول : (( ورافعك إليّ )) هذا القول الحكيم يأتي مستقيماً مع قول الحق (( متوفيك )) . وقد يقول قائل : لماذا نأخذ الوفاة بهذا المعنى؟

نقول : إن الحق بجلال قدرته كان قادر على أن يقول : إني رافعك إليّ ثم أتوفاك بعد ذلك . . . ونقول أيضاً : من الذي قال : إن (( الواو )) تقضي الترتيب في الحدث؟ ألم يقل الحق في [القمر: ١٦] : (فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ) هل جاء العذاب قبل النذر أو بعدها؟ إن العذاب إنما يكون من بعد النذر . إن (( الواو )) تفيد الجمع للحدثين فقط . وكذلك في [الأحزاب: ٧] : (وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ)

إن (( الواو )) لا تقتضي ترتيب الأحداث ، فعلى فرض انك قد أخذت (( متوفيك )) أي (( مميتك )) ، فمن الذي قال : إن (( الواو )) تقتضي الترتيب في الحدث ؟ بمعنى أن الحق يتوفى عيسى ثم يرفعه .  
فإذا قال قائل : ولماذا جاءت (( متوفيك )) أولاً ؟

نرد على ذلك : لأن البعض قد ظن أن الرفع تبرئه من الموت . ولكن عيسى عليه السلام سيموت قطعاً ، فلموت ضربه لازب ، ومسألة يمر بها كل بشر .  
وفي الحديث المتفق عليه : ( كيف أنتم إذا نزل ابن مريم فيكم وإمامكم منكم ) ؟ أي أن النبي ﷺ بين لنا أن ابن مريم سينزل مرة أخرى .

ولنقف الآن وقفة عقلية لنواجه العقلانيين الذين يحاولون التعب في الدنيا فنقول : يا عقلانيون أقبلتم في بداية عيسى عليه السلام أن يوجد من غير أب على غير طريقة الخلق في الإيجاد والميلاد ؟ سيقولون : نعم .  
هنا نقول : إذا كنتم قد قبلتم بداية مولده بشيء عجيب خارق للنواميس فكيف تقفون في نهاية حياته إن كانت خارقة للنواميس ؟

إن الذي جعلكم تقبلون العجبية الأولى يمهد لكم أن تقبلوا العجبية الثانية .  
فالآية كاملة : { إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ قُمْ وَرَافِعُكَ إِلَىٰ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ }  
يبلغ الله سبحانه عيسى عليه السلام إنني سأخذك تاماً غير مقدور عليك من البشر ومطهرك من خبث هؤلاء الكافرين ونجاستهم ، وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة . وكلمة (( اتبع )) تدل على أن هناك (( مُتَّبِعًا )) يتلو مُتَّبِعًا .

أي أن المتبع هو الذي يأتي بعد ، فمن الذي جاء بعد عيسى عليه السلام بمنهج من السماء ؟ إنه سيدنا محمد ﷺ . ولكن على أي منهج يكون الذين اتبعوك ؟  
أعلى المنهج الذي جاؤا به أم المنهج الذي بلغته أنت يا عيسى ؟  
إن الذي يتبعك على غير المنهج الذي قلته لن يكون تبعاً لك ، ولكن الذي يأتي ليصحح الوضع على المنهج الصحيح فهو الذي اتبعك .

وقد جاء سيدنا محمد ﷺ ليصحح الوضع ويبلغ المنهج كما أَرَادَهُ اللهُ { وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة } .

فإن أخذنا المعنى بهذا : إن أمة سيدنا محمد ﷺ هي التي اتبعت منهج الله الذي جاء به الرسل جميعاً ، ونزل به عيسى أيضاً ، أن أمة سيدنا محمد ﷺ قد صححت كثيراً من القضايا التي انحرف بها القوم . (١)  
الخلاصة : لم يرد في القرآن الكريم نص يدل على موت عيسى عليه السلام الموتة النهائية ، وإنما الذي ورد لفظ الوفاة والتوفي ، وهذه ألفاظ لا ينحصر معناها في الموت ، بل تحتل معاني أخرى منها : استيفاء المدة ، وعيسى عليه السلام قد استوفى مدة مكثه الأول في الأرض ، ومنه قوله تعالى : { إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ خذْ الكتاب بقوة } .

(١) - الشيخ محمد متولي الشعراوي ، خواطر

مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الذَّنْبِ كَفَرُوا { أي : آخذك وافيًا بروحك وبدنك وقد نقل هذا المعنى ابن جرير في تفسيره عن جماعة السلف ، واختاره ورجحه على ما سواه ، وعليه يكون معنى الآية : إني قابضك من عالم الأرض إلى عالم السماء وأنت حي ورافعك إلي ، ومن هذا المعنى قول العرب : توفيت مالي من فلان أي قبضته كله وافيًا .

وفي محاسن التأويل (١) : ( إني متوفيك ) ، أي مستوف مدة إقامتك بين قومك ، والتوفي كما يطلق على الامانة كذلك يطلق على استيفاء الشيء - كما في كتب اللغة - ولو ادعى أن التوفي حقيقة في الأول ، والاصل في الاطلاق الحقيقة ، فنقول : لا مانع من تشبيهه سلب تصرفه عليه السلام بأتباعه وانتهاء مدته المقدرة بينهم بسلب الحياة ، وهذا الوجه ظاهر جداً وقد دلت القرآئن من الاحاديث الصحيحة على ذلك .

وقد جزم القرآن الكريم بأن عيسى عليه السلام لم يقتل كما زعم النصارى ، بل رفعه الله تعالى إليه ، قال تعالى : { ... وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ، بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ ... } .

وأما الآية التي في سورة مريم فهي قوله تعالى : { وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أُمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا } لا تدل على وفاته ، بل الآية ذكرت ثلاثة أيام يوم ولادته ويوم وفاته ، ويوم يبعث يوم القيامة . فمر منها يوم وبقي يومان ، هما يوم وفاته بعد نزوله إلى الأرض ، ويوم يبعث بعد الوفاة ، والقول الصحيح أن عيسى عليه السلام رفع إلى السماء حيًّا وسينزل حيًّا إلى الأرض .

## عاشراً : روح القدس في القرآن المؤيد للمسيح؟

ورد في [البقرة : ٨٧] النص التالي : { ولقد آتينا عيسى بن مريم البينات وأيدناه بروح القدس } ...؟

الجواب :

قوله تعالى : { وأيدناه بروح القدس } هو جبريل على الأصح ، ويدل لذلك قوله تعالى : { نزل به الروح الأمين } [الشعراء : ١٩٣] وقوله { فأرسلنا إليها روحنا } [ مريم : ١٧] ، هو الثابت والمروي عن جمع كبير من الصحابة والتابعين والمفسرين ، ويؤيد هذا القول ما رواه الشيخان بسنديهما عن أبي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف أنه سمع حسان بن ثابت الأنصاري يستشهد أبا هريرة : أنشدك الله هل سمعت رسول الله ﷺ يقول : " يا حسن أجب عن رسول الله ، اللهم أئده بروح القدس " قال أبو هريرة : نعم (٢) . وقال ابن تيمية : قال جماهير العلماء إنه جبريل عليه السلام فإن الله سماه الروح الأمين وسماه روح القدس وسماه جبريل . (٣) وعقد فصلاً في ذلك فقال : فصل "في معنى روح القدس" قال تعالى : { يا عيسى ابن مريم اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك إذ أيدتك بروح القدس } [المائدة : ١١٠] ... فإن الله أيد المسيح عليه السلام بروح القدس كما ذكر ذلك في هذه الآية وقال تعالى في البقرة : { وآتينا عيسى ابن مريم البينات وأيدناه بروح القدس } [البقرة : ٨٧]

(١) - محاسن التأويل للقياسي ( ٢ / ٣٢٤ ) ، مرجع سابق ، دار الكتب العلمية بيروت طبعة ١ / ١٤١٨ .

(٢) - (موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور للدكتور حكمت بشير ١ / ١٩٢-١٩٣) الناشر : دار المآثر للنشر والتوزيع والطباعة - المدينة النبوية الطبعة : الأولى ، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م والحديث أخرجه البخاري (٤٥٣) باب الشعر في المسجد ومسلم ح(٢٤٨٥) باب فضائل حسان بن ثابت .

(٣) - دقائق التفسير ج : ١ ص : ٣١٠ و ج : ٢ ص : ٩٢) المحقق : د. محمد السيد الجليلند ، الناشر : مؤسسة علوم القرآن - دمشق ، الطبعة : الثانية ، ١٤٠٤

وقال تعالى : { تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات وآتينا عيسى بن مريم البينات وأيدناه بروح القدس } [البقرة: ٢٥٣] وهذا ليس مختصا بالمسيح بل قد أيّد غيره بذلك وقد ذكروا هم أنه قال لداود روحك القدس لا تنزع مني ، وقد قال نبينا ﷺ لحسان بن ثابت : " اللهم أيده بروح القدس وفي لفظ روح القدس معك ما دمت تنافع عن نبيه " وكلا اللفظين في الصحيح

وعند النصارى أن الحواريين حلت فيهم روح القدس وكذلك عندهم روح القدس حدث في جميع الأنبياء وقد قال تعالى [النحل: ١٠٢] : { قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ } وقد قال تعالى في موضع آخر : { نزل به الروح الأمين على قلبك } [الشعراء: ١٩٣-١٩٤] وقال : { قل من كان عدوا لجبريل فإنه نزله على قلبك بإذن الله } [البقرة: ٩٧] فقد تبين أن روح القدس هنا جبريل . . . قال : ولم يقل أحد أن المراد بذلك حياة الله ولا اللفظ يدل على ذلك ولا استعمل فيه .

إن تأييد الله لعيسى بروح القدس في القرآن ليس محصورا به وأن القرآن قد ذكر أيضا أن الله قد أيّد نبينا محمدا ﷺ به . و أن آية النحل تفيد أن رُوحُ القُدُسِ هو اسم الذي كان ينزل بالقرآن على النبي ﷺ . وقد ورد هذا التعبير بلفظ الرُوحِ الأَمِينُ في آيات [الشعراء: ١٩٣] وفي آية سورة البقرة اسم جبريل بوصفه الذي كان ينزل بالقرآن حيث يكون التعبير في سورتي النحل والشعراء كناية عن جبريل، على أن المفسرين قالوا : وَأَيَّدَنَا بِرُوحِ الْقُدُسِ الْوَارِدَةِ فِي الْآيَةِ أَنْ تَأْيِيدَ اللَّهُ بِمَعْنَى تَأْيِيدِهِ بِرُوحِهِ وَقُوَّتِهِ وَنَصْرِهِ، وَأَنَّهُ بِمَعْنَى تَأْيِيدِ اللَّهِ لَهُ بِجِبْرِيلِ .

ولقد ورد تعبير (روح القدس) في الأناجيل الأربعة المتداولة اليوم والتي يعترف بها وحدها النصارى بأساليب ومناسبات متعددة بل وبمعان مختلفة أيضا على ما يفيد السياق الذي وردت فيه . فمن ذلك ما ورد في سياق حبل مريم في إنجيل متى (لما خطبت مريم أمه ليوسف وحدث من قبل أن يجتمعا حبلى من الروح القدس) . وفي إنجيل لوقا على لسان الذي بشر مريم بحبلها : (فأجاب الملاك وقال لها إن الروح القدس يحل عليك) . ومن ذلك في إنجيل متى على لسان عيسى : (من قال كلمة على ابن البشر يغفر له وأما من قال على الروح القدس فلا يغفر له لا في هذا الدهر ولا في الآتي) . وفي إنجيل مرقس على لسان عيسى أيضا : (فإذا ساقوكم وأسلموكم فلا تهتموا من قبل بما تتكلمون به بل بما أعطيتكم في تلك الساعة تكلموا لأنكم لستم أنتم المتكلمين ولكن الروح القدس) . و (وأما من جدف على الروح القدس فلا مغفرة له) . وفي إنجيل لوقا (ورجع يسوع من الأردن وهو ممتلىء بالروح القدس) . وفي إنجيل يوحنا على لسان يوحنا المعمدان الذي هو النبي يحيى في القرآن : (إن الذي ترى الروح ينزل ويستقر عليه هو الذي يعمد بالروح القدس) .

وبعض هذه العبارات الانجيلية قد يفيد أن روح القدس شخصية إلهية مقدسة . كما قد يفيد بعضها أنه روح ربانية تنزل لتأييد الأشخاص المؤمنين . أو أنه رسول رباني لتنفيذ أوامر الله وهذا المعنى الأخير مطابق لما جاء في القرآن على ما شرحناه في سياق تفسير سورة مريم .

ومعلوم أن هذا التعبير في العقيدة النصرانية يعني أحد أقانيم أو صور الذات الإلهية التي هي الأب والابن وروح القدس . وهذه الألفاظ وردت في الأناجيل المتداولة . ولكن تلك العقيدة ليست محبوكة بشكلها الراهن في أي إنجيل، وإنما هي من قرارات مجامع دينية انعقدت في القرن الرابع بعد الميلاد بأمر ورعاية الامبراطور الروماني

بسبب ما كان بين رجال الدين النصراني من خلافات حول لاهوتية المسيح والروح القدس على ما شرحناه في سياق سورة مريم أيضا.

والمرجح أن هذا التعبير كان مستعملا من قبل نصارى العرب قبل الإسلام ترجمة عن اللغة الإنجليزية السريانية أو اليونانية.

ومهما يكن من أمر فالذي يتبادر لنا أن التعبير القرآني يضع الأمر في نصابه من وجهة نظر القرآن والعقيدة الإسلامية في عيسى (عليه السلام) حيث ينطوي في الجملة التي جاء فيها تقرير كون عيسى رسول من رسل الله وأن الجملة تعني تأييد الله إياه بروح وقوة منه اقتضت حكمة التنزيل تسميتها بِرُوحِ الْقُدُسِ ولا ضير على المسلم بل من واجبه أن يستعمل هذه التسمية في التعبير عن تأييد الله تعالى لعيسى (عليه السلام) لأن ذلك نص قرآني، مع الوقوف عند ذلك وإيكال مدى هذه الحكمة لله تعالى ودون أن يكون ذلك من المسلم تسليما منه بما استقرت عليه عقائد النصارى الجمعية من مدى ومعنى روح القدس لأن فحوى الجملة وروحها ومقامها في القرآن لا يمكن أن يتحمل ذلك. وهي صريحة كل الصراحة بأن روح القدس الذي يؤيد الله به عيسى غير ذاته وليس جزءا منه أو صورة له بأي حال كما هو في تلك العقائد. والقرآن هو الضابط المهيمن على الكتب السماوية التي ينسبها أهل الكتاب إلى الله ويتداولونها كما جاء صراحة في آية سورة المائدة: وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ فَمَا يقرره هو الحق. (١)

## حادي عشر : لم تنزل مائدة من السماء

إن في سورة المائدة: أن الحواريين قد طلبوا مائدة من السماء. وأن الله قال (إني منزلها عليكم) ولا يقول الإنجيل: إن تلاميذ المسيح طلبوا منه آية من السماء، ولا يقول: إن مائدة نزلت من السماء).... الرد على الشبهة:

إن المعترض غير دارس للإنجيل وغير دارس للتوراة. وذلك لأن في إنجيل يوحنا أن الحواريين طلبوا آية من السماء " فقالوا له: فأية آية تصنع ؛ لنرى ونؤمن بك ؟ ماذا تعمل ؟ أبأؤنا أكلوا المنّ في البرية. كما هو مكتوب: أنه "أعطاهم خبزاً من السماء ليأكلوا" يو ٦ : ٣١.٣٠. إنهم طلبوا مائدة من السماء ؛ لأنهم قالوا: " أبأؤنا أكلوا المن في البرية " بعد قولهم " فأية آية تصنع لنرى ونؤمن بك ؟ " واستدلوا على أكل آبائهم للمن بقولهم مكتوب في التوراة أنه أعطاهم خبزاً من السماء ليأكلوا.

وهذا يدل على أن آباءهم أكلوا المن والسلوى في سيناء. والنص هو: " وأمطر عليهم منّا للأكل وبزّ السماء أعطاهم " [مزمو ٧٨ : ٢٤].

فهل نزل المن من السماء ؟ وقد سماه داود . عليه السلام . مائدة في قوله عنهم: " قالو: هل يقدر الله أن يرتب مائدة في البرية ؟ " [مز ٧٨ : ١٩] فمعنى نزوله من السماء: أنه من جهة الله لا من جهة إله آخر. ونص إنجيل يوحنا يبين أنهم طلبوا مائدة من السماء. ذلك قوله: " أنه أعطاهم خبزاً من السماء ليأكلوا " فإذا بارك الله في

(١) - التفسير الحديث ، محمد عزت دروزة ٦ / ١٩٨ الناشر: دار إحياء الكتب العربية - القاهرة الطبعة: ١٣٨٣ هـ

طعام من الأرض ليشبع خلقاً كثيراً ؛ فإنه يكون مائدة من السماء. كالمن النازل من السماء. وهو لم ينزل من السماء وإنما كان على ورق الشجر ، وكالسلوى.

ومن أعجب العجب: أن مؤلف الإنجيل قال كلاماً عن المسيح في شأن محمد رسول الله لا يختلف اثنان في دلالته عليه ﷺ. وقد استدل المسيح فيه عليه ﷺ بنص في الإصحاح الرابع والخمسين من سفر إشعياء. ويقول المعترض: ولعلّ قصة القرآن عن نزول مائدة من السماء نشأت عن عدم فهم بعض آيات الإنجيل الواردة في متى ٢٦ ومرقس ٢٤ ولوقا ٢٢ ويوحنا ١٣. وغرضه من قوله هذا أن لا يعرف المسلمون موضع المائدة من الأناجيل لأنها بصدد كلام من المسيح في شأن محمد رسول الله ، وموضعها الإصحاح السادس من إنجيل يوحنا (١).

يقول الأستاذ دروزة : قصة المائدة لم ترد في الأناجيل المتداولة على الوجه الذي جاءت عليه في الآيات أو مقارب له. وإنما ورد فيها قصة معجزة لعيسى عليه السلام حيث قدم لجمع يبلغ خمسة آلاف خمسة أرغفة وسمكتين بعد أن قطعها فأكلوا وشبعوا وبقي من الكسر ما ملأ اثنتي عشرة قفة أو سبعة سلال (٢). وفي الإصحاح العاشر من سفر أعمال الرسل - من ملحقات الأناجيل التي سُمي مجموعها العهد الجديد - قصة فيها شيء مقارب جاء فيها «إن سمعان أحد حواربيي المسيح الملقب بطرس كان في الطريق إلى يافا فجاء ووقع عليه انجذاب فرأى السماء مفتوحة ووعاء هابطاً كأنه سماط عظيم معقود من أطرافه الأربعة ومدلى على الأرض وكان فيه من كل ذوات الأربع ودواب الأرض وطيور السماء وإذا بصوت يقول قم يا بطرس اذبح وكل فقال بطرس حاشا يا رب فإني لم آكل قط نجسا أو دنسا فخاطبه الصوت ثانية ما طهره الله لا تنجسه أنت. وحدث هذا ثلاث مرات ثم رفع الوعاء إلى السماء» (٣). غير أن المتبادر أن هذه القصة وتلك ليستا هما المائدة القرآنية. ويوجد في بيت المقدس مكان تقليدي يحترمه المسلمون والنصارى معا يعرف ببيت المائدة في العمارة المعروفة بالنبي داود حيث قد يفيد هذا أن النصارى أو فريقا منهم كانوا يتداولون خبر معجزة مائدة نزلت من السماء على المسيح والحواريين جيلا عن جيل. والروايات المأثورة عن زمن النبي صلى الله عليه وسلم بقطع النظر عما فيها من غرابة قد تدل على أن قصة هذه المعجزة لم تكن مجهولة.

ونحن نعتقد أن أهل بيعة النبي ﷺ قد عرفوها عن طريق النصارى كما نعتقد أنها كانت واردة في بعض أسفارهم التي لم تصل إلى عهدنا. والقصة إنما ذكرت في القرآن بأسلوب خاطف لا بيان فيه على سبيل التذكير والاستطراد على ما يلهمه أسلوب الآيات وفحواها. ولا بدّ من أنها كانت معروفة في الوسط الذي كانت تتلى فيه لأن هدف القرآن التذكيري إنما يتحقق بذلك. وعلى كل حال فالإيمان بما أخبر القرآن به من خبر المائدة وما دار من حوار بين عيسى عليه السلام والحواريين في صدها ودعاء عيسى لله وجواب الله واجب (٤).

(١) - حقائق الاسلام في مواجهة شبكات المشككين الشبهة رقم ١٠٨ . مجموعة من كبار العلماء نشر وزارة الاوقاف المصرية .

(٢) - انظر إنجيل متى الإصحاح ٦ ويوحنا الإصحاح ١٥ ومرقس الإصحاح ٦ ولوقا الإصحاح ٩.

(٣) - النص منقول من النسخة الكاثوليكية.

(٤) - التفسير الحديث ، محمد عزت دروزة ، ٩ / ٢٦٢ مرجع سابق .

## الثاني عشر : الاستدلال بالآية ١٤٦ من سورة البقرة على عدم تحريف الإنجيل .

{الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ} [البقرة: ١٤٦] قالوا : هذه الآية تعد دليلاً قوياً أن الكتاب كان موجوداً في وقت نبي الإسلام... بعد ٦٠٠ سنة من رسالة الإنجيل... وهي تعد دليلاً على أن الإنجيل كانت له أصولاً في هذا الوقت ، والسؤال هو : هل يقصد نبي الإسلام الإنجيل المنزل على المسيح عيسى بن مريم وهو التعبير الذي استخدمه القرآن أم الأناجيل الأربع الموجودة بين أيدينا، أم الكتاب المقدس ككل والذي نستخدمه الآن... وهل يقصد التوراة المنزل على موسى كتعبير القرآن أم كتاب العهد القديم الموجود بين أيدينا .

يحاول المسلم التفريق بين التعبير التوراة المنزل على موسى والإنجيل المنزل على عيسى وبين الكتب الموجودة في أيدينا زاعماً أن هذه الكتب المنزلة هي الكتب الأصلية. والسؤال إذا كانت هذه الكتب هي الأصلية وليست الموجودة بين أيدينا فهي لا بد وأن يكون لها أصول في القرن السادس الميلادي بناء على هذه الآية... فكيف يكون لها وجود في القرن السادس مع مسيحيين ويهود الجزيرة العربية وتحتفي تماماً بعد هذا؟ علمياً مستحيل اختفاؤها ولا بد أن يكون لها أصول من المخطوطات.

ولكن الواقع يقول أنه لا يوجد كتاب اسمه الإنجيل المنزل على عيسى ولكن يوجد لدى المسيحيين الكتاب المقدس، إذا فهذا الكتاب هو ما يقصده القرآن بتعبير ( آتيناهم الكتاب) وإذا كان القرآن يقصد الإنجيل الذي بين أيدينا فبناء على هذه الآية الإنجيل صحيح وغير محرف... إذ أن هناك من أهل الكتاب من يعرفونه معرفة تامة في وقت رسالة نبي الإسلام. إذا علينا أن نحضر المخطوطات التي كانت موجودة في القرن السادس ومطابقتها بالتي هي بين أيدينا... وسنكتشف أنها متطابقة... وبالتالي يجب علينا أن نعتزف بصدق الإنجيل الذي بين أيدينا دون تحريف... لأنه إذا قلنا أن الإنجيل حرف يكون السؤال متى؟ فإذا كانت الإجابة قبل نزول القرآن نجعل القرآن كاذباً وهذا ما لا يرضاه أي مسلم .

الجواب :

الكاتب قد قفز مرة واحدة من الآية إلى الاستنتاج دون أن يوضح لقرائه كيف توصل لهذا الاستنتاج الذي غاب عن المسلمين شرقاً و غرباً و شمالاً و جنوباً على مدار ١٤ قرناً من الزمان !

أقل واجب هو أن يوضح الكاتب لقرائه كيف توصل إلى استنتاجه ، أليس كذلك ؟

والعجيب أنه بعد أن وضع المقدمة العقلية العارية من البرهان - التي هي وجود الكتب الصحيحة اللامحرفة في أيدي أهل الكتاب - انطلق يسرد قضيته و يفصلها و يقعدتها و يؤصلها و كأن توضيح كيفية وصوله لمقدمته هو أمر مفروغ منه !

في البداية نقول : الضمير في قوله (يعرفونه) لا يعود على الكتاب بل على النبي ﷺ ؛ فلو راجع أبسط التفاسير وأوضحها مثل تفسير الجلالين لما وقع في غلط فاضح :

{ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ } أي محمداً { كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ } بنعته في كتبهم قال ابن سلام: (لقد عرفته حين رأيته كما أعرف ابني ومعرفتي لمحمد أشد)

وفي الكشف للزنجشيري<sup>(١)</sup>: { يَعْرِفُونَهُ } يعرفون رسول الله ﷺ معرفة جلية يميزون بينه وبين غيره بالوصف المعين المشخص { كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ } لا يشبهه عليهم أبناؤهم وأبناء غيرهم. وعن عمر رضي الله عنه أنه سأل عبد الله بن سلام عن رسول الله ﷺ فقال: أنا أعلم به مني بابني. قال: ولم؟ قال: لأني لست أشك في محمد أنه نبي. فأما ولدي، فلعل والدته خانت، فقبل عمر رأسه. وجاز الإضمار وإن لم يسبق له ذكر لأن الكلام يدل عليه ولا يلتبس على السامع .

ومثل هذا الإضمار فيه تفخيم وإشعار بأنه لشهرته وكونه معلوماً بغير إعلام . وقيل: الضمير للعلم أو القرآن أو تحويل القبلة .

وفي تفسير النسفي<sup>(٢)</sup>: { يَعْرِفُونَهُ } أي محمداً عليه السلام أو القرآن أو تحويل القبلة. والأول أظهر لقوله { كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ } قال عبد الله بن سلام: أنا أعلم به مني بابني فقال له عمر: ولم؟ قال: لأني لست أشك في محمد أنه نبي فأما ولدي فلعل والدته خانت فقبل عمر رأسه.

وفي تفسير البيضاوي<sup>(٣)</sup>: { يَعْرِفُونَهُ } الضمير لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وإن لم يسبق ذكره لدلالة الكلام عليه. وقيل للعلم، أو القرآن، أو التحويل { كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ } يشهد للأول: أي يعرفونه بأوصافهم كمعرفتهم بأبنائهم لا يلتبس عليهم بغيرهم. عن عمر رضي الله تعالى عنه أنه سأل عبد الله بن سلام رضي الله تعالى عنه، عن رسول الله ﷺ فقال: أنا أعلم به مني بابني قال: ولم، قال: لأني لست أشك في محمد أنه نبي فأما ولدي فلعل والدته قد خانت.

وبناء على هذه الشواهد تمنحي القضية التي بنى عليها الكاتب النصراني قضيته ؛ فالذي يعرفه أهل الكتاب كأبنائهم هو الرسول ﷺ و ليس الكتب الموجودة في أيدي أهل الكتاب . لكن : دعنا نفترض جدلاً - أقول جدلاً - أن الرسول عليه الصلاة و السلام و القرآن الكريم قد شهدا للكتاب المقدس بالأصالة و عدم التحريف ، هنا يبرز السؤال : أي كتاب مقدس شهدا له ؟؟

هل هو الكتاب المقدس للكنيسة الأرثوذكسية القبطية ؟ أم الأرثوذكسية اليونانية ؟ أم الكاثوليكية الرومانية ؟ أم السريانية ؟ أم الأثيوبية ؟ أم ربما هو الكتاب المقدس للكنيسة البروتستانتية ؟ و لكل كنيسة كتاب مقدس !

أهل الكتاب يعرفون الرسول عليه الصلاة و السلام كما يعرفون أبنائهم وشهادة الحبر الإسرائيلي الجليل المعاصر للرسول (عبد الله بن سلام) و الذي شهد له يهود المدينة بالعلم ، بل و الرياسة في العلم ، و كذلك دخول الآلاف المؤلفة من النصارى في الإسلام من أهل مصر و الشام و العراق على أيدي الفاتحين المسلمين و لم يكن هذا إلا لأنهم وجدوا هذا تحقيقاً للنبوءات التي علموها من كتابهم (رغم تحريف العديد من المواضع فيه)

(١) - الكشف للزنجشيري ج١ ص٢٠٤ . مرجع سابق .

(٢) - تفسير النسفي (ج١ ص١٤١) . راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو الناشر: دار الكلم الطيب، بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م

(٣) - البيضاوي (ج١ ص١١٢) الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت الطبعة: الأولى - ١٤١٨ هـ المحقق: محمد عبد الرحمن المرعشلي

و اقرأ إن شئت كتبهم التي فصلوا و شرحوا هذه النبوءات بدءاً من (الدين و الدولة) لابن ربان الطبري و انتهاءً بكتاب (محمد في الكتاب المقدس) لعبد الأحد داود (بنجامين كلداني سابقاً) . و من المعاصرين الذين يعرفونه كما يعرفون أبنائهم محمد زكي النجار صاحب كتاب (المنارات الساطعة في ظلمات الدنيا الحالكة) و كان أسقفاً مصرياً بطهطا و الدكتور إبراهيم خليل محمد صاحب كتاب (محمد في التوراة و الإنجيل و القرآن) و كان قسيساً مصرياً أسلم و أبنائه الأربعة في منتصف القرن العشرين و واصف سليمان الراعي صاحب كتاب (كنت نصرانياً) و غيرهم . هؤلاء هم الذين أتاهم الله الكتاب و يعرفونه كما يعرفون أبنائهم و ليسوا من المعاندين ككتاب هذا المقال نرجو له الهداية .

### الثالث عشر : ما معنى (حتى يقيموا التوراة و الإنجيل) ؟؟

يقول الله تعالى { قل يا أهل الكتاب لستم على شيء حتى تقيموا التوراة و الإنجيل و ما أنزل إليكم من ربكم وليزيدن كثيراً منهم ما أنزل إليك من ربك طغياناً و كفراً فلا تأس على القوم الفاسقين } [المائدة: ٦٨] وإشكالي في كون الله عز وجل أخبر عن أهل الكتاب أنهم ليسوا على شيء حتى يقيموا التوراة و الإنجيل و معلوم أن القرآن نسخ الكتب السابقة و الخطاب كان موجهاً في الآية لمن هم في زمن النبي ﷺ .

الجواب : تم شرح معنى الآية و الرد على ما فهموا منها في خلال الشبهة الثامنة و تختصر : المقصود بالتوراة و الإنجيل هنا هي الكتب قبل التبديل و التحريف فلا سبيل لإقامتها إلا بالرجوع إلى القرآن الكريم المهيم الذي يشهد لما أنزله الله فيهما و يشهد على ما حرفة الناس فيهما و هذا ما أخبرنا به الله في سورة المائدة في قوله تعالى "مهيمناً عليه" فما وافق القرآن هو صدق أنزله الله و ما خالفه كذب و ما لم يوافق و لم يخالفه نتوقف فيه فلا نصدقه و لا نكذبه ، أما المقصود بقوله تعالى "و ما أنزل إليكم من ربكم" فهو القرآن الكريم فهم ليسوا على شيء حتى يقيموا التوراة الصحيحة و الإنجيل الصحيح و القرآن المنزل و هذا كله لا يمكن بلوغه إلا بالقرآن المصدق المهيم .

قال ابن حزم (١) : و أما قول الله عز وجل { يا أهل الكتاب لستم على شيء حتى تقيموا التوراة و الإنجيل و ما أنزل إليكم من ربكم } فحق لا مرية فيه و هكذا نقول ولا سبيل لهم إلى إقامتها أبداً لرفع ما أسقطوا منها فليسوا على شيء إلا بالإيمان بمحمد ﷺ فيكونون حينئذ مقيمين للتوراة و الإنجيل كلهم يؤمنون حينئذ بما أنزل الله منهما و جد أو عدم و يكذبون بما يدل فيهما مما لم ينزله الله تعالى فيهما و هذه هي إقامتهما حقاً فلاح صدق قولنا موافقاً لنص الآية بلا تأويل .

### الرابع عشر : ما معنى الآية (فإن كنت في شك مما أنزلنا إليك فاسأل الذين يقرؤون

الكتاب من قبلك } [يونس : ٩٤] ،

يقولون هذه الآية تخبر محمد ﷺ للاحتكام لكتبهم ؟! فما المراد بالآية ؟

تم التفصيل في شرح الآية و الرد على الشبهة التنصيرية خلال الشبهة السابعة حول المسيحية و تختصر : لفظة (إن) لا تفيد أي تحقق لوقوع الشك من النبي ﷺ ، إذ قد يعلق المحال ب (إن) ، كما في قوله تعالى : { قل إن

(١) - ابن حزم في الفصل بين الملل و النحل ج ١ ص ١٥٨ مرجع سابق .

(أي يا محمد) إِنَّ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ { [الزخرف: ٨١] ، وقوله: { وَإِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ (يا محمد) إِعْرَاضُهُمْ فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْتَغِي نَفَقًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلْمًا فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُمْ بِآيَةٍ { [الأنعام: ٣٥] . وقد فسر العلماء مقصود الآية بقولين يكمل أحدهما الآخر:

الأول: أن المقصود بالسؤال هم المؤمنون من أهل الكتاب كعبد الله بن سلام، وهو قول ابن عباس رضي الله عنهما: (الذين أدركوا محمداً ﷺ من أهل الكتاب فآمنوا به .. فأسألم إن كنت في شك بأنك مكتوب عندهم) (١).

الثاني: أن المقصود في الآية ليس أمر النبي ﷺ بالسؤال، بل الخطاب - في ظاهره - للنبي ﷺ ، والمراد به غيره من المشركين، على عادة العرب في الخطاب "إياك أعني واسمعي يا جارة" (٢). ومثله في القرآن كثير، قال تعالى: { يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ { [الأحزاب: ١] ، وقال: { وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكَتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ { [الزمر: ٦٥] ، وقال: { يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ { [الطلاق: ١] .

وهذا الوجه صححه الطبري، واستدل له الرازي بقول الله تعالى في آخر السورة: { يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِنْ دِينِي فَلَا أَعْبُدُ الَّذِي تُعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ { [يونس: ١٠٤] ، وقال: "فبين أن المذكور في أول الآية على سبيل الرمز، هم المذكورون في هذه الآية على سبيل التصريح .. فثبت أن الحق هو أن الخطاب، وإن كان في الظاهر مع الرسول ﷺ ؛ إلا أن المراد الأمة، ومثل هذا معتاد، فإن السلطان الكبير إذا كان له أمير، وكان تحت راية ذلك الأمير جمع، فإذا أراد أن يأمر الرعية بأمر مخصوص، فإنه لا يوجه خطابه عليهم، بل يوجه ذلك الخطاب إلى ذلك الأمير الذي جعله أميراً عليهم، ليكون ذلك أقوى تأثيراً في قلوبهم" (٣) ، بقي أن نشير إلى أن الأمر بالسؤال ليس على ظاهره، فإن العرب تستخدم طلب السؤال؛ بمعنى تأكيد الأمر، ولا تريد طلب السؤال حقيقة، ومنه قول الشاعر:

سلوا الليل عني مذ تناءت دياركم ... هل اكتحلت بالغمض لي فيه أجفان

وقول الآخر: سلوا نسيمات الريح كم قد تحملت ... محبة صب شوقه ليس يكتنم

فهذان وأضرابهما لا يراد منه - في لغة العرب - حقيقة السؤال؛

إذ كيف يُسأل الليل أو نسيمات الريح، إنما يراد تأكيد تلك المعاني التي طلب السؤال عنها.

ومثله في القرآن قوله تعالى: { سَلُّهُمْ أَيُّهُمْ بِذَلِكَ زَعِيمٌ { [القلم: ٤٠] ، وقوله: { وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا { [الزخرف: ٤٥] ، وقوله: { وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقُرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ { [الأعراف: ١٦٣] ، ففي كل هذا لم يطلب الله من النبي ﷺ حقيقة السؤال، إنما قصد الإخبار وتأكيد صدق هذه المعاني والأخبار التي ذكرها الله تبارك وتعالى في القرآن.

(١) - (جامع البيان، الطبري (٢٠١/١٥). مرجع سابق تحقيق شاکر ،نشر مؤسسة الرسالة .

(٢) - (انظر: تأويل مشكل القرآن، ابن قتيبة، ص (١٦٧).

(٣) - (التفسير الكبير، الرازي (٣٠٠/١٧). مرجع سابق .

وأما قوله تعالى: { وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ } [النحل: ٤٣]، فهو خطاب من الله للمشركين المنكرين للنسبة؛ المستغربين نزول الوحي على رجل، فقد نبههم الله إلى أن نزول الوحي على بشر أمر معهود تعرفه البشرية، ودعاهم إلى سؤال أهل الكتاب للتأكد من حقيقته والوقوف على جلائه، يقول ابن القيم: "فبقاؤهم [أي أهل الكتاب] من أقوى الحجج على منكر النبوات والمعاد والتوحيد، وقد قال تعالى لمنكري ذلك { فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ } .. يعني سلوا أهل الكتاب: هل أرسلنا قبل محمد رجالاً يوحي إليهم أم كان محمد بدءاً من الرسل لم يتقدمه رسول حتى يكون إرساله أمراً منكرًا؟ " (١).

وهكذا فالآية تجعل من شهادة أهل الكتاب دليلاً ناهضاً للاحتجاج على مشركي مكة في مسألة نبوة النبي ﷺ، وهو معنى تكرر في مواضع أخرى من القرآن، كقوله: { وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ } [الرعد: ٤٣].

وأيضا هم قالو كيف ينزل الكتاب على بشر واستنكروا ذلك بحجة ان الذي اتى بالكتاب الانجيل لديهم ابن الله وهذا الله رد عليهم به وقال : { قل لو كان في الأرض ملائكة يمشون مطمئننين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا } [الإسراء : ٩٥].

وهنا الدليل على انه يا محمد من ينكر عليك انك رسول بشر فأسال الذين لديهم الكتاب هل ارسلنا عليهم بشرا ام ملاكا فأن كان بشرا فلما تستكبرون ان اكون رسول بشرا مثلكم ؟ وان كان ملاك فان صفة المعية للملاك مختلفة عن البشر ذلك بان الملاك وجب ان يكون من صنغه لكي يروونه ويكلموه ويفهموا منه فان معية الملاك مختلفة عن معية البشر ولذلك الله يرسل لكل جنس من جنسه وحتى لما جاء جبريل عليه السلام لمريم عليها السلام قال الله فتمثل لها بشرا سويا يعني اخذ شكل بشر معتدل حتى تستطيع ان تراه ويكلمها لكي تكون الرسالة واضحة .

وهنا الله يخبر نبيه الكريم انه يا اهل الكتاب هل الذين اتو من قبلي كانوا بشرا ام ملائكة؟ ولهذا قال هاهنا { قل لو كان في الأرض ملائكة يمشون مطمئننين } أي كما أنتم فيها { لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا } أي من جنسهم ولما كنتم أنتم بشرا بعثنا فيكم رسلا منكم لطفنا ورحمة .

وهذا الرد انه ليس المقصود اسالهم يا محمد واحتكم بما في كتبهم بل يقول الله : لو عارضوك فقل هاتوا كتبكم لنرى هل الحكم موجود به الذي عارضتم عليه ام لا فإن كان موجودا فلما تعترضون على ما هو أصلا موجود بكتبكم وترفضونه ؟ فهذه حجة عليكم ايها النصارى وليست لكم فقد رفضتم الجزية وهى مدونه فى كتابكم لما قال المسيح فأعطوا الجميع حقوقهم الجزية لمن له الجزية والكرامة لمن له الكرامة والاكرام لمن له الاكرام فلما تعترضون عليها والمسيح قال انه حق من الحقوق ولم يقل كسب بالغضب .

(١) - (أحكام أهل الذمة، ابن القيم (١/٩٧). مرجع سابق .

## الخامس عشر : القرآن ينكر صلب المسيح. والأناجيل تثبته. ثم هل

**الصلب ثم القتل أم القتل ثم الصلب ..** وفي هذه الآية مشاكل : { وَقَوْلِهِمْ ؛ (أي اليهود) ؛ إِنَّا

قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ } [سورة النساء: ١٥٧].

١ - لقد قَوَّلَ القرآن اليهود ما لم يُقُولُوهُ، فمن المفترض (عقلاً ومنطقياً) أن اليهود لم يقولوا إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ فلو أنهم اعتقدوا أنه رسول الله لما صلبوه وقتلوه.

٢ - أليس من المنطقي أن الصلب يسبق القتل؟ فكان الأصوب أن يقول وما صلبوه وما قتلوه .

٣ - صلب المسيح حادثة حقيقية مؤيَّدة بالنبوات والتواريخ والمؤرخين اليهود والرومان من أمثال فيلو ويوسيفوس فكيف ينكرها القرآن بعد ٦٠٠ سنة من حدوثها، والبيِّنة على من ادَّعى؟ .

٤ - ناقض القرآن نفسه، فهو يقول ما قتلوه ولكنه يقول إني متوفِّيكَ [آل عمران ٣: ٥٥] ويقول فلما توفَّيتني

[المائدة ٥: ١١٧] و يقول السلام عليَّ يوم وُلدت ويوم أموت [مريم ١٩: ٣٣].

٥ - ونقول إن قتلوه ترجع لليهود. فلماذا ينكر المسلمون تاريخية الصليب؟ ولماذا لا يكون المعنى أن اليهود صلبوا المسيح فعلاً (تاريخياً). ولكن لم يصلبوه أثراً، أي لم تتحقق لهم النتيجة المرجوة من صلبه وهي اندثار دعوته. إن القرآن نفسه يعترف بقتل بعض الناس دون أن يعترف بوفااتهم، فيقول: "وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنَّ لَا تَشْعُرُونَ ؛ [البقرة ٢: ١٥٤].

الرد :

١- { وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله } أي هذا الذي يدعي لنفسه هذا المنصب قتلناه . وهذا منهم من باب التهكم والاستهزاء، كقول المشركين: يا أيها الذي نزل عليه الذكر إنك لمجنون، [الحجر: ٦] ، فكفار قريش يصفون النبي ﷺ بالمجنون، ولا يؤمنون بأن القرآن (ذكر)، ولا يصدقون بنزوله على النبي ﷺ ، وقولهم: { نزل عليه الذكر } خرج مخرج السخرية منه، أو بمعنى: (يا أيها الذي يزعم أنه نزل عليه الذكر). ومثله أيضاً ما حكاه الله تعالى من قول كفار قوم شعيب عليه السلام { قالوا يا شعيب أصلاتك تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا أو أن نفعل في أموالنا ما نشاء إنك لأنك الحليم الرشيد } [هود: ٨٧]، أي (أنت الذي تزعم أنك الحليم الرشيد). ومثله كذلك خرج مخرج السخرية والاستصغار للمشرك حين يدخل النار قول الله تعالى: { ذق إنك أنت العزيز الكريم (٤٩) إن هذا ما كنتم به تمتمون } [الدخان: ٤٩ - ٥٠]، أي (كنت تزعم أنك العزيز الكريم). فمن عرف ما عرف العرب لم ينكر ما سكتوا عنه، فإن القرآن نزل بلسانهم، ووفق طرائقهم في البيان والتعبير، ومنها التهكم والحكاية.

٢- هل صُلب المصلوب ثم مات على الصليب أم قتل ثم صُلب ؟

لنلاحظ الدقة في قول : وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ ، وقد وجه النصارى سؤال عجيب لهذه الآية وضح من خلال هذا السؤال أمر خطير جداً... وهو : أليس من المنطقي أن الصلب يسبق القتل؟ فكان الأصوب أن يقول وما صلبوه وما قتلوه ؟ ولكن عهدهم القديم يقول : بسفر التثنية : ٢١ : ٢٢ (و إذا كان على انسان خطية حقها الموت فقتل و علقته على خشبة ) و بسفر يشوع ٨ : ٢٣ (و اما ملك عاي فامسكوه حيا و تقدموا به

الى يشوع ٨: ٢٤ و كان لما انتهى اسرائيل من قتل جميع سكان عاي في الحقل في البرية حيث لحقوهم و سقطوا جميعا بحد السيف حتى فنوا ان جميع اسرائيل رجع الى عاي و ضربوها بحد السيف ثم بعد ضربه بحد السيف { أي قُتل } ٨: ٢٩ و ملك عاي علقه على الخشبة الى وقت المساء ) و بسفر استير ٩: ١٠ (عشرة بني هامان بن همدان عدو اليهود قتلوهم ولكنهم لم يمدوا ايديهم الى النهب ١٣ فقالت استير ان حسن عند الملك فليعطى ايضا لليهود الذين في شوشن ان يعملوا كما في هذا اليوم ويصلبوا بني هامان العشرة على الخشبة....)

إذن من خلال ما جاء بالعهد القديم وقوانين الصلب نجد أنه لا يُصلب أحد إلا بعد قتله أولاً ، وبهذا فكل النصوص والفقرات الواردة عن قصة صلب اليسوع باطلة .لأنه لا يصلب أحد إلا بعد قتله أولاً.

٣- يدعي النصارى أن المسلمين بقولهم بنحاة المسيح من الصلب ينكرون حقيقة تاريخية أجمع عليها اليهود والنصارى الذين عاصروا صلب المسيح ومن بعدهم. فكيف لنبي الإسلام وأتباعه الذين جاءوا بعد ستة قرون من الحادثة أن ينكروا صلب المسيح!!؟

عند التأمل في شهادة الشهود تبين لنا تناقضها وتفكك رواياتهم. ولدى الرجوع إلى التاريخ والتنقيب في رواياته وأخباره عن حقيقة حادثة الصلب، ومن المصلوب فيها؟ يتبين أمور مهمة:

أن قدماء النصارى كثر منهم منكرو صلب المسيح، وقد ذكر المؤرخون النصارى أسماء فرق مسيحية كثيرة أنكرت الصلب . وهذه الفرق هي: الباسيليديون والكورنثيون والكاربوكرايتون والساطرينوسية والبارديسيانية والسيرنثيون والبارسكاليونية والبولسية والمائيسية، والتايتانيسيون والفيلطانيائية والهرمسيون.

وبعض هذه الفرق قريبة العهد بالمسيح، إذ يرجع بعضها للقرن الميلادي الأول ففي كتابه "المهرطقات مع دحضها" ذكر القديس الفونسو ماري دي ليكوري أن من بدع القرن الأول قول فلوري: إن المسيح قوة غير هيولية، وكان يتشع ما شاء من الهيئات، ولذا لما أراد اليهود صلبه؛ أخذ صورة سمعان القروي، وأعطاه صورته، فصلب سمعان، بينما كان يسوع يسخر باليهود، ثم عاد غير منظور، وصعد إلى السماء (١). ويبدو أن هذا القول استمر في القرن الثاني، حيث يقول المفسر جون فنتون شارح متى (ص ٤٤٠): "إن إحدى الطوائف الغنوسية التي عاشت في القرن الثاني قالت بأن سمعان القيرواني قد صلب بدلاً من يسوع" (٢). وقد نقل أوريجانوس تقليداً شائعاً في عهده بأن يسوع كانت يستطيع في حياته أن يغير شكله وقتما وكيفما يشاء، ويقول إن هذا كان السبب في ضرورة قبلة يهوذا الخائن؛ وإلا فإن المسيح كان معروفاً لدى عموم أهل أورشليم (٣). وقد استمر إنكار صلب المسيح، فكان من المنكرين الراهب تيودورس (٥٦٠م) والأسقف يوحنا ابن حاكم قبرص (٦١٠م) وغيرهم.

(١) - Bruce Metzger , Canon of the new testament , page 79 - نقلنا عن هل اقتادانا المسيح على الصليب؟ (ص ٤٥) المؤلف: منقذ

بن محمود السقار الناشر: دار الإسلام للنشر والتوزيع الطبعة: الأولى، ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م

(٢) - المسيح في مصادر العقائد المسيحية، أحمد عبد الوهاب، ص (٢٧٣، ٢٧٤) ط٢. مكتبة وهبة. القاهرة، ١٤٠٨ هـ. وانظر تاريخ الفكر المسيحي، الدكتور

القس حنا جرجس الخضرى (١/٢٠٧)، وقاموس الكتاب المقدس، ص (١١١٢). عن السقار المرجع السابق ص ٤٦

(٣) - دائرة المعارف الكتابية (١/٤٠ - ٤١). عن هل العهد الجديد كلمة الله؟ للسقار ص ٤٦

ولعل أهم هذه الفرق المنكرة لصلب المسيح الباسيليديون الذين تعتبرهم الموسوعة الكاثوليكية في نسختها الإنجليزية من أهم الفرق النصرانية في القرن الثاني؛ وقد نقل عنهم سيوس في " عقيدة المسلمين في بعض مسائل النصرانية " والمفسر جورج سايل القول بنجاة المسيح، وأن المصلوب هو سمعان القيرواني، وسماه بعضهم سيمون السيرناي، ولعل الاسمين لواحد. وهذه الفرقة كانت تقول أيضاً ببشرية المسيح، يقول باسيلوس الباسليدي: " إن نفس حادثة القيامة المدعى بما بعد الصلب الموهوم هي من ضمن البراهين الدالة على عدم حصول الصلب على ذات المسيح " .

ولعل هؤلاء المنكرين لصلب المسيح قديماً هم الذين عناهم جرجي زيدان حين قال: " الخياليون يقولون: إن المسيح لم يصلب، وإنما صلب رجل آخر مكانه " .<sup>١</sup>

ومن هذه الفرق التي قالت بصلب غير المسيح بدلاً عنه: الكورنثيون والكربوكراتيون والسيرنثيون. يقول جورج سايل: إن السيرنثيين والكربوكراتيين، وهما من أقدم فرق النصارى، قالوا: إن المسيح نفسه لم يصلب ولم يقتل، وإنما صلب واحد من تلاميذه، يشبهه شهباً تاماً، وهناك الباسيليديون يعتقدون أن شخصاً آخر صلب بدلاً من المسيح. وثمة فرق نصرانية قالت بأن المسيح نجا من الصلب، وأنه رفع إلى السماء، ومنهم الروسيتية والمسيونية والفلسطينية. وهذه الفرق الثلاث تعتقد ألوهية المسيح، ويرون القول بصلب المسيح وإهانتته لا يلائم البنوة والإلهية (٢).

كما تناقل علماء النصارى ومحققوهم إنكار صلب المسيح في كتبهم، وأهم من قال بذلك الحواري برنابا في إنجيله، ويقول ارنست دي بوش الألماني في كتابه " الإسلام: أي النصرانية الحققة " ما معناه: إن جميع ما يختص بمسائل الصلب والفداء هو من مبتكرات ومخترعات بولس، ومن شأبه من الذين لم يروا المسيح، لا في أصول النصرانية الأصلية.

ويقول ملمن في كتابه " تاريخ الديانة النصرانية ": " إن تنفيذ الحكم كان وقت الغلس، وإسدال ثوب الظلام، فيستنتج من ذلك إمكان استبدال المسيح بأحد المجرمين الذين كانوا في سجون القدس منتظرين تنفيذ حكم القتل عليهم كما اعتقد بعض الطوائف، وصدقهم القرآن " (٣). و أخيراً نذكر بما ذكرته دائرة المعارف البريطانية في موضوع روايات الصلب حيث جعلتها أوضح مثال للتزوير في الأنجيل (٤).

وأما الطائفة التي يسميها القس الخضري بالرومانسيين (القرن التاسع عشر) فقد ذكروا أن المسيح "أنزل من على الصليب فاقد الوعي، وعالجه أطباء أسينيون إلى أن استرد قوته وظهر لتلاميذه الذين اعتقدوا أنه مات" (٥)، وإذا كان هؤلاء جميعاً من النصارى، يتبين أن لا إجماع عند النصارى على صلب المسيح، فتبطل دعواهم بذلك.

(١) - أقانيم النصارى، أحمد حجازي السقا، ص (٧٥)، الفارق بين المخلوق والخالق، عبد الرحمن باجي، ص (٤٦٥ - ٤٦٦)، قصص الأنبياء، عبد الوهاب

النجار، ص (٥٠٣)، عقيدة الصلب والفداء، محمد رشيد رضا، ص (١٠١). عن السقار هل العهد الجديد كلمة الله؟ ص ٤٧

(٢) - الفارق بين المخلوق والخالق، عبد الرحمن باجي البغدادي، ص (٤٦٥)، قصص الأنبياء، عبد الوهاب النجار، ص (٥٠٣). مرجع سابق .

(٣) - الفارق بين المخلوق والخالق، عبد الرحمن باجي البغدادي، ص (٣٦٦)، قصص الأنبياء، عبد الوهاب النجار، ص (٥٠٣).

(٤) - دراسة تحليلية نقدية لإنجيل مرقس، محمد عبد الحليم أبو السعود، ص (٥٣٠ - ٥٣١). عن السقار هل العهد الجديد كلمة الله؟ ص ٤٧

(٥) - تاريخ الفكر المسيحي، الدكتور القس حنا جرجس الخضري (١٥٨/١) وهل حقاً قام المسيح؟ د. صموئيل حبيب، ص (٣٩). عن السقار هل العهد

الجديد كلمة الله؟ ص ٤٧ . مرجع سابق .

ويذكر معرّب " الإنجيل والصليب " ما يقلل أهمية إجماع النصارى لو صح فيقول: إن العالم المسيحي العظيم الذي أطبق على ترك السبت خطأ ١٩٠٠ سنة، هو الذي أطبق على الصلب. وأما إجماع اليهود فهو أيضاً لا يصح القول به، إذ أن المؤرخ اليهودي يوسفوس المعاصر للمسيح والذي كتب تاريخه سنة ٧١م أمام طيطوس لم يذكر شيئاً عن قتل المسيح وصلبه. أما تلك السطور القليلة التي تحدثت عن قتل المسيح وصلبه في كتابه، فهي إلحاقات نصرانية كما جزم بذلك المحققون وقالوا: بأنها ترجع للقرن السادس عشر، وأنها لم تكن في النسخ القديمة (١). ولو صح أنها أصلية فإن الخلاف بيننا وبين النصارى ومن وافقهم قائم في تحقيق شخصية المصلوب، وليس في وقوع حادثة الصلب. {وإن الذين اختلفوا فيه لفي شك منه} [النساء: ١٥٧]، وهذا حال اليهود والنصارى فيه.

ولكن قد يقال: إن المؤرخ الوثني تاسيتوس كتب عام ١١٧م كتاباً تحدث فيه عن المسيح المصلوب. وعند دراسة ما كتبه تاسيتوس، يتبين ضعف الاحتجاج بكلامه، إذ هو ينقل إشاعات ترددت هنا وهناك، ويشبه كلامه أقوال النصارى في محمد ﷺ في القرون الوسطى. ومما يدل على ضعف مصادره وتخبطه، ما ذكرته دائرة المعارف البريطانية، من أنه ذكراً أموراً مضحكة، فقد جعل حادثة الصلب حادثة أممية، مع أنها لا تعدو أن تكون شأناً محلياً خاصاً باليهود، ولا علاقة لروما بذلك، ومن الجهل الفاضح عند هذا المؤرخ، أنه كان يتحدث عن اليهود - ومقصده: النصارى. فذكر أن كلوديوس طردهم من رومية، لأنهم كانوا يحدثون شغباً وقلقاً يجرّضهم عليها " السامي " أو " الحسن " ويريد بذلك المسيح. ومن الأمور المضحكة التي ذكرها تاسيتوس قوله عن اليهود والنصارى بأن لهم إلهاً، رأسه رأس حمار، وهذا هو مدى علمه بالقوم وخبرته.

كما قد شكك المؤرخون بصحة نسبة العبارة إلى تاسيتوس، ومنهم العلامة أندريسن وصاحبنا كتابي " ملخص تاريخ الدين " و " شهود تاريخ يسوع ". وقد تحدث أندريسن أن العبارة التي يحتج بها النصارى على صلب المسيح في كلامه مغايرة لما في النسخ القديمة التي تحدثت عن CHRESTIANOS بمعنى الطيبين، فأبدلها النصارى، وحوروها إلى : CHRISTIANOS بمعنى المسيحيين. وقد كانت الكلمة الأولى (الطيبين) تطلق على عبّاد إله المصريين "أوزيريس"، وقد هاجر بعضهم من مصر، وعاشوا في روما، وقد مقتهم أهلها، وسموهم: اليهود، لأنهم لم يميزوا بينهم وبين اليهود المهاجرين من الإسكندرية، فلما حصل حريق روما؛ ألصقوه بهم بسبب الكراهية، واضطهدوهم في عهد نيرون.

وقد ظن بعض النصارى أن تاسيتوس يريد مسيحيهم الذي صلبوه، فحرف العبارة، وهو يظن أنه يصححها. ويرى العلامة أندريسن أن هذا التفسير هو الصحيح. وإلا كان هذا المؤرخ لا يعرف الفرق بين اليهود والنصارى، ويجهل أن ليس ثمة علاقة بين المسيح وروما (٢).

(١) - قصص الأنبياء، عبد الوهاب النجار، ص (٤٨٥)، دين الله في كتب أنبيائه، محمد توفيق صدقي أفندي، ص (٧٩)، تاريخ الفكر المسيحي، الدكتور القس حنا جرجس الحضري (١/١٥٠).

(٢) - عقيدة الصلب والقداء، محمد رشيد رضا، ص (٩٤ - ٩٧) وموت أم إغما؟ د. فيز صموئيل، ص (٨٠). و هل ائذانا المسيح على الصليب؟ منقذ بن محمود السقار ص ٤٥ - ٥٠.

وهكذا فإن التاريخ أيضاً ناطق بالحقيقة، مثبت لما ذكره القرآن عن نجاة المسيح وصلب غيره.

٤ - معنى (التوفي) والقدر الجامع في مشتقاته في القرآن إنما هو الأخذ والاستيفاء، وهو يتحقق بالإماتة، وبالنوم، وبالأخذ من الأرض وعالم البشر إلى عالم السماء. وان محاورة القرآن الكريم بنفسها كافية في بيان ذلك كما في قوله تعالى في [الزمر: ٤٢] { اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى } ألا ترى انه لا يستقيم الكلام إذا قيل: الله يميت الأنفس حين موتها، وكيف يصح أن التي لم تمت يميتها في منامها . وكما في [الإنعام : ٦٠] : {هُوَ الَّذِي يَتَوَفَّىٰكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا بَحَرْتُمْ بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰ أَجَلٌ مُّسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ } ، فان توفي الناس بالليل إنما يكون بأخذهم بالنوم، ثم يبعثهم الله باليقظة في النهار، ليقضوا بذلك آجالهم المسماة ثم إلى الله مرجعهم بالموت والمعاد ، وكما في قوله تعالى [النساء: ١٥] { حَتَّىٰ يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتَ } ، فإنه لا يستقيم الكلام إذا قيل يميتها الموت . وحاصل الكلام: إن معنى التوفي في موارد استعماله في القرآن وغيره إنما هو أخذ الشيء وافياً، أي تاماً كما يقال: درهم واف. وهذا المعنى ذكره اللغويون للتوفي في المعاجم ، وقالوا: أنّ توفاه واستوفاه بمعنى واحد، وأنشدوا له قول الشاعر : إن بني الادرد ليسوا لأحد \*\*\*\*\* ولا توفاهم قريش في العدد.

وهذا مثال من الأناجيل يوضح أن لفظ الوفاة يطلق على النوم ،يوحنا (١١:١١) ( قال هذا وبعد ذلك قال لهم . لعازر حبيبنا قد نام . لكنني اذهب لأوقظه . ١٢ فقال تلاميذه يا سيد ان كان قد نام فهو يشفى . ١٣ وكان يسوع يقول عن موته . وهم ظنوا انه يقول عن رقاد النوم . ١٤ فقال لهم يسوع حينئذ علانية لعازر مات .) فإن كان لفظ الوفاة يطلق على النوم فما المانع أن يُنسب للمسيح أن رُفِعَ إلى السماء وهو نائم؟ ألم يُرْفَع إدريس (أخنوخ) إلى السماء دون أن يتوفى؟

يقول الشعراوي : إن منطق القرآن الكريم بين لنا أن كلمة ( التوفي ) ليس معناها هو الموت فقط ولكن لها معان أخرى ، إلا أنه غلب اللفظ عند المستعملين للغة على معنى فاستقل اللفظ عندهم بهذا المعنى ، فإذا ما أطلق اللفظ عند هؤلاء لا ينصرف إلا لهذا المعنى، ولهؤلاء نقول : لا بد أن ندقق جيداً في اللفظ ولماذا جاء؟ وقد يقول قائل :ولماذا يختار الله اللفظ هكذا؟

والإجابة هي :لأن الأشياء التي قد يقف فيها العقل لا تؤثر في الأحكام المطلوبة ويأتي فيها الله بأسلوب يحتمل هذا ، ويحتمل ذلك ، حتى لا يقف أحد في أمر لا يستأهل وقفة .

فالذي يعتقد أن عيسى عليه السلام قد رفعه الله إلى السماء ما الذي زاد عليه من أحكام دينه؟ والذي لا يعتقد أن عيسى عليه السلام قد رُفِعَ ، ما الذي نقص عليه من أحكام دينه ، إن هذه القضية لا تؤثر في الأحكام المطلوبة للدين ، لكن العقل قد يقف فيها؟

فيقول قائل : كيف يصعد إلى السماء ؟ ويقول آخر : لقد توفاه الله ، وليعتقد أي إنسان كما يُريد لأنها لا تؤثر في الأحكام المطلوبة للدين .

إذن : فالأشياء التي لا تؤثر في الحكم المطلوب من الخلق يأتي بها الله بكلام يحتمل الفهم على أكثر من وجه حتى لا يترك العقل في حيرة أمام مسألة لا تضر ولا تنفع . فالحق سبحانه قد سمى النوم موتاً لأن النوم غيب عن حس الحياة . واللغة العربية توضح ذلك : فأنت تقول لمن أقرضته مبلغاً من المال ، ويطلب منك أن تتنازل عن بعضه .. فتقول : لا ، لا بد أن أستوفي مالي ، وعندما يُعطيك كل مالك ، تقول له : استوفيت مالي تماماً ، فتوفيته هنا تعني : أنك أخذت مالك بتمامه .

إذن معنى (متوفيك ) قد يكون هو أخذك الشيء تماماً . أقول ذلك (القائل الشعراوي) حتى نعرف الفرق بين الموت والقتل ، وكلاهما يلتقي في أنه سلب للحياة ، وكلمة سلب للحياة قد تكون مرة بنقض البنية ، كضرب واحد لأخر على جمجمته فيقتله ، هذا لون من سلب الحياة ، ولكن بنقض البنية . أما الموت فلا يكون بنقض البنية ، إنما يأخذ الله الروح ، وتبقى البنية كما هي ، ولذلك فرق الله في قرآنه الحكيم بين ( موت و قتل ) وإن اتحد معاً في إزهاق الحياة فقال في [آل عمران: ١٤٤] : { وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ } .

إن الموت والقتل يؤدي كل منهما إلى انتهاء الحياة ، لكن القتل ينهي الحياة بنقض البنية ، ولذلك يقدر البعض البشر على البشر فيقتلون بعضهم بعضاً . لكن لا أحد يستطيع أن يقول : ( أنا أريد أن يموت فلان ) ، فالموت هو ما يجريه الله على عباده من سلب للحياة بنزع الروح ، إن البشر يقدرون على البنية بالقتل ، والبنية ليست هي التي تنزع الروح ، ولكن الروح تحل في المادة فتحياً ، وعندما ينزعها الله من المادة تموت وترم أي تصير رمة .

إذن : فالقتل إنما هو إخلال بالمواصفات الخاصة التي أرادها الله لوجود الروح في المادة ، كسلامة المخ والقلب . فإذا اختل شيء من هذه المواصفات الخاصة الأساسية فالروح تقول : أنا لا أسكن هنا ، إن الروح إذا ما انتزعت ، فلأنها لا تريد أن تنتزع .. لأي سبب ولكن البنية لا تصلح لسكنها ، ونضرب المثل والله المثل الأعلى :

إن الكهرباء التي في المنزل يتم تركيبها ، وتعرف وجود الكهرباء بالمصباح الذي يصدر منه الضوء . إن المصباح لم يأت بالنور ، لأن النور لا يظهر إلا في بنية بهذه المواصفات بدليل أن المصباح عندما ينكسر تظل الكهرباء موجودة ، ولكن الضوء يذهب ، كذلك الروح بالنسبة للجسد . إن الروح لا توجد إلا في جسد له مواصفات خاصة . وأهم هذه المواصفات الخاصة أن تكون خلايا البنية مناسبة ، فإن توقف القلب ، فمن الممكن تدليكه قبل مرور سبع ثواني على التوقف ، لكن إن فسدت خلايا المخ ، فكل شيء ينتهي لأن المواصفات اختلت .

إذن : فالروح لا تحل إلا في بنية لها مواصفات خاصة ، والقتل وسيلة أساسية لهدم البنية ، وإذها ب الحياة ، لكن الموت هو إزهاق الحياة بغير هدم البنية ، ولا يقدر على ذلك إلا الله سبحانه وتعالى ، ولكن خلق الله

يقدرون على البنية ، لأنها مادة ولذلك يستطيعون تحريكها .

إذن : ( فمتوفيك ) تعني : مرة تمام الشيء ، كاستيفاء المال ، وتعني مرة : النوم .

وحين يقول الحق : ( إني متوفيك ) ماذا يعني ذلك ؟ إنه سبحانه وتعالى يريد أن يقول : أريدك تماماً ، أي أن خلقي لا يقدر على هدم بيتك ، إني طالبك إليّ تماماً ، لأنك في الأرض عرضه لأغيار البشر من البشر ، لكنني سأتي بك في مكان تكون خالصاً لي وحدي ، لقد أخذتكم من البشر تماماً ، أي أن الروح في جسدك بكل مواصفتها ، فالذين يقدر على هدم المادة لن يتمكنوا منه .

إذن ، فقول الحق : ورافعك إليّ ، هذا القول الحكيم يأتي مستقيماً مع قول الحق : (متوفيك) . وقد يقول قائل : لماذا نأخذ الوفاة بهذا المعنى ؟

نقول : إن الحق بجلال قدرته كان قادر على أن يقول : إني رافعك إليّ ثم أتوفاك بعد ذلك . ونقول أيضاً : من الذي قال : إن ( الواو ) تقتضي الترتيب في الحدث ؟ ألم يقل الحق سبحانه في [ القمر : ١٦ ] : { فَكَيْفَ كَانَ عَدَابِي وَ نَذْرِي هل جاء العذاب قبل النذر أو بعدها ؟ إن العذاب إنما يكون من بعد النذر . إن ( الواو ) تغيد الجمع للحدثين فقط . ألم يقل الله في كتابه أيضاً : [ الأحزاب : ٧ ] { وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا } إن ( الواو ) لا تقتضي ترتيب الأحداث ، فعلى فرض أنك قد أخذت ( متوفيك ) أي ( ميثقتك ) من الذي قال : إن ( الواو ) تقتضي الترتيب في الحدث ؟ بمعنى أن الحق يتوفى عيسى ثم يرفعه فإذا قال قائل : ولماذا جاءت ( متوفيك ) أولاً ؟

نرد على ذلك : لأن البعض قد ظن أن الرفع تبرئه من الموت .

ولكن عيسى عليه السلام سيموت قطعاً ، فالموت ضربه لازب ، ومسألة يمر بها كل بشر .

هذا الكلام من ناحية النص القرآني . فإذا ما ذهبنا إلى الحديث وجدنا أن الله فوض رسوله ﷺ ليشرح ويبين ، ألم يقل الحق ( بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ) [ النحل : ٤٤ ] ، فالحديث المتفق عليه : كيف أنتم إذا نزل ابن مريم فيكم وإمامكم منكم ) ؟ أي أن النبي ﷺ بين لنا أن ابن مريم سينزل مرة أخرى . ولنقف الآن وقفة عقلية لنواجه العقلايين الذين يحاولون التعب في الدنيا فنقول : يا عقلائيون أقبلتم في بداية عيسى عليه السلام أن يوجد من غير أب على غير طريقة الخلق في الإيجاد والميلاد ؟ سيقولون : نعم . هنا نقول : إذا كنتم قد قبلتم بداية مولده بشيء عجيب خارق للنواميس فكيف تفقون في نهاية حياته إن كانت خارقة للنواميس ؟ إن الذي جعلكم تقبلون العجبية الأولى يمهّد لكم أن تقبلوا العجبية الثانية . إن الحق سبحانه وتعالى يقول : ( إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنِي مَتْوَفِيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ) [ آل عمران : ٥٥ ] إن الله سبحانه وتعالى يبلغ عيسى عليه السلام إنني سأخذك تاماً غير مقدور عليك من البشر ومطهرك من خبث هؤلاء الكافرين ونجاستهم ، وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة . وكلمة ( اتبع ) تدل على أن هناك ( مُتَّبِعًا ) يتلو مُتَّبِعًا .

أي أن المتبع هو الذي يأتي بعد ، فمن الذي جاء بعد عيسى عليه السلام بمنهج من السماء ؟ إنه سيدنا محمد ﷺ . ولكن على أي منهج يكون الذين اتبعوك ؟

أعلى المنهج الذي جاؤا به أم المنهج الذي بلغته أنت يا عيسى ؟  
إن الذي يتبعك على غير المنهج الذي قلته لن يكون تبعاً لك ، ولكن الذي يأتي ليصحح الوضع على المنهج الصحيح فهو الذي اتبعك .

وقد جاء سيدنا محمد ﷺ ليصحح الوضع ويبلغ المنهج كما أراده الله ﷻ وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة ﷻ . فإن أخذنا المعنى بهذا إن أمة سيدنا محمد ﷺ هي التي اتبعت منهج الله الذي جاء به الرسل جميعاً ، ونزل به عيسى أيضاً أن أمة سيدنا محمد ﷺ قد صححت كثيراً من القضايا التي انحرف بها القوم

٥- من صلب هو الشبيه ، لذا فالذين قالوا : " رأينا مصلوباً " أخبروا بما رأوا إذ ظنوا الشبيه هو عيسى عليه السلام نفسه ، والذين قالوا : " رأينا بعد الحادثة " هم على حق ، لأنه لم يصلب ، وأتى القرآن الكريم بالعلم الذي يكشف الحقيقة ويخرج الناس من الاختلاف وهذا النوع من الإعجاز يعد من أدلة صدق الرسول ﷺ ، لأن القصة وقعت بعيدة عن زمن سيدنا محمد ﷺ وصار أهلها في ارتباك وحيرة ، ويأتي نبي أمي في أمة أمية بعد قرون يكشف لهم السر ويبين لهم التفسير الحقيقي للمشاهدات التي تبدو متناقضة ، فيرفع عنها التناقض ويزيل الإشكال . وهذا دليل على أن هذا العلم الذي جاء علي يد النبي الأمي لا يمكن أن يكون إلا من عند الله . وبعد اعتناق العدد الكثير من الأحرار والرهبان الإسلام طوال التاريخ إقراراً بصدق ما جاء في القرآن من خبر صادق عن التاريخ الصحيح للرسل وأتباعهم ، والذي جاء علي يد نبي أمي ليس في ثقافة قومه شيء من هذه الأخبار .

و لقد أورد الأستاذ أحمد ديدات في كتابه " مسألة صلب المسيح بين الحقيقة والافتراء " ثلاثين نقطة استخلصها من أسفار الأناجيل المختلفة من بين أدلة أخرى تفند فرية صلب المسيح عليه السلام وتؤكد ما أقره القرآن الكريم بشأن الحادثة .

أما هم فيقولون العلة المترتبة على صلب المسيح هي غفران خطايا من يؤمن به رباً مصلوباً والغفران لكل من كان في المدة من آدم إلى المسيح إذا قدر أنهم لو كانوا له مشاهدين ، لكانوا به مؤمنين . فهل هذه العلة صحيحة ؟

بالتأكيد ليست بصحيحة . وذلك لأن آدم لما أخطأ هدته الحكمة أن يعترف بخطئه وأن يتوب . فتاب الله عليه . وإذ هو قد تاب ، فأية فائدة من سريان خطيئة آدم في بنيه ؟ ففي سفر الحكمة : ( والحكمة هي التي حمت الإنسان الأول أب العالم الذي خلق وحده لما سقط في الخطيئة ؛ رفعته من سقوطه ، ومنحته سلطة على كل شيء ) [الحكمة ١٠ : ٢٠] .

وفي التوراة: أن نجاة المرء من غضب الله يكون بالعمل الصالح حسبما أمر الله . ومن لا يعمل بما أمر الله ؛ فإنه لا يكون له نجاة . ففي سفر الحكمة عن نوح . عليه السلام . وولده : " وعندما غاصت الأمم في شرورها ؛ تعرفت الحكمة برجل صالح ، وحفظته من كل عيب في نظر الله ، وجعلته قوياً يفضل العمل بأمر الله على

الاستجابة إلى عاطفته بُجَاه ولده " [حكمة ١٠ : ٥]. انظر إلى قوله " تجاه ولده " أي ولده الذى غرق لعدم إيمانه وعمله ويقول المسيح عيسى . عليه السلام :: " كل كلمة فارغة يقولها الناس؛ يُحاسبون عليها يوم الدين. لأنك بكلامك تُبَرِّر، وبكلامك تُدان " [متى ١٢ : ٣٧]. وفى التوراة: " لا يُقتل الآباء عن الأولاد ، ولا يقتل الأولاد عن الآباء. كل إنسان بخطيئته يُقتل " [ث ٢٤ : ١٦].

إذا رجعنا للكتاب المقدس عند النصارى وجدنا أقوال المسيح على الصليب -إذا فرضنا صحه هذا الأقوال-، فإنها تخلف بكل عقل نظريتهم المزعومة و لكنها قد توافق هذه القصة حيث ان المحكوم عليه بالصلب رفض التصريح بانه ملك اليهود و هي كما يلي في انجيل متي : ( نَحْوُ السَّاعَةِ الثَّلَاثَةِ صَرَخَ يَسُوعُ بِصَوْتٍ عَظِيمٍ: «إِيلِي، إِيلِي، لَمَا شَبَقْتَنِي؟» أَيُّ: «إِلَهِي، إِلَهِي، لِمَاذَا تَرَكْتَنِي؟» متي : ٢٧: ٤٦ )

انه ذلك الشاب الذي تطوع لأخذ مكان المسيح فهو يستغيث بالله من الألم و ذلك طبيعي للمعذب و لكنه بالطبع ليس طبيعي بالنسبة للرواية المسيحية ان الله يستغيث بالله !!!!! و اذا كان ابن الله فمن الأخرى ان يقول " ابي ابي لما تركتني ، في انجيل متي مره اخري : وَلَكِنَّ يَسُوعَ ظَلَّ صَامِتًا. فَعَادَ رَئِيسُ الْكَهَنَةِ يَسْأَلُهُ: قَالَ: «أَسْتَحْلِفُكَ بِاللَّهِ الْحَيِّ أَنْ تَقُولَ لَنَا: هَلْ أَنْتَ الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ؟» ٦٤ فَأَجَابَهُ يَسُوعُ: «أَنْتَ قُلْتَ! وَأَقُولُ لَكُمْ أَيْضًا إِنَّكُمْ مِنْذُ الْآنَ سَوْفَ تَرَوْنَ ابْنَ الْإِنْسَانِ جَالِسًا عَنْ يَمِينِ الْقُدْرَةِ ثُمَّ آتِيًا عَلَى سَحَابِ السَّمَاءِ!» ٦٥ (انجيل متي : ٢٦: ٦٥) فانه لم يكذب كلام الحاخام اليهودي و لم يقول و من الطبيعي انه اذا كان هو المسيح و هو كما يدعون ابن الله لما كان كذب !! . (١)

(١) - راجع حقائق الاسلام في مقابل شبهات المشككين ، الشبهة رقم ١١٧ ، مجموعة من العلماء نشر وزارة الاوقاف المصرية

## المبحث الرابع : الأباطيل المتعلقة بشخص النبي ﷺ

### أولاً : قصة الغرائق

قالوا: النبي ﷺ يعرض له الشيطان كما يعرض لغيره من الناس، فيختلط عليه القرآن بغيره، واستدلوا لهذه الفرية بقصة الغرائق التي أوردتها المفسرون في سياق تفسيرهم لقوله تعالى: {وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته والله عليم حكيم} [الحج: ٥٢].

والقصة - كما ذكرها المفسرون - تتلخص في أن النبي ﷺ كان في مجلس قريش، فنزلت عليه سورة النجم، فقرأها على المشركين حتى إذا بلغ قوله تعالى: {أفأنتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى} [النجم: ١٩ - ٢٠]، فألقى الشيطان على لسانه: (تلك الغرائق العلى، وإن شفاعتهن لترتجى). ففرحت قريش، وسجدوا مع النبي ﷺ في آخرها، وقالوا: لقد ذكر محمد آهتنا بأحسن الذكر. (١)

والجواب: "قصة الغرائق باطلة بالقرآن والسنة والمعقول؛ قال تعالى: (ولو تقول علينا بعض الأقاويل \* لأخذنا منه باليمين \* ثم لقطعنا منه الوتين \*) [الحاقة ٤٤ - ٤٧]. وقال سبحانه حكاية عن رسوله صلى الله عليه وسلم: (قل ما يكون لى أن أبدله من تلقاء نفسه إن أتبع إلا ما يوحى إلى) [يونس: ١٥]. أما بطلانها بالسنة فقد روى الإمام البخارى في صحيحه أن النبي ﷺ قرأ سورة "النجم" فسجد وسجد فيها المسلمون والمشركون والإنس والجن وليس فيها حديث "الغرائق" وقد روى هذا الحديث من طرق كثيرة ليس فيها ألبته حديث الغرائق. أما عقلا: فمن وجوه منها:

أ. أن من جَوَزَ تعظيم الرسول للأصنام فقد كفر لأن من المعلوم بالضرورة أن أعظم سعيه ﷺ كان لنفى الأصنام وتحريم عبادتها؛ فكيف يجوز عقلاً أن يثنى عليها؟ ب. إننا لو جَوَزنا ذلك لارتفع الأمان عن شرعه صلى الله عليه وسلم فإنه لا فرق - في منطق العقل - بين النقصان في نقل وحى الله وبين الزيادة فيه. تفصيل الرد:

أول ما يجدر التنبيه عليه أن ورود الروايات السابقة في كتب المفسرين أو قصاص السير لا يعني صحتها ولا توثيقها بحال من الأحوال، وقد نبه على ذلك غير واحد من العلماء، ومنهم الطبري في تاريخه بقوله: "ما يكن في كتابي هذا من خبر ذكرناه عن بعض الماضين مما يستنكره قارئه، أو يستشنع سامعه، من أجل أنه لم يعرف له وجهها في الصحة، ولا معنى في الحقيقة، فليعلم أنه لم يؤت في ذلك من قبلنا، وإنما أتى من قبل بعض ناقله إلينا، وأنا إنما أدينا ذلك على نحو ما أدي إلينا" (٢)، ومثله قول الكمال ابن الهمام: "كتب التفسير مشحونة بالأحاديث الموضوعة" (٣).

ومن أورد هذه القصة ابن إسحاق في سيرته، مع اعتقاده ببطلانها، وعنه نقلها من نقل، يقول أبو حيان: "سئل عنها الإمام محمد بن إسحاق جامع السيرة النبوية، فقال: هذا من وضع الزنادقة، وصنف في ذلك كتاباً"

(١) - جامع البيان، الطبري (١٨/٦٦٤ - ٦٧٠). مرجع سابق.

(٢) - تاريخ الأمم والملوك، الطبري (٨/١). الناشر: دار التراث - بيروت، الطبعة: الثانية - ١٣٨٧ هـ.

(٣) - زين الدين المناوي القاهري (المتوفى: ١٠٣١ هـ) فيض القدير شرح الجامع الصغير (١/١٧). المكتبة التجارية الكبرى - مصر ط ١٣٥٦.

(١)، فيإيراده رحمه الله هذه الروايات في كتابه ليس توثيقاً لها، بل هو على عادة قصاص السير في ترك التحري في أخبار السير وقصصها.

وإن قصة الغرائق من أضعف ما رواه المفسرون في تفاسيرهم، فجميع أسانيدنا ضعيفة أو منقطعة، وهي في جملتها موقوفة على جماعة من التابعين الذين لم يشهدوا القصة، ولم يرووها عن حضرها من الصحابة، فهي موقوفة على التابعين سعيد بن جبير وأبي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث وأبي العالية. ولم تتصل أسانيد هذه القصة إلى الصحابة إلا فيما رواه الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس (٢)، وما رواه البزار من طريق أمية بن خالد بإسناده إلى ابن عباس مع تنبيهه إلى شك الراوي في رفعها إلى ابن عباس، فقال: "عن ابن عباس فيما أحسب"، وهذا كما قال البزار: "هذا الحديث لا نعلمه يروى عن النبي ﷺ بإسناد متصل يجوز ذكره إلا هذا، ولم يسنده عن شعبة إلا أمية بن خالد، وغيره يرسله عن سعيد بن جبير" (٣). فهذا يؤكد الشك في الرواية المرفوعة المسندة بإسناد مقبول.

ويجدر بالذكر أن البخاري ذكر في صحيحه من رواية ابن عباس قصة سجود المشركين ولم يذكر شيئاً عن موضوع الغرائق (في البخاري من رواية ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ سجد بالنجم، وسجد معه المسلمون والمشركون والجن والإنس، ومثله في رواية أبي داود عن ابن مسعود، وكذلك رواية أحمد عن المطلب بن أبي وداعة السهمي، وكان ممن حضر يومئذ مع المشركين (٤)).

وقد رد المحققون من أهل العلم قصة الغرائق، وبالغوا في التحذير من روايتها وبيان ضعفها، قال ابن كثير: "لم أرها مسندة من وجه صحيح"، وقال: "وقد ذكرها محمد بن إسحاق في السيرة بنحو من هذا، وكلها مراسلات ومنقطعات". وقال ابن خزيمة: "إنها من وضع الزنادقة". وقال أبو حيان الأندلسي: "قال البيهقي: هي غير ثابتة من جهة النقل، وقال ما معناه: إن رواها مطعون عليهم وليس في الصحاح ولا في التصانيف الحديثة شيء مما ذكره فوجب اطراحه. ولذلك نهت كتابي عن ذكره فيه". وأما القرطبي فقال: "وضع الحديث مغن عن كل تأويل". وكذلك ضعفها ابن حزم بقوله: "والحديث الذي فيه: وإئمن الغرائق العلاء، وإن شفاعتهن لترجى. فكذب بحت لم يصلح من طريق النقل، ولا معنى للاشتغال به، إذ وضع الكذب لا يعجز عنه أحد" (٥). وقال القاضي عياض: "هذا الحديث لم يخرج أحد من أهل الصحة، ولا رواه ثقة بسند سليم متصل، وإنما أولع به وبمثله المفسرون والمؤرخون المولعون بكل غريب المتلقفون من الصحف كل صحيح وسقيم" (٦).

(١) - البحر المحيط، أبو حيان (٥٢٦/٧). مرجع سابق.

(٢) - وفيه هشام الكلبي، وهو كذاب مردود الرواية، قال البخاري: "أبو النضر الكلبي، تركه يحيى وابن مهدي"، ثم قال: "قال علي: حدثنا يحيى، عن سفيان، قال لي الكلبي: كل ما حدثتكم عن أبي صالح فهو كذب".

وقال ابن عدي: "وقد حدث عن الكلبي سفيان وشعبة وجماعة، ورضوه في التفسير، وأما في الحديث فعنده منكر، وخاصة إذا روى عن أبي صالح، عن ابن عباس". انظر ميزان الاعتدال، الذهبي (٥٥٧/٣ - ٥٥٨)، وهذا الأثر مما أخرجه الكلبي عن أبي صالح، فهو بعض ما اعترف الكلبي بكذبه فيه.

(٣) - نصب المجانيق لنسب قصة الغرائق، الألباني، ص (٥٦). الناشر: المكتب الإسلامي، الطبعة الثالثة: ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م

(٤) - أخرجه البخاري ح (١٠٧١)، سنن أبي داود ح (١٤٠٦)، ومسند أحمد ح (٢٦٧٠١).

(٥) - الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (٨٤/١٢)، مرجع سابق، تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (٣/٣١٨)، والإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير، محمد أبو شهبة (٣١٤) الناشر: مكتبة السنة ط ٤، ونصب المجانيق لإبطال قصة الغرائق، محمد ناصر الدين الألباني، ص (٤٤ - ٤٧)، والبحر المحيط، أبو حيان (٦/٣٥٢). مرجع سابق.

(٦) - الشفا بتعريف حقوق المصطفى، القاضي عياض (٢/٢٨٩) الناشر: دار الفحاء - عمان الطبعة: الثانية - ١٤٠٧ هـ.

وقد حسن ابن حجر روايات قصة الغرائق رغم اعترافه بأن أسانيدنا مرسله، واحتج لتحسينه بتعدد مخرجها، لكنه مع ذلك لا يقول بما يقول به المرجفون بهذه القصة من نطق النبي ﷺ بهذه الكلمات، بل يتأولها على أن الشيطان كان يتكلم بين سكتات النبي ﷺ، واستدل لذلك بما جاء في رواية ابن أبي حاتم من سماع المشركين لهذه الكلمات وعدم سماع المسلمين لها "فأما المسلمون فمحبوا لسجود المشركين معهم على غير إيمان ولا يقين، ولم يكن المسلمون سمعوا الآية التي ألقى الشيطان في مسامع المشركين".<sup>(١)</sup>

وقد فهم ابن حجر من قوله تعالى: { في أميته } أنه بمعنى: عند تلاوته، أي ألقى الشيطان في مسامع الكفار تلك الكلمات عند تلاوة النبي ﷺ وفي سكتاته، وهذا تحتمله لغة العرب، لأن (في) تأتي بمعنى: (عند)، كما في قوله تعالى: { ولبث فينا من عمرك سنين } [الشعراء: ١٨]، أي لبثت عندنا.

وإلى هذا أشار القرطبي ورتبه: "على تسليم الحديث لو صح، وقد أعادنا الله من صحته .. الذي يظهر ويترجح في تأويله على تسليمه [أي إذا سلمنا بصحة الرواية، وليست بصحيحة] أن النبي ﷺ كان كما أمره ربه يرتل القرآن ترتيلاً، ويفصل الآي تفصيلاً في قراءته، كما أخرجه الثقات عنه، فيمكن ترصد الشيطان لتلك السكتات ودسه فيها ما اختلقه من تلك الكلمات، محاكياً نغمة النبي ﷺ؛ بحيث يسمعه من دنا إليه من الكفار، فظنوها من قول النبي ﷺ وأشاعوها، ولم يقدح ذلك عند المسلمين لحفظ السورة قبل ذلك على ما أنزلها الله، وتحققهم من حال النبي ﷺ في ذم الأوثان وعيبها ما عرف منه، فيكون ما روي من حزن النبي ﷺ لهذه الإشاعة والشبهة وبسبب هذه الفتنة، قال الرازي: "وأما أهل التحقيق فقد قالوا: هذه الرواية باطلة وموضوعة، واحتجوا عليه بالقرآن والسنة والمعقول" (٢).

وإضافة إلى الضعف الذي يكتنف سند القصة؛ فإن في متونها من التناقض والخلل ما يكفي لردّها وإبطال الشبهة المثارة من خلالها، ومن ذلك:

١ - ما نبه العلماء عليه من تعارض روايات قصة الغرائق الضعيفة وغير المتصلة بالإسناد إلى من حضر الواقعة، يقول القاضي بكر بن العلاء المالكي: "لقد بلي الناس ببعض أهل الأهواء والتفسير، وتعلق بذلك الملحدون مع ضعف نقلته واضطراب رواياته وانقطاع إسناده واختلاف كلماته، فقايل يقول: إنه في الصلاة، وآخر يقول: قالها في نادي قومه حين أنزلت عليه السورة، وآخر يقول قالها وقد أصابته سنة، وآخر يقول: بل حدث نفسه فيها، وآخر يقول: إن الشيطان قالها على لسانه، وأن النبي ﷺ لما عرضها على جبريل قال: ما هكذا أقرأتكم، وآخر يقول: بل أعلمهم الشيطان أن النبي ﷺ قرأها، فلما بلغ النبي ﷺ ذلك قال: والله ما هكذا نزلت، إلى غير ذلك من اختلاف الرواة" (٣).

٢ - أن العرب لا تطلق كلمة (الغرنوق) على الأصنام، بل هو اسم لطائر مائي أبيض أو أسود، وفي ذلك يقول الأصمعي: يظل تغنيه الغرائق فوقه ... آباء وغيل فوقه متأصر ومثله قول ابن السكيت: الغرائق: طير مثل الكراكي، الواحد غرنوق، وأنشد:

(١) - انظر: فتح الباري، ابن حجر (٨/٤٣٩-٤٤٠)، مرجع سابق، وتفسير ابن أبي حاتم (٨/٢٥٠١). مرجع سابق.  
(٢) - "الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (١٢/٨٣-٨٤) مرجع سابق. (التفسير الكبير، الرازي (٢٣/٢٣٧). مرجع سابق.  
(٣) - (الشفاء بتعريف حقوق المصطفى، القاضي عياض (٢/٢٩٠). الناشر: دار الفحاء - عمان الطبعة: الثانية - ١٤٠٧ هـ.

أو طعم غادية في جوف ذى حذب ... من ساكن المزن يجري في الغرائق  
ومن معاني الغرنوق المذكورة في قواميس العرب: الشاب الأبيض الناعم، ومنه قول الليث:  
ألا إن تطلابي لمثلك زلة ... وقد فات ريعان الشباب الغرائق

كما يطلق في لغة العرب أيضا على النبات اللين. ولا تشابه بين سائر هذه المعاني العربية والأصنام، وغاية  
ما وجدته في هذا الصدد ما نقله الزبيدي بصيغة التمريض والتضعيف، وهو قوله: "وقيل: هو الكركي، شبهت  
الأصنام بالطيور التي تعلق وترتفع في السماء على حسب زعمهم" . (١)

ونقل المفسرون عن الحسن أن المقصود بالغرائق العلى؛ الملائكة المرتفعة في السماء، وهؤلاء ترتجى  
شفاعتهم، إذ هم ممن أذن الله لهم في الشفاعة، كما جاء في السياق القرآني في سورة النجم في قوله تعالى:  
{وكم من ملك في السموات لا تغني شفاعتهم شيئا إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى} [النجم:  
٢٦].

٣ - أن السياق القرآني في سورة النجم التي ذكروا أن هذه الكلمات ألقيت على النبي ﷺ فيها يندد  
بأصنام المشركين ومعبوداتهم {أفأنتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى ألكم الذكر وله الأنثى تلك إذا قسمة  
ضيضى إن هي إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان إن يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس  
ولقد جاءهم من ربهم الهدى} [النجم: ١٩ - ٢٣]، فلو كان النبي ﷺ نطق بتلك الكلمات فإن في السياق  
ما يبين براءته من الأصنام وكفره بها، فلو كان المشركون سمعوا من النبي ﷺ مدحا لأصنامهم وهو يقرأ آيات  
سورة النجم المشنعة على هذه المعبودات الباطلة لقالوا له: ما بالك تشتم آلهتنا وتذكر أنها معبودات باطلة  
نعبدها نحن وآباؤنا من غير سلطان من الله، ثم أنت تقول: شفاعتھن ترتجى! لكن شيئا من ذلك لم يكن، لأن  
القصة مختلفة وغير صحيحة.

يقول ابن كثير: "استحالة هذه القصة نظرا وعرفا، وذلك أن هذا الكلام لو كان كما روي لكان بعيد  
الالتزام، متناقض الأقسام، ممتزج المدح بالذم، متخاذل التأليف والنظم، ولما كان النبي ﷺ ولا من بحضرته من  
المسلمين وصناديد المشركين ممن يخفى عليه ذلك، وهذا لا يخفى على أدنى متأمل، فكيف بمن رجح حلمه،  
واتسع في باب البيان ومعرفة فصيح الكلام علمه" . (٢)

٤ - لا علاقة بين أسطورة الغرائق المكبية وآيات سورة الحج المدنية، والتي ورد فيها قول الله تعالى: {وما  
أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم  
الله آياته والله عليم حكيم} [الحج: ٥٢]، فقد ربط بينهما من وصفهم القاضي عياض بأنهم "المفسرون  
والمؤرخون المولعون بكل غريب المتلقفون من الصحف كل صحيح وسقيم" . (٣)

(١) - لسان العرب، ابن منظور (٢٨٦/١٠) مرجع سابق، وتاج العروس، الزبيدي (٣٧٦/١٣)، الناشر: دار الفكر - بيروت الطبعة: الأولى ١٤١٤ هـ،  
عدد الأجزاء = ٢٠

(٢) - (تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (٥/٤٤٤). مرجع سابق طبعة طيبة

(٣) - (الشفاء بتعريف حقوق المصطفى، القاضي عياض (٢/٢٨٩). مرجع سابق .

ولو أغمضنا الطرف عن مدنية سورة الحج ومباينتها للأسطورة المكية؛ فإن في تمام آيات سورة الحج ما يرد على القادحين بوحى القرآن، ففي تمام الآية السابقة أن الله يحفظ آياته ويحكمها؛ وأنه يبطل عنها ما يلقيه الشيطان {فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته والله عليم حكيم} [الحج: ٥٢]، فبإحكام الله لآياته يزول كل لبس وتنجلي كل شبهة إلا عند أصحاب القلوب المريضة الذين تصور الآيات افتتاحهم بهذا الذي ألقاه الشيطان وأبطله الله {ليجعل ما يلقي الشيطان فتنة للذين في قلوبهم مرض والقاسية قلوبهم وإن الظالمين لفي شقاق بعيد وليعلم الذين أوتوا العلم أنه الحق من ربك فيؤمنوا به فتخبت له قلوبهم وإن الله لهاد الذين آمنوا إلى صراط مستقيم} [الحج: ٥٣ - ٥٤].

٥ - تتعارض روايات الغرائق مع عصمة الله أنبياءه عليهم السلام من تسلط الشيطان عليهم وتخليط باطله بالوحي المنزل إليهم، فالله يثبت أنبياءه عليهم السلام ويمنعهم مما يعرض لغيرهم من عوارض الضعف البشري الذي يخل بمنصب النبوة والرسالة، ومن مثل ذلك قول الله تعالى لنبيه ﷺ: {وإن كادوا ليفتنونك عن الذي أوحينا إليك لتفتري علينا غيره وإذا لاتخذوك خليلا إذا لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات ثم لا تجد لك علينا نصيراً} [الإسراء: ٧٣ - ٧٥]، فتشبهت الله تعالى له نفى عنه المقاربة والميل إلى الكافرين. وقد امتن الله على نبيه ﷺ بهذه العصمة الإلهية، فهي بعض فضل الله عليه {ولولا فضل الله عليك ورحمته لهمت طائفة منهم أن يضلوك وما يضلون إلا أنفسهم وما يضرونك من شيء وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيماً} [النساء: ١١٣].

يقول ابن كثير: "قامت الحجة وأجمعت الأمة على عصمته ﷺ ونزاهته عن مثل هذه الرذيلة، أما من تمنيه أن ينزل عليه مثل هذا من مدح آلهة غير الله وهو كفر أو أن يتصور عليه الشيطان ويشبه عليه القرآن حتى يجعل فيه ما ليس منه ويعتقد النبي ﷺ أن من القرآن ما ليس منه حتى ينبهه جبريل عليه السلام، وذلك كله ممنوع في حقه ﷺ، أو يقول ذلك النبي ﷺ من قبل نفسه عمداً - وذلك كفر - أو سهواً، وهو معصوم من هذا كله". (١)

وثمة سؤال يطرح نفسه: إذا بطلت قصة الغرائق وظهر خطأ المعنى الذي تداوله المفسرون فما معنى الآية التي في سورة الحج {وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته والله عليم حكيم} [الحج: ٥٢]؟.

الإجابة: إن معنى الآية يدور على فهم معنى قوله تعالى: {إذا تمنى}، وقد ذكر جمهور المفسرين أنه بمعنى (قرأ) أو (تلا)، وهذا التأول للتمنى بمعنى التلاوة جائز من الناحية اللغوية، ويتساق مع روايات الغرائق الضعيفة التي أوردوها في كتبهم، وقد يشهد له قوله: {ثم يحكم الله آياته}. لكن المعنى الذي اختاره جماعة من المحققين أن قوله: {إذا تمنى} على ظاهره، من الأمنية كما ذهب إليه الفراء والكسائي وغيرهما، قال الرازي (٢) بعد أن ذكر ارتباط معنى التمنى بالتلاوة بسبب روايات الغرائق الباطلة: "وأما إذا فسرناها [أي قوله: {إذا تمنى}]

(١) - (تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (٥/٤٤٤)).

(٢) - (التفسير الكبير، الرازي (٢٣/٢٤٠) مرجع سابق. (فتح القدير، الشوكاني (٣/٥٤٦)).

بالخاطر وتمني القلب؛ فالمعنى أن النبي ﷺ متى تمنى بعض ما يتمناه من الأمور؛ يوسوس الشيطان إليه بالباطل ويدعوه إلى ما لا ينبغي؛ ثم إن الله تعالى ينسخ ذلك ويبطله ويهديه إلى ترك الالتفات إلى وسوسته. (١)

## ثانياً : سحر النبي ﷺ

قالوا: تعرض النبي ﷺ للسحر، وهذا يلقي بظلال الشك على ما أتى به من أخبار، إذ قد يكون بعض ما يقرأه على أنه من القرآن إنما هو من تأثير السحر، وهذا يوجب الشك في كل القرآن. وقالوا: إن سحر النبي يدل على تسلط الشيطان عليه، وهذا يقدر في أهلية الرسول لحمل الرسالة الإلهية، فالقرآن يجزم أن الشيطان لا يتسلط إلا على أوليائه: {إنه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون إنما سلطانه على الذين يتولونه والذين هم به مشركون} [النحل: ٩٩ - ١٠٠].

وفي الجواب نقول: إن الأنبياء بشر، يعرض لهم ما يعرض لسائر البشر من مرض وهم وحزن وغضب وابتلاء وقتل، ولا يمتازون عنهم إلا بما خصهم الله من الوحي وما يستلزمه ذلك من تأييد بالحجة والبرهان {قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي} [فصلت: ٦].

وقد تعرض الأنبياء لسنوف البلاء التي صبها عليهم شياطين الإنس والجن {وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الإنس والجن يوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا ولو شاء ربك ما فعلوه فذرهم وما يفترون} [الأنعام: ١١٢]، لكن هذا التسلط الشيطاني لم يجاوز أجسادهم، ولم يصل - لعصمة الله لهم - إلى أرواحهم؛ لأنهم أولياء الله تبارك وتعالى يصدق فيهم قوله تعالى: {إن عبادي ليس لك عليهم سلطان إلا من اتبعك من الغاوين} [الحجر: ٤٢]، فلم يقع منهم كبير ذنب ولا قبيحة، لأنهم رسل الله، والرسول على قدر المرسل. ووفق هذا المبدأ يرفض المسلمون ما تطفح به كتب أهل الكتاب من اتهام الأنبياء بالزنا أو السكر أو عبادة الأصنام، فهذا كله إنما يقع بتسلط الشيطان، وهم معصومون منه بقوة الله وحفظه. وكذلك كان نبينا ﷺ، فلم يتسلط شيطان عليه، ولم تقع منه القبائح قبل السحر ولا بعده، وغاية الأمر في حادثة سحره ﷺ أن الشيطان آذاه في جسده، كما تؤذيه - وإخوانه الأنبياء - شياطين الإنس، بل والجراثيم، فيصاب بالأمراض والأذى وغيرها من العوارض التي لا يسلم منها بشر، لكن ذلك لا يخل - بحال من الأحوال - بأهليته للرسالة وعصمته عن الخطأ في البلاغ عن الله، فما ينقله النبي ﷺ عن ربه {وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى} [النجم: ٣ - ٤].

ولهذا كان عبد الله بن عمرو يكتب كل شيء يسمعه من رسول الله ﷺ ليحفظه، فنهته قريش، وقالوا: أكتب كل شيء تسمعه، ورسول الله ﷺ بشر يتكلم في الغضب والرضا؟ يقول عبد الله: فأمسكت عن الكتاب، فذكرت ذلك لرسول الله - صلى الله عليه وسلم -، فأوماً بأصبعه إلى فيه فقال: "أكتب، فوالذي نفسي بيده ما يخرج منه إلا حق" <sup>٢</sup>، فهو ﷺ معصوم في كل أحواله من الزلل والغلط.

(١) - نقض الإبطولة السابق منقول عن كتاب تنبيه القرآن عن دعاوى المبطلين ص ١٥٣ - ١٦٢ مرجع سابق .  
(٢) - أخرجه أبو داود ح (٣٦٤٦).

والسحر على أنواع بعضها دون بعض، ومن أنواعه سحر التخجيل، حيث يتخيل المسحور أنه فعل شيئاً من غير أن يكون قد فعله حقيقة، كما وقع لموسى عليه السلام حين ألقى سحرة فرعون حبالهم وعصيهم { فإذا حبالهم وعصيهم يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى } [طه: ٦٦].

وهذا النوع من السحر هو ما أصاب النبي ﷺ حين سحر، وقد انحصر أثره في علاقة النبي ﷺ الجسدية مع أزواجه، فكان يخيل إليه أنه يجامع نساءه من غير أن يكون ذلك حقيقة، تقول أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: (مكث النبي ﷺ كذا وكذا يخيل إليه أنه يأتي أهله، ولا يأتي) (١)، قال القاضي عياض:

"فظهر بهذا أن السحر إنما تسلط على جسده وظواهر جوارحه؛ لا على تمييزه ومعتقده". (٢) ويجدر التنبيه هنا إلى أنه لا يلزم من تخيله ﷺ أنه فعل الشيء الذي لم يفعله أن يجزم بتخيله ذلك، فقد يكون تخيله من جنس الخاطر الذي يخطر على باله ولا يثبت، وهو أمر قد يحصل لأي أحد من غير سحر ولا نفث عقد. وقد اعتبرت الملائكة ما أصاب النبي ﷺ من السحر من جنس المرض الذي يصيب الأنبياء وغيرهم، فقال «أحدهما للآخر: ما وجع الرجل؟» فاعتراه مريضاً، وكذلك اعتبره النبي - صلى الله عليه وسلم -، فقد قال في آخر الحديث: «فأما أنا فقد شفاني الله»<sup>٣</sup>، وفي رواية: «إن الله أنبأني بمرضي»، وكذلك ورد في حديث عائشة قولها: (فكان يدور ولا يدري ما وجعه) (٤)، وقال ابن عباس: (مرض النبي ﷺ)، وأخذ عن النساء والطعام والشراب) (٥). وفي قصة سحره ﷺ فوائد، منها: قطع ذرائع الغلو في شخصه ﷺ، والإيمان أنه بشر كسائر البشر {قل سبحان ربي هل كنت إلا بشراً رسولاً} [الإسراء: ٩٣]. ومنها الدلالة على نبوته ﷺ (٦)، فقد قالت أخت الساحر لبيد: "إن يكن نبياً فسيخبر، وإلا فسيذهله هذا السحر حتى يذهب عقله" (٧)، وقد كانت الأولى حين أخبر، ثم شفي لما أنزل الله عليه المعوذتين.

### ثالثاً: مشكلة الوحي، وهل النبي ﷺ مصاب بالصرع؟

قالوا: النبي ﷺ مصاب بالصرع، وهذا الذي يأتيه فيزعم أنه من الوحي إنما هو بعض آثار هذا المرض، واحتجوا لذلك بما كان يرافق النبي ﷺ من أحوال غير معتادة، وقعت له ﷺ بسبب ثقل الوحي عليه. والجواب: لكم يعجب المرء لهذه الأبطولة، فلئن أنكروا القوم نبوته ﷺ أفتراهم ينكرون أنه غير واقع العرب من قبائل متناحرة؛ لاحظ لها بالعلم والمعرفة والمدنية فأقام منهم أمة قادت الحضارة الإنسانية ثمانية قرون! أم تراهم ينكرون ما قدمه ﷺ من إصلاح اجتماعي وأخلاقي جعل المسلمين أفضل الأمم أخلاقاً وأحسنهم أوضاعاً من الناحية الاجتماعية؟! أفيصنع هذا مريض بالصرع يحتاج من يعينه على تدبر أمره وإصلاح حاجاته الشخصية؟! {فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثنا} [النساء: ٧٨].

(١) - (أخرجه البخاري ح (٣٢٦٨)).

(٢) - (فتح الباري، ابن حجر (٢٢٧/١٠) مرجع سابق، وانظر: الشفا بتعريف حقوق المصطفى، القاضي عياض (٤١٥/٢)).

(٣) - (أخرجه البخاري ح (٣٢٦٨)).

(٤) - (فتح الباري، ابن حجر (٢٢٧/١٠ - ٢٢٨). مرجع سابق.

(٥) - (ابن سعد في الطبقات (١٩٨/٢) دار صادر بيروت المحقق احسان عباس الطبعة: الأولى، ١٩٦٨ م، والبيهقي في الدلائل (٢٤٨/٦) الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة: الأولى - ١٤٠٥ هـ وأضواء البيان، الشنتقطي (٦١/٤). مرجع سابق.

(٦) - (فتح الباري، ابن حجر (٢٢٧/١٠)، ولأجل ذلك أورد البيهقي قصة سحر النبي - صلى الله عليه وسلم - في كتابه "دلائل النبوة".

(٧) - (أخرجه ابن سعد في الطبقات ح (١٩٨/٢)، وهو مرسل).

لقد صدق المستشرق نورمان في شهادته التي تنبئ عن عقل ودراية بأحوال الأمم وتطور الشعوب، حيث يقول: "لو كان محمد يعاني منذ طفولته من مرض عضال حقا، لما تخلّى عن تلك الذريعة أبدا، بل من غير المعقول أن ينجز رجل مريض ما أنجز محمد، فقد كان تاجرا موهوبا هادئ الطبع، وقراراته عادة ما تصدر عن غريزة سياسية ذكية متبصرة .. وكان قائدا بعيد النظر للدولة وللمجتمع ديني نام على حد سواء، وهذه كلها تظهر بما لا يدع مجالا للشك أنه كان سليما معافى .. والذين يقولون بهذا الكلام لم يحلوا المشكلة بقدر ما زادوها تعقيدا، ويجب أن يساورنا الشك مستقبلا في إمكانية أي ظاهرة خلل في سلوك محمد".<sup>(١)</sup>

ويقول المستشرق الألماني الطبيب ماكس مايرهوف: "أراد بعضهم أن يرى في محمد رجلا مصابا بمرض عصبي أو بدء الصرع، ولكن تاريخ حياته من أوله إلى آخره، ليس فيه شيء يدل على هذا، كما أن ما قام به فيما بعد من التشريع والإدارة يناقض هذا القول"<sup>(٢)</sup>.  
إليك هذه الأدلة لنقض هذه الخرافة التي هي أوضح من أن يفكر بها عاقل، لكنها هلوسات شياطين الجن توحيتها لإخوتها من شياطين الإنس !.

١- إن الصرع مرض معروفة أعراضه، كاصفرار الوجه، وذهول العقل، وغياب الذاكرة، وارتعاش الجسد، وفقدان السيطرة على الجسم، وغالبا ما يصحبه تقيؤ وإفرازات لعابية، وقد يصحبه تبول لا إرادي، وغير ذلك مما نعرفه من أحوال المصروعين، فهل كان شأنه ﷺ حال الوحي كحال المصروعين؟ إن النبي ﷺ بشهادة الأعداء قبل الأصدقاء كان أصح الناس بدنا، وأقواهم جسما، وأوصافه التي تناقلها الرواة الثقات تدل على البطولة الجسمانية، وقد بلغ من قوته أنه صارح ركانة بن عبد يزيد فصصره، وكان ركانة هذا مصارعا ماهرا، ما قدر أحد أن يأتي بجانبه إلى الأرض، ولما عرض عليه النبي الإسلام قال: صارعني فإن أنت غلبتني امتنت أنك رسول الله، فتصارعا، فصصره النبي، فقليل: إنه أسلم عقب ذلك<sup>(٣)</sup>. والمصاب بالصرع لا يكون على هذه القوة، وقد شهد للنبي رجل غريب عن الإسلام، ولكنه منصف، قال الكاتب الأجنبي (بودلي) في كتابه «الرسول، حياة محمد» مفندا هذا الزعم: (لا يصاب بالصرع من كان في مثل الصحة التي كان يتمتع بها محمد، حتى قبل وفاته بأسبوع واحد، وأن كل من تتنابه حالات الصرع كان يعتبر مجنوننا، ولو كان هناك من يوصف بالعقل ورجاحته فهو محمد)!!

٢- إن مريض الصرع يصاب بالام حادة في كافة أعضاء جسمه، يحس بها إذا ما انتهت نوبة الصرع

ويظل حزينا كاسف البال بسببها، وكثيرا ما يحاول مرضى الصرع الانتحار من قسوة ما يعانون من الام في النوبات، فلو كان ما يعتري النبي عند الوحي صرعا لأسف لذلك وحزن لوقوعه، ولسعد بانقطاع هذه الحالة عنه، ولكن الأمر كان على خلاف ذلك. لقد انقطع الوحي عن الرسول مدة فحزن لذلك حزنا شديدا، وكان

(١) - المستشرقون والقرآن، عمر لطفي العالم، ص (٥٠)، نقلا عن رسالة دكتوراه "القرآن الكريم في مواقع الإنترنت العربية دراسة تحليلية نقدية"، عبد الرحيم الشريف [كتاب إلكتروني].

(٢) - الإسلام والرسول في نظر منصفى الشرق والغرب، أحمد بوطامي، ص (٦٢). نقلا عن تنزيه القرآن للسقار، ص ١٦٦

(٣) - الإصابة في تاريخ الصحابة، ج ١ ص ٢٠٥؛ والاستيعاب، ج ١ ص ٥٣١. عن كتاب السيرة النبوية على ضوء القرآن والسنة، محمد بن محمد بن سويلم أبو شهية (المتوفى: ١٤٠٣هـ) الناشر: دار القلم - دمشق الطبعة: الثامنة - ١٤٢٧ هـ

يذهب إلى غار حراء وقمم الجبال عسى أن يعثر على الملك الذي جاءه بحراء، وبقي محزون النفس من هذه الحالة، حتى سرى عنه ربه بوصل ما انفصم من الوحي، وعادت المياه إلى مجاريها. (١)

٣- إن الثابت علميا أن المصروع أثناء الصرع يتعطل تفكيره وإدراكه تعطلا تاما، فلا يدري المريض في نوبته شيئا عما يدور حوله، ولا ما يجيش في نفسه، كما أنه يغيب عن صوابه وتعبيره تشنجات تتوقف فيها حركة الشعور، ويصبح المريض بلا إحساس . ولكن النبي ﷺ كان بعد الوحي يتلو على الناس آيات بينات، وتشريعات محكمات، وعظات بليغات، وأخلاقا عالية، وكلاما بلغ الغاية في الفصاحة والبلاغة، تحدى به الناس أن يأتوا بأقصر سورة منه فعجزوا وما استطاعوا، فهل يعقل من المصروع أن يأتي بشيء من هذا؟! اللهم إن هذا أمر لا يجوز إلا في عقول المجانين إن كانت لهم عقول!!

٤- الطب يقدم دليلا لا ينقض، ويقيم حجة لا تحتاج إلى مناقشة على كذب فرية الصرع، ويؤكد أن ما كان يعتري رسول الله ﷺ إنما هو وحي من الله سبحانه وتعالى، ولا يمكن أن يكون شيئا آخر، لقد ثبت أن نوبات الصرع ناتجة عن تغيرات فسيولوجية عضوية في المخ، والدليل على ذلك أنه أمكن تسجيل تغيرات كهربائية في المخ في أثناء النوبات الصرعية مهما كان مظهرها الخارجي، وعلى أية صورة كانت هذه النوبات، ومهما ضعفت حدة هذه النوبات، ولقد أثبت الطب الحديث أخيرا بعد الاستعانة بالأجهزة والرسم الكهربائي على أن هناك مظاهر عديدة ومختلفة للنوبات الصرعية، وذلك تبعا لمراكز المخ التي تبدأ فيها التغيرات الكهربائية، وطريقة وسرعة انتشارها، وأهم أنواع الصرع ما يسمى بالنوبات الصرعية النفسية، وهو ما يشبه أن يكون النوع الذي افتراه الخصوم على الرسول بأنه مصاب به، وفي هذه الحالة تمر بذهن المريض ذكريات، أو أحلام مرئية، أو سمعية، أو الاثنان معا، وتسمى «بالهلاوس»، وقد أثبت الطب أيضا أن الذكريات التي تمر بالمريض لا بد أن يكون قد عاش فيها المريض نفسه حتما إذ أن النوبة الصرعية ما هي إلا تنبيه لصورة أو صوت مرّ بالإنسان ثم احتفظ به في ثنايا المخ، وقد أمكن طبيا إجراء عملية التنبيه هذه بوساطة تيار كهربائي صناعي سلط على جزء خاص في المخ، ف شعر المريض بنفس «الهلاوس» التي تنتابه في أثناء نوبة الصرع، وكلما تكررت نوبة الصرع تكررت نفس الذكريات أو الهلاوس. فهذا مريض يسمع أغنية، أو قطعة من شعر، أو حديثا من أي نوع كان في نوبة صرعه، ويتكرر سماعه لها في كل نوبة، ولا بد أن يكون ما سمعه من النوبة قد سمعه يوما ما في طفولته، أو شبابه، أو قبل مرضه، وكذلك إذا كانت النوبة تثير منظرا لا بد أن يكون قد مرّ عليه. وبتطبيق ما قرره الطب الحديث في حقائق الصرع على ما كان يعتري النبي ﷺ نجد أنه يردد آيات لا يمكن

إطلاقا أن يكون قد سمعها من قبل في حياته، فهي آيات واردة من عند الحق سبحانه وتعالى قبل أن يعمر البشر الأرض، مثل قوله سبحانه: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ (٣٤) وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ (٣٥) [البقرة]. وآيات أخرى فيها قول الله يوم القيامة مثل: حَتَّىٰ إِذَا جَاءُ قَالَ أَكَذَّبْتُمْ بِآيَاتِي وَمُمْ حَيِّطُوا بِهَا عِلْمًا أَمَا ذَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾ [النمل]. وقوله سبحانه: ﴿ قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ

الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَمْ جَنَّتْ بَحْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١١٩) { [المائدة] .

وكذلك الايات التي تحكي عصور ما قبل الإسلام، والمقالات، والمحاورات التي جرت بين أقوام عاشوا قبل الرسول بالاف السنين وذلك مثل قوله سبحانه: كَلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ (٣٧) [آل عمران] . ولما كانت هذه الأحاديث والأحوال لم تمر بالرسول قطعا فهي لم تختزن بالتالي في المخ لتثيرها نوبات صرعية فيتذكرها، وبذلك يقرر الطب الحديث في أحدث اكتشافاته بالنسبة للصرع أن الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا يمكن أن يكون هناك أدنى شبهة في إصابته بالصرع إطلاقا، وأن ما كان إنما هي حالة نفسية وجسدية لتلقي الوحي الإلهي، هذا الوحي الذي أخبر الله فيه عما مضى، وعما يستقبل (١).

٥ - ثم ما رأي هؤلاء الطاعنين، وفيهم من ينتمي إلى بعض الأديان في أنهم لا ينالون

من نبي الله محمد واحده، وإنما ينالون من جميع أنبياء الله ورسله الذين كانت لهم كتب أو صحف أوحى بها من عند الله سبحانه!! فهل تطيب نفوسهم أن يخربوا بيوتهم قبل أن يخربوا بيوت غيرهم!! وما رأيهم فيما جاء في كتب العهد القديم والجديد من إيجات ونبوات؟! وهل يقولون في وحي نبي الله موسى وعيسى - عليهما السلام- ما يقولون في وحي خاتم الأنبياء محمد؟(٢)

لمعرفة حقيقة ما يرافق الوحي من أحوال؛ فإننا يمكننا رصد عدة مظاهر:

١ - يسمع صوت أزيز بجوار أذنه، ثم ينفصل عنه وقد وعى ما أوحى إليه، يقول: «أحيانا يأتيني مثل صلصلة الجرس، وهو أشده علي، فيفصم عني وقد وعيت عنه ما قال» (٣)، ويقول عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - : (كان إذا نزل على رسول الله ﷺ الوحي يسمع عند وجهه دوي كدوي النحل)(٤).

٢ - يصيبه تعرق شديد حتى في الليلة الباردة، تقول عائشة: (فلقد رأيت رسول الله ﷺ ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد، فيفصم عنه؛ وإن جبينه ليتفصد عرقا)(٥).

٣ - تغشاه السكينة ويطلق برأسه إلى الأرض، فأما غشيان السكينة عليه فيخبر به زيد بن ثابت بقوله: (إنني قاعد إلى جنب النبي ﷺ يوما إذ أوحى إليه، وغشيته السكينة، ووقع فخذه على فخذي حين غشيته السكينة)(٦).

وأما إطراقه إلى الأرض ففي قول ابن عباس: (كان إذا أتاه جبريل أطرق، فإذا ذهب قرأه كما وعده الله) (٧)، أي وعده الله أن يمكنه في قلبه { لا تحرك به لسانك لتعجل به إن علينا جمعه وقرآنه } [القيامة: ١٦ - ١٧]، ويقول عبادة بن الصامت: (كان النبي ﷺ إذا أنزل عليه الوحي؛ نكس رأسه ونكس أصحابه رؤوسهم) (٨).

(١) - من مقال لأستاذ عبد الرزاق نوفل نشر بمجلة «منبر الإسلام» العدد ٩ السنة ١٩ رمضان سنة ١٣٨١ هـ فبراير ١٩٦٤ م.

(٢) - السيرة النبوية على ضوء القرآن والسنة، محمد أبو شهبه ١ / ٢٧٠-٢٧٨

(٣) - البخاري ح (٢).

(٤) - أخرجه الترمذي ح (٣١٧٣)، وأحمد ح (٢٢٤).

(٥) - أخرجه البخاري ح (٢).

(٦) - أخرجه أحمد ح (٢١١٦٥).

(٧) - أخرجه البخاري ح (٤٩٢٩)، ومسلم ح (٤٤٨).

(٨) - أخرجه مسلم ح (٢٣٣٥).

٤ - يحمر وجهه كأنه غضب، ففي حديث عبادة بن الصامت قال: (كان نبي الله ﷺ إذا أنزل عليه الوحي كرب لذلك، وتريد وجهه) (١) أي تغير لونه، وفي حديث يعلى بن أمية: فإذا النبي ﷺ محمر الوجه كذلك ساعة، ثم سري عنه) (٢) ، ولما ذكرت أم المؤمنين عائشة غضب رسول الله ﷺ ، قالت: (فتمعر وجهه تمعرا ما كنت أراه إلا عند نزول الوحي) . (٣)

٥ - يسمع له ﷺ غطيط، فإذا سري عنه أخبر بما أوحى إليه، يقول يعلى بن أمية: فنظرت إليه له غطيط .. فلما سري عنه قال: «أين السائل عن العمرة؟ اخلع عنك الجبة، واغسل أثر الخلق عنك، وأنق الصفرة، واصنع في عمرتك كما تصنع في ححك» (٤).

٦ - يثقل وزنه، يقول زيد بن ثابت: (فأنزل الله تبارك وتعالى على رسوله ﷺ وفخذه على فخذي، فثقلت علي حتى خفت أن ترض فخذي) (٥).

ويقول عبد الله بن عمرو: (أنزلت على رسول الله ﷺ سورة المائدة وهو راكب على راحلته، فلم تستطع أن تحمله، فنزل عنها) (٦). وتقول أم المؤمنين عائشة: (إن كان ليوحي إلى رسول الله ﷺ وهو على راحلته فتضرب بجرائها) (٧). وأما أسماء بنت يزيد فتقول: (إني لآخذة بزمام العضباء ناقة رسول الله ﷺ إذ أنزلت عليه المائدة كلها؛ فكادت من ثقلها تدق بعضد الناقة) (٨).

وهذه الأحوال المنقولة عن النبي ﷺ هي على خلاف ما نعرفه من أحوال المصروعين، -والمصروع حقيقة من قال هذه الفرية- وسببها ثقل الوحي النازل عليه ﷺ: {إنا سنلقي عليك قولاً ثقيلاً} [المزمل: ٥]، فالوحي هو حالة فريدة لا يعرفها إلا الأنبياء، والموحي به هو كلام الرب الذي ذلت لعظمته الرقاب. وهذه الحال لم يتفرد بها النبي ﷺ، بل أصابت من سبقه من الأنبياء، يقول الأب متى المسكين: "الغيوبة أو اختطاف العقل أو الجذب الروحي عند الأنبياء .. هكذا وصف آباء الكنيسة الأولون حالة الذهن عند الأنبياء .. حيث يكون الوعي بالنفس مغلقاً نوعاً ما، حيث يكون عقل النبي خارج الحدود الطبيعية، ومرتفعاً لمنطقة الإلهام والوعي الفائق للعقل .. والشخص يكون في حالة شبه غيبوبة؛ ليستطيع أن يطلع على ما هو فوق العقل" (٩).

وضرب الأب المسكين أمثلة لهذه الغيبوبة من الكتاب المقدس، ونكتفي بذكر ثلاثة مواضع من الكتاب المقدس تتحدث عن أحوال الأنبياء عند الوحي؛ وإن كنا لا نسلم بنبوة بعضهم، وأولها ما جاء عن بولس (الرسول)، حيث يقول: "وحدث لي بعد ما رجعت إلى أورشليم، وكنت أصلي في الهيكل أني حصلت في

(١) - أخرجه مسلم ح (٢٣٣٤).

(٢) - أخرجه أحمد ح (١٧٤٨٨).

(٣) - أخرجه أحمد ح (٢٤٦٤٥).

(٤) - أخرجه البخاري ح (١٧٨٩)، ومسلم ح (١١٨٠).

(٥) - أخرجه البخاري ح (٢٨٢٢).

(٦) - أخرجه أحمد ح (٦٦٠٥).

(٧) - أخرجه أحمد ح (٢٤٣٤٧).

(٨) - أخرجه أحمد ح (٢٧٠٢٨).

(٩) - النبوة والأنبياء، الأب متى المسكين، ص (١٥ - ١٧). عن تنزيه القرآن للسقار .

غيبية، فرأيته قائلاً لي: أسرع واخرج عاجلاً من أورشليم، لأنهم لا يقبلون شهادتك عني" (أعمال ٢٢ / ١٧ - ١٨)، فبولس يتحدث عن غيبة حصلت له وهو يوحى إليه حسب زعمه.

وفي سفر دانيال يحكي النبي دانيال عن الأثر الكبير الذي تركه الوحي عليه: "فبقيت أنا وحدي، ورأيت هذه الرؤيا العظيمة، ولم تبق في قوة، ونضارتي تحولت في إلى فساد، ولم أضبط قوة، وسمعت صوت كلامه، ولما سمعت صوت كلامه كنت مسبخاً على وجهي، ووجهي إلى الأرض، وإذ بيد لمستني وأقامتني مرتجفاً على ركبتي وعلى كفي يدي" (دانيال ١٠ / ٧ - ١٠). ومثله في قوله: "أنا دانيال ضعفت ونحلت أياماً، ثم قمت وباشرت أعمال الملك، وكنت متحيراً من الرؤيا ولا فاهم" (دانيال ٨ / ٢٧).

إن تهمة الإصابة بالصرع لم تصدر عن واحد من معاصريه ﷺ رغم استحكام العداء بينهم وبينه، ورغم حرصهم على تلفيق الكاذب من التهم كاتهامه ﷺ بالسحر والجنون وقول الشعر، لكن لم يتهموا بالصرع أبداً، فدل ذلك على أن الأمر لا يعدو أن يكون أبطولة من نسج خيال المبطلين المتأخرين.

إن أحداً من العقلاء لن يقبل فكرة أن هذا الرجل الذي أنشأ الأمة التي قادت الحضارة الإنسانية كان مريضاً، ولسوف يصبح مضحكة للصغار قبل الكبار حين يقول: إن هذا القرآن العظيم بيانه وإعجازه وأسلوبه كان نتيجة وأثراً لمرض عضال. وهكذا تبين براءة شخص النبي ﷺ مما يقوله الأفاكون عنه، وأن ما يقولونه لا يعدو ما قاله إخوانهم في الإفك من كفار قريش، حين رموه بالجنون والكهانة والشعر، حسداً منهم لشخصه ﷺ ونبوته.<sup>(١)</sup>

## رابعاً : دعوى: خلو الكتب السابقة من البشارة برسول الإسلام

زعموا أن محمداً ﷺ ليس برسول لأن الكتب السابقة - التوراة وملحقاتها والأنجيل - خلت من البشارة برسول الإسلام.؟!.

الرد : وجود البشارات وعدمها في الكتب المشار إليها أنفاً سواء، وجودها مثل عدمها، وعدمها مثل وجودها. فرسالة رسول الإسلام ﷺ ليست في حاجة إلى دليل يقام عليها من خارجها، بحيث إذا لم يوجد ذلك الدليل "الخارجي" بطلت - لا سمح الله - تلك الرسالة؛ فهي رسالة دليلها فيها، ووجود البشارات بها في كتب متقدمة - زماً - عليها لا يضيف إليها جديداً، وعدم وجود تلك البشارات لا ينال منها شيئاً قط. فهي حقيقة قائمة بذاتها لها سلطاتها الغني عما سواها. ودليلها قائم صالح للفحص في كل زمان ومكان، باق بقاء رسالته أبد الدهر أشرق ولم يغب، ظهر ولم يختف، قوى ولم يضعف. علا ولم يهبط، إنه دليل صدق الأنبياء كلهم. فكل الأنبياء مضوا ولم يبق من أدلة صدقهم إلا ما جاء في هذا الدليل "القرآن العظيم" حيث شهد لهم بالصدق والوفاء وأنهم رسل الله لمكرمون.. فلا يظنن أحد أننا حين نتحدث عن بشارات الكتب السابقة برسول الإسلام إنما نتلمس أدلة نحن في حاجة إليها لإثبات صدق رسول الإسلام في دعواه الرسالة. فرسول الإسلام ليس في حاجة إلى "تلك البشارات" حتى ولو سلم لنا الخصوم بوجودها فله من أدلة الصدق ما لم يحظ به رسول غيره. وستعالج البشارة به صلى الله عليه وسلم على قسمين:

(١) - تنزيه القرآن الكريم عن دعاوى المبطلين، منقذ بن محمود السقار ص ١٦٥ - ١٧٠

١ - بشاراته صلى الله عليه وسلم في التوراة. ٢ - بشاراته صلى الله عليه وسلم في الإنجيل.

## أولاً: البشارات في التوراة

تعددت البشارات برسول الإسلام في التوراة وملحقاتها، ولكن اليهود أزالوا عنها كل معنى صريح، وصيروها نصوصاً احتمالية تسمح لهم بصرفها عنه صلى الله عليه وسلم ومع هذا فقد بقيت بعد تعديليها وتحريفها قوية الدلالة على معناها " الأصيلي " من حملها على رسول الإسلام صلى الله عليه وسلم لأن حملها على غيره متعذر أو متعسر أو محال.

فهى أشبه ما تكون برسالة مغلقة مَحِي " عنوانها " ولكن صاحب الرسالة قادر - بعد فضها - أن يثبت اختصاصها به، لأن الكلام " الداخلى " الذى فيها يقطع بأنها " له " دون سواه؛ لما فيها من " قرائن " وبيانات واضحة ونعرض - فيما يلى - بعضاً منها:

١ - " وهذه هى البركة التى بارك بها موسى رجل الله بنى إسرائيل قبل موته " .

فقال: " جاء الرب من سيناء، وأشرق لهم من ساعير، وتلاً من جبل فاران " سفر التثنية: الإصحاح (٣٣) الفقرات (١-٢) . فى هذا النص إشارة إلى ثلاث نبوات:

الأولى: نبوة موسى عليه السلام التى تلقاها على جبل سيناء.

الثانية: نبوة عيسى عليه السلام وساعير هى قرية مجاورة لبيت المقدس، حيث تلقى عيسى عليه السلام أمر رسالته.

الثالثة: نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وجبل فاران هو المكان الذى تلقى فيه - عليه الصلاة والسلام - أول ما نزل عليه من الوحي وفاران هى مكة المكرمة مولد ومنشأ ومبعث محمد صلى الله عليه وسلم. وهذه العبارة - مرة أخرى - تضمنت خبراً وبشارتين:

فالخبر هو تذكير موسى بفضل الله عليه حيث أرسله إليهم رسولاً. والبشارتان:

الأولى: خاصة بعيسى عليه السلام. والثانية خاصة بمحمد صلى الله عليه وسلم.

وموقف اليهود منهما النفي: فلا الأولى بشارة بعيسى ابن مريم ولا الثانية بشارة برسول الإسلام.

أما موقف النصارى فإن النفي - عندهم - خاص ببشارة رسول الإسلام. ولهم فى ذلك مغالطات عجيبة، حيث قالوا إن " فاران " هى " إيلاط " وليست مكة. وأجمع على هذا " الباطل " واضعو كتاب: قاموس الكتاب المقدس. وهدفهم منه واضح إذ لو سَلَّمُوا بأن " فاران " هى مكة المكرمة، لزمهم إما التصديق برسالة رسول الإسلام، وهذا عندهم قطع الرقاب أسهل عليهم من الإذعان له.؟! ، أو يلزمهم مخالفة كتابهم المقدس، ولم يقتصر ورود ذكر " فاران " على هذا الموضع من كتب العهد القديم، فقد ورد فى قصة إسماعيل عليه السلام مع أمه هاجر حيث تقول التوراة: إن إبراهيم عليه السلام استجاب لسارة بعد ولادة هاجر ابنها إسماعيل وطردها هى وابنها فنزلت وسكنت فى " برية فاران " سفر التكوين (٢١ - ٢١) . . . على أنه يلزم من دعوى واضعى قاموس الكتاب المقدس من تفسيرهم فاران بإيلاط أن الكذب باعترافهم وارد فى التوراة. لأنه لم يبعث نبي من " إيلاط " حتى تكون البشارة صادقة. ومستحيل أن يكون هو عيسى عليه السلام؛ لأن العبارة تتحدث عن بدء الرسالات وعيسى تلقى الإنجيل بساعير وليس بإيلاط.

فليست " فاران " إلا " مكة المكرمة " وباعتراف الكثير منهم، وجبل فاران هو جبل " النور " الذى به غار حراء، الذى تلقى فيه رسول الإسلام ﷺ بدء الوحي. وهجرة إسماعيل وأمه هاجر إلى مكة المكرمة " فاران " أشهر من الشمس. وترتيب الأحداث الثلاثة فى العبارة المذكورة:

جاء من سيناء ، وأشرق من ساعير ، وتلاً من فاران. هذا الترتيب الزمنى دليل ثالث على أن " تلاً من جبل فاران " تبشير قطعى برسول الإسلام صلى الله عليه وسلم. وفى بعض " النسخ " كانت العبارة: " واستعلن من جبل فاران " بدل " تلاً " . وأياً كان اللفظ فإن " تلاً " و " استعلن " أقوى دلالة من " جاء " و " أشرق " وقوة الدلالة هنا ترجع إلى " المدلولات " الثلاثة. فالإشراق جزء من مفهوم " المحيى " وهكذا كانت رسالة عيسى بالنسبة لرسالة موسى (عليهما السلام) . أما تلاً واستعلن فهذا هو واقع الإسلام، رسولا ورسالة وأمة، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

هذه المغالطة (فاران هى إيلات) لها مثل حيث تزعم التوراة أن هاجر أم إسماعيل عندما أجهدها العطش هى وابنها إسماعيل بعد أن طردا من وجه " سارة " طلبت الماء فلم تجده إلا بعد أن لقيها ملاك " الرب " فى المكان المعروف الآن " بئر سبع "؟! وأنها سميت بذلك لذلك؟! وكما كذبت فاران دعوى " إيلات " كذبت " زمزم الطهور " دعوى " بئر سبع "؟ وستظل فاران - مكة المكرمة - وزمزم الطهور " عملاقين " تتحطم على صخورهما كل مزاعم الحقد والهوى.

٢- ويحى نص آخر فى التوراة لا يحمل له إلا البشارة برسول الإسلام ﷺ مهما غالط المغالطون. وهو قول الله لموسى حسب ما تروى التوراة: " أقيم لهم نبياً من وسط إخوتهم مثلك، وأجعل كلامى فى فمه فيكلمهم بكل ما أوصيه به، ويكون أن الإنسان الذى لا يسمع لكلامى الذى يتكلم به باسمى أنا أطلبه " سفر التثنية: الإصحاح (١٨) الفقرات (١٨ - ١٩) ويكون المعنى عليه: كيف أقيم لهم نبياً من وسط إخوتهم؟ أى لا أفعل هذا. . حدث هذا حسب روايات التوراة وعداً من الله لموسى فى آخر عهده بالرسالة، وكان يهمله أمر بنى إسرائيل من بعده، فأعلمه الله - حسب هذه الرواية التوراتية - أنه سيبعث فيهم رسولا مثل موسى عليه السلام.

ولقوة دلالة النص على نبوة محمد ﷺ فقد وقف أهل الكتابين - اليهود والنصارى - موقفين مختلفين هدفهما واحد، وهو أن النص ليس بشارة برسول الإسلام.

أما اليهود فلهم فيه رأيان: الأول: أن العبارة نفسها ليست خبراً بل هى نفى، ويقدرّون قبل الفعل " أقيم " همزة استفهام يكون الاستفهام معها " إنكارياً " وتقدير النص عندهم هكذا " أقيم لهم نبياً من وسط إخوتهم مثلك؟! بطلان هذا رأى

وهذا رأى باطل ولن نذهب فى بيان بطلانه إلى أكثر من كلام التوراة نفسها. وذلك؛ لأنه لو كان النص كما ذكروا بهمزة استفهام إنكارى محذوفة هى فى قوة المذكور لكان الكلام نفيّاً فعلاً.. ولو كان الكلام نفيّاً لما صح أن يعطف عليه قوله بعد ذلك:

" ويكون أن الإنسان الذي لا يسمع لكلامى الذى يتكلم به باسمى أنا أطلبه "؟! فهذا المقطع إثبات قطعاً فهو مرتب على إقامة النبي الذى وعد به المقطع الذى قبله. فدل هذا " العطف " على أن المقطع السابق وعد خبرى ثابت لا نفى. ويترتب على ذلك بطلان القول الذاهب إلى تقدير الاستفهام..؟! الثاني: وقد أحس اليهود ببطلان القول بالاستفهام فاحتاطوا للأمر وقالوا لا مانع أن يكون النص خبراً ووعداً مثبتاً، ولكنه ليس المقصود به عيسى ابن مريم عليه السلام ولا محمد بن عبد الله رسول الإسلام ﷺ، بل المراد به نبي من أنبياء إسرائيل يوشع بن نون فتى موسى، أو صموئيل..؟!،،، موقف النصارى:

أما النصارى فيحملون البشارة في النص على عيسى عليه السلام وينفون أن يكون المراد بها رسول الإسلام صلى الله عليه وسلم، وقد علمنا قبلاً أن اليهود ينفون أن تكون لعيسى عليه السلام. وللنصارى مغالطات عجيبة في ذلك إذ يقولون إن النبي الموعود به ليس من بنى إسماعيل بل من بنى إسرائيل. ومحمد إسماعيلي فكيف يرسل الله إلى بنى إسرائيل رجلاً ليس منهم..؟! كما قالوا إن موسى أتى بمعجزات ومحمد لم يأت بمعجزات فكيف يكون مثله. وقد رددنا على هذه الفرية فيما تقدم.

الحق الذى لا جدال فيه: والواقع أن كل ما ذهب إليه اليهود والنصارى باطل. باطل. ولن نذهب في بيان بطلانه إلى أبعد من دلالة النص المتنازع عليه نفسه. أما الحق الذى لا جدال فيه فإن هذا النص ليس له محمل مقبول إلا البشارة برسول الإسلام صلى الله عليه وسلم وإليكم البيان: إن النص المتنازع عليه يقيد البشارة بالنبي الموعود به فيه بشرطين:

أحدهما: أنه من وسط إخوة بنى إسرائيل.

وثانيهما: أنه مثل موسى عليه السلام صاحب شريعة وجهاد لأعداء الله وهذان الشرطان لا وجود لهما لا في يوشع بن نون، ولا في صموئيل كما يدعى اليهود في أحد قوليهما. ولا في عيسى عليه السلام كما يدعى النصارى. أما انتفاء الشرط الأول فلأن يوشع وصموئيل وعيسى من بنى إسرائيل وليسوا من وسط إخوة بنى إسرائيل. ولو كان المراد واحداً منهم لقال في الوعد: أقيم لهم نبياً منهم..؟! هذا هو منهج الوحى في مثل هذه الأمور كما قال في شأن النبي صلى الله عليه وسلم: (هو الذى بعث في الأميين رسولاً منهم ... ) الجمعة: ٢٠. وكما جاء على لسان إبراهيم وإسماعيل (عليهما السلام) (ربنا وابعث فيهم رسولاً منهم ... ) البقرة: ١٢٩. وأما انتفاء الشرط الثانى، فلأن: لا صموئيل ولا يوشع ولا عيسى ابن مريم كانوا مثل " موسى " عليه السلام. فموسى كان صاحب شريعة، ويوشع وصموئيل وعيسى وجميع الرسل الذين جاءوا بعد موسى عليه السلام من بنى إسرائيل لم يكن واحداً منهم صاحب شريعة، وإنما كانوا على شريعة موسى عليه السلام. وحتى عيسى ما جاء بشريعة ولكن جاء متمماً ومعدلاً فشريعة موسى هى الأصل. إن عيسى كان مذكراً لبنى إسرائيل ومجدداً الدعوة إلى الله على هدى من شريعة موسى عليه السلام!! فالمثلثية بين هؤلاء - وهى أحد شرطى البشارة - وبين موسى عليه السلام لا وجود لها..؟! ... الشرطان متحققان في رسول الإسلام صلى الله عليه وسلم

وبنفس القوة والوضوح اللذين انتفى الشرطان بهما عن ذكرهما من الأنبياء ثبت ذلك الشرطان لمحمد بن عبد الله ﷺ: فهو من نسل إسماعيل، وإسماعيل أخو إسحق، الذى هو أبو يعقوب المسمى إسرائيل. فهو من و

سط إخوة بني إسرائيل - بنو عمومتهم - وليس من إسرائيل نفسها. وبهذا تحقق الشرط الأول من شرطي البشارة: محمد ﷺ صاحب شريعة جليلة الشأن لها سلطانها الخاص بها - جمعت فأوعت - مثلما كان موسى - أكبر رسل بني إسرائيل - صاحب شريعة مستقلة كانت لها منزلتها التي لم تضارع فيما قبل من بدء عهد الرسالات إلى مبعث عيسى عليه السلام.

وبهذا يتحقق الشرط الثاني من شرطي البشارة وهو " المثلية " بين موسى ومحمد (عليهما صلوات الله وسلامه) ، فعلى القارئ أن يتأمل ثم يحكم.

٣- في المزامير المنسوبة إلى داود عليه السلام وردت كثير من العبارات التي لا يصح حمل معناها إلا على رسول الإسلام. ومن ذلك قول داود كما تروى التوراة:

" أنت أبرع جمالاً من بني البشر. انسكبت النعمة على شفتيك، لذلك باركك الله إلى الأبد. تقلد سيفك على فخذك أيها الجبار، جلالك وبهاؤك. وبجلالك اقتحم. اركب من أجل الحق والدعة.. بتلك المسنونة في قلب أعداء الملك - يعنى الله - شعوب تحتك يسقطون.. من أجل ذلك مسحك الله إلهك بدهن الابتهاج أكثر من رفقاءك " المزمور (٤٥) الفقرات (٢ - ١٧) مع الحذف اليسير. ... اسمعى يانيت وأميلي أذنك، وانسى شعبك وبيت أبيك، فيشتهى الملك الملك حسنك؛ لأنه هو سيدك فاسجدى له. وبنيت صور أغنى الشعوب تترضى وجهك بهدية. كلها مجد ابنة الملك في خدرها. منسوجة بالذهب ملبسها مطرزة، تحضر إلى الملك في إثرها عذارى صاحباتها مقدمات إليك يحضرن بفرح وابتهاج يدخلن إلى قصر الملك. عوضاً عن آبائك يكون بنوك نقيمهم رؤساء في كل الأرض اذكر اسمك في كل دور فدور من أجل ذلك تحمدك الشعوب إلى الدهر والآبد "

وقفه مع هذا الكلام

في المقطع الأول (أ) لا تنطبق الأوصاف التي ذكرها داود إلا على رسول الإسلام صلى الله عليه وسلم. فهو الذى قاتل بسيفه في سبيل الله وسقطت أمامه شعوب عظيمة كالفرس والروم.

وهو الممسوح بالبركة أكثر من رفقاءه الأنبياء؛ لأنه خاتم النبيين، ورسالته عامة خالدة (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين) الأنبياء: ١٠٧ ولم يترك رسول هدى وبيانا مثلما ترك رسول الإسلام في القرآن الحكيم، وفي أحاديثه وتوجيهاته، التي بلغت مئات الآلاف، وتعددت المصادر التي سجلتها، وفيها من روائع البيان، وصفاء الألفاظ، وشرف المعاني ما ليس في غيرها.

أما المقطع الثاني (ب) فهو أوصاف للكعبة الشريفة. فهي التي تترضاها الأمم بالهدايا. وهي ذات الملابس المنسوجة بالذهب والمطرزة، وهي التي يذكر اسمها في كل دور فدور وتأتيها قوافل " الحجيج " رجالاً ونساءً من كل مكان فيدخل الجميع في " قصر الملك " ويحمدوها الناس إلى الأبد؛ لأن الرسالة المرتبطة بها رسالة عامة: لكل شعوب الأرض الإنس والجن. بل والملائكة. وفي مواسم الحج يأتيها القاصدون من جميع بقاع الأرض مسلمين، ورعايا مسلمين من بلاد ليست مسلمة... خالدة: لم ينته العمل بها بوفاة رسولها، كما هو الحال فيما تقدم. وإنما هي دين الله إلى الأبد الأبيد.

٥- وأشعيا وسفره من أطول أسفار العهد القديم ملئ بالإشارات الواضحة التي تبشر برسول الإسلام صلى الله عليه وسلم، ولولا المنهج الذى أخذنا به هنا وهو عدم التطويل لذكرنا من ذلك الكثير؛ ولذا فإننا نكتفى بهذا المقطع لدلالته القوية على ما نقول:

"قومى استنيرى؛ لأنه قد جاء نورك، ومجد الرب أشرق عليك.. لأنه ها هي الظلمة تغطى الأرض والظلام الدامس الأمم. أما عليك فيشرق الرب، ومجده عليك يرى. فتسير الأمم فى نورك، والملوك فى ضياء إشراقك. ارفعى عينيك حواليك وانظرى. قد اجتمعوا كلهم جاءوا إليك. يأتى بنوك من بعيد، وتحمل بناتك على الأيدي، حينئذ تنظرين وتنيرين ويخفق قلبك ويتسع؛ لأنه تحول إليك ثروة البحر، ويأتى إليك غنى الأمم تغطيك كثرة الجمال بكران مديان، وعيفة كلها تأتى من شبا. تحمل ذهبا ولبانا، وتبشر بتساويح الرب. كل غنم قيذار تجتمع إليك. كباش نبايوت تخدمك تصعد مقبولة على مذبحى، وأزين بيت جمالى.

من هؤلاء الطائرون كسحاب وكالحمام إلى بيوتها. إن الجزائر تنتظرني وسفن ترشيش فى الأول لتأتى من بعيد، وفضتهم وذهبهم معهم لا سم الرب إلهك... (مكان النقط هنا كلام لم نذكره هو "قدوس إسرائيل لأنه مجدك"؟! وهذا مقطع مضاف بكل تأكيد والهدف منه صرف الكلام عن معناه الظاهر!!) وبنو الغريب بينون أسوارك، وملوكهم يخدمونك.. وتفتح أبوابك دائما نهاراً وليلاً لا تعلق، ليؤتى إليك بغنى الأمم وتقاد ملوكهم... سفر أشعيا الأصحاح (٦٠) الفقرات (٤-١٢) مع حذف يسير. دلالة هذه النصوص:

بلا أدنى ريب فإن هذا الكلام المنسوب إلى أشعيا وصف لمكة المكرمة وكعبتها الشامخة. فالمقطع الأول إنما هو حديث عن موسم الحج المبارك فيه يجتمع بنوها حولها من كل مكان وفيه لمحة قوية جداً إلى نحر الهدى صبيحة العيد. ألم يشر النص إلى غنم قيذار، وقيذار هو ولد إسماعيل عليه السلام الذى تشعبت منه قبائل العرب. ثم ألم ينص على المذبح الذى تنحر عليه الذبائح؟ كما أشار النص ثلاث إشارات تعد من أوضح الأدلة على أن المراد بهذا النص مكة المكرمة. وتلك الإشارات هى طرق حضور الحجاج إليها. ففي القديم كانت وسائل النقل: ركوب الجمال. ثم السفن. أما فى العصر الحديث فقد جدت وسيلة النقل الجوى " الطائرات " وبشارة أشعيا تضمنت هذه الوسائل الثلاث على النحو الآتى:

١- الجمال، قال فيها: تغطيك كثرة الجمال.؟!!

٢- السفن، قال فيها: وسفن ترشيش تأتى بينيك من بعيد؟!!

٣- النقل الجوى، وفيه يقول: من هؤلاء الطائرون كسحاب وكالحمام إلى بيوتها.؟!!

أليس هذا أوضح من الشمس فى كبد السماء.

على أن النص ملئ بعد ذلك بالدقائق والأسرار، ومنها أن مكة مفتوحة الأبواب ليلاً ونهاراً لكل قادم فى حج أو عمرة..؟!!

ومنها أن خيرات الأمم تجى إليها من كل مكان، والقرآن يقرر هذا المعنى فى قول الله تعالى: (أولم نمكن لهم حرماً آمناً يجى إليه ثمرات كل شىء) القصص: ٥٧.

ومنها أن بنى الغريب (يعنى غير العرب) بينون أسوارها. وكم من الأيدى العاملة الآن، وذوى الخبرات يعملون فيها ويشيدون قلاعها فوق الأرض وتحت الأرض ومنها أنه ما من عاصمة من عواصم العالم إلا دخلت فى محنة من أهلها أو من غير أهلها إلا هذه " العاصمة المقدسة " فظلت بمأمن من غارات الغائرين وكيد الكائدين، ومثلها المدينة المنورة.

ومنها كثرة الثروات التى مرَّ الله بها عليها. أليس البترول من ثروات البحر العظمى التى تفجرت أرض الحجاز وشبه الجزيرة منه عيوناً دفاقة بمعدل لم تصل إليه أمة من الأمم. أضف إلى ذلك سبائك الذهب والفضة. والحديث عن مكة المكرمة حديث عن رسول الإسلام؛ لأن مجدها لم يأت إلا على يدي بعثته ﷺ . هذه الحقائق لا تقبل الجدل. ومع هذا فإن أهل الكتاب (وخاصة اليهود) يحملون هذه الأوصاف على مدينة " صهيون " ولهذا فإنهم عمدوا إلى النص وعدلوه ليصلح لهذا الزعم.

ولكننا نضع الأمر بين يدي المنصفين من كل ملة. أهذه الأوصاف يمكن أن تطلق على مدينة " صهيون " . لقد خرب " بيت الرب " فى القدس مراراً وتعرض لأعمال شنيعة على كل العصور. أما الكعبة الشريفة والمسجد الحرام فلم يصل أحد إليهما بسوء، ثم أين ثروات البحر والبر التى تجبى إلى تلك المدينة وأهلها (إلى الآن) يعيشون عائلة على صدقات الأمم.

وأين هى المواكب التى تأتى إليها براً وبحراً وجوّاً، وهل أبوابها مفتوحة ليلاً ونهاراً، وأين هم بنوها الذين اجتمعوا حولها. وما صلة غنم قيذار وكباش مدين بها. وأين هو التسبيح الذى يشق عنان السماء منها.. وأين.. وأين..؟

إن هذه المغالطات لا تثبت أمام قوة الحق، ونحن يكفيننا أن نقيم هذه الأدلة من كتبهم على صدق الدعوى، ولا يهمننا أن يدعن القوم لما نقول فحسبك من خصمك أن تثبت باطل ما يدعيه أمام الحق الذى تدافع عنه، والفاصل بيننا. فى النهاية. هو الله الذى لا يُبدل القول لديه.

٦- وتنسب التوراة إلى نبي يدعى " حبقوق " من أنبياء العهد القديم، وله سفر صغير قوامه ثلاثة إصحاحات. تنسب إليه التوراة نصوصاً كان يصلّى بها. تضمنها الإصحاح الثالث من سفره. وهذا الإصحاح يكاد يكون كله بشارة برسول الإسلام صلى الله عليه وسلم. وإليكم مقاطع منه: " الله جاء من تيمان، والقدوس من جبل فاران . سلاه . جلاله غطى السماوات. والأرض امتلأت من تسيحه وكان لمعان كالنور له من يديه شعاع، وهناك استتار قدرته. قدامه ذهب الوبأ. وعند رجله خرجت الحمى. وقف وقاس الأرض، نظر فرجف الأمم ودكت الجبال الدهرية، وخسفت آكام القوم. مسالك الأزل يسخط دست الأمم، خرجت لخلاص شعبك . . . . سحقت رأس بيت الشرير معرياً الأساس حتى العنق . . . . سلكت البحر بخيلك.. (٣. ٣. ١٥) مع الحذف. . . . دلالات هذه الإشارات:

لا يستطيع عاقل عالم بتاريخ الرسالات ومعانى التراكيب أن يصرف هذه النصوص على غير البشارة برسول الإسلام صلى الله عليه وسلم. فالجهتان المذكورتان فى مطلع هذا المقطع وهما: تيمان: يعنى اليمن، وجبل فاران: يعنى جبل النور الذى بمكة المكرمة التى هى فاران. هاتان الجهتان عربيتان. وهما رمز لشبه الجزيرة العربية التى كانت مسرحاً أولاً لرسالة محمد ﷺ

فليس المراد إذن نبياً من بنى إسرائيل؛ لأنه معلوم أن رسل بنى إسرائيل كانت تأتي من جهة الشام شمالاً. لا من جهة بلاد العرب. وهذه البشارة أتت مؤكدة للبشارة المماثلة، التي تقدم ذكرها من سفر التثنية، وقد ذكرت أن الله: تاللاً أو استعلن من جبل فاران.

بيد أن بشارة التثنية شملت الإخبار بمقدم موسى عليه السلام والتبشير بعيسى عليه السلام وبمحمد صلى الله عليه وسلم أما بشارة حبقوق فهي خاصة برسول الإسلام ﷺ. ولو لم يكن في كلام حبقوق إلا هذا " التحديد " لكان ذلك كافياً في اختصاص بشارته برسول الإسلام ﷺ ومع هذا فقد اشتمل كلام حبقوق على دلائل أخرى ذات مغزى:

منها: الإشارة إلى كثرة التسييح حتى امتلأت منه الأرض..!؟  
ومنها: ذكاه صلى الله عليه وسلم لعروش الظلم والطغيان وقهر الممالك الجائرة.  
ومنها: أن خيل جيوشه ركبت البحر، وهذا لم يحدث إلا في ظل رسالة الإسلام.  
على أن كلام حبقوق ملئ بالرمز والإشارات مما يفيدنا في هذا المجال ولكننا نتجاوزه لأمرين:  
أحدهما: أن في الإشارات الصريحة غناء عنها. وثانيهما: عدم التطويل. هنا. كما اتفقنا.

### بشاراته ﷺ في العهد الجديد

أسفار العهد الجديد (الأنجيل والرسائل) حافلة بالنصوص التي يتعين أن تكون " بشارات " برسول الإسلام ﷺ .

تلك البشارات تعلن أحياناً في صورة الوعد بملكوت الله أو ملكوت السماوات. وأحياناً أخرى بالروح القدس. ومرات باسم المعزى أو الفارقليط، وهي كلمة يونانية سيأتي فيما بعد معناها، تلك هي صورة البشارات في الأنجيل في صيغها المعروفة الآن.

١- ففي إنجيل متى وردت هذه العبارة مسندة إلى يحيى عليه السلام المسمى في الأنجيل: يوحنا المعمدان. وفيها يقول: " توبوا؛ لأنه قد اقترب ملكوت السماوات " الإصحاح (٣) الفقرة (٢) . فمن هو ملكوت السماوات الذي بشر به يحيى؟! هل هو عيسى عليه السلام. كما يقول النصارى..؟! هذا احتمال.. ولكن متى نفسه يدفعه حيث روى عن عيسى عليه السلام نفس العبارة: " توبوا؛ لأنه قد اقترب ملكوت السماوات " الإصحاح (٤) الفقرة (١٧) . فلو كان المراد بملكوت السماوات. هذه. عيسى عليه السلام لما وردت هذه " البشارة " على لسان عيسى؛ إذ كيف يبشر بنفسه، وهو قائم موجود، والبشارة لا تكون إلا بشئ محبوب سيأتي، كما أن الإنذار. قسيمه. لا يكون إلا بشئء " مكروه " قد يقع. فكلاهما: التبشير والإنذار. أمران مستقبليان.

إن ورود هذه العبارة عن عيسى نفسه تخصيص لذلك العموم المستفاد من عبارة يحيى عليهما السلام. فدل ذلك على أن المراد بملكوت السماوات رسول آخر غير عيسى. ولم يأت بعد عيسى. باعتراف الجميع. رسول غير رسول الإسلام صلى الله عليه وسلم.

فدل ذلك على أنه هو المراد بملكوت السماوات في عبارة عيسى عليه السلام قولاً واحداً. وباحتمال أرجح في عبارة يحيى، إذ لا مانع عندنا. أن يكون يحيى عليه السلام قد بشر بها بعيسى عليه السلام.

أما بشارة عيسى فلا موضع لها إلا الحمل . القطعى . على رسول الإسلام ﷺ ، وفي صيغة الصلاة التي علمها المسيح لتلاميذه . كما يروى متى نفسه . بشارة أخرى بنى الإسلام . وهذا هو نص متى في هذا " فصلوا أنتم هكذا: أبانا الذى فى السماوات ليتقدس اسمك ليأت ملكوتك " الإصحاح (٦) الفقرة (١٠٩) . ووردت هذه الصيغة فى إنجيل لوقا هكذا:

" متى صليتم فقولوا: أبانا الذى فى السماوات ليتقدس اسمك ليأت ملكوتك.. " الإصحاح (١١) الفقرة (٢) . ويذكر لوقا أن المسيح جمع تلاميذه، وعلمهم كيف يقهرون الشياطين، ويشفون الأمراض ثم قال: " وأرسلهم ليكرزوا . أى يبشروا . بملكوت الله " الإصحاح (٩) الفقرة (٢) . أما مرقس فيسند هذه البشارة إلى المسيح نفسه إذ يقول: " جاء يسوع إلى الجبل يكرز ببشارة ملكوت الله ويقول: قد كمل الزمان واقترب ملكوت الله " الإصحاح (١) الفقرة (١٤) (١٥٠١٤)

فهؤلاء ثلاثة من التلامذة يتفقون على أن يحيى وعيسى (عليهما السلام) قد بشرا بملكوت الله الذى اقترب . فمن المراد بملكوت الله إذا لم يكن هو رسول الإسلام ﷺ ؟. وأكاد أجزم بأن عبارة " المسيح، قد كمل الزمان " لا تعنى سوى انتهاء عصر الرسالات الموقوتة وإقبال الرسالة الخالدة!..

٢- أما يوحنا صاحب رابع الأناجيل . فإنه يذكر هذه البشارات فى مواضع متعددة من إنجيله . ومن ذلك ما يرويه عن المسيح عليه السلام " الذى لا يجنى لا يحفظ كلامى ، والكلام الذى تسمعونه ليس لى بل للأب الذى أرسلنى . بهذا كلمتكم وأنا عندكم . وأما المعزى (اسم فاعل من الفعل المضعف العين عزى) هذا إيضاح وليس من النص . الروح القدس، الذى سيرسله الأب باسمى فهو يعلمكم كل شىء ويذكركم بما قلته لكم " الإصحاح (١٤) الفقرات (٢٤ . ٢٦) .

كما يروى يوحنا قول المسيح . الآتى . مع تلاميذه: " إنه خير لكم أن انطلق . إن لم أنطلق لا يأتىكم المعزى، ولكن إن ذهبت أرسله إليكم . ومتى جاء ذاك يبيكت العالم على خطية، وعلى بر وعلى دينونة " الإصحاح (١٦) الفقرتان (٧ . ٨) .

ويروى كذلك قول المسيح لتلاميذه: " وأما إذا جاء ذاك روح الحق، فهو يرشدكم إلى جميع الحق؛ لأنه لا يتكلم من نفسه . بل كل ما يسمع يتكلم به، ويخبركم بأمر آتية " .؟! الإصحاح (١٦) الفقرة (١٣) .  
فمن هو المعزى أو روح القدس أو روح الحق الذى بشر به المسيح عليه السلام حسبما يروى يوحنا.؟! إن المسيح يقول:

إن ذلك المعزى أو الروح القدس لا يأتى إلا بعد ذهاب المسيح، والمسيح . نفسه . يُقَرُّ بأن ذلك المعزى أو الروح أجلُّ منه شأنًا، وأعم نفعاً وأبقى أثراً، ولذلك قال لتلاميذه: خير لكم أن أنطلق . إن لم أنطلق لا يأتىكم المعزى .

وكلمة " خير " أفعل تفضيل بمعنى أكثر خيراً لكم ذهابي ليأتىكم المعزى ولو كان " المعزى " مساويا للمسيح فى الدرجة لكانا مستويين فى الخيرية ولما ساغ للمسيح أن يقول خير لكم أن أنطلق . ومن باب أولى لو كان " المعزى " أقل فضلاً من المسيح . فعبارة المسيح دليل قاطع على أنه بشر بمن هو أفضل منه، لا مساوٍ له

ولا أقل. ثم يصف المسيح ذلك المعزى أو الروح بأوصاف ليست موجودة في المسيح نفسه عليه السلام. ومن تلك الأوصاف:

أ. إنه يعلم الناس كل شيء. وهذا معناه شمول رسالته لكل مقومات الإصلاح في الدنيا والدين. وذلك هو الإسلام.

ب. إنه يبكت العالم على خطية. والشاهد هنا كلمة "العالم" وهذا معناه شمول الإسلام لكل أجناس البشر، عرباً وعجماً، في كل زمان ومكان. ولم توصف شريعة بهذين الوصفين إلا الإسلام.

ج. إنه يخبر بأمور آتية، ويذكر بما مضى. وقد تحقق هذا في رسالة محمد صلى الله عليه وسلم.

فأخبر بأمور آتية لم يخبر بها من سبقه أو أخبروا ولكن ليس على وجه التفصيل والتأكيد الذي كان على يديه صلى الله عليه وسلم فكم في القرآن من أمور أخبر بها قبل أن تقع فوقعت كما أخبر، وكم فيه من الإخبار بما سيكون في الحياة الآخرة من أوصاف الجنة، والنار، والبعث، وعلامات الساعة، وتخاصم أهل النار، وحوار أصحاب الجنة مع "رجال الأعراف"، وندم من باعوا دينهم بديناهم. إلخ.. إلخ.

وذكر بما مضى من أحوال الأمم، وقيام الحضارات ثم سقوطها وأحوال المرسلين وما بلغوا به أقوامهم والشهادة لهم بالصدق والأمانة والإخلاص والوفاء، ومسلك بعض الأقوام من رسلهم والصراع الذي دار بين المحقين وأهل الباطل، وعاقبة بعض المكذبين.. إلخ.. إلخ.

ثم استوعبت رسالته الحياة كلها فأرست قواعد الاعتقاد الصحيح وسنت طرق العبادة المثمرة، ووضعت أصول التشريع في كل ما هو متعلق بالحياة عاجلها وآجلها، ووضحت العلاقة السليمة بين المخلوق والخالق، وبين الناس بعضهم بعضاً. وحررت العقول، وطهرت القلوب ورسمت طريق الهدى لكل نفس ولكل جماعة ولكل أمة. أى أنها أرشدت إلى كل شيء. وعلمت كل شيء مما يحتاج تعلمه إلى وحى وتوفيق..!

ذلك هو الإسلام، ولا شيء غير الإسلام.

وشهدت. فيما شهدت. للمسيح عليه السلام بأنه رسول كريم أمين أدى رسالته وبشر وأنذر بنى إسرائيل. وأنه عبده ورسوله {ذلك عيسى ابن مريم قول الحق الذى فيه يمترون} [مریم: ٣٤].

وشهادة رسول الإسلام لعيسى عليه السلام منصوص عليها في بشارات عيسى نفسه به ﷺ. فاسمع إلى يوحنا وهو يروى عن المسيح عليه السلام قوله الآتى. "ومتى جاء المعزى الذى سأرسله "أنا" إليكم من الأب روح الحق من عند الأب ينبثق فهو يشهد لى.. وتشهدون أنتم أيضاً لأنكم معى من الابتداء "الإصحاح (١٥) فقرتا (٢٦. ٢٧)."

روح القدس هذا، أو المعزى، أو روح الحق لا يمكن أن يكون عيسى؛ لأن عيسى لم يبشر بنفسه، وهو كان موجوداً ساعة قال هذا ولا يمكن أن يكون المراد به نبياً بعد عيسى غير محمد ﷺ لأننا متفقون على أن عيسى لم يأت بعده نبي قبل رسول الإسلام ﷺ.

فتعين أن يكون روح القدس، أو المعزى، أو روح الحق تبشيراً بمحمد صلى الله عليه وسلم إذ فيه تجتمع تلك الأوصاف، كما يتحقق فيه معنى "الأفضلية" إذ هو خاتم النبيين، الذى جاء بشريعة خالدة عامة، وعلى

هذا حملنا قبلا قول عيسى: خير لكم أن أنطلق. إن لم أنطلق لا يأتيكم المعزى " وهذا إقرار من عيسى بأن المبشر به أفضل من المبشر وكفى بذلك شواهد.

أما البشارة باسم " الفارقليط " فقد خلت منها الترجمات العربية المعاصرة للكتاب المقدس. ومعلوم أن الكتاب المقدس خضع للترجمات وطبعات متعددة؛ لدرجة أن الترجمات العربية لتختلف من نسخة إلى أخرى اختلافاً بيناً. وتحت يدى. الآن. نسختان من الطبقات العربية كلتاها خاليتان من كلمة الفارقليط، وموضوع مكانها كلمة المعزى.

بيد أننى وجدت أن ابن القيم، وابن تيمية، كل منهما قد نقل عن نسخ خطية كانت معاصرة لهما نصوصاً فيها التصريح باسم " الفارقليط " كما أن الشيخ رحمت الله الهندي (رحمه الله) نقل في كتابه " إظهار الحق " نصوصاً " عن ترجمات عربية ترجع إلى أعوام: ١٨٢١ . ١٨٣١ . ١٨٤٤ م وتمت في لندن ، معنى " الفارقليط " : كلمة يونانية معناها واحد مما يأتي: الحامد . الحماد . المحمود . الأحمَد .

أو معناها كل ما تقدم. فمعنى " فارقليط " يدور حول الحمد وجميع مشتقاته المشار إليها. وكل واحد منها يصح إطلاقه على رسول الإسلام ﷺ فهو الحامد والحماد والمحمود والأحمد، والمحمد.

وفي الطبقات . اللندنية . المتقدم ذكرها ورد النص هكذا: " إن كنتم تحبوننى فاحفظوا وصاياى . وأنا أطلب من الآب فيعطىكم فارقليط آخر، ليثبت معكم إلى الأبد " .

" الفارقليط " روح القدس الذى يرسله الآب باسمى هو يعلمكم كل شىء، وهو يذكركم كل ما قلته لكم " (١) ومقارنة هذين النصين بالنص المقابل لهما الذى نقلناه آنفاً عن إنجيل يوحنا من الطبقات العربية الحديثة تريك أن الطبقات الحديثة حذفت كلمة " الفارقليط " ووضعت مكانها كلمة " المعزى " كما تريك أن الطبقات الحديثة حذفت جملة: " ليثبت معكم إلى الأبد " وهو نص على خلود الإسلام على أنهم عادوا واعترفوا بأن كلمة " المعزى " التى فى الطبقات الحديثة للكتاب المقدس أصلها مترجم عن كلمة يونانية لفظاً ومعنى وهى " باراكليتس " ومعناها المعزى، وليست " فارقليط " أو " بارقليط " التى معناها الحماد والحامد . . . . . والتى يتمسك بها المسلمون .؟! وهذه المحاولات مردودة لسببين:

أولهما: ليس نحن . المسلمون . الذين قاموا بعمل بالطبقات القديمة التى فيها " الفارقليط " وإنما طبعها النصارى قديماً. فعملهم حجة على الطبقات الحديثة وهم غير متهمين فى عملهم هذا.

وثانيهما: ولو كانت الكلمة " هى: الباراكليتس " فلماذا خلت منها الطبقات القديمة والنسخ المخطوطة؟! بل ولماذا خلت منها الطبقات الحديثة .؟! .

وأيا كان المدار: فارقليط، أو باراكليتس، أو المعزى، أو الروح القدس فنحن لا نعول على الكلمة نفسها بقدر ما نعول على الأوصاف التى أجريت عليها. مثل يعلمكم كل شىء . . . . . يمكن معكم إلى الأبد. فهذه الأوصاف هى لرسول الإسلام صلى الله عليه وسلم ومهما اجتهدتم فى صرفها عنه فلن تنصرف.

(١) - انظر كتاب " إظهار الحق " ص ٥٢٨ للشيخ رحمت الله الهندي تحقيق الدكتور أحمد حجازى السقا. نشر دار التراث.

ولهم " شبهة " أخرى يجلو لهم ترداها وهي: محمد ﷺ عربي الجنس واللسان، فكيف يرسله الله إلى أمم وأجناس غير عربية.. وكيف يكلف الله الناس برسالة لا يعرفون لغتها ولا عهد لهم بالتحدث معها. وكيف يستطيعون أن يفهموا القرآن، وتوجيهات رسول الإسلام، وهما باللغة العربية؟! رد الشبهة نرد عليها من طريقتين:

الأول: وهو مستمد من واقع القوم أنفسهم. فهم يدعون تبعاً لما قال " بولس " أن عيسى عليه السلام مرسل لخلاص العالم كله. وأنه أمر حواريه أن يركزوا كل العالم برسالة الخلاص، وفي أيامنا هذه كثرت المنشورات التي تقول: المسيح مخلص العالم. وهنا نسأل القوم سؤالاً: أية لغة كانت لغة المسيح عليه السلام وحوارييه؟! هل هي العبرانية أم اليونانية؟! وأيا كان الجواب فإن المسيح كان يتكلم لغة واحدة. وأوحى إليه الإنجيل بلغة واحدة.. فعلى أى أساس إذن قلتم: إنه منقذ لكل العالم؟! هل كل العالم كان وما يزال يعرف لغة المسيح؟! أم أن العالم أيام المسيح كان يتكلم بعدة لغات.. والآن يتكلم بمئات اللغات؟! فإن كنتم قد ادعيتم أن المسيح هو منقذ كل العالم مع تسليمكم بأنه كان يتكلم بلغة واحدة فلماذا تنكرون على رسول الإسلام أن يكون مرسلًا لكل العالم؟! وما الفرق بين رسول الإسلام صلى الله عليه وسلم والمسيح عليه السلام حتى تحظروا عليه ما استبحتموه للمسيح؟! أهذا عدل. أهذا إنصاف! إن تنازلتم عن علمية المسيح فأنتم مدينون..؟! (١)

### خامساً : ومن أعظم الشبه والافتراء: وصف النبي ﷺ بأنه (إرهابي دموي سفاك للدماء).

وهذه التهمة إنما يذيعها المستشرقون في العصر الحديث تشكيكاً في دعوته وصدق نبوته ﷺ تفاصيل الرد سيتم في المجلد الثالث إن شاء الله فهو مخصص للجهد والقتال في الإسلام. .... الرد :

لقد ثبت عنه ﷺ من الحلم والاحتمال والعفو عند المقدرة والصبر على المكاره الشيء الكثير جداً. وكل حلیم عرف من زلة وحفظت عنه هفوة ولكنه ﷺ لم يزد مع كثرة الأذى إلا صبراً وعلى إسراف الجاهل إلا حلماً، قالت عائشة: ما خيّر رسول الله ﷺ بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثماً فإن كان إثماً كان أبعد الناس عنه، وما انتقم لنفسه إلا أن تنتهك حرمة الله فينتقم لله بها (٢)، وكان أبعد الناس غضباً وأسرعهم رضياً. وقد كان من أعظم دلائل نبوته التي وردت في كتب أهل الكتاب. والتي آمن على مثلها من آمن منهم مثل عبد الله بن سلام وسلمان الفارسي وغيرهما أن حلمه يسبق غضبه، وقد كان العفو والصفح أحب إليه من الانتقام كما في الحوادث التالية:

١ - تصدى له غورث بن الحارث ليفتك به ﷺ، ورسول الله ﷺ مطرح تحت شجرة وحده

(١) - شبهات المشككين، الشبهة رقم ٤٨ بتصرف، وانظر منقذ بن محمود السقار، هل بشر الكتاب المقدس بمحمد ﷺ؟ دار الإسلام للنشر والتوزيع ط ١ سنة ٢٠٠٧، و د. سامي عامري، محمد ﷺ في الكعب المقدسة، مركز التنوير الإسلامي للخدمات المعرفية والنشر بالقاهرة ط ١/٢٠٠٦. و محمد نبي الإسلام في التوراة والإنجيل والقرآن. محمد عزت الطهطاوي. مكتبة النور. و البشارة بنبي الإسلام في التوراة والإنجيل. أحمد حجازي السقا. دار البيان العربي. القاهرة، ١٩٧٧ م. و محمد في التوراة والإنجيل والقرآن. إبراهيم خليل أحمد. المكتبة التجارية. مكة المكرمة، ١٤٠٩ هـ. ...

(٢) - رواه مالك ح (١٨٨٢) و البخاري ح (٦٥٦٠، ٦١٢٦) ومسلم ح (٢٣٢٧).

قائلاً (من القيلولة وهو نوم وسط النهار) دون حرس، وأصحابه قائلون كذلك. وذلك في غزاة، فلم ينتبه رسول الله ﷺ إلا وغورث قائم على رأسه، والسيف مصلتٌ في يديه وقال: من يمنك مني؟ فقال ﷺ: «الله». فسقط السيف من يد غورث، فأخذه النبي ﷺ وقال: «من يمنك؟» قال غورث: كن خير آخذ فتركه وعفا عنه. فعاد إلى قومه فقال: جئتم من عند خير الناس. (١)

٢- لما دخل المسجد الحرام صبيحة الفتح ووجد رجالاً قريش جالسين مطأطيء الرؤوس ينتظرون حكم رسول الله ﷺ الفاتح فيهم، فقال: «يا معشر قريش ما تظنون أني فاعل بكم؟» قالوا: أخ كريم وابن أخ كريم، قال: «اذهبوا فأنتم الطلقاء» فعفا عنهم بعدما ارتكبوا من الجرائم ضده وضد أصحابه ما لا يقادر قدره، ولا يحصى عده، ومع هذا فقد عفا عنهم ولم يعنف ولم يضرب. ولم يقتل (٢).

٣- سحره لبيد بن الأعصم اليهودي، فعفا عنه ولم يؤاخذه. بل لم يثبت أنه لاهمه أو عاتبه مجرد لوم أو عتاب. فضلاً عن المؤاخذة والعقاب. (٣)

٤- تأمر عليه المنافقون وهو في طريق عودته من تبوك إلى المدينة تأمروا عليه ليقتلوه وعلم بهم وقيل له فيهم فعفا عنهم، وقال: (لا يُتحدث أن محمداً يقتل أصحابه) (٤)

٥- لم يذكر في غزوة من الغزوات أنه اعتدى على أحد أو غزا قوماً مسلمين بل كانت غزواته وسراياه موجهة إلى من بدأه بالعداوة وحاول الكيد للإسلام والمسلمين، وكان يأمر أمراءه إذا أرسلهم أن لا يقتلوا امرأة ولا طفلاً ولا عجزاً ولا راهباً معتزلاً في صومعته وكان ينههم عن التحريق بالنار وإفساد الزرع.

لقد غير النبي ﷺ أغراض الحروب وأهدافها التي كانت تضطرم نار الحرب لأجلها في الجاهلية، فبينما كانت الحرب عبارة عن النهب والسلب والقتل والإغارة والظلم والبغي والعدوان وأخذ الثأر والفوز بالوتر وكبت الضعيف وتخريب العمران وتدمير البنيان وهتك حرمت النساء والقسوة على الضعيف والولائد والصبيان وإهلاك الحرث والنسل والعبث والفساد في الأرض في الجاهلية، إذ صارت هذه الحرب في الإسلام جهاداً في تحقيق أهداف نبيلة وأغراض سامية وغايات محمودة يعتر بها المجتمع الإنساني في كل زمان ومكان وغدت الحرب جهاداً في تخليص الإنسان من نظام القهر والعدوان.

إن تحول المجتمع إلى نظام العدل والنصف بدلاً عن نظام يأكل فيه القوي الضعيف، حتى يصير المجتمع إلى نظام يصير فيه القوي ضعيفاً حتى يؤخذ الحق منه وصارت بذلك الحرب جهاداً لتخليص المستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها واجعل لنا من لدنك ولياً واجعل لنا من لدنك نصيراً. وصارت جهاداً في تطهير أرض الله من الغدر والخيانة والإثم والعدوان وغدت وسيلة لبسط الأمن والسلامة والرأفة والرحمة ومراعاة الحقوق والمروءة.

أومن قام بتبديل الحرب من شرٍّ محضٍ إلى خيرٍ محضٍ يكون إرهابياً أو سفاكاً للدماء؟.

(١) - (أخرجه الإمام أحمد ح(١٤٩٢٩) خلاصة المحقق حديث صحيح وابن حبان (٢٨٨٣) صحيح الاسناد ، وهو في البخاري مختصراً  
(٢) - النسائي في السنن الكبرى ح(١١٢٣٤) والأزرقي في أخبار مكة ١٢١/٢ الناشر دار الأندلس بيروت و أخرج فقرات منه تختلف طولاً وقصراً: ابن أبي شيبة في مصنفه ٤٨٧/١٤ برقم (١٨٧٥٠)، وأحمد ح(٢٠٧/٢)، وأخرجه أحمد ح(١٧٩/٢، ٢١٢ - ٢١٣، وأخرجه البيهقي في "دلائل النبوة" ٨٦/٥  
(٣) - صحيح البخاري ح(٣٢٦٨) ومسلم ح(٢١٨٩).  
(٤) - صحيح البخاري ح(٢١٨٩، ٤٦٢٢) ومسلم ح(٢٥٨٤).

أفتري من يأمر بهذا العدل والإنصاف والرحمة والرأفة حتى مع العدو أثناء القتال يمكن أن يوصف بأنه إرهابي أو قاتل أو سفاك للدماء؟ سبحانك هذا بهتان عظيم!!

علماً بأن جميع البلاد التي فتحها بالسيف ظهر فيها الإسلام وانتشر وثبت أهلها على الإسلام، مما يؤكد أن انتشار الإسلام ووثباته لصفاته الذاتية فيه وليس انتشاره عائداً إلى نشره بالقوة السيف فقط كما أن أكثر بقاع الإسلام وبلاده مما فتح مسلماً دون حرب أو قتال كما ثبت ذلك في دواوين السيرة وكتب التاريخ.

### ليس في حروب النبي دموية

تميّزت الحروب النبوية بأنها حروب غير دموية، بمعنى أنها لم يكن فيها ما يُعرف الآن بجرائم إبادة الشعوب، حيث نجد فيما يُسمى "بمحاضرات" العالم الحديثة أن بعض الزعماء أخذوا قرارات نتج عنها إفناءً لِكَمِّ هائلٍ من البشر في مدينة أو دولة أو أحياناً قارة! لكن حروب رسول الله صلى الله عليه وسلم لم تكن على هذه الصورة، ذلك أنه كان حريصاً على تجنب القتال ما استطاع إلى ذلك سبيلاً، وإذا اضطر إليه حاول أن ينهيه بسرعة، وأثناء القتال نفسه كان يحفظ دماء المدنيين، وكذلك يحفظ دماء المستكرهين على القتال، ثم بعد القتال كان يعفو إذا ملك، ويسامح ويرحم إذا عكَب. فجاءت حروبه على مستوى من الرقي لا تعرفه -بل لا تفهمه- "الحضارات الحديثة! ولغة الأرقام لا تكذب!

ياحصاء عدد الذين ماتوا في كل الحروب النبوية، سواء من شهداء المسلمين، أو من قتلى الأعداء، و بتحليل لهذه الأعداد، وربطها بما يحدث في عالمنا المعاصر، نجد العجب!!

بلغ عدد شهداء المسلمين في كل معاركهم أيام رسول الله ﷺ، وذلك على مدار عشر سنوات كاملة، ٢٦٢ شهيداً تقريباً، وبلغ عدد قتلى أعدائه ﷺ حوالي ١٠٢٢ قتيلاً، وهذه الإحصائية تجمع كل من قُتل من الطرفين حتى ما تم في حوادث فردية، وليس في حروب مواجهة، وبذلك بلغ العدد الإجمالي لقتلى الفريقين ١٢٨٤ قتيلاً فقط!!

ولكي لا يتعلل أحدٌ بأن أعداد الجيوش آنذاك كانت قليلة؛ ولذا جاء عدد القتلى على هذا النحو، بحساب نسبة القتلى بالنسبة إلى عدد المقاتلين، ستذهل!! إن نسبة الشهداء من المسلمين إلى الجيوش المسلمة تبلغ ١% فقط، بينما تبلغ نسبة القتلى من أعداء المسلمين بالنسبة إلى أعداد جيوشهم ٢%!!، وبذلك تكون النسبة المتوسطة لقتلى الفريقين هي ١.٥% فقط!

إن هذه النسب الضئيلة في معارك كثيرة بلغت ٢٥ أو ٢٧ غزوة، و ٣٨ سرية، أي أكثر من ٦٣ معركة، لمن أصدق الأدلة على عدم دموية الحروب في عهده ﷺ .

ولكي تتضح الصورة بشكل أكبر وأظهر، يا حصاء عدد القتلى في الحرب العالمية الثانية -كمثال لحروب "الحضارات" الحديثة، وخاصة أن الدول التي اشتركت فيها ما زالت تدّعي أنها رائدة للحضارة ولحقوق الإنسان!- و بحساب نسبة القتلى بالقياس إلى أعداد الجيوش المشاركة في القتال، تُصدّم!! إن نسبة القتلى في هذه الحرب الحضارية بلغت ٣٥١!!! %، ومن جديد... إن الأرقام لا تكذب!!!

لقد شارك في الحرب العالمية الثانية ١٥.٦٠٠.٠٠٠ جندي (خمسة عشر مليون وستمائة ألف)، ومع ذلك فعدد القتلى بلغ ٥٤.٨٠٠.٠٠٠ قتيل (أربعة وخمسين مليون وثمانمائة ألف)!!! أي أكثر من ثلاثة

أضعاف الجيوش المشاركة! وتفسير هذه الزيادة هو أن الجيوش المشاركة جميعًا -وبلا استثناء- كانت تقوم بحروب إبادة على المدنيين، وكانت تسقط الآلاف من الأطنان من المتفجرات على المدن والقرى الآمنة، فتبديد البشر، وتُفني النوع الإنساني، فضلاً عن تدمير البنى التحتية، وتخريب الاقتصاد، وتشريد الشعوب!! لقد كانت كارثة إنسانية بكل المقاييس!

وليس خافياً على أحد أن المشاركين في هذه المجازر كانت الدول التي تعرف آنذاك -والآن- بالدول المتحضرة الراقية! كبريطانيا وفرنسا وأمريكا والاتحاد السوفيتي والصين وألمانيا وإيطاليا واليابان! أي تحضر هذا؟! وعن أي رقي يتكلمون؟! ثم أين أولئك الذين يصفون رسولنا ﷺ بالعنف والإرهاب؟! اقرن هذه النسب المفجعة بما كان على عهد رسول الرحمة ﷺ، إن العودة للأرقام سترد كل مُنصفٍ إلى جادة الطريق، أما من اختار العمى على الهدى فلا يلومن إلا نفسه!!

**الجهاد في الإسلام:** الجهاد في الإسلام حرب مشروعة عند كل العقلاء من بني البشر، وهي من أنقى أنواع الحروب من جميع الجهات:

١- من ناحية الهدف. ٢- من ناحية الأسلوب. ٣- من ناحية الشروط والضوابط.

٤- من ناحية الإنهاء والإيقاف. ٥- من ناحية الآثار أو ما يترتب على هذه الحرب من نتائج.

فطن لبطلان الادعاء الغربي (العنف/السيف) كاتب غربي كبير "توماس كارليل"، حيث قال في كتابه "الأبطال وعبادة البطولة" ما ترجمته: "إن اتهامه. أي سيدنا محمد ﷺ. بالتعويل على السيف في حمل الناس على الاستجابة لدعوته سخف غير مفهوم؛ إذ ليس مما يجوز في الفهم أن يشهر رجل فرد سيفه ليقتل به الناس، أو يستجيبوا له، فإذا آمن به من يقدر على حرب خصومهم، فقد آمنوا به طائعين مصدقين، وتعرضوا للحرب من غيرهم قبل أن يقدروا عليها (١)". وهو ما قاله المؤرخ الفرنسي غوستاف لوبون في كتابه "حضارة العرب" وهو يتحدث عن سر انتشار الإسلام في عهده ﷺ وفي عصور الفتوحات من بعده: "قد أثبت التاريخ أن الأديان لا تفرض بالقوة، ولم ينتشر الإسلام إذن بالسيف بل انتشر بالدعوة وحدها، وبالذعوة وحدها اعتنقته الشعوب التي قهرت العرب مؤخرًا كالترك والمغول، وبلغ القرآن من الانتشار في الهند. التي لم يكن العرب فيها غير عابري سبيل. ما زاد عدد المسلمين إلى خمسين مليون نفس فيها.. ولم يكن الإسلام أقل انتشاراً في الصين التي لم يفتح العرب أي جزء منها قط، وسترى في فصل آخر سرعة الدعوة فيها، ويزيد عدد مسلميها على عشرين مليوناً في الوقت الحاضر" (٢).

إن المطالع لآيات وأحاديث الجهاد، يخرج بصورة المجاهد في سبيل الله، أنه ذلك الفارس النبيل الأخلاقي المدرب على أخلاق الفروسية العالية الراقية؛ حتى يستطيع أن يمثل إلى الأوامر والنواهي الربانية التي تأمره بضبط النفس قبل المعركة وأثناء المعركة وبعد المعركة، فقبل المعركة يجب عليه أن يحجر نفسه من كل الأطماع، وألا يخرج مقاتلاً من أجل أي مصلحة شخصية، سواء كانت تلك المصلحة من أجل نفسه أو من أجل الطائفة التي ينتمي إليها، أو من أجل أي عرض دنيوي آخر، وينبغي أن يتقيد بالشروط التي أحل الله فيها الجهاد، وأن يجعل ذلك

(١) - حقائق الإسلام وأباطيل خصومه ص ١٦٦ ط الهيئة المصرية العامة للكتاب.

(٢) - غوستاف لوبون حضارة العرب ص ١٢٨، ١٢٩ ط الهيئة المصرية للكتاب.

لوجه الله تعالى، ومعنى هذا أنه سوف يلتزم بأوامر الله، ويستعد لإنهاء الحرب فوراً، إذا ما فقدت الحرب شرطاً من شروط حلها أو سبباً من أسباب استمرارها، وسواء أكان ذلك الفارس منتصراً، أو أصابه الأذى من عدوه، فإن الله يأمره بضبط النفس، وعدم تركها للانتقام، والتأكيد على الالتزام بالمعاني العليا، وكذلك الحال بعد القتال، فإنه يجب عليه أن يجاهد نفسه الجهاد الأكبر؛ حتى لا يتحول الفارس المجاهد إلى شخص مؤذٍ لمجتمعه أو لجماعته أو للآخرين، وبالرغم من أن لفظة الجهاد إذا أطلقت انصرف الذهن إلى معنى القتال في سبيل الله. إلا أن الرسول ﷺ قد أسماه بالجهاد الأصغر، وسمى الجهاد المستمر بعد القتال بالجهاد الأكبر؛ لأن القتال يستمر ساعات أو أيام، وما بعد القتال يستغرق عمر الإنسان كله... ويتضح لنا أيضاً أن من شروط وضوابط الحرب:

- (١) النبل والوضوح في الوسيلة والمهدف.
- (٢) لا قتال إلا مع المقاتلين ولا عدوان على المدنيين.
- (٣) إذا جنحوا للسلم وانتهوا عن القتال فلا عدوان إلا على الظالمين.
- (٤) المحافظة على الأسرى ومعاملتهم المعاملة الحسنة التي تليق بالإنسان.
- (٥) المحافظة على البيئة ويدخل في ذلك النهي عن قتل الحيوان لغير مصلحة وتحريق الأشجار، وإفساد الزروع والثمار، والمياه، وتلويث الآبار، وهدم البيوت.
- (٦) المحافظة على الحرية الدينية لأصحاب الصوامع والرهبان وعدم التعرض لهم.

**الجهاد في الإسلام اتسم بنبل الغاية والوسيلة معاً، فلا غرو أن تكون الآثار والثمار المتولدة عن هذا الجهاد متناسقة تماماً في هذا السياق من النبل والوضوح؛ لأن النتائج فرع عن المقدمات، ونلخص هذه الآثار في النقاط التالية:**

- (١) تربية النفس على الشهامة والنجدة والفروسية.
  - (٢) إزالة الطواغيت الجاثمة فوق صدور الناس، وهو الشر الذي يؤدي إلى الإفساد في الأرض بعد إصلاحها.
  - (٣) إقرار العدل والحرية لجميع الناس مهما كانت عقائدهم.
  - (٤) تقديم القضايا العامة على المصلحة الشخصية.
  - (٥) تحقيق قوة ردع مناسبة لتأمين الناس في أوطانهم.
- يقول الله سبحانه: { الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيراً } [الحج: ٢٩].

قال المفسرون: (ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض) أى لولا ما شرعه الله تعالى للأنبياء والمؤمنين من قتال الأعداء، لاستولى أهل الشرك وعطلوا ما بينته آيات الدين من مواضع العبادات، ولكنه دفع بأن أوجب القتال ليتفرغ أهل الدين للعبادة. فالجهاد أمر متقدم في الأمم، وبه صلحت الشرائع واجتمعت المتعبادات؛ فكأنه قال: أذن في القتال، فليقاتل المؤمنون. ثم قوى هذا الأمر في القتال بقوله: (ولولا دفع الله الناس) الآية؛ أي لولا القتال والجهاد لتغلب على الحق في كل أمة. فمن استشيع من النصارى والصابئين الجهاد فهو مناقض لمذهبه؛ إذ لولا القتال لما بقى الدين الذى يذب عنه. وأيضاً هذه المواضع التى اتخذت قبل تحريفهم وتبديلهم

وقبل نسخ تلك الملل بالإسلام إنما ذكرت لهذا المعنى؛ أى لولا هذا الدفع لهدمت فى زمن موسى الكنائس، وفى زمن عيسى الصوامع والبيع، وفى زمن محمد صلى الله عليه وسلم المساجد. " لهدمت " من هدمت البناء أى نقضته فانهدم. قال ابن عطية: هذا أصوب ما قيل فى تأويل الآية (١) .

### الحرب ظاهرة اجتماعية لطفتها تعاليم وحروب النبي ﷺ :

الحرب ظاهرة إنسانية قديمة قدم الإنسان على ظهر هذه البسيطة، فمنذ وُجد الإنسان وهو يصارع ويحارب، وكعلاقة من العلاقات الاجتماعية الحتمية نشأت الحرب، فالاحتكاك بين البشر لا بد وأن يؤلّد صداماً من نوع ما، لقد جبل الإنسان على غريزة التملك التي تدعوه إلى التشبث بما يملكه، حيث إن هذه الغريزة هي التي تحفظ عليه البقاء فى الحياة، وهى بالتالي التي تتولد عنها غريزة المقاتلة، فى أبسط صورها دفاعاً عن حقه فى الاستمرار والحياة، وقد تتعدّد نفسية الإنسان وتصبح حاجاته ومتطلباته مركبة، فلا يقاتل طالباً للقوت أو دفاعاً عنه فقط، وإنما يقاتل طلباً للحرية ورفعاً للظلم واسترداداً للكرامة. ويُفصّل العلامة ابن خلدون هذه الحقيقة فى مقدمته فيقول: " اعلم أن الحروب وأنواع المقاتلة لم تزل واقعة فى الخليقة منذ برأها الله، وأصلها إرادة انتقام بعض البشر من بعض ويتعصب لكل منها أهل عصبته، فإذا تدامروا لذلك وتوافقت الطائفتان؛ إحداهما تطلب الانتقام والأخرى تدافع، كانت الحرب وهو أمر طبيعى فى البشر، إما غيرة ومنافسة وإما عدوان وإما غضب لله ولدينه، وإما غضب للملك وسعى فى تمهيده " (٢) .

### الحرب فى الكتب المقدسة قبل الإسلام:

#### الحرب فى العهد القديم:

وردت أسباب الحرب فى ست وثلاثين آية تقع فى ثمانية أسفار من أسفار العهد القديم هي: (التكوين . العدد . التثنية . يوشع . القضاة . صموئيل الأول . الملوك الثاني . حزقيال) .

(١) جاء فى حزقيال الإصحاح (١: ٢١-٥): " وكان إلى كلام الرب قائلاً: يا ابن آدم اجعل وجهك نحو أورشليم وتكلم على المقادس وتنبأ على أرض إسرائيل وقل لأرض إسرائيل هكذا قال الرب هأنذا عليك وأستل سيفى من غمده فأقطع منه الصديق والشرير من حيث إني أقطع منك الصديق والشرير فلذلك يخرج سيفى من غمده على كل بشر من الجنوب إلى الشمال فيعلم كل بشر أنى أنا الرب سللت سيفى من غمده لا يرجع أيضاً " .

(٢) وجاء فى سفر يوشع الإصحاح (٣: ٢٣-٥) " انظروا: قد قسمت لكم بالقرعة هؤلاء الشعوب الباقين ملكاً حسب أسباطكم من الأردن وجميع الشعوب التي قرضتها والبحر العظيم نحو غروب الشمس والرب إلهكم هو ينفيهم من أمامكم ويطردهم من قدامكم فتملكون أرضهم كما كلمكم الرب إلهكم " .

(٣) وجاء فى سفر القضاة (١: ٢٧) " وحارب بنو يهوذا أورشليم وأخذوها وضربوا بحد السيف وأشعلوا المدينة بالنار " .

(١) - تفسير القرطبي (١٢/٧٠) مرجع سابق ، وتفسير ابن عطية (الموتقى: ٥٤٢هـ) (٤/١١٢) الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة: الأولى - ١٤٢٢ م

(٢) - مقدمة ابن خلدون (١/٣٣٤) المحقق: خليل شحادة ، الناشر: دار الفكر، بيروت ، الطبعة: الثانية، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م

(٤) وفي سفر القضاة (١٨ : ٣٠) " فأما هم فقد أخذوا ما صنع ميخاً والكاهن الذى له وجاءوا إلى لايش إلى شعب مستريح مطمئن فضربوهم بحد السيف وأحرقوا المدينة بالنار ولم يكن من ينقذ لأنها بعيدة عن صيدون " (٥) وفي التكوين الإصحاح (٣٤ : ٢٥-٢٩) " فحدث في اليوم الثالث إذ كانوا متوجعين أن ابني يعقوب شمعون ولاوى أخوى دينة أخذ كل واحد منهما سيفه وأتيا على المدينة بأمن!! وقتلا كل ذكر وقتلا حمور وشكيم ابنة بحد السيف لأنهم بخسوا أختهم، غنمهم وبقرهم وكل ما في المدينة وما في الحقل أخذوه وسبوا ونهبوا كل ثروتهم وكل أطفالهم ونسائهم وكل ما في البيوت " .

(٦) وفي سفر العدد (٢١ : ٣٤-٣٥) : " فقال الرب لموسى لا تخف منه لأنى قد دفعته إلى يدك مع جميع قومه وأرضه فتفعل به كما فعلت بيسيحون ملك الأموريين الساكن في حبشون فضربوه وبنيه وجميع قومه حتى لم يبق لهم شارذ وملكوا أرضه " .

(٧) وفي سفر العدد الإصحاح (٣٣ : ٥٠-٥٣) : تطالعنا التوراة، أن الله قد أمر موسى . عليه السلام . أن يشن حرباً على أقوام قد عبدوا غير الله . سبحانه وتعالى :: " وكلم الرب موسى في عربات مو أب على أردن أريحا قائلاً : " كلم بنى إسرائيل وقل لهم : إنكم عابرون الأردن إلى أرض كنعان فتطردون كل سكان الأرض من أمامكم وتمحون جميع تصاويرهم وتبيدون كل أصنامهم المسبوكة وتخربون جميع مرتفعاتهم " .

(٨) وفي سفر أشعياء ( ١ : ١٣) : "وتحطم اطفالهم امام عيونهم وتنهب بيوتهم وتفضح نسائهم (٩) وفي هوشع ( ١٣ : ١٦) : "تجازى السامرة لأنها قد تمردت على الهها. بالسيف يسقطون. تحطم اطفالهم والحوامل تشق " .

(١٠) وفي سفر الخروج (٣٢ : ٢٧) : "فقال لهم هكذا قال الرب اله اسرائيل ضعوا كل واحد سيفه على فخذه ومروا وارجعوا من باب الى باب في المحلة واقتلوا كل واحد اخاه وكل واحد صاحبه وكل واحد قريبه " .

(١١) وفي سفر العدد (٢٥ : ٥) : " فقال موسى لقضاة اسرائيل اقتلوا كل واحد قومه المتعلقين ببعل فغور " .

(١٢) وفي سفر العدد (٣١ : ١٧) : " الآن اقتلوا كل ذكر من الاطفال. وكل امرأة عرفت رجلا بمضاجعة ذكر اقلوها. ١٨ لكن جميع الاطفال من النساء اللواتي لم يعرفن مضاجعة ذكرا بقوهن لكم حيات. " .

هذه بعض من حروب بنى إسرائيل التي سجلتها نصوص كتبهم وأسفارهم، فمفهوم الحرب والقتال، ليس مفهوماً كريهاً من وجهة النظر التوراتية، وكأنها حروب مستمدة من الشريعة الدينية التوراتية، وهي كانت دائماً تتم بمباركة الرب ومعاونته وكان الرب . حسب تعبير التوراة . قد استل سيفه من غمده فلا يرجع (حزقيال ٢١ : ٥) .

### الحرب فى العهد الجديد:

الإنجيل لم يهمل الكلام عن الحروب بالكلية، بل جاء نص واضح صريح، لا يحتل التأويل ولا التحريف يقرر أن المسيحية على الرغم من وداعتها وسماحتها التي تمثلت فى النص الشهير " من ضربك على خدك الأيمن فأدر له الأيسر " . إلا أنها تشير إلى أن السيد المسيح . عليه السلام . قد يحمل السيف ويخوض غمار القتال إذا دعتة الظروف لذلك؛ فجاء فى الإنجيل على لسان السيد المسيح : " لا تظنوا أنى جئت لأرسى سلاماً على الأرض، ما جئت لأرسى سلاماً، بل سيفاً، فإنى جئت لأجعل الإنسان على خلاف مع أبيه، والبنات مع أمها والكنة

مع حماتها وهكذا يصير أعداء الإنسان أهل بيته " (متى ١٠ : ٣٤-٣٦) ، ولعلنا نلاحظ التشابه الكبير بين هذه المقولة وحديث الرسول ﷺ : [بعثت بالسيف بين يدي الساعة حتى يعبد الله وحده] (١). في لوقا (١٩ : ٢٧) أمّا أعدائي، أولئك الذين لم يُريدوا أن أمّلك عليهم، فأثّروا بهم إلى هنا وأذبحوهم قدامي... فيسوع نار أكلة وليس إله محبة (عبرانيين ١٢ : ٢٩) لأنّ إلهنا نارٌ آكلةٌ

مما سبق يتبين لنا واضحاً وجليلاً أن الحرب والقتال سنة كونية سرت في الأمم جميعاً، ولم نر في تاريخ الأمم أمة خلت من حروب وقتال، ورأينا من استعراض الكتب المقدسة - التوراة والإنجيل - أنه سنة شرعية لم تخل شرعية من الشرائع السماوية السابقة على الإسلام من تقريره والقيام به كما مر. لقد كان هذا القدر كافياً في إثبات أن محمداً ﷺ سائر على سنن من سبقه من الأنبياء، وأن الجهاد لتقرير الحق والعدل مما يمدح به الإسلام؛ لا مما به يشان، وأن ما هو جواب لهم في تبرير هذه الحروب وسفك الدماء كان جواباً لنا في مشروعية ما قام به النبي صلى الله عليه وسلم من القتال والجهاد.

### الحرب عند العرب قبل الإسلام

سجلت كتب التاريخ والأدب العربي ما اشتهر وعرف بأيام العرب، وهي عبارة عن مجموعة من الملاحم القتالية التي نشبت بين العرب قبل مبعث النبي ﷺ، وليس يعنينا سرد هذه الملاحم وتفصيلها ولكن الذي يعنينا هنا أن نقف على بعض الجوانب التي تصلح للمقارنة (الأسباب - الزمن المستغرق - الآثار التي خلفتها هذه الحروب) . وقد ذكرت كتب التواريخ أياماً كثيرة للعرب (البسوس - وداحس والغبراء - يوم النصار - يوم الجفار - يوم الفجار - يوم ذى قار - يوم شعب جبلة - يوم رحرحان ٠٠٠ إلخ) والمتأمل في هذه الملاحم والأيام يرى أن الحماسة الشديدة والعصبية العمياء وعدم الاكتراث بعواقب الأمور والشجاعة المتهورة التي لا تتسم بالعقل، كانت هي الوقود المحرك لهذه الحروب، هذا فضلاً عن تفاهة الأسباب التي قامت من أجلها هذه المجازر، والمدة الزمنية الطويلة التي استمرت في بعضها عشرات السنين، والآثار الرهيبة التي خلفتها هذه الحروب (أ) ، وعلى الرغم من أننا لم نقف على إحصاء دقيق لما خلفته هذه الحروب إلا أن الكلمات التي قيلت في وصف آثارها من الفناء والخراب وتيتم الأطفال وترمل النساء ٠٠٠ إلخ لتوقفنا على مدى ما أحدثته الحرب في نفوس الناس من اليأس والشؤم، ويصف لنا الشاعر زهير بن أبي سلمى طرفاً من ذلك في معلقته المشهورة وهو يخاطب الساعين للسلام بين عبس وذبيان: تداركتما عبسا وذبيان بعدما تفا.....نوا ودقوا بينهم عطر منشم

فهو يقول للساعين للسلام: إنكما بتحملكما ديات الحرب من مالكما، أنقدتما عبسا وذبيان بعدما يأسوا، ودقوا بينهما عطر منشم، ومنشم هو اسم لامرأة كانت تباع العطر يضرب بها المثل في التشاؤم، دليل على عظم اليأس الذي أصاب نفوس الناس من انتهاء هذه الحرب (ب) .

### الخلاصة في شرعة الجهاد :

(١) - رواه أحمد ح (٥١١٤) وقال المحقق اسناده ضعيف على نكارة في بعض ألفاظه .

(٢) - العلامة محمد أمين البغدادي ، سبائك الذهب ص ٤٤٣ ط دار الكتب العلمية

(٣) - (٥١) شرح المعلقات السبع للروزني ص ٨٣، ط مصطفى الحلبي.

استقر النبي ﷺ بالمدينة وأسس حكومته . فهاجت نائرة قريش والعرب وحقدوا على رسول الله ﷺ لما أحرزه من استقرار ونجاح لهذه الدولة الوليدة . دون ظلم أو استبداد أو سفك للدماء . ولذلك فقد كان ﷺ مقصوداً بالقتل، إذ ليس معقولاً أن تنام أعينهم على هذا التقدم والنمو، ومصالحهم قائمة على الزعامة الدينية في جزيرة العرب، وهذه الدولة الجديدة قائمة على أساس ديني ربما يكون سبباً في زوال هذه الزعامة الدينية الوثنية الموروثة. وإذا كان الإسلام ديناً بلغت الميول السلمية فيه مداها في قوله تعالى: (فاصفح عنهم وقل سلام) (٥٣) إلا أن الميول السلمية لا تتسع لمنع القائمين بهذا الدين الجديد من الدفاع عن أنفسهم وعن دينهم الذي أنزله الله للإنسانية كافة، في عالم يضيع فيه الحق والعدل إن لم يكن لهما قوة تحميهما، فكان لا مناص من السماح للمسلمين بحماية أنفسهم ودينهم بالسلاح الذي يشهره خصومهم في وجوههم، ولذلك كان التعبير بقوله تعالى: {أَذِّنْ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلُمُوا وَإِن لِّلَّهِ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ} \* الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد { [الحج:٥٣] . كان التعبير بالإذن الذي يدل على المنع قبل نزول الآية يدل على طروء القتال في الإسلام وأنه ظل ممنوعاً طيلة العهد المكي وبعضاً من العهد المدني ، هذا ولم يغفل الإسلام حتى في هذا الموطن . موطن الدفاع عن النفس والدين . أن ينصح لأتباعه بعدم العدوان؛ لأن الموضوع حماية حق لا موضوع انتقام ولا شفاء حزازات الصدور، وهذا من مميزات الحكومة النبوية، فإن القائم عليها من نبي يكون كالجراح يضع مشرطه حيث يوجد الداء لاستئصاله، مع عدم المساس بالأعضاء السليمة، ومقصده استبقاء حياة المريض لا قتله، والعالم كله في نظر الحكومة النبوية شخص مريض تعمل لاستدامة وجوده سليماً قوياً.. إن طبيعة هذا العالم مبنية على التدافع والتغالب ليس فيما بين الناس فحسب، ولكن فيما بينهم وبين الوجود المحيط بهم، وبين كل فرد والعوامل المتسلطة عليه من نفسه، ولا أظن أن قارئاً من قرائنا يجهل الناموس الذي اكتشفه دارون وروسيل ولاس ودعوه ناموس تنازع البقاء وبنوا عليه كل تطور أصاب الأنواع النباتية والحيوانية والإنسان أيضاً " (١) .

" ألم تر كيف تصدى خصوم الدين النصراني للمسيح، وما كان يدعو إلا للصلاح والسلام حتى إنهم استصدروا أمراً بصلبه فنجاه الله منهم، وما زالوا بالذين اتبعوه يضطهدونهم ويقتلونهم حتى مضت ثلاثة قرون وهم مشردون في الأرض لا تجمعهم جامعة، إلى أن حماهم من أعدائهم السيف على يد الإمبراطور قسطنطين الذي أعمل السيف في الوثنيين من أعدائهم.. أفيريد مثيرو هذه الشبهة أن يقوم دين على غير السنن الطبيعية في عالم مبنى على سنن التدافع والتنازع واستخدام القوة الحيوانية لطمس معالم الحق ودك صروح العدل ؟" يقول المعارضون: وماذا أعددت من حجة حين تجمع الأمم على إبطال الحروب وحسم منازعاتها عن طريق التحكيم، وهذا قرآنكم يدعوكم إلى الجهاد وحثكم على الاستبسال فيه؟

نقول: أعددتنا لهذا العهد قوله تعالى: {وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله إنه هو السميع العليم} [الأنفال:٥٥] .

(١) - السيرة المحمدية تحت ضوء العلم والفلسفة ل محمد فريد وحدي ص ١٦٤، ١٦٣ بتصرف. ط الهيئة المصرية العامة للكتاب.

" هذه حكمة بالغة من القرآن، بل هذه معجزة من معجزاته الخالدة، وهي أدل دليل على أنه لم يشرع الحرب لذاتها، ولكن لأنها من عوامل الاجتماع التي لا بد منها ما دام الإنسان في عقليته ونفسيته المأثورتين عنه، غير أنه لم ينف أن يحدث تطور عالمي يتفق فيه على إبطال الحرب فصرح بهذا الحكم قبل حدوثه ليكون حجة لأهله من ناحية، وليدل على أنه لا يريد الحرب لذاتها من ناحية أخرى، ولو كان يريد لها لذاتها لما نوه لهذا الحكم " (١).

لهذا قال ﷺ لأعدائه بعدما قدر عليهم: " اذهبوا فأنتم الطلقاء " هكذا دون شرط أو قيد، أقول حتى دون اشتراط الإسلام. والنتائج الحقيقية:

- (١) تحويل العرب الوحوش إلى عرب متحضرين، والعرب الملحدن الوثنيين إلى عرب مسلمين موحدن.
- (٢) القضاء على أحداث السلب والنهب وتعزيز الأمن العام في بلاد تفوق مساحتها مساحة فرنسا بضعفين.
- (٣) إحلال الأخوة والروحانية محل العداوة والبغضاء.
- (٤) إثبات الشورى مكان الاستبداد (٢).

هذا وقد وضع رسول الله ﷺ ضوابط وقيود كان من شأنها أن تحدد وظيفة الجهاد في نشر الإسلام في ربوع المعمورة، دون سفك للدماء ما استطعنا إلى ذلك سبيلاً.

ومن هذه الضوابط قوله تعالى: ﴿ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنْ اللَّهُ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ ﴾ { الانفال: ٨٧ }. فإن كان بين المسلمين والكفار عهد أو أمان فلا يجوز للمسلمين الغدر حتى ينقضي الأمد، فإن خاف المسلمون من أعدائهم خيانة بأن ظهر من قرائن أحوالهم ما يدل على خيانتهم من غير تصريح منهم، فحينئذ يخبرهم المسلمون أنه لا عهد بيننا وبينكم حتى يستوى علم المسلمين وعلم أعدائهم بذلك. ودلت الآية على أنه إذا وجدت الخيانة المحققة من الأعداء لم يحتج أن ينبذ إليهم عهدهم، لأنه لم يخف منهم بل علم ذلك. ودل مفهوم الآية أيضاً على أنه إذا لم يخف منهم خيانة بأن يوجد منهم ما يدل على عدم الخيانة، أنه لا يجوز نبذ العهد إليهم، بل يجب الوفاء إلى أن تتم مدته (٣).

أما ما أثبتته الواقع فلقد كانت أهم خصائص انتشار الإسلام :

. عدم إبادة الشعوب .

. جعلوا العبيد حكاماً .

. لم يفتحوا محاكم تفتيش .

. ظل اليهود والنصارى والهندوك في بلادهم .

. تراوجوا من أهل تلك البلاد وبنوا أسراً وعائلات على مر التاريخ (٤) .

### رد شبهة التجاوز في التعامل مع بني قريظة

(١) - السيرة النبوية لمحمد فريد وحدي ١٦٥، ١٦٦. وحقائق الإسلام في مقابل شبهات المشككين الشبهة رقم ٦٥. مرجع سابق

(٢) - رحمة للعالمين للمنصور فوري ص ٤٦٣. عن حقائق الإسلام في مقابل شبهات المشككين الشبهة رقم ٦٥ مرجع سابق .

(٣) - تفسير ابن كثير (٤ / ٧٩) والقرطبي (٨ / ٣١) والتفسير الوسيط لسيد طنطاوي (٦ / ١٣٦). مراجع سابقة .

(٤) - راجع حقائق الإسلام مقابل شبهات المشككين لنخبة من علماء مصر الشبهة ٦٥. مرجع سابق، جواب الشبهة ل د. محمود حمدي زقزوق

والشبهة التي تثار عند الحديث عن عدم دموية الحروب النبوية هي قتله لرجال قبيلة بني قريظة، والتي اختلفت الروايات في تحديد أعدادهم، فهم يتراوحون بين أربعمائة وسبعمائة رجل.. وقبل الحديث عن الحدث نفسه نود أولاً أن نقف على حيثيات وظروف ذلك الحكم..

فمن المعروف أن النبي ﷺ بمجرد قدومه المدينة عقد مع اليهود الموجودين بها معاهدة رائدة، تعد بمثابة أقدم دستور مسجل في العالم، والتي كان من أهم بنودها: التزام كل من المسلمين واليهود بالمعايشة السلمية فيما بينهما وعدم اعتداء أي فريق منهما على الآخر في الداخل. وتعهد كل من الطرفين بالدفاع المشترك عن المدينة ضد أي اعتداء خارجي، وعلى اليهود أن يتفقوا مع المؤمنين ما داموا محاربين.

في العام الخامس من الهجرة؛ أن تجمعت أكبر قوة معادية للمسلمين في ذلك الوقت للقضاء عليهم داخل المدينة، وأحاطت جيوش الأحزاب بالمدينة في عشرة آلاف مقاتل من مشركي قريش وقبائل غطفان وأشجع وأسد وفزارة وبني سليم، على حين لم يزد عدد المسلمين على ثلاثة آلاف مقاتل. وكان المتوقع أن تنضم بني قريظة إلى صفوف المسلمين ضد القوات الزاحفة على المدينة بناء على نصوص المعاهدة المبرمة بين الفريقين، لكن الذي حدث هو عكس هذا تمامًا! فلم تكتف بنو قريظة بمجرد السلبية، ولكن فوجئ المسلمون بهم يخونهم في أخطر أوقات محنتهم، ولم يراعوا للعهد حرمة، في سبيل التعجيل بسحق المسلمين والقضاء عليهم قضاء تامًا.

وبمجرد أن سمع رسول الله ﷺ بهذه الخيانة الخطيرة أرسل وفدًا مكونًا من سعد بن معاذ سيد الأوس، وسعد بن عباد سيد الخزرج، وعبد الله بن رواحة، وخوات بن جبير -رضي الله عنهم-؛ ليدركوا القوم بما بينهم وبين المسلمين من عهود، ويحذروهم مغبة ما هم مقدمون عليه، فخرجوا حتى أتوهم فوجدوهم على أحبث ما بلغهم عنهم، وقالوا عن رسول الله ﷺ: من رسول الله؟ لا عهد بيننا وبينه!! وهكذا ركب القوم رءوسهم، وقرروا الانضمام الفعلي للغزاة، وأخذوا يمدونهم بالمال والعتاد.

وقد تدخلت عناية الله لنصرة الإيمان وأهله، وشاء الله أن يندحر ذلك التحالف الوثني اليهودي {وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ} الأحزاب 25:، وبعدها مباشرة جاء الوحي رسول الله ﷺ بأمره بأن ينهض إلى بني قريظة؛ جزاءً لمكرهم وغدرهم وخيانتهم، فسار إليها وحاصرها ﷺ والمسلمون شهرًا أو خمسة وعشرين يومًا.. ولما طال عليهم الحصار عرضوا على الرسول ﷺ أن يتركهم ليخرجوا إلى أذرعات بالشام تاركين وراءهم ما يملكون، ورفض ﷺ إلا أن يستسلموا دون قيد أو شرط، وبالفعل استسلم يهود بني قريظة، ونزلوا على حكم رسول الله ﷺ، فوكل الحكم فيهم إلى سعد بن معاذ أحد رؤساء الأوس. وكان سعد حليف بني قريظة في الجاهلية، وقد ارتاح اليهود لهذا الاختيار، وظنوا أن الرجل قد يحسن إليهم في حكمه، لكن سعدًا نظر إلى الموقف من جميع جوانبه، وقدّره تقدير من عاش أحداثه وظروفه، وشاهد كروبه ومازقه، وعرف النذر المستطيرة التي تراءت في الأفق، فأوشكت أن تطيح بالعصبة المؤمنة لولا عناية الله عز وجل التي أنقذت الموقف.. وكان هو نفسه الذي شفع لديهم بادئ ذي بدء ليرجعوا عن غدرهم وغيهم، لكن القوم مضوا في عنادهم لا يقدرول للنتائج عاقبة، ولا يراعون الله في حلف ولا ميثاق، ولذلك لما كُلم في شأنهم أكثر من مرة قال -رضي الله عنه-: "لقد آن لسعد ألا تأخذه في الله لومة لائم"، ثم بعد أن أخذ المواثيق على

الطرفين أن يرضى كل منهما بحكمه أمر بني قريظة أن ينزلوا من حصونهم وأن يضعوا السلاح ففعلوا، ثم قال: "إني أحكم أن تقتل مقاتليهم وتسي ذريتهم وأموالهم"، فقال رسول الله ﷺ: «حَكَمْتَ فِيهِمْ بِحُكْمِ اللَّهِ مِنْ فَوْقِ سَبْعِ سَمَاوَاتٍ»!! فقتل رجالهم وسي نساؤهم وذرايرهم، ولاقى بنو قريظة أسوأ مصير على أفطع خيانة.. وهنا يجلو للبعض أن يُشكِّكوا في تصرف الرسول ﷺ ومعاملته لبني قريظة، ويعتبروا أن معاملته هذه لهم تتسم بالوحشة والقسوة، وأنه كان من الممكن أن يعاقبوا بأي عقاب آخر كالإجلاء أو النفي..

وللبيان والتوضيح نقول: ماذا لو أن نتيجة غزوة الأحزاب تمت حسبما كان يخطط لها بنو قريظة وأحزابهم، ألم تكن هي الإبادة التامة للمسلمين أجمعين؟! على أن اليهود لم يُقدِّموا على هذا العمل الخسيس إلا بعد أن تكوّن لديهم ما يشبه اليقين بأنهم -بمساعدة المشركين- سوف يقومون بتدمير الكيان الإسلامي تدميرًا كاملاً، واستئصال شأفة المسلمين استئصالاً كلياً، ولهذا لم يترددوا في الغدر بحلفائهم المسلمين، وعلى تلك الصورة البشعة. ولقد كانوا حريصين الحرص كله على إبادة المسلمين، حتى لقد طلبوا من الأحزاب والمشركين أن يُسلِّموا إليهم سبعين شاباً من أبنائهم رهائن عندهم؛ ليضمنوا أن جيوش الأحزاب لن تنسحب من منطقة المدينة إلا بعد أن تفرغ من المسلمين وتقضي عليهم قضاء تاماً.

فعلى الذين يستبشعون الحكم على بني قريظة، ويصفونه بأنه كان قاسياً شديداً، عليهم أن يحيطوا علماً بجوانب الموضوع، وظروف القضية؛ ليدركوا أن اليهود هم الذين جروا الوبال على أنفسهم (١).

وأخيراً: فلو تتبع إنسان نصوص العهد القديم والجديد معاً؛ لوجدها تطالب المؤمنين بهذا الكتاب المقدس أن يببدوا خصومهم عن آخرهم، وأن يسبوا صغارهم ونساءهم، وأن يخربوا بيوتهم ويحرقوا زروعهم؛ عقوبةً من الله تعالى لهم؛ لأنهم حاربوا المؤمنين. أما في الشرعة الدولية المعاصرة؛ فإن أمريكا قتلت في العراق (مليون شهيد) وفي أفغانستان مليوناً آخر! وفرنسا الظريفة اللطيفة قتلت أكثر من ١٠ مليون جزائري.

فلماذا تقفون عند رقم (٦٠٠) رجل خائن ناقض للعهد، ولا تقفون عند هذه الأرقام التي تزيد على مجموع أعداد دول معترفٍ بها في منظمة (الأمم المختلفة)؟

الحكم عليهم كان من منظور قوله تعالى: (فَإِنْ جَاءُوكَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرُضْ عَنْهُمْ وَإِنْ تُعْرَضْ عَنْهُمْ فَلَنْ يَضُرُّوكَ شَيْئًا وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ (٤٢) فالرسول ﷺ كان يقضي على أهل الكتاب بشريعتهم، وشريعتهم تقول:

اقتل المقاتلة، واسب النساء والذراير. وفي تلك الأيام لم يكن قوانين دولية، ولا محاكم دولية عليا، إنما كانت المعاملة بالمثل هي الشرعة السائدة في الحروب.

على أنه قد جاء في الروايات الصحيحة أنّ الذين قتلهم الرسول ﷺ من رجال بني قريظة، كان جمعهم في دار امرأة من الأنصار، قريباً من سوق المدينة. (أي عددهم أقل مما ذكر)

الخلاصة: { وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أَتِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يُنْتَهُونَ } [التوبة: ١٢].. فالرسول قتل قاداتهم المجرمين الغادرين، أو قاتل المحاربين على أبعد احتمال. وهم لا

(١) - كتاب (أخلاق الحروب في السنة النبوي) للدكتور راغب السرجاني. وعن موقع قصة الإسلام .

يعجبهم أن يُقَادَ منهم، لكنهم لا يرقبون في المسلمين إلا ولا ذمّة متى ما أرادوا ! { كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً يُرْضُونَكُمْ بِأَفْوَهِهِمْ وَتَأْتِي قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ } [التوبة: ٨].

## سادساً : الرد على شبهة اهتمامه ﷺ بالدنيا والغنائم

من الشبه التي أثارها أعداء الإسلام، وروّجوا لها بهدف تشويه شخصية محمد صلى الله عليه وسلم، للوصول إلى الطعن في دعوته، وإبعاد الناس عنها، ما يدّعون من أنه كان صاحب مطاعم دنيوية، لم يكن يظهرها في بداية دعوته في مكة، ولكنه بعد هجرته إلى المدينة بدأ يعمل على جمع الأموال والغنائم من خلال الحروب التي خاضها هو وأصحابه، ابتغاء تحصيل مكاسب مادية وفوائد معنوية.

ومن صرح بذلك "دافيد صمويل مرجليوت "المستشرق الإنجليزي اليهودي، حيث قال: "عاش محمد هذه السنين الست بعد هجرته إلى المدينة على التلصص والسلب والنهب.. وهذا يفسر لنا تلك الشهوة التي أثرت على نفس محمد، والتي دفعته إلى شن غارات متتابة، كما سيطرت على نفس الإسكندر من قبل و نابليون من بعد " .

والحق، فإن الناظر في سيرته ﷺ ، والمتأمل في تاريخ دعوته، يعلم علم اليقين أنه ﷺ لم يكن يسعى من وراء كل ما قام به إلى تحقيق أي مكسب دنيوي، يسعى إليه طلاب الدنيا واللاهثون وراءها، وهذا رد إجمالي على هذه الشبهة، أما الرد التفصيلي فبيانه فيما يلي :

١- ما ذكر في هذه الشبهة لا يوجد عليه دليل في واقع حياة رسول الله ﷺ ، إذ لو كان كما قيل لعاش عيشة الملوك، في القصور والبيوت الفارحة، ولاتخذ من الخدم والحراس والحشم ما يكون على المستوى المناسب مع تلك المطاعم المزعومة، بينما الواقع يشهد بخلاف ذلك، إذ كان في شظف من العيش، مكتفياً بما يقيم أود الحياة، وكانت هذه حاله ﷺ منذ أن رأى نور الحياة إلى أن التحق بالرفيق الأعلى..، يشهد لهذا أنّ بيوته ﷺ كانت عبارة عن غرف بسيطة لا تكاد تتسع له ولزوجاته.

وكذلك الحال بالنسبة لطعامه وشرابه، فقد كان يمر عليه الشهر والشهران لا توقد ناراً في بيته، ولم يكن له من الطعام إلا الأسودان - التمر والماء-، فعن عائشة رضي الله عنها قالت لعروة: (ابن أخي إن كنا لننظر إلى الهلال، ثم الهلال، ثلاثة أهلة في شهرين، وما أوقدت في أبيات رسول الله ﷺ ناراً، فقلت: يا خالة ما كان يعيشكم؟ قالت: الأسودان، التمر والماء.)<sup>(١)</sup> وسيرته ﷺ حافلة بما يدل على خلاف ما يزعمه الزاعمون.

٢- ثم إن هذه الشبهة تتناقض مع الزهد الذي عُرف به النبي ﷺ ، وحث عليه أصحابه، فقد صح عنه أنه قال: (إن مما أخاف عليكم بعدي ما يفتح عليكم من زهرة الدنيا وزينتها) <sup>أ</sup>، وقرن في التحذير بين فتنة الدنيا وفتنة النساء، فقال: (إن الدنيا حلوة خضرة، وإن الله مستخلفكم فيها، فينظر كيف تعملون، فاتقوا الدنيا واتقوا النساء، فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء) <sup>(ب)</sup>.

(١) - متفق عليه . البخاري ح( ٢٥٦٧ ) ومسلم ح( ٢٩٧٢ )

(٢) - مسلم ح(١٠٥٢) وأحمد ح (١١١٥٧) قال شاكر اسناده صحيح على شرط الشيخين .

(٣) - رواه مسلم ح(٢٧٤٢) وأحمد ح(١١١٦٩) قال شاكر اسناده صحيح على شرط الشيخين

٣- وما يدحض هذه الشبهة وينقضها من أساسها أن أهل مكة عرضوا على رسول الله ﷺ المال والمملك والجاه من أجل أن يتخلى عن دعوته، فرفض ذلك كله، وفضل أن يبقى على شظف العيش مع الاستمرار في دعوته، ولو كان من الراغبين في الدنيا لما رفضها وقد أتته من غير عناء.

٤- أنّ الوصايا التي كان يزود بها قواده تدل على أنه ﷺ لم يكن طالب مغنم ولا صاحب شهوة، بل كان هدفه الأوحى والوحيد إبلاغ دين الله للناس، وإزالة العوائق المعترضة سبيل الدعوة، فها هو يوصي معاذ بن جبل رضي الله عنه عندما أرسله إلى اليمن بقوله: (إنك تقدم على قوم من أهل الكتاب، فليكن أول ما تدعوهم إلى أن يوحدوا الله تعالى، فإذا عرفوا ذلك فأخبرهم أن الله فرض عليهم خمس صلوات في يومهم وليلتهم، فإذا صلوا فأخبرهم أن الله افترض عليهم زكاة في أموالهم تؤخذ من غنيهم فتزد على فقيرهم، فإذا أقروا بذلك فخذ منهم وتوق كرائم أموال الناس). (١) فهو ﷺ لم يقاتل أحداً، قبل دعوته إلى الإسلام، الذي تصان به الدماء والحرمان.

٥- وما يُرد به على هذه الفرية أن رسول الله ﷺ قد ارتحل من الدنيا ولم يكن له فيها إلا أقل القليل، ففي الصحيح عن عمرو بن عمرو بن الحارث قال: (ما ترك رسول الله ﷺ عند موته درهماً، ولا ديناراً، ولا عبداً، ولا أمة، ولا شيئاً إلا بغلته البيضاء، وسلاحه وأرضاً جعلها صدقة) (٢)، وعن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت: (توفي رسول الله ﷺ وما في بيتي من شيء يأكله ذو كبد، إلا شطر شعير في رف لي) (٣).

٦- وكما قيل: فإن الحق ما شهدت به الأعداء، فقد أجرى الله على ألسنة بعض عقلاء القوم عبارات تكذب هذه الشبهة، من ذلك ما قاله "كارليل": "أيزعم الكاذبون أن الطمع وحب الدنيا هو الذي أقام محمداً وأثاره، حمق وأيم الله، وسخافة وهوس". ويقول: "لقد كان زاهداً متقشفاً في مسكنه، ومأكله، ومشربه، وملبسه، وسائر أموره وأحواله.. فحبذا محمد من رجل خشن اللباس، خشن الطعام، مجتهد في الله، قائم النهار، ساهر الليل، دائماً في نشر دين الله، غير طامع إلى ما يطمع إليه أصاغر الرجال، من رتبة، أو دولة، أو سلطان، غير متطلع إلى ذكر أو شهوة".

٧- وما زعمه المستشرق اليهودي "مرجليوت" من أن انتقام رسول ﷺ من يهود المدينة كان لأسباب مصطنعة وغير كافية، فجوابه أن الواقع خلاف ذلك، إذ أبرم النبي ﷺ مع اليهود معاهدة تقرهم على دينهم، وتؤمنهم في أنفسهم وأموالهم، بل تكفل لهم نصرته مظلومهم، وحميتهم، ورعاية حقوقهم، ولم يكن في سياسته ﷺ إبعادهم، ومصادرة أموالهم إلا بعد نقضهم العهود والمواثيق، ووقوعهم في الخيانة والمؤامرة والخداع والإتفاق على استئصال النبي ﷺ وأصحابه.

وبعد: فلا حجة لمن يدعي أن النبي ﷺ كان صاحب مطامع دنيوية، يحرص عليها، ويسعى في تحصيلها، وإنما هي دعوة صالحة نافعة، تعود بالخير على متبعيها في الدنيا والآخرة

## سابعاً: ولادة النبي محمد ﷺ عادية

(١) - رواه البخاري ح(١٤٥٨) ومسلم ح (٣١)

(٢) - رواه البخاري ح(٢٧٣٩) وغيره

(٣) - متفق عليه البخاري ح(٣٠٩٧) ومسلم ح(٢٩٧٣).

الرد على الشبهة:

لأن ولادة السيد المسيح . عليه السلام . تمت على هبة من الله تبارك وتعالى للسيدة العذراء مريم . عليها السلام . وليس من خلال الزواج بينها وبين رجل . فبعض أهل الكتاب (النصارى منهم خاصة) يتصورون أن كل نبي لا بد أن يولد بمثل هذه الطريقة، وإذا كانت ولادة محمد ﷺ مثل غيره من ملايين خلق الله فإن هذا عندهم مما يعيبنه به ﷺ ويطعنون في صحة نبوته .

١- فلم يدركوا أن بشرية محمد ﷺ هي واحدة من القسمات التي شاركه فيها كل رسل الله تعالى منذ نوح وإبراهيم وغيرهما من بقية رسل الله إلى موسى . عليه السلام . الذين ولدوا جميعاً من الزواج بين رجل وامرأة . ولم يولد من غير الزواج بين امرأة ورجل إلا عيسى . عليه السلام . وكان هذا خصوصية له لم تحدث مع أى نبي قبله، ولم تحدث كذلك مع محمد صلى الله عليه وسلم .

٢- كانت ولادة محمد ﷺ إعلاناً لكونه بشراً من البشر يولد كما يولد البشر ويجرى عليه من الأحوال في أكله وشربه، وفي نومه وصحوه، وفي رضاه وغضبه وغير ذلك مما يجرى على البشر كالزواج والصحة والمرض والموت أيضاً .

٣- كان محمد ﷺ يعترف بهذه البشرية ويراها سبيله إلى فهم الطبيعة البشرية وإدراك خصائصها وصفاتها فيتعامل معها بما يناسبها، وقد اعتبر القرآن ذلك ميزة له في قوله تعالى: (لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم) (التوبة: ١٢٨) . كما أعلن محمد ﷺ اعتزازه بهذه البشرية وعجزها حين أعلن قومه أنهم لن يؤمنوا به إلا إذا فجر لهم ينابيع الماء من الأرض، أو أن يكون له بيت من زخرف، أو أن يروه يرقى في السماء وينزل عليهم كتاباً يقرأونه، فكان رده ﷺ كما حكاه القرآن: (قل سبحان ربي هل كنت إلا بشراً رسولاً) [الإسراء: ٩٣] .

٤- لقد قرر القرآن قاعدة كون الرسل من جنس من يرسلون إليهم؛ بمعنى أن يكون المرسلون إلى الناس بشراً من جنسهم، ولو كان أهل الأرض من جنس غير البشر لكانت رسل الله إليهم من نفس جنسهم وذلك في قوله تعالى: (قل لو كان في الأرض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكاً رسولاً) [الإسراء: ٩٥] . وعلى المعنى نفسه جاءت دعوة إبراهيم عليه السلام: {ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك} [البقرة: ١٩٥] . وقوله تعالى: {كما أرسلنا فيكم رسولا منكم يتلو عليكم آياتنا} [البقرة: ١٥١] . وقوله تعالى {لقد مَنَّ الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم} [آل عمران: ١٦٤] . وقوله تعالى {فأرسلنا فيهم رسولا منهم أن اعبدوا الله..} [المؤمنون: ٣٢] . وقوله تعالى {هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم} [الجمعة: ٢] . وغير هذا كثير مما أكدته القرآن وهو المنطق والحكمة التي اقتضتها مشيئته . تعالى . لما هو من خصائص الرسالات التي توجب أن يكون المرسل إلى الناس من جنسهم حتى يحسن إبلاغهم بما كلفه الله بإبلاغه إليهم وحتى يستأنسوا به ويفهموا عنه .

ومن هنا تكون " بشرية الرسول " بمعنى أن يجرى عليه ما يجرى على الناس من البلاء والموت ومن الصحة والمرض وغيرها من الصفات البشرية فيكون ذلك أدعى لنجاح البلاغ عن الله. (١)

## ثامناً : محاولة النبي محمد ﷺ الانتحار

الحق الذي يجب أن يقال.. أن هذه الرواية التي استندتم إليها . يا خصوم الإسلام . ليست صحيحة رغم ورودها في صحيح البخارى . رضى الله عنه ؛ لأنه أوردتها لا على أنها واقعة صحيحة، ولكن أوردتها تحت عنوان " البلاغات " يعنى أنه بلغه هذا الخبر مجرد بلاغ، ومعروف أن البلاغات في مصطلح علماء الحديث: إنما هي مجرد أخبار وليست أحاديث صحيحة السند أو المتن (٢) .

وقد علق الإمام ابن حجر العسقلاني في فتح الباري (٣) بقوله: " إن القائل بلغنا كذا هو الزهرى، وعنه حكى البخارى هذا البلاغ، وليس هذا البلاغ موصولاً برسول الله صلى الله عليه وسلم، وقال الكرماني: وهذا هو الظاهر ". هذا هو الصواب، وحاش أن يقدم رسول الله . وهو إمام المؤمنين . على الانتحار، أو حتى على مجرد التفكير فيه .

وعلى كلٍ فإن محمداً ﷺ كان بشراً من البشر ولم يكن ملكاً ولا مدعياً للألوهية . والجانب البشرى فيه يعتبر ميزة كان ﷺ يعنى بها، وقد قال القرآن الكريم في ذلك: { قل سبحان ربي هل كنت إلا بشراً رسولاً } [الإسراء: ٩٣] . ومن ثم فإذا أصابه بعض الحزن أو الإحساس بمشاعر ما نسميه - في علوم عصرنا - بالإحباط أو الضيق فهذا أمر عادي لا غبار عليه؛ لأنه من أعراض بشريته ﷺ وحين فتر (تأخر) الوحي بعد أن تعلق به الرسول ﷺ كان يذهب إلى المكان الذي كان ينزل عليه الوحي فيه يستشرف لقاء جبريل، فهو محب للمكان الذي جمع بينه وبين حبيبه بشيء من بعض السكن والطمأنينة، فماذا في ذلك أيها الظالمون دائماً لمحمد صلى الله عليه وسلم في كل ما يأتى وما يدع؟

وإذا كان أعداء محمد ﷺ يستندون إلى الآية الكريمة: { فلعلك باخع نفسك على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفاً } [الشعراء : ٣] . فالآية لا تشير أبداً إلى معنى الانتحار، ولكنها تعبير أدبي عن حزن النبي محمد ﷺ بسبب صدود قومه عن الإسلام، وإعراضهم عن الإيمان بالقرآن العظيم؛ فتصور كيف كان اهتمام الرسول الكريم ﷺ بدعوة الناس إلى الله، وحرصه الشديد على إخراج الكافرين من الظلمات إلى النور .

وهذا خاطر طبيعي للنبي الإنسان البشر الذي يعلن القرآن على لسانه ﷺ اعترافه واعتزازه بأنه بشر في قوله - رداً على ما طلبه منه بعض المشركين-: { وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعاً \* أو تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الأنهار خلالها تفجيراً \* أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفاً أو تأتي بالله والملائكة قبيلاً \* أو يكون لك بيت من زخرف أو ترقى في السماء ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه } . فكان رده: { سبحان ربي } متعجباً مما طلبوه ومؤكداً أنه بشرٌ لا يملك تنفيذ مطلبهم: (هل كنت إلا

(١) - الشبهة رقم ٥٣ من كتاب حقائق الإسلام في مقابل شبهات المشككين ، مرجع سابق ،

(٢) - صحيح البخارى ج ٩ ص ٣٨ ، طبعة التعاون .

(٣) - فتح الباري ج ١٢ ص ٣٥٩ . مرجع سابق

بشراً رسولاً} [الإسراء ٩٣] أما قولهم على محمد ﷺ أنه ليست له معجزة فهو قول يعبر عن الجهل والحمق جميعاً، حيث ثبت في صحيح الأخبار معجزات حسية تمثل معجزة الرسول ﷺ ، كما جاءت الرسل بالمعجزات من عند ربها؛ منها نبع الماء من بين أصابعه، ومنها سماع حنين الجذع أمام الناس يوم الجمعة، ومنها تكثير الطعام حتى يكفى الجمل الغفير، وله معجزة دائمة هي معجزة الرسالة وهي القرآن الكريم الذى وعد الله بحفظه فَحُفِظَ، ووعد ببيانه؛ لذا يظهر بيانه في كل جيل بما يكتشفه الإنسان ويعرفه. (١)

## تاسعاً : محمد ﷺ أمي فكيف علم القرآن؟

الرد على الشبهة: والأمي إما أن يكون المراد به من لا يعرف القراءة والكتابة أخذًا من " الأمية "، وإما أن يكون المراد به من ليس من اليهود أخذًا من " الأمية " حسب المصطلح اليهودي الذى يطلقونه على من ليس من جنسهم.

فإذا تعاملنا مع هذه المقولة علمنا أن المراد بها من لا يعرف القراءة والكتابة فليس هذا مما يعاب به الرسول، بل لعله= أن يكون تأكيداً ودليلاً قوياً على أن ما نزل عليه من القرآن إنما هو وحى أوحى إليه من الله لم يقرأه في كتاب ولم ينقله عن أحد ولا تعلمه من غيره. بهذا يكون الاتهام شهادة له لا عليه . وقد رد القرآن على هذه المقولة رداً صريحاً في قوله:

{وقالوا أساطير الأولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة وأصيلاً \* قل أنزله الذى يعلم السر فى السموات والأرض إنه كان غفوراً رحيمًا} [الفرقان: ٥-٦].

وحسب النبى الأمي الذى لا يعرف القراءة ولا الكتابة أن يكون الكتاب الذى أنزل عليه معجزاً لمشركى العرب وهم أهل الفصاحة والبلاغة؛ بل ومتحدياً أن يأتوا بمثله أو حتى بسورة من مثله. كفاه بهذا دليلاً على صدق رسالته وأن ما جاء به . كما قال بعض كبارهم . " ليس من سجع الكهان ولا من الشعر ولا من قول البشر " .

أما إذا تعاملنا مع مقولتهم عن محمد ﷺ أنه " أمي " على معنى أنه من الأميين . أي من غير اليهود . فما هذا مما يعيبه . بل إنه لشرف له أنه من الأميين أي أنه من غير اليهود .

ذلك لأن اعتداد اليهود بالتعالى على من عداهم من " الأميين " واعتبار أنفسهم وحدهم هم الأرقى والأعظم وأنهم هم شعب الله المختار . كما يزعمون، كل هذا مما يتنافى تماماً مع ما جاء به محمد ﷺ من المساواة الكاملة بين بنى البشر رغم اختلاف شعوبهم وألوانهم وألسنتهم على نحو ما ذكره القرآن؛ الذى اعتبر اختلاف الأجناس والألوان والألسنة هو مجرد التعارف والتمايز؛ لكنه . أبداً . لا يعطى تمييزاً لجنس على جنس، فليس فى الإسلام . كما يزعم اليهود . أنهم شعب الله المختار، ولكن التمايز والتكريم فى منظور الإسلام؛ إنما هو بالتقوى والصلاح كما فى الآية الكريمة: { يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله اتقاكم} [الحجرات: ١٣]. (٢)

(١) - شبهة رقم ٥٢ من حقائق الإسلام فى مواجهة شبهات المشككين . مرجع سابق  
(٢) - شبهة رقم ٥٥ من حقائق الإسلام فى مواجهة شبهات المشككين . مرجع سابق

## عاشراً : محمد ﷺ يحرم ما أحل الله

استند الظالمون لمحمد ﷺ في توجيه هذا الاتهام إلى ما جاء في مفتتح سورة التحريم من قوله تعالى: { يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك تبتغي مرضاة أزواجك والله غفور رحيم } .

بشكل بسيط جدا التحريم هو المنع والدليل قوله تعالى [آل عمران : ٩٣]: {كل الطعام كان حلالا لبي إسرائيل إلا ما حرم إسرائيل على نفسه من قبل أن تنزل التوراة قل فأتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين} يستطيع شخص ان يجرم على نفسه فرضا الموز او التفاح زهدا فرضا منه في توفير التكاليف ولعدم الاسراف فلا ضير في ذلك فهو مخير بأن يأكل او لا يأكل فهذا الله أعطاه الحق بذلك ، وهذه الآية وآيات بعدها تشير إلى أمر حدث في بيت النبي ﷺ عاتبته نساؤه وتظاهرن عليه بدوافع الغيرة المعروفة عن النساء عامة إذ كان ﷺ قد دخل عند إحداهن وأكل عندها طعاما لا يوجد في بيوتهن، فأسر إلى إحداهن بالأمر فأخبرت به أخريات فعاتبته فحرم ﷺ تناول هذا الطعام على نفسه ابتغاء مرضاتهن.

والواقعة صحيحة لكن اتهام الرسول بأنه يحرم ما أحل الله هو تصيّد للعبارة وحمل لها على ما لم ترد له. فمطلع الآية { لم تحرم ما أحل الله لك } هو فقط من باب " المشاكلة " لما قاله النبي لنسائه ترضية لهن؛ والنداء القرآني ليس اتهاما له ﷺ بتحريم ما أحل الله؛ ولكنه من باب العتاب له من ربه سبحانه الذي يعلم تبارك وتعالى أنه ﷺ يستحيل عليه أن يحرم شيئا أو أمرا أو عملا أحله الله؛ ولكنه يشدد على نفسه لصالح مرضاة زوجاته من خلقه العالي الكريم.

ولقد شهد الله للرسول بتمام تبليغ الرسالة فقال: {ولو تقول علينا بعض الأقاويل \* لأخذنا منه باليمين \* ثم لقطعنا منه الوتين \* فما منكم من أحد عنه حاجزين} [الحاقة: ٤٤ - ٤٧] . وعليه فالقول بأن محمدا ﷺ يحرم ما أحل الله من المستحيلات على مقام نبوته التي ركاها الله تبارك وتعالى وقد دفع عنه مثل ذلك بقوله: {وما ينطق عن الهوى \* إن هو إلا وحي يوحى} [النجم: ٣ - ٤] .

فمقولة بعضهم أنه يحرم هو تحميل اللفظ على غير ما جاء فيه، وما هو إلا وعد أو عهد منه ﷺ لبعض نسائه فهو بمثابة يمين له كفارته ولا صلة له بتحريم ما أحل الله. (١)

## حادي عشر : تحليل إنكار الله .

جاء في سورة [النحل: ١٠٦] أن الإكراه على الكفر مع اطمئنان القلب بالإيمان؛ يجوز. وهذا لا يصح لأنه ليس من الأمانة أن يزور الإنسان في عقيدته.

الرد على الشبهة: إن الضرورات تبيح المحظورات. وهذا موجود بكثرة في التوراة وفي الإنجيل ومن ذلك: ما جاء في الإصحاح الثالث عشر من سفر الملوك الأول أن رجلاً من رجال الله جاء إلى مدينة " بيت إيل " وتنبأ عليه. وقال له الملك ادخل إلى بيتي لأعطيك أجرة؛ فأبى بحجة أنه أمر من الله أن يعود مسرعاً. وكان نبي شيخ ساكناً في بيت إيل. فأتى إليه بنوه وقصّوا عليه قصة رجل الله. فقال لهم: دلوني على الطريق التي رجعت منها.

(١) - شبهة رقم ٥٦ من حقائق الاسلام في مواجهة شبهات المشككين. مرجع سابق

فلما لحقه قال له: ارجع معي لتتقوت. فأبى. فقال له النبي الشيخ: "أنا أيضاً نبي مثلك. وقد كلمني ملاك بكلام الرب قائلاً: ارجع به معك إلى بيتك. فياكل خبزاً ويشرب ماء. كذب عليه. فرجع معه وأكل خبزاً وشرب ماء [١ مل ١٣: ١٩.١٧]. فقد استعمل الحيلة في إرجاعه و "كذب عليه"، وفي الأناجيل والرسائل أن بولس كان ذا لسانين وذا وجهين.

فإنه لما ردوه للسيط، كذب وقال: إنني روماني الجنسية وقد ولدت حرّاً [أعمال ٢٢: ٢٨] وقال: أنا رجل يهودي من سبط بنيامين [رومية ١: ١١]. ولما مثل أمام رئيس الكهنة وضربه على فمه قال له بولس: "سيضربك الله أيها الحائط المبيض" ولما شتمه بهذا القول وفي التوراة أنه لا يجوز شتم رئيس الكهنة ووَجَّه إليه اللوم على مخالفته للتوراة. قال بولس: لم أكن أعرف أيها الأخوة أنه رئيس كهنة؛ لأنه مكتوب: رئيس شعبك لا تقل فيه سوءاً [أع ٢٣: ٥.١]، [خروج ٢٢: ٢٨].

وفي التوراة أن الإكراه على كسر حكم من أحكام الشريعة يسقط العقاب على كسر الحكم. فإن الفتاة العذراء المخطوبة لرجل، إن وجدها في الحقل وأمسكها الرجل واضطجع معها؛ يموت الرجل الذي اضطجع معها وحده "وأما الفتاة فلا تفعل بما شيئاً. ليس على الفتاة خطية للموت، بل كما يقوم رجل على صاحبه ويقتله قتلاً. هكذا هذا الأمر، إنه في الحقل وجدها؛ فصرخت الفتاة المخطوبة فلم يكن من يخلصها" [تث ٢٢: ٢٦.٢٧]، وفي الإنجيل ينصح المسيح تلاميذه بالحد من الناس فيقول: "ها أنا أرسلكم كغنم في وسط ذئاب. فكونوا حكماء كالحيات، وبسطاء كالحمم. ولكن احذروا من الناس" [متى ١٠: ١٦.١٧].<sup>(١)</sup>

## الثاني عشر: تحليل الحنث في القسم

في سورة البقرة: { لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم، ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم } [البقرة: ٢٢٥] وليس هذا من مقومات النبيل والشرف؛ فإن المسيح قد نهي عن الحلف مطلقاً. الرد على الشبهة: تنص التوراة على "لا تنطق باسم الرب إلهك باطلاً" [خر ٢٠: ٧]. وفي سفر اللاويين: "ولا تحلفوا باسمي للكذب" [لا ١٩: ١٢]. ومفسرو التوراة يقولون: "اختلف المفسرون في معنى هذه الوصية فقال قوم: إنها تنهى عن القسم بالله على صحة ما هو كاذب، وقيل: إنها تنهى عن التهاون والاستخفاف باسمه تعالى، حتى تحظر على الإنسان أن ينطق باسمه بدون مراعاة الرهبة والاحترام"، ونهى المسيح عن القسم ليس عن كل شيء. بل عن القسم على ما هو باطل، يقول المفسرون: "وقد أبان المسيح في موعظته على الجبل أن الشريعة منعت عن القسم على صحة ما هو باطل فقط"، وفي القرآن أن القسم مشروط {أن تبروا وتتقوا وتصلحوا بين الناس} [البقرة: ٢٢٤] وليس على الكذب. فيكون اللغو في الآية مفسراً بغير الكذب. كبناء مسجد. هل يبني أو لا يبني؟ فإنه إذا حسم التردد بيمين، ثم بدا له أن يرجع في الحال؛ فله ذلك. أما إذا حسم التردد بيمين. وعزم عليه وعقده وأكده؛ فليس له أن يرجع فيه. وإن رجع فيه يلزمه التكفير عنه. وعلى قوله: {أن تبروا وتتقوا وتصلحوا} لا يكون الكذب داخلياً في الموضوع على أي تفسير للغو.<sup>(٢)</sup>

(١) - شبهة رقم ١١٨ من حقائق الاسلام في مواجهة شبهات المشككين. مرجع سابق

(٢) - شبهة رقم ١١٩ من حقائق الاسلام في مواجهة شبهات المشككين. مرجع سابق.

## الثالث عشر : تحليل الإغراء بالمال .

إن في القرآن أن من مصارف الزكاة {المؤلفة قلوبهم} [التوبة: ٦٠] وهذا إغراء بالمال للدخول في الإسلام. الرد على الشبهة: إذا كان الإحسان إلى الناس إغراء لهم بالدخول في الإسلام. فما بال النصارى ينشئون المستشفيات والمبرات الخيرية في بلاد المسلمين وفي غير بلاد المسلمين لغرض التنصير والصد عن سبيل الله؟ وفي الدين الاسلامي أخذ الجزية من اليهود والنصارى إذا أصروا على ما نشأوا عليه. ولو كان التأليف إغراء؛ لما أخذ المسلمون منهم أموال الجزية. ذلك قوله تعالى: {قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون} [التوبة: ٢٩].

وهل يسمى النصارى مكارم الأخلاق إغراء؟ والمؤلفة قلوبهم هم الذين أَلف الله بين قلوبهم لقوله: {وألف بين قلوبهم لو أنفقت ما في الأرض جميعاً ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم} [الأنفال: ٦٣] وللتأليف أسبابه. ومنها الإنفاق على طلاب العلم الذين يتولون هدايتهم إلى الله. وذلك بفتح دور للعلم فيها ليتعلم الطلاب لغات الأمم، ثم ينتشرون لتعليمهم وإزالة شبه الشيطان عن دينهم، ووضع القرآن بينهم، وما شابه ذلك. وهذا يُنفق عليه من أموال الزكاة.<sup>(١)</sup>

## الرابع عشر : تحليل القتل

إن في القرآن شريعة القتال من أجل إسلام الأمم. وهذا يُعدّ إكراهاً للناس على قبول الدين بالسيف. .... الرد على الشبهة: إن إبراهيم عليه السلام كان يدعو إلى الله، ومن يستجيب له يكون مساوياً لجميع المؤمنين بالله. ومن لا يستجيب له ويصد عن سبيل الله؛ كان يحاربه، وإبراهيم هو أب اليهود والنصارى والمسلمين. ففي سفر التكوين: " بعد هذه الأمور صار كلام الرب إلى أبرام في الرؤيا قائلاً: لا تخف. أنا تُرس لك، أجرك كثيراً جداً " [تك ١٥: ١] أى حارب أعداء الله وأنا أحميك كما يحمي الترس الجندي من ضربات السيف. وفي سفر الزبور نبوءة صلى الله عليه وسلم ومن أوصافه فيها: " أما أنت يا رب فترس لي، مجدى ورافع رأسي .. " [مز: ٣] ويقول النصارى إن نبوءة عن المسيح، وهم يعلمون أن المسيح لم يحارب ولم يفتح بلاداً. وفي هذه النبوءة يصرخ النبي إلى الله أن ينصره، وقد أجابه من جبل قدسه " بصوتى إلى الرب أصرخ فيجيبني من جبل قدسه " وجبل قدسه في مكة المكرمة.

وفي التوراة أنه لا يحل لليهود أن يملك عليهم وثى. فلو فرضنا أن ملكاً وثنياً قصد ديارهم وملك عليهم؛ تفرض أنهم مأمورون بقتاله، ذلك قوله:

" لا يحل لك أن تجعل عليك رجلاً أجنبيّاً ليس هو أخاك " [تث ١٧: ١٥] وفي التوراة: " إذا خرجت للحرب على عدوك، ورأيت خيلاً ومراكب قوماً أكثر منك؛ فلا تخف منهم؛ لأن معك الرب إلهك " [تث ٢٠: ١] وهو معهم إذا كانوا يحاربون من أجل دينه، ونبد عبادة الأوثان. وذلك لأن داود . عليه السلام . وهو يحارب

(١) - شبهة رقم ١٢٠ من حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين. مرجع سابق

جالوت؛ قال له: 'فتعلم كل الأرض أنه يوجد إله لإسرائيل، وتعلم هذه الجماعة كلها أنه ليس بسيف ولا برمح يخلص الرب؛ لأن الحرب للرب وهو يدفعكم ليدنا' [صموئيل الأول ١٧: ٤٦-٤٧].

وفي سفر المكابيين الثاني في قصة الأم وأولادها السبعة أمها كانت تحرض أولادها على الشهادة في سبيل الله. ومن كلامها: " لا أعلم كيف نشأتم في أحشائي. فأنا لم أمنحكم الروح والحياة، ولا أنا كنت أعضاء جسد كل واحد منكم، بل الذى فعل ذلك هو خالق العالم. فهو الذى جبل الإنسان وأبدع كل شىء. وهو لذلك سيعيد إليكم برحمته الروح والحياة. لأنكم الآن تضحون بأنفسكم في سبيل شريعته " [٢ مك ٧: ٢٢-٢٣]. وفي إنجيل لوقا: أن المسيح أرسل تلاميذه إلى مدن بنى إسرائيل وأمرهم أن لا يحملوا زاداً ولا مالاً ولا يلبسوا أحذية. وأن يبشروا باقتراب ملكوت الله. فلما رجعوا " قال لهم: حين أرسلتكم بلا كيس ولا مزود ولا أحذية. هل أعوزكم شىء؟ فقالوا: لا. فقال لهم: لكن الآن من له كيس؛ فليأخذه، ومزود كذلك. ومن ليس له فليبع ثوبه، وبشتر سيفاً " [لو ٢٢: ٣٥-٣٦] فقد أمرهم بشراء السيوف للحرب. وما يزال النصارى إلى هذا اليوم يحاربون أعداءهم.

وفي إنجيل متى يقول المسيح: " سمعتم أنه قبل عين بعين وسن بسن وأما أنا فأقول لكم: لا تقاوموا الشر. بل من لطمك على خدك الأيمن فحول له الآخر أيضاً " [متى ٥: ٣٨-٣٩]. يريد أن يقول: إن التوراة مكتوب فيها العين بالعين والسن بالسن [خر ٢١: ٢٤] وأنا أقول لكم: " لا تقاوموا الشر " في هذا الزمان الفاسد الذى ليس فيه قاضٍ عادل ولا ملك منصف. كما قال صاحب سفر الأمثال في زمانه: " لا تقل كما فعل بي هكذا افعل به. أرد على الإنسان مثل عمله " [أم ٢٤: ٢٩] فهو وصاحب سفر الأمثال لم يخالف شريعة موسى في أوقات العدل. وهما ينصحان أنه إذا عم الظلم. فإنه يجب على المظلوم أن يفوض أمره إلى الله. وقد وافق هو النبي أشعيا ومؤلف سفر المراثي إرمياء على قولهما في أيام الفساد واشتداد الظلم: " من لطمك على خدك الأيمن، فحول له الآخر أيضاً " وهذا يدل على أنه في إرشاداته ونصحه لم يأت بجديد، مع قوله: " ما جئت لأتقنصن الناموس أو الأنبياء " [متى ٥: ١٧].

ففى سفر إشعيا: " بذلت ظهري للضاربين، وخذى للناثقين. وجهى لم أستر عن العار والبصق " [إش ٥٠: ٦] وفى سفر المراثي: " يعطى خده لضاربه، يشبع عارا " [مرا ٣: ٣٠]. (١)

## الخامس عشر : تحليل النهب .

إن الله حلل الغنائم، وهذا أمر بقتل الناس ونهب أموالهم. الرد على الشبهة:  
إن تحليل الغنائم فى التوراة. فى سفر التثنية: " وغنيمة المدن التى أخذنا.. الجميع دفعه الرب إلنا أمامنا " [تث ٢: ٣٦٠-٣٥] ، وفى سفر التكوين فى صفات بنيامين: " فى الصباح يأكل غنيمة، وعند المساء يقسم نهباً " [تك ٤٩: ٢٧] أى محارب، ومن أوصاف محمد رسول الله فى التوراة أنه يقسم غنائم. فى نبوءة العبد

(١) - شبهة رقم ١٢١ من حقائق الاسلام فى مواجهة شبهات المشككين. مرجع سابق.

المتألم: " ومع العظماء يقسم غنيمة " [إش ٥٣ : ١٢] ولكن النصارى يفسرونها على المسيح مع أنه لم يجارب أحداً. وفي المزمور الثامن والستين عن محمد ﷺ : " الملازمة البيت تقسم الغنائم " [مز ٦٨ : ١٢]. (١)

## السادس عشر : تحليل الحلف

إن في القرآن أن صاحب القرآن يقسم بالفجر والليالي العشر. فلماذا يحلف؟ وهل يحتاج صاحب القول الصادق إلى قسم يؤكد به كلامه؟

الرد على الشبهة: إن المعترض يعنى بصاحب القرآن محمداً ﷺ ولا يعنى مُنَزَّلَهُ وهو الله . عز وجل . والقسم من الله نفسه بمخلوقاته هو للدلالة على عظمها وأهميتها ومنافعها للناس. وفي التوراة: " الذى حلف الرب لهم أنه " [يشوع ٥ : ٦] " حلف الرب بيمينه " [إشعيا ٦٢ : ٨] وفي الإنجيل " ومن حلف بالهيكل فقد حلف به وبالساكن فيه، ومن حلف بالسما فقد حلف بعرش الله وبالجالس عليه " [متى ٢٣ : ٢١-٢٢] وفي الزبور: " أقسم الرب ولن يندم " [مز ١١٠ : ٤] وفي سفر التكوين: " بذاتى أقسمت، يقول الرب " [تك ٢٢ : ١٦] وفي سفر أعمال الرسل أن كاهناً وأولاده كانوا يقسمون باسم يسوع المسيح " قائلين نقسم عليك يسوع " [أع ١٩ : ١٣]. (٢)

## السابع عشر : تحليل الانتقام

يقول المؤلف: إن القرآن يحلل الانتقام بقوله: {فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم} [البقرة: ١٩٤] . الرد على الشبهة: رد الاعتداء ليس فرضاً على المسلمين. فالفرض هو إما رد الاعتداء، وإما الصفح عن الجاني. ورد الاعتداء فرض في التوراة والصفح عن الجاني في العدل مرفوض في التوراة. ففي التوراة: " وإن حصلت أذية؛ تعطى نفساً بنفس وعيناً بعين وسناً بسن ويداً بيد ورجلاً برجل وكياً بكى وجرحاً بجرح ورضاً برضى " [خر ٢١ : ٢٣-٢٥] . وليس عندهم دفع الدية في مقابل العفو عن القاتل. أما في القرآن الكريم ففيه {فمن عُفِيَ له من أخيه شيء؛ فاتباع بالمعروف وأداء إليه بإحسان ذلك تخفيف من ربكم ورحمة} [البقرة: ١٧٨] أى تخفيف من الحكم القديم الذى كان في التوراة وهو عدم قبول الدية. (٣)

## الثامن عشر : تحليل الشهوات

١ . إن القرآن أباح للمسلمين أكثر من زوجة... ٢ . إن الله في الجنة سيرزق المؤمنين بنساء من الحور العين. وليست الجنة مكاناً للشهوات الحسية، ولا يبيح دين من عند الله تعدد الزوجات. الرد على الشبهة: إن هذه الشبهة مكونة من جزأين: الجزء الأول: تعدد الزوجات، والجزء الثاني: إباحة الشهوات الحسية في الجنة.

(١) - شبهة رقم ١٢٢ من حقائق الاسلام في مواجهة شبهات المشككين. مرجع سابق

(٢) - شبهة رقم ١٢٣ من حقائق الاسلام في مواجهة شبهات المشككين. مرجع سابق

(٣) - شبهة رقم ١٢٤ من حقائق الاسلام في مواجهة شبهات المشككين. مرجع سابق

والرد على الجزء الأول هو: إن إبراهيم . عليه السلام . كان متزوجاً من سارة وهاجر وقطورة. وهو أب لليهود والنصارى والمسلمين. وأيضاً كانت له سرارى كثيرة لقوله: " وأما بنو السرارى اللواتى كانت لإبراهيم فأعطاهم إبراهيم عطايا وصرفهم عن إسحاق ابنه شرقاً إلى أرض المشرق وهو بعد حي " [تك ٢٥ : ٦] وموسى كان متزوجاً من مديانية وحبشية [عدد ١٢ : ١] ويعقوب. عليه السلام . كان متزوجاً من حرتين وأمينين وهما ليئة وراحيل وزلفة وبلهة [تك ٢٩ وما بعده] وكان لداود نساء هن: أختينوعم اليزرعيلية . أبيجاييل . معكة . ححيث . أبيبطل . عجلة. الجميع ستة عدا بثشبع امرأة أوريا الحثى التى أنجب منها سليمان . عليه السلام . [صموئيل الثانى ٣ : ٥.١] وكان لسليمان " سبع مائة من النساء السيدات، وثلاث مائة من السرارى " [الملوك الأول ١١ : ٣] .

وفى الإنجيل أنه كان للمسيح أربع إخوة هم: يعقوب وموسى ويهوذا وسمعان [مرقس ٦ : ٣] واتفق النصارى على أن مريم أنت به بغير زرع بشر. وإذ هذا حاله. فهل هؤلاء الأربعة على الحقيقة إخوة أم على الجواز؟ اختلفوا. لأن متى قال عن يوسف النجار: " ولم يعرفها حتى ولدت ابنها البكر " [مز ١ : ٢٤] فيكون قد عرفها بعد ولادته. وإن منهم لفريقاً يقولون: " إنما ظلت عذراء إلى أن ماتت، وإن الأربعة أولاد ليوسف عن زوجة سابقة له على مريم ". وعلى أية حال فإن غرضنا وهو إثبات تعدد الزوجات بإخوة المسيح الأربعة. وفى تفاسير الإنجيل أنه كان له أختان أيضاً هما أستير وثامار؛ يكون ملزماً لهم بإثبات التعدد. والرد على الجزء الثانى هو:

إن التوراة تصرح بالبعث الجسدى والروحي معاً. فيكون النعيم حسياً، والعذاب حسياً. والإنجيل يصرح بالبعث الجسدى والروحي معاً. ولكن بؤلوس صرح بالبعث الروحي لغرض اللغو فى حقيقة ملكوت السموات. ولسنا ههنا بصدد مناقشته. وإنما نحن ههنا بصدد إثبات البعث الجسدى والروحي. ففي إنجيل مرقس يقول المسيح: " وإن أعترتك يدك فاقطعها، خير لك أن تدخل الحياة أقطع من أن يكون لك يدان وتمضى إلى جهنم. إلى النار التى لا تطفأ. حيث دودهم لا يموت والنار لا تطفأ.. إلخ " [مر ٩ : ٤٤.٤٣] وفى إنجيل متى " وإن كانت يدك اليمنى تعثرك فاقطعها وألقها عنك؛ لأنه خير لك أن يهلك أحد أعضائك، ولا يلقى جسدك كله فى جهنم " [متى ٥ : ٣٠] .

وفى سفر إشعياء عن المسمّرات فى الجنة: " لم تر عينا إنسان ولم تسمع أذناه ولم يدرك قلب بشر ما أعدّه الله للذين يحبونه " [إش ٦٤ : ٤] واستدل به بولس فى الرسالة الأولى إلى أهل كورنثوس [٢ : ٩] ، وفى سفر أيوب: " أعلم أن إلهى حى، وأنى سأقوم فى اليوم الأخير بجسدى وسأرى بعينى الله مخلصى " [أى ١٩ : ٢٧.٢٥] وفى ترجمة البروتستانت: " وبدون جسدى " .

وفى سفر إشعياء عن عذاب جهنم: " يجلس خدemy على مائدتى فى بيتى، ويتلذذون بابتهاج مع حبور ومع صوت الأعواد والأراغن ولا أدعهم يحتاجون شيئاً ما، أما أنتم أعدائى فتطرحون خارجاً عنى حيث تموتون فى الشقاء، وكل خادم لى يمتهنكم " [إش ٦٠ : ١٣] .<sup>(١)</sup>

(١) - شبهة رقم ١٢٥ من حقائق الاسلام فى مواجهة شبهات المشككين. مرجع سابق

## التاسع عشر : تعلم محمد ﷺ من كاتب وحيه سورة المؤمنون !!

الرد على الشبهة: وهى من أسوأ المفتريات على محمد ﷺ الذى قال ربه عز وجل عنه: {وما ينطق عن الهوى \* إن هو إلا وحي يوحى} [النجم: ٤.٣] ، لكن الحقد حين يتمكن من قلوب الحاقدين يدفعهم إلى المنكر من القول ومن الزور، حتى إنهم ليتجرؤوا على قول لا يقبله عقل عاقل، ولا يجروء على مثله إلا المفترون.

فى هذه المقولة زعموا أنه حين كان ينزل عليه الوحي بالآيات التي أثبت العلم الحديث المعاصر أنها من أبرز آيات الإعجاز العلمي فى القرآن فيما تتصل بمراحل خلق الإنسان من سلالة من طين ثم من نطفة ثم من علقه ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة ثم يكون إنشأؤه خلقًا آخر.. زعموا أن كاتب وحيه قال مادحًا من هذا خلقه: {تبارك الله أحسن الخالقين} [المؤمنون: ١٤]

ثم أفرطوا فى زعمهم فقالوا إن محمدًا ﷺ قال له: اكتبها فهكذا نزلت على...؟! وهنا لابد من وقفة: فأولاً: مما هو ثابت أن الرسول ﷺ كان إذا نزل عليه الوحي يأخذ العرق يتصبب من جسده ويكون فى غيبة عمن حوله.. فإذا انقضى الوحي أخذ فى ذكر وتلاوة ما نزل عليه من القرآن، وهذا ما تقرره كل كتب السيرة. ثانياً: معنى ما سبق أنه ﷺ لا يأخذ فى الإملاء على كاتب وحيه إلا بعد اكتمال نزول الوحي واكتمال نزول الآيات المتعلقة بمراحل خلق الإنسان فى سورة "المؤمنون".

ثالثاً: وبهذا يتضح كذب المقولة أن كاتب وحيه ﷺ هو الذى أملاها عليه وأنه أمر بإثباتها. رابعاً: أن لفظة "تبارك الله" تكررت فى القرآن الكريم تسع مرات، تلتقى جميعها فى مواضع يكون الحديث فيها عن قدرة الخالق فيما خلق من مثل قوله تعالى:

{ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين} [الأعراف: ٥٥] .

{تبارك الذى نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً} [الفرقان: ١] . {تبارك الذى جعل فى السماء بروحاً وجعل فيها سراجاً وقمراً منيراً} [الفرقان: ٦١] .

{تبارك الذى له ملك السموات والأرض وما بينهما} (الزخرف: ٨٥) .

{تبارك الذى بيده الملك وهو على كل شىء قدير} (الملك: ٠١) .

فلماذا تعلم محمد ﷺ من كاتب وحيه آية "المؤمنون" دون غيرها مما جاء فى بقية السور؟!!

## المطلب العشرون : شبهة أخذ نبينا محمد عن اليهود المواضيع المعينة

### فى تأليف القرآن (١)

تعد شبهة أخذ سيدنا محمد ﷺ عن اليهود المواضيع المعينة فى تأليف القرآن الكريم، أقدم ما عُرف من نشاطات المستشرقين. فكل من يؤرخ للنشاط الإشتراقي يؤكد أن أقدم دراسة اشتراقيه كانت بعنوان: "ماذا اقتبس محمد عن اليهودية". وتم الرد عليها بالفصل الثالث وهنا تفاصيل أخرى (٢)

(١) - مقال من إعداد الأستاذ عبد الرحيم الشريف بإسمه على صفحات النت

(٢) - كان ذلك عام ١١٣٤م على يد المستشرق اليهودي الألماني أبراهام جايجر، وقد نال عن دراسته تلك جائزة الدولة البروسية. انظر: المستشرقون والقرآن، عمر لطفي العالم، ص١٧.

يرى كثير من غير المسلمين أن محمداً ﷺ كان على دين اليهود ، وأرسل اليهود لتدمير المسيحية التي تهدد كيانهم.. ومن ثم اقتبس عن كتبهم العقائد والشرائع والقصص. وإن كان أكثرهم يخالف هذا الرأي ويزعم زعماً آخر وهو أن سيدنا محمد ﷺ كان مسيحياً من نصارى مكة، أعده ورقة بن نوفل بالتعاون مع الراهب بحيرا وحداد رومي اسمه يسار لإعادة الروح إلى المسيحية في الجزيرة العربية. لكن محمداً ﷺ خدعهم فأعجب بنفسه فادعى النبوة. تلك الشبهة ملخصة...رد مبسط والتفاصيل في المجلد الثاني من السلسلة (١) :

من حكمة الله تعالى وتقديره، أنه لم يُعلم في مكة يهودي واحد، واليهود استقبلوا محمداً ﷺ بعد الهجرة بالعداوة صراحة. (٢)

إن قريشاً أحرص من المنصرين على إثبات بشرية مصدر الوحي ولكنهم . وهم الأدرى بحاله وتحركاته . لم يرصدوا أنه ذهب إلى معلم كتابي واحد.. ولم يفضحه رفاقه في السفر بأنه التقى بأي حبر أو كاهن.. ومن غير الممكن أن يتردد سيدنا محمد إلى بيت معلم يعلمه دون أن يلاحظ ذلك أحد، فمكة المكرمة مدينة صغيرة المساحة، أحيائها . بل بيوتها . معروفة لكل واحد من أهلها.

لم يكن في مكة أي كتاب ديني مدون، ولا مدرسة، ولا فلاسفة كما كانت عليه حضارات اليونان والصين وفارس والهند. (٣) كما أنه لم يُعرف عن اليهود في كل الجزيرة العربية نبوغاً فكرياً ورقياً حضارياً، وفاقد الشيء لا يعطيه! ولم يكن النصارى أحسن حالاً منهم، بل كانوا لا يملكون حتى التميز بشعر خاص بهم . على الأقل .، وهذا ما يؤكد المستشرقون من أتباع دينهم. (٤)

. ومحمد ﷺ لم يعاشر إلا قومه، ولم يثبت أبداً أنه خرج من مكة قبل البعثة إلا مرتين فقط: مرة وهو صغير مع عمه أبي طالب ومرة في تجارة خديجة وكان مرافقاً له غلامها ميسرة. ولو كان تغيير الدين يحدث بتلك السهولة بسبب التجارة، لكان غالب أهل مكة من اليهود والنصارى. بينما الواقع التاريخي، يثبت أن لا أحد من أهل مكة في الجاهلية قد غير دينه بسبب ما اطلع عليه من ديانات أثناء رحلاته التجارية.

. الغالبية العظمى من القصص القرآني كانت في السور المكية، أي قبل هجرة الرسول ﷺ إلى المدينة المنورة واحتكاكه باليهود.

. لو كان للاتصال باليهود ذلك الأثر الكبير في دعوى النبوة، فلماذا لم ينتقوا أحداً من أهل يثرب أو رجلاً من القريتين عظيم، أو عبد الله بن أبي سلول . ليحمي دعوتهم بجاهه وماله؟ إن في القرآن الكريم قصصاً لأنبياء

(١) - انظر: بذل الجود في إفحام اليهود، السموءل، ص١٤٧ محقق: الدكتور محمد عبد الله الشرفاوي الناشر: دار الجليل - بيروت ط١٩٩٠/٣. وقضايا قرآنية في الموسوعة البريطانية، د. فضل عباس، ص١٩٧. وحي الله، د. حسن عتر، ص(١٤٠ - ٢٠٠) فقد اجاد في نقد الفكر الاستشراقي الماكر ط٣ بدون تاريخ الطبعة الاولى سنة ١٩٩٩، نشر دار المكبي - دمشق .

(٢) - ذكر ابن هشام عن أم المؤمنين صفية بنت حيي بن أخطب . رضي الله عنها . أنها قالت: " كنت أحب ولد أبي إليه وإلى عمي أبي ياسر، لم ألقهما قط مع ولد لهما، إلا أخذاني دونه. قالت: فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم ونزل قباء.. غدا عليه أبي وعمي مُغلسين. قالت: فلم يرجعا حتى كانا مع غروب الشمس. ما التفت إليّ واحد منهما، مع ما بما من غم. قالت: وسمعت عمي أبا ياسر وهو يقول لأبي: أهو هو؟ قال: نعم والله. قال: أتعرفه وتتيه؟ قال: نعم. قال: فما في نفسك منه؟ قال: عداوته والله ما بقيت ". انظر: السيرة النبوية ١٢٣/٢. وقولها: " مغلسين " أي وقت الغلس. والغلس: ظلمة آخر الليل إذا اختلطت بضوء الصباح. انظر: النهاية في غريب الحديث، الجزري، ٣٧٧/٤.

(٣) - لم يظهر بين يهود الجزيرة العربية من اشتهر بعلم أو فقه أو فلسفة.. وهذا يدل بالضرورة على عدم ازدهار الحركة الفكرية والثقافية عندهم، فهم آثروا البقاء منغلين عن العالم، مكفين بأبسط أنواع الحياة. انظر: العرب قبل الإسلام، د. جواد علي ٨/٦. ود. إسرائيل ولفنسون، تاريخ اليهودية في بلاد العرب، ص٤٢.

(٤) - ولا يختلف الشعر النصراني عن شعر الشعراء الوثنيين بشيء... من الصعب على الباحث أن يجد فرقاً كبيراً بين شعر الشعراء النصارى وشعر الشعراء الوثنيين. ولهذا ذهب بعض المستشرقين إلى أن من الصعب التحدث عن وجود شعر نصراني عربي له ميزات امتاز بها عن الشعر الوثني قبل الإسلام". انظر: العرب قبل الإسلام، د. جواد علي، الفصل ١٦٦، ١٣١١/٤.

وسابقين لا يعرفهم أهل الكتاب، كقصّة صالح وهود وشعيب عليهم السلام.. كما أن في القصص القرآني تفاصيل غير موجودة في كتبهم، كمعجزات سيدنا عيسى ونفي صلبه وقتله، وتبرئة الأنبياء مما افتروه عليهم من خطايا وقبائح.<sup>(١)</sup>

. معجزاته . وخاصة معجزة القرآن الكريم البلاغية التي عجز العرب عن مضاهاتها . يستحيل أن تكون من تعليم أعاجم . ومن غير المستغرب أن يجلس سيدنا محمد ﷺ إلى حداد رومي (٢) لبعض حاجات بيته الطبيعية، وليس من المنطق أن يكون القرآن الذي أعجز العرب بنظمه، قد ألقاه إليه ذلك الحداد في عجالة وهو جالس عنده في السوق .. وهل الجلوس عند الحداد فيه من الراحة والاستعدادات النفسية والذهنية ما يؤهله للتعليم، تعلم هذا القرآن العظيم؟<sup>(٣)</sup> أليست مهنة التعليم لذلك الحداد، أيسر عليه من الحدادة؟

أسباب النزول تنفي التعلم المسبق للنبي ﷺ، فأين كان معلموه المفترضون حين نزل عليه القرآن في غزواته، وهو بين أصحابه يجب عن أسئلتهم هل كانوا لا يُرون إلا من قَبِل محمد ﷺ؟ لا يمنع أن يوجد في القرآن الكريم ما يوافق ما سبق من كتب سماوية، فالقرآن الكريم لا يقول بأنها كلها محرفة ١٠٠% بل فيها تحريف وفيها ما نجا من التحريف (٤) ومثله ما نسب إلى كتب جهلة اليهود والمراطقة مما ليس موجوداً في الكتاب المقدس المعتمد حالياً.

فقد جعل النصارى من كتب بقايا النصارى الموحدين كتباً ممنوعة القراءة، بعد أن حكموا على رجالها بالهرطقة. بخاصة بعد مجمع نيقية الذي أقر التثليث ونبذ التوحيد.. فما المانع من أن تكون تلك الكتب هي الأقرب إلى الحق، وأن ما بين أيدينا من كتب اعترفت بها الكنيسة لاحقاً هي الباطل؟

. مخالفة القرآن الكريم عقائد أساسية تميزت بها اليهودية والمسيحية.. كتفضيل الجنس اليهودي وتكريمه على الناس بقبول عبادته لله عز وجل، وكذلك أساس عقيدة النصارى من تثليث وفداء وخلص.

(١) - انظر في سفر التكوين ما نسبوه إلى الأنبياء الكرام: نوح 9/20-27 ولوط 19/30-38 وإسحاق 29 u.

(٢) - كي يتقن كفار قريش حيك فرية تلقى رسول الله صلى الله عليه وسلم القرآن، وضعا في معلمه شرطين: الأول: أن يكون من سكان مكة؛ ليتحقق زعمهم بتلقي القرآن عنه بكرة وأصيلاً. والثاني: أن يكون من غير قومهم وملتهم، ليتمكن عندها أن يقال إن عنده علم ما لم يعلموا.. والتمسوا الشرطين فلم يجدوها إلا عند حداد رومي. انظر: مدخل إلى القرآن، د. محمد دراز، ص ١٣٤.

قلت: لو تحقق الشرطان في ورقة. أو غيره من أحبار اليهود والنصارى . لما أوقعوا أنفسهم في فضيحة انتقاء الحداد معلماً مزعوماً.

(٣) - الجلوس عند الحداد . وخاصة في ذلك الزمان . لا يرتاح إليه أحد. وقد وصف ما ينتاب المرء نتيجة ذلك الجلوس، من أوتي جوامع الكلم صلى الله عليه وسلم بأروع وصف حين قال: " مثل الجليسي الصالح والجليسي السوء، كمثل صاحب المسك وكبير الخدّاد. لا ينعذّمك من صاحب المسك إذا تشبّره أو تجدّ ربحه. وكبير الخدّاد يجرّك بذنك، أو تُؤنك، أو تجدّ منه ربحاً خبيثاً". رواه البخاري في البيوع باب في العطار وبيع المسك ٢١٠١ . ولك أن تتخيل كيفية استماع القرآن الكريم لأول مرة، وأصوات مطارق الحدادين، ونار الكير، ناهيك عن الرائحة التي تصد حضور الدهن الضروري لأي تعليم.. فلو أراد حفظ نشيد من أناشيد الأطفال في ذلك الجو، لكان متعذراً عليه!

(٤) - الجلوس عند الحداد . وخاصة في ذلك الزمان . لا يرتاح إليه أحد. وقد وصف ما ينتاب المرء نتيجة ذلك الجلوس، من أوتي جوامع الكلم صلى الله عليه وسلم بأروع وصف حين قال: " مثل الجليسي الصالح والجليسي السوء، كمثل صاحب المسك وكبير الخدّاد. لا ينعذّمك من صاحب المسك إذا تشبّره أو تجدّ ربحه. وكبير الخدّاد يجرّك بذنك، أو تُؤنك، أو تجدّ منه ربحاً خبيثاً". رواه البخاري في البيوع باب في العطار وبيع المسك ٢١٠١ . ولك أن تتخيل كيفية استماع القرآن الكريم لأول مرة، وأصوات مطارق الحدادين، ونار الكير، ناهيك عن الرائحة التي تصد حضور الدهن الضروري لأي تعليم.. فلو أراد حفظ نشيد من أناشيد الأطفال في ذلك الجو، لكان متعذراً عليه!

قال تعالى: " وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرْثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ " [الأنبياء: ١٠٥] وفي مزامير داود [١١/٣٧] " الأبرار يرثون الأرض ". فذكر ذلك بكل مصداقية، عكس متى الذي اقتبس تلك الفقرة ذاتها في إنجيله [٥/٥] دون الإشارة إلى اقتباسها.

إن الإسلام هو دين الله الحق، الذي لم ينزل من السماء سواه. إن الدين عند الله الإسلام، دينه الذي من ابتغى غيره سبيلاً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين، فكل الأنبياء جاؤوا بالإسلام، ولم يسم أحد منهم نفسه يهودياً ولا نصرانياً بل حنيفاً مسلماً من لدن آدم عليه السلام وحتى محمد ﷺ (١).

وعلى هذا فلا يمكن القبول بزعم أن الإسلام ما هو إلا فرع من شجرة اليهودية أو النصرانية. المحرفة عن الإسلام. بل هي ذات الرسالة وعين العقائد والمبادئ العامة التي دعا إليها الإسلام. ويُقال لهم: إن سلمنا معاً أن القرآن الكريم كلام الله عز وجل، كالتوراة والإنجيل. فالتشابه بينه وبينها طبيعي لأن مصدرهما واحد. بل لو لم يكن هنالك اتفاق بين القرآن الكريم وتلك الكتب في جميع العقائد لقالوا: كيف يكون مصدرها واحداً وهي لم تتفق في أي عقيدة؟!!

فإن اتفق شيء مما تبقى من عقائد وشرائع الأنبياء السابقين مع الموجود في القرآن الكريم، فهو من أدلة وحدة مصدرها، وإن تفوق القرآن الكريم عليها بكونه كله قطعي الثبوت. " أما المجاحدون من أهل الكتاب . لا سيما دعاة النصرانية في هذا الزمان . فهم يقولون فيما وافق القرآن به كتبهم، أنه مأخوذ منها بدليل موافقته لها. وفيما خالفها أنه غير صحيح بدليل أنه خالفها. وفيما لم يوافقها ولم يخالفها به أنه غير صحيح، لأنه لم يوجد عندنا، وهذا منتهى ما يُكابِر به مُناظِر مناظراً، وأبطل ما يرد به خصم على خصم ". (٢) ولما كانت شبهة تعلم سيدنا محمد ﷺ على يد بجيرا وورقة بن نوفل تشكل أعظم شبهاتهم، فالرد عليها ملخصه ما يلي: (٣)

إن تلك الشبهة فيها اتهام للنصرانيين الناسكين المتعبدين بالكذب والخداع، ومن غير المعقول أن يكون أواخر عهد ناسكين متعبدين، تسهيل مهمة شخص مخدع يدعي أنه موحى له من عند الله عز وجل مع قصر الوقت الذي شاهدهما فيه، فما في القرآن من عقائد وشرائع وقصص تحتاج إلى فترة زمنية طويلة. بل المنطق يقول إن أي إنسان عادي، لن يستطيع تأليف قوانين وشرائع مماثلة لتلك الموجودة في القرآن الكريم، إلا بعد مكث سنوات طويلة من التعلم. ثم أين قریشاً منهما، ولماذا لم يحضروها ليكونا دليلاً بين أيديهم على بشرية مصدر القرآن الكريم؟

كما لم يصدر عن أي من ملوك النصارى العرب، أو الروم، أو القبط، أو الأحباش.. الذين وصلتهم رسالة الإسلام، أن ما في القرآن الكريم مسروق من عندهم، لماذا لم يستخدموا رجالاً أغنى وأكثر جاهاً منه ﷺ، ليسهل عليهم المهمة؟ كان عمره ﷺ عندما قابل بجيرا أول مرة تسعة أعوام، ولما تاجر لخديجة كان عمره خمسة وعشرين عاماً. وفي الأولى كان معه عمه، وفي الثانية ميسرة غلام خديجة (٤). هل كان لدى ورقة بن نوفل أي حصيلة علمية أو معرفية، تؤهله ليكون مصدر القرآن الكريم؟ (٥)

(١) - قال ابن تيمية: وجميع الأنبياء كانوا على دين الإسلام. انظر مجموع الفتاوى ٢٧/٣٧٠ وانظر الأدلة على كون كل الأنبياء دينهم الإسلام في: الخطاب الدعوي للأنبياء والدعاة في القرآن الكريم، عبد الرحيم الشريف، رسالة ماجستير، جامعة آل البيت، الأردن، ٢٠٠١م، ص ١٦-٧٦.

(٢) - تفسير المنار، محمد رشيد رضا ٢٤٩/٣.

(٣) - الإسلام في قفص الاتهام، د. شوقي أبو خليل، ص ٣٢-٣٩ والقرآن ليس دعوة نصرانية، د. سامي عصاصة ص ٦٥-١١٧. ووحى الله، د. حسن عتر، ص ١٣٩-١٦٥. مرجع سابق.

(٤) - انظر: الكامل في التاريخ، ابن الأثير، ١/٢٣. والبداية والنهاية، ابن كثير، ٢/٢٩٥.

(٥) - كان ورقة يعبد الأصنام طيلة ستين سنة، ثم ذهب يبحث عن أفضل دين هو ومجموعة من أصدقائه، وترددوا بين الشرك والنصرانية واليهودية، ثم استقر رأيه ورأي أكثرهم على الخنفية. وكان عمر ورقة عند بعثة النبي مائة سنة. انظر: البداية والنهاية لابن كثير: ٢/٣٤٠ والسيرة الحلبية لعلي الحلبي ١/١١٦، والاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر ٢/٦١٦. فهو لا يملك ذلك العلم الواسع.

. كيف يستطيع ورقة . وهو كبير السن . أن يصعد إلى الجبل الذي فيه غار حراء، رغم أن صعوده شاق على أشد الشباب قوة؟ لم يتهم أي مشرك محمداً ﷺ بأنه كان يقابل ورقة، رغم أن ذلك الزعم أقوى من اتهام حداد رومي . لماذا تأخر ورقة في إعلان نبوة سيدنا محمد ﷺ إلى أن بلغ من العمر عتياً، وهل كان يضمن أنه سيعيش ذلك العمر؟

أين باقي تلاميذ بحيرا وورقة؟ هل من المعقول أن لا يكون لهما إلا تلميذ واحد يتيم فقير؟ ولماذا لم تبعث قريش بفتياتهما إليهما ليتعلموا؟

هل رافق بحيرا وورقة محمداً ﷺ في كل حركاته وسكناته؟ إن في أسباب النزول رداً مباشراً على زعمهم . قول ورقة بأن الوحي الذي نزل على سيدنا محمد ﷺ هو الذي نزل على موسى لا عيسى عليهما السلام، فلو كان نصرانياً لذكر سيدنا عيسى . وهذا اعتراف من ورقة على إلهية مصدر القرآن الكريم . لو كان لورقة ذلك التأثير على سيدنا محمد ، لكان أول من يذهب إليه ﷺ بُعيد نزول الوحي عليه وهو في غار حراء، قبل أن يعود إلى بيته .

لم يذكر التاريخ أن هنالك زيارات معتادة بين بيتي سيدنا محمد وورقة، ولم يكن بينهما صداقة معروفة قبل البعثة كصداقته بأبي بكر مثلاً . كما لم يزر بحيرا مكة ولا المدينة قبل أو أثناء البعثة النبوية، فكيف له أن يعرف ظروف بيعة الرسول ﷺ وأحداثاً قبل الهجرة في مكة كموقف المشركين من الدعوة، وغيرها من أسباب نزول الآيات المكية . وبعد الهجرة: كالغزوات والعلاقة مع المنافقين .. وغيرها من أسباب نزول الآيات المدنية؟

## الحادي والعشرون : كاد محمد ﷺ أن يفتن

أخذوا ذلك من فهم مغلوط لآيات سورة الإسراء: { وإن كادوا ليفتنونك عن الذي أوحينا إليك لتفتري علينا غيره وإذا لا تأخذوك خليلاً \* ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئاً قليلاً \* إذا لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات ثم لا تجد لك علينا نصيراً } [الإسراء: ٧٣-٧٥] . بعض ما قيل في سبب نزول هذه الآية أن وفد ثقيف قالوا للرسول ﷺ أخلصنا سنة حتى نقبض ما يهدى لأهتنا من (الأصنام) فإذا قبضنا ذلك كسرناها وأسلمنا، فهَمَّ صلى الله عليه وسلم بقبول ذلك فنزلت الآية .

قوله تعالى: " كدت تركن إليهم " أى هممت أو قاربت أن تميل لقبول ما عرضه عليك لولا تثبيت الله لك بالرشد والعصمة، ولو فعلت لعذبتك ضعف عذاب الحياة وعذاب الممات؛ يعنى: قاربت أن تستجيب لما عرضه لكنك بتثبيت الله لم تفعل لعصمة الله لك .

وكل مَنْ هُمَّ على مقربة من الثقافة الإسلامية يعرفون أن " الهمم " أي المقاربة لشيء دون القيام به أو الوقوع فيه لا يعتبر معصية ولا جزاء عليه وهو مما وضع عن الأمة وجاء به ما صح عن النبي ﷺ قوله: (وضع عن أمتي ما حدثت به نفسها ما لم تعمل به أو تتكلم به) ، وعليه .. فإنه لا إثم ولا شيء يؤخذ على محمد ﷺ في ذلك. (١)

(١) - شبهة رقم ٥٩ ، من كتاب حقائق الاسلام في مواجهة شبهات المشككين ، نشر وزارة الأوقاف المصرية لمجموعة من العلماء .

## الثاني والعشرون : قاتل محمد ﷺ في الشهر الحرام

الرد على الشبهة: في سورة البقرة: {يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير وصد عن سبيل الله وكفر به والمسجد الحرام وإخراج أهله منه أكبر عند الله والفتنة أكبر من القتل ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا} [البقرة: ٢١٧] .

والمسلمون جميعاً وعلى رأسهم إمامهم ورسولهم محمد ﷺ هم أحفظ الناس لحرمة الأشهر الحرم وعدم القتال فيها واعتبار القتال فيها حدثاً كبيراً أو كأنه كبيرة من الكبائر.. لكن ما الذي يفعله المسلمون إذا ما ووجهوا من أعدائهم من المشركين بالقتال والعدوان على الأنفس والأموال والأعراض، ليس هذا فحسب بل ماذا يفعل المسلمون إذا فوجئوا بمن يخرجهم من المسجد الحرام وهم أهله وهم أولى به من غيرهم؟!!

إن قانون " الدفع الحضاري " الذي يقره القرآن الكريم لحماية الكون من إفساد المتجبرين والظلمة، ثم لحماية بيوت العبادة للمسلمين والنصارى واليهود أيضاً، والذي عبرت عنه الآيتان الكريمتان: {ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض} [البقرة: ٢٥١] . وقوله: {ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيراً ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز} [الحج: ٤٠] . هذا القانون القرآني . وليس قانون من ضربك على خدك الأيمن فأدر له خدك الأيسر . هو وحده الذي يحمي الكون والناس من إفساد المتجبرين وظلم الظالمين.

وذلك على أساس أن من يمكن الله لهم في الأرض بما يمنحهم من القوة والثروة والعلم يجب - وبحسب القانون القرآني - أن يكونوا صالحين وأحياناً؛ بمعنى: أن يستخدموا قوتهم وثروتهم وعلمهم لا في الطغيان والتجبر ولكن في حماية القيم النبيلة التي تحمي بها العدل والحق وتمكن لكل ما هو خير، وتنفى كل ما هو شر حتى تنعم البشرية بالأمن والاستقرار، وتعتمد أمور الحياة والناس.

وهذا ما جاءت الآية التالية للآيتين السابقتين لتقره حيث يقول: {الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور} [الحج: ٤١] .

ولأن إقرار حقوق عباد الله في أرض الله وحماية المستضعفين من بطش المتجبرين لا يقل حرمة عند الله من حرمة الأشهر الحرم فقد أبيح القتال فيها لمن ظلموا من المسلمين ومن فُتِنوا في دينهم وأخرجوا من ديارهم ظلماً وعدواناً.

وهذا ما تقرره الآية: {يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير وصد عن سبيل الله وكفر به والمسجد الحرام وإخراج أهله منه أكبر عند الله والفتنة أكبر من القتل ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا} [البقرة: ٢١٧] .<sup>(١)</sup>

## الثالث والعشرون : محمد ﷺ مذب كما في القرآن

(١) - شبهة رقم ٦٠ من كتاب حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين ، مرجع سابق

أخذوها من فهمهم الخاطىء فى مفتتح سورة " الفتح " : { ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ويتم نعمته عليك ويهديك صراطاً مستقيماً } [الفتح: ٢] . فقالوا: كتاب محمد يعترف عليه ويصفه بأنه مذنب!! وسيرة محمد سيد الخلق وخاتم الأنبياء ﷺ كتاب كبير مفتوح استوفى فيه كُتَّاب سيرته كل شىء فى حياته. فى صحوه ونومه وفى حربه وسلمه، وفى عبادته وصلواته، فى حياته مع الناس بل وفى حياته بين أهله فى بيته. ليس هذا فحسب بل إن صحابته حين كانوا يروون عنه حديثاً أو يذكرون له عملاً يصفونه ﷺ وصفاً بالغ الدقة وبالغ التحديد لكافة التفاصيل حتى ليقول أحدهم: قال ﷺ كذا وكان متكئاً فجلس، أو قال كذا وقد امتألاً وجهه بالسرور وهذا ما يمكن وصفه بلغة عصرنا: إنه تسجيل دقيق لحياته ﷺ بالصوت والصورة..

ثم جاء القرآن الكريم فسجل له شمائله الكريمة فقال عنه: إنه الرحمة المهداة إلى عباد الله: { وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين } [الأنبياء ١١٧] . ووصفه بأنه الرؤوف الرحيم بمن أرسل إليهم: (لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم) (التوبة: ١٢٨) . ثم لخص القرآن مجمل شمائله ﷺ فى قوله: { وإنك لعلى خلق عظيم } [القلم ٤] .

أكثر من هذا أن تكفل القرآن بإذاعة حتى ما هو من خلجات الرسول وحديث نفسه الذى بينه وبين الله مما لا يطلع الناس عليه على نحو ما جاء فى سورة الأحزاب فى أمر الزواج بزینب بنت جحش والذى كان القصد التشريعى فيه إبطال عادة التبني من قوله تعالى: { وتخفى فى نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها لكي لا يكون على المؤمنين حرج فى أزواج أدعيائهم إذ قضوا منهن وطرا وكان أمر الله مفعولاً } [الأحزاب: ٣٧] .

أقول: مع أن سيرة محمد ﷺ هى كتاب مفتوح لم يخف التاريخ منه شيئاً بل وتدخل القرآن ليكشف حتى ما يحدث به نفسه صلى الله عليه وسلم مما لا يطلع عليه الناس، ولم يذكر له صلى الله عليه وسلم ذللاً ولا ذنباً فى قول أو عمل ، أفبعد هذا لا يتورع ظالموه من أن يقولوا أنه " مذنب ؟" !!!

ولو كان هؤلاء الظالمون لمحمد ﷺ على شىء من سلامة النظر وصفاء القلوب لانتبهوا إلى بقية سورة الفتح، التى كانت كلها تثبيتاً للمؤمنين وللرسول وتبشيراً لهم بالتأييد والنصر.. لو كان محمد ﷺ - كما ادعيتهم - من المذنبين والعاصين لكان من المستحيل أن يجعله الله تعالى ممن يؤيدهم بنوره ويتم عليهم نعمته ويهديهم صراطاً مستقيماً؛ لأن النصر يكون للصالحين لا للمذنبين.

ونقف أمام الذنب فى منطوق الآية: { ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر } فالذنب هنا ليس مما تعارف عليه الناس من الخطأ والآثام؛ لأن سنة الله تبارك وتعالى هى عصمة جميع أنبيائه وفى قمتهم خاتمهم صلى الله عليه وسلم. وهذا مما يعرفه ويقره وأتباع كل الرسالات إلا قتلة الأنبياء ومحرفي الكلم عن مواضعه من اليهود الذين خاضوا فى رسل الله وأنبيائه بما هو معروف، فالذنب هو ما يمكن اعتباره ذنباً على مستوى مقام نبوته صلى الله عليه وسلم ذنباً مما تقدره الحكمة الإلهية . لا ما تحدده أعراف الناس . ومع هذا كله فإن سيرة محمد ﷺ قبل البعثة كانت محل تقدير قومه وإكبارهم له لما اشتهر به صلى الله عليه وسلم من العفة والطهر والتميز عن جميع أترابه من الشباب حتى كان معروفاً بينهم بالصادق الأمين.

أبعد هذا لا يستحي الظالمون لمحمد ﷺ والحاقدون عليه من أهل الكتاب أن يقولوا: إنه مذنب؟!  
{ كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذباً } [الكهف: ٥]. (١)

## الرابع والعشرون : ما معنى قول الله سبحانه وتعالى : { وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ } [الانبياء: ١٠٧] مع ان النبي لم يكن رحمة للكافرين ؟ وأهدر دماء رجال حين فتح مكة ؟

أولاً : لقد ذكر جل وعلا في هذه الآية الكريمة: أنه ما أرسل هذا النبي الكريم صلوات الله وسلامه عليه إلى الخلائق إلا رحمة لهم. لأنه جاءهم بما يسعدهم وينالون به كل خير من خير الدنيا والآخرة إن اتبعوه. ومن خالف ولم يتبع فهو الذي ضيع على نفسه نصيبه من تلك الرحمة العظمى. وضرب بعض أهل العلم لهذا مثلاً قال : لو فجر الله عيناً للخلق غزيرة الماء، سهلة التناول. فسقى الناس زروعهم ومواشيهم بمائها. فتتابعت عليهم النعم بذلك، وبقي أناس مفرطون كسالى عن العمل. فضيعوا نصيبهم من تلك العين، فالعين المفجرة في نفسها رحمة من الله، ونعمة للفريقين. ولكن الكسلان محنة على نفسه حيث حرماها ما ينفعها. ويوضح ذلك قوله تعالى: { أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ } . [ابراهيم: ٢٨]

فالرسول ﷺ كان رحمةً عامةً من حيث إنه جاء بما يسعدهم إن اتبعوه ، ومن لم يتبعه فهو الذي قصر في حق نفسه وضيع نفسه من الرحمة . قال (ابن كثير) في تفسيره لهذه الآية : وَقَوْلُهُ { وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ } يُخْبِرُ تَعَالَى أَنَّ اللَّهَ جَعَلَ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ أَيَّ أَرْسَلَهُ رَحْمَةً لَهُمْ كُلَّهُمْ فَمَنْ قَبِلَ الرَّحْمَةَ وَشَكَرَ هَذِهِ النِّعْمَةَ سَعِدَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَنْ رَدَّهَا وَجَحَدَهَا خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ كَمَا قَالَ تَعَالَى " أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ جَهَنَّمَ يَصَلُّونَهَا وَبَسَّ الْقُرَارِ .

ثانياً : ان الرسول ﷺ كان رحمةً للكافرين أيضاً من حيث إن عذاب الاستئصال أحر عنهم بسببه . وقد روي عن ابن عباس ، في قوله سبحانه وتعالى : { وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ } قَالَ : مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ كَتَبَ لَهُ الرَّحْمَةَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، وَمَنْ لَمْ يُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ غُوبِي مِمَّا أَصَابَ الْأُمَّمَ مِنَ الْحُسْفِ وَالْقَذْفِ . (٢)

ثالثاً : كانت رسالة محمد ﷺ رحمة لقومه ورحمة للبشرية كلها من بعده والمبادئ التي جاء بها كانت غريبة في أول الأمر على ضمير البشرية ، لبعده ما كان بينها وبين واقع الحياة الواقعية والروحية من مسافة . ولكن البشرية أخذت من يومها تقرب شيئاً فشيئاً من آفاق هذه المبادئ . فتزول غرابتها في حسها ، وتبتناها وتنفذها ولو تحت عنوانات أخرى .

لقد جاء الإسلام لينادي بإنسانية واحدة تذوب فيها الفوارق الجنسية الجغرافية . لتلتقي في عقيدة واحدة ونظام اجتماعي واحد . . وكان هذا غريباً على ضمير البشرية وتفكيرها وواقعها يومذاك . والأشراف يعدون

(١) - الشبهة رقم ٦١ من كتاب حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين مرجع سابق .

(٢) - تفسير الطبري (١٨ / ٥٥٢) مرجع سابق ، ابن كثير (٥ / ٣٨٧) مرجع سابق

أنفسهم من طينة غير طينة العبيد . . ولكن ها هي ذي البشرية في خلال نيف وثلاثة عشر قرناً تحاول أن تقفو خطى الإسلام ، فتعثثر في الطريق ، لأنها لا تمتدي بنور الإسلام الكامل . ولكنها تصل إلى شيء من ذلك المنهج ولو في الدعاوى والأقوال وإن كانت ما تزال أمم في أوروبا وأمريكا تتمسك بالعنصرية البغيضة التي حاربها الإسلام منذ نيف وثلاث مائة وألف عام .

ولقد جاء الإسلام ليسوي بين جميع الناس أمام القضاء والقانون . في الوقت الذي كانت البشرية تفرق الناس طبقات ، وتجعل لكل طبقة قانوناً . بل تجعل إرادة السيد هي القانون في عهدي الرق والإقطاع . . فكان غريباً على ضمير البشرية يومذاك أن ينادي ذلك المنهج السابق المتقدم بمبدأ المساواة المطلقة أمام القضاء . ولكن ها هي ذي شيئاً فشيئاً تحاول أن تصل ولو نظرياً إلى شيء مما طبقة الإسلام عملياً منذ نيف وثلاث مائة وألف عام .

وغير هذا وذلك كثير يشهد بأن الرسالة المحمدية كانت رحمة للبشرية وأن محمداً صلى الله عليه وسلم إنما أرسل رحمة للعالمين . من آمن به ومن لم يؤمن به على السواء . فالبشرية كلها قد تأثرت بالمنهج الذي جاء به طائفة أو كارهة ، شاعرة أو غير شاعرة؛ وما تزال ظلال هذه الرحمة وارفة ، لمن يريد أن يستظل بها ، ويستروح فيها نسائم السماء الرخية ، في هجير الأرض المحرق وبخاصة في هذه الأيام .

وإن البشرية اليوم لفي أشد الحاجة إلى حس هذه الرحمة ونداها . وهي قلقة حائرة ، شاردة في متاهات المادية ، وجحيم الحروب ، وجفاف الأرواح والقلوب .<sup>(١)</sup>

### الرحمة الإنسانية عند محمد ﷺ

ولعلنا نستغني عن كثير من المقدمات المنطقية حينما نعلم أن الذنب الذي جناه محمد ﷺ في نظر أعدائه هو اعترافه بالمبادئ الإنسانية.

فاستخدام القوة -مثلاً- أمام القوى المقاتلة ليس مبدأً محمدياً ابتداءً، وإنما هو مبدأ إنساني، وحيث إن الإنسانية ممثلة بمحمد ﷺ أصبح استخدام القوة مبدأً محمدياً.

والإسلام الذي جاء به محمد ﷺ لم يقابل بقواته أماً تقابله بالورود والرياحين، وإنما يقابل جيوشاً مدحجة بالسلاح، فما معنى امتلاك تلك الأمم للسلاح؟!

بل إن الإسلام منع من استخدام القوة أمام من لا يملك القوة، كالأطفال، والنساء، والرهبان، ونحوهم، وهذا لأن الأصل في الإسلام هو السلام، وأما استخدام القوة فعارض ينتهي بانتهاء سببه. ثم إن استخدام القوة في الإسلام لا يكون إلا أمام الجيوش المحاربة، وأما الأفراد فليس من دين الإسلام مقابلتهم بالسلاح، وإنما يُقابلون بالهدى والصلاح.

ولعلك تعجب حينما ترى أن الإسلام قد وهب للأفراد حرية الاختيار -على عكس معتقدات الأمم الأخرى- ومع ذلك ترى الشعوب على اختلافها تتسابق إلى الدخول في دين الله أفواجاً، على عكس معتقدات الأمم الأخرى التي عجزت عن إدخال شعوبها في معتقداتها بالحديد والنار.

(١) - في ظلال القرآن ٤ / ٢٤٠١ مرجع سابق .

وأعظم من هذا حينما تجد الشعوب المختلفة تتسابق في تقديم أبنائها الأعلام لخدمة الإسلام، وهذا لإباحتها بأنها تعيش في ظل الإسلام على قاعدة: (لا فضل لعربي على أعجمي ولا لأحمر على أسود إلا بالتقوى)، وتردد صباح مساء قول ربها سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات: ١٣]

وإذا كانت هذه سياسة الإسلام أمام القوى الخارجية فإن الشريعة الإسلامية لم تهمل شؤونها الداخلية، ولأن المظاهر الإجرامية جزء من المجتمعات الإنسانية فقد وقف لها الإسلام بالمرصاد؛ ليدرأ شرها عن البلاد والعباد، فأعطى كل جريمة ما يناسبها من العقوبات التي ربما قد تصل إلى القتل، وهذه العقوبات تقرّ بها جميع الأمم، ولكنها تختلف في تحديد أنواع الجرائم التي تستحق تلك العقوبات.

وإذا كنا نريد برهاناً على صحة العقوبات الإسلامية وملاءمتها للحياة الإنسانية، فلسنا بحاجة إلى مقدمات منطقية، ولا نظريات فلسفية، وإنما يكفي أن نلتفت إلى مجتمعات العالم أجمع؛ لنسألها: أي المجتمعات نجحت في الحد من انتشار الجريمة؟! ولنترك الجواب للأرقام.

ومن إنسانية الإسلام مراعاته لاختلاف القدرات العقلية لبني الإنسان، فيهب للعقول مساحة واسعة لتلعب دورها في بناء الحضارة الإسلامية، بل حتى في المسائل الشرعية يسمح بوجهات نظر مختلفة؛ اعترافاً بالطبيعة الإنسانية، وتيسيراً للأمة الإسلامية، (ولن يشادّ الدين أحدٌ إلا غلبه).

ولكنه مع هذا لم يتجاهل التفريق بين المصالح العامة والمصالح الفردية؛ فيختار للرعاية نخبة من أولى الدّراية؛ ويكلّ إليهم النظر في مصالح الولاية.

وأما المصالح الفردية فقد شرع لكل فرد أن ينظر في أموره الخاصة على حسب ما تقتضيه مصلحته. تلك هي الحرية التي يتكلم عنها الإسلام، وليست سفسطات وفلسفات تُسوّد بها الصفحات، وتمتلئ بها المجلات، وليست شعارات وافتتاحات تتشدد بها المرئيات والإذاعات، حتى إذا ما أتيت إلى الواقع لم تجد لها شيئاً، وإنما تجد واقعاً لا يجزر الإنسان من الطغيان والعصيان، وإنما يجزره من مبادئه الحسان.

وهو إن طالب بالحرية فإنما يطالب بحريته الشخصية، وتسخير الإنسان لمصالحه الذاتية، بل وشهواته البهيمية. ولعلك لا تجد أحداً من بني الإنسان يطالب بحرية مطلقة، وإنما يقيد كل أناس على حسب ما تشتهيهِ أهواؤهم، وتمليه عليهم خيالاتهم، وأفضل حرية عرفها الإسلام هي تلك التي قامت على مبدأ العدل بين الناس أجمعين، على قاعدة: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]. هذه بعض الجوانب الإنسانية التي يتمثلها الإسلام على قائده أفضل الصلاة والسلام.

وهي جوانب تشهد على صحة هذا الدين السماوي، وأن محمداً رسول من رب العالمين. ومن الحيف والظلم أن يصدق شخص بالدلائل الإنسانية على صحة الرسالة المحمدية، ثم يتهم على أمر جاء به محمد ﷺ، مما قد يكون متوقفاً على الوحي الذي يأتي من رب العالمين، الذي خلق الإنسان، وعلمه البيان، وهو أعلم بمصلحته.

فتعدد الزوجات -مثلاً- لا يستطيع العقل تحديد الأصلح فيه، فيقف عندئذ أمام الوحي السماوي موقف جاهل مسترشداً يريد الوصول إلى ما ينفعه. والمريض الذي يتناول الدواء بناء على وصفة طبية إنما يتناوله بناء على ثقته بالطبيب، وأما هو فقد يكون جاهلاً بفاعلية هذا الدواء لدائه. وسيرته ﷺ كلها يشهد بعضها لبعض على أنه مصلح عظيم، وإمام قد أرسله الله رحمة للعالمين، عليه من الله أزكى الصلاة وأتم التسليم. (١)

## الخامس والعشرون : كيف لنبي الرحمة أن يهدر دماء رجال من قريش في فتح مكة

سؤال يتردد من النصارى (كيف لنبي الرحمة ان يهدر دماء رجال من قريش في فتح مكة؟) ... الرد : أهدر دماء أكابر المجرمين الذين في رقبتهم دماء وغيلة للآخرين ولكن لم ينفذ إلا في اثنين أو ثلاثة ولم يهدر دماء كل الظلمة الذين شاركوا في تهجير المسلمين من ديارهم وأموالهم بل عفا عنهم و عليهم أن يجيبوا هم ماذا كانوا قد فعلوا فيمن غدرهم وأخلّ في معاهدتهم وماذا كان موقفهم .

في البدء عليهم أن يعرفوا سبب (فتح مكة) والأمر الجلي من سيرة سيد الخلق ﷺ هو صلح الحديبية وان قريش قد غدرت بهذا الصلح ونقضت هذا الصلح ومعروف ان خزاعة دخلت في حلف رسول الله ﷺ وبنو بكر الذين دخلوا في حلف قريش اغتتموا الفرصة -وكان بينهم وبين خزاعة ثارات في الجاهلية اغتتموا فترة الصلح وغازوا على خزاعة ليلا فاصابوا منهم رجالا وقتل معهم رجال من قريش مستغلين ظلمة الليل حتى وصلوا للحرم - ولا شك ان ما فعلت قريش وحلفاؤها كان غدرا ونقضا لميثاق الصلح وبعد هذا تحرك الجيش الاسلامي نحو مكة وكان الفتح العظيم ولما دخل الرسول ﷺ مكة وطهر الكعبة من الاصنام خطب وقال: يا معشر قريش: ما ترون اني فاعل بكم؟ قالوا خيرا أخ كريم وابن أخ كريم قال: فاني اقول لكم كما قال يوسف لاختوته : (لا تثريب عليكم اليوم) ، اذهبوا فانتم الطلقاء .

واهدر رسول الله ﷺ يومئذ دماء تسعة نفر من اكابر المجرمين وأمر بقتلهم ولم يهدر دماء الظلمة كلهم والذين أخرجوه وأصحابه من ديارهم وأموالهم وجعلوهم مشردين تتخطفهم الناس وهم وهؤلاء جميعا كانوا اشد عداوة وبغضا للإسلام وللمسلمين ولسيد الخلق محمد ﷺ وكانوا شديدي الأذى له بمكة وفي رقبة بعضهم دماء وغدر وغيلة .

فأما بن سرح فقد جاء به عثمان بن عفان الى النبي ﷺ وشفع فيه فحقن دمه وقبل إسلامه بعد ان أمسك عنه رجاء ان يقوم بعض الصحابة فيقتله وكان قد أسلم قبل ذلك وهاجر ثم ارتد ورجع الى مكة وشوّه سمعة النبي وكذب عليه .

وأما عكرمة بن ابي جهل ففر الى اليمن فاستأمنت له امراته فامنه النبي ﷺ فرجع معها وأسلم وحسن إسلامه ، وكان للنساء منزلة عظيمة في حوادث فتح مكة وقدر النبي كلمتها ووضع لها حقوقها السياسية . وأما ابن خطل فكان متعلقا بأستار الكعبة فجاء رجل الى النبي ﷺ واخبره فقال اقتله فقتله وهو بالأصل قاتل فكان

القتل له قصاصاً . وأما مقيس بن صبابة فقتله نميلة بن عبد الله وكان مقيس قد أسلم قبل ذلك ثم عدا على رجل من الانصار فقتله ثم ارتد ولحق بالمشركين . وأما الحارث فكان شديد الاذى لرسول الله ﷺ بمكة فقتله علي . واما هبار بن الاسود فهو الذي كان قد عرض لزينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم حين هاجرت فنخس بها حتى سقطت على صخرة واسقطت جنينها ففر هبار يوم مكة ثم اسلم وحسن إسلامه .  
يتبين لنا كرم اخلاق سيد الخلق وامام المرسلين محمد ﷺ فقد اودى من هؤلاء وغيرهم اشد الاذى ولكن عفا عنهم وكانت كلمته ﷺ (( اذهبوا فانتم الطلقاء )) أروع مثل لعفوه وكرمه .

## السادس والعشرون : ما معنى الآية ( {فإن كنت في شك مما أنزلنا إليك فاسأل الذين يقرؤون الكتاب من قبلك } [يونس : ٩٤] .

يقولون هذه الآية الله يخبر بها سيدنا محمد للاحتكام لكتبهم!! تم الرد على هذه المغالطة الممجوجة !! في الفصل السابق المطلب السادس : سؤال أهل الكتاب فيما يشكل على النبي ، وفي مكان آخر .

## السابع والعشرون : تعدد زوجات النبي محمد ﷺ ، وتزوج زوجة ابنه بالتبني وأباح لنفسه الزواج من أية امرأة تهبه نفسها - الخلاصة أنه شهواني (١)

١- إن إبراهيم وإسحاق ويعقوب وداود وسليمان وغيرهم قد عددوا الزوجات ووصل الأمر بهم إلى الزواج من مئة مثل داود الذي لم يكتف بتسع وتسعين حتى تزوج تمام المئة بعد موت زوجها، وسليمان كانت له ثلاثمائة زوجة وأربعمائة جارية كما في العهد القديم مصدر التشريع الأول عند النصارى (ما جئت لأتقص بل لأكمل).  
٢- كافة نصوص العهد القديم تأذن بالتعدد وتبيحه للأفراد رسلاً أو بشراً.  
٣- لم يرد نص واحد يجرم التعدد في النصرانية وقد تأثر النصارى بالبلاد التي نشروا فيها النصرانية، ففي أفريقيا يأذنون بالتعدد ويبيحون الزواج للقساوسة، وفي أوروبا يجرمون التعدد ويحرمون الزواج على القساوسة ويبيحون الصداقة.

٤- النص الخاطيء الذي يستشهد به النصارى على تحريم التعدد هو (أما علمتم أن الخالق منذ البدء جعلهما ذكراً وأنثى وقال لهذا يترك الرجل أباه وأمه ويلزم امرأته فما جمعه الله لا يفرقه إنسان). فجعلوا من ضمير الأفراد في قوله: "امراته" أن الرجل لا يتزوج إلا بامرأة واحدة. والنص قد فهم على غير وجهه، فالمسيح حين سئل "أيجل لأحدنا أن يطلق امرأته لأي علة كانت..." كانت إجابته كما سبق. فإجابة المسيح أن الإجابة لا صلة لها بالتعدد بل بالنهي عن الطلاق لا التزوج.

٥- المسيحية تأذن بالتعدد بالتتابع ولكنها ترفضه بالجمع وينتهي التعدد عند الرابعة متتابعاً حتى لا يكون الإنسان غاموياً، وتسمح بالخلة والصديقة بدون حد ولا عد.

(١) - الشبهة ٥١ من حقائق الاسلام مقابل شبهات المشككين والرد للدكتور محمود حمدي زقزوق

٦- أما العرب يجمعون بين أربعين امرأة في وقت واحد كدليل على الرجولة وطلب للولد.

بدأ التعدد في سن الثالثة والخمسين من عمر النبي ﷺ فهل هذا دليل الشهوة، ومن يشتهه هل يتزوج الثيبات وأمهات الأولاد والأرامل، كيف وقد عرض عليه خيرة بنات قريش فأبى! و الثابت المشهور من سيرته صلى الله عليه وسلم أنه لم يتزوج إلا بعد أن بلغ الخامسة والعشرين من العمر. ومن الثابت كذلك في سيرته الشخصية صلى الله عليه وسلم اشتهاره بالاستقامة والتعفف عن الفاحشة والتصريف الشائن الحرام للشهوة، رغم امتلاء المجتمع الجاهلي بشرائح من الزانيات اللاتي كانت لهن بيوت يستقبلن فيها الزناة ويضعن عليها " رايات " ليعرفها طلاب المتع المحرمة.

ومع هذا كله. مع توفر أسباب الانحراف والسقوط في الفاحشة في مجتمع مكة. لم يُعرف عن الرسول محمد ﷺ إلا التعفف والظهار بين جميع قرنائه؛ ذلك لأن عين السماء كانت تحرسه وتصرف عنه كيد الشيطان. ويُروى في ذلك أن بعض أترابه الشباب أخذوه ذات يوم إلى أحد مواقع المعازف واللهو فغشاه الله بالنوم فما أفاق منه إلا حين أيقظه أترابه للعودة إلى دورهم. هذه واحدة..!

أما الثانية فهي أنه حين بلغ الخامسة والعشرين ورغب في الزواج لم يبحث عن "البكر" التي تكون أحظى للقبول وأولى للباحثين عن مجرد المتعة. وإنما تزوج امرأة تكبره بحوالي خمسة عشر عامًا، ثم إنها ليست بكرًا بل هي ثيب، ولها أولاد كبار أعمار أحدهم يقترب من العشرين؛ وهي السيدة خديجة وفوق هذا كله فمشهور أنها هي التي اختارته بعد ما لمست بنفسها. من خلال مباشرته لتجارها. من أمانته وعفته وطيب شمائله ﷺ.

والثالثة أنه ﷺ بعد زواجه منها دامت عشرته بما طيلة حياتها ولم يتزوج عليها حتى مضت عن دنياه إلى رحاب الله. وقضى معها - رضي الله عنها - زهرة شبابه وكان له منها أولاده جميعًا إلا إبراهيم الذي كانت أمه السيدة "مارية" القبطية.

والرابعة أنه ﷺ عاش عمره بعد وفاتها - رضي الله عنها - محبًا لها يحفظ لها أطيب الذكريات ويعد مآثرها وهي مآثر لها خصوص في حياته وفي نجاح دعوته فيقول في بعض ما قال عنها: صدقتني إذ كذبتني الناس وأعانتني بما لها. بل كان ﷺ لا يكف عن الثناء عليها والوفاء لذكراها والترحيب بمن كن من صديقاتها، حتى أثار ذلك غيرة السيدة عائشة - رضي الله عنها.

أما تعدد زوجاته صلى الله عليه وسلم فكان كشأن غيره من الأنبياء له أسبابه منها:

أولاً: كان عُمرُ محمد ﷺ في أول زواج له ﷺ بعد وفاة خديجة تجاوز الخمسين وهي السن التي تنطفئ فيها جذوة الشهوة وتنام الغرائز الحسية بدنيًا، وتقل فيها الحاجة الجنسية إلى الأنثى وتعلو فيها الحاجة إلى من يؤنس الوحشة ويقوم بأمر الأولاد والبنات اللاتي تركتهم خديجة - رضي الله عنها - . وفيما يلي بيان هذا الزواج وظروفه.

**الزوجة الأولى: سودة بنت زمعة:** كان رحيل السيدة خديجة - رضي الله عنها - مثير أحزان كبرى في بيت النبي صلى الله عليه وسلم وفي محيط الصحابة - رضوان الله عليهم - إشفاقاً عليه من الوحدة وافتقاد من يرضى شئونه وشئون أولاده. ثم تصادف فقدانه صلى الله عليه وسلم عمه أبا طالب نصيره وظهيره وسمى العام

الذي رحل فيه نصيراه خديجة وأبو طالب عام الحزن. في هذا المناخ.. مناخ الحزن والوحدة وافتقاد من يعرى شئون الرسول وشئون أولاده سعت إلى بيت الرسول واحدة من المسلمات تُسمى خولة بنت حكيم السلمية وقالت: له يا رسول الله كأني أراك قد دخلتكَ حلّة لفقد خديجة فأجاب صلى الله عليه وسلم: [ أجل كانت أم العيال وربة البيت]، فقالت يا رسول الله: ألا أخطب عليك؟.

فقال الرسول ﷺ: ولكن - من بعد خديجة؟! فذكرت له عائشة بنت أبي بكر فقال الرسول: لكنها ما تزال صغيره فقالت: نخطبها اليوم ثم تنتظر حتى تنضج.. قال الرسول ولكن من للبيت ومن لبنات الرسول يخدمهن؟ فقالت خولة: إنها سودة بنت زمعة، وعرض الأمر على سودة ووالدها: فتم الزواج ودخل بها صلى الله عليه وسلم بمكة.

وهنا تجدر الإشارة إلى أن سودة هذه كانت زوجة للسكران بن عمرو وتوفي عنها زوجها بمكة فلما حلّت تزوجها الرسول ﷺ وكانت أول امرأة تزوجها صلى الله عليه وسلم بعد خديجة، وكان ذلك في رمضان سنة عشر من النبوة. وعجب المجتمع المكي لهذا الزواج لأن "سودة" هذه ليست بذات جمال ولا حسب ولا تصلح أن تكون خلقةً لأم المؤمنين خديجة التي كانت عند زواج الرسول ﷺ بها جميلة وضيئة وحسبية تطمح إليها الأنظار. وهنا أقول للمرجفين الحاقدين: هذه هي الزوجة الأولى للرسول بعد خديجة، فهي مؤمنة هاجرت الهجرة الأولى مع من فرّوا بدينهم إلى الحبشة وقد قَبِلَ الرسول زواجها حماية لها وجبراً لحاظرها بعد وفاة زوجها إثر عودتهما من الحبشة. وليس الزواج بها سعار شهوة للرسول ولكنه كان جبراً لحاظر امرأة مؤمنة خرجت مع زوجها من أهل الهجرة الأولى إلى الحبشة ولما عادا توفي زوجها وتركها امرأة تحتاج هي وبنوها إلى من يرعاهم.

**الزوجة الثانية بعد خديجة:** عائشة بنت أبي بكر الذي يقول عنه الرسول ﷺ: "إن من آمن الناس عليّ في ماله وصحبته أبا بكر، ولو كنت متخذاً خليلاً لا تأخذت أبا بكر خليلاً، ولكن أخوة الإسلام..". ومعروف من هو أبو بكر الذي قال عنه الرسول ﷺ متحدثاً عن عطائه للدعوة " ما نفعني مالٌ قط ما نفعني مال أبي بكر"، وأم عائشة هي أم رومان بنت عامر الكناني من الصحابيات الجليلات، ولما توفيت نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى قبرها واستغفر لها وقال: "اللهم لم يخف عليك ما لقيت أم رومان فيك وفي رسولك صلى الله عليه وسلم"، وقال عنها يوم وفاتها: "من سرّه أن ينظر إلى امرأة من الحور العين فلينظر إلى أم رومان" ولم يدهش مكة نبأ المصاهرة بين أعزّ صاحبين؛ بل استقبلته كما تستقبل أمراً متوقعاً؛ ولذا لم يجد أي رجل من المشركين في هذا الزواج أي مطعن - وهم الذين لم يتركوا مجالاً للطعن إلا سلكوه ولو كان زوراً وافتراءً.

وتجدر الإشارة هنا إلى أن زواج الرسول ﷺ بفتاة بينه وبينها قرابة خمسين عاماً ليس بدعا ولا غريباً لأن هذا الأمر كان مألوفاً في ذلك المجتمع. لكن المستشرقين ومن تحمل قلوبهم الحقد من بعض أهل الكتاب - على محمد ﷺ جعلوا من هذا الزواج اتهاماً للرسول وتشهيراً به بأنه رجل شهواني غافلين بل عامدين إلى تجاهل ما كان واقعاً في ذلك المجتمع من زواج الكبار بالصغيرات كما في هذه النماذج. فقد تزوج عبد المطلب جد الرسول ﷺ من هالة بنت عم آمنة التي تزوجها أصغر أبنائه عبد الله. والد الرسول ﷺ. وتزوج عمر بن الخطاب

ابنة علي بن أبي طالب وهو أكبر سنًا من أبيها. وعرض عمر على أبي بكر أن يتزوج ابنته الشابة " حفصة " وبينهما من فارق السن مثل الذي بين المصطفى ﷺ وبين " عائشة ". (١)

كان هذا واقع المجتمع الذي تزوج فيه الرسول ﷺ بعائشة. لكن المستشرقين والمثقلة قلوبهم حقًا من بعض أهل الكتاب لم تر أعينهم إلا زواج محمد بعائشة والتي جعلوها حدث الأحداث - على حد مقولاتهم - أن يتزوج الرجل الكهل بالطفلة الغريبة العذراء (٢). قاتل الله الهوى حين يعمى الأبصار والبصائر!

**الزوجة الثالثة: حفصة بنت عمر الأرملة الشابة:** توفي عنها زوجها حنيس بن حذافة السهمي وهو صحابي جليل من أصحاب المهجرتين - إلى الحبشة ثم إلى المدينة - ذلك بعد جراحة أصابته في غزوة أحد حيث فارق الحياة وأصبحت حفصة بنت عمر بن الخطاب أرملة وهي شابة. وكان ترمّلها مثار ألم دائم لأبيها عمر بن الخطاب الذي كان يحزنه أن يرى جمال ابنته وحيويتها تحبو يومًا بعد يوم.. وبمشاعر الأبوة الحانية وطبيعة المجتمع الذي لا يتردد فيه الرجل من أن يخاطب لابنته من يراه أهلاً لها.. بهذه المشاعر تحدث عمر إلى الصديق " أبي بكر " يعرض عليه الزواج من حفصة لكن أبا بكر يلتزم الصمت ولا يرد بالإيجاب أو بالسلب. فيتركه عمر ويمضى إلى ذي النورين عثمان بن عفان فيعرض عليه الزواج من حفصة فيفاجئه عثمان بالرفض. فتضيق به الدنيا ويمضى إلى الرسول ﷺ يخبره بما حدث فيكون رد الرسول ﷺ عليه هو قوله: يتزوج حفصة خيرًا من عثمان ويتزوج عثمان خيرًا من حفصة (٣). وأدركها عمر - رضي الله عنه - بفطرتة إذ معنى قول الرسول ﷺ فيما استشعره عمر هو أن من سيتزوج ابنته حفصة هو الرسول نفسه وسيتزوج عثمان إحدى بنات الرسول ﷺ. وانطلق عمر إلى حفصة والدنيا لا تكاد تسعه من الفرحة وارتياح القلب إلى أن الله قد فرج كرب ابنته.

**الزوجة الرابعة: أم سلمة بنت زاد الراكب:** من المهاجرين الأولين إلى الحبشة وكان زوجها (أبو سلمة) عبد الله ابن عبد الأسد المخزومي أول من هاجر إلى يثرب (المدينة) من أصحاب محمد ﷺ. جاءت إلى بيت النبي صلى الله عليه وسلم كزوجة بعد وفاة " أم المساكين زينب بنت خزيمة الهلالية " بزمن غير قصير. سليله بيت كريم، فأبوها أحد أحواد قريش المعروفين بلقب زاد الراكب؛ إذ كان لا يرافقه أحد في سفر إلا كفاه زاده. وزوجها الذي مات عنها صحابي من بني مخزوم ابن عمه المصطفى ﷺ وأخوه من الرضاعة ذو المهجرتين إلى الحبشة ثم إلى المدينة. وكانت هي و زوجها من السابقين إلى الإسلام. وكانت هجرتهما إلى المدينة معًا وقد حدث لها ولطفها أحداث أليمة ومثيرة ذكرتها كتب السير. رضي الله عن أم سلمة.. ولا نامت أعين المرجفين.

**الزوجة الخامسة: زينب بنت جحش:** لم أر امرأة قط خيرًا في الدين من زينب، وأتقى الله وأصدق حديثًا وأوصل للرحم وأعظم صدقة وأشد تبديلاً إلا لنفسها في العمل الذي تتصدق وتتقرب به إلى الله عز وجل؟ (٤). هكذا تحدثت أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - عن " ضرّتها " زينب بنت جحش. أما المبطلون

(١) - تراجم لسيدات بيت النبوة للدكتورة بنت الشاطي: ص ٢٥٠ وما بعدها عن حقائق الاسلام الشبهة ٥١.

(٢) - المصدر السابق.

(٣) - سيدات بيت النبوة للدكتورة بنت الشاطي، ص ٣٢٤.

(٤) - صحيح مسلم كتاب الفضائل ح(٢٤٤٢). والنسائي في الكبرى (٣٩٤٤).

الحاقدون من بعض أهل الكتاب فقالوا: أُعجِب محمد ﷺ. وحاشا له - بزوجة متبناه " زيد بن حارثة " فطلقها منه وتزوجها.

ويرد الدكتور هيكل في كتابه " حياة محمد " (١) ﷺ على هذا فيقول: إنها شهوة التبشير المكشوف تارة والتبشير باسم العلم تارة أخرى، والخصومة القديمة للإسلام تأصلت في النفوس منذ الحروب الصليبية هي التي تملئ على هؤلاء جميعاً ما يكتبون. والحق الذي كنا نود أن يلتفت إليه المبطلون الحاقدون على الإسلام ورسوله ﷺ.. هو أن زواج محمد ﷺ من زوجة ابنه بالتبني زيد بن حارثة إنما كان لحكمة تشريعية أرادها الإسلام لإبطال هذه العادة. عادة التبني. التي هي في الحقيقة تزييف لحقائق الأمور كان لها في واقع الناس والحياة آثار غير حميدة.

ولأن هذه العادة كانت قد تأصلت في مجتمع الجاهلية اختارت السماء بيت النبوة بل نبي الرسالة الخاتمة نفسه ﷺ ليتم على يديه وفي بيته الإعلان العلمي عن إبطال هذه العادة.

وتجدر الإشارة هنا إلى مجموعة الآيات القرآنية التي جاءت إعلاناً عن هذا الحكم المخالف لعادات الجاهلية وتفسيراً للتشريع الجديد في هذه . المسألة و في موضوع الزواج بزینب حيث تقول: { ما كان محمد أباً أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين } [ الأحزاب: ٤٠ ]. { ادعوهم لأبائهم هو أقسط عند الله فإن لم تعلموا آباءهم فإخوانكم في الدين ومواليكم } [ الأحزاب: ٥ ]. { وإذ تقول للذي أنعم الله عليه وأنعمت عليه أمسك عليك زوجك واتق الله وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه فلما قضى زيد منها وطراً زوجناكها لكيلا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم إذا قضوا منهن وطراً وكان أمر الله مفعولاً } [ الأحزاب: ٣٧ ].

مرة أخرى نذكر بأن زواج الرسول ﷺ من زينب لم تكن وراءه أبداً شهوة أو رغبة جنسية وإنما كان أمراً من قدر الله وإرادته لإبطال عادة التبني من خلال تشريع يتردد صداه بأقوى قوة في المجتمع الجاهلي الذي كانت عادة التبني أصلاً من أصوله وتقليداً مستقرًا فيه، فكان السبيل لأبطالها أن يتم التغيير في بيت النبوة وعلى يد الرسول نفسه ﷺ ، وقد فطنت السيدة " زينب بنت جحش " نفسها إلى هذا الأمر فكانت تباهي به ضرائها وتقول لهن: " زوجكن أهاليكن وزوجني ري من فوق سبع سموات " (٢).

أما لماذا كان زيد بن حارثة نفسه يتردد على الرسول معرّباً عن رغبته في تطليق زينب؛ فلم يكن - كما زعم المرجفون - أنه شعر أن الرسول يرغب فيها فأراد أن يتنازل عنها له ، ولكن لأن حياته معها لم تكن على الوفاق أو التواد المرغوب فيه؛ ذلك أن زينب بنت جحش لم تنس أبداً. وهي الحسيبة الشريفة والجميلة أيضاً أنها أصبحت زوجاً لرجل كان رقيقاً عند بعض أهلها وأنه . عند الزواج بها . كان مولئاً للرسول ﷺ أعتقه بعد ما اشتراه ممن أسره من قريش وباعه بمكة ، فهو . وإن تناه محمد وبات يسمى زيد بن محمد في عرف المجتمع المكسي كله، لكنه عند العروس الحسيبة الشريفة والجميلة أيضاً ما يزال . كما كان بالأمس - الأسير الرقيق الذي لا يمثل حُلم من تكون في مثل حالها من الحسب والجمال وليس هذا بغريب بل إنه من طبائع الأشياء.

(١) - محمد حسين هيكل " حياة محمد " ، ص ٢٠٩ . دون بيانات

(٢) - رواه البخاري كتاب التوحيد ج (٦١٠٨)

ومن ثم لم تتوهج سعادتها بهذا الزواج، وانعكس الحال على زيد بن حارثة فانطفأ في نفسه توهج السعادة هو الآخر، وبات مهياً النفس لفراقها بل لقد ذهب زيد إلى الرسول صلى الله عليه وسلم يشكو زينب إليه كما جاء في البخاري من حديث أنس قال: جاء زيد يشكو إلى الرسول فجعل ﷺ يقول له: {أمسك عليك زوجك واتق الله} قال أنس: لو كان النبي كاتماً شيئاً لكتم هذا الحديث. لكن الرسول ﷺ كان يقول له كما حكته الآية: أمسك عليك زوجك ولا تسارع بتطليقها.

وزينب بنت جحش هي بنت عممة الرسول ﷺ - كما سبقت الإشارة - وهو الذي زوجها لمولاه "زيد" ولو كانت به رغبة فيها لاختارها لنفسه؛ وخاصة أنه رآها كثيراً قبل فرض الحجاب، وكان النساء في المجتمع الجاهلي غير محجبات فما كان يمنعه - إذًا - من أن يتزوجها من البداية؟! ولكنه لم يفعل، فالأمر كله ليس من عمل الإرادة البشرية لهم جميعاً: لا لزینب ولا لزيد ولا لمحمد ﷺ، ولكنه أمر قَدري شاءته إرادة الله لإعلان حكم وتشريع جديدين في قضية إبطال عادة "التبني" التي كانت سائدة في المجتمع آنذاك، يؤكد هذا ويدل عليه مجموع الآيات الكريمة التي تعلقتم بالموضوع في سورة الأحزاب .

أما الجملة التي وردت في قوله تعالى: {وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه} {الأحزاب: ٣٧}. فإن ما أخفاه النبي ﷺ هو كتم ما كان الله قد أخبره به من أن زينب - يوماً ما - ستكون زوجاً له؛ لكنه لم يصرح به خشية أن يقول الناس: إنه تزوج زوجة ابنه بالتبني (أ). والغريب في الأمر أن بعض المفسرين ترك الروايات الصحيحة والتي لا مطعن فيها، و ذكر روايات شاذة وغريبة، و منهم من لم يذكرها لكنه ذهب يفسر الآيات على ضوءها. وتلك الروايات ساقطة سنداً و متناً وهذا موقف لبعض الأئمة المحققين من المفسرين والمحدثين وغيرهم الذي وقفوا أمام هذه الروايات موقفاً حازماً صلباً، فمنهم من ذكرها و فندها، و منهم من أضرب عنها صفحاً بعد الإشارة إلى ضعفها و نكارتها.

قال ابن العربي بعد أن ذكر ملخص هذه الروايات، و بين عصمة النبي صلى الله عليه وسلم: هذه الروايات كلها ساقطة الأسانيد. (٣). و قال القرطبي بعد أن ذكر التفسير الصحيح لما كان يخفيه صلى الله عليه وسلم، وما الذي كان يخشاه من الناس: وهذا القول أحسن ما قيل في تأويل هذه الآية، وهو الذي عليه أهل التحقيق من المفسرين والعلماء الراسخين، كالزهري والقاضي بكر بن العلاء القشيري والقاضي أبي بكر بن العربي وغيرهم. فأما ما روي أن النبي صلى الله عليه وسلم هوى زينب امرأة زيد وربما أطلق بعض الميِّجان لفظ عشق فهذا إنما صدر عن جاهل بعصمة النبي ﷺ عن مثل هذا، أو مستخف بحرمته. (٤). وقال ابن كثير بعد أن ذكر الروايات الصحيحة: ذكر ابن أبي حاتم وابن جرير هاهنا آثاراً عن بعض السلف رضي الله عنهم أحببنا أن نضرب عنها صفحاً لعدم صحتها فلا نوردها، و قد روى الإمام أحمد هاهنا أيضاً حديثاً من رواية حماد بن

(١) - رواه مسلم ح (٢٨٨) والترمذي ح (٣٢٠٧) وأحمد وغيرهم .

(٢) - انظر فتح الباري (٥٢٣/٨ - ٥٢٤) مرجع سابق. عن سيدات بيت النبوة لبنات الشاطي ص ٣٥٤.

(٣) - ابن عربي، أحكام القرآن (٥٧٧/٣). الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة: الثالثة، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م

(٤) - الجامع لأحكام القرآن (١٩١/١٤). مرجع سابق .

زيد عن ثابت عن أنس رضي الله عنه فيه غرابة تركنا سياقه أيضاً (١). و قال ابن حجر بعد أن ذكر الروايات الصحيحة: و وردت آثار أخرى أخرجه ابن أبي حاتم والطبري و نقلها كثير من المفسرين لا ينبغي التشاغل بها (٢). و هناك ثُلَّة كبيرة من علماء الإسلام في العصر الحاضر تفتنوا لمثل هذه الأخبار، ورمقت أبصارهم ما تنطوي عليه من مداخل خطيرة لا تليق بمقام الأنبياء، فأثار الله بصائرهم لكشف النقاب عن هذه الآثار الدخيلة، فكان لهم الفضل في التنبيه وإيقاظ الفكر الإسلامي للتصدي لكل دسيسة يراد منها النيل من قداسة رسول الله ﷺ، أو تشويه الحقائق التاريخية في تراث الإسلام. يقول الشيخ محمد رشيد رضا: وللقصاص في هذه القصة كلام لا ينبغي أن يجعل في حيز القبول، و يجب صيانة النبي ﷺ عن هذه الترهات التي نسبت إليه زوراً و بهتاناً. (٣)

و خلاصة الأمر.. كان زواج الرسول ﷺ من زينب بنت جحش للال ذي القعدة من العام الخامس الهجري و هي بنت خمس وثلاثين (٤). روى البخاري (٥) أن زيدا جاء يشكو زوجته، فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يقول: "اتق الله وأمسك عليك زوجك"، قالت عائشة: لو كان رسول الله ﷺ كاتماً شيئاً، لكتم هذه، فكانت تفخر على أزواج النبي ﷺ، تقول: زوجكن أهاليكن، و زوجني الله من فوق سبع سماوات.

**الزوجة السادسة: جويرية بنت الحارث الخزاعية:** الأميرة الحسنة التي لم تكن امرأة أعظم بركة على قومها منها فقد أعتق الرسول ﷺ بعد زواجه بها أهل مائة بيت من بني المصطلق (التي هي منهم)، كانت ممن وقع في الأسر بعد هزيمة بني المصطلق من اليهود في الغزوة المسماة باسمهم. وكتبها من وقعت في أسره على مال فذهبت إلى الرسول ﷺ فقال لها: "أو خير من ذلك؟ قالت: وما هو؟ قال: أفضى عنك كتابتك وأتزوجك. قالت: وقد أفاقت من مشاعر الهوان والحزن: نعم يا رسول الله. قال: قد فعلت" (٦)، وذاع الخبر بين المسلمين: أن رسول ﷺ قد تزوج بنت الحارث بن ضرار زعيم بني المصطلق وقائدهم في هذه الغزوة.. معنى هذا أن جميع من بأيديهم من أسرى بني المصطلق قد أصبحوا بعد هذا الزواج كأنهم أصحاب رسول الله ﷺ، وإذا تيار من الوفاء والمجاملة من المسلمين للرسول ﷺ تجسد في إطلاق المسلمين لكل من بأيديهم من أسرى بني المصطلق وهم يقولون: أصحاب رسول الله، فلا نبيهم أسرى، ومع أن زواج الرسول ﷺ بهذه الأسيرة بنت سيد قومها والذي جاءته ضارعة مذعورة مما يمكن أن تتعرض له من الذل من بعد عزة.. فإذا هو يرحمها بالزواج، ثم يتيح لها الفرصة لأن تعلن إسلامها وبذا تصبح واحدة من أمهات المؤمنين.

(١) - تفسير القرآن العظيم (٤٢٥/٦). مرجع سابق طبعة طيبة

(٢) - فتح الباري (٥٢٤/٨)، مرجع سابق

(٣) - محمد رشيد رضا، (محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم) (ص ٢٧٥). ط ١

(٤) - ابن سعد في الطبقات (١١٤/٨). مرجع سابق .

(٥) - صحيح البخاري (برقم ٧٤٢٠) الصحيح

(٦) - رواه البخاري: فتح الباري \_ كتال النكاح باب ١٤.

ويقولون: إنه نظر إليها : وأقول: أما أنه نظر إليها فهذا لا يعيبه . وربما كان نظره إليها ضارعة مدعورة - هو الذي حرك في نفسه ﷺ عاطفة الرحمة التي كان يأمر بها بمن في مثل حالتها ويقول: [أرحموا عزيز قوم ذل]، فرحمها وخيرها فاختارت ما يحميها من هوان الأسر ومذلة الأعزة من الناس ، على أن النظر شرعاً مأذون به عند الإقدام على الزواج - كما في هذه الحالة - وكما أمر به ﷺ أحد أصحابه عند رغبته في الزواج - قائلاً له: [انظر إليها فإنه أحرى أن يؤدم بينكما] (١). وقد توفيت في دولة بني أمية وصلى عليها عبد الملك بن مروان وهي في السبعين من العمر - رضي الله عنها.

**الزوجة السابعة: صفية بنت حبيّ . عقيلة بنى النضير:** إحدى السبايا اللاتي وقعن في الأسر بعد هزيمة يهود بني قريظة أمام المسلمين في الوقعة المسماة بهذا الاسم، كانت من نصيب النبي ﷺ فأعتقها وتزوجها: فماذا في ذلك؟! ولم يكن عتقه إياها وتزوجها بدعاً في ذلك؛ وإنما كان موقفاً جانب الإنسانية فيه هو الأغلب والأسبق، لها شبهة خاصة ورد عليها

**الزوجة الثامنة: أم حبيبة بنت أبي سفيان** نجدة نبوية مسلمة في محنة: إنها أم حبيبة "رملة" بنت أبي سفيان كبير مشركي مكة وأشد أهلها خصومة لمحمد صلوات الله وسلامه عليه، كانت زوجاً لعبيد الله بن جحش وخرجاً معاً مهاجرين بإسلامهما في الهجرة الأولى إلى الحبشة، وكما هو معروف أن الحبشة في عهد النجاشي كانت هي المهجر الآمن للفارين بدينهم من المسلمين حتى يخلصوا من بطش المشركين بهم وعدوانهم عليهم؛ فإذا هم يجدون في - ظل النجاشي - رعاية وعناية لما كان يتمتع به من حس إيماني جعله يرحب بأتباع النبي الجديد الذي تم التبشير بمقدمه في كتبهم على لسان عيسى بن مريم - عليه السلام - كما تحدث القرآن عن ذلك في صورة الصف في قوله: {وإذ قال عيسى بن مريم يا بني إسرائيل إني رسول الله إليكم مصدقاً لما بين يدي من التوراة ومبشراً برسول يأتي من بعدى اسمه أحمد} [الصف: ٦].

لكن أم حبيبة بنت أبي سفيان كانت وحدها التي تعرضت لمحنة قاسية لم يتعرض لمثلها أحد من هؤلاء المهاجرين الأوائل إلى الحبشة؛ ذلك أن زوجها عبيد الله بن جحش قد أعلن ارتداده عن الإسلام ودخوله في النصرانية وما أصعب وأدق حال امرأة باتت في محنة مضاعفة: محنتها في زوجها الذي ارتد وخان ، ومحنتها السابقة مع أبيها الذي فارقت مغاضبة إياه في مكة منذ دخلت في دين الله (الإسلام). وفوق هاتين المحنتين كانت محنة الاغتراب حيث لا أهل ولا وطن ثم كانت محنة حملها بالوليدة التي كانت تنتظرها والتي رزقت بها من بعد وأسمتها "حبيبة" .. كان هذا كله أكبر من عزم هذه المسلمة الممتحنة من كل ناحية والمبتلاة بالأب الغاضب والزوج الخائن!! لكن عين الله ثم عين محمد ﷺ سخرت لها من لطف الرعاية وسخائها ما يسر العين ويهون الخطب، وعادت بنت أبي سفيان تحمل كنية جديدة، وبدل أن كانت " أم حبيبة " أصبحت " أم المؤمنين " وزوج سيد المسلمين - صلوات الله وسلامه عليه.

والحق أقول: لقد كان نجاشي الحبشة من خلص النصارى فأكرم وفادة المهاجرين عامة وأم المؤمنين بنت أبي سفيان بصفة خاصة. فأنفذ في أمرها مما بعث به إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يحظبها له. وكانت

(١) - رواه البخاري: فتح الباري - كتاب النكاح باب ٣٦.

خطبة الرسول ﷺ لأم حبيبة بنت أبي سفيان نعم الإنقاذ والنجدة لهذه المسلمة المبتلاة في الغربية؛ عوضتها عن الزوج الخائن برعاية سيد البشر صلى الله عليه وسلم؛ وعوضتها عن غضب الأب "أبي سفيان" برعاية الزوج الحاني الكريم صلوات الله عليه ، كما كانت هذه الخطبة في مردودها السياسي . لطمة كبيرة لرأس الكفر في مكة أبي سفيان بن حرب الذي كان تعقيبه على زواج محمد لابنته هو قوله: "إن هذا الفحل لا يجده أنفه"؛ كناية عن الاعتراف بأن محمداً لن تنال منه الأيام ولن يقوى أهل مكة - وهو على رأسهم - على هزيمته والخلاص منه لأنه ينتقل كل يوم من نصر إلى نصر. كان هذا الاعتراف من أبي سفيان بخاطر محمد وقوته كأنه استشفاف لستر الغيب أو كما يقول المعاصرون: تنبؤ بالمستقبل القريب وتمام الفتحة.

فما لبث أن قبل أبو سفيان دعوة الرسول ﷺ إياه إلى الإسلام وشهد ألا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، وتقدم أحد الصحابة إلى رسول الله ﷺ يسأله قائلاً: " إن أبا سفيان رجل يحب الفخر فهلا جعلت له ما يحل عقده ويسكن حقه وغيظه، فقال صلوات الله وسلامه عليه في ضمن إعلانه التاريخي الحضاري العظيم لأهل مكة عند استسلامهم وخضوعهم بين يديه:

- من دخل داره فهو آمن.
- ومن دخل المسجد الحرام فهو آمن.
- ومن دخل دار أبي سفيان فهو آمن " ١ .

وانتصر الإسلام وارتفع لواء التوحيد ودخل الناس في دين الله أفواجا. وفي مناخ النصر العظيم.. كانت هي سيدة غمرتها السعادة الكبرى بانتصار الزوج ونحاة الأب والأهل من شر كان يوشك أن يحيط بهم. تلکم هي أم المؤمنين أم حبيبة بنت أبي سفيان التي أحاطتها النجدة النبوية من خيانة الزوج وبلاء الغربية ووضعتها في أعز مكان من بيت النبوة.

**الزوجة التاسعة: ميمونة بنت الحارث الهلالية أرملة يسعدها أن يكون لها رجل: آخر أمهات المؤمنين..**  
توفي عنها زوجها أبو رهم بن عبد العزى العامري؛ فانتهدت ولاية أمرها إلى زوج أختها العباس الذي زوجها رسول الله ﷺ ؛ حيث بنى بها الرسول . في " سرف " قرب " التنعيم " على مقربة من مكة حيث يكون بدء الإحرام للمعتمرين من أهل مكة والمقيمين بها ، وقيل: إنه لما جاءها الخاطب بالبشرى قفزت من فوق بعيرها وقالت: البعير وما عليه لرسول الله ﷺ ، وقيل: إنها هي التي وهبت نفسها للنبي والتي نزل فيها قوله تعالى: { وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبي إن أراد النبي أن يستنكحها خالصة لك من دون المؤمنين.. } [الاحزاب: ٥٠] ، وكانت آخر أمهات المؤمنين وآخر زوجاته ﷺ . (٢)

**الثامن والعشرون : كيف ستشعر هذه المرأة التي قُتل أبوها وأخوها وزوجها في الحرب على أيدي جيش محمد وهي ترى نفسها في آخر النهار على**

(١) - رواه البخارى - فتح البارى - " كتاب المغازى " .

(٢) - حقائق الاسلام في مواجهة شبهات المشككين ، شبهة رقم ٥١ .

## نفس السرير مع قاتلهم؟ وأشير بذلك إلى صفيّة بنت حيي! لا يمكن لربّ أن يقول بذلك أبداً!!

الرد : بخصوص صفيّة رضي الله عنها : فإليك بعض الحقائق المفيدة في دحضها :

١- في البداية نقول صفيّة من نسل هارون بن عمران عليه السلام ، وعمها هو موسى بن عمران عليه السلام ، وهي زوجة نبي هو أفضل البشر ، محمد بن عبد الله ﷺ ، علّمها النبي كيف تدافع عن نفسها أمام زوجاته :  
عَنْ أَنَسٍ قَالَ : بَلَغَ صَفِيَّةٌ أَنَّ حَفْصَةَ قَالَتْ بِنْتُ يَهُودِيٍّ !! فَبَكَتْ فَدَخَلَ عَلَيْهَا النَّبِيُّ ﷺ وَهِيَ تَبْكِي فَقَالَ ( مَا يُبْكِيكِ ) فَقَالَتْ : قَالَتْ لِي حَفْصَةُ : إِي بِنْتُ يَهُودِيٍّ . فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ ( إِنَّكَ لَا بِنْتُ نَبِيٍّ ، وَإِنَّ عَمَّكَ لَنَبِيٍّ ، وَإِنَّكَ لَتَحْتِ نَبِيٍّ ؛ فَيَمِمْ تَفْخَرُ عَلَيْكَ ) ثُمَّ قَالَ ( أَتَقِي اللَّهَ يَا حَفْصَةُ ) (١).

٢- لم يحصل من النبي ﷺ جماع لصفيّة رضي الله عنها إلا بعد أن انقضت عدتها . عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَدِمَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَيْرَ فَلَمَّا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْخِصْنَ ذُكِرَ لَهُ جَمَالُ صَفِيَّةَ بِنْتِ حَيٍّ بْنِ أَخْطَبٍ وَقَدْ قُتِلَ زَوْجُهَا وَكَانَتْ عَرُوسًا فَاصْطَفَاهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِنَفْسِهِ فَخَرَجَ بِهَا حَتَّى بَلَغْنَا سَدَّ الرَّوْحَاءِ حَلَّتْ فَبَنَى بِهَا (٢).

قال ابن حجر: قوله " حلّت " أي : طهرت من الحيض (٣). وعند مسلم(٤) عن أنس : " ثم دفعها - أي : صفيّة - إلى أم سليم تصنعها له وتهيئها وتعتد في بيتها " . قال النووي :

أما قوله " تعتد " فمعناه : تستبرئ ؛ فإنها كانت مسبية يجب استبرؤها وجعلها في مدة الاستبراء في بيت أم سليم ، فلما انقضت الاستبراء جهزتها أم سليم وهياتها أي : زينتها وجملتها على عادة العروس ، بما ليس بمنهي عنه من وشم ووصل وغير ذلك من المنهي عنه(٥).

٤. ولم يحصل جماع النبي ﷺ لصفيّة إلا بعد أن أعلنت إسلامها ، وبعد أن أعتقها ، فهو لم يجامعها وهي يهودية ، ولا وهي أمة ، بل كانت زوجة له وقد أمهرها وكان مهرها عتقها ، وصنع لها وليمة عرس . عن إبراهيم بن جعفر عن أبيه قال : لما دخلت صفيّة على النبي ﷺ قال لها ( لم يزل أبوك من أشد يهود لي عداوة حتى قتله الله ) فقالت : يا رسول الله إن الله يقول في كتابه { ولا تزر وازرة وزر أخرى } [ الأنعام / ١٦٤ ] ، فقال لها رسول الله : اختاري ، فإن اخترت الإسلام أمسكتك لنفسي ، وإن اخترت اليهودية فعسى أن أعتقك فتلحقني بقومك ، فقالت : يا رسول الله لقد هويت الإسلام وصدقت بك قبل أن تدعوني ، حيث صرت إلى رحلك وما لي في اليهودية أرب ، وما لي فيها والد ولا أخ ، وخبيرني الكفر والإسلام ، فالله ورسوله أحب إلي من العتق وأن أرجع إلى قومي ، قال : فأمسكها رسول الله لنفسه (٦).

(١) - رواه أحمد (١١٩٨٤) والترمذي (٣٨٩٤) وصححه الألباني في صحيح الترمذي

(٢) - رواه البخاري (٢١٢٠)

(٣) - ابن حجر ، " فتح الباري " (٧ / ٤٨٠)

(٤) - صحيح مسلم (١٣٦٥)

(٥) - " شرح مسلم " (٩ / ٢٢٢) .

(٦) - " الطبقات الكبرى " (٨ / ١٢٣) .

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَدِمَ النَّبِيُّ ﷺ خَيْبَرَ ... فَبَنَى بِهَا ثُمَّ صَنَعَ حَيْسًا فِي نِطْعٍ صَغِيرٍ ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَذِنَ مَنْ حَوْلَكَ فَكَانَتْ تِلْكَ وَليمةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَلَى صَفِيَّةَ ثُمَّ خَرَجْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ قَالَ فَرَأَيْتَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يُحَوِّي لَهَا وَرَاءَهُ بَعَاءَةً ثُمَّ يَجْلِسُ عِنْدَ بَعِيرِهِ فَيَضَعُ رُكْبَتَهُ فَتَضَعُ صَفِيَّةُ رِجْلَهَا عَلَى رُكْبَتِهِ حَتَّى تَرْكَبَ!! (١) " فبنى بها " : دخل بها والبناء الدخول بالزوجة ، " حيساً " : خليطاً من التمر والأقط والسمن ويقال

من التمر والسويق أو التمر والسمن ، " نطع " جلود مذبوغة يجمع بعضها إلى بعض وتفرش ، " آذن من حولك " : أعلمهم ليحضرُوا وليمة العرس ، " يحوي " : يدير كساء فوق سنام البعير ثم يركبه .

٤ - وكان النبي ﷺ قد أخبر صفية رضي الله عنها بما حصل عليه وعلى الإسلام من والدها ، فما زال يخبرها ويعتذر لها حتى ذهب ما في نفسها عليه ، فلم يعاشرها وهي مبغضة له كما يزعم المغرضون الكاذبون ، بل كان ذلك بعد إسلامها وزواجها وزوال ما في نفسها على النبي ﷺ حتى استحققت شرف أمومة المسلمين ، عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه قال : ... قالت صفية : وكان رسول الله ﷺ من أبغض الناس إليّ قتل زوجي وأبي وأخي فما زال يعتذر إليّ ويقول : ( إن أباك ألب علي العرب وفعل وفعل ) حتى ذهب ذلك من نفسي . ( ٢ )

٥ - وكانت صفية قد رأت رؤيا عبّرها لها زوجها اليهودي بأنها تتزوج النبي ﷺ ، فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنه قال : ... ورأى رسول الله ﷺ بعيني صفية خضرة فقال : ( يا صفية ما هذه الخضرة ؟ ) فقالت : كان رأسي في حجر ابن أبي حقيق ، وأنا نائمة فرأيت كأن قمرًا وقع في حجري فأخبرته بذلك ، فلطمني وقال : تمّنين ملك يثرب ؟ ( ٣ ) .

فهذا توضيح وبيان لحادثة صفية بنت حيي رضي الله عنها ، ثم إن صفية رضي الله عنها عاشت بقية عمرها على ذكرى زوجها محمد ﷺ ولم تهاجر وتلحق بأهلها ظلت في مدينة الرسول على ما فارقتها عليه ﷺ ، وقد كانت تستطيع في أي وقت أن ترحل إليهم .

## التاسع والعشرون : حول عصمة الرسول ﷺ وموقف القرآن من العصمة (\*) (٤)

هناك من لا يعترفون بأن الرسول معصوم عن الخطأ، ويقدمون الأدلة على ذلك بسورة [عبس وتولى] وكذلك عندما جامل الرسول ﷺ ، زوجاته، ونزلت الآية الكريمة التي تنهاه عن ذلك..... الرد على الشبهة: الرسول بشر يُوحى إليه.. أي أنه مع بشريته له خصوصية الاتصال بالسماء، بواسطة الوحي.. ولذلك فإن هذه المهمة تقتضى صفات يصنعها الله على عينه فيمن يصطفيه، كي تكون هناك مناسبة بين هذه الصفات وبين هذه المكانة والمهام الخاصة الموكلة إلى صاحبها.

(١) - رواه البخاري ( ٢١٢٠ ) .

(٢) - رواه ابن حبان في " صحيحه " ( ١١ / ٦٠٧ ) ، وحسنه الألباني

(٣) - رواه ابن حبان في " صحيحه " ( ١١ / ٦٠٧ ) وحسنه الألباني .

(٥) - الشبهة ٤٧ من حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين والرد ل أ.د. محمود حمدي زقزوق

والرسول مكلف بتبليغ الرسالة، والدعوة إليها، والجهاد في سبيل إقامتها وتطبيقها.. وله على الناس طاعة  
 هى جزء من طاعة الله {أطيعوا الله وأطيعوا الرسول} [النساء: ٥٩] {قل أطيعوا الله والرسول} [آل عمران:  
 ٣٢] {من يطع الرسول فقد أطاع الله} [النساء: ٨٠] {قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله} [آل  
 عمران: ٣١] ولذلك كانت عصمة الرسل فيما يبلغونه عن الله ضرورة من ضرورات صدقهم والثقة في هذا  
 البلاغ الإلهي الذى اختيروا ليقوموا به بين الناس.. وبداهة العقل - فضلاً عن النقل - تحكم بأن مُرسل الرسالة  
 إذا لم يتخير الرسول الذى يصدق على رسالته، كان عابثاً.. وهو ما يستحيل على الله، الذى يصطفى  
 من الناس رسلاً تؤهلهم العصمة لإضفاء الثقة والصدق على البلاغ الإلهي.. والحجة على الناس بصدق هذا  
 الذى يبلغون.

".. ومن لوازم ذلك بالضرورة: وجوب الاعتقاد بعلو فطرتهم، وصحة عقولهم، وصدقهم في أقوالهم،  
 وأمانتهم في تبليغ ما عهد إليهم أن يبلغوه، وعصمتهم من كل ما يشوه السيرة البشرية، وسلامة أبدانهم مما تنبو  
 عنه الأبصار وتنفر منه الأذواق السليمة، وأنهم منزهون عما يصاد شيئاً من هذه الصفات، وأن أرواحهم ممدودة  
 من الجلال الإلهي بما لا يمكن معه لنفس إنسانية أن تسطو عليها سطوة روحانية.. إن من حكمة الصانع  
 الحكيم - الذى أقام الإنسان على قاعدة الإرشاد والتعليم - أن يجعل من مراتب الأنفس البشرية مرتبة يُعدُّ لها،  
 بمحض فضله، بعض مَنْ يصطفيه من خلقه، وهو أعلم حيث يجعل رسالته، يميزهم بالفطرة السليمة، ويبلغ  
 بأرواحهم من الكمال ما يليقون معه للاستشراق بأنوار علمه، والأمانة على مكنون سره، مما لو انكشف  
 لغيرهم انكشافه لهم لفاضت له نفسه، أو ذهبت بعقله جلالته وعظمته، فيشرفون على الغيب بإذنه، ويعلمون  
 ما سيكون من شأن الناس فيه، ويكونون في مراتبهم العلوية على نسبة من العالمين، نهاية الشاهد وبداية  
 الغائب، فهم في الدنيا كأهم ليسو من أهلها، هم وفد الآخرة في لباس من ليس من سكانها.. أما فيما عدا  
 ذلك - [أى الاتصال بالسماء والتبليغ عنها] - فهم بشر يعترتهم ما يعترى سائر أفرادهم، يأكلون ويشربون  
 وينامون ويسهون وينسون فيما لا علاقة له بتبليغ الأحكام، ويمرضون وتمتد إليهم أيدى الظلمة، وينالهم  
 الاضطهاد، وقد يقتلون " (١).

فالعصمة - كالمعجزة - ضرورة من ضرورات صدق الرسالة، ومن مقتضيات حكمة من أرسل الرسل -  
 عليهم السلام -.. وإذا كان الرسول - كبشر - يجوز على جسده ما يجوز على أجساد البشر.. وإذا كان  
 الرسول كمجتهد قد كان يمارس الاجتهاد والشورى وإعمال العقل والفكر والاختيار بين البدائل في مناطق  
 وميادين الاجتهاد التى لم ينزل فيها وحى إلهي.. فإنه معصوم في مناطق وميادين التبليغ عن الله - سبحانه  
 وتعالى - لأنه لو جاز عليه الخطأ أو السهو أو مجانبة الحق والصواب أو اختيار غير الأولى في مناطق وميادين  
 التبليغ عن الله لتطرق الشك إلى صلب الرسالة والوحى والبلاغ، بل وإلى حكمة من اصطفاه وأرسله ليكون  
 حجة على الناس.. كذلك كانت العصمة صفة أصيلة وشرطاً ضرورياً من شروط رسالة جميع الرسل - عليهم  
 السلام -.. فالرسول في هذا النطاق - نطاق التبليغ عن الله - {وما ينطق عن الهوى} \* إن هو إلا وحى

(١) - [الأعمال الكاملة للإمام محمد عبده] ج ٢ ص ٤١٥، ٤١٦، ٤٢٠، ٤٢١. دراسة وتحقيق: د. محمد عمارة. طبعة القاهرة سنة ١٩٩٣م.

يوحى { [النجم: ٣-٤] . وبلاغة ما هو بقول بشر، ولذلك كانت طاعته فيه طاعة لله، وبغير العصمة لا يتأتى له هذا المقام.

أما اجتهادات الرسول ﷺ فيما لا وحى فيه، والتي هي ثمرة لإعماله لعقله وقدراته وملكاته البشرية، فلقد كانت تصادف الصواب والأولى، كما كان يجوز عليها غير ذلك.. ومن هنا رأينا كيف كان الصحابة، رضوان الله عليهم في كثير من المواطن وبإزاء كثير من مواقف وقرارات وآراء واجتهادات الرسول ﷺ يسألونه - قبل الإدلاء بمسألتهم في الرأي - هذا السؤال الذي شاع في السنة والسيره:

" يا رسول الله، أهو الوحي؟ أم الرأي والمشورة؟.. "

فإن قال: إنه الوحي. كان منهم السمع والطاعة له، لأن طاعته هنا هي طاعة لله.. وهم يسلمون الوجه لله حتى ولو خفيت الحكمة من هذا الأمر عن عقولهم، لأن علم الله - مصدر الوحي - مطلق وكلى ومحيط، بينما علمهم نسبي، قد تخفى عليه الحكمة التي لا يعلمها إلا الله.. أما إن قال لهم الرسول - جواباً عن سؤالهم -: إنه الرأي والمشورة.. فإنهم يجتهدون، ويشيرون، ويصوبون.. لأنه ﷺ هنا ليس معصوماً، وإنما هو واحد من المقدمين في الشورى والاجتهاد.. ووقائع نزوله عن اجتهاده إلى اجتهادات الصحابة كثيرة ومتناثرة في كتب السنة ومصادر السيرة النبوية - في مكان القتال يوم غزوة بدر.. وفي الموقف من أسراها.. وفي مكان القتال يوم موقعة أحد.. وفي مصالحة بعض الأحزاب يوم الخندق.. إلخ.. إلخ.

ولأن الرسول ﷺ قد أراد الله له أن يكون القدوة والأسوة للأمة {لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً} [الأحزاب: ٢١] .

وحتى لا يقتدى الناس باجتهاد نبوي لم يصادف الأولى، كان نزول الوحي لتصويب اجتهاداته التي لم تصادف الأولى، بل وعتابه - أحياناً - على بعض هذه الاجتهادات والاختيارات من مثل: {عبس وتولى\* أن جاءه الأعمى\* وما يدريك لعله يزكى\* أو يذكر فتنفعه الذكرى\* أما من استغنى\* فأنت له تصدى\* وما عليك ألا يزكى\* وأما من جاءك يسعى\* وهو يخشى\* فأنت عنه تلهي\*} [عبس: ١-١٠] . ومن مثل: {يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك تبتغي مرضاة أزواجك والله غفور رحيم\* قد فرض الله لكم تحلة إيمانكم والله مولاكم وهو العليم الحكيم\* وإذ أسر النبي إلى بعض أزواجه حديثاً فلما نبأت به وأظهره الله عليه عرف بعضه وأعرض عن بعض فلما نبأها به قالت من أنبأك هذا قال نبأني العليم الخبير\*} [التحریم: ١-٣] . ومن مثل: {ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم\* لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم\*} [الأنفال: ٦٧-٦٨] .

وغيرها من مواطن التصويب الإلهي للاجتهادات النبوية فيما لم يسبق فيه وحى، وذلك حتى لا يتأسى الناس بهذه الاجتهادات المخالفة للأولى، فالعصمة للرسول ﷺ، فيما يبلغ عن الله شرط لازم لتحقيق الصدق والثقة في البلاغ الإلهي، وبدونها لا يكون هناك فارق بين الرسول وغيره من الحكماء والمصلحين، ومن ثم لا يكون هناك فارق بين الوحي المعصوم والمعجز وبين الفلاسفات والإبداعات البشرية التي يجوز عليها الخطأ والصواب.. فبدون العصمة تصبح الرسالة والوحي والبلاغ قول بشر، بينما هي بالعصمة قول الله سبحانه

وتعالى الذى بلغه وبينه المعصوم ﷺ فعصمة المبلغ هي الشرط لعصمة البلاغ.. بل إنها - أيضاً - الشرط لنفى العيب وثبوت الحكمة لمن اصطفى الرسول وبعثه وأوحى إليه بهذا البلاغ... (١)

ولا يشكل عليه أيضاً كونه ﷺ ينسى الآية أحياناً، فإن هذا ليس نسياناً مطبقاً مطلقاً، بمعنى أنه لا يتذكرها، بل هو قد قرأها وحفظها أصحابه، ودونها الكتاب، ولكنها عزيت عنه تلك اللحظة فأسقطها، أو وقف يتذكرها، وهذه جبلة بشرية، ولهذا قال تعالى: { سنقرئك فلا تنسى إلا ما شاء الله إنه يعلم الجهر وما يخفى } [الأعلى: ٦-٧]. فهذا مما شاء الله، ومما شاء الله أن ينساه ﷺ. ما نسخت تلاوته من أي القرآن الكريم.

أما ما اجتهد فيه ﷺ فإنه لا يقر إلا على صواب، ولذلك "عوتب في شأن الأسرى بيدر { ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض... } [الأنفال ٦٧] (٢). وعوتب في شأن ابن أم مكتوم: { عبس وتولى أن جاءه الأعمى } [عبس: ١-٢] (٣) وعوتب في شأن زيد بن حارثة وزينب بنت جحش { وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه... } [الأحزاب: ٣٧] (٤).

فكان ﷺ يعلن ذلك لأصحابه، ويحفظه لهم، ويتلوهم عليهم، ويتعبد بهم بتلاوته، ولم يعبأ بمقالة اليهود والمنافقين، ولا باضطراب ضعفاء النفوس؛ لأن دين الله أعظم من ذلك كله، وهذا من أعظم कमالاته التي حلاها الله بها، وقال: { وإنك لعلى خلق عظيم } [القلم: ٤].

فإنَّ القول بأن الرسول ﷺ لم يقع منه خطأ، مخالف لظاهر القرآن؛ لأن الله سبحانه . الذي أرسله بالحق، وهو أعلم به . قد عاتبه في غير ما آية، ولا يكون العتاب إلا بسبب وقوع خطأ منه ﷺ وقد يستعظم بعض الناس القول بهذا، زاعماً أن ذلك ينقص من قدر النبي ﷺ وليس الأمر كذلك؛ فحق الله أعظم، والإيمان بكلامه الذي نقله الرسول ﷺ أولى من هذا الزعم .

في الرسول جانبان : جانب بشري، وجانب نبوي، أما الجانب البشري فهو فيه كالبشر: يجب ويكره، ويرضى ويغضب، ويأكل ويشرب، ويقوم وينام... إلخ، مع ما ميّزه الله به في هذا الجانب في بعض الأشياء؛ كسلامة الصدر، والقوة في النكاح، وعدم نوم القلب، وغيرها من الخصوصات التي تتعلق بالجانب البشري. ومن هذا الجانب قد يقع من النبي ﷺ بعض الأخطاء التي يعاتبه الله عليها، ولك أن تنظر في جملة المعاتبات الإلهية للنبي ﷺ؛ كعتابه بشأن أسرى بدر، وعتابه بشأن زواجه من زينب، وعتابه في عبد الله بن أم مكتوم، وغيرها، وقد نصَّ الله على هذا الجانب في الرسل جميعهم صلوات الله وسلامه عليهم، ومن الآيات في ذلك: { قل سبحان ربي هل كنت إلا بشراً رسولاً } [الإسراء: ٩٣]، ومن الأحاديث قوله ﷺ: (إنما أنا بشر، وإنكم تختصمون إلي، ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض، وأقضي له على نحو ما أسمع، من حق له أخيه شيئاً، فلا يأخذ، وإنما أقطع له من النار) (٥). وتكمن العصمة في هذا الجانب في أن الله يُنبئ نبيه ﷺ

(١) - شبهات المشككين والرد ل د . زقزوق شبهة رقم ٤٧

(٢) - انظر الترمذي (٣٠٨٤) عن عبد الله بن مسعود، وأبو داود (٢٦٩٠) عن عبد الله بن عباس

(٣) - انظر الترمذي (٣٣٣١) عن عائشة.

(٤) - ، انظر البخاري (٤٨٨٧) عن أنس

(٥) - " (رواه البخاري (٦٩٦٧)، ومسلم (١٧١٣) من حديث أم سلمة -رضي الله عنها-

على ما وقع منه من خطأ، وهذا ما لا يتأتى لأحد من البشر غيره، فتأمله فإنه من جوانب العصمة . وأما الجانب النبوي، وهو جانب التبليغ، فإنه لم يرد البتة أن النبي ﷺ خالف فيه أمر الله؛ كأن يقول الله له: قل لعبادي يفعلوا كذا فلا يقول لهم، أو يقول لهم خلاف هذا الأمر، وهذا لو وقع فإنه مخالف للنبوة، ولذا لما سُحِرَ النبي ﷺ لم يُؤثر هذا السحرُ في الجانب النبوي<sup>(١)</sup>، بل أثر في الجانب البشري، ومن ثمَّ فجانِب التبليغ في النبي ﷺ معصوم، ويدل على هذا الجانب قوله تعالى: {وما ينطق عن الهوى، إن هو إلاَّ وحي يوحى} [النجم: ٤-]

## ثلاثون : مات النبي ﷺ بالسم

حين تصاب القلوب بالعمى بسبب ما يغشاها من الحقد والكراهية يدفعها حقدُها إلى تشويه الخصم بما يعيب، وبما لا يعيب، واتهامه بما لا يصلح أن يكون تهمته، حتى إنك لترى من يعيب إنساناً مثلاً بأن عينيه واسعتان أو أنه أبيض اللون طويل القامة، أو مثلاً قد أصيب بالحمى ومات بها، أو أن فلاناً من الناس قد ضربه وأسأل دمه؛ فهذا كأن أو أن تعيب الورد بأن لونه أحمر مثلاً؛ وغير ذلك مما يستهجنه العقلاء ويرفضونه ويرونه إفلاساً وعجزاً. أن محمداً ﷺ قدمت له امرأة من نساء اليهود شاة مسمومة فأكل منها فمات ﷺ وينقلون عن تفسير البيضاوي:

أنه لما فتحت خيبر واطمأن الناس سألت زينب بنت الحارس - وهي امرأة سلام بن مشكم (اليهودي) - عن أى الشاة أحب إلى محمد ﷺ؟ فقيل لها: إنه يجب الذراع لأنه أبعداها عن الأذى فعمدت إلى عنزة لها فذبحتها ثم عمدت إلى سم لا يلبث أن يقتل لساعته فسَمَّت به الشاة، وذهبت بها جارية لها إلى الرسول ﷺ وقالت له: يا محمد هذه هدية أهديها إليك، وتناول محمد الذراع فنهش منها.. فقال ﷺ: ارفعوا أيديكم فإن هذه الذراع والكتف تحزبنى بأنها مسمومة؛ ثم سار إلى اليهودية فسألها لم فعلت ذلك؟ قالت: نلت من قومي ما نلت... وكان ذلك بعد فتح "خيبر" أحد أكبر حصون اليهود في المدينة وأنه ﷺ قد عفا عنها. ثم يفصحون عن تفسير البيضاوي: أنه ﷺ لما اقترب موته قال لعائشة - رضي الله عنها - يا عائشة هذا أوان انقطاع أبحرى (الأبحران عرقان متصلان بالقلب وإذا قطعاً كانت الوفاة)، فليس في موته ﷺ بعد سنوات متأثراً بذلك السم إلا أن جمع الله له بين الحسينيين، أنه لم يسلط عليه من يقتله مباشرة وعصمه من الناس وأيضاً كتب له النجاة من كيد الكائدين وكذلك كتب له الشهادة ليكتب مع الشهداء عند ربه وما أعظم أجر الشهيد، أيضاً.. لا شك أن عدم موته بالسم فور أكله للشاة المسمومة وحياته بعد ذلك سنوات يُعد معجزة من معجزاته، وعَلَمًا من أعلام نبوته يبرهن على صدقه، وعلى أنه رسول من عند الله حقًا ويقينًا، وقد اقتضت حكمة الله تعالى أن يموت في الأجل الذي أجله له رغم تأثره بالسم من لحظة أكله للشاة المسمومة حتى موته بعد ذلك بسنوات.<sup>(٢)</sup>

(١) - انظر ما رواه البخاري (٣٢٦٨)، ومسلم (٢١٨٩) من حديث عائشة - رضي الله عنها -  
(٢) - حقائق الاسلام في مقابل شبهات المشككين، رقم ٥٠.

## الواحد والثلاثون : كيف تزعمون أن محمداً (اصطفاه الله للرسالة وهيئته، مع وصفه له بالضلال ، فهو كقومه كان وثنياً، {ووجدك ضالاً فهدى} ، الضحى: ٧)؟ (١)

١- إن العرب كانت إذا وجدت شجرة منفردة في فلاة من الأرض لا شجر معها سموها ضالة، فتهتدي بها على الطريق، فقال الله تعالى لنبيه: (ووجدك ضالاً فهدى) أي وجدك لا أحد على دينك فهديت بك الخلق (٢)، ومن هذا قول: (الحكمة ضالة المؤمن). أي أن الضلال هنا المقصود به الحقيقة اللغوية لا الشرعية، إذ لم يكن في ذلك الوقت شرع، وبعض المعاني اللغوية معنى جميل كما رأيت.

٢- وقيل: إنه من قولك: ضللت الطريق. أي لم تعرفه، ومنه قولهم: ضالة الإبل والغنم. يعني التي لم تهدد لقومها، فالنبي ﷺ كان موحداً عارفاً بالله بفطرته وعقله، ولكنه لم يعرف كيف يعبد؛ لأنه لم ينزل عليه شرع، فهو ضال بهذا المعنى، أي لم يعرف طريق العبادة الصحيحة.

قال الراغب: (الضلال ترك الطريق المستقيم؛ عمداً كان أو سهواً، قليلاً كان أو كثيراً، ويصح أن يستعمل لفظ الضلال ممن يكون منه خطأ ما، ولذلك نسب إلى الأنبياء، وإلى الكفار، وإن كان بين الضلالين بون بعيد، ألا ترى أنه قال في النبي: {ووجدك ضالاً فهدى} [الضحى: ٧]، أي غير مهتد لما سبق إليك من النبوة، وقال في يعقوب: {قالوا تالله إنك لفي ضلالك القديم} [يوسف: ٩٥]، وقال أولاده: {إن أبانا لفي ضلال مبين} [يوسف: ٨] إشارة إلى شغفه بيوسف وشوقه إليه، وكذلك {قد شغفها حبا إنا لنراها في ضلال مبين} [يوسف: ٣٠]، وقال عن موسى عليه السلام: {قال فعلتها إذا وأنا من الضالين} [الشعراء: ٢٠] تنبيه أن ذلك منه سهو، وقوله: (أن تضل إحداهما... (البقرة: ٢٨٢) ، أي تنسى وذلك من النسيان الموضوع على الإنسان، والضلال من وجه آخر ضربان؛ ضلال في العلوم النظرية، كالضلال في معرفة الله ووحدانيته، ومعرفة النبوة ونحوهما، المشار إليهما بقوله: {ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضل ضلالاً بعيداً} [النساء: ١٣٦]، وضلال في العلوم العملية، كمعرفة الأحكام الشرعية التي هي العبادات) (٣)، وهذا النوع يعذر فيه الإنسان إذا لم يبلغه، ألا ترى أن زيد بن عمرو بن نفيل (أحد العشرة المبشرين بالجنة) دخل الجنة مع أنه لم يعرف كيف يعبد الله تعالى، فقد أخرج البخاري عن عبد الله بن عمر (: أن النبي (لقي زيد بن عمرو بن نفيل بأسفل بلدح، قبل أن ينزل على النبي الوحي، فقدمت إلى النبي (سفرة فأبى أن يأكل منها، ثم قال زيد: إني لست آكل مما تذبحون على أنصابكم ولا آكل إلا ما ذكر اسم الله عليه، وأن زيد بن عمرو كان يعيب على قريش ذبائحهم، ويقول: الشاة خلقها الله وأنزل لها من السماء الماء، وأنبت لها من الأرض، ثم تذبحونها على غير اسم الله. إنكاراً لذلك وإعظاماً له) (٤).

وأخرج البخاري أيضاً عن ابن عمر (: أن زيد بن عمرو بن نفيل خرج إلى الشام يسأل عن الدين ويتبعه، فلقي عالماً من اليهود فسأله عن دينهم، فقال: إني لعلي أن أدين دينكم فأخبرني؟ فقال: لا تكون على ديننا

(١) - رد مفتريات على الإسلام، لشلي، ص: ٢٨، عن رسالة المجلس الملي القبطي الأرثوذكس بالإسكندرية التي رد عليها في الكتاب المذكور، و دائرة المعارف البريطانية (ص: ٢٢).

(٢) - إبي نمرات الأوراق لابن حجة الحموي (ص: ٢٩٣)، دار الجليل، بيروت، الطبعة الثانية ١٩٨٧.

(٣) - انظر لسان العرب (٣٩١/١١)، المفردات (ص: ٥١٠).

(٤) - أخرجه البخاري: (كتاب المناقب، باب حديث زيد بن عمرو بن نفيل، رقم: ٣٦١٤).

حتى تأخذ بنصيبك من غضب الله. قال زيد: ما أفر إلا من غضب ، الله ولا أحمل من غضب الله شيئا أبدا، وأنى أستطيعه فهل تدلني على غيره؟ قال: ما أعلمه إلا أن يكون حنيفا، قال زيد: وما الحنيف؟ قال: دين إبراهيم لم يكن يهوديا ولا نصرانيا ولا يعبد إلا الله، فخرج زيد فلقي عالما من النصارى فذكر مثله فقال: لن تكون على ديننا حتى تأخذ بنصيبك من لعنة الله. قال: ما أفر إلا من لعنة الله، ولا أحمل من لعنة الله ولا من غضبه شيئا أبدا، وأنى أستطيع، فهل تدلني على غيره؟ قال: ما أعلمه إلا أن يكون حنيفا. قال: وما الحنيف؟ قال: دين إبراهيم لم يكن يهوديا ولا نصرانيا ولا يعبد إلا الله، فلما رأى زيد قولهم في إبراهيم عليه السلام، خرج، فلما برز رفع يديه فقال: اللهم إني أشهدك أي على دين إبراهيم.

وقال الليث: كتب إلي هشام، عن أبيه، عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما، قالت: رأيت زيد بن عمرو بن نفيل قائما مسندا ظهره إلى الكعبة، يقول: يا معاشر قريش والله ما منكم على دين إبراهيم غيري. وكان يحيي الموءودة يقول للرجل إذا أراد أن يقتل ابنته: لا تقتلها أنا أكفيكها مئونها فيأخذها فإذا ترعرت، قال لأبيها: إن شئت دفعتها إليك وإن شئت كفيتك مئونها (١) ، وأخرج الإمام أحمد ، كان رسول الله ﷺ بمكة هو وزيد بن حارثة فمر بهما زيد بن عمرو بن نفيل، فدعواهما إلى سفرة لهما، فقال: يا ابن أخي إني لا أكل مما ذبح على النصب. قال: فما رأي النبي (بعد ذلك أكل شيئا مما ذبح على النصب. قال: قلت: يا رسول الله إن أبي كان كما قد رأيت وبلغك ، ولو أدركك لآمن بك واتبعك، فأستغفر له: قال «نعم» فاستغفر له؛ فإنه يبعث يوم القيامة أمة وحده). (٢)

فزيد بن عمرو مع جهله بطريق العبادة، إلا أن فطرته دلته على وجود الله، وعقله هداه إلى توحيد الله، فكان يعبد الله على حسب اجتهاده، فهو مع ضلاله عن طريق العبادة الصحيحة، إلا أنه كان معذورا لذلك أدخله الجنة، ومن هذا الباب معنى قوله تعالى: (ووجدك ضالا فهدى). أي ضالا عن طريق العبادة الصحيحة فذلك عليها له وإن كان عارفا بالله موحدا له.

٣- ثم إننا نلزمهم بأمر وهو: هل هم يقولون هذا أيضا في موسى عندما قال عن نفسه، {فعلتها إذا وأنا من الضالين} [الشعراء: ٢٠] .

٤- ثم إننا لو تنزلنا لهم وسلمنا لهم بالمعنى الذي يريدون، فإن هذا لا يضره؛ فهو معذور بعدم العلم فهو إذ لم يضل عن علم بل ضل بغير علم ، وهذا لا حرج عليه ولا مؤاخذه فيه، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (وأما وجوب كونه ) قبل أن يبعث نبيا لم يخطئ أو لا يذنب فليس في النبوة ما يستلزم هذا). (٣)

ولكن الحرج كل الحرج فيمن يعرف العلم والهدى ثم يتزك، كما هو حال اليهود والنصارى الذين يعرفون النبي ﷺ كما يعرفون أبناءهم. (٤)

(١) - أخرجه البخاري: كتاب المناقب، باب حديث زيد بن عمرو، برقم: ٣٦١٦.

(٢) - أخرجه الإمام أحمد في المسند (رقم: ١٦٥١) وإسناده حسن. ، وذكر ابن حجر في الإصابة أن الواقدي والفاكهي أخرجا بإسنادهما عن عامر بن ربيعة في حديث طويل، وفيه أن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال: «قد رأيت في الجنة يسحب ذبولا» (٢) الإصابة (٦١٦/٢) .

(٣) - منهاج السنة النبوية في الرد على الرافضة والقدرية، لأحمد بن عبد الحلیم بن تيمية (٣٩٦/٢) ، مكتبة ابن تيمية، القاهرة.

(٤) - دعاوى الطاعنين في القرآن الكريم في القرن الرابع عشر الهجري والرد عليها، عبد المحسن بن زين بن متعب المطيري ص ٣٣٥ وما بعدها

## الثاني والثلاثون : كيف سحر النبي ﷺ مع أن الله تعالى يذكر كلام الكفار، ووصفهم النبي بالمسحور في مقام الدم في قول الله على ألسنتهم: {إن تتبعون إلا رجلا مسحورا} [الفرقان: ٨]

هذا الشبهة تردد كثيرا، وللأسف يرددها كثيرا من المعاصرين من العلمانيين، ومن أصحاب المدرسة العقلية، ومن يعلم صلاحه ويظهر حبه للدين (١)

أولا: لا بد - أولا - أن نعرف أن حديث سحر النبي ﷺ ثابت في الصحيحين، وقد تقدم نقاش هذه الشبهة ونعيدها بأسلوب الدكتور شليبي: قال ابن القيم: وهو حديث ثابت عند أهل العلم بالحديث لا يختلفون في صحته، وقد اتفق أصحاب الصحيحين على تصحيحه، ولم يتكلم فيه أحد من أهل الحديث بكلمة واحدة، والقصة مشهورة عند أهل التفسير والسنن والحديث والتاريخ والفقهاء، وهؤلاء أعلم بأحوال رسول الله وأيامه من المتكلمين (٢)، ونص الحديث عن عائشة قالت: (سحر النبي حتى إنه ليخيل إليه أنه يفعل الشيء وما فعله - وفي رواية: وأنه يأتي أهله ولا يأتي - حتى إذا كان ذات يوم وهو عندي دعا الله ودعاه، ثم قال: «أشعرت يا عائشة أن الله قد أفناني فيما استفتيته فيه؟»، قلت: وما ذلك يا رسول الله؟ قال: «جاءني رجلان فجلس أحدهما عند رأسي والآخر عند رجلي، ثم قال أحدهما لصاحبه: ما وجع الرجل؟ قال: مطبوب. قال: ومن طبه؟ قال: لبيد بن الأعصم - اليهودي من بني زريق - قال: فيما ذا قال: في مشط ومشاطة وجف طلعة ذكر. قال: فأين هو؟ قال: في بئر ذي أروان قال: فذهب النبي (في أناس من أصحابه إلى البئر، فنظر إليها وعليها نخل ثم رجع إلى عائشة فقال: "والله لكأن ماءها نقاعة الحناء، ولكأن نخلها رءوس الشياطين». قلت: يا رسول الله أفأخرجته قال: «لا، أما أنا فقد عافاني الله وشفاني، وخشيت أن أثور على الناس منه شرا». وأمر بها فدفنت). (٣)

فظاهر من الحديث أن السحر كان في الأمور الدنيوية فهو يخيل إليه أنه أتى أهله ولكنه لم يفعل ويخيل إليه أنه فعل الشيء ولم يفعله يقول الشيخ رشيد رضا أن هذا كان خاصا فقط في إتيانه أهله، وأنه معنى قول عائشة: كان يخيل إليه أنه يأتي الشيء ولا يأتيه. كناية عن الجماع<sup>٤</sup>، وأما الأمور الشرعية والوحي، فإنه محفوظ من الخطأ فيها، كما ثبت في النصوص الكثيرة، كقوله تعالى: {وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى} [النجم: ٣-٤]. وعن عبد الله بن عمرو قال: كنت أكتب كل شيء أسمع من رسول الله ﷺ أريد حفظه فنهتني قريش وقالوا: أتكتب كل شيء تسمعه ورسول الله ﷺ بشر يتكلم في الغضب والرضا، فأمسكت عن الكتاب، فذكرت ذلك لرسول الله ﷺ فأومأ بأصبعه إلى فيه فقال: «أكتب فوالذي نفسي بيده ما يخرج منه إلا حق» (٥)

(١) - منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير، للرومي، (ص: ٣٤٧)

(٢) - (التفسير القيم لابن القيم (ص: ٥٦٦).)

(٣) - متفق عليه (البحاري: كتاب الطب، باب السحر، رقم: ٥٤٣٣، ومسلم: كتاب السلام، باب السحر، رقم: ٢١٨٩). (٤)

(٤) - كما جاء في تفسيره في الرواية الثانية. (انظر تفسير الفاتحة وست سور من خواتم القرآن، محمد رشيد رضا ص: ١٣٧). (٥)

(٥) - أخرجه أبو داود (كتاب العلم، باب في كتاب العلم، رقم: ٣٦٤٦) والإمام أحمد في المسند (رقم: ٦٤٧٤) والدارمي (المقدمة، باب من رخص في كتابة العلم، رقم: ٤٨٤)، وهو صحيح؛ انظر: صحيح سنن أبي داود للألباني (٢/٦٩٥) رقم: ٣٠٩٩. وغير ذلك من النصوص المتكاثرة

قال المازري: (أنكر المبتدعة هذا الحديث وزعموا أنه يحط منصب النبوة ويشكك فيها، قالوا: وكل ما أدى إلى ذلك فهو باطل. وزعموا أن تجويز هذا يعدم الثقة بما شرعه من الشرائع إذ يحتمل على هذا أن يخيل إليه أنه يرى جبريل وليس هو ثم، وأنه يوحي إليه بشيء ولم يوح إليه بشيء، قال المازري: وهذا كله مردود لأن الدليل قد قام على صدق النبي (فيما يبلغه عن الله تعالى وعلى عصمته في التبليغ، والمعجزات شهادات بتصديقه، فتجويز ما قام الدليل على خلافه باطل، وأما ما يتعلق ببعض الأمور الدنيا التي لم يبعث لأجلها ولا كانت الرسالة من أجلها، فهو في ذلك عرضة لما يعترض البشر كالأعراض، فغير بعيد أن يخيل إليه في أمر من أمور الدنيا ما لا حقيقة له مع عصمته عن مثل ذلك في أمور الدين، قال: وقد قال بعض الناس: إن المراد بالحديث أنه كان يخيل إليه أنه وطئ زوجاته ولم يكن وطأهن، وهذا كثيرا ما يقع تخيله للإنسان في المنام، فلا يبعد أن يخيل إليه في اليقظة. قلت والقائل ابن حجر: وهذا قد ورد صريحا في رواية ابن عيينة في الباب الذي يلي هذا ولفظه " حتى كان يرى أنه يأتي النساء ولا يأتيهن ". وفي رواية الحميدي " أنه يأتي أهله ولا يأتيهم ". قلت: ووقع في مرسل عبد الرحمن بن كعب عند ابن سعد " فقالت أخت لبيد بن الأعصم إن يكن نبيا فسيخبر، وإلا فسيذهله هذا السحر حتى يذهب عقله ".

قلت: فوقع الشق الأول ( يعني أنه أخبر ). كما في هذا الحديث الصحيح. وقد قال بعض العلماء: لا يلزم من أنه كان يظن أنه فعل الشيء ولم يكن فعله أن يجزم بفعله ذلك، وإنما يكون من جنس الخاطر يخطر ولا يثبت، فلا يبقى على هذا للملحد حجة. وقال عياض: ويؤيد جميع ما تقدم أنه لم ينقل عنه في خبر من الأخبار أنه قال قولاً فكان بخلاف ما أخبر به. وقال المهلب: صون النبي (من الشياطين لا يمنع إرادتهم كيده، فقد مضى في الصحيح أن شيطانا أراد أن يفسد عليه صلاته فأمكنه الله منه، فكذلك السحر ما ناله من ضرره ما يدخل نقصا على ما يتعلق بالتبليغ بل هو من جنس ما كان يناله من ضرر سائر الأمراض من ضعف عن الكلام، أو عجز عن بعض الفعل، أو حدوث تخيل لا يستمر، بل يزول ويطلق الله كيد الشياطين) (١).

ومثل هذا قوله تعالى عن موسى { قال بل ألقوا فإذا جبالهم وعصيهم يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى } [طه: ٦٦] ، فسحر النبي ﷺ مثل سحر موسى (وهو أن يخيل إليه الشيء، فمن أنكر الحديث ماذا يقول عن هذه الآية ؟

ونزيد من الأمر توضحا فنقول السحر الذي أراده المشركون غير السحر الذي حصل للنبي ﷺ فهم أرادوا المسحور يعني الذي يصل إلى حد الجنون والافتراء، وقول ما لا يعقل ودخول الجن في المسحور، وهذا لا شك أنه باطل في حق النبي ﷺ ، وأما سحر النبي ﷺ فهو من نوع التخيل الذي يحصل لأي إنسان يقظة ومناما، وهذا لا يضر في مقام النبوة.

**الثالث والثلاثون : كيف يسحر النبي ﷺ مع أن الشياطين لا تسلط على عباد الله الصالحين ، كما قال تعالى: {إن عبادي ليس لك عليهم سلطان إلا من اتبعك من الغاوين} الحجر: ٤٢ (إنه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون (٩٩)**

(١) - ابن حجر العسقلاني ، فتح الباري شرح صحيح البخاري (١٠/٢٣٧) .

## إنما سلطانه على الذين يتولونه والذين هم به مشركون) النحل: ٩٩-١٠٠ ، فسحر النبي دليل أنه من الغاويين وأنه من الذين يتولون الشيطان ؟.

السحر أنواع (١): ١- سحر بالأدوية. ٢- سحر لا حقيقة له بل هو خيال أو خفة يد. ٣- سحر بالاستعانة بالشياطين.

إذن فليس كل أنواع السحر تسلط من الشياطين على المسحور، وذهب بعض العلماء إلى أن سحر النبي ﷺ من نوع الأدوية؛ قال ابن حجر: واستدل ابن القصار على أن الذي أصابه كان من جنس المرض بقوله في آخر الحديث: «فأما أنا فقد شفاني الله». وفي الاستدلال بذلك نظر، لكن يؤيد المدعى أن في رواية عمرة عن عائشة عند البيهقي في الدلائل " فكان يدور ولا يدري ما وجعه " وفي حديث ابن عباس عند ابن سعد: مرض النبي (وأخذ عن النساء والطعام والشراب، فهبط عليه ملكان. الحديث). (٢)

ولو سلمنا أنه من النوع الشيطاني، فليس كل تعرض من الشيطان للإنسان معناه أنه ليس من عباد الله، وفرق كبير بين التعرض والمخارشة وبين التسلط، ويؤيد ذلك ما أخرجه مسلم عن جابر قال سمعت النبي ﷺ يقول: «إن الشيطان قد أيس أن يعبد المصلون في جزيرة العرب ولكن في التحريش بينهم» (٣)، فكل صالح يتعرض له الشيطان، بل هذه وظيفته في الحياة، وهو أقسم على إغواء بني آدم. ولو سلمنا أن هذا من التسلط فإنه لفترة محدودة، ثم بعد ذلك يذهب الله تعالى، ويرجع المسلم إلى حاله الأولى؛ فهذا آدم عليه السلام أغواه الشيطان حتى وقع في أكل الشجرة، وهذا موسى قتل نفسا بغير نفس فقال: { هذا من عمل الشيطان } [القصص: ١٥] ولا يقول أحد أن هذا من التسلط بمعنى التحكم والإغواء والتضليل، بل يبقى آدم وموسى من خير أنبياء الله ورسله صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

(١) - ابن حجر العسقلاني، فتح الباري (١٠/٢٣٩).

(٢) - فتح الباري (١٠/٢٣٨).

(٣) - أخرجه مسلم في صحيحه، رقم: ٢٨١٢.

## المبحث الخامس

أخطاء مزعومة في القرآن الكريم، واتهام القرآن بمعارضة الحقائق الدينية والتاريخية والكونية والتجريبية وغيرها ، والأصح سوء فهم لآيات القرآن الكريم وألفاظه

أولاً: قالوا: القرآن يحرم إكراه العفيفات على البغاء، ويجيز إكراه غير العفيفات، وذلك في قوله: {ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء إن أردن تحصننا لتبتغوا عرض الحياة الدنيا ومن يكرهن فإن الله من بعد إكراههن غفور رحيم} [النور: ٣٣].

والجواب: المتأمل للمعنى المقلوب الذي فهمه الشانئون من هذه الآية يدرك المأزق الذي يعانيه أعداء القرآن، إذ لا يستقيم عند عاقل تحريم إكراه العفيفة وجواز إكراه غيرها، فإن البغي لا تكره على البغاء، وإنما يكره على الشيء من يكرهه. ومن لم ترد التحصن بغت طوعاً (١). ولو شاء الطاعنون في القرآن نصفته لشهدوا أنه ما من دين أرسى من مبادئ العفة ما أرساه الإسلام، هل رأيت في دين من أديانها أنه يعاقب على الزنا بالقتل ويحرم حتى النظر إلى الأجنبية، ويأمرها بالستر بين الرجال، ويمنع اختلاط النساء بالرجال حتى في المساجد وفي حال العبادة والطهر والسمو الروحي الذي تغور - عادة - عنده دواعي الشهوة.

ولو أرادوا الحقيقة لما أعياهم الرجوع إلى سبب نزول الآية، واستجلاء الوقائع التي أنزل الله معالجتها في تلكم الآيات التي لوها لمزا للقرآن وطعنا فيه، فقد نزلت في جاريتين (مسيكة وأميمة) كانتا لرأس النفاق والمنافقين عبد الله بن أبي ابن سلول، وكان يكرههما على الزنى، ليتكسب من أجره، فشكنا ذلك إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأنزل الله الآية (٢).

والسؤال: ما الذي يفيد قول الله تعالى: {إن أردن تحصننا}؟

والجواب: أن هذا ما يسميه العلماء (صفة كاشفة)، أي: ولا تكرهوا على البغاء فتياتكم اللاتي أردن التحصن، كما يراد منه زيادة التأكيد على التحريم، فلئن كان البغاء محرماً في كل حال؛ فإنه أشد حرمة وقبحاً حين يكون إكراهها وإجباراً للمستعفات على فعل الفاحشة التي يكرهونها.

ومثل هذا الوصف الكاشف استخدمه القرآن في مواضع كثيرة، فقد عدد الله المحرمات من النساء ، وذكر منهن: {وربائبكم اللاتي في حجوركم} [النساء: ٢٣] وربيبه المرء [ابنة زوجته من غيره] تحرم على المرء ولم تسكن في بيته، فقوله: {في حجوركم} لا مفهوم له، وخرج مخرج الغالب.

ومثله قوله تعالى: {ليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة إن خفتكم الذين كفروا} [النساء: ١٠١]، ومن المعلوم أن قصر المسافر الصلاة لا يتعلق بحال الخوف دون الأمن، لكنه كما قال ابن

(١) - (اللباب في علوم الكتاب، ابن عادل الدمشقي الحنبلي (١٤/٣٧٧). الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ

(٢) - (مسلم ح (٣٠٢٩)).

كثير: «فقد يكون هذا خرج مخرج الغالب حال نزول هذه الآية. إذ كانت أسفارهم بعد الحجرة في مبدئها مخوفة. بل كانوا لا ينهضون إلا إلى غزو عام، أو سرية خاصة، وسائر الأحياء حرب للإسلام وأهله. والمنطوق إذا خرج مخرج الغالب فلا مفهوم له.. ومما يشهد بأن للمسافر أن يقصر سواء أكان آمنا أم خائفا» (١)، وهكذا فقلوه: {إن خفتم أن يفتنكم الذين كفروا} لا مفهوم له، ومثله أيضا قوله تعالى: {أضعافا مضاعفة} فهو لا مفهوم له في قوله تعالى: {يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا أضعافا مضاعفة} [آل عمران: ١٣٠]، فالربا كله حرام، سواء كان الربا أضعافا مضاعفة أم دون ذلك، وهو قيد للتعليل، وليس للاحتراز (٢).

### ثانياً : قالوا: آيات القرآن تصف غير المسلمين بأنهم نجس ، وذلك في قوله

تعالى: {يا أيها الذين آمنوا إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا} [التوبة: ٢٨]، ورأوا في هذا ظلما وانتهاكا لإنسانية غير المسلم.

والجواب: المؤمن والكافر لا يستويان في ميزان الله {أفجعل المسلمين كالمجرمين ما لكم كيف تحكمون} [القلم: ٣٥ - ٣٦]، ولا ريب أن المؤمن حبيب الله بما يمتاز به من نقاء الظاهر والباطن. ولما كان تعظيم بيوت الله من شعائر الله وتوقيره؛ فإن صوتها عن النجس أول حقوقها «إن هذه المساجد لا تصلح لشيء من هذا البول والقدر، إنما هي لذكر الله والصلاة وقراءة القرآن» (٣)، وتحقيقا لهذا الصون نهي النبي ﷺ عن نشدان الضالة في المسجد وأمثاله مما هو متعلق بالدنيا. وقد أمر الله المسلم بالتجمل للمساجد والترين قبل دخولها {يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد} [الأعراف: ٣١]، ومنع المسلم والمسلمة- في حال الحيض أو الجنابة أو أكل الثوم والبصل - من دخول المساجد صيانة لها عن الأذى وتعظيمها لها عن الأحوال الدنيئة، والكافر أولى بهذا المنع؛ إذ لا يغتسل من جنابة، ولا يحترز من خمر أو غيره من دقيق النجاسة التي يتوقى منها المسلم بموجب دينه وشريعته؛ حرصا على صحة صلاته وسلامته دينه.

وهذا كله لا يمنع من القول بنجاسة الكافر معنويا أيضا؛ بما يحمله في قلبه من تعظيم لغير الله وعبادة لمن لا يستحق العبادة، ومثل هذا المعنى كثير في كتب الطاعنين في القرآن، فقد وصف سفر إشعيا غير المؤمنين بأنهم نجس «وتكون هناك سكة وطريق يقال لها الطريق المقدسة. لا يعبر فيها نجس بل هي لهم» (إشعيا ٣٥ / ٨)، وكذلك «البيسي ثياب جمالك يا أورشليم المدينة المقدسة، لأنه لا يعود يدخلك فيما بعد أغلف ولا نجس» (إشعيا ٥٢ / ١).

ومثل هذا المعنى ورد في العهد الجديد «إنكم تعلمون هذا أن كل زان أو نجس أو طماع الذي هو عابد للأوثان ليس له ميراث في ملكوت المسيح والله» (أفسس ٥ / ٥)، وكذلك «لا تعطوا القدس للكلاب،

(١) - تفسير ابن كثير (٣/ ٣٩٤). مرجع سابق

(٢) - تنزيه القرآن الكريم عن دعاوى المبطلين، منقذ بن محمود السقار ص ٢٦١ مرجع سابق

(٣) - (رواه مسلم ح (٢٨٥)).

ولا تطرحوا درركم قدام الخنازير» (متى ٧ / ٦) (١).

## ثالثاً : الأرض مسطحة في القرآن { وهو الذي مد الأرض وجعل فيها رواسي } [الرعد ٣] ، { وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا } [٣٠/النازعات] ، أما الكرة الأرضية على هيئة البيضة (٢)

عامة الذين ترجموا القرآن الكريم، يتبارون بحثاً عن "أخطاء" في نص القرآن، في محاولة منهم لإثبات أنه غير منزل من عند الله، ويأخذون مثلاً لإثبات عدم مصداقيته آية { وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا } [٣٠:النازعات]، التي قمت بترجمتها (للفرنسية) بما معناه "والأرض بعد ذلك كورها كالبيضة" حتى وإن كانت كلمة "بيضة" لا توجد في النص العربي لهذه الآية. لكنها توجد ضمن المعاني اللغوية لهذه الكلمة. كما إن المعنى الإجمالي يحتم أخذ هذه الكلمة في الاعتبار. لأن المعنى يفرض نفسه إذا ما راعينا كل ما تتضمنه الآيات المتعلقة بخلق الأرض واستدارة شكلها ؛ ومختلف قواميس اللغة العربية ؛ وكل ما أورده المفسرون حول نفس الموضوع. مع ملاحظة أن اللغة العربية، رغم اتساع مفرداتها المبهرة، تتضمن مثلها مثل كل اللغات، كلمات لها أكثر من معنى. وبذلك فإن مضمون الموضوع هو الذي يعاون على الاختيار.

وفي القرآن الكريم نجد إن موضوع تكوين الأرض والسموات تم تناوله بوضوح: فهناك آيات متعلقة بالخلق بصفة عامة، وبتكوين الأرض، والسموات، والكواكب. وفيما يتعلق بسورة "النازعات"، التي تتضمن الآية التي استشهدت بها كمثال، فإن بها وصف جد معجز في إنجازه حول عملية الخلق: { أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ السَّمَاءُ بَنَاهَا (٢٧) رَفَعَ سَمَكَهَا فَسَوَّاهَا (٢٨) وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا (٢٩) وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا (٣٠) أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا (٣١) } [٣١:٢٧ :النازعات].

ما تقوله القواميس : فيما يتعلق بكلمتي "دحاها" و"طحاها" :

١ . "دَحَّ" : بسط ؛ وسَّع ؛ دس في الأرض ؛ ضرب باليد منبسطة

"دحا" : يكور العجينة ؛ يكور رغيف الخبز ويسطه ؛ يدحرج من مكانه

"دحية" : بيضة ، وجمعها "دَحَّ"

"الأدحى" : الحفرة التي تحفرها النعامة لتضع بيضها ؛ منزل من منازل القمر

"الدحية" : الريس ؛ قائد الجماعة ؛ رقصة عربية قديمة عند العرب

"الداح" : سوار مجدول

٢ . "الطحو" : يدحرج من عالٍ

"طحا" : يسطح كالبساط المفرد ؛ أرض مسطحة

وقد تحدث كلا من الراوي وابن حزم وابن القيم الجوزية وغيرهم عن بسط الأرض ومدّها على مدى البصر، وأن الله قد جعل حجمها ضخماً بحيث لا يمكن رؤية نهايتها، وإن الكرة حين تكون ضخمة يكون

<sup>١</sup> - تنزيه القرآن الكريم عن دعاوى المبتلين ، منقذ بن محمود السقار ص ٢٦٠ مرجع سابق .

<sup>٢</sup> - مقال ل د. زينب عبد العزيز، ٢٠ سبتمبر ٢٠١٦ على صفحتها وصفحة صيد الفوائد بعنوان : القرآن : إعجاز علمي

كل جزء من سطحها عبارة عن مساحة منبسطة.

ومثلما رأينا عاليه ، فإن كلمة "بيضة" هي أحد معاني "دحية" وجمعها "دح" ؛ و "دحا" يكور، يكور رغيف الخبز ويسطه. وإذا أخذنا في الاعتبار كل الآيات التي تشير إلى استدارة الأرض وكرويتها، فإنه من الطبيعي أن أختار كلمة "بيضة" في ترجمتي بما أنها تمثل تماما الشكل الموصوف. من ناحية أخرى، وحتى يومنا هذا فما تزال تستخدم في الصعيد (جنوب مصر) كلمة "دحية" و "دح" للجمع ولا يقولون "بيض". أي إن استخدام هذا المعنى المستدير لم يختف لغويا. وإن كان كل المترجمين حديثا إلى الفرنسية لم يختاروا كلمة "بيضة" فذلك ليس ذنبي أوليس مبررا للتقليل من شأن اختياري الذي أتحمل مسؤوليته تماما، بما أنني أول من استخدم هذه العبارة في ترجمة هذه الآية إلى الفرنسية.

وهناك العديد من الآيات التي تتناول الكون وتحدث أو تشير إلى استدارة الأرض دون ذكر استدارتها تحديدا من شدة وضوح معنى الاستدارة ضمنا. ومنها : { أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ } { ٢٩: لقمان } ؛ و { آيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ } { ٣٧: يس } ؛ و { وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا ۗ وَمَنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا رُوحَيْنِ اثْنَيْنِ ۗ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ ۗ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ } { ٣/ الرعد } ؛ و { يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ۗ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ } { ٤٤/ النور }.

وفي آيات أخرى تبدوا استدارة الأرض أكثر وضوحا بفضل الفعل المستخدم، ومنها : { خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْعَفَّارُ } { ٥: الزمر } . وأحيانا يتم وصف العروج : { يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ } { ٤: الحديد } ؛ و { وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ } { ١٤/ الحجر } ؛ { تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ } { ٤/ المعارج }.

إن أفعال يولج، يغشى، يدخل، يكور، يعرج، كلها أفعال تحتاج إلى وقت ما لكي تتم فإن كانت الأرض مسطحة تماما لوجب وضع افعال من قبيل أضاء/أطفأ، أي ينتشر فعله في لا وقت على كل سطح الأرض. إلا إن كل هذه الأفعال المستخدمة بحاجة إلى زمن معين لكي يتم فعلها، وجميعها يثبت استدارة الأرض. وكذلك أفعال يكور أي يلف بحركة مستديرة؛ يعرج، وتعني الصعود إلى أعلى في خط منحنى. وإن كانت الأرض مسطحة لكان استعمال هذه الأفعال لا معنى له.

فالسطح الوحيد الذي يمكن بسطه وتسطيحه ومدته والسير عليه في جميع الاتجاهات من أي مكان دون أن نصطدم أو نسقط في نهايته هو سطح الكرة. وبخلاف دقة التعبير لكل هذه الكلمات، فإن فعلها لا يتم إلا إن كانت الأرض مستديرة وتدور على محورها لتحديد اليوم، وتدور حول الشمس لتحديد السنة، مثلما هو واضح في آيات أخرى. بل لقد أثبت العلم حديثا إن الفرق بين القطبين وبين خط الاستواء ٤٣

كم. وهو ما يجعل الأرض بيضاوية الشكل يقينا وليست كروية فحسب.

### شيء من التاريخ :

قال الفخر الرازي في تفسيره مفاتيح الغيب ج ١٤٢/ ٢١ "ثبت بالدليل أن الأرض كرة."

وقال أبو محمد ابن حزم رحمه الله ( ٣٨٤ هجرية ) : " مطلب بيان كروية الأرض :

وجوابنا وبالله تعالى التوفيق : أن أحداً من أئمة المسلمين المستحقين لاسم الإمامة بالعلم رضي الله عنهم لم

ينكروا تكوير الأرض ، ولا يحفظ لأحد منهم في دفعه كلمة ، بل البراهين من القرآن والسنة قد جاءت

بتكويرها ... " وساق جملة من الأدلة على ذلك " الفصل في الملل والأهواء والنحل " ( ٧٨/٢ )

وقد استدل ابن حزم وغيره بهذه الآية : ( خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ

النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ ) الزمر/ ٥ .) . والتكوير جعل الشيء كالكور ، مثل كور العمامة ، ومن المعلوم أن الليل

والنهار يتعاقبان على الأرض ، وهذا يقتضي أن تكون الأرض كروية ؛ لأنك إذا كورت شيئاً على شيء ،

وكانت الأرض هي التي يتكور عليها هذا الأمر لزم أن تكون الأرض التي يتكور عليها هذا الشيء كروية .

إن العلوم الحديثة في أوروبا تولدت في الثلث الأول من القرن السابع عشر . فمن إدانة جاليليو سنة

١٦٣٣ عن طريق محاكم التفتيش التي كانت تحارب العلم لتبقي على فكرة إن الأرض مربعة ومسطحة

(حزقيال ٧ : ٢) ، حتى عام ١٩٨٢ حينما أعرب البابا يوحنا بولس الثاني عن أسف الكنيسة حول قضية

جاليليو وإدانته ، مرت ثلاثة قرون ونصف ، بدأت الكنيسة خلالها تفقد السيطرة تدريجياً على تطور العلوم ،

وذلك لرفضها التأقلم مع النظريات الحديثة التي تناقض نصوصها .

وطوال تلك القرون التي كانت فيها أوروبا تغوص في ظلمات الجهل العلمي ، حيث لم يمكنها معرفة

التراث اليوناني إلا بفضل الجهد الضخم الذي قام به العلماء المسلمين الذين ترجموا وطوّروا الميراث العلمي

اليوناني ، ثم تمت ترجمة ذلك التراث من اللغة العربية إلى اللاتينية . وهذا التواجد المفصلي ، بين الجهل والعلم ،

طوال ثمانية قرون ، هو ما يحاول الغرب المسيحي المتعصب ، قليل الاعتراف بالجميل ، أن يطمس معالمه أو

يقتلعها . أو ليس من الأصوب والأكثر أمانة أن يتعلم قراءة القرآن الكريم بهدف فهمه وإدراك مختلف

المعطيات الإلهية ، خاصة بعد أن تم تحريف أو إبادة كافة نصوص الرسالتين التوحيديتين السابقتين ؟

وفي نهاية هذا البحث استشهد بأحد الأمانة المؤرخين الذي تجرأ وقال كلمة حق بلا أي تعصب : "أيا كانت

الطريقة التي نحكم بها على التأثير الإسلامي ، وأيا كان عنف ردود الأفعال ضده والطريقة الرامية إلى التخلص

منه ، لا يمكننا إنكار : إن أوروبا ما كانت لتستطيع أن تكون ما هي عليه الآن لو لم تكن قد عرفت الإسلام

، فهو جزء من تراثها . والبحث عن آثار الإسلام في أوروبا يعني ، بينما نبحث عن الآخر ، فإننا نبحت أيضا

عن أنفسنا .. جان . بول رو ، مقدمة كتابه : "الإسلام في أوروبا" ( ١ ) .

( ١ ) - مقال للدكتورة زينب عبد العزيز على منشور على موقع صيد الفوائد بعنوان : القرآن : إعجاز علمي

رابعاً : يعطي القرآن معلومات مختلفة عن خلق الإنسان . من ماء مهين [٧٧ : ٢٠] من ماء [٢١ : ٣٠] . من نطفة [٣٦ : ٧٧] . من طين [٣٢ : ٧] . من علق [٩٦ : ٢] . من حمأ مسنون [١٥ : ٢٧] . ولم يك شيئاً [١٩ : ٦٧] . فكيف يكون كل ذلك صحيحاً في نفس الوقت؟

الجواب:

ليس هناك أدنى تناقض - بل ولا حتى شبهة تناقض - بين ما جاء في القرآن الكريم من معلومات عن خلق الإنسان . وحتى يتضح ذلك، يلزم أن يكون هناك منهج علمي في رؤية هذه المعلومات، التي جاءت في عديد من آيات القرآن الكريم . وهذا المنهج العلمي يستلزم جمع هذه الآيات . والنظر إليها في تكاملها . مع التمييز بين مرحلة خلق الله للإنسان الأول - آدم عليه السلام - ومرحلة الخلق لسلالة آدم، التي توالى وتكاثرت بعد خلق حواء، واقتراها بآدم، وحدث التناسل عن طريق هذا الاقتران والزواج .

لقد خلق الله، سبحانه وتعالى، الإنسان الأول - آدم - فأوجده بعد أن لم يكن موجوداً . أي أنه أصبح "شيئاً" بعد ان لم يكن "شيئاً" موجوداً . وإنما كان وجوده فقط في العلم الإلهي . وهذا ومعنى الآية الكريمة: {وَأَوَّلَ يُدْكُرُ الْإِنْسَانَ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَكَمْ يَكُ شَيْئًا} [مریم: ٦٧] .

أما مراحل خلق الله، سبحانه وتعالى، لآدم . فلقد بدأت ب (التراب) الذي أضيف إليه (الماء) فصار (طيناً) ثم تحول هذا الطين إلى (حمأ) أي أسود منتن، لأنه تغير - والمتغير هو (المسنون) - فلما يبس هذا الطين - من غير أن تمسه النار - سمي (صلصالاً) - لأن الصلصال هو الطين اليابس - من غير ان تمسه نار - وسمى صلصالاً لأنه يصل، أي يصوت، من يبسه - أي له صوت ورنين .

وبعد مراحل الخلق هذه - التراب . فالماء . فالطين . فالحمأ المسنون . فالصلصال . نفخ الله، سبحانه وتعالى، في مادة الخلق هذه من روحه، فغدا هذا المخلوق "إنساناً" هو آدم، عليه السلام .

وعن هذه المراحل تعبر الآيات القرآنية فتصور تكامل المراحل - وليس التعارض المتوهم والموهوم - فتقول هذه الآيات الكريمة: {إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ} [آل عمران: ٥٩] - فبالتراب كانت البداية .

{الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ} [السجدة: ٧] ، وذلك عندما أضيف الماء إلى التراب {فَاسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ مَنْ خَلَقْنَا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لَازِبٍ} [الصفات: ١١] - وذلك عندما زالت قوة الماء عن الطين فأصبح "لازباً"، أي جامداً . وفي مرحلة تغير الطين، واسوداد لونه، وبتن رائحته، سمي (حمأ مسنوناً) ، لأن الحمأ هو الطين الأسود المنتن .

والمسنون هو المتغير بينما الذي (لم يتسنه) هو الذي لم يتغير . وعن هذه المرحلة عبرت الآيات: {وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ (٢٦) وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَارِ السَّمُومِ (٢٧) وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ (٢٨) فإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ (٢٩) فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ (٣٠) إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ (٣١) قَالَ يَا

إِلَيْسَ مَا لَكَ إِلَّا تَكُونُ مَعَ السَّاجِدِينَ (٣٢) قَالَ لَمْ أَكُنْ لِأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمِيمٍ مَسْنُونٍ (٣٣) قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ (٣٤) وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ (٣٥) { [الحجر: ٢٦-٣٥] .

تلك هي مراحل خلق الإنسان الأول، توالى فيها وتتابعت وتكاملت المصطلحات: التراب . . والماء . . والطين . . والحما المسنون . . والصلصال . . ودوماً أي شبهة للتعارض أو التناقض . . وكذلك الحال والمنهاج مع المصطلحات التي وردت بالآيات القرآنية التي تحدثت عن خلق سلالة آدم عليه السلام . .

فكما تدرج خلق الإنسان الأول - آدم - من التراب . . إلى الطين . . إلى الحما المسنون . . إلى الصلصال . . حتى نفخ الله فيه من روحه . . كذلك تدرج خلق السلالة والذرية . . بدءاً من (النفطة) - التي هي الماء الصافي - ويعبر بها عن ماء الرجل - (المني) - . . إلى (العلقه) - التي هي الدم الجامد، الذي يكون منه الولد، لأنه يعلق ويتعلق بجدار الرحم . . إلى (المضغة) - وهي قطعة اللحم التي لم تنضج، والمماثلة لما يمضغ بالفم . . إلى (العظام) . . إلى (اللحم) الذي يكسو العظام . . إلى (الخلق الآخر) الذي أصبح - بقدره الله - في أحسن تقويم .<sup>(١)</sup>

ومن الآيات التي تحدثت عن توالي وتكامل هذه المراحل في خلق وتكوين نسل الإنسان الأول وسلالته، قول الله، سبحانه وتعالى: { يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبُعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَعَيْرٍ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا } (الحج: ٥) وقوله، سبحانه: { وَوَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سَلَالَةٍ مِنْ طِينٍ (١٢) ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ (١٣) ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ } [المؤمنون: ١٢-١٤] .

وإذا كانت (النفطة) هي ماء الرجل . . فإنها عندما تختلط بماء المرأة، توصف بأنها (أمشاج) - أي مختلطة - كما جاء في قوله تعالى: { إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا } [الإنسان: ٢] . كما توصف هذه (النفطة) بأنها (ماء مهين) لقلته وضعفه . . وإلى ذلك تشير الآيات الكريمة: { الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ (٧) ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سَلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ } [السجدة: ٧-٨] . { أَلَمْ نُخَلِّقْكُمْ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ (٢٠) فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ (٢١) إِلَى قَدَرٍ مَعْلُومٍ (٢٢) فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ } [المرسلات: ٢٠-٢٣] .

وكذلك، وصفت (النفطة) - أي ماء الرجل - بأنه (دافق) لتدفقه واندفاعه . . كما جاء في الآية الكريمة: { فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ (٥) خُلِقَ مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ (٦) يُخْرَجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ (٧) } [الطارق: ٥-٧] .

هكذا عبر القرآن الكريم عن مراحل الخلق . . خلق الإنسان الأول . . وخلق سلالات وذرية هذا الإنسان . . وهكذا قامت مراحل الخلق، ومصطلحات هذه المراحل، شواهد على الإعجاز العلمي للقرآن الكريم . .

(١) - معاني هذه المصطلحات من المفردات في غريب القرآن [مرجع سابق]

عندما جاء العلم الحديث ليصدق على هذه المراحل ومصطلحاتها، حتى لقد انبهر بذلك علماء عظام فاهتدوا إلى الإسلام. . فكيف يجوز - بعد ذلك ومعه - أن يتحدث إنسان عن وجود تناقضات بين هذه المصطلحات. لقد صدق الله العظيم: {أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا} (النساء: ٨٢) . (١)

**خامساً : توضح كثير من سور القرآن أن السموات والأرض قد خلقت في ستة أيام. وهنا مشكلتان؛ الأولى انه من الثابت علمياً أن خلق السموات والأرض قد استغرق بلايين السنين. والثانية: أنه في التعبير القرآني نفسه كانت مدة الخلق ثمانية أيام بدلاً من ستة [الزخرف : ٩-١٢] فكيف يمكن التوفيق بين هذه الآيات؟**

في كثير من السور القرآنية تحدث آيات كثيرة عن خلق الله، سبحانه وتعالى، السموات والأرض وتقدير ما فيهما في ستة أيام. . ومن هذه الآيات:

{إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ} [الأعراف: ٥٤ - ويونس: ٣].  
 {وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ} {هود: ٧} .  
 {الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ} [الفرقان: ٥٩] .  
 {اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ} [السجدة: ٤] .  
 {وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ} [ق: ٣٨] .  
 {هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ} [الحديد: ٤] .

وليس هناك تعارض بين تحديد زمن الخلق للسموات والأرض في ستة أيام، وبين ما يراه العلم من استغراق ذلك الخلق بلايين السنين، ذلك أن المدى الزمني "اليوم" عند الله، سبحانه وتعالى، ليس هو المدى الزمني القصير "اليوم" في العرف والتقويم الذي تعارف عليه الإنسان في هذه الحياة الدنيا. . وفي القرآن آيات شاهدة على ذلك، منها:

{أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتُمْ مِئَةَ عَامٍ فَانظُرُوا إِلَى طَعَامِكُمْ وَسُرَابِكُمْ لَمْ يَتَسَنَّهْ - (لم يتغير) - وانظروا إلى حمارِكُمْ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانظُرُوا إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا - (أي نرفعها من الأرض لنولفها) - ثُمَّ نَكْسُوهَا عِطْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} [البقرة: ٢٥٩] .

فبعض اليوم، في حساب الإنسان - هنا - بلغ مائة عام. . أي قرابة ٣٧٠٠٠ يوم! وكذلك الحال في قصة أهل الكهف. . فما حسبه يوماً أو بعض يوم قد بلغ ثلاثمائة عام بالتقويم الشمسي وثلاثمائة وتسعة أعوام بالتقويم القمري. . {قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ}

(١) - معاني المصطلحات الواردة في هذه الآيات في: الراغب الأصفهاني، (المفردات في غريب القرآن) و (لسان العرب) - لابن منظور - ، راجع حقائق الإسلام في مقابل شبهات المشككين ، رقم الشبهة ٣٥ مجموعة من العلماء .

{الكهف: ١٩} . . {وَلَيْسُوا فِي كُفْرِهِمْ ثَلَاثَ مِئَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تَسَعًا (٢٥) قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَيْسُوا لَهُ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَبِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا} {الكهف: ٢٥-٢٦} .  
وكذلك الحال يوم ينفخ في الصور - يوم البعث - يحسب بعض المجرمين أن مكنتهم في الدنيا لم يتجاوز عشر ليالٍ . . بينما يحسب آخرون منهم أن مكنتهم لم يتعد اليوم الواحد: {يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا (١٠٢) يَتَخَفَتُونَ بَيْنَهُمْ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا (١٠٣) نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا} {طه: ١٠٢-١٠٤} .

أما عند الله، سبحانه وتعالى، فإن لمصطلح "اليوم" مدى لا يعلم حقيقة طوله وأمدته إلا هو: {وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ} {الحج: ٤٧} .  
والآية لا تحدده بألف سنة مما نعد نحن في تقويمنا . . وإنما تستخدم أداة التشبيه - الكاف - (كألف) - ليظل المدى غير معلوم لنا في هذه الحياة . . وغير ممكن التحديد بوحداتنا نحن في القياس الزمني . . فيوم الدين - الجزء - . . وأيام الله . . والأيام الستة التي خلق الله فيها السموات والأرض . . مداها - بمقاييس أيامنا نحن - لا يعلمها إلا الله، سبحانه وتعالى . .

ثم إن ما اكتشفه العلم من سرعات للضوء . . وسرعات للضوء . . وزمن الضوء - سنة ضوئية - يجعل تفاوت واختلاف المفاهيم والمقاييس لمصطلح "اليوم" أمراً مقررًا ومألوفًا .  
هذا عن المشكلة الأولى من مشكلتي السؤال . .

أما المشكلة الثانية - من مشكلتي السؤال - والخاصة بحديث بعض الآيات القرآنية عن أن الخلق للسموات والأرض قد يفهم أنه استغرق ثمانية أيام، وليس ستة أيام . . - وهي آيات سورة فصلت: {قُلْ أَتُنْكُمُ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ (٩) وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيًا مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلنَّاسِ لِيَوْمِ الْآخِرِينَ (١٠) ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ (١١) فَفَضَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَرَبَّنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحٍ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ} {فصلت: ٩-١٢} .

هذه "المشكلة" لا وجود لها: فليس هناك تناقض ولا تفاوت بين المدة الزمنية التي جاءت في هذه الآيات وبين الآيات الأخرى التي ورد فيها تحديد الأيام الستة . .

ففي هذه الآيات - من سورة فصلت - نجد أن الله، سبحانه وتعالى، يخبرنا بأنه: {خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ} ثم {وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيًا مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا} في تمام {أَرْبَعَةَ أَيَّامٍ} . . أي في يومين آخرين يضافان إلى اليومين اللذين خلق فيهما الأرض، فيكون المجموع أربعة أيام . . وليس وارداً أن يكون خلق الرواسي وتقدير الأقوات قد استغرق أربعة أيام. ولعل من توهم الشبهة - التي جاءت في السؤال - قد أتت من هناك .  
أي من توهم إضافة أربعة أيام إلى اليومين اللذين خلقت فيهما الأرض، فيكون المجموع ستة . . وإذا أضيف إليها اليومان اللذان خلقت فيهما السماء - {فَفَضَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ} - يكون المجموع ثمانية أيام، وليس ستة أيام . . لكن إزالة هذه الشبهة متحققة بإزالة هذا الوهم . . فالأرض خلقت في يومين . . وخلق

الرواسي وتقدير الأقوات قد استغرق ما تمم اليومين أربعة أيام. . أي استغرق هو الآخر يومين. . ثم استغرق خلق السموات السبع يومين. . فكان المجموع ستة أيام من أيام الله سبحانه وتعالى. .

ولقد نبه المفسرون على هذه الحقيقة - المزيلة لهذا الوهم - فقال القرطبي:

" (أربعة أيام) يعني في تنمة أربعة أيام. ومثاله قول القائل: خرجت من البصرة إلى بغداد في عشرة أيام، وإلى الكوفة في خمسة عشر يوماً؛ أي في تنمة خمسة عشر يوماً. " (١)

وقال الزمخشري: " «في أيام أربعة سواء» فذلكا لمدة خلق الله الأرض وما فيها كأنه قال: كل ذلك في أربعة أيام كاملة مستوية بلا زيادة ولا نقصان. . . وقال الزجاج: في أربعة أيام في تنمة أربعة أيام يريد بالتنمة اليومين. " (٢)

فهذه الآيات من سورة فصلت تؤكد - هي الأخرى - على أن خلق السموات والأرض إنما تم في ستة أيام. . ومن ثم فلا تناقض بين آيات القرآن ولا تفاوت في مدة الخلق الإلهي للسموات والأرض. . وحاشا أن يكون شيء من ذلك في الذكر الحكيم. (٣)

**سادساً : تغرب الشمس في عين حمئة حسب القرآن [١٨ : ٨٦] ، وهذا مخالف**

**للعلم الثابت . فكيف يقال : إن القرآن لا يتناقض مع الحقائق العلمية الثابتة؟**

الجواب: في حكاية القرآن الكريم لنبا (ذى القرنين) حديث عن أنه إبان رحلته {حتى إذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب في عين حمئة ووجد عندها قوماً} [الكهف: ٨٦] ، والعين الحمئة هي عين الماء ذات الحمأ، أى ذات الطين الأسود المنتن ، ولما كان العلم الثابت قد قطعت حقائقه بأن الأرض كروية، وأنها تدور حول نفسها وحول الشمس، فإن غروب الشمس ليس اختفاء في عين أو غير عين، حمئة أو غير حمئة.. والسؤال: هل هناك تعارض بين حقائق هذا العلم الثابت وبين النص القرآني؟

ليس هناك أدنى تعارض. ولا حتى شبهة تعارض. بين النص القرآني وبين الحقائق العلمية.. ذلك أن حديث القرآن هنا هو عن الرؤية البصرية للقوم الذين ذهب إليهم ذو القرنين، فمنتهى أفق بصرهم قد جعلهم يرون اختفاء الشمس. غروبها. في هذه البحيرة (العين الحمئة) .. وذلك مثل من يجلس منا على شاطئ البحر عند غروب الشمس، فإن أفق بصره يجعله يرى قرص الشمس يغوص. رويداً رويداً. في قلب ماء البحر..

فالحكاية هنا عن ما يحسبه الرائي غروباً في العين الحمئة، أو في البحر المحيط.. وليست الحكاية عن إخبار القرآن بالحقيقة العلمية الخاصة بدوران الأرض حول الشمس، وعن ماذا يعنيه العلم في مسألة الغروب.

وقد نقل القفال أبو بكر الشاشي محمد بن أحمد بن الحسين بن عمر (٤٢٩ . ٥٠٧ هـ / ١٠٣٧ . ١١١٤ م) عن بعض العلماء تفسيراً. لهذه الرؤية. متسقاً مع الحقيقة العلمية، فقال: " ليس المراد أنه [أي ذي القرنين] انتهى إلى الشمس مشرقاً ومغرباً حتى وصل إلى جرمها ومسها.. فهي أعظم من أن تدخل في عين من عيون الأرض، بل هي أكبر من الأرض أضعافاً مضاعفة، وإنما المراد أنه انتهى إلى آخر العمارة [أي البقاع

(١) - (الجامع لأحكام القرآن) ج ١٥ ص ٣٤٣ ، مرجع سابق .

(٢) - (الكشاف) ج ٤ ص ١٨٨ . مرجع سابق .

(٣) - حقائق الاسلام في مقابل شبهات المشككين ، رقم الشبهة ٣٩ .

المعمورة والمأهولة] من جهة المغرب ومن جهة المشرق، فوجدتها في رأي العين تغرب في عين حمئة، كما أنا نشاهدها في الأرض الملساء كأنها تدخل في الأرض، ولهذا قال: (وجدتها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها ستراً) [الكهف ٩٠] ، ولم يرد أنها تطلع عليهم بأن تماسهم وتلاصقتهم، بل أراد أنهم أول من تطلع عليهم.. (١)

فالوصف هو لرؤية العين، وثقافة الرائي.. وليس للحقيقة العلمية الخاصة بالشمس في علاقتها بالأرض ودورانها، وحقيقة المعنى العلمي للشروق والغروب، فلا تناقض بين النص القرآني وبين الثابت من حقائق العلوم.

### رد بأسلوب آخر :

لا ريب أن القول بغياب الشمس في عين أو بحر بعيد كل البعد عن أبسط معارفنا العلمية التي قررها القرآن منذ زمن بعيد؛ فقد ذكر القرآن أن الشمس والقمر والأرض كواكب أو نجوم تسبح في أفلاكها في السماء {وهو الذي خلق الليل والنهار والشمس والقمر كل في فلك يسبحون} [الأنبياء: ٣٣]، فلكل فلكه الخاص الذي لا يتداخل مع فلك غيره، فكيف يسوغ - بعد ذلك - أن ينسب إليه القول بغروب الشمس في عين من عيون الأرض.

إن هذا القول أبعد ما يكون عن لفظ القرآن ومعناه، ولو كان هذا الفهم المغلوط مراداً؛ لوجب أن تشرق الشمس من نفس المحل وعلى نفس القوم الذين غربت عليهم، وهو ما لا يظنه عاقل، ولو صغرت سنه، وهو ما ينفيه القرآن في نفس السياق، إذ بعد غياب الشمس انطلق ذو القرنين تجاه مشرقها {ثم أتبع سبياً حتى إذا بلغ مطلع الشمس وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها ستراً} [الكهف: ٨٩ - ٩٠].

القرآن في هذه الآية وصف ما تبدى لذي القرنين ساعة الغروب، حيث {وجدتها تغرب في عين حمئة}، ولم يقل القرآن: إن الشمس تغرب في تلك العين.

ومثل هذا كمثل ما يراه الناظر من غروب الشمس في البحر أو خلف جبل، فهو يجدها كذلك فيما يتبدى له، وهي في حقيقتها ليست كذلك.

وهذا الفهم للآية ليس تأولاً لها في عصر العلم، بل هو قول معروف تداوله العلماء منذ قرون طويلة، فقد نقل القفال (ت ٥٠٧هـ) عن العلماء قولهم في تفسير هذه الآية: "ليس المراد أنه انتهى إلى الشمس مغرباً ومشرقاً حتى وصل إلى جرمها ومسها، لأنها تدور مع السماء حول الأرض، من غير أن تلتصق بالأرض، وهي أعظم من أن تدخل في عين من عيون الأرض، بل هي أكبر من الأرض أضعافاً مضاعفة، بل المراد أنه انتهى إلى آخر العمارة من جهة المغرب ومن جهة المشرق، فوجدتها في رأي العين تغرب في عين حمئة، كما أنا نشاهدها في الأرض الملساء كأنها تدخل في الأرض، ولهذا قال: {وجدتها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها ستراً}، ولم يرد أنها تطلع عليهم بأن تماسهم وتلاصقتهم" (٢).

وقال الرازي: "ثبت بالدليل أن الأرض كرة، وأن السماء محيطة بها، ولا شك أن الشمس في الفلك، وأيضاً قال: {ووجد عندها قوماً} ومعلوم أن جلوس قوم في قرب الشمس غير موجود، وأيضاً الشمس أكبر

(١) - الجامع لأحكام القرآن، القرطبي ج ١١ ص ٤٩، ٥٠.

(٢) - (الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (١١/٥٠).

من الأرض بمرات كثيرة فكيف يعقل دخولها في عين من عيون الأرض، إذا ثبت هذا فنقول: تأويل قوله: {تغرب في عين حمئة} من وجوه:

الأول: أن ذا القرنين لما بلغ موضعها في المغرب ولم يبق بعده شيء من العمارات وجد الشمس كأنها تغرب في عين وهدة مظلمة، وإن لم تكن كذلك في الحقيقة، كما أن راكب البحر يرى الشمس كأنها تغيب في البحر إذا لم ير الشط، وهي في الحقيقة تغيب وراء البحر، هذا هو التأويل الذي ذكره أبو علي الجبائي في تفسيره. الثاني: أن للحجاب الغربي من الأرض مساكن يحيط البحر بها، فالناظر إلى الشمس يتخيل كأنها تغيب في تلك البحار" (١).

وقال ابن كثير: " {حتى إذا بلغ مغرب الشمس} أي: فسلك طريقا حتى وصل إلى أقصى ما يسلك فيه من الأرض من ناحية المغرب، وهو مغرب الأرض. وأما الوصول إلى مغرب الشمس من السماء فمتعذر، وما يذكره أصحاب القصص والأخبار من أنه سار في الأرض مدة والشمس تغرب من ورائه فشيء لا حقيقة له. وأكثر ذلك من خرافات أهل الكتاب، واختلاق زنادقتهم وكذبهم.

وقوله: {وجدتها تغرب في عين حمئة} أي رأى الشمس في منظره تغرب في البحر المحيط، وهذا شأن كل من انتهى إلى ساحله، يراها كأنها تغرب فيه، وهي لا تفارق الفلك الذي هي مثبتة فيه لا تفارقه" (٢). وما زال هذا المعنى مشهورا عند العلماء في القديم والحديث، ومنه قول سيد قطب:

"مغرب الشمس هو المكان الذي تغرب عنده وراء الأفق، وهو يختلف بالنسبة إلى المواضع، فبعض المواضع يرى الرائي فيها أن الشمس تغرب خلف الجبل، تغرب في الماء كما في المحيطات... والظاهر من النص أن ذا القرنين غرب حتى وصل إلى نقطة على شاطئ المحيط الأطلسي... فرأى الشمس تغرب فيه، والأرجح أنه كان عند مصب أحد الأنهار حيث تكثر الأعشاب، ويجتمع حولها طين لزج هو الحمأ، وتوجد البرك، وكأنها عيون الماء... عند هذه الحمأة وجد ذو القرنين قوما...". (٣)

ولئن كان المدعي لهذه الأبطولة يتحدث عن غروب الشمس في عين؛ فإن القرآن يتحدث عن مغارب الشمس، وأراد بذلك - والله أعلم - ما نعرفه اليوم من دوام الغروب والشروق بدوام دوران الأرض حول محورها. ويشكل على هذا المعنى ما روي عن النبي ﷺ من حديث أبي ذر - رضي الله عنه -: «يا أبا ذر، هل تدري أين تغيب هذه الشمس؟.. فإنها تغرب في عين حمئة، تنطلق حتى تخزل لربها ساجدة تحت العرش، فإذا كان خروجها أذن الله لها، فإذا أراد الله أن يطلعها من مغربها حبسها» (٤). لكن هذا الحديث لا يصح نسبه إلى النبي ﷺ، لأنه من رواية سفيان بن حسين الواسطي السلمي، وهو راو وهو حديثه أهل التحقيق والاختصاص.

(١) - (التفسير الكبير، الرازي (٢١/١٦٦)).

(٢) - (تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (٣/١٩١)).

(٣) - (في ظلال القرآن، سيد قطب (٣/٢٢٩١)). مرجع سابق.

(٤) - (أخرجه البزار ح (٤٠١٠)).

فقد سأل المروزي الإمام أحمد عن سفيان بن حسين كيف هو؟ فقال: "ليس بذاك، وضعفه" (١) وقال ابن أبي شيبة: "كان ثقة، ولكنه كان مضطرباً في الحديث" (٢). وقال محمد بن سعد: "ثقة يخطئ في حديثه كثيراً" (٣) وقال يحيى بن معين عنه: "ليس بالحافظ" (٤). وعليه فلا اعتداد بروايته، فهي دون مرتبة الاحتجاج، واستبان براءة القرآن من الفهم السخيف بأن الشمس تغرب في بحر ماء (٥).

## سابعاً : مريم أخت هارون

قالوا: أخطأ القرآن حين جعل مريم بنت عمران أختاً لهارون في قوله تعالى: {يا أخت هارون ما كان أبوك امرأ سوء وما كانت أمك بغياً} [مريم: ٢٨]؛ إذ المعلوم في علم التاريخ أن مريم كانت بعد هارون بن عمران بما يربو على الألف سنة.

والجواب: أن هذه الأبطولة من أقدم الشبهات المطروحة على القرآن الكريم، وقد تولى الرد عليها وبيان أغلوطة قائلها النبي ﷺ، وما يزال أقوام يرددون هذه الشبهة البائدة، جاء في صحيح مسلم أن المغيرة بن شعبة قال: لما قدمت نجران سألتوني فقالوا: إنكم تقرؤون: {يا أخت هارون}، وموسى قبل عيسى بكذا وكذا، فلما قدمت على رسول الله سألته عن ذلك فقال: «إنهم كانوا يسمون بأنبيائهم والصالحين قبلهم» (٦).

فبهذا البيان النبوي تبين أن هارون أختا لهارون وليس مريم أختا لموسى، كما توهم نصارى نجران والمبطلون من بعدهم، ولو فهموا لغة العرب وسعة ألفاظها لما قالوا ما قالوه، فالعرب تطلق كلمة الأخ على الشبيه وعلى قريب النسب؛ وإن لم يكن أخاً، فأما الشبيه، فكقول الله عز وجل: {إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين} [الإسراء: ٢٧]، فالمبذر بمثابة أخ للشياطين، لشبهه بفعالهم، أما أخوة القرابة فكقوله تعالى: {وإلى ثمود آخاهم صالحاً} [الأعراف: ٧٣]. (٧) وقد عاجلنا هذه الشبهة في مكانين مختلفين بشكل تفصيلي أوسع.

## ثامناً : هل القلوب العاقلة في الصدور؟

قالوا: يعرف علماء التشريح اليوم أن القلب عضلة ضاخة للدم فحسب، وأن مراكز الإحساس والتفكير في الدماغ، بينما القرآن يؤكد أن القلوب التي في الصدور هي مركز التفكير {أفلم يسيروا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور} [الحج: ٤٦].

والجواب: أن ما يتعلق بمسألة علاقة القلب بالفكر مسألة علمية ما زال العلماء والأطباء يراوحون فيها بين مثبت ومنكر، وهي مسائل ظنية لم ترق إلى كونها حقيقة علمية، ومن كان هذا حاله لا ينهض للاحتجاج به إزاء الحق الذي أوحاه الله العليم بخلقه {ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير} [الملك: ٤].

(١) - (تاريخ بغداد، الخطيب (١٠ / ٢١٥). الناشر: دار الغرب الإسلامي - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢ م

(٢) - (تهذيب الكمال، المزي (١١ / ١٤١). الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٠ - ١٩٨٠

(٣) - المصدر السابق (١١ / ١٣٩). مرجع سابق .

(٤) - تهذيب التهذيب (٤ / ١٩٠)

(٥) - تنزيه القرآن عن دعاوى المبطلين للسقار ص ١٩٥ وما بعدها مرجع سابق

(٦) - (أخرجه مسلم ح (٢١٣٥).

(٧) - في فصل شبهات وأباطيل حول النبيين والمرسلين تفصيل واسع حول هذه الفرية السخيفة .

ثم إن القرآن تحدث عن الأعين والآذان والقلوب المادية، وتحدث أيضا عن العيون والآذان والقلوب المعنوية، وهذه الأعضاء في حال دلالتها على الهدى تكون أعضاء عاملة، وحين تنتكر للحق وترفضه فإنها تكون في حكم العدم، ولذلك وصف الله الذين لا يبصرون الحق ولا يسمعونه بأنهم {صم بكم عمي فهم لا يرجعون} [البقرة: ١٨]، فهم صم عن الحق، لا عن السماع، وهم بكم وعمي بهذه المثابة أيضا.

وهذا مثله في القرآن كثير: {ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع إلا دعاء ونداء صم بكم عمي فهم لا يعقلون} [البقرة: ١٧١]، وقوله: {والذين كذبوا بآياتنا صم وبكم في الظلمات} [الأنعام: ٣٩].

وهكذا فحين يتحدث القرآن عن العيون والآذان والألسن لا يقصد الجوارح المحسوسة، وإنما يقصد ما وراءها من العقل والإدراك الإيماني، ومنه قول الله {نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين} [الشعراء: ١٩٣ - ١٩٤]. وهذا المذكور عن هذه الجوارح ينطبق على القلب تماما، فالقلوب التي يتحدث عنها القرآن هي القلوب المعنوية، لا المضغة الجسدية، ومثاله في القرآن كثير، كقوله: {ولكن قست قلوبهم وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون} [الأنعام: ٤٣]، وكقوله: {الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب} [الرعد: ٢٨].

والمقصود في كل هذا القلوب العاقلة، لا المضغة الصنوبرية التي في الجسم {أفلم يسيروا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور} [الحج: ٤٦]. ومثله في كلام النبي ﷺ: «يا مقلب القلوب» (١)، فالمقصود قلب القلوب المعنوية من الكفر إلى الإسلام، وليس المقصود قلب القلوب المادية.

وهذا الفهم ليس بجديد عند العلماء المسلمين، بل هو قديم نقله الرازي في تفسيره عن بعض السابقين، وعزاه ابن أمير الحاج المتوفى سنة ٨٧٩هـ إلى عامة أهل السنة والجماعة بقوله: "ومحلها أي القوة التي هي العقل؛ الدماغ للفلاسفة وخصوصا الأطباء، وأحمد في رواية، وأبي المعين النسفي، وعزاه صدر الإسلام إلى عامة أهل السنة والجماعة، فقال: وهو جسم لطيف مضيء محل الرأس عند عامة أهل السنة والجماعة، وأثره يقع على القلب، فيصير القلب مدركا بنور العقل الأشياء، كالعين تصير مدركة بنور الشمس وبنور السراج الأشياء" (٢).

وما قلناه عن القلوب والعيون والآذان المعنوية الإيمانية ينطبق تماما على الصدور، فنقرأ في القرآن والسنة حديثا متكررا عن انشراح الصدر وانقباضه وضيقه وظلمته، وليس المراد الصدر الجسدي، بل المراد الصدر المعنوي {ويضيق صدري ولا ينطلق لساني فأرسل إلى هارون} [الشعراء: ١٣]، {أفمن شرح الله صدره للإسلام} [الزمر: ٢٢]، {ألم نشرح لك صدرك} [الشرح: ١]، {ونزعنا ما في صدورهم} [الأعراف: ٤٣] {قل كونوا حجارة أو حديدا أو خلقا مما يكبر في صدوركم} [الإسراء: ٤٩ - ٥٠] {وإن ربك ليعلم ما تكن صدورهم وما يعلنون} [النمل: ٧٤]، فكل هذا حديث عن الصدر المعنوي لا التجويف المسمى بالقفص الصدري.

(١) - (أخرجه الترمذي ح (٢١٤٠)، وأحمد ح (١١٦٩٧).

(٢) - التقرير والتجويف، ابن أمير الحاج (٣/٣٧٨). الناشر: دار الكتب العلمية الطبعة: الثانية، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

وجاءت نصوص قرآنية ونبوية تجمع بين الصدر المعنوي والقلب المعنوي، منها قول الله: {من كفر بالله من بعد إيمانه إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان ولكن من شرح بالكفر صدرا فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم} [النحل: ١٠٦].

ومثله قوله: {وليمحص ما في قلوبكم والله عليم بذات الصدور} [آل عمران: ١٥٤]، ومثله قول النبي ﷺ: «والإثم ما حاك في القلب وتردد في الصدر» (١). وهكذا تبين أن القرآن حين تحدث عن حواس الإنسان فإنما قصد البعد الإيماني المعنوي لها، وكذلك نسب التحكم فيها إلى القلب والصدر الإيماني المعنوي، لا الحسي، فثبت بذلك صدق القرآن، وتبين فساد هذه الأبطولة من أباطيل المرجفين. (٢)

## تاسعاً : هل النجوم لرجم الشياطين؟

قالوا: القرآن يتحدث عن النجوم السيارة الهائلة في حجمها، والتي يكبر حجم بعضها الأرض آلاف المرات، وأن الله خلقها ليرجم بها الشياطين، وأنها تتحرك في السماء خلف هذه الشياطين، وهذا المعنى الغريب - ورد حسب اعتقادهم - في قوله تعالى: {ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين وأعدنا لهم عذاب السعير} [الملك: ٥].

والجواب: إن القرآن لم يقل: خلق الله النجوم لأجل هذا، ولم يقل أن النجوم السيارة تتبع الشياطين، بل أخبر تعالى أنه خلق في السماء مصابيح، أي أجساماً مضيئة تحرق الشياطين، وهذه المضيئات قد تكون نجومًا، وقد تكون شهبًا، فالأمر محتمل للمعنيين لولا أن الآيات القرآنية تبين أن المقصود من المصابيح الشهب؛ لا النجوم، قال تعالى: {وأنا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهاباً رصداً} [الجن: ٩]، وقال: {وحفظناها من كل شيطان رجيم إلا من استرق السمع فأتبعه شهاب مبين} [الحجر: ١٧ - ١٨]، وقال: {إلا من خطف الخطفة فأتبعه شهاب ثاقب} [الصفات: ١٠]، فالشهب هي الأجسام المضيئة التي تحرق الشياطين، وهذه الشهب منها الكبير، ومنها الصغير، وهي نجوم أو كواكب مفتتة تسبح في الكون الفسيح، فإذا شاء الله عقوبة واحد من الشياطين سلط عليه واحداً من هذه الشهب، فرجمه به، فما الذي يستنكره العاقل في عقوبة الله لهذه المخلوقات بحرقها بشهب السماء؟. (٣)

رد آخر :

قال تعالى: (ما أشهدتهم خلق السموات والأرض ولا خلق أنفسهم وما كنت متخذ المضلين عضداً) [الكهف: ٥١]. والإسلام ليس بدعاً من الأديان ولذلك نرى أن الكتب المقدسة تذكر ذلك؛ فإن الله تعالى يقول: (وأنا لمننا السماء فوجدناها ملئت حرساً شديداً وشهباً\* وأنا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهاباً رصداً) [الجن: ٩.٨]. قال ذلك حكاية عن الجن. وليس المعنى كما فهم المؤلف، وإنما المعنى هو أن الله جعل على السماء حراساً من الملائكة، وخلق لهم أدوات عقاب تناسب أجسام الشياطين. وهي

(١) - أخرجه أحمد ح (١٧٥٤٠).

(٢) - تنزيه القرآن للسقار ص ٢٠٠ وما بعدها

(٣) - تنزيه القرآن للسقار ص ٢٠٣

الشهب. فإذا جاء شيطان رماه أحد الملائكة بشهاب وليست الشهب كواكب كالقمر والشمس، وإنما هي أدوات عقاب كالسيف في يد الجندي المحارب.

وفي الإصحاح الثالث من سفر التكوين؛ أن الله لما طرد آدم من الجنة وهي جنة عدن، ليعمل الأرض التي أخذ منها، أقام شرقي جنة عدن ملائكة تسمى الكروبيم، ووضع لهيب سيف متقلب في أياديهم لحراسة طريق شجرة الحياة: " فأخرجه الرب الإله من جنة عدن ليعمل الأرض التي أخذ منها؛ فطرد الإنسان، وأقام شرقي جنة عدن الكروبيم، ولهيب سيف متقلب لحراسة طريق شجرة الحياة " (تك ٣: ٢٣-٢٤).  
ويقول المفسرون: " إن الكروبيم من الملائكة المقربين. وهو في الفارسية بمعنى الحارس ". وكان عملهم وقت طرد آدم هو " حراسة الفردوس؛ لئلا يرجع الإنسان إليه ".

وفي القرآن تفسير الشهب بشواظ من نار. في قوله تعالى: { يا معشر الجن والإنس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض فانفذوا لا تنفذون إلا بسلطان \* فبأى آلاء ربكما تكذبان \* يرسل عليكم شواظ من نار ونحاس فلا تنتصران } [الرحمن: ٣٥.٣٣] فقد جعل للجن غير ما جعل للإنس من أدوات العقاب. ولم يجعل للجن كواكب تُرمى بها كالقمر والشمس، وإنما جعل للجن " شواظ " أى " شهب ". (١)

## عاشراً : هل القرآن يشجع على فعل المعاصي؟

قالوا: القرآن يشجع على المعاصي من غير الكبائر بقوله: {ولله ما في السماوات وما في الأرض ليجزي الذين أسأؤوا بما عملوا ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش إلا اللمم إن ربك واسع المغفرة } [النجم: ٣١ - ٣٢]، فهذا الوعد الإلهي بالمغفرة لأصحاب الصغائر يغري بها. والجواب: أن العلماء اختلفوا في اللمم المغفو عنه على أقوال ذكرها الطبري (٢): أ. أنها ذنوب الجاهلية يغفرها الله في الإسلام، قال الطبري: " معنى الكلام: الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش، إلا اللمم الذي ألموا به من الإثم والفواحش في الجاهلية قبل الإسلام، فإن الله قد عفا لهم عنه، فلا يؤاخذهم به".  
ب. أنه ما يلم به المرء، أي يصيبه من ذنب صغير أو كبير من غير إصرار عليه، ثم يتوب منه، قال أبو هريرة - رضي الله عنه - : (اللمة من الزنى، ثم يتوب ولا يعود، واللمة من السرقة، ثم يتوب ولا يعود؛ واللمة من شرب الخمر، ثم يتوب ولا يعود، فتلك الإمام)، وهذا المعنى مروى عن عامة أصحاب النبي ﷺ، قال الحسن: (كان أصحاب النبي ﷺ يقولون: هذا الرجل يصيب اللمة من الزنا، واللمة من شرب الخمر، فيخفيها فيتوب منها).  
ج. أنها صغار الذنوب مما لا يوجب حدا في الدنيا ولا توعده بعقوبته في الآخرة، وقد رجحه الطبري مستدلاً بقوله تعالى: { إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وندخلكم مدخلا كريماً } [النساء: ٣١]، فاجتناب الكبائر سبب في مغفرة الصغائر، لكن هذا أيضاً معلق بالتوبة وعدم الاسترسال في الصغيرة، حتى لا تتحول باستمرارها إلى كبيرة، فقد سأل رجل ابن عباس: كم الكبائر؟ سبعا هي؟ قال: (هي إلى سبعمائة أقرب منها إلى سبع، وإنه لا كبيرة مع استغفار، ولا صغيرة مع إصرار) (٣).

(١) - حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين ، شبهة رقم ٦٧ .

(٢) - في تفسيره ((٢٢/٥٣٢)). مرجع سابق

(٣) - (أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٣/٩٣٤)، والقضاعي في مسند الشهاب ح (٨٥٣)).

ولذا حذر القرآن الكريم من الصغائر، وأخبر أن الله يكتب على العبد الصغير من عمله والكبير، فإذا قامت القيامة وجد العبد الجميع بين يديه {ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه ويقولون يا ويلتنا مال هذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ووجدوا ما عملوا حاضرا ولا يظلم ربك أحدا} [الكهف: ٤٩]، {ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره} [الزلزلة: ٨]، ولسوف يحاسب الله العبد المؤمن على هذه الصغائر {فأما من أوتي كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا} [الانشقاق: ٧ - ٨].

كما حذر النبي ﷺ من الصغائر في مواضع كثيرة، منها قوله: «إن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله لا يلقي لها بالا يهوي بها في جهنم» (١)، وقوله: «إياكم ومحقرات الذنوب، فإنما مثل محقرات الذنوب كقوم نزلوا في بطن واد، فجاء ذا بعود، وجاء ذا بعود حتى أنضحوا خبزتهم، وإن محقرات الذنوب متى يؤخذ بها صاحبها تهلكه» (٢)، وقال ﷺ: «يا عائشة إياك ومحقرات الأعمال، فإن لها من الله طالبا» (٣). وأود أن أهمس في أذان الطاعنين في القرآن من أبناء الكنيسة، فأقول: ليس من عقيدة في الدنيا تشابه المسيحية التي تريح المؤمن من طرق أبواب الفضيلة بالقدر الذي تفتحه أمامه من مصاريع الشر والرديلة، فهي تعتبر البشرية خاطئة فاجرة بالفطرة " ليس بار ولا واحد. ليس من يفهم. ليس من يطلب الله. الجميع زاغوا وفسدوا معا. ليس من يعمل صلاحا، ليس ولا واحد" (رومية ٣ / ١٠ - ١٢)، ولذلك يقول لوثر أحد مؤسسي المذهب البروتستانتي: " إن الإنجيل لا يطلب منا الأعمال لأجل تبريرنا، بل بعكس ذلك، إنه يرفض أعمالنا ... إنه لكي تظهر فينا قوة التبرير يلزم أن تعظم آثامنا جدا، وأن تكثر عددها"، وهذا المعنى يستوحيه المصلح الإنجيلي الشهير من رسالة بولس إلى أهل رومية: "وأما الناموس فدخل لكي تكثر الخطية، ولكن حيث كثرت الخطية ازدادت النعمة جدا" (رومية ٥ / ٢٠).

ويفتح الإصلاحية الشهير ملانكتون في كتابه " الأماكن اللاهوتية " كل أبواب الرديلة أمام المؤمنين الذين يغنيهم الغيمان عن كل عمل صالح: " إن كنت سارقا أو زانيا أو فاسقا لا تهتم بذلك، عليك فقط أن لا تنسى أن الله هو شيخ كثير الطيبة، وأنه قد سبق وغفر لك خطاياك قبل أن تخطئ بزمن مديد ". (٤)

## حادي عشر : الجنة والخمر

قالوا: إذا كان الله لا يجعل المحرم جزاء للمؤمنين، فما باله جعل الخمر جزاء لهم؟! والجواب: حرم الله الخمر لما فيها من تعطيل لموهبة العقل التي منحها الله للإنسان، والتي ميزه بها عن الحيوان، فقد بعث الله الأنبياء وأنزل الشرائع لحراسة هذا المقصد النبيل، فحرم قليل الخمر وكثيرها «ما أسكر كثيره فقليله حرام» (٥)، ولعن رسول الله ﷺ في الخمر كل مساهم في شيوخ فسادها، يقول أنس - رضي الله عنه - : «لعن رسول الله ﷺ في الخمر عشرة: عاصرها ومعتصرها وشاربها، وحاملها والمحمولة إليه، وساقبها

(١) - (البخاري ح (٦٤٧٨)، ومسلم ح (٢٩٨٨)).

(٢) - (أحمد ح (٢٢٣٠١)).

(٣) - (ابن ماجه ح (٤٢٤٣)، وأحمد ح (٢٣٨٩٤)).

(٤) - تنزيه القرآن للسقار ص ٢٠٤ .

(٥) - (أخرجه الترمذي ح (١٨٦٥)، والنسائي ح (٥٦٠٧)، وأبو داود ح (٣٦٨١)، وابن ماجه ح (٣٣٩٣)).

وبائعها وأكل ثمنها، والمشترى لها والمشترأة له» (١). فإذا عرفت علة التحريم لخمير الدنيا؛ عرف علة كونها حلالاً بل جزاء للمؤمنين في الآخرة، فخمير الجنة ليس فيها واحدة من المزريات الموجودة في خمير الدنيا، وكما قال ابن عباس رضي الله عنهما: (ليس في الجنة شيء يشبه ما في الدنيا إلا الأسماء) (٢). ولقد وصف الله خمير الجنة بأحسن الوصف، ونزهها عما يعتري خمير الدنيا من الفساد، فلئن كانت خمير الدنيا مما يستقبح طعمه؛ فإن خمير الجنة لذة للشاربين: {مثل الجنة التي وعد المتقون فيها أنهار من ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمير لذة للشاربين وأنهار من عسل مصفى} [محمد: ١٥]. ولئن كانت خمير الدنيا المحرمة تذهب العقل؛ فإن خمير الجنة ليست كذلك: {يطاف عليهم بكأس من معين ببيضاء لذة للشاربين لا فيها غول ولا هم عنها ينزفون} [الصفات: ٤٥ - ٤٦]، فاختلاف الأحكام لاختلاف الخواص والصفات. ولئن كانت خمير الدنيا تصدع رؤوس أصحابها وتمرضهم؛ فإن خمير الجنة منزهة عن ذلك، فالولدان المخلدون يطوفون عليهم {بأكواب وأباريق وكأس من معين لا يصدعون عنها ولا ينزفون} [الواقعة: ١٨ - ١٩]. قال الطبري: "لا في هذه الخمر غول، وهو أن تغتال عقولهم، يقول: لا تذهب هذه الخمر بعقول شاربيها كما تذهب بها خمور أهل الدنيا إذا شربوها فأكثرها منها، كما قال الشاعر: وما زالت الكأس تغتالنا ... وتذهب بالأول الأول" (٣).

وأكد الله هذه الخاصية لخمير الجنة بقوله: {ولا هم عنها ينزفون} [الصفات: ٤٧]، قال الطبري: "من الإنزاف بمعنى: ذهاب العقل من السكر، ومنه قول الأبيورد: لعمرى لئن أنزفتموا أو صحوتم ... لبئس الندامى كنتم آل أبحرا" (٤). وهكذا يستبين للمنصف خطأ وتبني أصحاب الفهوم المعوجة أو المنكوسة على القرآن الكريم الذي أرسى فضائل الأخلاق ومعالي الآداب، وأقام حضارة ذخرت بالقيم التي لم تعرفها من قبل ولا من بعد أمة من أمم العالمين (٥).

## الثاني عشر : هل أخطأ القرآن في ذكر السامري في عهد موسى؟

قالوا: تحدث القرآن عن السامري الذي يصنع العجل في زمن موسى {فكذلك ألقى السامري (٨٧) فأخرج لهم عجلاً جسداً له خوار فقالوا هذا إلهكم وإله موسى فنسي} [طه: ٨٧ - ٨٩]، أي في حوالي السنة (١٤٠٠ ق م)، في حين أن الكتاب المقدس يذكر أن السامرة هي عاصمة الأسباط العشرة، وتأسست إبان حكم الملك عمري بن آخاب ملك إسرائيل، أي بعد موسى بما يربو على خمسمائة سنة (انظر الملوك (٢) ٢٣ / ١٦ - ٢٥).

الجواب: تم الرد عليها بالتفصيل سابقاً ولنلخص أنه لا يوجد نص في الكتاب المقدس يتحدث عن تاريخ بناء السامرة، والمذكور في سفر الملوك لم يفهمه العلماء الكتابيون على أنه بناء تأسيس، يقول قاموس

(١) - (أخرجه الترمذي ح (١٢٩٥)، وابن ماجه ح (٣٣٨١)، وأحمد ح (٤٧٧٢).

(٢) - (أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١/٦٦)، مرجع سابق .

(٣) - (جامع البيان، الطبري (٢١/٣٧)، مرجع سابق .

(٤) - (المصدر السابق (٢١/٤٠).

(٥) - (تنزيه القرآن للسقار ص ٢٠٦ .

الكتاب المقدس: «وقد بنيت المدينة أو أصلح بناؤها أيام عمري بن آخاب ملك إسرائيل (٨٧٦ - ٨٤٢ ق. م)» (١).

ولو فرضنا أن الكتاب المقدس زعم أمراً ما بخصوص هذا الموضوع أو غيره، فهذا لا يحتاج به على القرآن، بل ولا على كتب التاريخ، فموثوقية هذه الأسفار ومعلوماتها أقل من أن يستشهد بها؛ فضلا عن بلوغها درجة الاحتجاج ومحاجة الآخرين أو محاكمة كتبهم.

وأستشهد هنا بإقرار المطران كيرلس سليم بسترس رئيس أساقفة بعلبك وتوابعها للروم الكاثوليك بتعارض الروايات التوراتية ومعطيات العلم الأولية، واعتذاره لذلك بالقول: «لحل تلك التناقضات بين الكتاب المقدس والعلم، لا بد لنا من التأكيد من جديد أن الكتاب المقدس ليس كتابا علميا يحوي دروسا في علم الكون أو في علم الحياة؛ إنما هو كتاب ديني يحتوي تعاليم عن علاقة الكون بالله خالقه» (٢)، فلا ينبغي اعتبار الكتاب مصدرا معتبرا في العلوم الكونية والإنسانية، ومنها علم التاريخ الذي نحن بصدد دراسة واحدة من مسأله.

وعلى كل حال فإن القرآن سمي صاحب العجل بالسامري، وهو اسم قديم سمي به (شامر بن محلي بن موشي بن مراري بن لاوي)، وهو الجيل الرابع للاوي بن يعقوب عليه السلام (انظر: الأيام (١) ٦ / ٤٧)، أي كان معاصرا لموسى (بن عمران بن قهات بن لاوي) (انظر الخروج ٦ / ١٦ - ٢٠)، فدل ذلك على وجود هذا الاسم زمن موسى عليه السلام، وأن لا ارتباط بينه وبين مدينة السامرة التي سبني بعد قرون؛ إلا أن تكون قد سميت نسبة إلى هذا الاسم القديم. ويصح أن يقال أيضا بأن موسى عليه السلام نادى السامري باسم مهنته (يا حارس)، فلفظة (السامري) مشتقة من الكلمة العبرانية (؟؟؟؟)، وتنطق: ها شمير) معناها: (الحارس). ويحتمل أيضا أن السامري كان من أبناء السومريين، وهي حضارة وجدت قبل الميلاد بأربعة آلاف سنة في جنوب العراق، واستمرت قائمة حتى عام ٢٠٠٠ ق. م، ويتعزز هذا الاحتمال بمعرفتنا أن السومريين برعوا بالمصنوعات الخزفية، التي تتوافق مع ما فعله السامري الذي صنع العجل الذهبي لبني إسرائيل (٣). وفي كل واحد من هذه الاحتمالات ما يدفع هذه الأبطولة ويؤذن بضعفها، ويكشف عن بوار فكر أصحابها. (٤)

### الثالث عشر : هل أخطأ القرآن بذكر هامان المصري؟

قالوا: أخطأ القرآن فنسب هامان الفارسي إلى أرض مصر، وجعله وزيرا لفرعون إبان حياة موسى عليه السلام؛ خلافا لما تذكره التوراة عن هامان الفارسي في سفر إستير، فقد كان وزيرا وخليلا لأحشوريش (زرقيس) ملك الفرس، بعد موسى ب ١١٠٠ سنة.

والجواب: تم الرد عليها سابقا بالتفصيل ونعيد أنه من عجائب الطاعنين في القرآن أنهم يحاكمونه إلى كتبهم المقدسة، والتي لا يعرف كاتبها في الجملة، ولا يمكن توثيق شيء من صفحاتها، فتصبح هذه الكتب -

(١) - (قاموس الكتاب المقدس، ص (٤٤٨)). عن السقار تنزيه القرآن

(٢) - (تاريخ الفكر المسيحي، الدكتور القس حنا جرجس الحضري (١٦٩ / ١ - ١٧٠)، وانظر كيف يفكر الإنجيليون في أساسيات الإيمان المسيحي، واين جردوم، ص (٧٥)).

(٣) - (موسوعة المورد، منير البعلبكي (١٣٨ / ٩)).

(٤) - تنزيه القرآن للسقار، وتم الرد بتوسع عن هذه الشبهة في فصل سابق.

التي تدعو أحوالها للثناء - ميزانا يقيسون عليه كتب الآخرين ، ولو تحدثنا عن سفر إستير تحديدا فإنه سفر مجهول المؤلف، قال الدكتور سمعان كلهون في كتابه " مرشد الطالبين " عن كاتبه: (مجهول)، فهل يليق عند العقلاء محاكاة القرآن إلى مرجع لا سند له، وكاتبه مجهول!.

وقد تشكك في مصدر هذا السفر المحققون من أهل الكتاب، فتوقفوا في قداسته وأصالته بل وتاريخيته، ونقل ذلك البروفيسور إسرائيل لركن عن كل النقاد المعاصرين تقريبا. وكان مارتن لوثر في القرن السادس عشر قد سبق إلى القول: «ليت هذا السفر لم يوجد»، متابعا في قوله من سبقه من الآباء الأوائل المنكرين لقدسية هذا السفر التوراتي الذي خلت من اسمه قائمة الأسقف مليتو أسقف سارديس عام ١٧٠م، وهو صاحب أقدم قوائم الأسفار المقدسة، وتخلو منه أيضا بعد ذلك قائمة البابا أثناسيوس نجم مجمع نيقية وواضع قانونه الشهير (١).

ولو سلمنا بصحة القصة الأسطورية التي يحكيها سفر إستير عن هامان الفارسي؛ فإنه ليس ثمة ما يمنع أن يتسمى بهذا الاسم أيضا واحد من وزراء أو مستشاري فرعون ملك مصر، ولا يمكن إقامة دليل على عدم وجود مستشار بهذا الاسم أو اللقب. بل الحقيقة بخلافه، فقد ذكر المحققون وجود هامان قريبا من فرعون، ففي كتابه ( Moise et Pharaon ) " موسى وفرعون " يقول الدكتور موريس بوكاي ما نصه: «يذكر القرآن الكريم شخصا باسم هامان هو من حاشية فرعون، وقد طلب إليه هذا الأخير أن يبني صرحا عاليا يسمح له، كما يقول ساخرا من موسى، أن يبلغ رب عقيدته.

وأردت أن أعرف إن كان هذا الاسم يتصل باسم هيروغليفية من المحتمل أنه محفوظ في وثيقة من وثائق العصر الفرعوني، ولم أكن لأرضى بإجابة عن ذلك إلا إذا كان مصدرها رجلا حجة فيما يخص اللغة الهيروغليفية وهو يعرف اللغة العربية الفصحى بشكل جيد، فطرح السؤال على عالم المصريات وهو فرنسي يتوافر فيه الشرطان المذكوران تماما.

لقد كتبت أمامه اسم العلم العربي (هامان) ولكنني أحجمت عن إخبار مخاطبي بحقيقة النص المعني، واكتفيت بإخباره أن هذا النص يعود تاريخه بشكل لا يقبل النقض إلى القرن السابع الميلادي. كان جوابه الأول أن هذا الأصل مستحيل، لأنه لا يمكن وجود نص يحتوي على اسم علم من اللغة الهيروغليفية، وله جرس هيروغليفي، ويعود إلى القرن السابع الميلادي، وهو غير معروف لحد الآن، والسبب أن اللغة الهيروغليفية نسيت منذ زمن بعيد جدا. بيد أنه نصحتني بمراجعة معجم أسماء الأشخاص في الإمبراطورية الجديدة Dictionary of Personal names of the New والبحث فيه إن كان هذا الاسم الذي يمثل عندي الهيروغليفية موجودا فيه حقا. لقد كان يفترض ذلك.

وعند البحث وجدته مسطورا في هذا المعجم تماما كما توقعته، ويا للمفاجأة!! ها أنا فضلا عن ذلك أجد أن مهنته كما عبر عنها باللغة الألمانية (رئيس عمال المقالع)، ولكن دون إشارة إلى تاريخ الكتابة إلا أنها تعود إلى الإمبراطورية التي يقع فيه زمن موسى، وتشير المهنة المذكورة في الكتابة إلى أن المذكور كان مهتما بالبناء

مما يدعو إلى التفكير بالمقاربة التي يمكن إجراؤها بين الأمر الذي أصدره "فرعون" في القرآن وبين هذا التحديد في الكتاب».

وهذا الاسم لهامان المصري أشير إليه في لوح أثري في متحف هوف في فيينا وفي مجموعة من النقوش كشفت لنا أن هامان كان رئيس عمال محجر البناء، وقد كشف عنه كنت كتشن (K.A. Kitchen) في كتابه (Pharaoh Triumphant the life and times of Ramesses II)، وترجمه إلى العربية أحمد زهير أمين بعنوان "رمسيس الثاني، فرعون المجد والانتصار"، وفيه يتحدث كتشن نقلا عن المكتشفات المصرية عن الشاب em inet Amen ابن (ون نفر) كبير كهنة آمون. Amen أو (هامن) كان صديقا مقربا للأمير الذي سيصبح بعد برهة الملك الفرعوني رمسيس الثاني، ويتحدث بإسهاب عنه وعن عائلته، وعن المناصب التي تقلدها وأقرباؤه في البلاط الملكي، فقد رقاہ رمسيس الثاني إلى قائد المركبات الملكية قبل أن يصبح رسوله ثم مديرا لمشاريعه ومسؤولا عن قطاع الصناعة في بلاط الملك، وهكذا فإن القرآن يثبت مرة بعد مرة أنه كلام الله العليم الذي أطلع نبيه ﷺ على أخبار الغيب الحاضرة والمستقبله {تلك من أنباء الغيب نوحيها إليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا فاصبر إن العاقبة للمتقين} [هود: ٤٩]. (١)

## الرابع عشر : هل يؤمن اليهود برسالة المسيح عليه السلام؟

قالوا: أخطأ القرآن حين نسب إلى اليهود القول بأن المسيح رسول الله، وهم يكفرون به، وذلك في قوله تعالى: {وبكفرهم وقولهم على مريم بمتانا عظيما\* وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله} [النساء: ١٥٦ - ١٥٧].

الجواب: من المتيقن عندنا أن اليهود كفروا بالمسيح عليه السلام، واتهموه وأمه بأشنع القبائح، وهو ما حكته الآية الكريمة عنهم حين وصفتهم بالكفر {وبكفرهم}، والمقصود بكفرهم بالمسيح كما هو واضح من سياق التالية لها: {وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا} [النساء: ١٥٩]. وأما وصفهم للمسيح بأنه رسول الله فجاء منهم على سبيل التهكم والسخرية منه، أو على معنى مقدر (قتلنا المسيح الذي يزعم أنه رسول الله)، وهو أسلوب في الإضمار معلوم عند أرباب البلاغة، ورد مرارا في القرآن الكريم، ومنه قوله تعالى: {وقالوا يا أيها الذي نزل عليه الذكر إنك لمجنون (٦) لو ما تأتينا بالملائكة إن كنت من الصادقين} [الحجر: ٦ - ٧]، فكفار قريش يصفون النبي ﷺ بالمجنون، ولا يؤمنون بأن القرآن (ذكر)، ولا يصدقون بنزوله على النبي ﷺ، وقولهم: {نزل عليه الذكر} خرج مخرج السخرية منه، أو بمعنى: (يا أيها الذي يزعم أنه نزل عليه الذكر).

ومثله ما حكاه الله عز وجل عن وصف اليهود للقرآن في قوله تعالى: {وقالت طائفة من أهل الكتاب آمنوا بالذي أنزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره لعلهم يرجعون} [آل عمران: ٧٢]، فوصفهم

(١) - تم الرد على هذه الشبهة سابقا وانظر تنبيه القرآن للسقار

للقرآن بأنه {أنزل}، وللصحابة بأنهم {الذين آمنوا} خرج مخرج السخرية من القرآن والمؤمنين، أو على سبيل حكاية قولهم، بمعنى: (آمنوا بالقرآن الذي يزعمون هؤلاء الإيمان به، وأنه منزل من عند الله).

ومثله أيضاً ما حكاه الله تعالى من قول كفار قوم شعيب عليه السلام {قالوا يا شعيب أصلاتك تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا أو أن نفعل في أموالنا ما نشاء إنك لأنك الحليم الرشيد} [هود: ٨٧]، أي (أنت الذي تزعم أنك الحليم الرشيد).

ومثله كذلك خرج مخرج السخرية والاستصغار للمشرك حين يدخل النار قول الله تعالى: {ذق إنك أنت العزيز الكريم (٤٩) إن هذا ما كنتم به تمترون} [الدخان: ٤ - ٥٠]، أي (كنت تزعم أنك العزيز الكريم). فمن عرف ما عرف العرب لم ينكر ما سكتوا عنه، فإن القرآن نزل بلسانهم، ووفق طرائقهم في البيان والتعبير، ومنها التهكم والحكاية.<sup>(١)</sup>

## الخامس عشر : هل الجبال أوتاد و تحفظ توازن الأرض (وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ) [النحل: ١٥]

وقال في الكشف: ( وَالْجِبَالُ أَوْتَادًا ) أي : أرسيناها بالجبال كما يرس البيت بالأوتاد .وفي البحر المحيط ( وَالْجِبَالُ أَوْتَادًا ) أي : ثبتنا الأرض بالجبال كما يثبت البيت بالأوتاد وقال الشوكاني: ( وَالْجِبَالُ أَوْتَادًا ) الأوتاد : جمع وتد أي جعلنا الجبال أوتاداً للأرض لتسكن ولا تتحرك كما يرس البيت بالأوتاد (٢). في المزمور ٧٥ : ٢ [أنا وزنت أعمدتها] وفي مز ١٠٤ : ٥ [المؤسس الأرض على قواعد فلا تتزعزع إلى الدهر والأبد] أما في علم الجيولوجيا أن الله جعل الجبال لحفظ الأرض؛ وذلك مثل الفقاعات تشاهد كالقبة على سطح المياه وتدور مع المياه وهي مثبتة في جميع أطرافها، وأن الجبال آخر مراحل تكوين الأرض في بدء الخليقة. وللدكتور زغلول النجار كتاب مستقل عن الجبال ، الجبال تثبت القشرة الأرضية على الحمم المتحركة وطبقة السيام فلولا الجبال لكانت القشرة الأرضية بألواحها كبقع الزيت على الماء تتمايع وتمزج وتفصل وتتحرك وهذا قول الله تعالى {وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ} [النحل ١٥] .

قام العلماء R. CARBONELL, A. PÉREZ-ESTAÚN, J. GALLART, J. DIAZ, S. KASHUBIN, J. MECHIE, R. STADTLANDER, A. SCHULZE, J. H. KNAPP, A. MOROZOV بدراسة عام ١٩٩٦ حول جذور الجبال، وتركزت الدراسة في جبال الألب في أوربا، ووجدوا أن هذه الجبال تمتد عميقاً في الأرض لعشرات الكيلومترات (٤٠-٥٠ كيلو متر) وفي بحث آخر تم من خلاله إثبات وجود الجذور للجبال، لاحظت أن العلماء DIAZ J. ; GALLART J. ; PULGAR J. A. ; PEDREIRA D. يستخدمون كلمة WEDGE (٣) وهي تعني (وتد) فقد استخدموا هذه الكلمة وهم لم يقرأوا القرآن، لماذا؟ الجواب لأنهم وجدوا أوتاداً حقيقية للجبال، ولذلك وضعوا هذه الكلمة في بحثهم، ولكنهم نسوا أن القرآن سبقهم إلى ذلك بأربعة عشر قرناً!

(١) - راجع تنزيه القرآن للسفار .

(٢) - الزمخشري في الكشف (٤ / ٦٨٥) وابو حيان في البحر (١٠ / ٣٤٨) والشوكاني في فتح القدير (٥ / ٤٣٩) .

(٣) CRUSTAL ROOT BENEATH THE URALS: WIDE-ANGLE SEISMIC EVIDENCE, WWW.SCIENCEMAG.ORG (٣) SEISMIC EVIDENCE OF ALPINE CRUSTAL THICKENING AND WEDGING FROM THE WESTERN PYRENEES TO THE CANTABRIAN MOUNTAINS, WWW.CAT.INIST.FR

## السادس عشر : القرآن يتناقض مع العلم

إنه جاء في القرآن أن الله خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن {الطلاق: ١٢}. فكيف يقول عن أرضنا وهي واحدة من ملايين الكواكب . إنه يوجد سبعة مثلها؟ وفي القرآن: (أن السماء سقفاً محفوظاً) ، وأن الله يمسكها لئلا تقع. فكيف يقول عن الفضاء غير المتناهي: إنه سقف قابل للسقوط؟ وفي القرآن أن الله زين السماء الدنيا بمصابيح، فكيف يقول عن ملايين الكواكب التي تسبح في هذا الفضاء غير المتناهي إنها مصابيح؟ الرد على الشبهة: هذا السؤال مكون من ثلاثة أجزاء:

الجزء الأول: هو أنه ليس في العالم سبعة أرضين. فكيف يقول عن الأرض: إنها سبعة كما أن السموات سبعة؟ وقول المؤلف إن الأرض سبعة؛ أخذه من بعض مفسري القرآن الكريم. وهو يعلم أن المفسرين مجتهدون، ويصيبون ويخطئون. والرد عليه في هذا الجزء من السؤال هو: أن نص الآية هو: {الله الذي خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن ينزل الأمر بينهن لتعلموا أن الله على كل شيء قدير وأن الله قد أحاط بكل شيء علماً} {الطلاق: ١٢} .

إنه أتى بـ (من) التي تفيد التبعية؛ لينفي العدد في الأرض. وليثبت المثلية في قدرته. فيكون المعنى: أنا خلقت سبع سموات بقدرتي، وخلقت من الأرض مثل ما خلقت أنا السماء بالقدرة. ولهذا المعنى علل بقوله: (لتعلموا أن الله على كل شيء قدير).

وبيان التبعية في الأرض: هو أن السماء محكمة، وأن الأرض غير محكمة. وهي غير محكمة لحدوث الزلازل فيها، وللنقص من أطرافها. وقد عبّر عن التبعية في موضع آخر فقال: {أفلا يرون أنا نأتي الأرض ننقصها من أطرافها} [الأنبياء: ٤٤] . والنقص من الأطراف يدل على أن الباقي من الأرض ممسوك بقدرة الله، كما يمسك السماء كلها.

والجزء الثاني: هو أن السماء سقف قابل للسقوط. والرد عليه في هذا الجزء من السؤال هو: أن كل لغة فيها الحقيقة وفيها المجاز. والتعبير على المجاز. فإن السماء شبه سقف البيت، والمناخ للسقف من السقوط على الحقيقة هو الأعمدة، وعلى المجاز هو الله؛ لأن كل شيء بقدرته. ولذلك نظير في التوراة وفي الإنجيل: " بالكسل يهبط السقف ". وفي ترجمة أخرى: " من جراء الكسل ينهار السقف. وتراخي اليدين يسقط البيت " [جامعة ١٠: ١٨] يريد أن يقول: إن الكسل يؤدي إلى الفقر، والفقر يؤدي إلى خراب البيوت. وعبر عن الخراب بانحيار السقف. والسقف لا ينهار بالكسل، وإنما بهد الأعمدة التي تحمله. وفي سفر الرؤيا: " فسقط من السماء كوكب " [رؤ ٨: ١٠] كيف يسقط كوكب من السماء بغير إرادة الله؟ وفي سفر الرؤيا: " ونجوم السماء سقطت " (رؤ ٦: ١٣) ، ويقول عيسى عليه السلام: إن العصفور لا يقع إلى الأرض إلا بإرادة الله: " أما يباع عصفوران بفلس واحد. ومع ذلك لا يقع واحد منهما إلى الأرض خفية عن أبيكم " [متى ١٠: ٢٩] . وفي الرسالة إلى العبرانيين: " حقاً ما أربح الوقوع في يدي الله الحي؟ " [عب ١٠: ٣١] .

والجزء الثالث: وهو أنه كيف يقول عن الكواكب إنها مصابيح؟ والمؤلف دل بقوله هذا على إنكار الواقع والمشاهد في الحياة الدنيا، ودل أيضاً بقوله هذا على جهله بالتوراة وبالإنجيل. ففي سفر الرؤيا: " كوكب عظيم

متقد كمصباح " [رؤ ٨ : ١٠] ، "وأمام العرش سبعة مصابيح " [رؤ ٤ : ٥] ، وجاء المصباح على المجاز في قول صاحب الأمثال: " الوصية مصباح والشريعة نور " [أم ٦ : ٢٣] . (١)

## السابع عشر : كيف يكون العلم كفرة؟

يعترض على قوله: {إنما النسئ زيادة في الكفر} [التوبة: ٣٧] أن النسئ الذى فى السنة القبطية من الحساب الفلكى .. فكيف يكون العلم كفرة؟

الرد على الشبهة: أن النسئ فى الآية هو ما كان يفعله المشركون من تبديل الأشهر الحرم مكان الأشهر الحلال ليستحلوا بذلك القتال فيها، ولا علاقة له بالأيام التى تضبط السنة القبطية للزراعة، ومن هنا يتبين مدى محاولة التلبيس والتدليس الذى يضحك منها العارفون مع حزنهم أن يصل الترصّد ضد كلام الله سبحانه والعمل على أن لا يصل إلى الخلق باعتباره . الكلمة الأخيرة للعالمين . إلى هذا الحد الرخيص من التلاعب بالألفاظ والمصطلحات. (٢)

## الثامن عشر : ريّ مصر بالغيث!

إن أرض مصر تُروى بالنيل، ولا تروى بالمطر. وفى القرآن: {ثم يأتى من بعد ذلك عام فيه يُغاث الناس وفيه يعصرون} [يوسف: ٤٩] . وهذا يدل على غوثهم بالمطر. فكيف ينسب خصب مصر للغيث والمطر؟ الرد على الشبهة: هنا كلمتان: ١- (يغاث ) ، ٢- (يعصرون ) .

وكلمة الغوث على الحقيقة تدل على نزول ماء من السماء. وكلمة العصر على الحقيقة تدل على عصير العنب. لأن الشائع بين الناس فى العصر هو العنب. والمؤلف يوجه النقد على المعنى الحقيقى فى نزول المطر، ولم يوجه النقد لعصير العنب. وكلمة الغيث جاءت على الحقيقة مثل: " فامتنع الغيث ولم يكن مطر " [إرمياء ٣ : ٣] ، وجاءت على المجاز مثل: " لأعرف أن أغيث المعى " [إشعيا ٥٠ : ٤] . أما على المجاز فالشبهة منتفية. وأما على الحقيقة فهذا هو غرض المعترض وهو مغرض فى ذلك ، وذلك لأن الأمر كله خارج على المؤلف. وبيان خروجه على المؤلف: أن المدة خمس عشرة سنة. سبع شداد يأكلن سبعاً سمائاً أو: سبع سمان يأكلهن سبع عجاف. والسنة الأخيرة يأتى فيها الخير قليلاً. والمناسب لقلة الخير؛ نزول المطر. وقلة المياه تكفى لرى العنب والفواكه فى أماكن زراعته، وتكفى لإنبات قمح يكون بذره بذرا للسنوات الآتية التى سيكثر فيها ماء النيل. وهذا أمر غير مستبعد فى العقل. فكيف يكون شبهة؟

أما عن العصر. فإنه يكون على الحقيقة مثل: " فأخذت العنب وعصرته فى كأس فرعون، وأعطيت الكأس فى يد فروع " [تكوين ٤٠ : ١١] ، ويكون على المجاز مثل: " فألقاه إلى معصرة غضب " [رؤية ١٤ : ١٩] . وإذا ثبت وجود العصر، وليس لماء النيل وجود. فكيف حى النبات وعاش؟ وفى السنوات السبع العجاف كانت سنابل القمح تخرج من الأرض خروجاً هزياً. فكيف خرجت وهى هزيلة والنيل لا يروى الأراضى؟ لا بد من القول بوجود مصدر للمياه غير النيل. إما آبار عيون، وإما مطر. ففى حلم فرعون: " وهو

(١) - حقائق الإسلام فى مقابل شبهات المشككين ، شبهة رقم ٦٨

(٢) - المصدر السابق ، شبهة رقم ٦٩

ذا سبع سنابل طالعة في ساق واحد سمينة وحسنة. ثم هو ذا سبع سنابل رقيقة وملفوحة بالريح الشرقية نابتة ورائها " [تكوين ٤١ : ٥-٦] ، وكرر الكلام وقال فيه: " نابتة ورائها " [تك ٤١ : ٢٣] كيف تكون نابتة وليس لماء النيل من سواقي؟<sup>(١)</sup>

## التاسع عشر : الرعد ملك من الملائكة

إن في القرآن أن الرعد يسبح الله. وإن في الأحاديث النبوية أن الرعد ملك من ملائكة الله. ونحن نعلم أن الرعد هو الكهرباء الناشئة عن تصادم السحاب فكيف يكون الرعد ملكاً؟ ..... الرد على الشبهة: إن المؤلف لا ينكر تسييح الرعد لله؛ وذلك لأن في التوراة أن الرعد يسبح لله. وكل شيء خلقه؛ فإنه يسبحه. وإنما هو ينكر كون الرعد ملكاً. فمن أكد له أن الرعد ملك؟ ليس في القرآن أنه ملك. والأحاديث النبوية تذكر أن للرعد ملكاً؛ وليس أن الرعد ملك، والفرق واضح. ففي التوراة عن التسييح لله: " شعب سوف يُخلق؛ يسبح الرب "؛ يقصد شعب محمد صلى الله عليه وسلم [مزمور ١٠٢ : ١٨] ، وفي سفر الزبور: " تسبحه السموات والأرض والبحار وكل ما يدب فيها " [مز ٦٩ : ٣٤] . وفي سفر الزبور: " سبحوا الرب من السموات، سبحوه في الأعالي، سبحوه يا جميع ملائكته، سبحوه يا كل جنوده، سبحيه يا أيتها الشمس والقمر، سبحيه يا جميع كواكب النور، سبحيه يا سماء السموات، ويا أيتها المياه التي فوق السموات. لتسبح اسم الرب. لأنه أمر فخلقت، وثبتتها إلى الدهر والأبد. وضع لها حداً فلن تتعداه.

سبحي الرب من الأرض يا أيتها التنانين وكل اللحجج. النار والبرد. الثلج والضباب. الريح العاصفة كلمته، الجبال وكل الآكام، الشجر المثمر وكل الأرز. الوحوش وكل البهائم، الدبابات والطيور ذوات الأجنحة. ملوك الأرض وكل الشعوب، الرؤساء وكل قضاة الأرض. الأحداث والعداري، أيضاً الشيوخ مع الفتیان. ليسبحوا اسم الرب؛ لأنه قد تعالى اسمه وحده. مجده فوق الأرض والسموات " [مزمور ١٤٨] . وفي الأناجيل الأربعة: " يسبحون الله بصوت عظيم " [لوقا ١٩ : ٣٧] ، " وهم بمجدون الله ويسبحونه " [لو ٢ : ٢٠] ، " وظهر بغتة مع الملاك جمهور من الجند السماوي مسبحين الله وقائلين: المجد لله في الأعالي، وعلى الأرض السلام، وبالناس المسرة " [لو ٢ : ١٣] ، وكان عيسى . عليه السلام . يسبح الله تعالى مع الحواريين. ففي مرقس: " ثم سبحوا وخرجوا إلى جبل الزيتون " [مر ١٤ : ٢٦] ، وفي متى: " ثم سبحوا وخرجوا إلى جبل الزيتون " [متى ٢٦ : ٣٠] . ومن يسبح الله كيف يكون هو الله أو إله مع الله؟.

وفي القرآن الكريم: { سبح اسم ربك الأعلى } [الأعلى : ١] ، وفي الزبور: " سبحوا اسم الرب. سبحوا يا عبيد الرب " إلى أن قال: " كل ما شاء الرب صنع في السموات وفي الأرض. في البحار وفي كل اللحجج. المصعد السحاب من أقاصي الأرض. الصانع بروقاً للمطر. المخرج الريح من خزائنه (٢) .. " [مز ١٣٥] . وفي سورة الحجر: (وأرسلنا الرياح لواقح) [آية رقم ٢٢]. (وإن من شيء إلا عندنا خزائنه) آية رقم ٢١ .<sup>(١)</sup>

## عشرون : الوادي طوى

<sup>١</sup> - حقائق الاسلام في مقابل شبهات المشككين ، شبهة رقم ٧٠ ، لمجموعة من العلماء .  
(١) - حقائق الاسلام في مقابل شبهات المشككين ، شبهة رقم ٧١ .

إنه لا يوجد وادى اسمه " طوى " فى سيناء. فمن أين جاء به القرآن؟.

الرد على الشبهة: إنه فهم من قوله تعالى: (إني أنا ربك فأخلع نعليك إنك بالواد المقدس طوى) (طه ١٢) أن (طوى) اسم للوادي المقدس. وفهمه خاطئ. وذلك لأن الله لما عبر عن السموات بأنها (مطويات يمينه) (الزمر: ٦٧). يعنى بذلك: أن لا إله غيره يملك من أمر السموات من شيء. عبر عن الأرض بأنها فى ملكه وليس لإله آخر فيها من شيء. فالطى فى السماء كناية عن القدرة والطفى فى الأرض كناية عن القدرة. والكناية مناسبة للواد المقدس؛ والمقصود الأرض كلها لثلاثا يُظن أن التقديس لغيره. وكرر الله المعنى فى السموات فقال: (يوم نظوى السماء كطي السجل للكتب) (الأنبياء: ١٠٤). وشبهه أن تكون الأرض (طوى) أي فى قبضته. وفى الرسالة إلى العبرانيين: " وأنت يا رب فى البدء أسست الأرض، والسموات هى عمل يديك. هى تبيد ولكن أنت تبقى وكلها كثوب تبلى، وكرداء تطويها؛ فتتغير، ولكن أنت أنت، وسنوك لن تفتنى " [عب ١: ٢٢٠]. فقد عبر عن طيها بطى الرداء. فىكون المعنى (إنك بالوادي المقدس) (الذى سيصير (طوى) بمعنى مطوى كما أن السماء ستكون مطوية بقدرته. وهنا هو لا يعترض على القرآن بل على التفاسير، وهو جانب آخر من إعجاز القرآن يزيد فى إثباته وذلك أن كلام البشر من العلماء والمفسرين قد يختلف ويؤخذ منه ويُرد؛ ولكن كلام الله لا يأتىه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، شيء عجيب حقاً ذلك القرآن الذى يقف أمام هؤلاء جميعاً بكل ذلك الفهم الخاطئ والتصيد المستمر وإذ به يتعالى عليهم ويبقى فى عليائه معجزاً للبشر إلى يوم الدين.<sup>(١)</sup>

### الحادي والعشرون: هل الزيتون يخرج من طور سيناء، وهو يخرج من فلسطين، فكيف ذلك

؟ ..... الرد على الشبهة:

أن سيناء من فلسطين وفلسطين والشام هى شمال مصر، وهذا المعنى يوجد فى التوراة فى سفر الزبور: [سينا فى القدس] مز ٦٨: ١٧. ولا تعتمد التقسيمات السياسية الحديثة التى فصلت الديار بعضها عن بعض بل إن مصر فى الأصل كانت تمتد إلى هذا الحد، أما تقسيمات سايكس بيكون فلا يمكن تفسير النصوص المقدسة عليها.<sup>(٢)</sup>

### الثاني والعشرون: قرر القرآن أن جبل ((قاف)) يحيط بالأرض كلها

إنه جاء فى القرآن الكريم: (ق. والقرآن المجيد) ونقل من كتاب عرائس المجالس: أن معنى (ق) جبل يقال له جبل قاف. ونقل من كتاب قصص الأنبياء أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: إن أعلى قمة فى الأرض هى جبل قاف (. وهذا خطأ؛ لأن العلم يبين أن أعلى قمة هيس (إفرست) ، وقالوا: إن الكلمة العبرانية " تاو " ومعناه " الخط " لما سمعها الصحابة لم يعرفوا أن معناها " الخط " بل توهموا أنها سلسلة جبال عظيمة اسمها قاف. فكيف يعتبر بعض القرآن ما نسميه الأفق. وهو خط وهمى. جبلاً حقيقياً؟

الرد على الشبهة: إن كلام مؤلف عرائس المجالس ليس حجة على صحة القرآن، وإن الأحاديث الموضوعية ليست حجة على صحة القرآن. ولم يجمع المسلمون على معنى (ق) فإن لهم فى المعنى آراء كثيرة. منها أن (ق)

(١) - حقائق الاسلام فى مقابل شبهات المشككين ، شبهة رقم ٧٢.

(٢) - حقائق الاسلام فى مقابل شبهات المشككين ، شبهة رقم ٧٣.

حرف من حروف المهجاء مثل الألف والياء والتاء.. إلخ. فاعتراض المؤلف على القرآن ليس في موضعه<sup>(١)</sup>. .. وهذه خرافة مصدرها كتاب اليهود! الذي يتحدث عن جبل قاف الخرافي ، أما القرآن فلم يذكر جبلا ولا قمما، والحرف (ق) أحد الحروف الكثيرة التي بدئت بها سور من القرآن مثل: ص، ن، حم، الر. . وهكذا. ولكن الصيغة المادية البحتة التي تركتها التوراة المزيفة في ذهن القوم، وجهت ذهنهم هذا الاتجاه المادي البحت، وإذا كانت هذه خرافة منشؤها كتاب يهودي، فكيف يؤخذ بها القرآن؟! إن كتب اليهود هي كتب المسيحيين، فليوجه القوم اللوم إلى أنفسهم، أما أن يكونوا هكذا جاهلين، ثم يحملون جهلهم على القرآن، فهذا ما لا يقبله غير عقولهم).<sup>(٢)</sup>

**الثالث والعشرون : (كيف يذكر في القرآن أن الله أمر الملائكة بالسجود لآدم -يعني من مثل قوله تعالى: {وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا} [البقرة: ٣٤] - مع أن هذا الدين اشتهر بالتشدد في إنكار الشرك وتكفير كل ساجد لغير الله).<sup>(٣)</sup>**

الجواب:

السجود نوعان؛ سجود تحية وإكرام، وسجود عبادة وإعظام، فسجود العبادة لا يجوز في جميع الملل وعند جميع الرسل، بل لا يسجد الإنسان إلا لله وحده وأما سجود التحية فهذا كان جائزا في شرع من قبلنا، كما حصل ليوسف عندما خر له أبواه وأخوته سجدا، فلم ينكر عليهم، ومن هذا الباب سجود الملائكة لآدم، وأما في شرعنا فقد نسخ سجود التحية، درأ للفتنة وسدا لأبواب الشرك وطرائقه. قال القرطبي -رحمه الله- في تفسير قوله تعالى: {ورفع أبويه على العرش وخروا له سجدا ...} [يوسف: ١٠٠] : (وقد نسخ الله ذلك كله في شرعنا، وجعل الكلام بدلا عن الانحناء. وأجمع المفسرون أن ذلك السجود على أي وجه كان، فإنما كان تحية لا عبادة، قال قتادة: هذه كانت تحية الملوك عندهم ، وأعطى الله هذه الأمة السلام تحية أهل الجنة) ،على أن كثيرا من العلماء يقولون: إن السجود هنا المقصود به المعنى اللغوي للسجود، وهو عموم الانحناء والميل والاحترام، ولا يلزم منه أن يخر على الأرض<sup>(٤)</sup>.

### **الرابع والعشرون : الأرض ثابتة لا تتحرك:**

في سورة لقمان: (وألقى في الأرض رواسي أن تُميد بكم). وجاء هذا في سورة أخرى. . وقال (رجال المجلس الملي القبطي) : إن العلم يثبت أن الأرض تدور حول نفسها مرة كل ٢٤ ساعة فكيف يقول القرآن إنها راسية وثابتة<sup>(١)</sup> ؟

الجواب: معنى تميد تضطرب وتزلزل، ولا يراد بالميدان مجرد حركة متزنة، والمصدر الثلاثي (فعالن) يأتي لإفادة هذا المعنى، مثل ميدان وغليان وثوران وجولان. . . وهكذا، والآية تذكر أن الله تثبت الأرض حتى

(١) - حقائق الإسلام في مقابل شبهات المشككين، شبهة رقم ٧٤.

(٢) - الدكتور عبد الجليل شليبي ، (رد مفتريات على الإسلام" ص: ١٤٢). جواب على رسالة الشبهات للمجلس القبطي في الإسكندرية .

(٣) - حقائق الإسلام وأباطيل خصومه، للعقاد (ص٢٧٦) ،المكبة العصرية، بيروت.

(٤) - الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (١٧٤/٩) ، ومن وسائل الغزو الفكري، لأستاذنا الدكتور نبيل غنام (ص: ٥٨٩). . والمرجع السابق للعقاد .

(٥) - الدكتور عبد الجليل شليبي ، (رد مفتريات على الإسلام" ص: ١٣٠) جواب على رسالة الشبهات للمجلس القبطي في الإسكندرية .

يستطيع البشر أن يستقروا عليها في نومهم، ويزرعوا ويرعوا ماشيتهم، ولو كانت مضطربة ما استطاع الناس أن يطمئنوا عليها وأن يعملوا هذه الأعمال.

نحن ننام في الطائرة وفي القطار وفي السفينة، فإذا اضطرب واحد منها استيقظنا وشعرنا بالتعب، وقد نطلب من السائق أن يعمل شيئاً يسكنها لثبت، ولا يعني تثبيته أنه يقف ولا يتحرك، بل أن ينقطع اضطرابه، وسيدكر القوم بعد معترضين على القرآن أنه ذكر (وكل في فلك يسبحون) ، و (كل) كلمة تشمل الشمس وتوابعها من القمر والأرض والكواكب الأخرى، فالقرآن إذن يقرر حركة كل هذه الكواكب (١).

## الخامس والعشرون : الكواكب في حجم الحجارة

جاء في القرآن: {ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين} [الملك:٥] ، وجاء أيضاً: {ولقد جعلنا في السماء بروجا وزيناها للناظرين وحفظناها من كل شيطان رجيم إلا من استرق السمع فأتبعه شهاب مبين} [الحجر:١٦-١٨] ، وقال رجال المجلس: إن القرآن جعل النجوم والكواكب في حجم الحجارة، ترمي بها الملائكة الشياطين، والعلم الحديث يثبت أن كل كوكب عالم ضخم!؟

والذي في الآية أن هناك أجساماً نارية تصيب الشياطين، ولم يذكر أن الشيطان يسقط عليه نجم أو أن الملائكة ترميه به، والعلم الحديث، ورواد الفضاء يتحدثون عن النيازك التي ترى في الفضاء الواسع مذنبات مضيئة، ومنها الناري الذي ينطفئ ويتفتت في سيره، وبعضها يصل إلى الأرض، وهي تشبه المقذوفات البركانية، والذين درسوا جغرافية فلكية يعرفون هذا، فهذه المقذوفات قطع تنفصل من الكواكب وتتحرك في الفضاء، خصوصاً إذا كان النجم أو الكوكب قريباً من الأرض، والله تعالى يصيب بها من يشاء ويحفظ بها من يشاء، وقد تكون قطعاً باردة ولكنها مضيئة كالقمر. أما سمع نوايح العصر أصحاب تيموثاوس أن الذين نزلوا على سطح القمر رأوا هناك جهات ساكنة نارها، وأخرى ملتبهة؟ وأنهم رأوا الأرض مشعة كما نرى نحن القمر؟ وأن الفضاء مليء بقطع نارية ساجحة، ومنها ما يصل إلى الأرض؟(٢)

## السادس والعشرون : الفضاء سطح أملس قابل للسقوط وكذلك الأرض:

ذلك لأنه جاء في القرآن {الله الذي خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن} [الطلاق:١٢] ، وجاء: {والله الذي جعل لكم الأرض بساطاً} [نوح:١٩] ، وجاء: {يأيتها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون} [البقرة:٢١] ، {الذي جعل لكم الأرض فراشاً} [البقرة:٢٢] ، وجاء هذا ومثله في آيات أخرى، وخطؤه في نظر رجال المجلس أن الأرض كوكب واحد وليس سبعة، وكذلك السماء! والآية الأولى جاءت في ختام سورة الطلاق، وهي تلفت الأنظار إلى قدرة الله تعالى البالغة: {الله الذي خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن ينتزل الأمر بينهن لتعلموا أن الله على كل شيء قدير وأن الله قد أحاط بكل شيء علماً}.

(١) - المصدر السابق (ص ١٣٠)

(٢) - (رد مفتريات على الإسلام (ص: ١٣٢) .) عن رسالة المجلس الملي القبطي الأرثوذكس بالإسكندرية

آية عجيبة رهيبة تبين ضآلة الإنسان في هذا الكون العظيم، ويقف غير واحد من الكتاب مذهولاً أمام التعبير، وأمام مدلوله، وأمام هذا الإعجاز القرآني.

ما هذه السماوات؟ وما هذه الأرضين؟ كل ينظر من زاوية خاصة، وكل يجد في الآية ما يبهره، قد تكون السماء التي توصل علمنا إليها بكل ما فيها من كواكب ونجوم وأفلاك إحدى سماوات سبع، والكرة الأرضية التي نعيش عليها هي أيضاً كذلك! إن علم الفلك الحديث يؤيد هذا، ويذكر أن المجموعة الشمسية التي يتعلق بها علمنا هذا ليست إلا واحدة من مجموعات أخرى لا يعلمها إلا الله الذي خلقها.

فهذا إعجاز قرآني؛ إذ لم يكن محمد يدرس فلكا ولا يعرف شيئاً عن هذه المستكشفات الحديثة. وفي اللغة العربية يذكر العدد لإرادة التكثر، ويعبرون عنه بأنه عدد لا مفهوم له، وهذا كما تقول لصديقك: زرتك ألف مرة ولم تررني. فأنت لا تريد ألفاً بعده، وإنما تريد زرتك مرات كثيرة، فإذا حملنا العدد في الآية هذا الحمل، فالمعنى أن الله خلق سماوات كثيرة وأرضين كثيرة، وهذا حق وواضح.

وقد يكون المراد بالسبع الأرضين أنواعاً مختلفة من تربة الأرض، ويسمى كل نوع أرضاً، وهذا وهذا كما تقول: أصبح فلان ثرياً يملك أراضي كثيرة، والأرض أنواع بحسب تربتها وما بكل تربة من عناصر تكونت منها، بعضها رملي وبعضها جير، وبعضها معادن حديدية وبالأخرى عناصر نحاسية وهكذا، كما قال تعالى: {ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرايب سود} [فاطر: ٢٧].

وقد يراد من أنواع الأرض ما تصلح لإنباته، فأرض بها غابات وأرض بها زهور، وثالثة قاحلة لا تنبت شيئاً. وآية سورة البقرة: {الذي جعل لكم الأرض فراشا} [البقرة: ٢٢].

ليست الوحيدة التي تذكر هذا في القرآن، بل هناك آيات أيضاً تذكر هذا، ومعنى (فراشا): أي مبسوطة تحت أقدامنا، منبسطة كالفرش، ننام عليها ونمشي ونزرع، ونستقر أيضاً أنعامنا ومساكننا، ولو جعلها الله سبحانه وتعالى كثيرة التعاريج شديدة التحذب، ما استطعنا أن نستريح عليه، ولا أن نجري كل هذه الأعمال، فالآية تذكر نعمة من نعم الله علينا، وليس في هذا ما يفيد أن الأرض قابلة للسقوط!

وأما الآية التي في سورة الأنبياء، فقد جاءت ضمن آيات غاية في الروعة والإعجاز العلمي الفلكي، ولها يعجب الكثيرون كيف قرر القرآن هذه الحقائق منذ ذلك الزمن السحيق. فاقراً قوله تعالى: {أولم ير الذين كفروا أن السماوات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما وجعلنا من الماء كل شيء حي أفلا يؤمنون وجعلنا في الأرض رواسي أن تميد بهم وجعلنا فيها فجاجاً سبلاً لعلهم يهتدون وجعلنا السماء سقفا محفوظاً وهم عن آياتها معرضون وهو الذي خلق الليل والنهار والشمس كل في فلك يسبحون} [الأنبياء: ٣٠-٣٣]. كانت السماوات العديدة والأرض جزءاً واحداً، ففتقها الخالق وفصل بعضها عن بعض: تبارك الله، وصدق نبيه الكريم! ما كان ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى!!

في العصر الوسيط عصر الإظلام العقلي، والركود العلمي يقرر القرآن الكريم بحق أحدث النظريات العلمية، التي لم يهتد إليها العلم الحديث إلا من زمن قريب!

هذه الكواكب كلها بما فيها الأرض كانت قطعاً نارية، انفصلت من الشمس أثناء دورانها الأبدى الجبار، فتناثرت في الفضاء الذي لا يعلم مداه إلا الله، واستغرقت ملايين الأعوام وبلايينها حتى بردت قشرتها الخارجية،

وشق الله بها الأنهار والبحار، وأنزل عليها ماء الأمطار، فدبت بما بعد ملايين السنين أيضا صور الحياة المختلفة من النباتات الدنيئة والطحالب، ثم الحيوانات المختلفة، منها ما انقرض ومنها ما بقي، هكذا جعل الله من الماء كل شيء حي، كل شيء من النباتات والطيور والديدان والحشرات والأفاعي والوحوش والأناسي، كلها من الماء وتقوم حياتها عليه. هذا إبداع الله وخلقته، قدر سبحانه وهدى، ولم يأت شيء من أعماله بطريق المصادفة. أما التوراة فتقول: (في البدء خلق الله السماوات والأرض، وكانت الأرض خربة وخالية، وعلى وجه الأرض ظلمة وروح الله يرف على وجه المياه) .

هكذا بدأ وأنشأ الله السماوات والأرض جميعا دفعة واحدة، ولم يذكر شيء عن الماء. تعبير ساذج وتفكير وثني، لا يفهم إلا الشيء المتجسد؛ أين كان الله إن كانت روحه ترف وتحوم حول الماء؟ أكان بلا روح، أم هو الذي تجسد فصار هذا الحيز الضئيل كالحمامة؟ خلق الكون كله وهو جزء صغير منه. (وقال الله: ليكن نور. فكان نور، ورأى الله النور أنه حسن) !

لم يكن يعرف أنه سيكون حسنا، ولكن لما ظهر له أعجبه. عمل من طريق الصدفة البحتة، وتجربة نجحت وجاءت بشيء جميل. أهذه هي البلاغة؟! لا فصاحة تعبيرية ولا حقيقة علمية. ونقرأ بقية هذه البداية فنجد: أن الله فصل بين النور والظلمة، وسمى النور نهارا والظلمة ليلا، وقال لتجتمع المياه تحت السماء إلى مكان واحد، ولتظهر اليابسة. ودعا اليابسة أرضا. وهكذا يمضي سفر التكوين مضطربا في الكلمات القليلة التي بدأ بها. في البداية خلق السماوات والأرض وكانت الأرض خربة، وبعد ذلك خلق وسط الماء شيئا جامدا أسماه أرضا، وسمى بعضا منه سماء.

وهل يؤيد هذا علم أو يتسع له عقل؟ خلق السماوات والأرض، ثم خلق شيئا سماه أرضا وسماء! كانت الفكرة القديمة أن العالم كله ماء، وأن الأرض طافية فوق الماء كحبة العنب، وهو تفكير نشأ عن نظر محدود. وسفر التكوين وبقية الكتاب المقدس \_أو الذي يسمى الكتاب المقدس \_ من وضع بشري متأخر.

ومع اضطراب التعبير، وسقامة الأسلوب، ومخالفة المعنى لحقائق العلم يعجب تيموثاوس التقي الذكي به ويعيب القرآن. {أولم ير الذين كفروا أن السماوات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما وجعلنا من الماء كل شيء حي أفلا يؤمنون} [سورة الأنبياء: ٣٠]. {وجعلنا السماء سقفا محفوظا وهم عن آياتها معرضون} [سورة الأنبياء: ٣٢]. . . والسماء هي كل شيء نراه فوقنا، وفهم تيموثاوس أن السماء لا تكون إلا بمعنى الفضاء، وهو جهل فاضح، لقد كان العرب يقولون لمحمد ﷺ أسقط السماء علينا كسفا؛ أي قطعاً، فهل كانوا يعنون الفضاء؟ ونحن ننظر إلى الأعلى ليلا ونهارا فنرى الكواكب السابحة، لا نستطيع نحن ولا تستطيع الجن والإنس أن نغير من نظامها شيئا، أو تعدل فيه أدنى تعديل؟ كما أننا لا نستطيع حتى الوصول إليه، لقد كان من أعاجيب العلم أن وصل الناس إلى أرض القمر، والقمر تابع للأرض وكوكب ضئيل! فأين الجهد البشري من

هذه الكواكب البعيدة الجبارة؟ وأين هي؟ وما مدى العلم بها؟ صدق الله {وما أوتيتم من العلم إلا قليلا} [الاسراء: ٣٠]. (١)

**السابع والعشرون : قال ميلر(٢): (من الذائع المشهور أن النتائج التي وصل إليها العلم الحديث عن أصول العلم، تخالف كل المخالفة ما هو مقرر في الكتاب المقدس، وفي القرآن من أن الله خلق العالم في ستة أيام، صحيح أن القرآن يقرر أن يوما عند الله كآلف سنة مما يعد الإنسان ولكن هذا لا يحل المعضلة؛ فإن فترة الزمان المتطاولة التي مر بها الكون في وجوده، لا يمكن أن تضغط في ستة آلاف أو ستة ملايين سنة)**

الجواب: - تم الرد عليها سابقا بتوسع وهذا رد آخر

(أ- الآيات التي أشار إليها ميلر بروز تقرر أن الله تعالى خلق السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش، لكنها لا تعرض لعمر الكون المخلوق منذ خلقه الله تعالى حتى يومنا هذا، لكن ميلر بروز في كلامه السابق يخلط بين الأمرين، مشيرا إلى (معضلة) لا وجود لها، حيث يتكلم عن (فترة الزمان المتطاولة التي مر بها الكون في وجوده، والتي لا يمكن أن تضغط في ستة آلاف أو ستة ملايين سنة) ، فمال الآيات القرآنية التي يشير إليها وعمر الكون؟! إنها تقرر فحسب الزمن الذي خلق الله تعالى فيه الكون، دون أن تعرض لما بعد الخلق من الزمن الذي مر على الكون المخلوق حتى يومنا هذا.

فالتناقض الذي يتكلم عنه هذا المستشرق إنما جاء نتيجة لخلطه بين الأمرين، وتحميل الآيات القرآنية غير ما تحمله من معنى. وذلك أمر غاية في الوضوح لكل من يراجع نصوص الآيات المشار إليها ثم يراجع كلام المستشرق عنها) (فكل زعم بمحاولة التشكيك في الله تعالى: خلق السماوات والأرض في ستة أيام زعم باطل بدءا، يستوي في بطلانه مع دعوى الكفار القدماء، بأن الملائكة - الذين لم يشهدوا خلقهم أو يحيطوا بهم علما - إناث، وقد رد الله تعالى عليهم بقوله: (وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثا شهدوا خلقهم سنكتب شهادتهم ويسألون).

ب- إن ميلر بروز . أو غيره . لا يستطيع أن يعرض بشيء من التكذيب لما قررته هذه الآيات، من أن الله تعالى خلق السماوات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش؛ لأن فعل الخلق وزمانه سبقا الوجود البشري، فلا يستطيع أحد إطلاقا أن يزعم أنه شهد - بأي وسيلة - أو رصد كيفية خلق السماوات والأرض وزمانه، وعلم البشر المادي - بكافة فروعها - نشأ بعد أن تم الخلق، وليس هناك أمامه سبيل ما لمعرفة تفصيلات خلق السماوات والأرض وما بينهما - من حيث الزمان - إلا ما أخبر به الوحي الصادق عن الله تعالى في هذه الآيات، وفيما يتصل بها من أحاديث نبوية صحت روايتها عن النبي ﷺ ، ولا يملك الإنسان -

(١) - رد مغتربات على الإسلام" (ص: ١٣٢-١٣٦) د. عبد الجليل شليبي .

(٢) - وهذه طعون علمية أخرى من كلام للمستشرقين، فيما ذكرنا الأستاذ ميلر بروز (رئيس قسم لغات الشرق الأدنى وآدابه، وأستاذ الفقه الديني الإنجيلي في جامعة ييل) في بحث له بعنوان: (مقترحات في موضوع العلاقة بين الدين والعلم في الإسلام) ، وقد أجاب عليها الأستاذ الدكتور بلتاجي على النحو التالي ( : المدخل إلى علم التفسير، لأستاذنا الدكتور بلتاجي (ص: ٢٠٣) .

في علمه البشري وسيلة أخرى يسترجع بها كيفية الخلق أو زمانه ليقاس عليها ما ورد في الوحي، ومن هنا لا يستطيع العلم البشري بحال أن يصل في هذه القضية إلى شيء يستند عليه في تكذيب ما ورد في الوحي؛ لأن الوحي يحكي هنا عن أمر (غيبي) لم يشهد البشر ولا يصل إليه علمهم المادي بحال، كما قال تعالى: {أشهدتهم خلق السماوات والأرض ولا خلق أنفسهم وما كنت متخذ المضلين عضداً} [سورة الكهف: ٣٠]. أما ما يشير إليه ميلر بروز من (النتائج التي وصل إليها العلم الحديث عن أصول العالم) فليس في هذه النتائج - وهي محض فروض في ذاتها - ما يعرض لشيء عن مقدار الزمن الذي خلق الله فيه السماوات والأرض، وإن كان فيها تقديرات فرضية لعمر الكون المادي، وتلك قضية أخرى كما سبق أن قررنا. (١)

**الثامن والعشرون : قال ميلر: (الإنسان نفسه لم يخلقه الله دفعة واحدة منفصلاً عن خلق الحيوان، ولكنه جاء نتيجة لتطور طويل من الأشكال الدنيا للحياة، فكيف إذن نتغلب على هذا الإشكال). (٢)**

(ج) أما ما يشير إليه ميلر بروز من نظرية النشوء والاتقاء لداروين في قوله: "إن الإنسان نفسه لم يخلقه الله في دفعة واحدة منفصلاً عن خلق الحيوان، ولكنه جاء لتطور طويل من الأشكال الدنيا للحياة). فإنما يشير في نظرية لم تكن في وقت من الأوقات حقيقة علمية قطعية يمكن أن تقاس عليها النصوص الدينية، فهي لم تزد في وقت ما - منذ قيل بها - عن أن تكون مجرد فرض لم يقيم عليه أبداً دليل قاطع، أو قريب من القطع واليقين، ومنذ أعلنها داروين وجد لها معارضون من رجال العلم التجريبي؛ لأنه لم يقيم أبداً دليل محسوس على صحتها، وإنما هي فرض عقلي فسر به داروين بعض الظواهر والمشاهدات، لكن لم يرصد أحد من المؤمنين بها إطلاقاً تطوراً مادياً يقطع بصحتها، بل على العكس من ذلك فقد طالعنا وكالات الأنباء في أكتوبر ١٩٧٤م (شوال ١٣٩٤هـ) أن أعضاء بعثة الآثار الفرنسية البريطانية، التي تقوم بسلسلة من الحفائر في إثيوبيا قد اكتشفوا بقايا هيكل عظمي لإنسان، يرجع تاريخها إلى حوالي أربعة ملايين سنة، وقال أعضاء البعثة إن هذا الكشف سيغير تماماً النظريات السابقة المعروفة عن أصل الإنسان (جريدة الأخبار القاهرية في ٢٨/١٠/١٩٧٤ ص ١).

ومما لاشك فيه أن أول ما يغيره هذا الكشف نظرية داروين، فهل يستقيم بعد هذا أن يطعن إنسان في صدق الوحي القرآني في الخلق، مستنداً إلى استنتاج فرضي لعالم طبيعي، لم يثبتته هو أو غيره بصورة قاطعة، بل وجدت اكتشافات تطعن في صحته؟ ومن هنا لا تصلح هذه النظرية - على أي نحو - لتكون مقياساً تقاس عليه نصوص القرآن الكريم في الخلق. ومنهجنا في كافة النظريات البعيدة عن وصف اليقين، هو أننا ننزه القرآن ابتداءً عن أن يقال في تأويله شيء يتصل بمحض الفروض والاستنتاجات القابلة للتغيير، بل الإلغاء أصلاً.

وبهذا يتبين أن كلام ميلر بروز وأمثاله عن (خلق الإنسان في تطور طويل من الأشكال الدنيا). كقضية مسلم قطعاً بصحتها. شنشنة كاذبة تعرفها من هؤلاء وهي تقوم على جعل (الظنون والتصورات) حقائق قاطعة

(١) - المدخل إلى علم التفسير، للبتاحي، ص: ٢٠٧. مرجع سابق

(٢) - السابق، ص: ٢٠٣، دعاوى الطاعنين في القرآن الكريم في القرن الرابع عشر الهجري والرد عليها، عبد المحسن بن زين بن متعب المطيري ص ٣٨٦ وما بعدها

مسلمًا بصحتها، وينبغي ألا يخدع هذا المنهج القائم على التعمية والتجهيل بحقائق الأمور أحدا من الباحثين الذين يحترمون عقولهم). (١)

**التاسع والعشرون : في قوله تعالى: {حتى إذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب في عين حمئة ووجد عندها قوما قلنا ياذا القرنين إما أن تعذب وإما أن تتخذ فيهم حسنا} الكهف: ٨٦ . يقول خلف الله: (بان للعقل الإسلامي أن مسألة غروب الشمس في عين حمئة، لا يستقيم وما يعرف من حقائق هذا الكون) (٢).**

-الجواب: تم الرد سابقا وهذا آخر !.

لا يصح الأخذ بالألفاظ المحتملة وادعاء أنها تعارض العلم، فالتعبير القرآني المحكم المعجز يقول (وجدها تغرب) ولم يقل إنها تغرب؛ حتى يكون هذا تعبيراً عن الحقيقة الكونية المطلقة (٣) . قال ابن كثير: قوله: (وجدها تغرب في عين حمئة (أي رأى الشمس في منظره تغرب في البحر المحيط، وهذا شأن كل من انتهى إلى ساحله، يراها كأنها تغرب فيه، وهي لا تفارق الفلك الذي هي مثبتة فيه لا تفارقه) . (٤) وقال القرطبي: قال القفال: قال بعض العلماء: ليس المراد أنه انتهى إلى الشمس مغرباً ومشرقاً، ووصل إلى جرمها ومسها؛ لأنها تدور مع السماء حول الأرض، من غير أن تلتصق بالأرض، وهي أعظم من أن تدخل في عين من عيون الأرض، بل هي أكبر من الأرض أضعافاً مضاعفة، بل المراد أنه انتهى إلى آخر العمارة من جهة المغرب ومن جهة المشرق، فوجدتها في رأي العين تغرب في عين حمئة، كما أنا نشاهدها في الأرض الملساء كأنها تدخل في الأرض؛ ولهذا قال: "وجدتها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها ستراً" ولم يرد أنها تطلع عليهم بأن تماسهم وتلاصقهم، بل أراد أنهم أول من تطلع عليهم) . فالدعاء أن هذه الآية تعارض العلم لا شك أنه ادعاء باطل.

(١) - (المدخل إلى علم التفسير" (ص: ٢٠٩) . للدكتور البتاحي ، مرجع سابق .

(٢) - الفن القصصي (ص/٣٤) . محمد خلف الله ، مرجع سابق .

(٣) - مدخل إلى علم التفسير (ص: ٢٣٣) .

(٤) - تفسير القرآن العظيم لابن كثير (١٠٣/٣) ، جامع أحكام القرآن للقرطبي (١١/٥٠)

## المبحث السادس :

### التناقضات المزعومة في القرآن الكريم ، زعم تناقض بعض الآيات مع بعض .

تكلم العلماء قديما على هذا النوع من الطعون، وجمعوا ما قيل في ذلك، ورتبوها على حسب ترتيب سور المصحف وأجابوا على كل ما قيل في ذلك بل وعلى ما لم يقل مما يظن أن فيه إشكالا أو تناقضا، ومن هذه الكتب المؤلفة في هذا الفن :

- ١- "كتاب تأويل مشكل القرآن" لابن قتيبة الدينوري ، وهو أقدم كتاب وصل إلينا.
- ٢- "كتاب المسائل والأجوبة في الحديث والتفسير" له أيضا .
- ٣- "أضواء على متشابهات القرآن"، لخليل ياسين ، في مجلدين.
- ٤- "باهر القرآن في معاني مشكل القرآن" لبيان الحق النيسابوري ، في أربعة مجلدات.
- ٥- "وضح البرهان في مشكلات القرآن" له أيضا ، في مجلدين.
- ٦- "تفسير آيات أشكلت" لابن تيمية ، في جزأين.
- ٨- "دفع إيهام الاضطراب"، لمحمد الأمين الشنقيطي.
- ٩- "مشكلات القرآن"، لمحمد أنور شاه الكشميري .
- ١٠- "الروض الريان في أسئلة القرآن"، لشرف الدين بن ريان .

إن التناقض الداخلي للنص شرط لا غنى عنه في الكتاب حين ينسب إلى كاتب حصيف، وهو من باب أولى شرط في الكتاب حين ينسب إلى الله عز وجل؛ لذا يستحيل أن يوجد التناقض في كلام الله {أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا} (النساء: ٨٢). وما ذكره البعض عن تناقضات مزعومة في القرآن لا يعدو أن يكون سوء فهم منهم لآياته أو جهلا بلغة العرب ومساقات كلامها، وهذا بين لمن تبصر هذه المواضع التي استشكلوها:

### أولاً: هل أقسم الله بمكة أم لم يقسم؟

قالوا: تناقض القرآن في مسألة قسم الله بمكة، فهو أقسم بما في قوله: {وهذا البلد الأمين} (التين: ٣)، وفي موضع آخر ينكر هذا القسم بمكة، فيقول: {لا أقسم بهذا البلد} (البلد: ١).  
والجواب: لقد أقسم الله بالبلد الأمين (مكة) كما في آية سورة التين.  
وما فهمه المعترضون من آية سورة البلد خطأ قادم إليهم بلغة العرب وطرائقها في البيان، ففي قوله: {لا أقسم} . (لا) ليست (لا) النافية التي تعني نفي القسم، بل هي (لا) الصلة، ويسمى بعض النحويين (لا)

الزائدة، فهي زائدة نحوياً، وإن كانت غير زائدة بلاغياً، لأنها تفيد التأكيد (١). قال الزجاج: "لا اختلاف بين الناس أن معنى قوله تعالى: { لا أقسم بيوم القيامة } وأشكاله في القرآن معناه: أقسم". (٢)  
والعرب ما زالت تستخدمها في كلامها من القدم، فهي كقولنا: لا أوصيك بفلان، أي لا أحتاج إلى وصاتك به، فهي نوع من التأكيد على الوصاة، وليست طلباً للإهمال.

ومن طريف الأخبار أن رجلاً سأل أبا العباس بن سريج عن هاتين الآيتين، فقال ابن سريج: أي الأمرين أحب إليك؟ أجيبك ثم أقطعك، أو أقطعك ثم أجيبك؟ فقال الرجل: بل أقطعني ثم أجبني.

فقال: اعلم أن هذا القرآن نزل على رسول الله ﷺ بحضرة رجال، وبين ظهراي قوم كانوا أحرص الخلق على أن يجدوا فيه مغمزا وعليه مطعنا، فلو كان هذا عندهم مناقضة لتعلقوا به، وأسرعوا بالرد عليه، ولكن القوم علموا وجهلت، فلم ينكروا منه ما أنكرت .

إن العرب قد تدخل (لا) في أثناء كلامها وتلغي معناها، وأنشد فيه أبياتا (٣).  
ومثله كثير في أشعار العرب (٤)، ومنه قول النابغة:

فلا وحق الذي مسحت كعبته ... وما هريق على الأنصاب من جسد : أي: فوحق الذي.

وقول الآخر: تذكرت ليلي فاعتزتي صباة ... وكاد صميم القلب لا يتصدع : أي: يتصدع.

ومثله قول الشاعر: فلا والله لا يلقي لما بي ... ولا لما بهم أبدا دواء : أي: فوالله.

ومثله قول طرفة: فلا وأبيك ابنة العامري ... لا يدعي القوم أني أفر : أي: وأبيك.

وهذا الأسلوب في القسم يفيد تعظيم المقسم به، كما في سورة البلد، وكما في قوله تعالى: { فلا أقسم بمواقع النجوم وإنه لقسم لو تعلمون عظيم إنه لقرآن كريم } [الواقعة: ٧٥ - ٧٧]، وكقوله: { لا أقسم بيوم القيامة ولا أقسم بالنفس اللوامة } [القيامة: ١ - ٢].

وقد وردت (لا) الصلة في مواضع كثيرة في القرآن الذي نزل بلغة العرب، ومنه قوله: { لكيلا تحزنوا على ما فاتكم } [آل عمران: ١٥٣]، أي (لتحزنوا)، وقوله: { ما منعك إذ رأيتهم ضلوا ألا تتبعن } [طه: ٩٢ - ٩٣]، أي (أن تتبعن)، وقوله: { فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم } [النساء: ٦٥]، أي: (فوربك)، وقوله: { لئلا يعلم أهل الكتاب ألا يقدرون على شيء من فضل الله } [الحديد: ٢٩]، أي: (ليعلم أهل الكتاب). وقد ورد في سياق قصة آدم إثبات (لا) الصلة في موضع، وحذفها في آخر، لجواز الوجهين وتكامل معنيهما، فأما إثباتها ففي قوله تعالى: { ما منعك ألا تسجد إذ أمرتك } [الأعراف: ١٢]، وقد حذف في قوله: { ما منعك أن تسجد } (ص: ٧٥)، والمعنى فيهما واحد، وهو: ما الذي منعك أن تسجد لآدم؟ (٥).

(١) - (كتاب العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي (٨/ ٣٤٩) الناشر: دار ومكتبة الهلال، والأصول في النحو، ابن السراج البغدادي (٢/ ٢٥٩). الناشر: مؤسسة الرسالة، لبنان - بيروت، المحقق: عبد الحسين الفتلي .

(٢) - (تاج العروس، المرتضى الزبيدي (٤٠/ ٤٧٠)، وانظر: لسان العرب، ابن منظور (١٥/ ٣٦٤).

(٣) - (البرهان في علوم القرآن، الزركشي (٢/ ٥٤)، وانظر مغني اللبيب عن كتب الأعراب، ابن هشام، ص (٣٢٩).

(٤) - (تأويل مشكل القرآن، ابن قتيبة، ص (٢٤٤ - ٢٤٦)، والجامع لأحكام القرآن، القرطبي (٢٠/ ٥٩)، ودفع إيهام الاضطراب عن آي الكتاب، الشنقيطي، ص (٢٦٩ - ٢٧١). الناشر: مكتبة ابن تيمية - القاهرة، توزيع: مكتبة الخراز - جدة الطبعة: الأولى ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م

(٥) - (تنزيه القرآن للسقار ص ٢٣٥ مرجع سابق .

## ثانياً : كم عدد الملائكة الذين نزلوا يوم بدر؟

قالوا: اختلفت الآيات في عدد الملائكة النازلين في غزوة بدر، ففي سورة الأنفال أنهم ألف: {إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أني ممدكم بألف من الملائكة مردفين} [الأنفال: ٩]، وفي سورة آل عمران أنهم ثلاثة آلاف {إذ تقول للمؤمنين ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين} [آل عمران: ١٢٤]، وفي الآية التي بعدها أصبحوا خمسة آلاف {بلى إن تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين} [آل عمران: ١٢٥].

والجواب: أما الخمسة الآلاف فجاء ذكرها في تعزية المسلمين في هزيمتهم في غزوة أحد، فامتن الله على الصحابة بذكر مدد ملائكة بدر، وذكر لهم أن المشركين لو عادوا إليهم فإن الله سيمدهم بخمسة آلاف من الملائكة إذا صبروا على ما فيهم من الجراحات وثبتوا لقتالهم {بلى إن تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين} [آل عمران: ١٢٤]، لكن الله منّ على المسلمين بعد أن أظهروا الثبات وتجهزوا للقتال، فصرف عنهم المشركين، فلم يعودوا لقتالهم، ولم تنزل الملائكة في أحد لفوات الشرط {ويأتوكم من فورهم}.

وقال بعض أهل العلم: بل كان هذا الوعد في بدر حين بلغ المسلمين أن كرز بن جابر الفهري يمد المشركين، فشق عليهم، فأنزل الله: {ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين بلى إن تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين} [آل عمران: ١٢٥]، قال الشعبي: فبلغت كرز الهزيمة فلم يمد المشركين، ولم يمد الله المسلمين بالخمسة آلاف (١)، فهذا خبر الخمسة آلاف، والحق أن الله أنزل من الملائكة يوم بدر ثلاثة آلاف، كما قال النبي ﷺ لأصحابه قبل المعركة: {إذ تقول للمؤمنين ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين} [آل عمران: ١٢٤]، وقد نزل هؤلاء الملائكة بالترايف ألفاً بعد ألف، كما قال الله: {إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أني ممدكم بألف من الملائكة مردفين} [الأنفال: ٩]، فقوله: {مردفين} تعني: ردهم غيرهم ويتبعهم ألوف آخر مثلهم، فالترايف هو التتابع، والرادف: المتأخر، والمردف: المتقدم الذي أردف غيره (٢).

## ثالثاً : أيهما خلق أولاً، السماوات أم الأرض؟

قالوا: تناقض القرآن حين تحدث عن ترتيب وجود المخلوقات، فتارة يجعل الأرض مخلوقة قبل السماء {هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعاً ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سماوات وهو بكل شيء عليم} [البقرة: ٢٩]، وأكد هذا في سورة فصلت: {قل أئنكم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين وتجعلون له أندادا ذلك رب العالمين وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها أقواتها في أربعة أيام سواء للسائلين ثم استوى إلى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعاً أو كرها قالتا أتينا طائعين فقضاهن سبع سموات في يومين وأوحى في كل سماء أمرها وزينا السماء الدنيا بمصابيح وحفظاً ذلك تقدير العزيز العليم} [فصلت: ٩].

(١) - (جامع البيان، الطبري (٣/٤٢٢) مرجع سابق .

(٢) - (تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (١/٥٣٢)، والبحر المحيط، ابن حبان (٨/٣٠٧ - ٣٠٨)، ومفردات غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، ص (١٩٣).)

— ١٢]، فهذه الآيات تجعل خلق الأرض قبل خلق السماوات، بدليل قوله {ثم استوى إلى السماء} في الموضوعين، وتارة يجعل القرآن خلق السماء قبل خلق الأرض {أنتم أشد خلقا أم السماء بناها رفع سمكها فسواها وأغطش ليلها وأخرج ضحاها والأرض بعد ذلك دحاها أخرج منها ماءها ومرعاها والجبال أرساها متاعا لكم ولأنعامكم} [النازعات: ٢٧ - ٣٣] (١).

وفي الجواب: عن هذه الشبهة وجوه ثلاثة: الأول: وهو الذي مال إليه جمهور المفسرين في القديم، ويقوم على أن مادة الأرض خلقت في اليومين الأولين، ثم خلقت السماوات في اليومين الثالث والرابع، ثم دحيت الأرض وجهزت لتصلح لاستقرار حياة الإنسان في اليومين الأخيرين.

وهذا الوجه أخرجه البخاري معلقا عن ابن عباس رضي الله عنهما، وفيه أن رجلا استشكل مسألة ترتيب الخلق بين السماوات والأرض، فسأله عنها؛ فأجابته ابن عباس: (وخلق الأرض في يومين، ثم خلق السماء، ثم استوى إلى السماء فسواهن في يومين آخرين، ثم دحا الأرض، ودحوها أن أخرج منها الماء والمرعى وخلق الجبال والجبال والآكام وما بينهما في يومين آخرين) (٢). وشهرة هذا الوجه عند المفسرين تغني عن تفصيله.

الثاني: وهو الذي ذكره بعض المتأخرين من أهل العلم، وهو ما يترجح لي، وأجمله بالقول:

السماوات والأرض خلقتا معا في اليومين الأولين، ثم تكامل خلق الأرض وإعدادها للإنسان في الأربعة الأخيرة من الأيام الستة، وتفصيله: الله خلق السموات والأرض معا مجتمعين {وأولم ير الذين كفروا أن السماوات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما} [الأنبياء: ٣٠]، والرتق ضد الفتق، أي كانتا منضمتين، بعضهما إلى بعض، ثم فتقهما الله، فحدث ما يسمى عند علماء الجيولوجيا والفلك بالانفجار الكبير. وقد وضحت هذا المعنى الآيات القرآنية كما في قوله تعالى عن يوم القيامة: {يوم نظوي السماء كطي السجل للكتب كما بدأنا أول خلق نعيده وعدا علينا إنا كنا فاعلين} [الأنبياء: ١٠٤]، فالخلق يعود إلى حالته الأولى، فيطوى من جديد {وجمع الشمس والقمر} [القيامة: ٩]

وأما كون الخلق للسماوات والأرض في يومين فهو لقول الله عن السماوات: {ففضاهن سبع سماوات في يومين}، وعن الأرض: {خلق الأرض في يومين}، فهذان هما اليومان الأولان، ثم دحيت الأرض واكتمل إعدادها لصالح معيشة الإنسان عليها في أربعة أيام أخرى {وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها أقواتها في أربعة أيام سواء للسائلين}.

وقد يشكل على البعض - ممن قل علمه بلغة العرب ودلالات الألفاظ فيها- أن آيات سورة فصلت تحدثت عن خلق الأرض في يومين، ثم تحدثت عما خلق الله فيها في أربعة أيام، ثم قال الله بعد ذكر هذا وذا:

(١) - قبل المضي في جواب هذه الشبهة أود الهمس في آذان مثيري هذه الأبطولة وأضرامهم، وأقول بأن لغة العرب أوسع بكثير من مفهومهم الكلية، فقول العرب (بعد هذا) أو (بعد ذلك) لا يفيد بالضرورة التراخي والترتيب الزمني، بل قد تأتي بمعنى (إضافة إلى ذلك)، وهو تأويل ذكره بعض المفسرين لقوله تعالى: {والأرض بعد ذلك دحاها} (النازعات: ٣٠)، أي إضافة إلى خلقه السماوات فإنه دحى الأرض.

وهذا المعنى ل (بعد) مشهور عند العرب، وقد تكرر في القرآن في مواضع، منها قوله: {هماز مشاء بنميم مناخ للخير معتد أثيم عتل بعد ذلك نزيه} (القلم: ١٣)، أي هو ملحق في قومه وليس منهم؛ إضافة إلى اتصافه بتلك الصفات الذميمة، ومن للعلوم أن كونه دعيا في قومه متقدم في التاريخ على اتصافه بمهذه الصفات، فهو كذلك من قبل. ومثله قوله: {فإن الله هو مولاه وحبريل وصالح المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهير} (التحریم: ٤)، أي أن الله يتولى النبي ﷺ وحبريل والمؤمنون، وينضاف إليهم تأييد الملائكة. (للسقار، عن تنزيه القرآن)

(٢) - باب تفسير القرآن في صحيح البخاري.

{ثم استوى إلى السماء وهي دخان}، فاعتقدوا أن {ثم} تفيد التأخر والتراخي، ومثله فهموه من قوله تعالى: {هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعاً ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سماوات} [البقرة: ٢٩]. وهكذا ينحصر الإشكال في دلالة كلمة (ثم) على التراخي والترتيب.

لكن أهل البلاغة يعرفون أن (ثم) لا تفيد بالضرورة الترتيب الوجودي الذي نعرفه في المتبادر إلى الذهن، بل لها دلالة أخرى، وهو ما تسميه العرب (الترتيب الذكري).

ولبيان هذا النوع من الدلالة ل (ثم) نقرأ قول الشاعر:

قل لمن ساد ثم ساد أبوه ... ثم قد ساد قبل ذلك جده. (١)

والمعنى: اذكروا خير من ساد، ثم اذكروا خير من ساد أبوه، ثم اذكروا خير من ساد جده. وليس المعنى أن المرء يسود ثم يسود أبوه ثم يسود جده، بل العكس هو الصحيح، فالمرء يسود بعد سؤدد جده وأبيه. ويشهد لصحة هذا الفهم قول الشاعر: (ثم ساد قبل ذلك)، ف (ثم) للترتيب الذكري، لا الوجودي. ومثله قول طرفة بن العبد وهو يصف راحلته:

جنوح دفاق عندل ثم أفرعت ... لها كتفاها في معالي مصعد

فإنه ذكر جملة من محاسنها، ثم نبه على وصف آخر أهم في صفات عنقها، وهو طول قامتها (ثم أفرعت)، ولا يقصد أن قامتها طالت بعد اتصافها بهذه الصفات (٢).

وهذه الدلالة ل (ثم) موجودة في القرآن الكريم في مواضع، منها قوله تعالى: {الذي أحسن كل شيء خلقه وبدأ خلق الإنسان من طين ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين ثم سواه ونفخ فيه من روحه وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلاً ما تشكرون} [السجدة: ٧ - ٩]، ومن المعلوم أن التسوية تكون قبل إنجاب النسل، فهذا لا يخفى، ومع ذلك قال القرآن: {جعل نسله من سلالة من ماء مهين ثم سواه} ف (ثم) هنا للترتيب الذكري؛ لا الوجودي، والمعنى: ثم اذكر كيف سواه الله.

ونحو هذا ما جاء في سياق وصايا الله لنبيه محمد ﷺ: {قل تعالوا أتل ما حرم ربكم} وفي آخرها يقول: {ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون ثم آتينا موسى الكتاب} [الأنعام: ١٥٣ - ١٥٤]، ومن المعلوم أن موسى كان قبل وصية الله لنبينا - صلى الله عليه وسلم -، لكن الترتيب الوجودي غير مراد في قوله: {ثم آتينا موسى}.

ومثله أمره تبارك وتعالى للمؤمنين بالإفاضة من عرفات بعد حديثه عن المشعر الحرام {فادكروا الله عند المشعر الحرام وادكروه كما هداكم وإن كنتم من قبله لمن الضالين} [البقرة: ١٩٨]، ثم عادت الآية التي بعدها للحديث عن مسألة الإفاضة من عرفات ووجوب مخالفة المشركين فيها، وصدرت الآية ب (ثم)، فقال الله: {ثم

(١) - (تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (٢١٣/١) مرجع سابق، ومعني الليب عن كتب الأعراب، ابن هشام الأنصاري، ص (١٥٩) الناشر: دار الفكر - دمشق الطبعة: السادسة، ١٩٨٥ المحقق: د. مازن المبارك / محمد علي حمد الله، وشرح الأشموني على ألفية ابن مالك (١/٢١١). الناشر: دار الكتب العلمية بيروت - لبنان الطبعة: الأولى ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.

(٢) - (التحجير والتبوير، ابن عاشور (١/٣٧٦ - ٣٧٧). الناشر: الدار التونسية للنشر - تونس سنة النشر: ١٩٨٤ هـ.

أفيضوا من حيث أفاض الناس واستغفروا الله إن الله غفور رحيم} [البقرة: ١٩٩]، ومن المعلوم أن الوقوف بعرفات سابق على الوقوف بالمشعر الحرام (مزدلفة).

ومثله قول الله تعالى: {ثم لترونها عين اليقين ثم لتسألن يومئذ عن النعيم} [التكاثر: ٧ - ٨]، والسؤال يكون يوم القيامة قبل رؤية الجحيم، وأمثال هذا الاستخدام ل (ثم) كثير في القرآن. (١)

وإذا تبين ما تفيدته (ثم) عند العرب، فلنقرأ الآيات مع أبي حيان الأندلسي وفق هذا المفهوم: " (ثم) لترتيب الأخبار لا لترتيب الزمان والمهلة، كأنه قال: فالذي أخبركم أنه خلق الأرض وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها أقواتها، ثم أخبركم أنه استوى إلى السماء، فلا تعرض في الآية لترتيب .. فصار كقوله: {ثم كان من الذين آمنوا} [البلد: ١٧] بعد قوله: {فلا اقتحم العقبة} (البلد: ١١)، ومن ترتيب الإخبار {ثم آتينا موسى الكتاب} (الأنعام: ١٥٤) بعد قوله: {قل تعالوا أتل} [الأنعام: ١٥١].

ويدل على أنه المقصود؛ الإخبار بوقوع هذه الأشياء من غير ترتيب زمني قوله في الرعد: {الله الذي رفع السماوات بغير عمد ترونها} [الرعد: ٢] الآية، ثم قال بعد: {وهو الذي مد الأرض وجعل فيها رواسي وأنهارا} [الرعد: ٣] الآية. وظاهر الآية التي نحن فيها جعل الرواسي، وتقدير الأقوات قبل الاستواء إلى السماء وخلقها، ولكن المقصود في الآيتين الإخبار بصدور ذلك منه تعالى من غير تعرض لترتيب زمني". (٢)

وهكذا يستبين معنى آيات سورة فصلت التي قد ورد فيها الإشكال، فقد بدأ القرآن بالحديث عن خلق الأرض، لأنها القريب المباشر للإنسان، ثم انتقل للحديث عن البعيد، وهو السموات، من غير أن يكون ذلك مقتضيا لخلق الأرض قبل السماء.

وهكذا، فهذان الوجهان المذكوران عند العلماء في القديم والجديد، قد أشار ابن جزوي في تفسيره إلى صحتهما بقوله: "الجواب من وجهين: أحدهما: أن

الأرض خلقت قبل السماء، ودحيت بعد ذلك، فلا تعارض، والآخر: تكون (ثم) لترتيب الأخبار". (٣)

الوجه الثالث: أن الخلق على نوعين: خلق إيجاد، وخلق تقدير، فأما خلق الإيجاد فهو الخلق المعلوم، وأما خلق التقدير فكما في قول زهير: ولأنت تفري ما خلقت وبع... ض القوم يخلق ثم لا يفري

وضرب الرازي لهذه الخلقة مثلا بقول الله: {إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون} [آل عمران: ٥٩]، إذ "لا يقال للشيء الذي وجد: كن، بل الخلق عبارة عن التقدير، وهو في حقه تعالى؛ حكمه أن سيوجد، وقضاؤه بذلك بمعنى خلق الأرض في يومين، وقضاؤه بحدوث كذا، أي مدة كذا، لا يقتضي حدوثه ذلك في الحال، فلا يلزم تقديم إحداث الأرض على إحداث السماء" (٤).

فهذه أوجه ثلاثة من تدبرها استبان له المعنى، وعلم براءة القرآن من الاختلاف والتناقض، وعلم سعة لغة العرب وجهل أعاجم العرب المتحدثين بالسوء عن القرآن العظيم.

(١) - (دراسات لأسلوب القرآن الكريم، محمد عبد الخالق عزيمة (١١٦/٢ - ١١٨) تصدير: محمود محمد شاكر الناشر: دار الحديث، القاهرة.

(٢) - (البحر المحيط، أبو حيان (٢٩٢/٩). الناشر: دار الفكر - بيروت الطبعة: ١٤٢٠ هـ المحقق: صدقي محمد جميل .

(٣) - (التسهيل في علوم التنزيل، ابن جزوي (٤٣/١) الناشر: شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم - بيروت المحقق: الدكتور عبد الله الخالدي الطبعة: الأولى - ١٤١٦ هـ، وانظر الجواهر الحسان، الفعالي (٤٢/١) الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت ط١/١٤١٨، والخرر الوجيز، ابن عطية (٢٢٣/١).

(٤) - (التفسير الكبير، الرازي (٢٧/ ٥٤٩). الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت ط٣/١٤٢٠

## رابعاً : أحوال الناس في يوم القيامة

قالوا: تناقض القرآن وهو يقص أحوال الناس في يوم القيامة، فتارة يقول: إنهم لا ينطقون: { هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون } [المسلمات: ٣٥ - ٣٦]، وتارة يذكر أنهم ينطقون ويعتذرون: { والله ربنا ما كنا مشركين } [الأنعام: ٢٣]، وأنهم يقولون: { ما كنا نعمل من سوء } [النحل: ٢٨].  
والجواب: أن يوم القيامة يوم طويل { كان مقداره خمسين ألف سنة } [المعارج: ٤]، وفيه مواقف متباينة، لكل منها ما يخصه من الأحكام والأحوال، ففيه حذر وترقب، وفرج وبشارة، وفيه حزن وهلاك، وأمن وأمان، والناس يتنقلون بين هذه المواقف، بل ربما تنقل المرء فيه من حال إلى حال، ففي حديث عائشة أنها ذكرت النار فبكت، فقال رسول الله ﷺ: «ما يبكيك؟»، قالت: ذكرت النار فبكت، فهل تذكرون أهليكم يوم القيامة؟ فقال رسول الله ﷺ: «أما في ثلاثة مواطن فلا يذكر أحد أحدا: عند الميزان حتى يعلم: أيخف ميزانه أم يثقل؟ وعند الكتاب حين يقال: { هاؤم اقرأوا كتابيه }؛ حتى يعلم أين يقع كتابه، أي يمينه أم في شماله؟ أم من وراء ظهره؟ وعند الصراط: إذا وضع بين ظهري جهنم» (١)، فهذا لا يتعارض مع قوله: { لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه } [عبس: ٣٧]، فهذا الذهول لا يستغرق يوم القيامة، بل هو متعلق ببعض مواقفه، وهو لكل بحسب عمله وتقواه.

وهكذا فما يذكر من اختلاف الأحوال لاختلاف المواقف، ولطول ذلك اليوم وعظم شأنه عبر القرآن عن كل واحد منها بكلمة { يوم } أو { يومئذ }، من غير أن تعني استغراق الفعل لكل ذلك اليوم الطويل.  
ويدل لذلك قول الله تعالى: { فإذا جاءت الصاخة يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه وجوه يومئذ مسفرة ضاحكة مستبشرة ووجوه يومئذ عليها غبرة ترهقها قترة أولئك هم الكفرة الفجرة } [عبس: ٣٣ - ٤٢]، فذكرت الآيات في نفس السياق حالين للمؤمنين (الخوف ثم الفرح) وحالين للكافرين (الخوف والكآبة)، وكل هذه الأحوال في يوم القيامة، فالإشارة إلى حدوثها في يوم القيامة لا يعني دوام الحال الواحد واستغراقه لكل ذلك اليوم الطويل، فقوله: { لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه } [عبس: ٣٧]، لا يستوعب كل يوم القيامة؛ لوجود أوقات يأمن فيها المرء على نفسه، حين يعلم صلاح ماله ونجاته من النار، كما قال ﷺ في الحديث السالف: «أما في ثلاثة مواطن فلا يذكر أحد أحدا»، مما يعني أن في غيرها من المواطن يتذكر المرء أحبابه وخلالنه، لأمنه فيها من العذاب.  
وكذلك قوله: { وحيء يومئذ بجهنم يومئذ يتذكر الإنسان وأنى له الذكرى يقول يا ليتني قدمت لحياتي } [الفجر: ٢٣ - ٢٤]، ومن المعلوم أن مجيء النار وتذكر الإنسان لا يستغرق كل يوم القيامة، بل يكون في جزء منه. (٢)

## خامساً : هل يتساءل الناس يوم القيامة أم لا ؟

(١) - (أخرجه أبو داود ح (٤٧٥٥)، وأحمد ح (٢٤١٧٥)، واللفظ لأبي داود.)

(٢) - تنزيه القرآن للسقار ص ٢٤٤

قالوا: يخبر القرآن عن أهل النار أنهم يوم القيامة يتساءلون: {وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون} [الصفات: ٢٧]، بينما يخبر في سورة (المؤمنون) أنهم لا يتساءلون: {فإذا نفخ في الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون} [المؤمنون: ١٠١]، وهذا - بحسب زعمهم - من التناقض الصريح الذي يمنع نسبة القرآن إلى الله العليم.

وفي الجواب ذكر العلماء وجهين صحيحين:

الأول: وهو ما ذكرناه في الإشكال السابق، ويتلخص في أنهم عند النفخة وقيام الأشهاد واضطراب الخلائق لا يتساءلون لهول المطلع {فإذا نفخ في الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون} [المؤمنون: ١٠١]، فهذا الوقت عصيب، وهو وقت فزع وخوف {ويوم ينفخ في الصور ففزع من في السماوات ومن في الأرض إلا من شاء الله وكل أتوه داخرين} [النمل: ٨٧]، مثله في قوله تعالى: {يا أيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شيء عظيم يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد} [الحج: ١ - ٢]، ثم يفيق العباد من هول المطلع فيكون بعد ذلك التلاوم والتساؤل.

الثاني: أن القرآن نزل بلسان العرب، موافقا لما عهدوه في أساليبهم وطرائقهم في البيان،

والعرب تعتبر الفعل الذي لا فائدة منه كالعدم، ولأجل هذا سمي القرآن المنافقين: {صم بكم عمي فهم لا يرجعون} [البقرة: ١٨]، وهم في الحقيقة يسمعون وينطقون ويصرون {وجعلنا لهم سمعا وأبصارا وأفئدة فما أغنى عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم من شيء إذ كانوا يجحدون بآيات الله وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون} [الأحقاف: ٢٩]، لكنهم صم عن سماع الحق، وعمي عن رؤيته، وبكم عن النطق به {لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون} [الأعراف: ١٧٩]، وبمثل هذا نقول: إن النظر مع عدم الإفادة منه هو كعدم النظر حكما، فصاحبه أعمى، وإن كان يرى ما يراه ذو العينين.

ومثل هذا قال الله تعالى: {إن الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمنا قليلا أولئك لا خلاق لهم في الآخرة ولا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم يوم القيامة ولا يزكهمم ولهم عذاب أليم} [آل عمران: ٧٧]، فليس المقصود منه نفي نظر الله إليهم، فالله لا يغيب عنه أحد، وليس المقصود أنه تبارك وتعالى لن يكلمهم، فكلامه لهم ثابت في عشرات الآيات التي تحكي عن توبيخ الله للمشركين وتقريعه لهم، لكن المقصود أنه لا يكلمهم كلاما ينفعهم، لا يكلمهم بما فيه رحمة لهم، ولا ينظر إليهم نظرة تفيدهم وتنجيهم من عذابهم وخوفهم، فلما لم يكن لها فائدة كانت بمنزلة العدم.

ومثله قول الله تعالى عن الكافر: {فإن له جهنم لا يموت فيها ولا يحيى} [طه: ٧٤]، أي لا يحيى فيها حياة طيبة هانئة، وإلا فهو - على الحقيقة - حي فيها لا يموت أبدا.

ومثله كذلك قول النبي ﷺ لمن صلى على الحقيقة؛ غير أنه أساء في صلاته: «ارجع فصل؛ فإنك لم تصل»، فصلاته في حكم العدم لعدم إقامته ركوعها وسجودها (متفق عليه). ومثله قوله تعالى وهو يصف حال الناس في كربات يوم القيامة: {فإذا نفخ في الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون} [المؤمنون: ١٠١]،

فليس معناها أنهم تنقطع الأنساب بينهم، فلا يكون الابن ابنا لأبيه، فإن القرآن أثبت النسب بين الناس في يوم القيامة ونفى الانتفاع به {يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه} [عبس: ٣٤ - ٣٧]، فلما كان النسب لا ينفع يومئذ قال الله: {فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون} [المؤمنون: ١٠١]، أي لا ينفعهم النسب حينذاك، كما لا ينفعهم التساؤل (١) وإلا فإن التساؤل بينهم من غير منفعة واقع، وقد ذكره القرآن في غير آية {وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون قالوا إنكم كنتم تأتوننا عن اليمين قالوا بل لم تكونوا مؤمنين وما كان لنا عليكم من سلطان بل كنتم قوما طاغين فحق علينا قول ربنا إنا لذائقون فأغويناكم إنا كنا غاوين فأهم يومئذ في العذاب مشتركون} [الصفات: ٢٧ - ٣٣]، لكنه تساؤل التلاوم الذي لا فائدة فيه ولا نفع، فوجوده وعدمه بالنسبة لهم سواء، لذا قال الله: {فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون}.

قال الشنقيطي: "المراد بنفي الأنساب انقطاع فوائدها وآثارها التي كانت مرتبة عليها في الدنيا؛ من العواطف والنفع والصلات والتفاخر بالآباء، لا نفي حقيقتها". (٢)

## سادساً: هل يسأل الله عن الذنوب أم لا يسأل؟

قالوا: تناقض القرآن في مسألة السؤال عن ذنوب المجرمين، فنفاه في قوله: {ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون} [القصص: ٧٨]، وقوله: {فيومئذ لا يسأل عن ذنبه إنس ولا جان} (الرحمن: ٣٩)، وأثبتته في مواضع أخرى فذكر أنه يسألهم: {فلنسألن الذين أرسل إليهم ولنسألن المرسلين} [الأعراف: ٦] فهذه الآية تدل على سؤال الجميع يوم القيامة، ومثلها قوله تعالى: {فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون} [الحجر: ٩٢ - ٩٣].

وفي الجواب نقول: السؤال على أنواع، فبعضه للاستفسار والتعلم، وبعضه للتقريع والتوبيخ، وبين هذا وهذا بون شاسع، فالأول منتف في حق الله تعالى علام الغيوب، فهو لن يسأل أحدا عن ذنبه سؤال تعرف واستخبار، بل يعاقب الله تعالى العبد بما عرف من ذنوبه ومعاصيه {يوم يبعثهم الله جميعا فينبئهم بما عملوا أحصاه الله ونسوه والله على كل شيء شهيد} [المجادلة: ٦]، كما صنع مع قارون والجبابرة من قبلهم؛ حين فجأهم بآسائه وإهلاكه {أولم يعلم أن الله قد أهلك من قبله من القرون من هو أشد منه قوة وأكثر جمعا ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون} [القصص: ٧٨]، فالله لا يسأل المجرمين ولا يستفسر منهم عن ذنوبهم حين يريد عقوبتهم. وكذلك فإن الملائكة حين تنزل بالعذاب فإنها لا تسأل المجرمين ولا تسأل عنهم، لأنها تعرفهم بسيماهم {فيومئذ لا يسأل عن ذنبه إنس ولا جان فبأي آلاء ربكما تكذبان يعرف المجرمون بسيماهم فيؤخذ بالنواصي والأقدام} [الرحمن: ٣٩ - ٤١].

قال الربيع بن أنس: "قوله: {ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون}: لا يسألون عن إحصائها، يقول: هاتوا فينبئنا، ولكن أعطوها في كتب فلم يشكوا الظلم يومئذ، ولكن شكوا الإحصاء". (٣)

(١) - (نكت الانتصار لنقل القرآن، الباقلائي، ص (٢٠١)).

(٢) - (دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب، الشنقيطي، ص (١٦٨). وتزيه القرآن للسقار ص ٢٤٦ مراجع سابقة .

(٣) - (أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٣٠١٢/٩)).

وقال الحلبي: "لا يسألون سؤال التعرف لتمييز المؤمن عن الكافر، أي إن الملائكة لا تحتاج أن تسأل أحدا يوم القيامة، فتقول: ما كان ذنبك، وما كنت تصنع في الدنيا حتى يتبين له بإخباره عن نفسه أنه كان مؤمنا أو كافرا، لكن المؤمنين يكونون ناضري الوجوه مشروحي الصدور، والمشركين يكونون سود الوجوه زرقا مكروبين، فهم إذا كلفوا سوق الجرمين إلى النار، وتمييزهم في الموقف عن المؤمنين كفتهم مناظرهم عن تعرف ذنوبهم".<sup>(١)</sup>

وأما سؤال الحساب والتوبيخ والتفريع فهذا نوع آخر من السؤال، يسأله الله تبارك وتعالى الجرمين، بل ويسأل الأنبياء ليقرع الجرمين ويقيم عليهم الشهود {فلنسالن الذين أرسل إليهم ولنسالن المرسلين} [الأعراف: ٦]. وقد ذكر القرآن في مواضع عديدة صورا من هذه الأسئلة التفريعية التوبيخية التي سيسألها الله للمجرمين على سبيل التوبيخ، كما في قوله: {وقفوههم إنهم مسئولون ما لكم لا تناصرون} [الصفات: ٢٥]، وكقوله: {أفسح هذا أم أنتم لا تبصرون} [الطور: ١٥]، وكقوله: {ألم يأتكم رسل منكم} [الأنعام: ١٣٠]، وكقوله: {ألم يأتكم نذير} (الملك: ٨)، فهذا كله مثبت معلوم.<sup>(٢)</sup>

### سابعاً : ألف سنة أم خمسون ألف سنة؟

قالوا: تناقض القرآن في حديثه عن طول يوم القيامة، فذكر في موضع أنه ألف سنة {يدبر الأمر من السماء إلى الأرض ثم يعرج إليه في يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون} [السجدة: ٥]، وذكر في آخر أنه خمسون ألف سنة {تعرج الملائكة والروح إليه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة} [المعارج: ٤]. والجواب: إن القارئ للآيتين يدرك أن التباين بينهما مرده اختلاف موضوعهما، فالخمسون ألف سنة هي مقدار يوم القيامة، فقد نصت عليه الآيات بعدها {إنهم يرونه بعيدا ونراه قريبا يوم تكون السماء كالمهل} [المعارج: ٧ - ٨]، وقد أكد النبي ﷺ هذا الطول ليوم القيامة، وهو يحكي عن عذاب تارك الزكاة: «كلما بردت أعيدت له في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة؛ حتى يقضى بين العباد، فيرى سبيله: إما إلى الجنة، وإما إلى النار». <sup>(٣)</sup>

وأما الألف سنة فلا علاقة لها بيوم القيامة، وإنما وردت في سياق الحديث عن مدة نزول الأمر من الله ثم عروجه إليه <sup>(٤)</sup>، وهو منطوق الآية وصريحها، لأن الله يقول: {يدبر الأمر من السماء إلى الأرض ثم يعرج إليه في يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون} [السجدة: ٥]. ومصادقه في قول النبي ﷺ: «والذي نفسي بيده إن ارتفاعها كما بين السماء والأرض، وإن ما بين السماء والأرض لمسيرة خمس مائة سنة»، فنزول الأمر {يدبر الأمر من السماء إلى الأرض} في خمسمائة عام، ومثلها في صعوده {ثم يعرج إليه}، فهذه الألف سنة.

قال ابن عباس: "المعنى ينفذ الله ما قضاه من السماء إلى الأرض، ثم يعرج إليه خبر ذلك في يوم من أيام الدنيا مقداره لو سير فيه السير المعروف من البشر ألف سنة لأن ما بين السماء والأرض خمسمائة عام، فالألف

(١) - (شعب الإيمان، البيهقي (٢/٥٠).

(٢) - تنزيه القرآن للسقار ص ٢٤٩ .

(٣) - (أخرجه مسلم ح (٩٨٧).

(٤) - (نكت الانتصار لنقل القرآن، الباقلائي، ص (١٦٤).

ما بين نزول الأمر إلى الأرض وعروجه إلى السماء<sup>(١)</sup>. بقي لنا أن نهمس في آذان أصحاب هذه الشبهة، فنقول: الحديث في مسألة الزمن نسبي، فحين نتحدث عن أعمار البشر فإننا نتحدث عن أيام وسنين أرضية؛ لأن البشر يعيشون على الأرض، ولكن لو فرضنا أن مخلوقا يعيش على القمر فإن حساب سني عمره يكون بالسنين القمرية لا الأرضية، فيختلف عمره القمري عن الأرضي باختلاف السنين القمرية عن الأرضية.

وهكذا يكون الحال حين نبتعد أكثر، فتحدث عن عروج الملائكة في السماوات أو نزولهم فيها، فأياهم ليست أياما أرضية، ولا قمرية، ولا شمسية، والألف منها باعتبار قد يعدل الألفين أو العشرة باعتبار أخرى، فيكون الإخبار عن هذا كله صحيحا رغم اختلاف الأرقام.(٢)

## ثامناً : هل تتبدل كلمات الله ؟

قالوا: اختلف القرآن في مسألة تبديل كلام الله، فحين يكون المقصود فيه التوراة والإنجيل فإن المسلمين يقولون بوقوع التبديل والتحريف محتجين بقول القرآن: {فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون} [البقرة: ٧٩]، في حين أن آيات أخرى تذكر أن كلمات الله لا تتبدل {لا تبديل لكلمات الله} [يونس: ٦٤]، وكذا قوله: {ولا مبدل لكلمات الله} [الأنعام: ٣٤]، وكذا قوله: {لا مبدل لكلماته وهو السميع العليم} [الأنعام: ١١٥]؛ إذ لا يقوى البشر على ذلك {واتل ما أوحى إليك من كتاب ربك لا مبدل لكلماته} [الكهف: ٢٧]. وتساءلوا: كيف يقدر البشر على تحريف كتاب الله، ورأوا أن قول القرآن ومعتقد المسلمين في ذلك يحط من قدر الله العظيم الذي لا يعجزه حفظ كتبه وصيانتها عن عبث البشر وزيادتهم ونقصهم!!

والجواب: لقد كان القرآن الكريم صريحا في تشييعه على أهل الكتاب تحريفهم لكتبهم، وتلاعبهم بها زيادة ونقصا {وإن منهم لفريقا يلوون ألسنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون} [آل عمران: ٧٨].

والحق أن الله على كل شيء قدير، ولو تعلققت مشيئته بحفظ كتبه لحفظها؛ ولما استطاع تحريفها إنس ولا جان، وأيضا لو أراد عز وجل حفظ أنبيائه من القتل والاضطهاد؛ لفعل، لكنه سبحانه وتعالى لم يشأ ذلك، فتعرض السفهاء لأنبيائه بالقتل والتنكيل، وكتبه بالتبديل والتحريف، فمسألة تحريف كتب الله مطابقة لمسألة قتل الأنبياء، فكما أقدر الله عتاة بني إسرائيل على قتل أنبيائه؛ فإنه أقدرهم على تحريف كتبه، من غير ضعف منه تبارك وتعالى، فهو فعال لما يريد.

وأما اللبس الذي ذكره في مسألة تبديل كلام الله فقد وقع لاجترائهم النصوص وإخراجها لها من مساقها، وتحويرها وتحريف معناها لتدل على غير ما تحدثت عنه، فالقرآن - كما أسلفت - صريح في وقوع التحريف في كتبهم، وليس هذا موضع بسطه (٣). وفي مقابلة ذكر القرآن نوعين من كلمات الله لا تتبدل:

(١) - التسهيل لعلوم التنزيل، ابن جزيء (١٢٩/٣)

(٢) - تنزيه القرآن للسقار ص ٢٥١

(٣) - (انظر "هل العهد القديم كلمة الله؟" و"هل العهد الجديد كلمة الله؟"، وكلاهما للدكتور منقذ السقار، ففيهما ما يبين هذه المسألة لكل باحث عن الحق مدعنه له.

الأول: القرآن، وهو وإن كان من جنس ما نزل على أهل الكتاب؛ إلا أن الله خصه بالحفظ دون سائر كتبه {واتل ما أوحى إليك من كتاب ربك لا مبدل لكلماته} [الكهف: ٢٧]، فالكلام الذي لا يبدل هو {ما أوحى إليك}، أي القرآن الذي قال الله عنه: {وإنه لكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد} [فصلت: ٤١ - ٤٢].

وأما قول الله تعالى: {وهو الذي أنزل إليكم الكتاب مفصلا والذين آتيناهم الكتاب يعلمون أنه منزل من ربك بالحق فلا تكونن من الممترين وتمت كلمت ربك صدقا وعدلا لا مبدل لكلماته وهو السميع العليم} [الأنعام: ١١٤ - ١١٥]، فقد اختلف العلماء في المراد بـ {لا مبدل لكلماته} فقال بعضهم: هو القرآن، وقال بعضهم: المقصود نواميسه الكونية، والسياق محتمل للمعنيين، وكلا الأمرين لا يبدله أحد، ولا يقدر على تبديله.

وقد جمع بين المعنيين أبو جعفر الطبري بقوله: "يقول تعالى ذكره: وكملت {كلمة ربك}، يعني القرآن .. {لا مبدل لكلماته}، يقول: لا مغير لما أخبر في كتبه أنه كائن من وقوعه في حينه وأجله الذي أخبر الله أنه واقع فيه، وذلك نظير قوله جل ثناؤه: {يريدون أن يبدلوا كلام الله قل لن تتبعونا كذلكم قال الله من قبل} [الفتح: ١٥]، فكانت إرادتهم تبديل كلام الله، مسألتهم نبي الله أن يتركهم يحضرون الحرب معه". (١)

الثاني: موعود الله وقضاؤه، فالله لا يخلف الميعاد، ولا يقوى أحد على تغيير قضاؤه وموعوده تبارك وتعالى، وذلك قوله تعالى: {ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا وأوذوا حتى أتاهم نصرنا ولا مبدل لكلمات الله ولقد جاءك من نبي المرسلين} [الأنعام: ٣٤]، فما لا يتبدل هو موعود الله لأنبيائه بالنصر، ومثله في موعود الله للمؤمنين بالجنة {الذين آمنوا وكانوا يتقون لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة لا تبدل لكلمات الله ذلك هو الفوز العظيم} [يونس: ٦٣ - ٦٤]، فالحديث في الآيات المانعة من تبديل كلام الله يتعلق بالقرآن أو بموعود الله لعباده، ولا يتحدث عن الكتاب المقدس الذي توعد الله محرفيه ومبدليه بالويل والثبور: {فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون} [البقرة: ٧٩]. (٢)

من شبهات هذا العصر طعون وردت ل د. عبد الجليل شلبي على شكل رسالتين تطعنان في القرآن؛ الأولى رسالة في ست ورقات منسوبة إلى المجلس القبطي بالإسكندرية، والرسالة الثانية جاءت بالبريد من استراليا في إحدى وعشرين صفحة، وموقعه باسم: المدعون العامون في محكمة الحقيقة ورد عليهما في كتاب "رد مفتريات على الإسلام"، و أيضا مجموعة من أسئلة (توني بولدروجوفاك) وتشكيكاته حول القرآن الكريم والنبي العظيم، وردت للشيخ عبد الرحمن

(١) - (جامع البيان، الطبري (١٢/٦٢).

(٢) - تنزيه القرآن للسقار ص ٢٥٢

عبد الخالق فردٌ عليها على موقعه سأقوم بعضهما تباعا ، و هذه أهم ما ورد في كتاب "رد  
مفتريات" وبعضها ورد في المطالب السابقة وتم الرد عليه

**عاشراً : في سورة يونس: {إذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين لا يرجون لقاءنا ائت  
بقرآن غير هذا أو بدله قل ما يكون لي أن أبدله من تلقاء نفسي إن أتبع إلا ما يوحى  
إلي ... [يونس: ١٥] ، وفي سورة النحل: {وإذا بدلنا آية مكان آية والله أعلم بما ينزل  
قالوا إنما أنت مفتر بل أكثرهم لا يعلمون قل نزله روح القدس من ربك بالحق {  
[النحل: ١٠١] ففي الآية الأولى طلب منه التبديل فرفض ، والآية الثانية تم التبديل  
(١) ... والجواب ٢ :**

أن التبديل في الآية الأولى كان بطلب من الكفار لرسوله (أن يأتي بقرآن جديد أو يبدل هذا القرآن  
ورسول الله ﷺ يقول لا أستطيع، فذلك كلام الله ينسخ منه سبحانه ما يشاء ويثبت ما يشاء، وأنا أتبع ما  
يوحى إلي نسخاً أو إثباتاً.

والآية الثانية تذكر أن الله سبحانه إذا نسخ حكماً بحكم قال الكفار لمحمد: أنت مفتر في هذا القرآن؛  
لأنك غيرت حكماً قررته من قبل، ثم تقرر الآية التالية أن ذلك من الله تعالى، نزله الله بواسطة جبريل روح  
القدس، ومحمد لا يغير. فأى تناقض بين الآيتين! كلتاها تثبت أن القرآن من عند الله، وأن محمداً (لا يستطيع  
أن يغير منه شيئاً).

**حادي عشر : الآية ١٠٦ من سورة البقرة تناقض الآية ٢٧ من سورة الكهف، والآية في سورة  
البقرة هي: {ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها} [البقرة: ١٠٦] والآية في سورة  
الكهف: {واتل ما أوحى إليك من كتاب ربك لا مبدل لكلماته..} [الكهف: ٢٧]. فالآية الثانية  
تخبر أن كلمات الله لا تبدل، والأولى تخبر أنها تنسخ وتنسى، والنسخ نوع تبديل (٢) الجواب :**

الآية الأولى تتحدث عن نسخ الأحكام وتغيير حكم بآخر، وهذا أمر لا بد منه في حال أمة جاهلية  
نقلها الإسلام تدريجياً إلى حال جديدة متكاملة، والآية الثانية تذكر أنه لا أحد غير الله يستطيع أن يبدل  
كلماته، أو يرد حكماً أنزله سبحانه، والطاعنون لم يفهموا النص فظنوه تناقضاً، وكلتا الآيتين توضح أن الله  
وحده يحو ما يشاء ويثبت، تماماً كالآية السابقة .

والتبديل يطلق على تبديل الأحكام، وهذا سائغ، ويطلق على تبديل الأخبار، وهذا الذي لا يمكن في  
القرآن، فكل آية لها مورد ، فالنسخ والتبديل يكونان في الأحكام لا الأخبار.

(١) - (ص: ٣٧) . من كتاب رد مفتريات للدكتور عبد الجليل شلبي رد مفتريات على الإسلام، لعبد الجليل شلبي، دار القلم، الكويت، الطبعة الأولى، ١٩٨٢،

(٢) - المرجع السابق (ص ٦٧)

(٣) - المرجع السابق السؤال : (ص: ٣٧) . الجواب (ص ٦٨)

**الثاني عشر : الآية ٩ من سورة الحجر تناقض الآية ٣٩ من سورة الرعد وآية الحجر هي: {إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون} [الحجر:٩] ، وآية الرعد هي: {يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب..} [الرعد:٣٩] ، يعني كيف يجتمع الحفظ مع المحو ، الجواب (١) :**

آية الحجر تصف القرآن أنه تنزيل من الله تعالى، وأن الله حافظه من الزوال والتحريف، وصدق الله وصدق قرآنه، فلمسلمون بعد أربعة عشر قرنا يقرأون القرآن غضا طريا صريحا صحيحا كما أنزله الله تعالى، وكما قرأه محمد ﷺ على أصحابه، فأين كتاب موسى وأين وصاياه، وأين إنجيل عيسى؟ هذه كتب لم يحفظها الله تعالى فذهبت مع الأيام، والقرآن لم يضع منه شيء ولن يضيع. وأما آية الرعد تذكر أن الله يمحو أحكاما ويثبت أخرى، ويمحو مقادير ويثبت غيرها، أفي هذا تضارب؟

آية الرعد ليست في القرآن، بل المراد منها الصحف التي بيد الملائكة التي فيها مقادير الخلق، فإن الله تعالى يغيرها حسب مشيئته وحكمته، واختلف العلماء في ذلك ولكن كل الخلاف دائر في باب القدر ، ولو سلمنا أن آية الرعد في القرآن، فإن المقصود بالمحو والإثبات هو في وقت حياة النبي ﷺ ، وأما بعد اكتمال القرآن وموت النبي ﷺ ، فإن الله يحفظ القرآن ويصونه. ومراجعة بسيطة لفتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية في علم التفسير (٢)، ترى أنه ذكر فيه ثلاثة عشر قولاً، ليس فيها قول أن المقصود به محو القرآن.

**الثالث عشر: آية السجدة: {يدبر الأمر من السماء إلى الأرض ثم يعرج إليه في يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون} [السجدة:٤] ، وآية المعارج : {تعرج الملائكة والروح إليه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة} [المعارج:٤] ، يعني أن ألف سنة في الآية تناقض خمسين ألف سنة في الآية الأخرى (٣) ..... الجواب :**

إن الآية تصف يوم القيامة بالطول، وأنه في طوله يعدل ألف سنة مما يعدل الناس، ولا يراد منها إفادة التكثير، كما تقول لصاحبك كتبت لك خمسين خطابا، وترددت على بيتك عشرين مرة، واللغويون يقولون دائما: العدد لا مفهوم له.

فإذا وصفت الآية الثانية هذا اليوم بأن مقداره خمسين ألف سنة فلا تناقض لأن كلا منهما تصفه بالطول، وقيل: وهذا اليوم يختلف مع الناس باختلاف مواقفهم وما يعانیه كل منهم، فقد يطول اليوم على شخص لشدة مشقته، ويقصر على آخر لعدم المشقة.

قلت: إن الآيتين ليستا على مورد واحد، بل الأولى تتحدث عن أمر لا تتحدث عنه الأخرى ، فالآية الأولى تتحدث عن مدة يوم معراج الأوامر ومدته ألف سنة ، والثانية تتحدث عن يوم القيامة ومدته خمسين ألف سنة، كما هو ظاهر من السياق:

(١) - المرجع السابق السؤال (ص ٣٧) ؟. الجواب (ص ٦٨)

(٢) - للإمام الشوكاني (١٨٩/٣) .

(٣) - رد مفتریات ، السؤال (ص ٣٧) . الجواب (٦٩)

{ سأل سائل بعذاب واقع (\*) للكافرين ليس له دافع (\*) من الله ذي المعارج (\*) تعرج الملائكة والروح إليه، في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة (\*) فاصبر صبرا جميلا (\*) إنهم يرونه بعيدا (\*) ونراه قريبا (\*) يوم تكون السماء كالمهل (\*) وتكون الجبال كالعهن (\*) ولا يسأل حميم حميما { [المعارج: ١-١٠] ، وهو القول الراجح فقد ذكر ابن كثير أربعة أقوال في المراد من اليوم ومال إلى أن المراد به يوم القيامة (١) ، وهو الراجح بدليل ما أخرجه مسلم عن أبي هريرة يقول: قال رسول الله ﷺ : « ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي منها حقها إلا إذا كان يوم القيامة صفحت له صفائح من نار، فأحمي عليها في نار جهنم، فيكوى بها جنبه وجبينه وظهره ، كلما بردت أعيدت له في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى بين العباد، فيرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار ... » (٢) . وقد ذكر العلماء أجوبة كثيرة وغالبها وجيه، وقد سئل ابن عباس عن هذه الآية وأجاب عنها (٣) ، ومع هذا لا زال هذا الإشكال يكرر إلى يومنا هذا.

**الرابع عشر : سورة البلد جاء فيها: { لا أقسم بهذا البلد وأنت حل بهذا البلد } [البلد: ١-٢] ، وسورة التين فيها: { والتين والزيتون وطور سنين وهذا البلد الأمين } [التين: ١-٣] ؛ فكيف قال: لا أقسم بهذا البلد ثم أقسم به (٤) ؟ .**

الجواب:

فهم القوم -وهم كما يدل أسلوبهم وكتابتهم علماء جدا في اللغة - أن (لا) في (لا أقسم) نافية، وهذا جهل بلغة العرب، وإنما تأتي لا في القسم توكيدا وهذا شائع في اللغة، كما في قوله تعالى: (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم..). أي أقسم بربك أنهم كذلك، وكما قال النابغة :  
فلا وحق الذي مسحت كعبته ..... وما هريق على الأنصاب من جسد  
وقول الآخر: فلا والله لا يلتقى لمابي ..... ولا لما بهم أبدا دواء  
وقول طرفه: فلا وأبيك ابنة العامري ..... لا يدعي القوم أي أفر  
وقال علماء اللغة: إن هذا القسم يفيد تعظيم المقسوم به، كما في سورة البلد، وكما في قوله تعالى: { فلا أقسم بمواقع النجوم وإنه لقسّم لو تعلمون عظيم أنه لقرآن كريم } [الواقعة: ٧٥-٧٧] ، وكقوله: { لا أقسم بيوم القيامة ولا أقسم بالنفس اللوامة } [القيامة: ١-٢] ، فهذه كلها أقسام وليس هذا من دقائق اللغة وإنما هو من أولياتها ولكن القوم لا يعلمون.  
وإذا اعتبرت (لا) نافية والجملة خبرية فهي مقيدة؛ أي لا أقسم به وأنت حل به، ولكن أقسم به وأنت غير حل به، فلا تناقض أيضا.

(١) - تفسير ابن كثير (١/٢٢١-٢٢٤) .

(٢) - مسلم (كتاب الزكاة، باب إثم مانع الزكاة، رقم: ٩٨٧) .

(٣) - (تفسير ابن كثير ، المصدر السابق) . دعاوى الطاعنين في القرآن الكريم في القرن الرابع عشر الهجري والرد عليها عبد المحسن بن زين بن متعب المطيري

**الخامس عشر : قوله تعالى: {قل لله الشفاعة جميعا له ملك السموات والأرض ثم إليه ترجعون} [الزمر: ٤٤] ، مع قوله: {مالكم من دونه من ولي ولا شفيع، أفلا تتذكرون} [السجدة: ٤] وقوله: {يدبر الأمر ما من شفيع إلا من بعد إذنه} [يونس: ٣] . هذه الآيات متناقضة في رأي تيموثاوس (١) :**

الآيات الثلاث تذكر أن الله وحده هو المتصرف في خلقه، ولا يشفع عنده إلا من أذن له، الله وحده الشفاعة، لا شفيع من دونه ولا بغير إذنه.. فأبي تناقض بين هذه الآيات؟ أليست الشفاعة في هذا كله لله وحده؟ أفلا تتذكرون؟.

نفى الله تعالى الشفاعة الشركية التي يعتقدونها المشركون في معبوداتهم، وأثبتها له وحده ، ولمن يأذن له فيها، فهو سبحانه ينفىها في حال ويثبتها في حال آخر.

**السادس عشر : في سورة الواقعة جاء مرة: {ثلة من الأولين وقليل من الآخرين} [الواقعة: ١٣- ١٤] ، ثم جاء مرة أخرى {ثلة من الأولين وثلة من الآخرين} [الواقعة: ٣٩-٤٠] . فهذا تناقض عند تيموثاوس ومجلسه ( ٢ ) : الرد : والآية الأولى تتحدث عن السابقين المقربين، والثانية تتحدث عن أصحاب اليمين ... استفيقوا أيها الناقدون.**

**السابع عشر : [الحجر: آية ٨٥]: {وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق وإن الساعة لآتية فاصفح الصفح الجميل إن ربك هو الخلاق العليم...}، تناقض ب [التوبة: ٧٣] {يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين وأغلظ عليهم} . ووجه التناقض فيما يرى القوم أن الآية الأولى أمرت بالصفح، والثانية أمرت بالغلظة الجواب (٣) :**

سورة الحجر مكية، وفي مكة لم يكن أذن بالقتال، والله تعالى يقول في آية الحجر أنه لم يخلق هذا الكون عبثا يفسد فيه من يفسد ويصلح من يصلح، بل الله جامع الناس بعد ذلك وجاز كلا بما فعل، فلا تحزن يا محمد لمخالفة القوم إياك ومعارضتهم دعوتك، وغدا تقوم الساعة فيجزون بسوءهم وتجزى بإحسانك، فأعرض عنهم حتى يأتي أمر الله.

وسورة التوبة مدنية، وتسمى الفاضحة؛ لأنها فضحت المنافقين، قد نزلت في حج أبي بكر بالناس، وكان الجهاد قد شرع قبل ذلك، ويسمى هذا العام عام الوفود؛ إذ أخذت قبائل العرب تتوافد على المدينة يدخلون في دين الله أفواجا، ولم يبق بعد مسوغ لبقاء الكفار الذين يعبدون من دون الله أوثانا، ولا لبقاء المنافقين الذين يفشون أسرار المسلمين ويخدعونهم، ويقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم، فيجب جهادهم لقطع قوم عن الكفر وآخرين عن النفاق، كي يعيش الناس في جو نظيف، خال من فساد العقيدة وفساد الأخلاق!

(١) - رد مفتريات د. عبد الجليل شليبي (ص ٣٧) . الجواب (ص ٧١)

(٢) - رد مفتريات السؤال (ص ٣٧) . الجواب (ص ٧١)

(٣) - رد مفتريات (ص ٣٧) . الجواب (ص ٧١)

فأين التناقض؟ الناس جميعا يفعلون هذا، يقول قائد الفرقة لجيشه: لا تضربوا. وبعد مدة يقول: اضربوا. ويقول المهندس الزراعي لفلاحيه: لا تزرعوا الآن. بعد شهر يقول: ازرعوا، وكل حكمة. كما أن الآية الأولى المقصود بها حال الدعوة، والثانية حال الجهاد، فاختلف مورد كل آية، كما أن الوالد في حال نجاح ابنه يفرح ويحسن إليه بمهدية، وفي حال رسوبه يغضب ويعاقبه، ولا يقال: إن هذا الوالد متناقض؛ لأنه مرة يفرح ومرة يغضب، وفرحه في مجال وغضبه في مجال آخر.

**الثامن عشر : في [الأعراف : ٣٧]: (حتى إذا أدركوا فيها جميعا قالت أوراهاهم لأولاهم ربنا هؤلاء أضلونا ) ، وفي [الأعراف: ١٧] يقول الشيطان لله تعالى: (ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمنهم وعن شمائلهم ولا تجد أكثرهم شاكرين ) ؛ هذا تناقض عظيم جدا عندهم، كبراء القوم أضلوهم، والشيطان قال إنه يضلهم. فمن الذي يضل هل هو الشيطان أم الكبراء ؟.**  
الجواب (١): وهل من التناقض أن يضل الشخص من كثيرين؟ وأنتم أعضاء المجلس الملي، وجماعة المدعين أضلكم الشيطان، وأضلكم رؤساؤكم وأضللتم أنفسكم، وأضلكم جهلكم، وأضلكم كتابكم، ولا تناقض في شيء من هذا.

**التاسع عشر : الآية [٢٧٥: البقرة] وهي: (الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس ذلك بأنهم قالوا إنما البيع مثل الربا وأحل البيع وحرم الربا ). والآية [٢٩: التوبة] وهي: (قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون ) ، هاتان الآيتان متناقضتان فيما يرى تيموثاوس ومجلسه، يقصدون أن الجزية مثل الربا .**  
الجواب (٢):

ويبدو أنهم أرادوا تكثير عدد الآيات؛ لأنهم ذكروا سورة والتين وسورة والبلد مرتين تكثير للعدد! وهل الجزية ربا؟ هذا فهمهم ولا يفهمه سواهم.  
شتان بينهما؛ فالربا لا يجوز أبدا سواء مع المسلم أو الكافر، وأما الجزية فهي ضريبة تجعل على الكفار مقابل حمايتهم .في ديار المسلمين، أو إبقائهم في الأرض التي يفتحها المسلمون مقابل هذا المال، ويراعى فيها سعة القوم وقرهم، ولا يجوز فيها التضيق عليهم.

**العشرون : الآية ٦٥ من سورة الأنفال ، وهي ، ( يا أيها النبي حرض المؤمنين علي القتال إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وأن يكن منكم مائة يغلبوا ألفا من الذين كفروا بأنهم قوم لا يفقهون ) تناقض الآية ٤٨ من سورة الأحزاب ، وهي (ولا تطع الكافرين والمنافقين ودع أذاهم وتوكل علي الله وكفي بالله وكبلا ) فرغموا أن هناك تضاربا بين الآيتين؛ إذ الآية الأولى تطلب من النبي ﷺ**

( ١ ) - السابق (٣٧) . الجواب (٧٢)

( ٢ ) - السابق (٣٧) . الجواب (٧٣)

تحريض المؤمنين وحثهم على القتال ، بل والتجلد لقتالهم فإن العشرين الصابرين منهم يقتلون مائتين ، والمائة الصابرة يقتلون ألفا من الذين كفروا ، بينما الآية الثانية تطلب من النبي ألا يطيع الكافرين والمنافقين ، وأن يدع أذاهم لا يقابلهم مثله ويكفيه التوكل على الله ، فهو حسبه وكفى بالله وكيلا ، فكيف يأمره في الأولى لتحريض على قتالهم بهذا الجلد ، ويأمره في الثانية بترك أذاهم ، فظنوا هذا تناقضا ، فطاروا به فرحا ، واتخذوه حجرا يقدفون به كتاب الله .

الجواب (١) : ليس هناك أي تضارب ، فالكافرون والمنافقون كانوا يؤذون رسول الله ﷺ بألسنتهم وباختلاق أقوال عليه ، فأمره الله بأن يدع أذاهم له ، فهو سبحانه وتعالى يتولى رد كيدهم في نحورهم ، ودحض افتراءاتهم على رسوله ، فكفى بالله وكيلا ، فأمره في آية الأحزاب أن لا يقابل اللسان باللسان ، بينما أمره في شأن الكفار المخربين أن يحرض المؤمنين على قتالهم ، والتجلد لهم ، فأمره الله سبحانه في آية الأنفال بمقابلة اللسان باللسان ، فالحكمة تقتضي وضع السيف في موضعه واللين في موضعه ، فلا تعارض إذن بين الآيتين .

وحتى مع التسليم بأن الأمر في سورة الأنفال يقابل الأمر في سورة الأحزاب ، فإن هذا يناسب التدرج في تشريع القتال ، علي حسب ما تقتضيه كل مرحلة من مراحل الدعوة من قوة وضعف ، فلا تناقض .

**الحادي والعشرون : لآية ٢٠ من سورة آل عمران وهي: (فإن حاجوك فقل أسلمت وجهي لله**

**ومن اتبعن، وقل للذين أتوا الكتاب والأميين أأسلمتم، فإن أسلموا فقد اهتدوا وإن تولوا فإنما عليك البلاغ والله بصير بالعباد ) ، تناقض الآية ٨٩ من سورة النساء وهي: (ودوا لو تكفروا كما كفروا فتكونون**

**سواء** فلا تتخذوا منهم أولياء حتى يهاجروا في سبيل الله فإن تولوا فخذوهم واقتلوهم حيث وجدتموهم، ولا تتخذوا منهم وليا ولا نصيرا ) . **ووجه التناقض** - فيما يرون - أن الآية الأولى ذكرت أنه ليس على الرسول إلا البلاغ، والآية الثانية أمرته بقتال المنافقين وجهادهم، وبهذا نجد هؤلاء المساكين يدورون في حلقة مفرغة، يعيدون ما قالوا ثم يكررونه .

الجواب (٢) :

الآية الأولى -ومثلها كثير جدا -تقول لرسول الله ﷺ : إنك لست مطالب بخلق الهداية في نفوسهم، ولكن الله يهدي من يشاء، وإنما عليك أن تبلغ رسالة الله، فمن آمن بها وأسلم فقد اهتدى، ومن تولى فحسابه على الله، وحسبك أنك بلغت الرسالة، ولست مكلفا بخلق الهداية.

والآية الثانية تتحدث عن المنافقين وموقفهم يشبه موقف (المدعين) والمجلس المليء المزعوم يتمنون أن يكفر المسلمين ككفرهم، وقد نهي المسلمون أن يتخذوا منهم أصدقاء حتى يهاجروا في سبيل الله، ولا تعني الهجرة في هذا المقام الانتقال من مكة إلى المدينة؛ إذ السورة مدنية والمنافقين كانوا بالمدينة، ولكن المراد بالهجرة طاعة الله تعالى وترك المحرمات، وهذا من معاني الهجرة، ومن معانيها أيضا الجهاد، وكان جماعة من المنافقين بقيادة عبد الله بن أبي رجعوا قبل المعركة يوم أحد.

(١) - السابق (٣٧) . والجواب (٧٣)

(٢) - (٣٧) . الجواب (٧٥)

والقرآن ينهى المسلمين عن اتخاذهم أصدقاء؛ لأن ذلك تكريم لهم وإطلاع لهم على أسرار المسلمين، ادعوا الإسلام وأعرضوا عن الدفاع عنه، وعاونوا أعداءه، وليس في هذا خلق هداية في أنفسهم، وإنما التخلص منهم ومن شرورهم، والناس في كل أمة وفي كل عصر يقتلون الخونة. فهل هذا تناقض؟ . ثم إن البلاغ أنواع، فبلاغ الكلمة وبلاغ المال وبلاغ الجهاد، فالجهاد إنما شرع لتبليغ دعوة الله إلى مشارق الأرض ومغاربها، حتى يصل الإسلام إلى جميع نواح المعمورة.

**الثاني والعشرون : الآية ١٠٨ من سورة الأنعام تناقض الآية ٤ من سورة محمد: وآية الأنعام هي (ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم ) .. ( وآية سورة محمد هي: ( فإذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب حتى إذا أثخنتموهم فشدوا الوثاق، فإما منا بعد وإما فداء حتى تضع الحرب أوزارها، ذلك ولو يشاء الله لانتصر منهم ولكن ليبلو بعضكم ببعض، والذين قتلوا في سبيل الله فلن يضل أعمالهم، سيهديهم ويصلح بالهم ) . ولعل وجه التناقض فيما يرون أن الآية الأولى نعت المسلمين عن سب الأصنام التي يعبدونها المشركين، والآية الثانية حثتهم على الجهاد . الجواب (١):**

القوم واهمون ومتحاملون؛ فالآية الأولى مكية سنّت للمسلمين أدبا خلقيا، فنهتهم عن شتم الأصنام وهم يعلمون أنها لا تضر ولا تنفع، ولكن لو سبوا لسب الكفار الإله الخالق سبحانه عدوانا وجهلا؛ لأنهم لم يعرفوه ولم يعرفوا صفاته، هذا أدب أخلاقي رفيع، وما نحن بنحري عليه، فالجماعة (المدعون) والمجلس الملي يسبون ويشتمون ويقذفون النبي الكريم بأشنع الألفاظ، ونحن نلتزم المنطق ونغضي عن شتائمهم، هذا لعلمنا أن الشتائم لا جدوى من ورائها، وأن الشتام يحط دائما من قدر نفسه، ولا ينال من قدر من شتمه شيئا.

والآية الرابعة من سورة محمد تبين جانبا من تعاليم الحرب، فتعلم المسلمين أنهم إذا قابلوا الكفار في المعركة فعليهم أن يوقعوا بهم الضرب، فإذا أثخنوهم قتالا وهزموهم كان لهم بعد ذلك أن يمنوا على من يستحق المن، وأن يأخذوا الفدية ممن يستحق أن يفدى. فليس في الآية إباحة لسب الأصنام، والآيتان قي وقتين مختلفين لكل حكمها على ما قدمنا.

ظن هؤلاء الجهال أنه طالما جاء النهي في سورة الأنعام عن سب أصنام الكفار، فمن باب أولى يجب الكف عن قتالهم؛ إذ القتال وضرب الرقاب أعظم من السب، ولو كانت لهم عقول لأدركوا علة النهي عن سب أصنام الكفار في نفس الآية، وهي أن سب آلهتهم يفضي إلي حمل المشركين علي سب الله تعالى، وهم أجهل الناس بقدر الله، وليس للنهي في الآية أي علاقة بمراجعة مشاعر المشركين، ولكن لضالة عقولهم وسوء طويتهم نظروا إلي صدر الآية فقط وتركوا باقيها، فزعموا أن في القرآن آية تنهي عن سب أصنام المشركين لحفظ مشاعرهم، وآية أخرى تأمر بضرب رقابهم، ومن خلال هذا الزعم رموا القرآن بالتناقض، فسبحان الله أين عقول القوم؟! !

**الثالث والعشرون : الآية ١٢٧ من سورة النحل، وهي: (وأصبر وما صبرك إلا بالله ولا تحزن عليهم ولا تك في ضيق مما يمكرون ..) تناقض الآية: {والذين إذا أصابهم البغي هم ينتصرون وجزاء سيئة سيئة**

(١) - المرجع السابق (٣٧) .! الجواب (٧٥)

**مثلها فمن عفا وأصلح فأجره على الله { [الشورى: ٣٩ - ٤٠] . يعني أن الآية الأولى تأمر بالصبر على الذي**

يصيبه من الناس، والآية الثانية تأمر بالانتصار من الذي يصبه . الجواب (١) :

الآية الأولى مسبوقه بقوله تعالى: (وإن عاقبتهم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولن صبرتم لهُ خيراً للصابرين واصبر.. ) . وكان رسول الله ﷺ أراد أن يمثل بعدد من المشركين، جزاء ما مثلوا بعمه حمزة في يوم أحد، فنهته الآية أن يزيد عما فعل بعمه، وبينت أن العفو أفضل.

وآيات الشورى تصف المؤمنين بأنهم إذا بغى عليهم أحد انتصروا لأنفسهم، وبينت كما بينت الآية الأولى أن جزاء السيئة يكون بقصاص مماثل، وأن من عفا وأصلح فإن الله تعالى يثيبه. فالآيتان في مجرى واحد، كلتاها تفضل العفو وتقيد العقوبة بالمماثلة! ولا يتأتى للمسلمين أن ويغى عليهم ويقفوا مكتوفي الأيدي، بل عليهم أن ينتصروا لأنفسهم ممن بغى عليهم، ولكنهم مع هذا الانتصار لا يظلمون، فما أروعه أدبا وأسماء سلوكا. وأنت تجد في الأناجيل أن المسيح يقول لتلاميذه: أحسنوا إلى أعدائكم وباركوا لاعينكم. ومع هذا تجده يقول لليهود: يا أولاد الأفاعي، ترون القذاة في أعين الناس ولا ترون الخشبة في أعينكم!

وليس في هذا الكلام بركة ولا إحسان، وإنما هو توبيخ وزجر، فلم لم يباركهم ويحسن إليهم؟. ثم نجد الذي يقول: أحسنوا إلى أعدائكم. والذي يقول: ما جئت لأنقض الناموس، يقول أيضا: لا تظنوا أنني جئت لألقي سلاما على الأرض، ما جئت لألقي سلاما بل سيفا، فإني جئت لأفرق الإنسان ضد أبيه، والابنة ضد أمها والكنة (زوجة الابن) ضد حماها. والعهد القديم والعهد الجديد كلاهما مليء بالمناقضات والخرافات، وهي رسائل وكتب من صناعة قوم انتحلوا صفة القداسة، ومثل هذا لا يوازن به كلام القرآن المحكم؛ لأنه تنزيل من حكيم حميد، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وصدق الله: {أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا} [النساء: ٨٢] ولكن يتدبره من يفهمه، (إنما يذكر أولو الألباب) (٢) .

**الطائفة الثانية: كتابات (توني بولدروجوفاك) ، وهذه رسالة أخرى وزعت على المراكز الإسلامية في أمريكا، موقعة باسم (توني بولدروجوفاك) ، وأجاب عنها الشيخ عبد الرحمن بن عبد الخالق (وفي موقع الشيخ عبد الرحمن على الإنترنت (salafy.net) نسخة كاملة من هذه الرسالة)، كما يلي:**

الرابع والعشرون : يقول السائل: كيف يمكن اعتبار القرآن قد أوحى إلى محمد، وفي نفس الوقت نجد أن محمدا (هو المتكلم في آيات عديدة كما في سورة الفاتحة الآيات من ٥، ٧ - وهي: (إياك نعبد وإياك نستعين أهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين) ، وفي سورة البقرة الآيات ٢ الآيات ١٠٥، ١١٧، ١٦٣، وهي: {ما يود الذين كفروا من أهل الكتاب ولا المشركين أن ينزل عليكم من خير من ربكم والله يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم} [البقرة: ١٠٥] ، {بديع السموات والأرض وإذا قضى أمرا فإنما يقول له كن فيكون} [البقرة: ١١٧] ، (والهكّم إله واحد لا إله

(١) - السابق (٣٧) . والجواب (٧٦)

(٢) - انتهت إلى هنا الرسائلتان اللتان تطعنان في القرآن؛ الأولى رسالة في ست ورقات منسوبة إلى المجلس القبطي بالإسكندرية، والرسالة الثانية جاءت بالبريد من استراليا في إحدى وعشرين صفحة، وموقعة باسم: المدعون العامون في محكمة الحقيقة، ورد عليهما عبد الجليل شلي في كتاب (رد مفتريات على الإسلام) ، (ص: ٦٧-٧٧)

إلا هو الرحمن الرحيم (١٦٣) ( [البقرة:١٦٣] . وكما في سورة ٣ الآية (الله لا إله إلا هو الحي القيوم (٢) ، وفي سورة رقم ٤٠ الآية ٦٥ (هو الحي لا إله إلا هو فادعوه (، والسورة رقم ٤٣ الآيتان ٨٨ ، ٨٩؟ .  
والجواب (١) :

إن السائل لا يعرف أساليب اللغة العربية، ولا طرائق البلغاء في الكلام، ولا منهجهم في البيان، ومعلوم أن القرآن نزل بلغة العرب، وقد تحدى الله الأولين والآخريين أن يأتوا بسورة من مثله؛ بلاغة وفصاحة، وبيانا وحلاوة، وبناء معجزا يستحيل الإتيان بكلام مثله في الحلاوة والبيان.

ومن أساليب العرب في البيان أن يتحدث المتكلم عن نفسه تارة بضمير المتكلم، وتارة بضمير الغائب، كأن يقول المتكلم: فعلت كذا وكذا، وذهبت، وأمرك يا فلان أن تفعل كذا، وتارة يقول عن نفسه أيضا: إن فلانا -يعني نفسه- يأمركم بكذا وكذا. وينهاكم عن كذا، ويحب منكم أن تفعلوا كذا. كأن يقول أمير أو ملك لشعبه وقومه وهو المتكلم: إن الأمير يطلب منكم كذا وكذا. وهو يشير بذلك أن أمره لهم من واقع أنه أمير أو ملك، وهذا أبلغ وأكمل من أن يقول لهم: إني الملك وأمركم بكذا وكذا. فقلوه: إن الملك يأمركم. أكثر بلاغة من قوله: إني الملك وأمركم. وقد جاء القرآن بهذا النوع من البيان، كما في الآيات التي اعترض بها السائل فظن أن هذا لا يمكن أن يكون من كلام الله سبحانه وتعالى، نحو قوله تعالى في سورة البقرة: (والهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم ) ، وقوله في سورة آل عمران: (ألم الله لا إله إلا هو الحي القيوم نزل عليك الكتاب بالحق ) فظن هذا الذي لا يعرف العربية أن الله لا يمكن أن يتكلم عن نفسه بصيغة الغائب، وأنه كان لا بد وأن يقول: (نزلت عليك يا محمد الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه..) ونحو ذلك وهذا جهل بأساليب اللغة العربية، وموقعها في البيان والبلاغة، ولا شك أن خطاب الله هنا وكلامه عن نفسه بصيغة الغائب، أبلغ من لو قال سبحانه: ألم، أنا الله لا إله إلا أنا الحي القيوم نزلت عليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الآيات.

وعلى كل حال فهذا أسلوب من أساليب البلاغة في اللغة، والظن أن هذا يطعن في القرآن، وأنه ليس من عند الله، وإنما من عند الرسول ظن تافه ساذج في منتهى الركاكة والجهل، وأما الالتفات<sup>١</sup> في الخطاب من الحضور إلى الغيبة والعكس، كأن يخاطب المخاطب بضميره فيقول: إنك فعلت كذا وكذا، ثم تخاطبه تارة أخرى بضمير الغائب، فتقول له: فعل فلان كذا وكذا وأنت تعنيه. فهذا كذلك أسلوب من أساليب البلاغة: كقوله تعالى: {عبسى وتولى أن جاءه الأعمى} ولا شك أن النبي هو المقصود، ثم حول الله الخطاب إليه قائلا: {وما يدريك لعله يتركى أو يذكر فتتنعه الذكرى ...} {عبس:١-٤} .

وأما أن القرآن كتاب تعليم وتوجيه، فقد جاء ليعلم المسلمين ماذا يقولون في صلاتهم، وبماذا يدعون ربهم، فقد أنزل الله سورة (الفاتحة) لتكون دعاء وصلاة للمسلمين يتلوها في كل ركعة، وفيها: {الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين} وهذا كلام الله عن نفسه سبحانه، يصف نفسه بهذه الصفات الجليلة العظيمة، ثم يعلم المسلمين أن يقولوا في صلاتهم ودعائهم هذا {إياك نعبد وإياك نستعين اهدنا الصراط

(١) - انظر معرفة تأويل المشابه، د. عبد الله أبو السعود (ص:٩٣) . دار ابن حزم، بيروت، الطبعة الأولى ٢٠٠٠، وتفسير ابن كثير (١٨٥/٣) .

(٢) - انظر المعجم المفصل في علوم البلاغة، د. أحمد عكاوي (ص:٢٠٨) ، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٢ .

المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين } . فهذه السورة تعليم وتوجيه من الرب سبحانه وتعالى لعباده المؤمنين؛ ليصلوا ويدعوا بها في كل ركعة من ركعات صلاتهم، وفي هذه السورة من البلاغة والإعجاز والمعاني ما لا تسعه هذه الرسالة الموجزة، ولو أن عالما بالعربية تديرها كفته إعجازا وشهادة أن هذا القرآن منزل من الله سبحانه وتعالى وليس من كلام بشر.

والخلاصة من هذا السؤال أن صاحبه إنما أتى به من كونه لا يعلم العربية ولا أساليب البيان والفصاحة، وما أظن إلا أن معظم اللغات تعرف هذا اللون من التعبير، والذي يسمى بـ (الالتفات) أي التحول من الغيبة إلى الخطاب، ومن الخطاب إلى الغيبة، لمقاصد كثيرة؛ كتخفيف العتاب، أو توجيه النظر إلى البعيد، أو استحضار المشهد، أو التعظيم، أو التحقير، ونحو ذلك من مقاصد البلاغ.

وكذلك قوله سبحانه وتعالى في سورة (غافر: ٦٥) : { هو الحي لا إله إلا هو فادعوه مخلصين له الدين الحمد لله رب العالمين } فهو خطاب لله سبحانه وتعالى عن نفسه بصيغة الغائب، وهو تعريف للعباد بذاته العلية جل وعلا، وقد قدمنا أن هذا أسلوب من أساليب العربية في الخطاب.

ومثل هذا أيضا ما اعترض به هذا الجاهل باللغة، وهو قوله تعالى في سورة [الزخرف: ٨٧، ٨٨، ٨٩] : { ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله فأنى يؤفكون وقيله يا رب إن هؤلاء قوم لا يؤمنون فاصفح عنهم وقل سلام فسوف يعلمون } . فإن هذا جميعه من حديث الرب جل وعلا عن نفسه، وعن رسوله، وأن محمدا (كان إذا سأل المشركين عن خالق السماوات والأرض، يعترفون أنه الله سبحانه وتعالى، فعجب الله نبيه من حال هؤلاء المشركين، الذين يعتقدون بأن الله خالق السماوات والأرض ثم لا يفرّدونه وحده بالعبادة، ولا يؤمنون بقدرته على إحيائهم بعد موتهم، ثم ذكر الله توجع رسوله محمد ﷺ وشكاته من قومه، { وقيله } أي وهذا قول الرسول لربه (يا رب إن هؤلاء قوم لا يؤمنون) وعندئذ يأتيه الجواب وهو بمكة { فاصفح عنهم وقل سلام } أي لا تعلن حربا عليهم الآن { فسوف يعلمون } ما يكون مآلهم في الدنيا من القتل بأيدي المؤمنين، ومآلهم في الآخرة من الخلود في النار أبد الأبدين.

وهذا الجاهل باللغة يظن أن قوله تعالى: { وقيله يا رب إن هؤلاء قوم لا يؤمنون } الآية، أن هذا من كلام محمد، وإذن فالقرآن لا يمكن أن يكون من كلام الله، ومثل هذا السخف لا يحتاج إلى رد، ولكن ماذا نفعل إذا كان هذا هو مستوى هؤلاء من العلم؟ ومع ذلك يعارضون القرآن، ويشككون في رسالة الإسلام. (١)

**الخامس والعشرون : في سورة [يونس: ٣]: ذكر بها أن خلق السماوات والأرض تم في ستة أيام ، وفي السورة [فصلت : ٩ - ١٢] ذكر بها أن خلق الأرض تم في يومين، وخلق الله الأنهار والغابات ... إلخ في الأرض (بعد خلقها) في أربعة أيام، وأنه قد خلق السماوات في يومين، فالسورة فيما زعموا- تتناقض مع السورة ٤١ حيث إن ناتج جمع (٢+٤+٢=٨ أيام) .**

الجواب (١) : هذا السؤال يتعلق بقوله تعالى: { قل أئنكم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين وتجعلون له أندادا ذلك رب العالمين وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها أقواتها في أربعة أيام سواء

(١) - دعاوى الطاعنين في القرآن الكريم في القرن الرابع عشر الهجري والرد عليها ، عبد المحسن بن زين بن متعب المطيري ص ٣٠٧

للسائلين ثم استوى إلى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين فسواهن سبع سماوات في يومين وأوحى في كل سماء أمرها.. { [فصلت ٩-١٢] .

نعم بجمع هذه الأيام دون فهم وعلم يكون المجموع ثمانية، وقد ذكر الله في مواضع كثيرة من القرآن أنه خلق السماوات والأرض في ستة أيام وما ظنه السائل تناقضا فليس بتناقض؛ فإن الأربعة أيام الأولى هي حصيلة جمع اثنين واثنين؛ فقد خلق الله الأرض خلقا أوليا في يومين، ثم جعل فيها الرواسي وهي الجبال ووضع فيها بركتها من الماء، والزرع، وما ذخره فيها من الأرزاق في يومين آخرين، فكانت أربعة أيام، فقول الله سبحانه وتعالى: (وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها أقواتها في أربعة أيام سواء للسائلين) ، هذه الأيام الأربعة هي حصيلة اليومين الأولين ويومين آخرين، فيكون المجموع أربعة، وليست هذه الأربعة هي أربعة أيام مستقلة أخرى زيادة على اليومين الأولين.. ومن هنا جاء الخطأ عند السائل، ثم إن الله خلق السماوات في يومين، فيكون المجموع ستة أيام بجمع أربعة واثنين ولا تناقض في القرآن بأي وجه من الوجوه ثم إن القرآن لو كان مفتريا كما يدعي السائل - فإن محمدا (لم يكن ليجهل مثلا أن اثنين وأربعة واثنين تساوي ثمانية، وأنه قال في مكان آخر من القرآن إن الله خلق السماوات والأرض في ستة أيام فهل يتصور عاقل أن من يقدم على تزييف رسالة بهذا الحجم، وكتاب بهذه الصورة يمكن أن يخطئ مثل هذا الخطأ، الذي لا يخطئه طفل في السنة الأولى الابتدائية؟! لاشك أن من ظن أن الرسول ﷺ افتري هذا القرآن العظيم، ثم وقع في مثل هذا الخطأ المزعوم، فهو من أحط الناس عقلا وفهما. والحال أن السائل لا يفهم لغة العرب، وأن عربيا فصيحيا يمكن أن يقول: زرت أمريكا فتحولت في ولاية جورجيا في يومين، وأُنهِيت جولتي في ولاية فلوريدا في أربعة أيام ثم عدت إلى لندن لا شك أن هذا لم يمكن في أمريكا إلا أربعة أيام فقط وليس ستة أيام؛ لأنه قوله: في يومين في أربعة أيام. يعني يومين في جورجيا ويومين في فلوريدا. فقوله تعالى: (وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها أقواتها في أربعة أيام .) أي بزيادة يومين عن اليومين الأولين (١).

**السادس والعشرون : هو السورة ٢١ : الآية ٧٦ ذكر بها أن نوحا وأهل بيته قد نجوا من الفيضان يعني قوله تعالى: {ونوحا إذ نادى من قبل فاستجبنا له فنجيناه وأهله من الكرب العظيم} [الأنبياء: ٧٦] ، ولكن السورة ١١ : الآيات ٤٢-٤٣ ذكر بهما أن أحد أولاد نوح قد غرق؟ يعني قوله سبحانه: {وهي تجري بهم في موج كالجبال ونادى نوح ابنه وكان في معزل يابني اركب معنا ولا تكن مع الكافرين قال سأوي إلى جبل يعصمني من الماء قال لا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم وحال بينهما الموج فكان من المغرقين} [هود: ٤٢-٤٣]**

(١) - تم سابقا الإجابة على هذا الأشكال و انظر: درة التنزيل وغرة التأويل في بيان الآيات المتشابهات في كتاب الله العزيز، للإمام الخطيب الإسكافي (ص: ٢٨٤) ، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الأولى ٢٠٠٢، وفتح الرحمن بكشف ما يلبس في القرآن، لأبي يحيى الأنصاري (ص: ٥٠٤) ، بيروت، دار القرآن الكريم، الطبعة الأولى ١٩٨٣، والرد على ابن النغيلة اليهودي لابن حزم (ص: ٥٣) ، والاتصارات الإسلامية للطوفي (١/٥٠٤) .

(١) - وقد ذكر هذا الطعن ابن النغيلة اليهودي ورد عليه ابن حزم بنحوه (الرد على ابن النغيلة اليهودي (ص: ٥٢) .)

الجواب (١) : إن الاستثناء أسلوب معروف في لغة العرب، فيذكر المتكلم المستثنى منه على وجه العموم، ثم يخرج منهم من أراد إخراجهم. ويمكن أن يأتي الاستثناء منفصلاً، ويمكن أن يأتي متصلاً، وفي سورة الأنبياء قال الله تعالى عن نوح: (ونوحا إذ نادى من قبل فاستجبنا له فنجيناه وأهله من الكرب العظيم) وقد بين سبحانه وتعالى المراد بأهله في آيات أخرى، وهو من آمن منهم فقط، حيث أخبر سبحانه وتعالى في سورة هود أنه قال لنوح: {أحمل فيها من كل زوجين اثنين وأهلك إلا من سبق عليه القول ومن آمن وما آمن معه إلا قليل} . فقد أمره الله سبحانه وتعالى أن يحمل أهله معه إلا من سبق القول من الله بملاكهم، وقد كان قد سبق في علم الله أن يهلك ابنه مع المالكين؛ لأنه لم يكن مؤمناً، ولم يكتب الله لأحد النجاة مع نوح إلا أهل الإيمان فقط، وابنه لم يكن مؤمناً، وبالتالي فلا تناقض بين قوله تعالى في سورة الأنبياء أنه نجى نوحاً وأهله، وبين ما جاء في سورة هود أنه أغرق ابن نوح؛ لأن ابن نوح لم يكن من أهله، كما قال تعالى لنوح لما سأله عن ابنه: {يا نوح إنه ليس من أهلك} . وبالتالي فلا تناقض بحمد الله في كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

### السابع والعشرون : هناك أخطاء نحوية في القرآن، فيوجد به جمل غير متكاملة، ولا تفهم تماماً

بدون إدخال بعض الكلمات الأخرى عليها (٢:٥) ، (١٦٠:٧-١٦١.. إلخ) ، -يعني قوله سبحانه: {أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون} [البقرة:٥] ، {وقطعناهم اثنتي عشرة أسباطاً أمماً وأوحينا إلى موسى إذ استسقاه قومه أن اضرب بعصاك الحجر فانبجست منه اثنتا عشرة عينا قد علم كل أناس مشرئهم وظللنا عليهم الغمام وأنزلنا عليهم المن والسلوى كلوا من طيبات ما رزقناكم وما ظلمونا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون} [١٦٠] {وإذ قيل لهم اسكنوا هذه القرية وكلوا منها حيث شئتم وقولوا حطة وادخلوا الباب سجداً نغفر لكم خطيئاتكم سنزيد المحسنين} [الأعراف:١٦٠-١٦١] ، إن ترتيب السور بالقرآن غير متصل تاريخياً أو منطقياً، فلا تشعر بوقت أو مكان. هناك شك في موضوعية تكامل القرآن؛ لأننا نجد أن أئاماً كان غير محددة وأحداثاً وضعت معا في رؤية واحدة، وكأنهم جميعاً كانوا يعيشون معا في نفس الزمان. وهذا يسبب مشاكل عديدة، واختلاط الأمر لكل من يحاول فهم القرآن كقطعة أدبية، لإعادة بناء حياة وتعاليم محمد بوسيلة مرتبة، فلا بد للفرد أن يقفز من سورة إلى أخرى في القرآن كله، ويترك الفرد بإحساس عدم التكامل وعدم الرضا؛ لأنه لم يحصل على القصة الكاملة، وهذا مضاد تماماً للإنجيل الذي كتب فيما يزيد عن عدة آلاف السنين بما يزيد عن ٤٠ مؤلفاً مختلفاً.

الجواب (١) : إن صياغة هذا السؤال على هذا النحو يدل على أن كاتبه إما أنه لا يدرك شيئاً من اللغات، عربية كانت أم غير عربية، أو أنه يعترض لمجرد الاعتراض، وتفصيل ذلك على هذا النحو:

(أ) الآية الخامسة من سورة البقرة وهي قوله تعالى: (أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون) يشير الله بقوله: (أولئك) على المذكورين قبل ذلك وهم المتقون الذين يؤمنون بالغيب، ويقومون الصلاة،

(١) - انظر: معرفة تأويل المشابه، د. عبد الله أبو السعود (ص:٧٩)، دار ابن حزم، بيروت، الطبعة الأولى ٢٠٠٠، وتفسير ابن كثير (١٨٥/٣)

(٢) - انظر دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب، للشنقيطي (ص:٥). وحقائق الاسلام في مقابل شبهات المشككين مجموعة من كبار العلماء نشر وزارة الاوقاف المصرية .

وينفقون مما رزقهم الله، ويؤمنون بالقرآن، والكتب التي نزلت على الرسل قبل القرآن، ويؤمنون بالآخرة، وهؤلاء المذكورون قد عبر الله عنهم بـ (أولئك) وهي اسم إشارة للبعيد تعظيماً لشأنهم ورفعاً لمنزلتهم (على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون) ويبدو أن السائل ظن أن إشارة الله لهؤلاء المذكورين (بأولئك) - وهي صيغة إشارة للبعيد - أن هذا خطأ نحوي؛ إذ يعبر عن القريب بالبعيد، ولم يفهم أن هذا أسلوب بلاغي من أساليب العرب، وهي تعبيرهم بالإشارة للبعيد للتعظيم والتهويل أحياناً، وللتقليل والتحقير أحياناً حسب السياق، ومرامي الكلام، وهنا عبر الله عن هؤلاء المتقين، الذين يتصفون بهذه الصفات بصيغة البعيد، وهي {أولئك} رفعاً لشأنهم وإعلاءً لمنزلتهم، ولا شك أن هذا أمر عظيم؛ لأن فيه إشارة ورفعة لهؤلاء المذكورين. ب) وأما قوله تعالى في سورة الأعراف: {وقطعناهم اثنتي عشرة أسباطاً أمماً، وأوحينا إلى موسى إذ استسقاها قومه أن اضرب بعصاك الحجر فانجست منه اثنتا عشر عينا قد علم كل أناس مشربهم وظللنا عليهم الغمام وأنزلنا عليهم المن والسلوى كلوا من طيبات ما رزقناكم وما ظلمونا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون} [الأعراف: ١٦] واعتراض السائل هو كيف يقول تعالى: {كلوا من طيبات ما رزقناكم}، ويتكلم بصيغة الخطاب وهو قبل ذلك قد تكلم عن بني إسرائيل بصيغة الغائب، وأنه سبحانه قطعهم اثنتي عشرة أسباطاً، وأنه قال لموسى كذا وكذا ومرة أخرى لا يفهم السائل أسلوب العربية، ولا بلاغة الخطاب، ويظن أن الانتقال من الغيبة إلى الخطاب خلل في الأسلوب، وخطأ نحوي!! وهذا يدل على أنه لا يعرف نحواً، ولا بلاغة، ولا يدرك معنى للفصاحة ولا البيان. فهذه الآية في منتهى الإعجاز والبلاغة؛ فإن الله تحدث فيها عن بني إسرائيل وما صنع لهم من الخير والإحسان، وأنه ظلل عليهم الغمام وأنزل عليهم المن والسلوى، وبدلاً من أن يقول: وقلت لهم: كلوا من طيبات ما رزقناكم.

أو وقال لهم موسى: إن الله يقول لكم: {كلوا من طيبات ما رزقناكم} فإن الله حذف هذا وانتقل رأساً إلى القول دون ذكر القائل؛ لأن القائل معروف من السياق، وهو الرب تبارك وتعالى، ولا يمكن أن يفهم أن القائل هو غير الرب جل وعلا، لأن القول هو {كلوا من طيبات ما رزقناكم} فمن سيقول هذا القول إلا الله؟ ومعلوم أن حذف ما يعلم جاز، بل ذكر المعلوم ضرورة حشو وزيادة لا داعي لها، والقرآن ينزه عن الحشو والزيادة. ويفهم كل من يعلم العربية أن قوله تعالى: {وأنزلنا عليهم المن والسلوى كلوا من طيبات ما رزقناكم} أن معنى ذلك وأنزلنا عليهم المن والسلوى وقلنا لهم: {كلوا من طيبات ما رزقناكم} فحذف {وقلنا لهم}، أو {أمرنا موسى أن يقول لهم} لأن هذه زيادة لا داعي لها في السياق لأنها معلومة!!

(ج) وأما قول السائل: إن ترتيب السور غير متصل تاريخياً أو منطقياً؛ حيث لا يفهم القارئ الوقت ولا المكان. فهذا كذلك من قصور علمه وفهمه، وبعده عن إدراك الإعجاز القرآني في ترتيب المصحف، والوحدة الموضوعية في السورة، وهذا باب عظيم لا تسعه العجالة للرد على هذه الشبهات السخيفة. وقد كتب في هذا مجلدات ومجلدات قديماً وحديثاً، وأحيل السائل على كتاب مختصر حديث، وهو كتاب "النبأ العظيم" للشيخ الدكتور محمد عبد الله دراز رحمه الله، وأظنه مترجماً إلى الإنجليزية. وهنا في هذه الآية من سورة الأعراف لا يسجل الله الأحداث التي وقعت لبني إسرائيل من حيث كونها تاريخياً وإنما يذكر إنعامه عليهم، ويسجل مخازيهم، ونكتهم لعهودهم وكفراهم لنعمة الله سبحانه وتعالى. فهذه الأحداث التي وقعت لبني إسرائيل وإن كانت متباعدة في الزمان، ولكنها ذكرت مجتمعة في الآية لتذكركم بنعم الله على آبائهم، ثم جحودهم ونكرانهم.

(د) وأما قول السائل (توني بولدروجوفاك) : إن الإنجيل أفضل من القرآن من حيث الوحدة الموضوعية، والترتيب الزمني، وتسلسل الأحداث، فإن هذا مما يدل حقيقة وللأسف على تدني عقل السائل، وعدم تمييزه بين الكتاب المعجز المتناهي في البلاغة والعصمة والإحكام، وبين كتاب لم يسلم من التحريف والتبديل والتناقض، وهو أشبه بمذكرات يومية كتبها تلاميذ أو تلاميذ تلاميذ المسيح عليه السلام من الذاكرة، معبرين فيها عن تصور شخصي لهم، وتفسير شخصي للأحداث التي نقلت أو رآها بعضهم، وقد اختلفوا في هذا النقل اختلافا كبيرا، وجاءت عباراتهم في كثير من الأحيان ركيكة متهاكمة. ولا شك الإنجيل الحقيقي لم يكن كذلك، وإنما أتكم عن الأنجيل الموجودة الآن بين أيدي النصارى، وهي مختلفة فيما بينها. ولا شك أن القرآن الكريم لم ينزل قط على طريقة الأنجيل المحرفة، التي لا تعدو أن تكون - كما ذكرنا - مذكرات ويوميات لحياة السيد المسيح عليه السلام، فيها كثير من الاختلاف والتناقض والتضاد، ومن ذلك ما ذكرناه آنفا، ومنها كذلك نسبة المسيح إلى عنصرية بغیضة تارة، كالزعم أنه قال: إن حبز البنين لا يجوز أن يعطى للكلاب. وذلك عندما استغاثت به امرأة كنعانية أن يشفي ابنها.

وقوله في مقام آخر: لا كرامة لني في بلده وتفضيله الأجناس الأخرى على لبني إسرائيل، وكذلك قوله: (لم أبعث إلا إلى خراف بني إسرائيل الضالة وقوله في مقام آخر: اذهبوا واركزوا بالإنجيل في العالم أجمع!! فتارة يدعي أنه مبعوث لبني إسرائيل وتارة للعالم أجمع، وكذلك قوله بوجوب التزام الشريعة كلها، ثم الادعاء أنه نسخ الشريعة كلها، وأباح للحواريين أن يأكلوا كل النجاسات والخبثات، وأن كل ما يدب على الأرض حلال لهم.. وهذا التناقض كثير في الإنجيل. وليس في الإنجيل قط ما يدل على أن الله تعالى أوحى شيئا، أو شرع شيئا، أو تكلم بنفسه كلاما مباشرا، بل هو رواية عن أعمال المسيح، أو خبر عن المسيح أنه يقول: قال: أبي كذا أو كذا. وليس في الإنجيل ما يدل على أن الله هو الذي يتكلم أو يخاطب عباده.

ومعلوم أن القرآن غير هذا تماما، فليس القرآن مذكرات ويوميات كتبها النبي ﷺ، أو كتبها الصحابة عن حياة النبي ﷺ، وإنما القرآن هو كلام الله المعجز الذي ليس للنبي فيه إلا التبليغ فقط {قل ما يكون لي أن أبدله من تلقاء نفسي إن أتبع إلا ما يوحى إلي} [يونس: ١٥]. ولا مجال بتاتا للمقارنة بين القرآن الكريم الكتاب العظيم الذي نزل تبياننا لكل شيء، فجمع الدين كله أصولا وفروعا، عقيدة وشريعة، وأخلاقا وأمثالا ووعظا، وبين الأنجيل المحرفة المتناقضة التي لم تزد على كونها يوميات للسيد المسيح عليه السلام، يظهر فيها لكل ذي بصيرة التناقض والتزيد والتقول على الله بغير علم. (١)

**المطلب الثامن والعشرون : هناك جهات نظر متضاربة في ادعاء محمد النبوة فقوله: (فأوحى إلى عبده ما أوحى (١٠) النجم: ١٠، ذكر بها أن الله نفسه أوحى إلى محمد. والسورة (١٦): (١٠٢)، والسورة (٢٦: الآيات من ١٩٢: ١٩٤)، يعني قوله: {قل نزله روح القدس من ربك بالحق ليثبت الذين آمنوا وهدى وبشرى للمسلمين} [النحل: ١٠٢] ونحوها من الآيات - ذكر بها أن "روح القدس" نزلت إلى محمد، والسورة (١٥: الآية ٨) وهي قوله: {ما نزل الملائكة إلا بالحق وما كانوا إذا**

<sup>١</sup> - دعاوى الطاعنين في القرآن الكريم في القرن الرابع عشر الهجري والرد عليها عبد المحسن بن زين بن متعب المطيري ص ٣١٨

منظرين} [الحجر: ٨] ذكر بها أن الملائكة، وهم أكثر من واحد نزلوا إلى محمد والسورة (٢: ٩٧) يعني قوله: {قل من كان عدوا لجبريل فإنه نزل على قلبك بإذن الله مصدقا لما بين يديه وهدى وبشرى للمؤمنين} [البقرة: ٩٧] ؛ ذكر بها أن الملاك جبريل واحد فقط، لم يذكر في القرآن ولا في الأناجيل ما يقول أن "روح القدس" هي جبريل.

الجواب: قوله سبحانه وتعالى في سورة [النجم: ٣-٩] عن رسوله محمد ﷺ {وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى علمه شديد القوى ذو مرة فاستوى وهو بالأفق الأعلى ثم دنا فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى} . فهذا وصف لجبريل الروح القدس الأمين، الذي نزل على محمد ﷺ بجراء، وجاءه بالوحي من ربه، ولقد رآه رسول الله ﷺ على صورته التي خلقه الله عليها وله ستمائة جناح مرتين: واحدة في مكة في بدء الوحي، وثانية عندما عرج بالنبي ﷺ إلى السماء، كما جاء ذلك في حديث السيدة عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها في الصحيحين، وجبريل المذكور، في سورة [النجم: ٣-٩] ، هو نفسه الذي ذكره الله في سورة [النحل: ١٠٢] ، حيث يقول سبحانه وتعالى: {قل نزله روح القدس من ربك بالحق ليثبت الذين آمنوا وهدى وبشرى للمسلمين} ، فقد سماه الله روحا؛ لأنه ينزل بما يحيي موات القلوب، وهو وحي الله إلى رسله، ووصفه بروح (القدس) أي المقدس المنزه عن الكذب أو الغش، فهو الذي قدسه الله ورفعته، وأعلى من شأنه عليه السلام. وأما ما ذكره الله في سورة [الحجر: ٦-٨] ، فإن الله لم يذكر فيها أن الملائكة نزلوا على النبي ﷺ بالوحي، كما فهم هذا الجاهل حيث يقول: ذكر فيها أن الملائكة، وهم أكثر من واحد نزلوا على محمد. وإنما الآيات هكذا {وقالوا (أي الكفار) يا أيها الذي نزل عليه الذكر إنك لمجنون، لوما تأتينا بالملائكة إن كنت من الصادقين} فرد الله مقالة هؤلاء الكفار، الذين استعجلوا نزول الملائكة بالعذاب عليهم، وهو ما هددهم الله به إن أصروا على التكذيب، فقال تعالى: {ما ننزل الملائكة إلا بالحق وما كانوا إذا منظرين} أي إن الله لا ينزل الملائكة إلا بالحق، وإنهم إذا نزلوا نزلوا بالعذاب عليهم، فمعنى ذلك أنهم غير مهلين، والحال أن الله أمهلهم ليقيم الحجة عليهم، ولم يشأ سبحانه وتعالى أن يعجل العقوبة الماحية المستأصلة، لهم كما حدث للأمم السابقة، بل شاء الله أن يعاقبهم بالعقوبات التي لا تستأصلهم، فقد أنزل الملائكة في بدر وغيرها من معارك الرسول خزيا للكفار، ونصرا للرسول والمؤمنين.

وأما الآية ٩٧ من سورة البقرة فهي نص صريح في أن جبريل عليه السلام هو الذي أنزل القرآن على رسول الله ﷺ ، قال تعالى: {قل من كان عدوا لجبريل فإنه نزل على قلبك بإذن الله مصدقا لما بين يديه وهدى وبشرى للمؤمنين} وهذا رد على اليهود الذين كرهوا جبريل، وأنه ينزل بحربهم وهلاكهم ، فأخبرهم الله أن هذا الملاك هو ملاك الرب، وأنه هو الذي أنزل القرآن على قلب محمد ﷺ ، وقد وصف الله جبريل في القرآن بأنه روح القدس؛ أي الروح المقدسة، كما قال سبحانه وتعالى: {قل نزله روح القدس من ربك بالحق} . وقد قدمنا معنى روح القدس .

**التاسع والعشرون : هناك آراء متضاربة في كيفية خلق الإنسان؛ فالسورة: [الفرقان: ٥٤]، وهو الذي خلق من الماء بشرا فجعله نسبا وصهرا وكان ربك قديرا} يذكر بها أن الإنسان خلق من**

ماء، وسورة [يس: ٧٧] وهي قوله {أولم ير الإنسان أنا خلقناه من نطفة فإذا هو خصيم مبين} ؛ ذكر بها أنه خلق من نطفة، وسورة [ص: ٧١] : (إذ قال ربك للملائكة إني خالق بشرا من طين ؛ ذكر بها أنه خلق من طين ، على الرغم من أن سجلات الحفريات لا تساند نظرية التطور.

والجواب (١) : أن الله سبحانه وتعالى ذكر في كتابه الكريم- الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه- أنه بدأ خلق الإنسان بخلق أبي البشر آدم الذي خلقه من التراب، الذي أصبح طينا يعجنه بالماء، ثم حمأ مسنوناً، أي طينا مخمراً، ثم سواه الله بأن خلقه بيديه سبحانه، ثم أصبح آدم وهو في صورته الطينية صلصالاً كالفخار، وهو الطين إذا يبس وجف، ثم نفخ الله فيه الروح فأصبح بشراً حياً، ثم أمر الملائكة بالسجود له بعد أن أصبح كذلك ، ثم خلق الله من أحد أضلعه زوجته حواء- كما جاء ذلك في الحديث النبوي - فهي أنثى مخلوقة من عظام زوجها. والله يخلق ما يشاء مما يشاء كيف يشاء، ثم لما عصى آدم بأكله من الشجرة التي نهاه الله أن يأكل منها، أهبطه الله إلى الأرض ، ثم جعل الله تناسل آدم من اجتماع ماء الرجل وماء المرأة، والعرب تسمي المني الذي يقذفه الرجل في رحم الأنثى ماء، وسماه الله في القرآن {ماء مهينا} . وكل ذلك موجود في القرآن الكريم. وهذا المسكين ظن أن هذه آراء متعارضة، وظن أن كل ذلك آراء متعارضة، ولم يفهم أن خلق آدم لم يكن كخلق حواء فأدم خلق من الطين، وحواء خلقت من ضلع آدم، وأن كل إنسان خلق من أنثى وذكر من ماء مهين، وأن عيسى عليه السلام خلق من أنثى بلا ذكر، كما قال سبحانه وتعالى عن عيسى: {إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون} [آل عمران: ] .

وكان تنوع خلق البشر على هذه الصور؛ ليبين الله لعباده قدرته الكاملة، فهو يخلق ما يشاء مما يشاء كيف يشاء، وقد خلق الإنسان الأول آدم من طين من غير أنثى أو ذكر، وخلق حواء من ذكر بلا أنثى، وخلق عيسى من أنثى بلا ذكر، وخلق سائر الخلق من اجتماع الذكر والأنثى، فسبحان من له القدرة الكاملة، والمشية النافذة، وهذا كله يدل على الخلق المستقل للإنسان، وأنه لا ينتمي إلى حيوانات هذه الأرض، فالتطور- إن كان حقاً- فهو إنما يكون في حيوانات وأحياء هذه الأرض فقط، وأما الإنسان فإنه خلق خلقاً مستقلاً في السماء، وإن كان الله قد خلقه من طين هذه الأرض، وهذا هو الذي يؤيده العلم والنظر في الكون الطائفة الثالثة : محاضرة عن تناقض القرآن ألقاها نصراني ، ولم يذكر اسمه ولا مكان إلقائها وسجلت على شريط صوتي وكتب عليه: (تهادوا تحابوا) (الدال على الخير كفاعله) (الكلمة الطيبة صدقة) تليسا على عوام المسلمين حتى يروج بينهم، ولم يذكر فيه اسمه ولا مكان إلقائها، وذكر فيه سبعة عشر شبهة، ومعظمها ذكرت سابقاً، وابتعاداً عن التكرار فسأذكر ما لم يقله أصحاب الرسائل السابقة:

(١) - (معرفة تأويل المشابه، د. عبد الله أبو السعود (ص: ٨٨) . وتم الرد مفصلاً على هذه الشبهة بدلائل أخرى في مكان آخر فلتنظر .

**ثلاثون : قال: مرة يقول محمد إن الجنة لليهود والنصارى والصائبين والمسلمين، ومرة يقول للمسلمين فقط: {إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصائبين(١) من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون} [البقرة: ٦٢] ، ويقول: {ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين} [آل عمران: ٨٥] .**  
-الجواب (١):

إن آية البقرة تتكلم عن اليهود والنصارى والصائبين قبل بعثة النبي ﷺ ، فكل من آمن بنبيه وأطاعه فله الجنة، وأما بعد بعثة النبي ﷺ فقد نسخت شريعته الشرائع ونسخ دينه الأديان، ولا يقبل من أحد إلا الإسلام، فهذا معنى الآية الأخرى، ويؤيد ذلك ما أخرجه (ابن أبي حاتم عن مجاهد قال: قال سلمان رضي الله عنه: سألت النبي ﷺ عن أهل دين كنت، معهم، فذكرت من صلاتهم وعبادتهم فنزلت {إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصائبين من آمن بالله واليوم الآخر} الآية وقال السدي {إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصائبين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا} الآية نزلت في أصحاب سلمان الفارسي، بينا هو يحدث النبي ﷺ إذ ذكر أصحابه فأخبره خبرهم ، فقال: كانوا يصلون ويصومون ويؤمنون بك، ويشهدون أنك ستبعث نبيا. فلما فرغ سلمان من ثنائه عليهم قال له نبي الله (: «يا سلمان من أهل النار» فاشتد ذلك على سلمان ، فأنزل الله هذه الآية ،فكان إيمان اليهود أنه من تمسك بالتوراة، وسنة موسى عليه السلام حتى جاء عيسى فلما جاء عيسى، كان من تمسك بالتوراة وأخذ بسنة موسى فلم يدعها، ولم يتبع عيسى كان هالكا، وإيمان النصارى أن من تمسك بالإنجيل منهم، وشرائع عيسى كان مؤمنا مقبولا منه حتى جاء محمد ﷺ فمن لم يتبع محمدا (منهم ويدع ما كان عليه من سنة عيسى والإنجيل، كان هالكا.

قال ابن كثير: هذا لا ينافي ما روى علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: {إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصائبين من آمن بالله واليوم الآخر} - قال: فأنزل الله بعد ذلك: {ومن يبتغ غير الإسلام دين فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين} فإن هذا الذي قاله ابن عباس إخبار عن أنه لا يقبل من أحد طريقة ولا عملا، إلا ما كان موافقا لشريعة محمد ﷺ بعد أن بعثه به، فأما قبل ذلك فكل من اتبع الرسول في زمانه، فهو على هدى وسبيل ونجاة؛ فاليهود أتباع موسى عليه السلام والذين كانوا يتحاكمون إلى التوراة في زمانهم، فلما بعث عيسى (وجب على بني إسرائيل اتباعه والانقياد له، فأصحابه وأهل دينه هم النصارى، فلما بعث الله محمدا خاتما للنبيين، ورسولا إلى بني آدم على الإطلاق، ووجب عليهم تصديقه فيما أخبر، وطاعته فيما أمر والانكفاف عما عنه زجر وهؤلاء هم المؤمنون حقا(١) ، ومن النصوص الصريحة في هذا الباب

(١) - الصائبون كما قال (وهب بن منه: الذي يعرف الله وحده وليست له شريعة يعمل بما ولم يحدث كفرا. وقال عبد الله بن وهب: قال عبد الرحمن بن زيد الصائبون أهل دين من الأديان كانوا بحجة الموصل يقولون: لا إله إلا الله. وليس لهم عمل ولا كتاب ولا نبي إلا قول لا إله إلا الله، قال: ولم يؤمنوا برسول، فمن أجل ذلك كان المشركون يقولون للنبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه: هؤلاء الصائبون. يشبهونهم بهم يعني في قولهم: لا إله إلا الله) (تفسير ابن كثير (١٠٤/١) ورححه الإمام ابن كثير -رحمه الله-.

(٢) - راجع الرد على النصراني في مطاعن على القرآن، محمد عبد النعم (ص: ٤٦)، دار الشاطبي، الكويت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٢.

(٣) - (ابن كثير (١٠٣/١) بتصرف.

حديث أبي هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال: «والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة، يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار» (١).

**الحادي والثلاثون : قال: مرة نهى عن الفحشاء ومرة أمر بها، تناقض فظيع جدا، قال في**

الأعراف: { وإذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها قل إن الله لا يأمر بالفحشاء أتقولون على الله ما لا تعلمون } [الأعراف: ٢٨] ، وقال في الإسراء: { وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها ... } [الإسراء: ١٦] .

الجواب: من عدة أوجه:

١- الأمر يطلق في الشرع ويراد به الأمر الشرعي، والأمر الكوني، والفرق بينهما، أن الأمر الشرعي لا يكون إلا فيما يجب سبحانه لكنه لا يلزم أن يتحقق، فالله تعالى يأمر بتطبيق شرعه، وهو يجب ذلك، لكن الكثير من الدول لم تفعل، والأمر الكوني يكون فيما يجب وما لا يجب، ولكنه لازم الوقوع؛ فالشيطان مخلوق بأمر الله، لكن الله تعالى لا يحب، فالله لا يأمر بالفحشاء شرعا، لكنها تقع كونا، فإنه لا يقع شيء في هذا الكون إلا بأمر الله ومشيتته، ومن هذا الباب معنى آية الإسراء، فإذا قضى الله على قرية بالهلاك ، فإنما كان هذا لانتشار الفسق والفحشاء والفجور فيها.

٢- ولو سلمنا أن المراد هو الأمر الشرعي، فيكون هناك محذوف، والتقدير، أمرنا مترفيها بالطاعة ففسقوا فيها، يعني فخرجوا عن طاعة الله.

٣- القراءة الأخرى تبين معنى آخر وهي (أمرنا) أي جعلناهم أمراء، فأضلوا قومهم.

٤- أمر في اللغة تأتي بمعنى كثر وظهر عن عبد الله بن مسعود قال: كنا نقول للحي إذا كثروا في الجاهلية أمر بنو فلان(٢) ، ومنه حديث أبي سفيان الطويل مع هرقل وفيه قال أبو سفيان: (لقد أمر أمر ابن أبي كبشة؛ إنه يخافه ملك بني الأصفر) .

إذن معنى الآية أن كثرة المترفين الفاسقين في بلد وظهورهم نذير عذاب.

قال ابن كثير: (اختلف القراء في قراءة قوله (أمرنا) فالمشهور قراءة التخفيف واختلف المفسرون في معناها؛ فقيل: معناها أمرنا مترفيها ففسقوا فيها أمرا قدريا، كقوله تعالى: { أتأها أمرنا ليلا أو نهارا } لأن الله لا يأمر بالفحشاء ، وقيل: معناها أمرناهم بالطاعات ففعلوا الفواحش فاستحقوا العقوبة. رواه ابن جريح عن ابن عباس وقاله سعيد بن جبيرة أيضا،

وقال ابن جرير: يحتمل أن يكون معناها جعلناهم أمراء. قلت: إنما يجيء هذا على قراءة من قرأ (أمرنا مترفيها) قال علي بن طلحة: عن ابن عباس قوله: (أمرنا مترفيها ففسقوا فيها) يقول: سلطنا أشرارها فعصوا فيها، فإذا فعلوا ذلك أهلكهم الله بالعذاب، وهو قوله: { وكذلك جعلنا في كل قرية أكابر مجرميها } الآية. وكذا قال أبو العالية، ومجاهد، والربيع بن أنس. وقال العوفي عن ابن عباس: { وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا

(١) - (مسلم رقم ١٥٣)

(٢) - (البخاري رقم ٤٧١١)

متزفها ففسقوا فيها { يقول: أكثرنا عددهم. وكذا قال عكرمة، والحسن، والضحاك، وقتادة وعن مالك عن الزهري { أمرنا متزفها } (أكثرنا) (١).

**الثاني والثلاثون : قال النصراني في الشريط المسجل: (مرة ينهى عن النفاق ومرات أخرى يقر النفاق) ، فنهى عن النفاق في سورة النساء يقول: {بشر المنافقين بأن لهم عذابا أليما (١٣٨) الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين أيتبعون عندهم العزة فإن العزة لله جميعا (١٣٩) } [النساء:١٣٨-١٣٩] ، وأقر النفاق في النحل بقوله: {من كفر بالله من بعد إيمانه إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان ولكن من شرح بالكفر صدرا فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم} [النحل:١٠٦] ، يعني في تصريح لكل إنسان أن يكذب إذا وقع في الأسر أو في أي مأزق، هذه نزلت في عمار بن ياسر الذي اعترف بالأصنام وكفر بالله وبمحمد، وقال: إن الذي ينكر الله وينفق الكافرين، وهو تحت الإكراه محلل له وليس عليه أي ذنب أو عقوبة، حاشا لله أن ينكر الإنسان إيمانه تحت الضغط والإكراه) أهـ.**

-الجواب:

الذي يظهر أن هذا النصراني يريد الاعتراض بمجرد الاعتراض والطعن، وإلا فالآيتان مختلفتان تماما كل واحدة منهما تتكلم عن أمر مستقل؛ فالآية الأولى تتكلم عن النفاق، وهو إبطان الكفر وإظهار الإسلام، والآية الثانية تتكلم عن المكروه على الكفر، أي إبطان الإسلام وإظهار الكفر، وشتان بين المعنيين، فإبطان الكفر وإظهار الإيمان لا يجوز في ملة من الملل؛ لأنه كذب وتزوير وغش وهذا كله محرم عقلا، وأما إبطان الإيمان وإظهار الكفر في حال الإكراه الملجئ، من باب الحفظ على نفس المسلم، فهذا من محاسن شريعة الإسلام، ولا أدري هل يزعم هو أن دين النصراني لا يجوز فيه إظهار الكفر للضرورة؟ قال تعالى: {وقالت اليهود ليست النصراني على شيء وقالت النصراني ليست اليهود على شيء وهم يتلون الكتاب كذلك قال الذين لا يعلمون مثل قولهم فالله يحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون} [البقرة:١١٣] . والذي نراه الآن هو أن النصراني تؤيد اليهود تأييدا كاملا وتبرئهم من دم المسيح، بل وغيروا اسم كتابهم ليوافق اسم كتاب اليهود فسموا الإنجيل العهد الجديد، والتوراة العهد القديم، فهم - بالجملة - يظهرون لهم التأييد، ويبطنون لهم البغض، ويرون أنهم ليسوا على شيء.

**الثالث والثلاثون : وقال: مرة حرم الخمر في الدنيا ومرة حلل الخمر في الآخرة، قال في المائدة: {ياأيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعنكم تغلحون} [المائدة:٩٠] ، وقال في المطففين: {يسقون من رحيق مختوم ختامه مسك وفي ذلك فليتنافس المتنافسون} [المطففين:٢٦، ٢٥] . -الجواب:**

١-أحوال الآخرة تختلف عن أحوال الدنيا، فقد يجوز هناك ما يحرم هنا، ثم إن في الآخرة لا يوجد تكاليف، بل تسقط كل التكاليف، بل هي نعيم أبدي.

(١) - (ابن كثير (٣٢/٣) . وهذه الشبهة تم الرد عليها في مكانين منفصلين بتفصيل أكبر في هذا الكتاب فانتظر .

٢- خمر الآخرة تختلف عن خمر الدنيا، فهي خالية من المنغصات والآفات التي في خمر الدنيا، فقال تعالى: {بأكواب وأباريق وكأس من معين (١٨) لا يصدعون عنها ولا ينزفون} [الواقعة: ١٨، ١٩] ، وقال: {وأمددناهم بفاكهة ولحم مما يشتهون (٢٢) يتنازعون فيها كأسا لا لغو فيها ولا تأثيم} [الطور: ٢٢، ٢٣] وقال: { ... وأنهار من خمر لذة للشاربين ... } .

فخمر الدنيا: ١- طعمه غير لذيذ ٢- وتحدث لمن شربها الصداع ٣- وتذهب بعقله ٤- ويكثر عندها اللغو واللغظ، بل لا تحلو إلا بكثرة اللغو ٥- وتوقع الإنسان في الآثام العظام من دخول تحت اللعنة وارتكاب للمحظورات، فلا يمتنع عن شيء منها، وكيف يمتنع وهو لا عقل له.

فهذه خمسة منغصات لخمر الدنيا نفاها الله عن خمر الآخرة، فالطعم لذة للشاربين، وهم لا يصدعون عنها ولا ينزفون؛ أي لا تذهب عقولهم ولا لغو عندها ولا أثم فيها. وقال تعالى: {يطاف عليهم بكأس من معين (٤٥) بيضاء لذة للشاربين (٤٦) لا فيها غول ولا هم عنها ينزفون} [الصافات: ٤٥-٤٧] ، وهذا الكأس من خمر الجنة، والمعين: الجاري الكثير، (١) ولون هذه الخمر بيضاء أي حسنة المنظر، وهي ذات (لذة) ، والغول صداع في الرأس وقيل وجع في البطن وهي ليس فيها هذا ولا هذا، (ينزفون) أي لا يسكرون منها ، فلا تذهب عقولهم، وتبقى لذتها.

لذلك من أثر خمر الدنيا على خمر الآخرة، فحري أن يجرمه، عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال: «من شرب الخمر في الدنيا ، لم يشربها في الآخرة إلا أن يتوب» (متفق عليه) .

**الرابع والثلاثون : وقال: مرة يقول فرعون نجا، ومرة يقول فرعون غرق: قال في يونس: {فاليوم ننجيك ببدنك لتكون لمن خلفك آية وإن كثيرا من الناس عن آياتنا لغافلون} [يونس: ٩٢] ، وقال في الإسراء: {فأراد أن يستفرغهم من الأرض فأغرقناه ومن معه جميعا} [الإسراء: ١٠٣]**  
-الجواب:

وهذا ليس تناقضا كما هو واضح، بل فرعون مات غرقا، لكن الله تعالى أخرج جثته للناس لتكون لهم آية، وهذا مما لا يتوقع المرء أن يقع فيه أي لبس، ولكن هو الهوى الذي يلقي صاحبه في المهووي، ولا بأس أن ننقل بعض النقول عن السلف حتى يطمأن القلب:

قال ابن عباس وغيره من السلف: إن بعض بني إسرائيل شكوا في موت فرعون، فأمر الله تعالى البحر أن يلقيه بجسده سويا بلا روح، وعليه درعه المعروفة على نجوة من الأرض - وهو المكان المرتفع - ليتحققوا موته وهلاكه؛ ولهذا قال تعالى {فاليوم ننجيك} أي نرفعك على نشز من الأرض {ببدنك} قال مجاهد: بجسدك. وقال الحسن: بجسم لا روح فيه. وقال عبد الله بن شداد: سويا صحيحا؛ أي لم يتمزق ليتحققوه ويعرفوه. وقال أبو صخر: بدرعك. وكل هذه الأقوال لا منافاة بينها كما تقدم والله أعلم، وقوله: {لتكون لمن خلفك آية} أي لتكون لبني إسرائيل دليلا على موتك وهلاكك وأن الله هو القادر الذي ناصية كل دابة بيده، وأنه لا يقوم لغضبه شيء (١).

(١) - (التسهيل لابن حزم) (٢٣٥/٢) مرجع سابق ، تم الرد في مكان آخر على هذه الشبهة بشكل آخر .

(١) - (ابن كثير (٤٣١/٢) ، تم الرد على هذه الشبهة في مكان آخر فلننظر .

**الخامس والثلاثون : وقال: مرة يقول: إن الأرض خلقت قبل السماء. ومرات يقول: إن السماء خلقت قبل الأرض؛ قال في البقرة: { هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعا ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سموات وهو بكل شيء عليم } [البقرة: ٢٩] ، وقال في النازعات: { أنتم أشد خلقا أم السماء بناها (\* ) رفع سمكها فسواها (\* ) وأغطش ليلها وأخرج ضحاها (\* ) والأرض بعد ذلك دحائها (\* ) أخرج منها ماءها مرعاها } [النازعات: ٢٧-٣٠] .**

الجواب:

هناك فرق بين الخلق والدحي، فخلق الأرض كان قبل السماء، ثم خلقت السماء، ثم دحيت الأرض، والدحي - على رأي ابن عباس وجماعة من السلف - هو إخراج الماء والمرعى، يعني أن الله تعالى خلق الأرض ككوكب، ثم خلق السماء وبقيت الأجرام، فلما انتهى من ذلك، بدأ يهيئ الأرض لأن تكون دار حياة للناس، فجعل فيها الماء والطعام (المرعى) (١)، ومثل هذا كمثل رجل بنى بيتا من دورين، فبنى الدور الأول ثم بنى الثاني، ثم رجع إلى الأول ليكمل مرافقه ويمدد أسلاك الكهرباء فيه، وغير ذلك من مستلزمات العيش، فهو بنى الدور الأول، ثم الدور الثاني، ثم رجع للأول ليهيئه للسكنى.

وهذا الاعتراض عرض على بعض الصحابة، كابن عباس وغيره، وأجاب عنه، وذكره ابن النخعي اليهودي، ورد عليه ابن حزم في القرن الرابع (٢).

**السادس والثلاثون : وقال: في سورة يونس: { فإن كنت في شك مما أنزلنا إليك فاسأل الذين يقرءون الكتاب من قبلك لقد جاءك الحق من ربك فلا تكونن من الممترين } [يونس: ٩٤] .**  
**إذن محمد كان شاكاً في الوحي الذي كان يأتيه وكان مرتاباً، وهذه دعوة له أن يرجع إلى الكتاب المقدس.**

الجواب: ولا زالت سلسلة الجهل باللغة مستمرة، ويوضح ذلك ما يلي:

١- أسلوب الشرط من أساليب اللغة العربية، وله أدوات كثيرة منها (إن) (١) وهي حرف وجود لوجود، فمثلاً لو قلت لك: إن كنت في البيت اتصل بي، أو إن كان عندك كتاب الألفية لابن مالك فأعطني، فهذا الأسلوب لا يستلزم أي في البيت أو أن الكتاب عندي. فكذلك هنا، لا يستلزم من هذا الأسلوب أن الرسول ﷺ شاك، كما فهم النصراني، لذلك ورد عن النبي ﷺ أنه قال «لا أشك ولا أسأل» .

٢- وقيل: إن هذا الخطاب للأمة، كما ورد في مواضع من القرآن، كقوله: { يا أيها النبي إذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن ... } [الطلاق: ١] وغيره كثير (٢).

٣- وذهب ابن حزم إلى أن (إن) هنا بمعنى (ما) أي: فما كنت في شك مما أنزلنا إليك، كقوله تعالى: { إن أنا إلا نذير وبشير لقوم يؤمنون } [الأعراف: ١٨٨] وقوله: { إن نحن إلا بشر مثلكم } [إبراهيم: ١١] ، قال: (لأن

(١) - فتح القدير للشوكاني (٣٧٤/٥) .

(٢) - انظر كتاب الرد على ابن النخعي اليهودي، لابن حزم (ص: ٥١) . ومع هذا لا زال يردد إلى الآن.

(١) - (معني اللبيب عن كتب الأعراب، لابن هشام (٢٩/١)) و (فتح القدير للشوكاني (٤٨٩/٢))

(٢) - فتح القدير (٤٨٧/٢)

من المحال العظيم الذي لا يتمثل في فهم من له مسكة، أن يكون إنسان يدعو إلى دين يقاتل عليه، وينازع فيه أهل الأرض، ويدين به أهل البلاد العظيمة، ثم يقول لهم: إني في شك مما أقاتلكم عليه أيها المخالفون، ولست على يقين مما أدعوكم إليه وأحققه لكم أيها التابعون، إلى مثل هذا السخف الذي لا يتصور إلا في دماغ هذا المجنون الجاهل (ابن النغيلة)) (١).

ثم إن معنى الآية: أن من أدلة صدق نبوتك يا محمد أن أهل الكتاب يعرفون ذلك، فاسألهم حتى يطمأن قلبك. وليس معناها اترك دينك واتبع أهل الكتاب كما زعم النصراني.

إلى غير ذلك من الطعون الباردة الساذجة، التي يوردها المغرضون، وما هي إلا كبيت العنكبوت، أو كالزبد الذي يعلو على الماء ثم يموت. (٢)

---

(١) - (الرد على ابن النغيلة اليهودي (ص: ٦٠))

(٢) - (الكتاب: دعاوى الطاعنين في القرآن الكريم في القرن الرابع عشر الهجري والرد عليها عبد المحسن بن زين بن متعب المطيري ص ٣٣١)

## الخاتمة

١- هذه الأباطيل والطعون المثارة عن القرآن تشهد -بضعفها - لهذا القرآن أنه كتاب الله الذي أعجز الطاعنين مع حرصهم على الكيد وتصيد النقائص فيه. وأنها تكشف عن جهل فاضح لقائلها بلغة العرب ومعاني النصوص القرآنية، ولعلها تكشف أيضا عن تدليس وتلبيس ومجانبة للموضوعية العلمية. وهم لو أنصفوا لعلموا براءة القرآن من أباطيلهم، ولو أعادوا النظر في كتبهم لوجدوها تطفح برزايا ثابتة واضحة من جنس ما ادعوه زورا على القرآن الكريم، وكان الأولى بهم أن يعتذروا للقرآن بما اعتذروا فيه لكتبهم. كما أنها قديمة ما فتى المستشرقون يرددونها بجهل أو خبث، وأن هذه الهجمة الجديدة ما هي إلا صدى للهجمة الاستشراقية وهي صدى للجدل النصراني الإسلامي القديم ونفس الشبهات تعاد بأسلوب جدي معاصر. إنهم يرددون الطاعنون يرددون الطعونات ويتناقلونها ، ويتواصون بها ، ويأخذها الرجل ، عن الآخر ثم يعيد صياغتها مرة أخرى ، معرضين عن أجوبة العلماء عليها ، وضارين بعرض الحائط تفنيد العلماء لها، وهذه علامة أهل الأهواء، وصدق الله إذ يقول: { ما يقال لك إلا ما قد قيل للرسل من قبلك . } [فصلت: ٤٣] (١).

٢- لا يألوا أعداء الله جهدا في الطعن في هذا الدين، واستخدام كل الطرق لتغيير الناس منه، ولو كان في غاية من الخسة ، والدناءة، كما فعل لبيد بن الأعصم عندما سحر النبي ﷺ . ومن المفارقات العجيبة أن يكون هؤلاء المتطفلون على ديننا ، الطاعنون في كتاب ربنا، مرجعا لكثير من الكتاب الإسلاميين، وكأن الأمة الإسلامية عقت، ولا يشهر بها إلا نخبة الظلام. كما يجب التنبيه والحذر من الأشخاص الذين يثني عليهم الطاعنون، فإنهم لا يفعلون ذلك إلا لمعرفة بقرب طريقتهم من طريقتهم، وليروجوا أسماءهم على البسطاء فيستمعوا لهم ويأخذوا عنهم.

٣- أكثر المستشرقين ليس فيهم من الاعتدال شيء ولا من الإنصاف، وخطه الغرب في إشغال الشرق بنفسه والتسبب في تضعف أحواله الثقافية وغيرها يجب ألا تجعل الباحثين في موقف الدفاع فحسب بل عليهم أن يشنوا الغارة على الغرب في عقائده الزائفة ومدنيته الجائرة وسياساته الاستعمارية المتسلطة ومفاهيمه الأخلاقية المنحرفة ، ودعم المستشرقين المسلمين الصالحين ماديا ومعنويا وتنشيط نشر كتبهم وعقد مؤتمرات تخصهم وتخص حركتهم الفكرية (١).

٤- بعد انتشار موضوع الإعجاز العلمي في القرآن في كافة مواضيع الحياة والكون والإنسان ظهر نوع من الطعون الجديدة في هذا العصر وهي تعارض القرآن مع العلوم التجريبية والعلمية الحديثة، بغيا من عند أنفسهم ، لم يظهر هذا النوع إلا في هذا الزمن، بعد الاكتشافات العصرية الجديدة. انصح وارجوا من لديه خبرة علمية وقرآنية أن يتتبع تلك الشبهات في مواقع وكتب الإخوة النصاري والملحدون وتجميعها ثم أن يكر عليها نقضا علميا متساقا مع منطوق ومفهوم القرآن .

(١) - منقذ السقار تنبيه القرآن ص (٣٠١) وعبد المحسن المطيري دعوى الطاعنين في القرآن الكريم في القرن الرابع عشر الهجري والرد عليها ص (٣٩٧)

(١) - وحي الله حقائقه وخصائصه ، د.حسن العتر ص ٢٢٥ ط ١ . بتصرف .

٥- الطاعنون العلمانيون، لم يكن طعنهم في القرآن مباشرا، وأما المستشرقون فقد كانوا يطعنون طعنا مباشرا في القرآن؛ لأنهم يعلمون خطورته في إدكاء روح التحدي في الأمة، وأما تلاميذهم من العلمانيين فقد كانوا أكثر ذكاء في الطعن، فهم يعلمون مكانة القرآن في نفوس المسلمين، ومدى إتقانه وإحكامه، فالطعن فيه مزلة مدحضة مسقطه للسمعة من أول الأمر، لذلك فقد كانت طعونهم تحوم حول الحمى.

٦- إن جهل المسلمين بلغة العرب اليوم، وجهلهم بعلوم القرآن وتفسيره سبب رئيس لتحول هذه الأباطيل إلى شبهات تشبه على عوام المسلمين، فالواجب على المسلم أن يتحصن من هذه الشبهات بمعرفة دينه والإلمام بعلومه إذا لم يقدر على التمكن منها. وليعلم أن قوة الإيمان سبب في دفع الشبهة، وأن مرض القلب وضعف الإيمان سبب في استحكامها، وقد قال ابن القيم: "القلب إذا كان فيه مرض آذاه أدنى شيء من الشبهة أو الشهوة، حيث لا يقوى على دفعهما إذا وردا عليه، والقلب الصحيح القوي يطرقه أضعاف ذلك، وهو يدفعه بقوته وصحته، وبالجملة فإذا حصل للمريض مثل سبب مرضه زاد مرضه وضعفت قوته وترامى إلى التلف؛ ما لم يتدارك ذلك بأن يحصل له ما يقوى قوته ويزيل مرضه" (١). والواجب على المسلم إذا لم ينل من العلم ما يحصنه من الشبهات أن يفارق مجالسها وأن لا يصغي إلى قائلها، فلاستمع إليهم مع قلة البضاعة وضعف اليقين سبب في استحكام الشبهة واضطراب الجنان لها، والوقوع في براثن الشيطان وموارد الهلاك.

٧- التوصية بتحقيق كتاب الرازي في التفسير "مفاتيح الغيب"، الرد على جميع ما يورده من الطعون، لأنه يورد الطعون بقوة ويجيب عليها -في الغالب- بضعف (٢)، أو كما قيل: يورد الطعن بنقد ويجيب بنسيئة، ثم يطبع كتاب "مفاتيح الغيب" طبعة جديدة مع وضع جميع هذه الردود في الحاشية عند كل تطعن، كما هو الحال في تفسير الزمخشري (الكشاف) حيث طبع مع رد ابن المنير الإسكندراني.

٨- وأخيرا نقول لمن حاول الطعن في كتاب الله، أو في رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، أو في شيء من دين الله: اعلم أنك بفعلك هذا قد جنيت على نفسك، وأوديت بها إلى مهاوي الردى، واعلم أن "هذا الدين متين" (٣) "ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه" (٤)، فأشفق على نفسك

يا ناطح الجبل الأشم برأسه... أشفق على الرأس لا تشفق على الجبل  
وإنما مثل هؤلاء الطاعنين كوعل غره قرناه، فرأى ذات يوم صخرة ضخمة راسية شامخة، فأراد أن يريها قوة قرنيه فطنحها بكل ما عنده من قوة، فتحطم قرناه وتفتتا، وأما الصخرة فما أحست من ذلك بشيء،

قال الشاعر: كناطق صخرة يوما ليوهنها..... فلم يضرها وأوهى رأسه الوعل

فالإسلام كالبحر الخضم، لا يضره من ألقى فيه بحجارة محاولا إيذاءه

وما يضر البحر أمسى راسيا..... إذا رمى إليه صبي بحجر

وهكذا الدين دائما يخرج منتصرا، جعلنا الله - تعالى - من أنصاره، وحسبنا الله ونعم الوكيل. (٥)

(١) - ابن القيم، إغائة اللفهان (١/١٨). الناشر: مكتبة المعارف، الرياض، للمملكة العربية السعودية.

(٢) - انظر للدخل إلى علم التفسير، أ. د. بلتاجي (ص: ٢٢٢) مرجع سابق.

(٣) - أخرجه الإمام أحمد في المسند عن أنس (٢٧٣١٨) حسنه الألباني

(٤) - أخرجه البخاري عن أبي هريرة (كتاب الإيمان، باب الدين يسر، رقم: ٣٩)

## فهرس المصادر والمراجع:

أولاً: القرآن الكريم.

ثانياً: تفاسير القرآن وعلومه المنشورة على المكتبة الشاملة مراجع أساسية لهذه الدراسة .

ثانياً: كتب السنة ودواوينها وتفسيرها المنشورة على المكتبة الشاملة مراجع أساسية لهذه الدراسة

ثانياً: كتب العهد القديم والجديد وتفسيره وقواميسه .

ثالثاً: كتب عامة:-

- ١- "أدلة اليقين في الرد على كتاب ميزان الحق وغيره من مطاعن المبشرين المسيحين في الإسلام": عبد الرحمن الجزيري. (الطبعة الأولى (١٣٥٣هـ-١٩٣٤م)).
- ٢- "أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن": محمد الأمين بن محمد المختار. (دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت - لبنان) الطبعة: ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م
- ٣- "إظهار الحق": رحمت الله بن خليل الهندي. (تحقيق عمر الدسوقي). (المكتبة العصرية في بيروت)
- ٤- "إعجاز القرآن العلمي": محمود مهدي الاستانبولي. (الطبعة الثانية مكتبة السوادي للتوزيع - جدة)
- ٥- "الإنجيل والصليب": عبد الأحد دواود. (تعريب مسلم عراقي) (القاهرة، ١٣٥٠هـ).
- ٦- "بماذا يؤمن المسيحيون": جورجيا هاركنس (ترجمة إسحاق مسعد القاهرة). (دار التأليف والنشر للكنيسة الأسقفية).
- ٧- "تأويل مشكل القرآن": عبد الله بن مسلم ابن قتيبة. الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان ، المحقق: إبراهيم شمس الدين ، بدون تاريخ طبع .
- ٨- "تفسير انجيل متى": مجموعة من أشهر مفسري الكتاب المقدس: (مكتبة النيل المسيحية)
- ٩- "تفسير القرآن العظيم": إسماعيل بن كثير القرشي. (المحقق: سامي بن محمد سلامة ، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع الطبعة: الثانية ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م ، ٨ أجزاء)
- ١٠- "تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان": عبد الرحمن بن ناصر السعدي. (مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الخامسة، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م).
- ١١- "جامع البيان عن تأويل آي القرآن": محمد بن جرير الطبري. (الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع الطبعة: الثانية ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م ، المحقق: أحمد محمد شاكر).
- ١٢- "جامع الدروس العربية": مصطفى الغلاييني. (الطبعة الثامنة عشرة (١٤٠٥هـ-١٩٨٥م)).
- ١٣- "الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح": أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام ابن تيمية. (تحقيق وتعليق د. علي بن حسين ناصر ود. عبد العزيز العسكر ود. حمدان الحمدان. الطبعة الثانية (١٤١٩هـ-١٩٩٩م)).
- ١٤- "ديوان امرئ القيس": دار بيروت للطباعة والنشر (١٣٩٢هـ/١٩٧٢م).

(١) - دعاوى الطاعنين في القرآن الكريم في القرن الرابع عشر الهجري والرد عليها ، عبد المحسن بن زين بن متعب المطيري ، الناشر: دار البشائر الإسلامية، بيروت -

- ١٥ - "الرد على الجهمية والزنادقة فيما شكوا فيه من متشابه القرآن وتأولوه على غير تأويله: أحمد بن محمد بن حنبل. قام بتصحيحه والتعليق عليه: إسماعيل الأنصاري، نشر وتوزيع: رئاسة إدارات البحوث العلمية والأفتاء والدعوة والإرشاد بالمملكة العربية السعودية.
- ١٦ - "رسالة راهب فرنسا للمسلمين وجواب القاضي أبي الوليد الباجي عليها: دراسة وتحقيق: د. محمد عبد الله الشرفاوي. طبع ونشر الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤٠٧هـ.
- ١٧ - "رسالة عبد الله بن إسماعيل الهاشمي إلى عبد المسيح بن إسحاق الكندي يدعوه إلى الإسلام ورسالة عبد المسيح إلى الهاشمي يرد بها عليه ويدعوه إلى النصرانية. طبع مصر عام (١٨٩٥م).
- ١٨ - "روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني": محمود الألوسي. (المحقق: علي عبد الباري عطية الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ).
- ١٩ - "السيرة النبوية": عبد الملك بن هشام الحميري. (تحقيق مصطفى السقا وآخرون مؤسسة علوم القرآن.
- ٢٠ - "شرح المعلقات العشر": الحسين بن أحمد الزوزني. (طبعة عام ١٩٨٣م) دار مكتبة الحياة. بيروت.
- ٢١ - "الصاحبي": أحمد بن فارس. (تحقيق السيد أحمد صقر) (مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه.
- ٢٢ - "صحيح أبي عبد الله البخاري": محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري. تحقيق وتعليق: محمد النواوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم ومحمد خفاجي. - ثلاثة مجلدات، تسعة أجزاء. الطبعة الثانية (١٤٠٤هـ-١٩٨٤م) الناشران: مكتبة النهضة الحديثة مكة، ومكتبة الرياض الحديثة - الرياض.
- ٢٣ - "العقائد الوثنية في الديانة النصرانية": محمد طاهر التنير - بيروت - ١٣٣٠هـ.
- ٢٤ - "فتح الباري بشرح صحيح البخاري": أحمد بن علي بن حجر العسقلاني تحقيق الشيخ عبد العزيز بن باز وآخرون دار المعرفة "بيروت".
- ٢٥ - "القاموس الموجز للكتاب المقدس": حنا الله جرجس ووهيب مالك طبع مكتبة كنيسة الأخوة - مصر - عام ١٩٨٣م.
- ٢٦ - "القرآن والمبشرون" الطبعة الثانية: محمد عزة دروزة (١٣٩٢هـ، ١٩٧٢م).
- ٢٧ - "المسيحية" أحمد شلي ط (٧) القاهرة مكتبة النهضة المصرية (١٩٨٣م).
- ٢٨ - "معالم حضارات الشرق الأدنى القديم" محمد عصفور، لبنان دار النهضة ١٩٨١م.
- ٢٩ - "مغني اللبيب عن كتب الأعراب": عبد الله بن هشام الأنصاري، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار إحياء التراث العربي.
- ٣٠ - "المفضليات": المفضل بن محمد الضبي: تحقيق وشرح: أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون، الطبعة السابقة، دار المعارف "مصر".
- ٣١ - "من معجزات النبي ﷺ" عبد العزيز السلطان، الطبعة الثانية، ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م.
- ٣٢ - "النحو الوافي" عباس حسن، الطبعة الخامسة، دار المعارف بمصر.

- ٣٣- "نزول عيسى بن مريم آخر الزمان": جلال الدين السيوطي: دراسة وتحقيق محمد عبد القادر عطا. ط (١) دار الكتب العلمية ببيروت.
- ٣٤- "نصرانية عيسى عليه السلام ونصرانية بولس" دراسة مقارنة من خلال أسفار العهد الجديد: علي عتيق الحريي بحث ماجستير عام ١٤٠٧هـ.
- ٣٥- إبراهيم الجبهان، ما يجب أن يعرفه المسلم من حقائق عن النصرانية والتبشير، الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد. الرياض ١٤٠٤هـ.
- ٣٦- إبراهيم خليل أحمد، المستشرقون والمبشرون في العالم العربي والإسلامي، مكتبة الوعي العربي، القاهرة ١٩٦٤م.
- ٣٧- إبراهيم موسى هنداوي، الأثر العربي في الفكر اليهودي، مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٦٣م.
- ٣٨- أحمد عبد الحميد غراب، رؤية إسلامية للاستشراق، المنتدى الإسلامي، لندن ١٤١١هـ.
- ٣٩- إدوارد سعيد، الاستشراق، ص ٣٠٠، بترجمة كمال أبو ديب، مؤسسة الأبحاث العربية. بيروت ط ٢: ١٩٨٤م.
- ٤٠- ارنست رينان، ابن رشد والرشدية، عادل زعيتر، القاهرة ١٩٥٧م.
- ٤١- إسماعيل سالم عبد العالم، المستشرقون والقرآن، سلسلة دعوة الحق. عن رابطة العالم الإسلامي، العدد ١٠٤، مكة المكرمة ١٤١٠هـ. ١٩٩٠م.
- ٤٢- أعراب عبد الحميد، دائرة المعارف الإسلامية، ندوة مصادر المعلومات عن العالم الإسلامي الرياض (٢٢. ٢٥. رجب ١٤٢٠هـ، ٣١ أكتوبر. ٣ نوفمبر ١٩٩٩م).
- ٤٣- أ. ل شاتيله، الغارة على العالم الإسلامي، نشر محب الدين الخطيب. بيروت، د. ت.
- ٤٤- أنيس فريجة، مخطوطات البحر الميت وجماعة قمران. بترجمة إبراهيم مطر. بيروت ١٩٥٧م.
- ٤٥- بابا دو بولس، تاريخ كنيسة أنطاكية، منشورات النور، بيروت ١٩٨٤م.
- ٤٦- البيجوري، تحفة المرید في شرح جوهرة التوحيد، دار الكتب العلمية. بيروت ١٩٨٣م.
- ٤٧- التنصير: خطة لغزو العالم الإسلامي (الترجمة الكاملة لأعمال مؤتمر كلورادو التبشيري)، دون بيانات.
- ٤٨- توماس أرنولد، الدعوة إلى الإسلام، مكتبة النهضة المصرية، الطبعة الثانية.
- ٤٩- ابن تيمية، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، مطبعة المدني، مصر، بدون ترقيم.
- ٥٠- تيودور أبو قرّة، ميمر في وجود الخالق والدين القويم، بتحقيق: اغناطيوس ديك. بيروت ١٩٨٢م.
- ٥١- جلال العالم، دمروا الإسلام وأبيدوا أهله، مكتبة الصحابة جده. مكتبة التابعين، القاهرة. ١٩٩٤م.
- ٥٢- جواد علي، يوحنا الدمشقي، مجلة الرسالة (مصر)، (عدد ٦١٠)، والعدد (٦١٢) ربيع الآخر ١٣٦٤هـ. مارس ١٩٤٥م.
- ٥٣- جورج عطية، الجدل الديني المسيحي. الإسلام في العصر الأموي وأثره في نشوء علم الكلام، كتاب المؤتمر الدولي الرابع لتاريخ بلاد الشام. جامعة اليرموك. عمان ١٩٨٩م.
- ٥٤- جوستاف لوبون، حضارة العرب، بترجمة عادل زعيتر، دار إحياء الكتب العربية. القاهرة ١٩٦٩م.

- ٥٥ - جولد تسهر، مذاهب التفسير الإسلامي، بترجمة عبد الحلیم النجار، القاهرة ١٩٥٥م.
- العقيدة والشريعة في الإسلام، بترجمة محمد يوسف موسى وآخرون، القاهرة ١٩٤٨م.
- ٥٦ - جيمس فريزر، الفلكلور في العهد القديم، بترجمة نبيلة إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٣م.
- ٥٧ - حسن حنفي، نماذج من الفلسفة المسيحية، الأنجلو المصرية. القاهرة ١٩٨٨م.
- ٥٨ - حسن طبل، حول الإعجاز البلاغي للقرآن، مكتبة الإيمان، ط ١، مصر ١٤٢٠هـ. ١٩٩٩م.
- ٥٩ - حسين علي محمد، القرآن ونظرية الفن، القاهرة ١٤١٣هـ. ١٩٩٢م.
- ٦٠ - دانييل ساهاس، جدل يوحنا الدمشقي مع الإسلام، مجلة الاجتهاد بيروت، عدد (٢٨) السنة السابعة (١٤١٦هـ. ١٩٩٥م).
- ٦١ - رشا الصباح، الإسلام والمسيحية في العصور الوسطى، مجلة عالم الفكر، عدد (٣) المجلد الخامس عشر. وزارة الإعلام، الكويت.
- ٦٢ - رشاد عبد الله الشامى، الشخصية اليهودية، سلسلة عالم المعرفة العدد (١٠٢). وزارة الإعلام بالكويت.
- ٦٣ - رشيد رضا، الوحي المحمدى، المكتب الإسلامي، دمشق ١٣٩١هـ. ١٩٧١م.
- ٦٤ - روم لاندو، الإسلام والعرب، بترجمة منير البعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٧٧م.
- ٦٥ - زينون كاسيدوفسكي، الحقيقة والأسطورة في التوراة، الأجدية للنشر. دمشق ١٩٩٠م.
- ٦٦ - سعد العتيبي، نفوذ اليهود في عهد المغول الإيلخانيين، مجلة الدرعية (عدد ٦، ٧) ربيع الآخر. رجب ١٤٢٠هـ/ أغسطس، نوفمبر ١٩٩٩م المملكة العربية السعودية.
- ٦٧ - سعد بن منصور بن كمونة، تنقيح الأبحاث للمل للثلاث، نشرة موسى برلمان، مطبوعات جامعة كاليفورنيا ١٩٦٧م.
- ٦٨ - سعيد عاشور، الحركة الصليبية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة ١٩٦٣م.
- ٦٩ - سيد قطب: التصوير الفني في القرآن، دار المعارف، القاهرة ١٩٦٦م. في ظلال القرآن، دار الشروق. القاهرة ١٤٠٢هـ. ١٩٨٢م.
- ٧٠ - عبد الجواد المحص، أباطيل الخصوم حول القصص القرآني، الدار المصرية. الاسكندرية ١٤٢٠هـ. ٢٠٠٠م.
- ٧١ - أدب القصة في القرآن الكريم، الدار المصرية بالاسكندرية ١٤٢٠هـ. ٢٠٠٠م.
- ٧٢ - عبد الحميد مذكور، الترجمة والحوار مع الآخر، كتاب المؤتمر الدولي الأول للفلسفة الإسلامية ((الفلسفة الإسلامية والتحديات المعاصرة)) المنعقد بدار العلوم. القاهرة ١٩٩٦م.
- ٧٣ - عبد الرازى محمد عبد المحسن، أسس فلسفة الأخلاق الإسلامية، مجلة الجمعية الفلسفية المصرية، السنة السادسة. عدد ٦، القاهرة ١٤١٨هـ. ١٩٩٧م.
- ٧٤ - عبد الرحمن بدوي، دفاع عن القرآن ضد منتقديه، دار الجليل، ط ١، بترجمة كمال جاد الله. القاهرة ١٩٩٧م.

- ٧٥ - موسوعة المستشرقين، دار العلم للملايين، ط٢، بيروت ١٩٨٩م.
- ٧٦ - عبد الرحمن حبنكة الميداني أجنحة المكر الثلاثة، دار العلم، دمشق، ط٥، ١٤٠٧هـ. ١٩٨٦م.
- ٧٧ - عبد العزيز العسكر، التنصير ومحاولاته في الخليج العربي، العبيكان، ط١، الرياض ١٤١٤هـ. ١٩٩٣م.
- ٧٨ - عبد اللطيف الطيباوي، المستشرقون الناطقون بالإنجليزية، الترجمة العربية الملحقه بكتاب الفكر الإسلامي الحديث. د. محمد البهي. مكتبة وهبة، ط٨، ١٩٧٥م.
- ٧٩ - ابن العسال، الصحائح في جواب النصائح، القاهرة سنة ١٦٤٣ قبطية.
- ٨٠ - علي النملة، الاستشراق في الأدبيات العربية، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ط١، ١٤١٤هـ. ١٩٩٣م.
- ٨١ - التنصير، ١٩٩٣م بدون بيانات.
- ٨٢ - علي جريشة. محمد الزبيق، أساليب الغزو الفكري، ط٢، دار الاعتصام. مصر.
- ٨٣ - عمر الأشقر، عالم الملائكة، دار النفائس. الأردن ١٩٩٥م.
- ٨٤ - عمر رضوان، آراء المستشرقين حول القرآن الكريم وتفسيره، دار طيبة. الرياض ١٤١٣هـ. ١٩٩٢م.
- ٨٥ - فروخ. الخالدي، التبشير والاستعمار في البلاد الإسلامية، المكتبة العصرية. بيروت ١٩٨٦م.
- ٨٦ - ابن الفوطى، الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة، بتحقيق مصطفى جواد، بغداد ١٩٣٢م.
- ٨٧ - فريد مصطفى سليمان، محمد عزة دروزة وتفسير القرآن الكريم، مكتبة الرشد، الرياض ١٤١٤هـ. ١٩٩٣م.
- ٨٩ - قاسم السامرائي، الاستشراق بين الموضوعية والافتعالية، دار الرفاعي. الرياض ١٤٠٣هـ. ١٩٨٣م.
- ٩٠ - كارل ساغان، الكون، سلسلة عالم المعرفة (١٧٨)، وزارة الإعلام بالكويت.
- ٩١ - ابن كثير، البداية والنهاية، دار هجر. القاهرة ١٤١٧هـ. ١٩٩٧م.
- ٩٢ - لويس شيخو، المخطوطات العربية لكتبة النصرانية، طبع الآباء اليسوعيين، بيروت ١٩٤٢م.
- ٩٣ - مقالات دينية قديمة لبعض مشاهير الكتبة النصارى، طبع الآباء اليسوعيين. بيروت ١٩٠٦م.
- ٩٤ - لويس غرديه. جورج قنواى، فلسفة الفكر الدينى، دار العلم للملايين، ط١، بيروت ١٩٦٧م.
- ٩٥ - مالك بن نبي، الظاهرة القرآنية، بترجمة عبد الصبور شاهين، دار الفكر. دمشق ١٤٠٢هـ. ١٩٨١م.
- ٩٦ - محمد أبو فراه، تراجم القرآن الأجنبية في الميزان، مجلة كلية أصول الدين بجامعة الإمام بن سعود الإسلامية. العدد الرابع (عام ١٤٠٢هـ. ١٤٠٣هـ).
- ٩٧ - محمد أسد، الإسلام على مفترق الطرق، العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٧م.
- ٩٨ - محمد البهي، المبشرون والمستشرقون في موقفهم من الإسلام، الإدارة العامة للثقافة. مطبعة الأزهر. القاهرة، د. ت.
- ٩٩ - محمد بن جرير الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ط٥، دار المعارف. القاهرة.

- ١٠٠ - محمد خليفة حسن، آثار الفكر الاستشراقي في المجتمعات الإسلامية، دار عين للبحوث والدراسات. القاهرة ١٩٩٧م.
- ١٠١ - محمد السماك، مقدمة إلى الحوار الإسلامي - المسيحي، دار النفائس، بيروت ١٤١٨ هـ ١٩٩٨م.
- ١٠٢ - محمد الشراقى، الاستشراق، مطبعة المدينة. القاهرة. د. ت.
- ١٠٣ - محمد صالح البنداق، المستشرقون وترجمة القرآن الكريم، دار الآفاق الجديدة، ط ٢، بيروت ١٤٠٣ هـ. ١٩٨٣م.
- ١٠٤ - محمد عبد الله دراز، مدخل إلى القرآن الكريم، دار القلم، الكويت ١٣٩١ هـ. ١٩٧١م.
- ١٠٥ - محمد عبد الواحد عسيري، صورة الإسلام والمسلمين في قاموس الأديان، بحث مقدم إلى ندوة مصادر المعلومات عن العالم الإسلامي المنعقدة في الرياض (٢٢ - ٢٥ رجب ١٤٢٠ هـ / ٣١ أكتوبر - ٣ نوفمبر ١٩٩٩م).
- ١٠٦ - محمد عثمان بن صالح، النصرانية والتنصير أم المسيحية والتبشير، مكتبة ابن القيم، المدينة المنورة ١٤١٠ هـ. ١٩٨٩م.
- ١٠٧ - محمد عمارة، استراتيجية التنصير في العالم الإسلامي، مركز دراسات العالم الإسلامي. مالطة، ط ١، ١٩٩٢م.
- ١٠٨ - محمد فتحي عبد الهادي، المصادر المرجعية عن الإسلام والمسلمين، ندوة مصادر المعلومات عن العالم الإسلامي.
- ١٠٩ - محمد الفيومي، الاستشراق رسالة استعمار، ص ٤٦٤ - ٣٦٥، دار الفكر العربي. القاهرة ١٤١٣ هـ. ١٩٩٣م.
- ١١٠ - محمود العابدي، مخطوطات البحر الميت، دائرة الثقافة والفنون. عمان ١٩٦٧م.
- ١١١ - موريس بوكاي، القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم، دار المعارف. لبنان ١٩٧٧م.
- ١١٢ - نجيب العقيقي، المستشرقون، دار المعارف، ط ٤، مصر.
- ١١٣ - يوهان فوك، تاريخ حركة الاستشراق، بترجمة عمر العالم، ط ١، دار قتيبة، دمشق - بيروت ١٤١٧ هـ. ١٩٩٦م.
- ١١٤ - الإيتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي (ت ٩١١ هـ)، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب الطبعة: ١٣٩٤ هـ / ١٩٧٤ م
- ١١٥ - الإقناع في القراءات السبع، أبو جعفر أحمد ابن الباذن الأنصاري (ت ٥٤٠ هـ)، تحقيق: عبد المجيد قطامش، ط ١، مطابع جامعة أم القرى، ١٤٠٣ هـ.
- ١١٦ - الإسلام وحقوق المرأة، مجموعة باحثين، بإشراف د. جعفر عبد السلام، ط ١، رابطة الجامعات الإسلامية، ١٤٢٥ هـ.
- ١١٧ - أدلة اليقين في الرد على مطاعن المبشرين والملحدين، محمد شوقي عبد الرحمن الجزيري، ط ١، دار الإرشاد، ١٤٠٦ هـ.

- ١١٨ - تاريخ الأمم والملوك، ابن جرير الطبري (ت ٣١١هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط ٢، دار المعارف، مصر.
- ١١٩ - تاريخ المدينة المنورة، عمر بن شبه النميري (ت ٢٦٢هـ)، تحقيق: فهيم محمد شلتوت، [بدون معلومات نشر].
- ١٢٠ - تأويل مشكل القرآن، محمد بن عبد الله ابن قتيبة (ت ٢٧٠هـ) تحقيق: السيد صقر، ط ٢، دار التراث، القاهرة، ١٣٩٣هـ.
- ١٢١ - تفسير القرآن العظيم، ابن أبي حاتم (ت ٣٢٧هـ)، تحقيق: أسعد الطيب، مكتبة نزار مصطفى الباز، ط ١، مكة المكرمة، ١٤١٧هـ.
- ١٢٢ - وحي الله حقائقه وخصائصه في الكتاب والسنة، نقض مزاعم المستشرقين، أ. د. حسن ضياء الدين العتر، دار المكتبي ط ١/١٩٩٩.
- ١٢٣ - دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف العلمية الحديثة، د. مورييس بوكاي معرب ط. مصر وط. بيروت تعريب د. خالد حسن.
- ١٢٤ - الجامع الصحيح (سنن الترمذي)، محمد بن عيسى الترمذي (ت ٢٧٥هـ)، تحقيق: أحمد شاكر، المكتبة الفيصلية، مكة المكرمة.
- ١٢٥ - الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي (ت ٦٧١هـ)، دار إحياء التراث العربي بيروت، لبنان، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م.
- ١٢٦ - جمع القرآن، في مراحل التاريخ من العصر النبوي إلى العصر الحديث، محمد شرعي أبو زيد، كتاب إلكتروني.
- ١٢٧ - دراسات لأسلوب القرآن الكريم، محمد عبد الخالق عضيمة، دار الحديث، القاهرة.
- ١٢٨ - دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب، محمد الأمين الشنقيطي، ط ١، مؤسسة التاريخ العربي، ١٤٢٠هـ.
- ١٢٩ - رد افتراءات المبشرين على آيات القرآن الكريم، محمد جمعة عبد الله، ط ١، ١٤٠٥هـ.
- ١٣٠ - زاد المسير في علم التفسير، جمال الدين عبد الرحمن بن علي الجوزي (ت ٥٩٧هـ)، المكتب الإسلامي للطباعة والنشر.
- ١٣١ - سنن ابن ماجه، محمد بن يزيد القزويني (ت ٢٧٥هـ) تحقيق وترقيم: محمد فؤاد عبد الباقي، ط ١، دار إحياء الكتب العربية.
- ١٣٢ - سنن أبي داود، أبو داود سليمان الأشعث السجستاني (ت ٢٧٥هـ)، دار الحديث، ١٣٩١هـ.
- ١٣٣ - سنن النسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي (ت ٣٠٣هـ)، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، ط ٢، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، ١٤٠٦هـ.
- ١٣٤ - حقائق حول القرآن في مواجهة شبهات المشككين، د. محمود حمدي زقزوق، ط المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة.

- ١٣٥ - شرح النووي على صحيح مسلم، يحيى بن شرف النووي (ت ٦٧٦هـ)، ط ١، عالم الكتب، الرياض، ١٤٢٤هـ.
- ١٣٦ - الشفا بتعريف حقوق المصطفى، أبو الفضل عياض اليحصبي (ت ٥٤٤هـ)، دار الفكر الطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٤٠٩هـ.
- ١٣٧ - صحيح ابن حبان، أبو حاتم البستي، (ت ٣٥٤هـ) ترتيب: علاء الدين بن بلبان، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وحسين أسد، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٤هـ.
- ١٣٨ - صحيح ابن خزيمة، محمد بن خزيمة (ت ٣١١هـ)، تحقيق: محمد مصطفى الأعظمي، المكتب الإسلامي.
- ١٣٩ - صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري (ت ٢٥٦هـ)، ترقيم: محمد فؤاد عبد الباقي، في تحقيقه لكتاب فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، ط ٢، القاهرة، دار الريان للتراث، ١٤٠٧هـ.
- ١٤٠ - صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج القشيري (ت ٢٦١هـ)، ترقيم: محمد فؤاد الباقي، ط ١، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٣٧٥هـ.
- ١٤١ - الطعن في القرآن الكريم والرد على الطاعنين في القرن الرابع عشر الهجري، عبد المحسن بن زين المطيري (رسالة دكتوراه مقدمة إلى كلية العلوم - جامعة القاهرة).
- ١٤٢ - عمدة القاري، بدر الدين العيني (ت ٨٥٥هـ)، دار الفكر.
- ١٤٣ - فتح الباري بشرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ)، ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي، ط ٢، دار الريان للتراث، القاهرة، ١٤٠٧هـ.
- ١٤٤ - فقه اللغة وسر العربية، أبو منصور الثعالبي (ت ٤٢٩هـ)، ط ١، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٤١٨هـ.
- ١٤٥ - قالوا عن الإسلام، عماد الدين خليل، طبع الندوة العالمية للشباب الإسلامي، ١٤١٢هـ.
- ١٤٦ - القرآن الكريم في مواقع الإنترنت العربية دراسة تحليلية نقدية، عبد الرحيم الشريف (رسالة دكتوراه)، كتاب إلكتروني.
- ١٤٧ - القرآن الكريم والكتاب المقدس، أيهما كلمة الله؟ أحمد ديدات.
- ١٤٨ - القرآن والمبشرون، محمد عزت دروزة، ط ٣، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٣٩٩هـ.
- ١٤٩ - لسان العرب، ابن منظور (ت ٧١١هـ)، ط ١، دار صادر، بيروت.
- ١٥٠ - لسان الميزان، ابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ)، مجلس دائرة المعارف النظامية، حيدر أباد.
- ١٥١ - لماذا أسلم صديقي، إبراهيم خليل أحمد، مكتبة التراث الإسلامي، القاهرة.
- ١٥٢ - مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي (ت ٨٠٧هـ)، دار الفكر، بيروت، ١٤١٢هـ.
- ١٥٣ - المدخل لدراسة القرآن الكريم، محمد محمد أبو شهبه، ط ٢، دار الجيل، بيروت، ١٤١٢هـ.
- ١٥٤ - فقه اللغة وسر العربية، أبو منصور الثعالبي (ت ٤٢٩هـ)، ط ١، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٤١٨هـ.
- ١٥٥ - قالوا عن الإسلام، عماد الدين خليل، طبع الندوة العالمية للشباب الإسلامي، ١٤١٢هـ.

- ١٥٦ - القرآن الكريم في مواقع الإنترنت العربية دراسة تحليلية نقدية، عبد الرحيم الشريف (رسالة دكتوراه)، كتاب إلكتروني.
- ١٥٧ - القرآن الكريم والكتاب المقدس، أيهما كلمة الله؟ أحمد ديدات.
- ١٥٨ - القرآن والمبشرون، محمد عزت دروزة، ط ٣، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٣٩٩هـ.
- ١٥٩ - لسان العرب، ابن منظور (ت ٧١١هـ)، ط ١، دار صادر، بيروت.
- ١٦٠ - لسان الميزان، ابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ)، مجلس دائرة المعارف النظامية، حيدر أباد.
- ١٦١ - مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي (ت ٨٠٧هـ)، دار الفكر، بيروت، ١٤١٢هـ.
- ١٦٢ - المدخل لدراسة القرآن الكريم، محمد محمد أبو شهبه، ط ٢، دار الجيل، بيروت، ١٤١٢هـ.
- ١٦٣ - الدرّ المنثور في التفسير بالمأثور - جلال الدين السيوطي - دار المعرفة للطباعة والنشر - بيروت.
- ١٦٤ - محاسن التأويل - تفسير القاسمي - محمد جمال الدين القاسمي - دار الفكر ط ٢ - ١٩٧٨
- ١٦٥ - أساليب التشويق والتعزيز في القرآن الكريم د. الحسين جرنو محمود جلو - مؤسسة الرسالة ط ١ - ١٩٩٤
- ١٦٦ - إعجاز القرآن الكريم د. فضل حسن عباس - دار الفرقان ط ٤ - ٢٠٠١
- ١٦٧ - إعجاز القرآن - منشورات جامعة القدس.
- ١٦٨ - إعجاز القرآن البياني ودلائل مصدرة الرّبانيّ د. صلاح الخالدي - دار عمّار ط ٢ - ٢٠٠٤
- ١٦٩ - إعجاز القرآن بين المعتزلة والأشاعرة د. منير سلطان - منشأة المعارض - ١٩٧٧
- ١٧٠ - إعجاز القرآن والبلاغة النبويّة - د. مصطفى صادق الرافعي - دار الكتاب العربيّ ط ٩ - ١٩٧٣
- ١٧١ - إعجاز القرآن - الإعجاز في دراسات السابقين - د. عبد الكريم الخطيب - دار المعرفة ط ٢ - ١٩٧٥.
- ١٧٢ - الإعجاز البلاغي دراسة تحليلية د. محمد أحمد أبو موسى - مكتبة وهبة ط ١ - ١٩٨٤
- ١٧٣ - الإعجاز البيانيّ للقرآن ومسائل ابن الأزرق د. عائشة عبد الرحمن - دار المعارف - ط ٢
- ١٧٤ - الإعجاز العلمي في الإسلام - محمد كامل عبد الصمد - الدار المصريّة اللبنايّة - ط ٢ - ١٩٩٣
- ١٧٥ - الإعجاز القرآنيّ - وجوه وأساره - د. عبد الغني محمد سعيد بركة - مكتبة وهبة ط ١ - ١٩٨٩
- ١٧٦ - الإعجاز النحويّ في القرآن الكريم د. فتحي عبد الفتّاح - مكتبة القدّاح ط ١ - ١٩٨٩
- ١٧٧ - البيان في إعجاز القرآن د. صلاح الخالدي - دار عمّار ط ٣ - ١٩٩٣
- ١٨٨ - الظاهرة القرآنية - مالك بن نبي - دار الفكر - بيروت ١٩٨٠
- ١٨٩ - القرآن أنواره وآثاره وأوصافه - محمد محمود الصّوّاف - مؤسسة الرسالة ط ٥ - ١٩٨٧
- ١٩٠ - القرآن يقوم العقل والنفس واللسان - خلف محمد الحسيني - دار نهضة مصر للطباعة.
- ١٩١ - المعجزة الخالدة - حسن ضياء الدين عتر - ط ٢ ١٩٨٩
- ١٩٢ - المعجزة الكبرى - القرآن - محمد أبو زهرة - دار الفكر العربي

- ١٩٣ - المعجزة القرآنية - الإعجاز العلمي - د. محمد حسن هيثو - مؤسسة الرسالة ط ٣ ١٩٩٨
- ١٩٤ - المفتي في أبواب العدل والتوحيد - القاضي عبد الجبار - دار الكتاب ط ١ - ١٩٦٠
- ١٩٥ - الموسوعة القرآنية الميسرة - إبراهيم الأبياري - مؤسسة سجل العرب ١٩٩٤
- ١٩٦ - النبأ العظيم - د. محمد عبد الله دراز - دار القلم - ط ٢ - ١٩٧٠
- ١٩٧ - بالقرآن أسلم هؤلاء - عبد العزيز هاشم الغزولي - دار القلم ط ١ - ٢٠٠١
- ١٩٨ - ثلاث رسائل في إعجاز القرآن - تحقيق محمد خلف الله أحمد - دار المعارف ط ٤
- ١٩٩ - دراسات في علوم القرآن - د. فهد عبد الرحمن الرومي - ط ٤ ٢٠٠٣
- ٢٠٠ - فكرة إعجاز القرآن - نعيم الحمصي - مؤسسة الرسالة - ط ٢ ١٩٨٠
- ٢٠١ - كيف نحا بالقرآن - نبيه زكريا عبد ربه - دار الحرمين - ط ١ ١٩٨٣
- ٢٠٢ - مباحث في إعجاز القرآن - د. مصطفى مسلم - دار المسلم - ١٩٩٦
- ٢٠٣ - من أوجه إعجاز القرآن الكريم - د. نبيل محمد آل إسماعيل - دار ابن حزم ط ١ ٢٠٠٢
- ٢٠٤ - من دلائل الإعجاز العلمي في القرآن والسنة - د. موسى الخطيب - المكتبة المصرية - ط ١ ٢٠٠٤
- ٢٠٦ - نظرات في القرآن - محمد الغزالي - دار الكتب المصرية - ط ٥
- ٢٠٧ - هذا القرآن - د. صلاح الخالدي - دار المنار - ط ١ - ١٩٩٣
- ٢٠٨ - أثر الإيمان في شخصية الأمة الإسلامية ضد الأفكار الهدامة - عبد الله عبد الرحمن جربوع - مكتبة أضواء السلف - ط ١ - ٢٠٠٠
- ٢٠٩ - البيان والتبيين - الجاحظ - دار الجليل.
- ٢١٠ - الترغيب والترهيب - المنذري - دار إحياء التراث العربي.
- ٢١١ - التصوير الفني في القرآن - سيد قطب - دار الشروق.
- ٢١٢ - التعريفات - الجرجاني - مكتبة لبنان - ١٩٧٨
- ٢١٣ - سير أعلام النبلاء - محمد بن أحمد الذهبي - مؤسسة الرباط ط ١ - ١٩٨٣
- ٢١٤ - لسان العرب ابن منظور - دار صاد بيروت.
- ٢١٥ - مفردات ألفاظ القرآن - الراغب الأصفهاني - دار القلم - دمشق ١٩٩٢
- هنالك مراجع ومصادر أخرى ذكرت خلال الدراسة من مجلات وقواميس وكتب نصرانية ويهودية عليها توثيق نشرها وتاريخه. وهنالك مصادر ذكرت بالهوامش لطبعات غير الطبعة المعتمدة في المصادر لأخذ العلم .
- لمراسلة الكاتب على العنوان التالي :

<https://www.facebook.com/m.s.tartus>

[m.s.tartus@gmail.com](mailto:m.s.tartus@gmail.com)

٩٨٨٢٨٩٨٩٢/٠٠٩٦٣ موبايل